

موسى وعيسى

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَى

فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

كل حقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

رقم الإيداع: ٨٠٩٦ / ٢٠٢٢م  
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٩٧-٣٥٤٨

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb\_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

🐦 @DarElollaa

📧 Dar\_Elollaa@hotmail.com

📍 الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

📞 01050144505 - 0225117747

📍 المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

📞 01007868983 - 0502357979

موسى وعترته

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

للفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التومجني

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

الجزء الثاني

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع  
المصوّرة - مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

## الباب الرابع

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

١٥ - اسم الله الحق .

التعبد لله عز وجل باسمه الله الحق .

١٦ - اسم الله المبين .

التعبد لله عز وجل باسمه المبين .

١٧ - اسم الله الحي .

التعبد لله عز وجل باسمه الحي .

١٨ - اسم الله القيوم .

التعبد لله عز وجل باسمه القيوم .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَاتِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الحق

# موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

## اسم الله الحق

الله ﷻ هو الملك الحق ، ودينه حق ، وكتابه حق ، ورسله حق ، ووعدته الحق جل جلاله ، الله ﷻ هو الملك الحق، وكل ما سواه ملكه ، الله ﷻ هو الإله الحق وكل معبود سواه باطل .

وقد ورد اسم الله الحق في القرآن ( ١٠ ) مرات .

والحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ، والله ﷻ هو الملك الحق : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴾ [المؤمنون/١١٦] .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق الملك والممالك والممالك ، فالسماوات والأرض ظروف لمظاريف كثيرة، هذا المظروف الذي في السماوات والأرض هو جميع مخلوقاته جل جلاله ، وأعلى هذه المخلوقات وأشرفها في العالم السفلى هو هذا الإنسان الذي خلقه الله ﷻ، وميزه عن غيره بأن جعله عاملاً متكلماً مختاراً ، فهذا الإنسان الله ﷻ خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وجعله خليفة في الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩] .

والإنسان في هذه الأرض معه أجناس أخرى ، معه عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان وغيرهم ، وهذه كلها الله ﷻ خلقها لخدمته ، وهى دالة على كمال قدرة الله ، وعلى عظمته ، وعلى جلاله ، وعلى جماله ، وكلها مسبحة بحمده ، خاضعة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠] .

أما الإنسان فالله يريد منه أن يأتي إليه اختياراً ، فأنزل عليه الكتب ، وأرسل إليه الرسل

يبينون له الحق من الباطل ، ويرغبونه في الحق : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١] .  
 فهذا الإنسان الذي خلقه الله ﷻ يريد خليفته في الدنيا ، وملكاً في الآخرة .

هو الحق الذي له الخلق والأمر كله ، في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وفي الدنيا ، وفي الآخرة : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج/ ٦٢] .

هو جل جلاله الملك الحق ، فتعالى الله الملك الحق لا اله إلا هو ، كما أمنا به ربا حقاً ، خلق كل شيء ويده كل شيء فيجب أن نؤمن به إلهاً واحداً معبوداً ومحبوفاً ، ونستقبل الحق من عنده على ما جاء به رسله عليهم الصلاة والسلام .

﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦] .  
 الله ﷻ كريم ، وعرشه كريم ، وكتابه كريم ، ورسوله كريم ، ودينه كريم ، فالله هو الكريم الذي لا أول ولا نهاية لكرمه ، والكريم من الخلق هو الذي إذا قدر عفا ، وإذا عاهد وفى ، وإذا سُئِلَ أعطى ، ولا يبالي كم أعطى ، ولمن أعطى ؟ .

والله ﷻ هو الكريم الذي لا أكرم منه ، هو الكريم الحق الذي خلق الإنسان ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض ، وهداه إلى الدين الحق ، وحبب إليه الدين ، ومكن هذا الإنسان من معرفة الدين بما خلق فيه من السمع والبصر والعقل : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل/ ٧٨] .

فالله ﷻ كريم : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام/ ١٦٠] .  
 وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ٤٠] .

فسبحان الملك الحق الذي أنزل الكتاب بالحق : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِيُشْفِقَ بَعِيدٌ ﴾ [البقرة: ١٧٦] .  
 وهذا الكتاب العظيم يشتمل على أمرين عظيمين :

أخبار.. وأوامر .

• والأخبار قسمان :

الأول: خبر عن الخالق بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعدته ، ووعيده .  
 الثاني: خبر عن مخلوقاته، أخبار عن خلق السماء ، والأرض والجبال ، والبحار ،  
 والجماد ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان ، وأخبار عن خلق العرش ، والجنة والنار .  
 أخبار عن الله ﷻ مثل : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ  
 الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ  
 الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ  
 الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾  
 [الحشر/ ٢٢-٢٤] .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ  
 ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ  
 إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥﴾ ﴾  
 [البقرة/ ٢٥٥] .

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
 كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .

والأخبار عن مخلوقات الملك الحق مثل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ  
 مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
 عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ  
 ذَلِكَ مَن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم: ٤٠] .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا  
 يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ  
 دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾  
 [البقرة: ١٦٤] .

أما الأوامر الشرعية من الله، فهي أمر بالفعل كالأمر بالصلاة والصيام والذكر والدعاء

ونحو ذلك .

وأوامر بالترك كالنهي عن الشرك والكفر، الظلم والكذب ، والربا والزنا ونحو ذلك .  
وهذه ، وهذه أخبار عظيمة ، وأوامر حكيمة وبموجب هذه المعارف تتطلع النفس إلى  
التقرب إلى هذا الخالق العظيم ، وإذا رأت إنعامه وإحسانه أحبته وأحبت التقرب  
إليه ، فإذا عرف الإنسان ذلك جاء التكليف بالأوامر ، لأنه ما من ملك إلا وله أوامر  
في ملكه ، يأمر بكذا ، وينهى عن كذا ، لتستقيم حياة الناس على منهج واحد : ﴿ وَأَنَّ  
هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ  
بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٥٣] .

والله هو الملك الحق ، ونزل الكتاب بالحق ، وأرسل رسله بالحق ، وجميع أقداره  
حق ، وجميع أوامره حق ، فله الحمد على ربوبيته وإلهيته : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ  
أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نَوْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الْحَقُّ ،  
وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ  
حَقٌّ » متفق عليه<sup>(١)</sup> .

هو جل جلاله الملك الحق ، وكل ما سوى الله من المعبودات فهو باطل ؛ لأنه  
مخلوق مفعول ليس بيده شيء ، وما عبد من دون الله من الملائكة أو الرسل أو  
الأشياء أو غيرها فعبادته باطلة : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا  
حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] .

فكل مخلوق كان معدوماً فأوجده الله ﷻ ، فكيف يعبد من دون خالقه ، وهذه  
المعبودات من دون الله لم تخلق شيئاً حتى تعبد ، وليس لها تشريع ولا منهج يُتبع :  
﴿ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٩١] .

فهو جل جلاله هو الحق الذي أرسل رسله بالحق ، وأنزل كتبه بالحق ، وحكم هذا  
الكون بالحق ، وخلق هذا الكون بالحق جل جلاله .

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ٧٤٤٢ ، واللفظ له ، ومسلم برقم: ٧٦٩ .

هو جل جلاله الرب الحق الذي تفرد بالبقاء والملك الدائم ، هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، هو الذي أحيا الأموات ، هو الذي أوجد المعدومات ، هو الملك الحق جل جلاله : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُؤْفِكُونَ ﴾ [غافر: ٦٢] .

هو الحق الجامع للخير والمحامد كلها ، الذي له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، هو الملك الحق وكل ما سواه من معبود فهو باطل ، وليس الحق إلا من الحق ، لأن الحق هو العلي الأعلى ، والمخلوق الأدنى عنه لا بد أن يأخذ من الحق الأعلى جل جلاله ، لا يأخذ من مثله ، ولا مما هو دونه ، لأن من دونه من عالم الجماد والنبات والحيوان هذه المخلوقات خلقها الله ، لتخدم هذا الإنسان ، فكيف ينحدر هو ، ويعبد خادمه الذي يخدمه ، ويترك عبادة الحق الذي خلقه : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [٦٤] وَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِحَبْطَنَ عَمَلِكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦] .

فعبادة الحق سبحانه هي العدل ، وعبادة ما سواه ظلم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [١٩٤] أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥] .

لكن هذا الإنسان أمره الحق ﷻ أن يعبد الخالق الرازق ، الملك الحق ، ويتصل بالملك الحق ، الذي علمه الحق ، ووعدته الحق بأحسن الثواب : ﴿ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢] .

أما هذه المخلوقات فهي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرراً ، ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٣] .

جميع المخلوقات خاضعة لربها الحق من ثلاثة أوجه :  
جميع المخلوقات كانت معدومة فأوجدها الله ، ولما أوجدها الله ﷻ فهو مالکها ،

وكلها لا تنفع ولا تضر إلا بأذن الله : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

لا أحد يملك شيئاً مع الله ﷻ ، هو المالك وحده لكل شيء ، القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء لأنه هو الرب الحق ، هو الملك الحق ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فالله وحده هو الحق الذي يستحق العبادة والطاعة ، هو الحق الحي الذي له الأسماء الحسنى ، وله الصفات العلى ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فأنا عاقل أخذ نظام الحياة ، ومنهج الحياة ، وطريقة الحياة ، من العلي الأعلى ، لا من مخلوق دوني من صنم أو حجر ، فاعبده وانزل إليه أسفل ! إذا كان الذي في الأعلى ينزل إلى الذي في الأسفل كان الجميع في المنحدر ، في الحفر .

ولا أخذ نظام حياتي من مخلوق مثلي مساو لي من البشر ، لا أخذ نظام الحياة من مخلوق مثلي ، المريض يذهب إلى الطبيب ، والفقير يذهب إلى الغني ، والمملوك يذهب إلى الملك ، وهكذا الإنسان لا يأخذ من فقير ، لا يذهب إلى فقير ، فالفقير ليس عنده شيء ، والغريق لا ينقذ الغريق ، فأنا أذهب إلى الملك الحق الذي بيده كل شيء : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [٥٠] وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

أخذ نظام حياتي ممن خلقني ، واتصل بالملك الحق العلي الأعلى ، إذا اتصلت بالأعلى كنت عالياً ، إذا اتصلت بالكبير كنت كبيراً ، إذا اتصلت بالمؤمن كنت آمناً ،

وإذا اتصلت بالعزیز كنت عزیزاً ، وهكذا من كان في معية القوي فهو قوي ، ومن كان في معية العزیز فهو عزیز ، فنتصل بمن له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی والأفعال الكبرى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

واتصالنا به من فضله ، أولاً بالإيمان الذي نتصل به بربنا ، ثم بالعمل الصالح .

• والعمل الصالح الذي يتقرب به العبد إلى الله ﷻ بأربعة أنواع :

الأول: من هذه الأعمال الصالحة، ومن العبادات المشروعة ما هو مطلق الزمان والمكان : كالأدعية والأذكار وقراءة القرآن وغير ذلك من أعمال البر .

الثاني: ما يتحكم فيه الزمان ، دون المكان : كالصلوات الخمس لها زمان معين ، لكن نصلبها في أي مكان ، وصوم رمضان له زمان في السنة شهراً ، نصومه في أي مكان .

الثالث: ما يتحكم فيه المكان ، دون الزمان كالعمرة : العمرة مشروعة في كل وقت، ومشروع تكرارها في كل وقت، لكن في مكان خاص هو المسجد الحرام .

الرابع: ما يتحكم فيه الزمان والمكان : كالحج ، الحج له أشهر معلومة هي ثلاثة أشهر وهي : شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وله مكان خاص ، الكعبة ، والصفاء والمروة ، ومنى ، وعرفات ، والمزدلفة .

ومن شرع الله ﷻ واجبات وسنن، وفرائض ونوافل ، فالمتقي هو : من يفعل الأوامر ويجتنب النواهي ، لكن المحسن أعلى منه ، لأنه يحسن عبادته ، ويستكثر منها : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل/١٢٨] .

فالمحسن هو من أحسن عمله ، وجاء بزيادة الطاعات من جنس ما فرضه الله ﷻ فالمحسن يأتي بطاعات شرعها الله زيادة على ما فرض الله ، ابتغاء مرضاة الله .

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل/١٢٨] .

فعلوا الأوامر واجتنبوا النواهي ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل/١٢٨] .

أتبعوا الفرائض بالنوافل .

قال ﷺ : « مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ » أخرجه البخاري (١) .

الله ﷻ شرع لعباده ما يقربهم إليه ، وما يجعل حياتهم في أعلى أنواع الحياة الموجودة ؛ أعلى من حياة الجماد ، وأعلى من حياة النبات ، وأعلى من حياة الحيوان ؛ لأن الله ﷻ يريد أن يتشبه من في الأرض بمن في السماء الملائكة الذين مزاجهم سمعنا وأطعنا : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء/ ٢٠] .

ومزاج المؤمنين بالله سمعنا وأطعنا : ﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

إنا لله وإن إليه راجعون ، الحياة قوس ، والموت قوس ، وما بينهما هو حياتك أيها الإنسان ، وحياتك في هذه الدنيا مقيدة بأمر الله ﷻ ، لا يعلم الإنسان متى يولد ، ولا متى يموت ؟ لكن الله ﷻ أعطانا هذه الحياة التي بين الولادة والموت ، الله ﷻ منه المبدأ ، وإليه المنتهى ، وما بينهما الآن بيدي ، الله جعلني مختاراً أن أؤمن أو أكفر ، أو أطيع أو أعصي ، فإذا أردت أن أطيع فأطيع الملك الحق ، الذي أنزل الكتاب بالحق ، وأمر بالحق ، أعبد الذي خلقني ورزقني ، وهو الذي يضع نظام حياتي : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

ولا سعادة للإنسان في هذه الحياة أبداً إلا من باب واحد وهو باب الإيمان والتقوى ، فمن دخل جنة المعرفة في الدنيا أدخله الله جنة الآخرة في الآخرة ، ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تفانا في طاعته ، ومن عرف أوامر الله ، دون أن يعرف الله ، تفنن في التفلُّت من أوامره .

فألذ شيء في هذه الحياة هو لذة القلوب بمعرفة فاطرها الملك الحق ، ربها الذي خلقها ، ألذ شيء ليس الطعام والشراب ، الإنسان يجد فيه لذة لكنها لذة

(١) أخرجه البخاري برقم: ٦٥٠٢ .

حيوانية منقطعة، لكن اللذة الروحية هي معرفة الرب، والأنس به، والسكون إليه : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا يَذَّكَّرَ إِلَيْهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ . [الرعد: ٢٨-٢٩] .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق السماوات والأرض بالحق ، وأنزل دينه بالحق ، ويعيد الناس يوم القيامة لحسابهم بالحق : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ وَإِن تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾ (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٨) . [طه: ٥-٨] .

هذا هو الملك الحق الذي يستحق أن يُعبد وأن يكبر ، وأن يحمد : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧) وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٨) . [النحل: ١٧-١٨] .

هذا هو الملك الحق الذي يجب علي أن أعبد وأن أتصل به لأنني بحاجة إليه ، كنت ميتاً فأحياني الله ﷻ ، كنت ضالاً فهداني الله ﷻ ، كنت جائعاً فأطعمني الله ﷻ ، وهو الذي استضافني في بطن الأم ، ويستضيفني في بطن الدنيا ، ويستضيفني في القبر ، ويستضيفني يوم القيامة في دار الكرامة إن كنت مؤمناً ، ويحبسني في دار الهوان إن كنت كافراً : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدُ بَنَفَرًا مُّكْفَرًا﴾ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (١٦) . [الروم: ١٢-١٦] .

• والحكمة من وجود الإنسان في بطن الأم أمران :

تكميل الأعضاء الداخلية.. وتكميل الأعضاء الخارجية .

كمال خلق الإنسان ظاهراً وباطناً : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦) . [آل عمران: ٦] .

• والإنسان له ظاهر وباطن :

الباطن فيه المعدة والقلب والرئتان والكلى وغير ذلك من الأشياء الباطنة .

والخارج فيه اليدان والرجلان والوجه والعينان وغير ذلك من الأشياء الظاهرة .  
فإذا كمل خلقه ظاهراً وباطناً، أخرجه الله ﷻ من بطن أمه، إلى بطن الدنيا .

### • والمطلوب منه في بطن الدنيا أمران:

تكميل الإيمان.. وتكميل الأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة .

مطلوب في الدنيا لا تكميل الأموال ، ولا تكميل البيوت ، ولا تكميل الشهوات ،  
لأن كمال هذه في الآخرة حيث الخلود الأبدي ، والنعيم الأبدي ، أما في الدنيا  
فالمطلوب شيان فهما سعادة العبد في الدنيا والآخرة :

الأول : تكميل الإيمان : أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر  
خيره وشره ، أعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأعرف الملائكة الذين يدبرون  
هذا الكون وأحبهم ، لأنهم يستغفروا للذين آمنوا ، وينفذون أوامر الله ، ولا يعصون  
الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون .

وأعرف الرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا  
نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١] .

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم/ ٥٤] .

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم/ ٥١] .

أتعرّف على حياة الأنبياء، لأقتدي بهم في إيمانهم ، وفي توحيدهم ، وفي أقوالهم ،  
وأعمالهم ، وأخلاقهم ، لا أجتهد لأعرف حياة الملوك والرؤساء حتى لا أتعلق  
بالجاه والمناصب ، ولا أجتهد لأعرف حياة الأغنياء، حتى لا أتعلق بالأموال  
والشهوات ، بل أجتهد لمعرفة حياة الأنبياء لأقتدي بهم في إيمانهم وتقواهم  
وأخلاقهم ، ودعوتهم : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ  
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وقال الحق عن رسله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتُهُمْ أُقْتَدَ . قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ  
عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

والله ﷻ أرسل الأنبياء بثلاثة أشياء ، وأنا لابد أن تكون حياتي مطابقة لحياتهم :

الأول : تعريف الناس بالآله الحق ، تعريف الناس بالرب ، تعريفهم بالله وأسمائه

وصفاته وأفعاله، وخزائنه ووعده ووعيده ، ولا بد أن أعرف انا من هو الله، ولا بد أن أعرف بذلك غيري: ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال عز وجل: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

والثاني : تعريف الناس بالطريق الموصل إلى الخالق العظيم جل جلاله ، الطريق الذي يصلني بربي الحق ، حتى إذا مرضت دعوته فشفاني ، وإذا افتقرت سألته فأعزاني ، وإذا خفت سألته فأمني ، وإذا ضعفت سألته فقواني ، لأنه هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، وعنده خزائن القوة ، وقوته ذاتية لا تنقص أبداً ، أعطى القوة للسموات والأرض ، وللشمس والقمر ، وللجبال وللرياح ، وللنار وللبحار ، هو القوي الذي أعطى القوة لكل قوي ، وعنده خزائن القوة ، فأنا اتصل به ، لأعرف الطريق الموصل إليه ، حتى أكون في الدنيا عبداً للملك الحق ، ويوم القيامة انتقل من الحياة التي فيها العبادة والعمل ، إلى الحياة الملكية حياة التمتع بالنعيم المقيم : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

ويقال لأهل الجنة: «يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً» أخرجه مسلم (١) .

فيوم القيامة إن عشت عبداً في الدنيا ، عشت يوم القيامة ملكاً صغيراً عند الملك الكبير جل جلاله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/٥٤-٥٥] .

لا بد أن أكون ملكاً في الدنيا، أملك شهواتي، حتى أوجهها إلى طاعة الله ، أملك

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٨٣٧.

شهواتي حتى لا تجترئ على محارم الله ، أملك وقتي حتى أصرفه وأملؤه بطاعة الله  
 ﷻ ، أجعل حياتي كلها مصبوغة بصبغة الأنبياء والرسل ، وأوقاتي كلها معمورة  
 بعبادة الله .

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾  
 ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا  
 أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣] .

فهذا الطريق الموصل إلى الله، هو الدين الحق الذي بينته الرسل لأممهم .  
 ومجموع الدين في خمسة أمور :

إيمانيات .. عبادات .. معاملات .. معاشرات .. أخلاق .

والله أكمل لنا الدين تشريفاً : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ  
 لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ﴿٣﴾ [المائدة/ ٣] .

وبقي علينا إكمال الدين في حياتنا علماً وعملاً وأخلاقاً : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 ارْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾  
 [الحج: ٧٧] .

الدين هو النعمة الكبرى ، أما الطعام والشراب فهذه نعمة كما قال الحق عن الكفار :  
 ﴿ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴾ ﴿٢٧﴾ [الدخان: ٢٧] .

لكن الدين نعمة عظيمة من المنعم ، فأنا في الدنيا أعيش مع الملك الحق، ومع  
 نعمه ، والله يريدني أن أنتقل من النعمة إلى المنعم بالدين فأعبده وحده ، والكافر  
 يبقى مع النعمة ولا يعرف المنعم ، وإن كان الكافر جسمه وجوارحه وأعضائه كلها  
 عابدة لله ، مسبحة بحمده ، شاهدة بوحدانيته ، لكن بالاختيار الذي أعطاه الله لهذا  
 الإنسان ، وبالإرادة التي منحها الله إياها يصرّف هذا البدن إما في طاعة الله وإما في  
 معصية الله ، لكن الجوارح خلقها الله مؤمنة وطائعة ، وكل الجوارح على الفطرة ،  
 فالجوارح تطيع القلب ، إن كان مؤمناً إن أمرها بطاعة الله أطاعته وحمدته وشهدت له  
 يوم القيامة ، وإن أمرها بمعصية أطاعته ولعنته وشهدت عليه ، لأنها استعملت في  
 غير ما خلقت له : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ

يُؤْفِكُمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ [النور: ٢٤-٢٥] .

والثالث : تعريف الناس بما لهم بعد القدوم على الله يوم القيامة .

فمن آمن وعمل صالحاً فله الجنة ، ومن كفر وأشرك بالله فله النار : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [محمد: ١٢] .

• وهناك ثلاثة أشياء :

هناك خلق .. وهناك جعل .. وهناك ملك .

الأول: الخلق : وهو الإيجاد بعد عدم ، والله ﷻ هو خالق كل شيء ، هو الملك الحق الذي خلق كل شيء بالحق ، وأمر باستعمال هذا الشيء بالحق .

الثاني: الجعل : وهو استعمال الشيء فيما خلق له ، الله خلق الشمس والقمر ، وجعل الشمس ضياءً ، والقمر نوراً ، وجعل الشمس سراجاً ، وخلق الأرض وجعلها محلاً للإنجاب ، الأنثى من الحيوان تنجب الذكور والإناث ، وكذا الأرض أم كبيرة أم عظيمة تنجب مواليد من أنواع النباتات من الزهور والثمار والحبوب ، فهي أم في بطنها مخلوقات كثيرة ، ينزل عليها المطر فتنبت من كل زوج بهيج في كل زمان ومكان : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج/ ٥] .

فآية إنزال الماء على الأرض تدل على خمسة أمور ، أن الله هو الحق ، وعلى قدرته على البعث بعد الموت : ﴿ ذَلِكَ يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٦] وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج/ ٦-٧] .

فكما ينزل المطر على الأرض فتنبت من كل زوج بهيج ، فكذلك الملك الحق أنزل الدين الحق على القلوب فأنبت الأقوال الحسنة ، والأخلاق العالية ، والأعمال الصالحة ، أنبت المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصابرين والصابرات ، والصادقين والصادقات .

أنبت : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾

وَنَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [التوبة: ١١٢] .

فلأرض قابلة للإنبات ، كذلك البشرية هم مفطورون على التوحيد ، لكن لا بد من سعى هذه الفطرة ؛ لأن الشياطين جاءت إلى بني آدم فصرفتهم عن دينهم .  
فالهداية بيد الهادي وحده لا شريك له .

ونحن نسأل الهداية من الهادي، في كل يوم أكثر من أربعين مرة في صلاة الفريضة والنافلة : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾﴾ [الفاتحة/ ٦] .

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٧] .

النموذج الذي يحبه الله ، ويريده الله من عباده : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٧] .  
الذين عرفوا الحق ، وتركوه ، واستكبروا عليه : ﴿وَالضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٧] .  
الذي ضلوا عن معرفة الحق، فقالوا إن الله ثالث ثلاثة، وقالوا أن الله هو المسيح بن مريم .

الثالث: المَلِكُ ، فكل ما خلقه الله وجعله في الدنيا والآخرة ملك لله وحده ، يتصرف فيه الحق كما يشاء : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠] .

فمن تمام عبوديتك للملك أن تطيعه ولا تعصيه في ملكه : ﴿ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .  
فنحمد الله ﷻ أن أجلسنا في هذه الموائد التي نسمع فيها عن ربنا ﷻ ، وعن دينه ، وعن أوامره وعن وعده ووعيده فيقوى إيماننا ، وتحسن عبادتنا ، ليس المقصود الناس ، ولكن المقصود أنا ، كيف يأتي الإيمان في قلبي ، فإذا جاء هذا الإيمان في القلب أمر الجوارح بالطاعة ، فأصبح الإنسان صالحًا مُصلِحًا ، كما كان غيره من الكفار فاسدًا مُفسدًا : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

• لا بد للنجاة من العذاب من أربعة أمور :

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣] .

فالمخلوق هو الله الذي خلق كل شيء ، وهو الذي جعل كل شيء ، وهو الملك المالك لكل شيء ، مالك الإنسان ، ومالك أعضائه ، خلقها لعبادته ، فهذا الإنسان خلق لمقصد عظيم ، والذي حدد مقصده هو الله ، والذي يعطي الوقت هو الله ﷻ ، والذي يعطي القدرة الله ﷻ ، فكل شيء بأمر الله ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [ الأنعام: ١٠٢ ] .

وكل حدث لا بد له من مكان ومن زمان ، ومن عاملٍ فيه هذا الحدث ، ولا بد له من قدرة تظهر الحدث من صلاة أو غيرها ، ولا بد له من سبب باعث ، أنا اعبد الله ، لأنه الذي يستحق العبادة وحده ، وطمعاً في ثوابه ، وخوفاً من عقابه ، وأعبده لأنه الملك الحق الذي أمرني ، وأنا من مماليكه ، لا بد أن أطيعه ، فأنا اتصل بالملك الحق ، لأنه هو الذي خلق هذا الكون وهو مالكه ، له ملك السماوات والأرض ، وله ملك الدنيا والآخرة ، لكن الله ﷻ جعلني مختاراً بين الخلق حتى أتى إليه بالمحبة لا بالإجبار والقهر : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿ ٢٨ ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢٩ ﴾ [ التكويد: ٢٧-٢٩ ] .

#### • والإنسان يعيش بين قهرين :

قهر في إيجاده : لا يعلم متى يوجد .

وقهر في موته : لا يدري متى يموت .

لكنه يختار بين هذين القهرين ، أن يضع بين القوسين ما وضعه الأنبياء والرسل ، الذين جاءوا بثلاثة أمور :

الأول : تعريف الناس بربهم الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .

الثاني : تعريفهم بالطريق الموصل إليه وهو الدين

الثالث : تعريفهم بما لهم بعد القدوم عليه ، من الثواب لمن أطاعه ، ومن العقاب لمن عصاه ، ولذلك يكثر في القرآن ذكر الله ، وذكر أسمائه وصفاته وأفعاله ، وذكر دينه ، وذكر وعده ووعيده ، بوصف الجنة ، ووصف النار ، لأن النفوس تختلف في التأثر والتأثير ، وقوة الباعث ، فمن الناس من تحركه لعبادة الله الأمور العقلية : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ٨٥ ﴾ قُلْ

مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوَتُ  
 ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
 ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴿المؤمنون: ٨٤-٨٩﴾ .

ومن الناس من تحركه معرفة الله ، إلى عبادة الله، يحب أن يعرف المعبود قبل أن  
 يعبده، فإذا عرفه وحده وعبده بالحب والتعظيم والذل له : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا  
 هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ  
 الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا  
 يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴿الحشر: ٢٢-٢٤﴾ .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ  
 تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٣٦﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

والكافر يفتخر بملكه وأمواله ، وعبد الله يفتخر بسيدته ومالكة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ  
 حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا  
 أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ  
 الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة/ ٢٥٨] .

ومن الناس من تحركه لعبادة الله محبة الشهوات التي وعد الله بها المؤمنين في الجنة :  
 ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا  
 رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا  
 أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ [البقرة: ٢٥] .

ومن الناس من يحركه للعبادة الخوف من الله ، والخوف من النار : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ  
 كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ﴿٥٦﴾ [النساء: ٥٦] .

ومن الناس من تحركه لعبادة الحق سبحانه إدامة النظر والتفكر في عظمة الخالق  
 والمخلوقات ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ  
 لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾

[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

ومن الناس من تحركه لعبادة الله معرفة عظمة كلامه ، وحسن أحكامه : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشَعِرٌ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۗ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فََمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

ومن اجتمعت له هذه المعارف فقد عرف الله حقاً ، وعبد الحق سبحانه بكمال الحب والتعظيم والذل له .

فالعبد يفتخر بسيدته ، والله سيدنا ومولانا جل جلاله ، هو الذي تولانا خلقاً ، وإيجاداً ، وقوتاً ، وهداية ، فلا بد أن نتولاه بالتوحيد ، والإيمان ، والطاعة ، والتسليم لأمره : ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

هو الحق الذي ينصرنا ، إذا نصرنا دينه : ﴿وَلْيَنْصُرِكَ اللَّهُ مِنْ يُنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

وبهذا الكمال بإتباع الدين الحق ، وطاعة الرسل ، والإيمان بالكتب ، والعمل بما فيها من أحكام ؛ تصفو الحياة ، وصفاء الحياة بأن نعبد إلهاً واحداً ، ونستقبل بيتاً واحداً ، ونعمل بكتاب واحد ، ونطيع رسولاً واحداً ؛ حتى تستقيم حياتنا على الحق الذي يريده الله ﷻ : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [الصف: ٩].

فلا بد من الجهد حتى تتزين الحياة بالدين الحق ، وعبادة الحق سبحانه ، ويكون المسلم بظهور آثار هذا الدين الحق على بدنه ، وعلى قلبه ، أجمل من الأزهار والثمار على الأشجار : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۗ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٨].

لهذا لا بد من الجهد المستمر على النفس ، وعلى الغير، لتتحقق لنا ستة أمور ، السعادة في الدنيا ، ورضوان الرب ، ورؤيته في الآخرة والقرب منه ، ودخول الجنة ،

والخلود فيها .

إذا أرضيناه بالإيمان به ، وعبادته ، فنحن الذين نستفيد من ذلك : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦] .

فإذا أطعناه ، وعبدناه ، عشنا في الدنيا مع النعمة ، واستعنا بالنعمة على عبادة من أنعم علينا بكل نعمه : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧٢] .

وفي الآخرة تعيش مع المنعم ، فإذا عشت في الدنيا مع النعمة ، وعبدت المنعم ، عشت يوم القيامة مع النعمة ورأيت المنعم : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣] .

ومن أرضى الله في الدنيا بعبادته أرضاه يوم القيامة ورضي عنه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .

الرضوان هو نعيم القلب ، وجنات تجري من تحتها الأنهار، لنعيم الجسد ، من أكل ، وشرب ، ونكاح ، ولباس ، وسكن ، هذا نعيم الجسد ، لكن لذة الروح أكبر : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .

فإذا رضي الحق عني ؛ أعطاني ما يُرضيني ، متى ؟ إذا أرضيته ، كيف أرضيه ؟ ترضيه إذا أطعته ، ولا بد لحصول هذا من الجهد الكبير على النفس ، وعلى الغير ، ولا بد أن يكون الفكر عالمياً واسعاً ، حتى كما انتشر نور الشمس في العالم ، ينتشر الحق الذي أنزله الحق بين البشر الذين هم مخاطبون بهذا الدين ، وهم الإنس والجن : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِءِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

هذا الدين حق ، ولا بد أن يصل الحق إلى قلوب الناس ؛ حتى يعملوا بالحق ، ويسعدوا في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [نحس: ٣٠] .

أولياؤكم في الحَيوةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما

تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

أجتهد على تجميل الحياة بالدين الحق ، فكما جمل الله الكون بالسماء والنجوم ، والجبال ، والبحار ، والأنهار ، والأزهار ، والثمار وغيرها ، أنا أجمل حياتي ، وحياة البشرية ، بالدين الحق الذي كله جمال ومحاسن .  
ويتحقق ذلك بإكمال أربعة أمور :

الأمر الأول : أن تكون حياتي مطابقة لحياة النبي ﷺ في خمسة أمور ، في توحيدهِ وإيمانه ، وفي بيته وفكره ، وفي أقواله الحسنة ، وفي أعماله الصالحة وأخلاقه الكريمة : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

الأمر الثاني : أن يكون بيتي كبيت النبي ﷺ ، بيوت الأنبياء ، بيوت الصحابة ، معمورة بالإيمان ، والأعمال ، كل يوم يزيد إيمانهم ، وتزيد أعمالهم ، وتزيد أخلاقهم ، ويزيد تقربهم إلى الله ، وبيوتهم وحياتهم قليلة الأموال والأشياء .  
فإذا تُركت الدعوة ؛ انقلب الفكر ، وتغير العمل والجهد إلى الاهتمام بالأموال والأشياء ، فخلت البيوت من الإيمان ، والأعمال الصالحة .

والجهد الثالث : أن أجتهد حتى يكون مسجدي كمسجد النبي ﷺ الذي كان معموراً بالأعمال ، هو جامعة ، يُستقبل فيه الوفود ، وتُقام فيه الصلوات ، ويُكرم فيه الضيوف ، ويُسمع فيه أحوال الأمة ، مثلاً من سيذهب إلى الدعوة إلى الله ، ومن سيذهب للجهاد في سبيل الله ، وتُسمع فيه أحوال المهتدين ، وأخبار الدعوة إلى الله .

• والبيوت العظيمة التي يعبد فيها الله ﷻ ثلاثة :

الأول : البيت الذي جعله الله ﷻ موضعاً للعبادة لأهل الأرض وهو الكعبة .

والبيت الثاني : هو البيت المعمور الذي فوق السماء السابعة ، ويطوف به الملائكة كل يوم ، يطوف فيه سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون إليه ، لكثرة الملائكة في السماء .

والبيت الثالث : هو العرش الذي يطوف به حملة العرش ، ومن حوله .

فهذه متعبدات الخلق في السماء والأرض : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾

وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ [الزخرف: ٨٤].

فإنه الملك الحق يريد أن يجمع عباده على الحق ، ويتوجهوا إلى ذلك المكان الخاص ، فعند الصلاة تتوجه أجسادهم إلى القبلة ، وقلوبهم متوجهة إلى الله ؛ لأنهم يعبدون رب هذا البيت، لا البيت : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ٣-٤].

فبيت الله في مكة، الله ﷻ هو الذي اختاره ، ومساجدنا بيوت الله باختيار عباد الله ، متوجهة إلى بيت الله في مكة : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ﴿١٤٤﴾ [البقرة: ١٤٤].

المسجد الكبير في الأرض كلها هي الأرض كما قال النبي ﷺ : « وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا » متفق عليه (١) .  
وكما قال النبي ﷺ : « فَأَيْنَمَا أَدْرَكْتُمْ الصَّلَاةَ فَصَلُّوا » متفق عليه (٢) .

فالمسلمون ليسوا كاليهود والنصارى لهم مكان خاص بالعبادة ، بينما نحن جعلت لنا الأرض كلها مسجدا نصلي فيه ، وطهوراً نتيمم بترابها عند فقد الماء .  
هذا المسجد العام ، فإنه يريد أن تكون كل الأرض كلها مسجداً ، والكعبة بيت الله باختيار الله وضعه للناس سواءً ، هو قبلة جميع الأنبياء ، وجميع أنواع القبلة التي وضعت من استقبال المشرق ، وبيت المقدس ؛ كل هذه مرجعها إلى هذا البيت الذي وضع للناس ؛ يستقبلونه ، ويتوجهون إليه في عباداتهم .

ومساجدنا بيوت لله ، لكن باختيار خلق الله ، الله ﷻ عين هذا البيت باختياره هو ، واختار للكعبة ذلك المكان ، ومن علينا بأن جعلنا كما بنى بيوتنا بنى بيوتاً لله ؛ لأن في البيوت غذاء الأجساد بالطعام والشراب ، وفي المساجد غذاء القلوب بالعلم والإيمان والتقوى والعبادة .

فالمسجد بيت الله باختيار خلق الله ، والكعبة بيت الله باختيار الله ، وجميع المساجد

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ٣٣٥، واللفظ له، ومسلم برقم: ٥٢١ .

(٢) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ٣٣٥، واللفظ له، ومسلم برقم: ٥٢١ .

في العالم تتوجه إلى بيت الملك الحق جل جلاله ، وجميع من فيها يتوجهون فيها إلى القبلة التي هي الكعبة التي وضعها الله ﷻ قبلة لنا نتوجه إليها بأبداننا ، ونتوجه إلى الله بقلوبنا : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

والله ﷻ هو الحق يريد أن يشيع الحق في الكون كله ؛ حتى يكون الكون كله المسير والمخير كله ساجد وعابد لربه ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج/ ١٨] .  
والجهد الرابع : أن تكون مدينتي كمدينة النبي ﷺ ، وأهلها كأصحاب النبي ﷺ عبادةً ، ودعوةً ، وإحساناً إلى الناس .

هو سبحانه الحق الذي لا شك فيه ولا ريب . هو الحق في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، هو الحق الذي جاء بالحق ، وحكم بالحق ، ونصر الحق ، وأهل الحق ، لا إله غيره ، ولا رب سواه جل جلاله .

هو جل جلاله الملك الحق المبين الذي له الخلق والأمر ، والذي له ملك السماوات والأرض : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢] .  
فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأتى تصرفوت ﴿ ﴾ [يونس: ٣٢] .  
حقائق لا يستطيع أحد أن ينكرها ، الله خلق الأرزاق ، والمرزوقين ، سواء كان رزقاً مادياً ، أو رزقاً معنوياً بالهداية ، والعلم ، وغير ذلك .

الله خلق الإنسان وجعل فيه السمع والبصر والعقل ؛ ليتجاوز المخلوق إلى الخالق ، ويتجاوز الصور إلى المصور ، ويتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، ويتجاوز الأحوال والأشياء إلى الإيمان والأعمال الصالحة ، ويتجاوز السنة الربانية إلى القدرة الإلهية .  
فسبحان من يدبر الأمر في العالم العلوي والعلم السفلي : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثَا

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾  
[الأعراف: ٥٤].

من يدبر أمر الكلام في فمي ، أمر السمع في أذني ، أمر الرؤية في بصري ، أمر العقل في رأسي ، أمر الحركة في بدني ، أمر الرياح ، أمر الأمطار ، أمر الليل ، أمر النهار ، أمر النباتات ، أمر الحيوانات ؟ .

من يدبر أمر السموات والأرض ؟ من يدبر أمر الدنيا والآخرة ؟ : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾  
[المؤمنون: ٨٦-٨٧].

ما دام أقررتم أن الله ﷻ هو الذي يرزقكم من السماء والأرض ، وهو الذي يملك السمع والأبصار ، والذي يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، والذي يدبر الأمر ؛ إذا آمنت به رباً يفعل هذه الأمور ، لماذا لا تعبدوه إلهاً وتحبوه وتشكروه ! ، لأنه هو الذي خلقكم ، كما أطعموه في ربوبيته ، وأقررتم بربوبيته ، أفلا تتقون هذا الرب العظيم ! أفلا يستحق أن يعبد ويحمد ويكبر : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل/١٧].

هذا هو الذي يستحق العبادة ، الملك الحق الذي خلق كل شيء ، وقدر كل شيء . فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

لماذا تتعلقون بالمخلوق من دون الخالق ، وتعمرون الدنيا وتنسون الآخرة : ﴿ بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القيامة/٢٠-٢١].

بسبب عدم المذكر حصلت الغفلة ، وإذا وجد المذكر زالت الغفلة ، وإذا زالت الغفلة رأى الإنسان الحق حقاً واتبعه ، ورأى الباطل باطلاً واجتنبه : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨].

والذين فسقوا خرجوا عن طاعة الله ؛ هذا النوع تحقق عليه كلمة الملك الحق جل جلاله لماذا ؟ لأنه فسق : ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ۗ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۗ فَأَنَّى

تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ [يونس: ٣٢-٣٣].

أنهم لا يؤمنون ؛ لأن الذي زاغ يُزيغ الله قلبه ، والذي يعرض عن الله يعرض عنه ، والذي ينسى الله ﷻ ينساه ، لكن من أقبل على الله هداه ، من جاء إليه تاب عليه ، قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>. فالذي يقبل على الله ، الله يهديه : ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى/ ١٣].

فإنسان إذا رجع إلى ربه، دله على الطريق الصحيح ، كما إذا كنت ضالاً في الطريق ، ووجدت إنساناً أمامي ، فسألته عن الطريق فقال : الطريق من هنا فإذا شكرته ودعوت له فرح، وقال سأركب معك ؛ حتى أدلك على الطريق السليم ، لأن أمامك حفر قد تقع فيها .

كذلك الله ﷻ والله المثل الأعلى ، من أقبل عليه هداه ، وبين له الحق ، وأعانه عليه ، وحببه له ، وأسعده في الدنيا والآخرة ، وأعطاه الأمن والهداية في الدنيا ، وجعله يوم القيامة جليسه : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فالذي يستحق العبادة وحده، هو الذي له الخلق والأمر والملك كله : ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وشركاؤكم الذين تعبدون من دون الله من ملائكة ، أو جن ، أو أموات ، أو أشجار ، أو أحجار ، أو شمس ، أو قمر ، هل منهم من يهدي إلى الحق ؟ ! ، لا، هو يحتاج للهداية من الهادي : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنَّهُ تَوَفُّكُونَ﴾ [يونس: ٣٤].

فالله ﷻ هو الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، هو الهادي الذي يهدي كل مخلوق ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٧٥٣٦، ومسلم برقم: ٢٦٥٧.

هدى النبات ، هذه الحبة، جزء منها ينزل إلى أسفل، ليكون عروفاً ، وجزء منها يصعد إلى أعلى ؛ ليكون أغصاناً، وأوراقاً، وأزهاراً، وثماراً ، وهدى كل مخلوق إلى ما خلقه له ؛ ليؤدي وظيفته ، ويشهد بوحدانية من خلقه : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس: ٣٥].

فضلا عن أن يخلق ويرزق ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل/١٧].

والله هو الحق وحده ، وأرسل رسله بالحق ، وأنزل كتبه بالحق ، فالشركاء كلهم ليس عندهم نظام حياة ، لا أمر ، ولا نهي ، ولا ثواب ولا عقاب ، بل جميع الشركاء من دون الله يأمرون الإنسان بواسطة الشيطان بأن يتفلت على أوامر الله ، ويخالف أوامر الله ، ويعصي رسل الله ، ليس عندهم نظام حياة ، لا عند الشمس ، ولا عند القمر ، ولا عند الأصنام ، ليس عندهم نظام حياة ، افعل كذا ، ولا تفعل كذا . هذه مخلوقات ، خلقها الله لحكمة ؛ لتدل على وحدانيته ، وتشهد بجلاله وجماله وكماله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

فكيف يتخذ الإنسان مخلوقا يعبد من دون الله! ، اعبد الملك الأعلى ، الملك الحق ، واتبع كتابه الحق ، وأطيع رسوله الحق : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس/٣٥].

الأمر أظهر من كل ظاهر ، أظهر من الشمس في ضحاها ، الذي يخلق ويرزق ، ويملك السمع والأبصار ، ويدبر الأمر ، ويحيي ويميت ، هو الحق الذي تجب عبادته ، الحق الذي أنزل الكتاب بالحق ، وأنزل كتابه بالأوامر الشرعية ، وأمرنا بكل خير ، ونهانا عن كل شر ، ووعدنا الوعد الحق ، الجنة لمن أطاعه ، والنار لمن عصاه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ وَكَيْلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ  
الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

هذا هو الإله العظيم ، وهو الملك الحق ، الذي له ملك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات والأرض ، وله غيب السماوات والأرض ، وله الخلق والأمر ، له الخلق إيجاداً ، وله الأمر تدبيراً ، الأمر الكوني على جميع المخلوقات ، والأمر الشرعي على الجن والإنس : ﴿ ذَلِكِ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢] .

هذا الإله الحق له أوامر ، كما آمنت به ربا خالقاً رازقاً ؛ لا بد أن أوّمن به إلهاً واحداً ، فأحبه ، وأطيع أمره ، وأعبده بما جاء به رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦] .

والله ﷻ لا يضل قوماً بعد إذ هداهم ، حتى يبين لهم هذا الدين الحق : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٥] .

الله ﷻ أقام الحجة بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وأعطانا السمع ، والبصر ، والعقل ؛ أدوات للتعرف على الحق ، والدين الحق : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف/ ٢٩] .

فلا إله إلا الله هذا الحق ما أوضحه وأبينه : ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنَّ تَضَرُّفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢] .

أن أعمل بالدين لنفسي عبادة قاصرة ، وأن أنشر الدين عبادة أعظم منها ، أن أخذ من الدين ؛ أستفيد أنا ، أن أعطي للدين ؛ الدين يكبر ، ويتسع ، وكل ما جاء بسببي ، ودخل في الدين ، فهو في صحيفتي ، فالدين شيء ، وتوسيع الدين شيء آخر ، الدين هو الحق الذي أتبعه أنا ، وأستقيم عليه كما أمرني ربي ، وتوسيع الدين عبادة أكبر نفعاً وثواباً ، فكما ملأ الله الكون بنعمه ، أنا لا بد أن أملاه بحمده ، وأنشر الحق الذي جاء به رسوله ﷺ ، حتى تسمع الأذان الحق ، وتعبد الناس الحق ، وتتوجه هذه النفوس

إلى الحق في اليابان ، وفي أمريكا ، وفي العالم كله : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ  
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

فالخلق خلق الله ، يسكنون في أرضه ، ويأكلون من نعمه ، هذا عطاء الربوبية لكل  
الخلق : ﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا  
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا  
يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

لكن عطاء الألوهية ، الله وكلنا به ، الله وكلنا بالدين الحق ، نعمل به ، وندعو إليه  
ونتواصى به ، ونصبر على كل شيء في سبيله ، لأن هذه الأمة الله ﷻ اصطفاها  
واجتباها من بين الأمم ، وكما اجتبى الله الرسل من بين البشر ، اجتبى هذه الأمة من  
بين الأمم ، وتوجهها بأربعة تيجان :

التاج الأول : تاج كنتم خير أمة أخرجت للناس .

والتاج الثاني : تاج هو اجتباكم .

والتاج الثالث : وكذلك جعلناكم أمة وسطاً .

والتاج الرابع : لتكونوا شهداء على الناس .

تشهدون على الناس أنكم بلغتموهم الرسالة ، وأن الأنبياء بلغوا الرسالة ، فهذا الحق  
ثقيل ، يحتاج إلى حمله أن نعيش في الجو الإيماني ، حتى نعلم من نعبده؟ ، وهذه  
العبادة عائد نفعها إلينا ، وإذا كنت أحب لأخي ما أحب لنفسي فلا بد أن أوصل له  
الدين الحق ، واصبر على الأذى في سبيله .

أدعوه أولاً ليدخل كل من كان خارج الدين إلى داخل الدين ، وأعلمه ثانياً أحكام  
الطهارة والصلاة والصيام والأحكام الشرعية حتى يعبد الله بصفة الإحسان بأن تكون  
عبادته سالحة ظاهراً وباطناً ، باطناً بالإخلاص وهو الخشوع والخضوع لله وحده ،  
وظاهراً بأن تكون موافقة لما جاء به النبي ﷺ : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا  
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

فالمطلوب صبغة البشرية بصبغة الله ، فكما وكل الله سبحانه وتعالى السحب بتوزيع  
المياه في العالم ، وكل الشمس بالإنارة في العالم ، وكل الأرض بالإنبات في

العالم ، كذلك وكلنا نحن بنشر الهداية : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

الدين أمران واجب انفرادي ، وواجب اجتماعي ، الواجب الانفرادي : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [البقرة/ ٨٢] .

والواجب الاجتماعي : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر/ ٣] .  
﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

فمن قام بالواجب الانفرادي ، وهو العبادة، وترك الواجب الاجتماعي ، وهو الدعوة ، فسوف يثاب على الواجب الانفرادي ، ويحاسب على ترك الواجب الاجتماعي ؛ لأن الله ﷻ لعن بني إسرائيل بسبب ترك العمل الاجتماعي .

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة/ ٧٨-٧٩] .  
﴿ كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة/ ٧٨-٧٩] .

والواجب علينا أن نأخذ الدين كله ، ونعمل به كله، لننجوا من عذاب الله :  
﴿ أَفْتَوَيْمُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥] .

فالأمر ليس سهلاً أن نجس الماء عن العطشى هذا ظلم ، وأن نجس الطعام عن الجائعين ، هذا ظلم ، وأن نجس الهدى عن الجاهلين الضالين ، هذا أشد ظلماً ، لأن الدين حق لكل إنسان في العالم ، ومن منع غيره حقه فسوف يقتص منه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ [البقرة/ ١٥٩] .  
﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة/ ١٦٠-١٦٠] .

الذين تابوا من بعد ما ظلموا ، وبينوا ما كتموا ، وأصلحوا ما أفسدوا : ﴿ فَأُولَٰئِكَ  
أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة/ ١٦٠] .

لا إله إلا الله ، هذا ترغيب من الله ، حتى نتوب إلى الله من ترك هذا الإثم العظيم ؛ لأن  
الدعوة إلى الله أم الأعمال ، هي الأم التي تنجب الصلاة والصيام ، والزكاة والحج ،  
والأذكار والأدعية ، وإقامة شرع الله ، والجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر ، هي الأم المنبئة لجميع الأعمال ، كالأرض المنبئة للأشجار  
والأزهار والثمار .

فبالدعوة يزيد الدين ، ويدخل الناس في دين الله أفواجا ، وبترك الدعوة ينحسر  
الدين ، ويموت مع صاحبه حتى لا يقال في الأرض الله الله .

حين ذلك تُنْقَضُ الكعبة حجرا حجرا ، ويرفع القرآن من الصدور ، وتستحق الأرض  
اللعنة ، حين لا يُقال في الأرض الله الله ، علينا مسئولية عظيمة ، علينا مسئولية نشر  
الهداية ، ونشر الحق بأمر الحق جل جلاله : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا  
أُمِرْتَ ﴾ [الشورى: ١٥] .

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي تجب طاعته ، لأننا نحن في ملكه ، ونحن  
عبيده ، وكل عضو من أعضائنا مُسخر في طاعته ، يجب أن نوجهه لطاعة الله .

ومن أعظم أنواع الطاعات بعد الإيمان الدعوة إلى الله ، أن نجتهد على من هو خارج  
الدين ، ليدخل في الدين ، وأن نعلم من دخل في الدين ، وأن نُحسن إلى من دخل  
في الدين ، ومن لم يدخل في الدين : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ  
الغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤] .

#### • والإحسان قسمان :

الأول : إحسان واجب بأن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، استحضر  
عظمة الله ورحمته ، هو يراك ويراقبك ، هو الشهيد الرقيب ، السميع البصير ، فتعبد  
الله كأنك تراه رغبة ومحبة ، فإن لم تكن تراه وغفلت عنه ، فإنه يراك في خلوتك  
وجلوتك ، يعلم ظاهره وباطنه ، سرك وجهرك ، فاعبد الله خوفاً منه ، وخشيته له .

الثاني : إحسان مستحب، وهو أن تزيد من الخير والطاعات على ما فرض الله ، من جنس ما فرض الله ، من صلاة وصيام وصدقة وغير ذلك من الأعمال ، تزيد على ما فرض الله ، من جنس ما فرض الله ، ابتغاء وجه الله ، فالتقوى أن تفعل ما أمرت به ، وتجتنب ما نهيت عنه ، لكن الإحسان أن تزيد على هذا ، تتبع الفرائض بالنوافل ، وتتبع الواجبات بالسنن ، فتكون في معية الله مع هؤلاء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل/ ١٢٨] .

ويحبك الله مع من يحب : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦] .

أحسنوا في عبادة الله ، وأحسنوا إلى خلق الله ، هذا هو الدين الحق ، وكل ما سوى الدين الحق باطل : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [آل عمران/ ٨٥] .

وجميع الشخصيات الموجودة في العالم ليست بشيء أمام الرسل .. الرسل هم الذين جاءوا بالحق ، فقدوتنا هم الرسل فقط ، أشهد أن لا إله إلا الله أخلاصاً ، وأشهد أن محمداً رسول الله اتباعاً : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آفَتِدَةٌ ۖ فُلًا لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام/ ٩٠] .

جميع الشخصيات لا اقتدي بها، إنما اقتدي بالصف الأول وهم الأنبياء والرسل ، أعبد الحق ﷻ ، على ما جاء به رسوله ﷺ ، أتبع النبي ﷺ في نيته وفكره وأقواله وأعماله وأخلاقه ، حتى تكون حياتي مطابقة لحياته ﷺ ، هو الذي أجتهد في المدينة على الأمة، حتى صارت مجتمعاً كالجسد الواحد يحبه الله ﷻ ، وتسابقوا إلى هذا الدين ، واجتهدوا في الأعمال الاجتماعية ، والأعمال الانفرادية ، حتى رضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

هذا الفوز العظيم هو أن تنجو من النار ، وتفوز بالجنة، ورضوان الله ﷻ ، بعبادة الحق وحده لا شريك له ، فليس سوى الحق إلا الباطل : ﴿ ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ

وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

[الحج: ٦٢] .

هو سبحانه الملك الحق الذي له ملك السماوات والأرض ، وله ملك الدنيا والآخرة ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي ولا في العالم السفلي ، هو عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، لا تأخذه سنة ولا نوم .

هذا هو الإله الذي يستحق أن يُعبد ، وأن يُحمد ، وأن يُشكر ، وأن يطاع ، هو سبحانه الملك الحق ، ولا معبود بحق سواه ، وكل معبود سواه باطل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ [لقمان: ٢٩-٣٠] .

لا بد أن نتصل بالحق العلي الأعلى ، العلي في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، له علو الذات ، وله علو الأسماء والصفات ، وله علو القهر ، وله علو الكبرياء والعظمة جل جلاله : ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾

[يونس: ٣٢] .

هو سبحانه الملك الحق الذي أنزل الكتاب بالحق ، وأرسل الرسل بالحق ، وحكم خلقه بالحق ، وحكم بينهم بالحق : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٩﴾ [الصف: ٩] .

هل الله سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان أظهر الدين كله، ولوكره المشركون؟ نعم ، الله أظهر دينه الحق على الدين كله ، جميع الأديان الباطلة الله ﷻ أظهر عليها الدين الحق في كل زمان ، وفي كل مكان ، أظهره بالحجج والدلائل ، فكل معبود سوى الله باطل ، ليس عنده شيء ، ليس عنده نظام حياة ، وهو كان معدوماً ثم أوجده الله ، وحين أوجده ملكه ، وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ عَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ ﴿٣﴾ [الفرقان: ٣] .

فكل ما سوى الله هو مخلوق مفعول ، لا يمكن أن يكون فاعلاً : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي

لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنَّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴿

[الذاريات: ٥٠-٥١].

فلا بد من إتباع الحق، فمن لم يتبع الحق، فسوف يتبع الباطل ، ويجره الشيطان إلى طاعته ، ثم إلى النار ، ومن يكن الغراب له دليلاً يمر به على جيف الكلاب .

﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء: ١١٩-١٢١].

فالحمد لله الذي منّ علينا بالحق ، وحب لنا الحق ، والعمل بأحكام الحق جل جلاله ، والحق من أعظم أسماء الله الحسنى ، وإليه تنتهي جميع الأحكام والعلوم قاطبة : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه/ ١١٤].

ربي زدني علماً ، بمعرفة جلالك وجمالك ، بمعرفة أسمائك وصفاتك ، بمعرفة أوامرك ونواهيك ، بمعرفة وعدك ووعدك ، بمعرفة ما يجب عليّ من أحكام ، بمعرفة أحكام الله القدريّة ، وأحكام الله الكونية ، وأحكام الله الشرعية ، وأحكام الله الجزائية : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه/ ١١٤].

ربي زدني علماً ، حتى إذا زاد العلم زاد العمل ، وزادت التقوى ، وزادت الخشية لله ، وزاد الحب لله ، وزاد الخوف منه ، والذي يقبل على الله يزيد إيماناً وتقوى : ﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَّوْنَهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧].

إن العلم من العليم ، والرزق من الرزاق ، والخلق من الخالق ، خزائن العلم عند الله ، هو علمني بعد أن كنت جاهلاً ، وهداني بعد أن كنت ضالاً .

وكل علم له بداية ، ولكن ليس له نهاية ، وجميع المخلوقات ، الله طبعها على العلم والطاعة ، الشمس والقمر ، والنبات ، والحيوان ، وكل مخلوق ، الله جبله على العلم الكامل من أول يوم ، السماوات والأرض ، والشمس والقمر ، والجبال والبحار ، والمياه والنباتات ، كلها سامعة مطيعة لربها وعندها علم بمار يراد منها :

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى: ١-٣].

الشمس تأتي من المشرق إلى المغرب بأمر الله ، والأرض تنبت ، وتطيع الكافر والمؤمن بأمر الله ﷻ ، لكن هذا الإنسان خلق من حيث خلقه كإنسان ظلوم ، وجهول ، وكفور ، ويؤوس ، وقنوط ، وقتور ، ومختال ، وفخور وغيرها ، خلق كذلك بشر ينقصه جهله ، وحاجته إلى ربه ، خلق على صفات لا بد من الجهد عليها ، اجتهدنا على الحديد حتى أخرجنا منه أنواع الصناعات ، واجتهدنا على التراب فأخرجنا منه أنواع المنافع ، ، اجتهدنا على الخشب حتى أخذنا منه أنواع المصنوعات .

وهكذا لا بد من الجهد على الإنسان بالتوحيد والإيمان والدعوة ، التآني فيه الصفات التي يحبها الله ، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، فلا بد أن نجهد عليهم ، حتى يخرج هذا المعدن النفيس ، حتى يعبد الرب الذي يستحق العبادة ، ويعبد الملك الحق ، ويتوجه إلى الملك الحق جل جلاله ، لا بد من الجهد على الناس ، الناس ثروة ، هذه الثروة لا بد من الاستفادة منها ، واستخراج الطاقة المدفونة فيها ، بأن نوجه السمع والبصر والعقل ، وأوقات الناس ، وأموال الناس ، ونسخرها في طاعة الله ، لينتقلوا من الشرك إلى التوحيد ، ويخرجوا من الهوى إلى الهدى ، ومما يفنى إلى ما يبقى ، وينتقلوا من معرفة النعمة إلى معرفة المنعم ، وينتقلوا من الدنيا إلى الآخرة ، على أجمل صورة يحبها الله ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

والله ﷻ هو الملك الحق ، والحق من أعظم أسماء الله الحسنى ، وإليه تنتهي جميع الأحكام والعلوم قاطبة : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه/ ١١٤] .

الله هو الملك الحق الذي عنده خزائن العلم والعلوم ، فكل علم في البشرية من علم إنساني ، أو علم إلهي ، فهو من خزائن الله ﷻ ، والله خلق الإنسان وعلمه : ﴿ الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ ۱ ۙ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ ۲ ۙ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۚ ۳ ۙ ﴾ [الرحمن/ ١-٤] .

الرحمن جل جلاله هو خالق كل شيء ، وخزائن كل شيء عنده جل جلاله : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١] .

• وكان عند العرب في الجاهلية ثلاثة أنواع من العلوم :

أحدهما : علم النبات : يعرفون أنواعه ومواسمه وأماكنه، ليرعوا فيه أنعامهم .

الثاني : علم الحيوان ، يعرفون أنواعه وأسنانه وأجوده، ليتاجروا فيه .

الثالث : علم الأصنام التي زين الشيطان لهم عبادتها، والتجارة فيها .

أما العلوم الإنسانية فكانت لدى الفرس والروم ، فالله ﷻ أرسل النبي ﷺ بالهدى

ودين الحق ، ونقلهم من هذه العلوم إلى العلم الإلهي الأعلى ، هذا العلم

الأدنى ليس بشيء ، لأنه يربط المخلوق بالمخلوق ، والعلم الإلهي هو العلم

الحقيقي ، لأنه يربط المخلوق بالخالق ، فيكبره ويعظمه ، ويسبحه ويقده ،

ويحمده على نعمه ؛ لأنه هو الذي خلقه ، وأسكنه في ملكه ، وأعطاه طريقة الحياة ،

وأثابه على ذلك : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [ الجمعة : ٢ ] .

فالنبي ﷺ بعث في أمة كان عندها ثلاثة أنواع من العلوم الأرضية :

علم النبات .. وعلم الأغنام والإبل والبقر .. وعلم الأصنام من أحجار وأشجار

وغيرها .

فجاء النبي ﷺ بالعلم الإلهي إليهم فنقلهم من العلم الأسفل إلى العلم الأعلى ، نقلهم

إلى الحق الأعلى الذي جاء به محمد ﷺ :

نقلهم من الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن

الفرقة إلى الاجتماع ، ومن الضلال إلى الهدى .

هذه خمس جاهليات كان الشيطان يدير بها حياتهم :

شرك .. وجهل .. وظلم .. وفرقة .. وضلالة .

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [ آل عمران / ١٦٤ ] .

[ آل عمران / ١٦٤ ] .

ومن جهالاتهم أنهم قد أحلوا ما حرم الله ، وحرموا ما أحل الله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ

وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [ آل عمران / ١٧٣ ] .

ومن جهالاتهم التي أضلهم بها ابليس : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ  
وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ  
لشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ  
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦] .

جهالات كفرية ، ومن أحب أن يقرأ في فعل الشيطان بأهل الجاهلية فليقرأ سورة  
الأنعام: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ  
أَفْتَرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ [الأنعام: ١٤٠] .

فهذا الدين الحق لا بد أن ندير به حياتنا ، ونعمل به ، ونوصله البشرية .  
فحياة الناس إما نور وإما ظلام ، إما حق وإما باطل ، إما خير وإما شر .  
فالإنسان إما يتبع الرحمن ، وإما أن يتبع الشيطان : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن  
اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا  
وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ  
كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيْكَ ﴿١٣٦﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٦] .

### • وفي الحياة نظامان :

نظام التعمير .. ونظام التخريب .

نظام التعمير : جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعمرون حياة الناس بالتوحيد  
والإيمان والعمل الصالح ، وتقوى الله ﷻ ، وهذا يقوم به الأنبياء وأتباعهم .  
ونظام التخريب : إفساد ما جاء به الأنبياء ، وصرف الناس عن عبادة الله إلى عبادة  
غيره ، وشغلهم بالدنيا عن الآخرة ، وعن إتباع الهدى إلى إتباع الهوى ، وهذا يقوم به  
إبليس وجنوده من شياطين الجن والأنس .

فالحق لا بد له من قائم به ، ومن حارس له ، ومن ذاب عنه ، ولهذا لا بد من الصبر  
على معرفة الحق ، والعمل بالحق ، والدعوة إلى الحق : ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ  
لِرَبِّهِ لَكَنَافِرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

الذي يجب علينا أن نحققه في العالم، هو عبادة الحق سبحانه ، فيجب أن نجتهد على قلوب البشرية كلها، حتى يدخل فيها لا إله إلا الله، محمد رسول الله ، عقيدة لا إله إلا الله تستقر في قلوبهم، وعقيدة محمد رسول الله تتزين بها أجسادهم: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

### • قلوب البشرية وأجسادها بحاجة إلى شيئين :

الأول: لا إله إلا الله لقلوبهم ، حتى لا نعبد إلا الله ، ولا تتوجه إلا الله .

الثاني: أن تتزين أجسادها بالسنن التي جاء بها الرسول ﷺ من واجبات وسنن ، وفرائض ونوافل ، فأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

إذا نوينا هذه النية العالمية، حقق الله بنا مراده في هداية خلقه ، ولكن لا بد أن نبدأ خطوة الدعوة كما بدأ النبي ﷺ في مكة عندما أنتقل من مكة إلى المدينة ، ومن المدينة خرج أكثر من مائة وخمسين خروجا ، لنشر دين الله ، والدفاع عن دين الله ، إبراهيم ﷺ خرج من العراق إلى الشام ، إلى مكة، من أجل ذلك ، وهكذا موسى ﷺ جاء من مصر إلى بيت المقدس في الشام، هذا عمل الأنبياء: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩] .

فكل نبي لا بد له من الهجرة ، ومن أجل نشر دين الله هاجر كل نبي.

وبسبب الهجرة تأتي الهداية ، لذلك فإن في حياة الأنبياء الهجرة من أجل الله ، والدعوة من أجل الله: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ [الصفات: ٩٩] .

في حياة الأنبياء العبادة والدعوة ، ومن أجل الدعوة ، لا بد من الهجرة ، حتى ننشر النور في العالم ، ونستبدل الباطل بالحق ، والظلام بالنور: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] .

والنور يحتاج إلى جهد حتى يتولد النور ، لكن الباطل بمجرد ما ينطفئ النور يأتي

الظلام ، فالباطل ينتشر إذا تركنا نشر الحق في العالم ، والحق يحتاج إلى من يحمله ، ويسير به في العالم ، ويتزين به ، ويعلنه في كل مكان : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [٥٢] . [إبراهيم: ٥٢] .

والله من علينا بأن جعلنا خير أمة أخرجت للناس ، وأعطانا دين الحق حتى نعمل به ، ونبلغه للبشرية : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [١١٠] . [آل عمران: ١١٠] .

فسبحان الملك الحق المبين الذي لا تستطيع العقول الخروج عن حكمه ، العقل محدود في محدود ، أنا محدود ، وعقلي محدود ، وسمعي محدود ، وبصري محدود ، وقدرتي محدودة ، وحياتي محدودة ، محدود في محدود ، لا يستطيع فعل شيء إلا بأمر الله الذي له الحكم وحده : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٥٦] . [هود: ٥٦] .

فسبحان الملك الحق الذي لا تستطيع العقول الخروج عن حكمه ، ولا تستطيع الأبدان الخروج عن ملكه ، ولا يستطيع الإنسان أن يخرج عن ملك الملك الحق ، فنحن في ملك الله ، نأكل من نعم الله ، ونسكن في أرضه ، فلا بد كما أنعم علينا بهذه النعم المادية أن نشكره ، ونذكر نعمته الروحية وهي الدين ، فنشكره ، ونسير على الصراط المستقيم ، لنسير على الصراط بأمان يوم القيامة ، فمن سار على الصراط المستقيم في الدنيا سار على الصراط بسرعة يوم القيامة ، فإن هذا النور يمشي مع المسلم في الدنيا ، والآخرة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

فالأبدان لا تستطيع الخروج عن ملكه وأمره ، هو أرادني ذكراً أو أنثى ، أيضاً أو أسوداً ، لا أستطيع أن أغير هذا الشيء ، كذلك لا أستطيع أن أخرج عن أمره إذا أرادني أن أذهب إلى أي مكان ، لا أستطيع أن أمنع نفسي : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْأَبْ

وَالْبَحْرِ ﴿٢٢﴾ [يونس : ٢٢] .

كما يسير الكواكب في السماء يُسير الخلق في الأرض، لكن حسب الشهوة الموجودة في قلبي الله يسيرني ، لا يستطيع أحد أن يعمل طاعة أو معصية إلا بإذن الله ﷻ ، أذن لي فأطعته بفضل ، أذن لي فعصيته بإذنه ، لأنه جعلني مختاراً وجعل غيري مسخرًا : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴿٣﴾ ﴿إِنْسَان: ٢-٣﴾ .

فهذا العقل محدود ، فلا يستطيع أن يخرج عن حكم الله ﷻ ؛ لأن قدرته محدودة كالبصر، لا يرى إلا ما أقدره الله عليه ، ولا يعرف إلا ما أذن الله ﷻ بمعرفته ، لأن الله وحده هو عالم الغيب والشهادة ، المحيط علما وقدرة ورؤية بكل شيء ، ومتى رامت العقول والأبدان ذلك سلبها التوفيق ، وعزلها عن مرادها ، وقهرها بأمره ، فأسرعت إلى مراده صاغرة ذليلة : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

إذا أراد أن يكون نهاراً يكون نهاراً ، وإذا أراد ليلاً يكون ليلاً ، إذا أرادك مريضاً تكون مريضاً ، وإذا أراد أن تكون متعافي كان ما أراد ، وإذا أراد الأمن جاء الأمن ، وإذا أراد الخوف جاء الخوف وهكذا ، إذا أراد هذا غنياً أو هذا فقيراً كان ما أراد ، ولا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، فهو ﷻ يدبر الأمر في العالم العلوي والعالم السفلي ، قاهر لجميع المخلوقات، كبيرها وصغيرها ، شاهدها وغائبها ، هو الذي يدبر الأمر ، لأنه حي قيوم ، قادر على كل شيء : ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤] .

له الخلق والأمر ، ومادام له الخلق والأمر، لا بد أن نطيعه ، له الأوامر الكونية في كونه يفعل ما يشاء ، وله الأوامر الشرعية بهذا الدين الحق ، وله الأوامر الجزائية بالوعد والوعيد ، وله الأوامر القدرية في ملكه العظيم، فلا نستطيع أن نرد أمراً قضاه الله ﷻ ، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

وهو سبحانه الحق الذي أظهر بصفاته وأفعاله أنه الحق ، وأودع الحق والتوحيد في قلوب العارفين ، وجعله سفيراً بينه وبين عباده ، مؤدياً عنه شهادة الحق بأنه الحق جل جلاله : ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ الروم: ٣٠ ] .

والله ﷻ هو الحق الذي أنزل الكتاب بالحق ، ودينه الحق ، أودعه في قلوب عباده ، وجعل مخلوقاته تؤدي شهادة الحق، بأن الله ﷻ هو الملك الحق المبين : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد/ ١٩] .

أولوا الأبواب والعقول ، يعلمون أن لهذا الكون رب ، حي ، قيوم ، قادر ، غني ، كريم ، رحيم ، قوي ، قهار ، هذا الملك ملكه ، وهذا الخلق خلقه ، سلطانه عظيم ، ومملكه كبير ، له الأوامر فيه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [ الزمر: ٦٧ ] .

أما باقي الخلائق فهم عبيد مخلوق .

كل مخلوق منهم من العرش العظيم، حتى أصغر ذرة ، كل مخلوق موسوم بأربع صفات : ضعيف ، فقير ، عاجز ، محتاج .

العرش محتاج إلى الله ليمسكه ، السماوات والأرض محتاجة إلى الله في أمساكها وبقائها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر/ ٤١] .

فكل مخلوق طبعه الحق سبحانه على أربع صفات :

جعله برحمته ضعيفاً، ليستعين بالقوى ، وفقيراً، ليسأل الغني ، وعاجزاً، ليستعين بالقادر ، ومحتاجاً، ليقف بباب الكريم : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [ غافر: ٦٥ ] .

فكل أحد محتاج إلى قدرة الله ، ﷻ أقدره فقدر ، ولو سلب عنه القدرة لعاد عاجزاً ، النار سلب الله عنها القدرة على الإحراق، فصارت برداً وسلاماً على إبراهيم ، والبحر

سلبه الله الإغراق، ففتح الطريق يبساً لموسى ﷺ: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

ومن هذا ملكه ، وهذه قدرته ، هو الحق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، هو الملك الحق الذي له الخلق والأمر ، ويده النفع والضر ، وإليه ترجع الأمور : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

هو الملك الحق الممين، القادر على كل شيء، فلا يعرض عن عبادته إلا جاهل أو مستكبر: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الأنعام: ٦-٨].

أنار سبحانه قلوب المؤمنين بالحق، فرأت الحق ، وأحبتة ، وعظمتة ، وأطاعته ، ودعت إليه ، وخرت ساجدة بالحق للحق جل جلاله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

هذه القلوب لما عرفت الحق ، عرفت الملك الحق ، وعرفت دينه الحق ، وكتابه الحق ، خرت ساجدة لربها ، وأذعنت لعظمته ، وأحبتة ، وخرت ساجدة له ، لماذا ؟ . لأنها عرفت من خلقها ورزقها وهداها : ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَنُوتٌ ءِآنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/٩].

ولهذا أمر الله ﷻ بتعلم وتعليم العلم الإلهي ، كل يوم نتعلم لا إله إلا الله : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَكِّمِكُمْ﴾ [حمد: ١٩].

• والعلم ثلاثة أقسام :

علم بالله.. وعلم بأوامر الله.. وعلم بأيام الله .

وهذه لا بد منها للإنسان ، لكن العلم الأول هو العلم بالله، معرفة المعبود قبل أن

نتوجه إليه بالعبادة ، والعلم بالأمر قبل أن نعرف أمره ، لا بد أن نعرفه أولاً ، ثم نوجه العمل منا إليه بالعبادة ، لأننا إذا عرفناه عبدناه بالمحبة والتعظيم والذل له جل جلاله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

العلم الإلهي يولد الإيمان بالله ، وإذا جاء الإيمان جاءت قوة التقوى ، ثم تحركت هذه الجوارح لطاعة الله ، اللسان ذكراً وحمداً ، ودعوةً وتعليماً ، والجوارح قائمة وراعاة وساجدة ، ومتقلبة في أصناف الخير : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

هذا البدن لله لا بد أن نستعمله بطاعة الله ، حسب أمر الله ، لننجوا من عذاب الله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

• فحركات هذا البدن ثلاثة أقسام :

الإنسان يتحرك : إما لتحقيق شهوة ، أو طلب رئاسة وشهرة ، أو طاعة لربه جل جلاله ، فالحركات إما شهوة ، أو شهرة ، أو طاعة ، والفلاح فقط في الطاعة لله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] .

وقال النبي ﷺ : «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» متفق عليه (١) . فحركات الإنسان إما شهوة ، أو شهرة ، أو طاعة ، شهوة أو شهرة هاتان للكفار ، أما المؤمن فحركاته كلها طاعة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات/ ١٥] .

فسبحان الملك الحق ، الكريم الحق ، الذي أرسل رسله بالحق ، ليُعْم جميع

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٢٨١٠ ، واللفظ له ، ومسلم برقم: ١٩٠٤ .

المُكَلِّفِينَ بِالْحَقِّ ، وَيُنِيرُ الطَّرِيقَ لِلسَّالِكِينَ إِلَيْهِ ، وَيَقْطَعُ جَدَلَ الْمُتَخَاصِمِينَ فِيهِ ،  
وَيُدْحِضُ جَمِيعَ حُجَجِ الْمُعْتَدِينَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَالْمُعَانِدِينَ لِلْحَقِّ : ﴿ وَخَلَقَ  
اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٢) [الجاثية/ ٢٢] .

الله أنزل الحق ، فمن أتبعه فالله ﷻ يسعده في الدنيا ، ويسعده يوم القيامة بالجنة  
والرضوان ، ومن خالف ذلك ، فالله ﷻ يحاسبه على ما عمل جزاء وفاقاً : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٧) [الفتح: ١٧] .  
الله أنزل الحق ، وبين الباطل ، ورجب الناس في الحق ، وحذرهم من الباطل ، وترك  
لهم الخيار : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ  
نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ  
وَسَاءَتِ مُرْتَفَقًا ﴾ (٢٩) [الأنعام: ٢٩] .  
عَمَلًا ﴿٣٠﴾ [الكهف: ٢٩-٣٠] .

فالله هو الحق الذي أنزل كتابه بالحق ، وأرسل رسله بالحق ، وشرع دينه بالحق ،  
وأمرنا بإتباع الحق ، ونهانا عن إتباع الباطل ، فربنا رحيم ورحمن يريد منا أن نكون  
في أعلى شيء ، أن نكون في مقام الملائكة ، ويأتي فينا مزاج سمعنا وأطعنا ، ولكن  
الله ابتلانا بالشهوات الحيوانية ، بجانب الأوامر الإلهية ، امتحاناً وابتلاءً ، حتى نترك ما  
نحب لما يحب هو ، نترك ما نحب نحن من الشهوات إلى ما يحبه هو من الطاعات ،  
ونترك هوى النفس إلى هدى الرب .

والله سبحانه خلق الدنيا وملأها بمحوباته هو ، من أنواع الطاعات من فرائض ،  
وواجبات ، وسنن ، ومستحبات : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ  
عَلِيمٌ ﴾ (٧٣) [آل عمران: ٧٣] .

وخلق سبحانه الآخرة ، وملأها بمحوباتنا نحن : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ  
أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) [السجدة/ ١٧] .

أما في هذه الدنيا من أنواع المآكل والمشرب والنعم ، فهذه شهوات معجلة  
ومحدودة ، وكذا ما فيها من المكار والمصائب ، فهذه عقوبات معجلة محدودة ،

محدود مأخوذ مما في نعيم الجنة ، ومحدود مأخوذ مما في عذاب النار ، ترغيباً  
 وإنذاراً لهذا الإنسان ، ليستعد لما أمامه : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ  
 أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ [الكهف: ٧] .

والله ﷻ هو الملك الحق ، ولما كان من كمال الملك الحق ، الذي له الأسماء  
 الحسنی، والصفات العلی ، أن يكون له حب وبغض ورضا وسخط ، اقتضى ذلك  
 أن يكون له أمر ونهي ، فما من ملك إلا وله أمر ونهي في مملكته ، وأمور ومنهي  
 وهو نحن ، فالله ملك يأمر وينهى كما يشاء ، متى شاء ، أينما شاء ، بما شاء .

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ  
 الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر/ ٢٣] .

هو سبحانه الملك المالك لكل شيء ، أنا مالك أملك قميصي ، وأملك سيارتي ،  
 وأملك بيتي ، وهو عز وجل الملك الذي يملك المالك وما ملك ، له ملك السماوات  
 والأرض ، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ  
 رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣] .

فمن أراد أن يعيش في القصور الملكية فليتبع الأوامر الملكية الشرعية، في الدنيا ،  
 ليعيش في القصور الملكية يوم القيامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ  
 ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [٢٠] عَلَيْهِمْ ثَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ آسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ  
 رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ [الإنسان: ٢٠-٢٢] .

نسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، كما جمعنا في هذا المجلس المبارك  
 أن يجمعنا وإياكم يوم القيامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

ولما كان لا بد من إبلاغ أوامر الملك إلى خلقه من جنسهم ، أرسل الله برحمته الرسل  
 من البشر بالحق ، ولم يرسل ملكاً من الملائكة ، لا نستطيع أن نعمل مثل عمله ،  
 لأنهم صمد لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا ينامون ، بل أرسل رسولاً من جنسنا،  
 نفتدي به فيما جاء فيه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا  
 عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

لما كان لا بد من إبلاغ أوامر الملك إلى خلقه من جنسهم أرسل الله برحمته الرسل بالحق ، وأنزل الكتب بالحق ، فمن قَبَل الحق أحبه الحق ، واستعمله فيما يحبه ويرضاه ، وأظهره على من عاداه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة/ ٣٣] .

جميع الأديان الأرضية باطلة ، والحق هو الظاهر فوق جميع الأديان ، لأن حججه البينة ، وبراهينه الساطعة ، ظاهرة ظهوراً قوياً ، ودين جميع الأنبياء واحد هو الإسلام، وكل ما سوى دين الإسلام فهو باطل : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ۚ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران/ ٨٥] .

ومن رد الحق ، أبغضه الحق سبحانه وخذله ، فاستعمله الشيطان فيما يبغضه الحق ويكرهه ، فأحبط الله عمله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ۚ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾ [محمد/ ٢٨] .

وكان من تمام الحكمة ، والحكم بالحق ، أن يثيب الله المحسن ، ويعاقب المسيء كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَىٰ ﴾ [النجم: ٣١] .

فانظر وتفكر في إحسان الملك الحق إلى بني آدم ، وإكرامهم بأنواع الكرامات . فالسماوات والأرض ظروف ، وأعظم مخلوق في هذه الظروف هو الإنسان الذي خلقه الله بيده ، فالسماوات محيطة بالأرض ، هذه ظروف ، والظرف أكبر من المظروف وأعظم مخلوق في هذا الظرف هو الإنسان ، هذا الظرف العظيم ، هذا الظرف الكبير ، في داخله الإنسان المكرم ، وأعلى ما في الظرف هو الإنسان : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] . فسبحان الملك الحق القادر على كل شيء .

هناك ظرف كبير ومظروف عظيم ، فالمظروف هو جميع المخلوقات مظروفة داخل هذا الظرف الكبير الواسع ، السماوات شيء ، والأرض شيء ، وما فيهما شيء آخر ، ما في باطنهما وما فوقهما وما تحتها شيء آخر ، فأعلى مخلوق من هذه

المخلوقات هو من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسجد له ملائكته .

هذا المظروف مهم ، دائماً نضع المظروف في باطن الظرف ، وعادة الظرف قيمته أقل من المظروف ، فهذا المظروف لأهميته نضعه في خزانة محكمة ، كذلك الإنسان خلقه الله ، وخلق السماوات والأرض وجعلهما ظرف له ، يتنعم بما فيهما ، ويتفكر في عظمة من خلقهما ، ويشكر من سخر له ما فيهما : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

هذا المظروف جعله الملك الحق في الأرض ، وأنزل له الدين الحق ، وأمره أن يعمل بالحق ، وأن يدعو إلى الحق : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٦-١٥] .

الله ﷻ جعلنا في هذا الظرف ، وأعطانا فرصة الحياة إلى أجل مسمى ، بداية الحياة بيده ، والموت بيده ، وما بين القوسين هو حياتنا ، هذه الحياة المحدودة مطلوب أن نعمل بها كما عمل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، الذين جاءوا بالدين الحق ، وهذا الدين الحق جاء به محمد ﷺ في أكمل صورته : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] . ولهذا كانت حياة النبي ﷺ ثلاثة أقسام :

طريقة حياة.. وفرائض حياة.. ومقصد حياة

طريقة الحياة : هي أن نربط جميع الحركات بما جاء عن الله ورسوله ﷺ من أحكام : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨] .

وفرائض حياة : أن نلتزم بأداء الفرائض الواجبة كالصلوات الخمس ، وصيام رمضان ، والزكاة الواجبة علينا ، وبر الوالدين ، والعدل والإحسان ، وغير ذلك من

الواجبات والفرائض : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

ومقصد حياة : مقصد حياة المسلم هو الدعوة إلى الله ، بتحقيق عشرة أمور : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٤٥] وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَيَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَا أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٨] .

وقال ﷺ : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

مقصد حياة المسلم ، هو الدعوة إلى الله التي تأتي بالناس ليعبدوا الله ، فالداعي يدعو الناس ليعبدوا الله ، والعالم يُعلم الناس كيف يعبدون الله ، ومن رزقه الله هذا وهذا فقد حاز المجد من أطرافه ، وصار نائبًا عن النبي ﷺ بكل ما جاء به : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال ﷺ : ﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

فكل ما أمر الله ورسوله به ، وكل ما أحبه الله ورسوله ، فهو الحق ، وثوابه الجنة ورضوان الله ﷻ .

وكل ما نهى الله ورسوله عنه ، وكل ما أبغض الله ورسوله ، فهو الباطل وجزاؤه النار . ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/ ١٧٠] .

فإن الله ﷻ أرسل الرسول ﷺ بالحق ، والمطلوب أن نعرف الحق ، وأن نعمل بالحق ، وأن ندعوا إلى الحق ، حتى ننجو من غضب الله ، ونفوز برضوان الله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

فالدين حاجتنا ، والدعوة مسؤوليتنا : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

اتَّبَعَنِي وَسُبَّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

وليعلم المسلم أن كل طاعة يعملها العبد من الرحمن وكل معصية من النفس والشيطان : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ ﴿٧٩﴾ [النساء/ ٧٩] .

لأن الله هو الذي خلقني ، وهداني ، ويسر لي أداء الطاعة ، وحببها لي ، وضاعف لي الأجر عليها ، ورغبني فيها ، ويثبني عليها يوم القيامة الحسنة بعشر أمثالها .  
﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

والله أعطاني الاختيار أن أطيع أو أعصي ، أو أو من أو أكفر ، والنفس تريد من الإنسان أن يحقق لها شهواتها ، والله يريد من العبد أن يكمل أوامره ، والحرب سجال ، وهذا محل الابتلاء : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ﴿٢﴾ [البقرة: ٢-٣] .  
﴿ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴾ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ٢-٣] .

فما أعظم رحمة الله بعباده أرسل الرسول الملكي الذي هو جبريل يأتي بالوحي من الله للرسول البشري الذي هو محمد عليه الصلاة والسلام ، والرسول البشري يبلغه للناس قولاً وعملاً وتخلقاً : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ [المائدة: ٦٧] .

وإذا بلغ الرسول الدين للناس فيجب عليهم أن يعملوا به ويبلغوه للناس ، ليكون الدين كله لله : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلَيعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

فالله ﷻ يعلم أهل الجنة من أهل النار ، ولكنه أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، لإقامة الحجة ، ليعلم من يؤمن ومن يكفر ، ولإظهار ما علمه في صورة عمل من الإنسان ، والله عليم بما سيحصل من البشرية ، علم انكشاف ، لا علم إجبار : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿٧٠﴾ [الحج: ٧٠] .  
فالله يعلم أن فلاناً يولد ، ويعيش مسلماً ، وفلاناً يولد ، ويعيش كافراً ، يُدعى إلى الإسلام ولكن لا يستجيب ، والله ﷻ علمه علم انكشاف لا علم إجبار ، لأنه لا يأمر

بشيء ويجبر عليه ، بل أعطانا الاختيار فقال : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (٢٩) ﴿ [الكهف: ٢٩] .

ما أمرنا بالطاعة إلا ونحن قادرون على المعصية ، فلا يُطاع إلا بإذنه ، ولا يُعصى إلا بعلمه ، ولكن الله لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ؛ لأنه هو الملك الحق الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد في خلقه ، وقوته ، وبقائه ، وحياته ، وموته ، ولا يترك عبادة الحق سبحانه إلى عبادة ما سواه إلا أعمى القلب ، سفاه العقل : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (١٣١) ﴿ [البقرة: ١٣٠-١٣١] .

والخالق الهادي هو الذي يستحق العبادة: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَكْفُرْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٥) ﴿ [يونس/ ٣٥] .

الحق الذي يهدي إلى الحق هو الأحق أن يُتبع ، أما من ليس له أمر ولا نهى ، ولا عنده ثواب ولا عقاب ، كالأصنام من أحجار وأشجار ، زين الشيطان للناس عبادتها ، وهي لا تعلم بمن يعبدها ، وعبدها السفهاء ، لأنها لا تأمر ولا تنهى ، والشياطين تدعوا الناس إلى الشرك والمعاصي عندها ، وتكلم الناس ، والجاهلون يظنون أنها هي التي تكلمهم : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٦٠) ﴿ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٦١) ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٢) ﴿ [يس: ٦٠-٦٢] .

واعلم أن كل طاعة ومعصية ، وكل خير وشر ، وكل حق وباطل ، كل ذلك لا يقع من العباد إلا بإذن الله ، ومشيئته ، وعلمه ، فكل ما يجري في هذا الكون من الحركات والسكنات ، والأقوال والأفعال ، والخلائق كلها لا يمكن أن تكون إلا بإذن الله ﷻ ، لا يقع من العباد حركة ، ولا عمل ، ولا طاعة ، ولا معصية ، ولا خير ، ولا شر ، إلا بإذن الله ومشيئته ، لأنه لا يقع في ملكه شيء بغير إذنه وعلمه ، لكن الله أمر بالإيمان والطاعات ، ونهى عن الكفر والمعاصي .

ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً ، من الكفر والكفار ، والفسوق والعصيان ، والطاعات والمعاصي ، والظلم والإحسان ، كل ما أذن الله فيه يقع لكن ليس هذا بأمره وإنما بإذنه ؛ لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد ، لكن الله ﷻ يحب الحق والخير والطاعات ويأمر بذلك ويرضى به ، ويكره الباطل والشر والمعاصي وينهى عنه ولا يرضاه .

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٢٨] ﴿٢٨﴾ [الأعراف/ ٢٨] .

لكنه أذن ف وقعت تلك الفواحش ، وسوف يحاسب من فعلها ﴿ إِنَّ إِيْتِنَا إِيَابَهُمْ ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٦﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦] .

ف الله لا يأمر بالحسن والأحسن : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٣٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣٠﴾ [الأعراف/ ٢٩-٣٠] .

هو جل جلاله الملك الحق الذي لا يقع في ملكه إلا ما يشاؤه ويأذن به ، وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي ، خاضعة لأمره ، مسبحة بحمده ، شاهدة بوحدانيته ، مستجيبة لمشيئته ، مُسرعة إلى إرادته ، متصاغرة لكبريائه : ﴿ تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

الله ﷻ هو الواحد القهار ، وهذان الاسمان متلازمان ما دام قهاراً لا بد أن يكون واحداً ، وما دام واحداً فلا بد أن يكون قهاراً : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ﴿٤﴾ ﴿٤﴾ [الزمر: ٤] .

والله غني عن العباد وأعمالهم ، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾ [الزمر/ ٧] .

والرسل والكتب تبين للناس هذا وهذا ، تبين طريق الخير من طريق الشر ، تبين طريق

الخير وتُرغب فيه ، وتبين الثواب عليه ، وتبين طريق الشر ، وتحذر منه ، وتبين العقاب عليه ، والناس بالخيار : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿ ٢٨ ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢٩ ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٩] .

فمشيئة العبد في داخل مشيئة الله ، الله ﷻ إذا أراد شيئاً يكون ، وإذا لم يرد شيئاً لا يكون ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً ، الله ﷻ شاء كفر أبي جهل وأبي لهب ، وشاء إيمان محمد ﷺ وإيمان المؤمنين ، كفر الكافر أذن الله به كوناً ، ولم يأمر به شرعاً ، إيمان الأنبياء والمؤمنين أراد الله كوناً ، وأراده الله شرعاً ، فكان كوناً وكان شرعاً .

أما إيمان الكافر فأذن الله به كوناً ، ولم يأمر به شرعاً ، بل الذي خرج من الفطرة و خرج من التوحيد إلى الشرك هو الإنسان وسيعاقب على اختياره ؛ لأن الله أعطاه حرية الاختيار ، فجاء الشيطان واستغل هذا الاختيار ، وزين له الحياة الدنيا ، وزين له تقديم الهوى على الهدى ، فاتبع هواه ، وترك هدي ربه : ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٠) [القصص/ ٥٠] .

والثواب والعقاب بحسب الاختيار : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٢٩) إِنَّ الدِّينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣٠) [الكهف ٢٩-٣٠] .

الإنسان هو الذي يختار ، الله بين الحق و رغب فيه ، وبين الباطل وحذر منه ، والإنسان يختار ما شاء : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿ ٢ ﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣) [الإنسان: ١-٣] .

هذا الإنسان هو الذي يختار ن ويميز بين البدائل ، ولذلك العقل وظيفته التمييز بين البدائل ، التمييز بين الحق والباطل ، التمييز بين الخير والشر ، بين ما ينفع وبين ما يضر ثم يختار الأحسن فطرة : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

وكل إنسان عنده عقل يجلب به ما ينفعه ، ويدفع به ما يضره ، ولكن هناك نفع وخير يأتي من طبيعة الإنسان ، وهناك خير يأتي به الحق ﷻ ، فالإنسان بعلمه المحدود يعلم أن هذا الطريق طريق خير وأنه يجلب له خيرات ، لكن الله ﷻ أعلم منه دله على ما ينفعه في الدنيا والآخرة وهو الدين الحق ، فالإنسان بعقله لا يمكن أن يعمل إلا ما يُحب وما يجلب له الخير ، لكن هذا خير أدنى ، والخير الأعلى من العلي الأعلى ، الخير الذي يمتد معي من الدنيا إلى الآخرة هو الدين ، والخير الذي يبقى معي في الدنيا هو شهوات النفس ، أن أتحصل على المال ، وإذا جاء المال اشتريت به ما أحبه من شهوات النفس ، هذا اختيار الإنسان بعقله وفطرته ، فكل إنسان له عقل ، ولكنه عقل بعيد عن الوحي ، عقل يَسْتَحْسِنُ ، والعقل محدود ، بدون الهدى ، بدون الإيمان .

هذا العقل يَسْتَحْسِنُ العاجلة ، ويعمل للعاجلة ، ويقضي وقته في كسب المال الذي يحصله بالشهوات ، ويذهب طبياته في الحياة الدنيا معرضاً عن دين الله : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طِبْيَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنتُمْ نَفْسُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠].

أما الله ﷻ فوجهنا للدين الحق ، وأمرنا بالدين الحق الذي يحقق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة ، هو الحق الذي بين الحق ، وورغب فيه ، ولم يجبر أحداً عليه : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمِدُّ هُنُوْلًا وَهُنُوْلًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

[الإسراء: ١٨-٢١].

فسبحان الملك الحق والإله الحق الذي ملأ أركان الوجود كلها بعظمته وجلاله ، ورحمته وإحسانه ، وكرمه وعطائه ، ما ترى في الكون من السماوات والأرض

والجبال والبحار والأنهار والنباتات إلا ويأتي في قلبك عظمة الله وجلاله ، وكبرياؤه وجبروته ، ويأتي في قلبك عظمة رحمته ولطفه بعباده ، وتودده إليهم ، تأتي في قلبي أينما قلبت بصري صفات الجلال ، وصفات الجمال ، لربي جل جلاله : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٦) ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَبَاتٍ وَبَارَكْنَا فِيهَا رَبًّا لِيَلْجَأَ الْكَافِرُ الْإِلَهَ الْغَيْرَ إِلَهَ الْوَالِدِ وَالرُّسُلَ وَمَا لَنَا بِهَذَا الْقَوْمِ أَنْزِلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (١١) ﴿ [ق: ٦-١١] .

أعبده تعظيمًا له بصفات الجلال ، وأعبده محبة له بصفات الجمال ؛ لأنه يطعمني ويستقيني وهو الذي منّ عليّ بالنعم التي لا تُعد ولا تحصى ، وأعطاني قوت الأبدان وقوت القلوب ، استضافني في بطن أمي ، ويستضيفني في الدنيا ، ويستضيفني يوم القيامة في جنات النعيم إن أمنت به : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٥) ﴿ [غافر: ٦٥] .

هو جل جلاله الذي ملأ أركان الوجود بعظمته وجلاله ، ورحمته وإحسانه ، ولطفه وبره ، وشمل أقطار الكون كلها بحكمته وقدرته وعلمه ، وقهر جميع المخلوقات على طاعته وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٠٣) ﴿ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

جميع المخلوقات مُسخرة في طاعة الحق إلا الإنسان ذراته وأعضاؤه طائعة ، فالجوارح تطيع إذا أمرها المؤمن وتحمد الله ﷻ ، وتحمد هذا الإنسان الذي استعملها فيما خلقت له ، وجوارح وأعضاء وذرات الكافر طائعة ومسبحة بحمد ربها ، لكنها تطيع الكافر في معصية الله وتلعنه ، تسبح بحمد ربها ، وتلعن من صرفها في غير طاعة مولاها : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (١) ﴿ [الجمعة: ١] .

فذرات الكافر مؤمنة ، وذرات المؤمن مؤمنة ، لكن ذرات المؤمن تطيع الله ، وتحمد صاحبها على أن استعملها في طاعة الله ، وتحمد ربها ، وتسبح بحمده .

وذرات الكافر تطيع صاحبها وتلعنه ، وتحمد ربها وتسبح بحمده جل جلاله .

فسبحان الحق الذي هذا خلقه ، وهذه عظمته ، وهذه رحمته ، وهذه حكمته :  
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ  
الْكَبِيرُ ﴾ [الحج/ ٦٢] .

هو العلي الأعلى فوق خلقه ، العالي بذاته ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، هو العلي  
الكبير الذي لا أكبر منه جل جلاله .

هو سبحانه الملك الحق الديان الذي يجازي عباده بما عملوه من الحسنات  
والسيئات ، فما أحسن من مسلم أو كافر إلا وقع أجره على الله في الدنيا أو في  
الآخرة ، وما أساء من مسلم أو كافر إلا جزاه ربه بما أساء : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا  
أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [١٣٣]  
وَمَن يَعْمَلْ مِّنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا  
يُظَلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء/ ١٢٣-١٢٤] .

فالأعمال الصالحة يجب أن تنبت على أرض طيبة ، هذه المساحة هي الإيمان  
الموجود في القلب ، إذا غرسنا الأعمال على قلب مملوء بالإيمان صار لها قيمة ،  
وصارت مقبولة ، أما أعمال بدون إيمان ، أو إيمان بدون أعمال فلا يقبل : ﴿ مَن  
عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم  
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] .

الأعمال بدون الإيمان كحساب بدون رصيد ، تضع البطاقة في الصرافة وليس هناك  
رصيد لا تأخذ شيئاً ، لكن إذا كان الرصيد موجوداً تدخل البطاقة وتخرج ما شئت من  
المال ، كذلك الإنسان إذا كان مؤمناً تُقبل الأعمال منه ، وإذا فيه أعمال بدون إيمان لا  
تُقبل ، أو إيمان بدون أعمال لا يُقبل ، فلا بد من الإيمان المقرون بالعمل الصالح :  
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٧٧] .

فالإيمان قول وعمل ، قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان ، كل هذه  
الأمور متلازمة ، القلب يعتقد ، واللسان ينطق ، والجوارح تعمل بما يحبه الله ،

وتجتنب ما نهى الله ﷻ عنه .

فأعمل ما شئت كما تدين تدان : ﴿ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١٦٠] ﴿ الأنعام / ١٦٠ ﴾ .

وكل شيء له ثمن ، وكل عمل له جزاء ، وكل حسنة لها ثواب ، وكل سيئة لها عقاب : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [٤٦] ﴿ فصلت / ٤٦ ﴾ .

فسبحان الملك الحق الديان الذي يجازي بكل عمل ، ولا يضيع عنده عمل ، ولا يظلم عنده أحد : ﴿ إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَظْعَفْهَا وَيُوْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٤٠] ﴿ النساء : ٤٠ ﴾ .

فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فالعطاء العام الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة هذا عطاء عام ، ولكن فوق هذا العطاء الخاص من الرب من دون عمل العبد : ﴿ وَيُوْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٤٠] ﴿ النساء / ٤٠ ﴾ .

هذا من لدنه عطاء لا يدخل الحساب والموازن ، وإنما هو عطاء للخواص من خلقه كالأنبياء والمؤمنين ، عطاء من الرب الكريم جل جلاله : ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [٤٠] ﴿ النمل : ٤٠ ﴾ .

وهو سبحانه الملك الحق الكريم الذي يحب من عباده أن يطيعوه ولهذا يضاعف لهم الحسنات : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٣١١] ﴿ البقرة : ٢٦١ ﴾ .

وهو سبحانه الملك الحق الديان مالك يوم الدين ، مالك يوم الحساب والجزاء على الأعمال ، وله الحمد على العدل والرحمة والإحسان ، الحمد لله رب العالمين أعطاني خيراً ، ومنع عني شراً ، أنعم علي ، وأنعم علي غيري ، خلقتني في أحسن تقويم ، وهداني إلى صراطه المستقيم ، وحبب إلي الطاعات ، وأثابني عليها ، وضاعف لي الأجر ، فله الحمد والشكر : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [٢] ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [٤] ﴿ الفاتحة : ٢-٤ ﴾ .

هو الرحمن الرحيم صفة جمال ، مالك يوم الدين صفة جلال ، فأنا أحب الله وأعبده ، لأنني أعلم صفات جلاله وجماله ، وأخافه وأخشاه ، لأنه مالك يوم الدين ، الذي سيحاسب الناس ، وهو سبحانه الحق الديان الذي يجازي كلاً بعمله ، ويقتص للمظلوم من الظالم ، ومن السيد لعبده ، ومن القوي للضعيف ، متى ؟ يوم القيامة .

﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان/ ٢٦] .

وإذا حكم الله يوم القيامة فلا ظلم ، ولا جور ، ولا تأخير : ﴿ الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر/ ١٧] .  
كما يرزقهم في ساعة واحدة ، يحاسبهم في ساعة واحدة .

سبحان الملك الذي أحصى جميع أعمال عباده ، ثم يحكم الديان بينهم يوم القيامة بالعدل بالنسبة للسيئات ، والإحسان بالنسبة للحسنات ، ويوفيهم جميعاً أجورهم ، ويزيدهم من فضله : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران/ ٣٠] .

وهذا قريب جداً ، فمن مات فقد قامت قيامته ، والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا واستيقضوا على الإيمان والأعمال الصالحة ، أو على الكفر والأعمال السيئة : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] .

إذا ماتوا انتبهوا حين ذلك لا ينفع الندم ، لكن يجب أن ينتبه الإنسان اليوم وينظر إلى المطلوب منه في حياته : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر/ ١٨] .

في الدنيا هو الملك يملك من يشاء من عباده البلاد والأموال والأشياء : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

هو الملك الحق الذي قسم بعض ملكه بين الملوك ، وابتلاههم بهذا الملك ، كما ابتلى الغني بالمال ، وابتلى الفقير بالفقر ، وابتلى القوي بالقوة ، وابتلى الضعيف

بالضعف ، فالناس في ابتلاءات متعددة ، الله ابتلى الأغنياء بالفقراء ، والفقراء بالأغنياء ، وابتلى الحكام بالمحكومين ، والمحكومين بالحكام ، كلها ابتلاءات من واحد لواحد ، لكن الملك لله يوم القيامة ، يوم القيامة يكون جميع الملوك والعبيد وما يملكون عبيداً للملك الحق ، ولكن في الدنيا أعطاهم العطايا ، واستعمل من شاء فيما شاء ، وهو ﷻ يراهم ويرى أعمالهم ، ثم يحاسبهم يوم القيامة .

هو سبحانه الملك الحق الذي يضع الموازين يوم القيامة إظهاراً لعدله بين خلقه . سبحانه الله ، الله يُحكم يوم القيامة حجراً ، لأن الحجر ليس له هوى ، والملائكة مخلوقات ، والإنس والجن من المخاليق ، فهؤلاء لكل واحد هواه مثلاً ، لكن الله يجعل للحكم بين جميع الناس ميزاناً رحمة منه لخلقه ، ترى فيه الناس الحسنات والسيئات : ﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/٦-٨] .

وقال ﷻ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup> .

فالناس ستوضع لهم الموازين ، فتوزن الحسنات والسيئات ، ويوزن العامل وعمله ، إظهاراً لكمال عدل الله بين خلقه : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء/٤٧] .

فمن رجحت حسناته بسيئاته نجا ، ومن رجحت سيئاته بحسناته خسر ، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو محل مغفرة الله : ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَآيِنَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨-٩] .

واعلم رحمك الله أن الديان الحق سوف يحاسبك على جميع أعمالك ، فحاسب

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧ .

نفسك في الدنيا ما دمت تستطيع ، فأنت في دار المهلة والعمل ، قبل أن تموت ، وترى العمل ولا تستطيع التوبة والندم والرجعة : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ١٠ ﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [المنافقون: ١٠-١١] .

فالدنيا دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧] .

والله ﷻ هو الملك الحق ، الذي يحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويحكم بين عباده بالعدل والإحسان ، ويأمرهم بالعدل والإحسان والفضائل ، وينهاهم عن الظلم والبغي والردائل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل/ ٩٠] .

هو سبحانه الحق الذي لا عدل منه ، ولا أقسط منه ، هو الذي عدل في حكمه وأمره وأحسن في ثوابه وعقابه ، الذي يأمر بالقسط ويحب أهله كما قال سبحانه : ﴿ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات/ ٩] .

فتبارك الله رب العالمين الذي ما من شيء خلقه إلا وهو موزون بميزان العدل والقسط ، وتعالى الله عن الإهمال والمجازفة ، وتنزهه عن الحيف والجور : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء/ ٤٠] .

واعلم أن كل شيء في خزائن الحق سبحانه وتعالى موزون بقدر في نوعيته وكميته ، ومكانه وزمانه ، وصورته .

كل شيء في خزائن الله موزون بخمسة أمور : نوعيته ، وكميته ، ومكانه ، وزمانه ، وصورته : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهِ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

الله ﷻ هو الحق الذي عدل في جميع أفعاله ، وعدل في جميع أحكامه ، فهو الحق ، وقوله الحق ، وفعله الحق ، ودينه الحق ، يبسط ويقبض ، ويعطي ويمنع ، ويرفع

ويخفض ، ويعز ويذل ، ويقدم ويؤخر ، ويكرم ويهين ، ويحيي ويميت ، ويهدي ويضل ، ويعافي ويبتلي : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [ الأنعام: ١٠٢ ] .

هو الحق الذي لو عذب أهل السماوات والأرضين كان ذلك بحكم العدل ، لأنهم عبيده يفعل بهم ما يشاء ، ولو أنه نَعَم أهل السماوات والأرض كان ذلك من حكم الإحسان والفضل : ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [ المؤمنون: ١١٦ ] .

فسبحان الملك الحق المبين الذي كل ما نراه وما لا نراه من مخلوقاته فهو الحق ، وكيفما كان فعله فهو الحكمة ، وكيفما صرف حكمه وتديره فهو العدل والإحسان ، والحكمة والرحمة : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُنُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [ الأنعام/ ٧٣ ] .

فأفهم الحق ، فإن لم تفهم فابكى على الجهل ، واستغفر لذنبك حتى يفهمك من منعك أن تفهم فأفهم وقل ربي زدني علماً .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [٤٥] وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ [ الإسراء: ٤٥ - ٤٦ ] .

فأقبل على الله يقبل الله عليك ، وتقرب إليه يتقرب الله إليك أكثر ، وأذكر الله عَجَّلْ يذكرك ، وقل ربي زدني علماً ، فالعلم بالله وأسماءه وصفاته وأفعاله من أعظم العلوم وأشرفها : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [ محمد: ١٩ ] .

الله عَجَّلْ هو الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [ طه/ ٨ ] .

وربنا عَجَّلْ أمرنا أن نعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، كي نعبده بموجب هذه الأسماء .  
فالله عَجَّلْ خلق جميع المخلوقات بأمره الكوني ، وخلق هذا الإنسان بيده ، لأنه يريد

من هذا الإنسان أن يكون في الدنيا خليفة في الأرض ، يستقبل الوحي الإلهي ، ويمثل أمر الله ، ويحقق أعلى أنواع الطاعة لربه ﷻ ، ويتحلى بأحسن الصفات اختيارياً لا إجبارياً : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير: ٢٧-٢٩] .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي له ملك السماوات والأرض ، هو الملك الذي له ما في السماوات وما في الأرض ، هو الملك الذي له غيب السماوات والأرض .

فأعظم المخلوقات وأوسعها بعد العرش والكرسي ، هذه السماوات العظيمة ، وتلك الأرض العظيمة : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٧) [غافر: ٥٧] .

السماوات والأرض ظروف كبيرة في داخلها مظروف ، هذا المظروف هو الإنسان ، هذا الإنسان من حيث خلقه ظلوم ، جهول ، يئوس ، قنوط ، مطبوع على الصفات الجمادية والحيوانية ، لكن بالجهد عليه تتغير هذه الصفات إلى الصفات الحسنى :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥) [الأحزاب: ٣٥] .

وأهل هذه الصفات هم الذين اشتراهم الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١١١) [التوبة: ١١١-١١٢] .

ومن رزقه الله هذه الصفات عبد الله كما أمره ، ورضي الله عنه كما وعده ، فالله ﷻ هو الملك الحق ، وهو مالك هذا الكون العظيم ، فيجب أولاً أن نعرف الملك الحق ، ثم نعرف أمره الحق وكتابه الحق ، ونعرف رسله الحق الذين أرسلهم الله ﷻ بالحق . فالله ﷻ يريد أن يحق الحق ، ويبطل الباطل ، فالله ﷻ خلق هذا الكون وأصلحه ،

والفساد الذي ينشأ فيه بسبب الإنسان ، الذي أعطاه الله فرصة الاختيار ، يختار أن يؤمن أو يكفر ، أو يطيع أو يعصي ، أو يصلح أو يفسد : ﴿ زَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٤١] . [ الروم: ٤١ ] .

أما المخلوقات الأخرى فكلها صالحة ، الفساد إنما يأتي في هذا الكون من حيث اختيار الإنسان ، وتقديمه الهوى على الهدى ، فالله خلق السموات والأرض ، وخلق الجمادات والنباتات والحيوانات ، وخلق كل شيء ، وأتقن صنعه جل جلاله : ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [٨٨] . [ النمل: ٨٨ ] .

هذا الإنسان إن سار على طريقة الأنبياء والرسل صلح وأصلح ، وإن خالف هديهم فسد وأفسد ، فالكون يعمر بالهدى ، ويفسد بالهوى .

فالهدى يقوم به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، يجتهدون على قلوب الناس لتؤمن بالله ، وتشهد أنه لا إله إلا الله ، ويجتهدون على أبدانهم لتتزين جوارحهم بالأقوال والأعمال الصالحة التي يحبها الله ، والأخلاق العالية التي تميزهم عما سواهم من الشياطين والسباع والحيوانات وغيرها : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [٩] . [ الصف: ٩ ] .

فاتباع الهوى ضد اتباع الهدى ، فنجد مقابل الليل النهار ، ومقابل الحق الباطل ، ومقابل الخير الشر ، ومقابل الهدى الهوى فالأنبياء الله ﷺ أرسلهم ليدلوا الناس على الحق ، ويرغبونهم في الخير ، ويأمرونهم باتباع الهدى وترك الهوى ، ويدعونهم إلى عبادة الله وحده : ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ [٣٦] . [ النحل: ٣٦ ] .

وهذه الأمة ربها نور ، وكتابتها نور ، ورسولها نور ، ودينها نور : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [١٦] . [ المائدة: ١٥-١٦ ] .

فالله نور السموات والأرض ، أكرم خلقه بنورين :

الأول: نور حسي ، هذا النور العظيم منة من الله علينا ، أن نرى بأبصارنا ما في طريقنا وما حولنا حتى لا نقع في الحفر ، ونقتضي مصالحنا ، ونجتنب ما يضرنا عن طريق هذا النور الحسي .

الثاني : نور إيماني ، وهو نور القلب ، هو الذي ينقلنا من عالم المخلوق إلى عالم الخالق ، وينقلنا من عالم الصور إلى المصور جل جلاله ، ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ومن عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ، ومن عالم السنن الكونية إلى رؤية القدرة الإلهية : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤] .

فإذا عمى البصر، وعميت البصيرة ، صار الإنسان أضل من الأنعام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ؕ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .  
والعاقل من أعطى كل وقته لمعرفة من يعبد ، وعنده بموجب هذه المعرفة : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَ تَعْمَى الأَبْصَرَ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ أَلَيْسَ فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦] .

البصر الحسي أرى به المخلوقات الحسية ، والبصر القلبي الذي هو البصيرة تعرفني بالخالق والمخلوق ، وبالصور والمصور ، وبالدنيا والآخرة ، ويأتي العقل ويميز بين البدائل ، يرى أن الدنيا فانية ، والآخرة باقية ، فيقبل على عمارة الآخرة ، ويأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ويعطي للدين بقدر الطاقة : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا ءَاتَكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفُسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧] .

الحق جل جلاله يريد منا أن نعرف الحق حتى نترك كل ما سواه ، وكل ما سوى الله من المعبودات باطل ، الله هو المعبود بحق ، هو الحق ، المعبود بالحق ، الذي رسله حق ، وكتبه حق ، ووعدته حق ، هو المعبود بحق ، وما سواه معبود بباطل : ﴿ فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢] .

الله <sup>عَلَّمَ</sup> خلق الإنسان محتاجاً إلى غيره ، فهو أما عابد لهواه ، أو عابد لمولاه ، الإنسان

إما عابد لله ، أو عابد لعبد الله ، وكل ما سوى الله عبد لله بقهر الربوبية .  
والله هو الواحد القهار الذي خلق السموات والأرض ، وخلق ما فيهن من مخلوقات .  
الواحد القهار قهرها على ما يريد ، الله يريد سماءً تكون سماءً ، يريد أرضاً تكون  
أرضاً ، يريد ليلاً يكون ليلاً ، يريد هذا ذكراً ، وهذا أنثى ، هذا أبيضاً ، وهذا أسوداً  
فيكون ما أراد ، هذا قهر الربوبية ، وقهر الربوبية ملازم له عطاء الربوبية ، فالله خلق  
الخلق جميعاً المؤمن ، والكافر ، والإنسان ، والحيوان ، وتكفل بأرزاقهم ، هياً  
السكن قبل أن يأتي الساكن إلى هذه الأرض .

ملاًها الحق بالأرزاق والهواء العام الذي يستنشقه منه كل إنسان ، والماء الذي يشرب  
منه كل إنسان وحيوان ونبات ، وبلاد مستقرة ، وما على الأرض من المائدة  
المستديرة التي يجلس عليها جميع الخلائق من الحيوانات ومن البشر : ﴿ وَمَا مِنْ  
دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٦] ﴿

[هود: ٦] .

هذا عطاء الربوبية ، لأن الله خلق الخلق ، واستدعاهم للحياة ، فلا بد أن يؤمن لهم  
أرزاقهم ، هذا عطاء عظيم لجميع الخلائق ؛ لأن الملك ملكه ، والخلق خلقه ،  
فلا بد أن يرزقهم من الطعام والشراب ما يكفل الحياة .

وهناك نعمة أخرى أعظم هي عطاء الألوهية ، وهي الدين الكامل : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ  
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣] .  
فلله الحمد على عطاء الربوبية ، وعطاء الألوهية : ﴿ وَمَا يَكُفُّمِنْ نِعْمَتِي فَمَنْ لَمَّا إِذَا  
مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالِيهِ تَجَعُّوْنَ ﴾ [النحل: ٥٣] .

عطاء الألوهية لكل الخلق ، وعطاء الربوبية لكل الخلق ، لكن أكثر الخلق قبل عطاء  
الربوبية ، وتنعم به ، وترك أو أعرض عن عطاء الألوهية ، فكفر بالله ، واتبع هواه :  
﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى  
مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠] .

ومن عرف عطاء الربوبية العظيم ، وعرف عطاء الألوهية الكبير ، آمن بالله رباً ،  
وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولا : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ

شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

عطاء الألوهية هو الذي يربط المخلوق بخالقه فيؤمن به ويعبده ، ويربط المخلوق بأعلى المخلوقات وأعظمها طاعة الله وهم الملائكة ، ويربط المخلوق بالمخلوق دعوة وتعاملاً وسلوكاً ، ويربط المخلوق بكتاب ربه ، وبالرسل والأنبياء : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢] . هذا هو الملك الحق الذي شرعه كله حق ، وكتبه كلها حق ، فيجب علينا الإيمان به وطاعته .

ربنا جل جلاله يريد منا أن نكون في أعلى درجات الكمال الإنساني في الدنيا ، وذلك يتم بالإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره : ﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

والقرآن العظيم الذي أنزله الحق جل جلاله على خلقه رحمة ونوراً ، وهدى وشفاء : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

والله ﷻ يهدي بهذا القرآن الكريم من اتبع رضوانه سبيل السلام .

يهدي إلى سبيل السلام مع الله ، بالإيمان بالله ﷻ ، وتوحيده ، وعبادته وحده لا شريك له ، هذه سبيل السلام ، أن يسلم الإنسان في الحياة لربه ، ويسلم وجهه إلى الله الذي يجيب دعاءه ويرزقه ، ويرحمه ويثبته : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ٢٢] .

ويهديه إلى سبيل السلام مع النفس بحملها على طاعة الله ، وحفظها مما يغضب الله ، لتفلح في الدنيا والآخرة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧-١٠] .

فعلى كل مسلم واجبان :

الأول : واجب علمي : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَلِّكُمْ ﴾ [١٩] ﴿ [محمد: ١٩] .

الثاني : واجب عملي : ويتحقق بخمسة أمور :

طاعات يؤديها ، ومعاصي يجتنبها ، ونعم يشكر الله عليها ، وذنوب يستغفر الله منها ، ومصائب يصبر عليها : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] ﴿ [الحج: ٧٧] .

هذا القرآن يهدي إلى هذه السبل العلمية والعملية والأخلاقية ، يهدي إلى سبل السلام مع النفس بحملها على الإيمان بالله وطاعته ، وحفظها مما يغضب الله ، من فعل المحرمات والكبائر لتسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ [الرعد: ٢٩] ﴿ [الرعد: ٢٩] .

ويهدي هذا القرآن إلى سبل السلام مع الناس ، بحب الخير للناس ، والاحسان إليهم بدعوتهم إلى الله وعبادة مريضهم ، والصدقة على فقيرهم ، وتعليم جاهلهم ، ومحبة المؤمنين ، والتعاون معهم على البر والتقوى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ الْعَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٣٤] ﴿ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

ويهدي هذا القرآن إلى سبل السلام مع الأعداء ، بالعدل معهم ودعوتهم إلى الله ، وإخراجهم من سبل الضلال والظلام إلى سبل النور والهداية ، ويهدي إلى سبل السلام مع كل ما في الكون : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [١٥] ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦] .

هذا القرآن العظيم الذي أنزله الحق يريد منا أن نسير على هذا المنهج العظيم في حياتنا ، ولن نعمل به حقاً حتى نعرف من أنزله حقاً بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونعرف ملكه وسلطانه ، ونعرف عظمة نعمه وإحسانه ، فإن معرفتنا قاصرة جداً عن معرفة الله ، ومعرفة أوامره ، ومعرفة ما يجب له من التعظيم والحب والذل له ، لأن الله عظيم

عظيم ، والكلام عن العظيم عظيم ، والكلام عن الكبير كبير : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

إذا أخذنا درساً في الأوامر والأحكام فيجب أن نأخذ عشرة دروس في معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فمعرفة الله لا تتناهى ؛ لأن الله له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، وله الأفعال الجميلة ، وله المثلى الأعلى في السموات والأرض : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

نحن نمدح المصنوعات ، ونمدح الإنسان عمل كذا وعمل كذا ، وصنع واخترع وابتكر ، ونثني على المخلوق ، فكيف لا نثني على الخالق : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

فعبودية اللسان يجب أن تكون مقصورة في طاعة الله ﷻ فقط .

• وطاعة الله باللسان محصورة في أمرين :

إما أن تتكلم عن الله .. أو تتكلم معه .

فالكلام عن الله هو الدعوة ، والكلام معه هو العبادة ذكراً ودعاءً وتسييحاً واستغفاراً . هذا اللسان إما أن يتكلم عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونعمه وإحسانه ، ليعلم القلب أن الله هو الواحد القهار ، وأن له ملك السموات والأرض ، وأنه لا إله إلا هو الحي القيوم ، ويدعو الناس إلى معرفته وعبادته ، فيقول : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] .

أو يتكلم مع الله بالعبادة فيقول : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَغْفِرٌ لَّنَا وَتَرْحَمًا لَّنَكُونَنَّ مِن

الْحَسِيرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

أو يقول : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ [النمل/ ١٩] .

أو يقول : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ [المؤمنون/ ١١٨] .

أو يقول : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨] .

أو يقول : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣] .

فهذه عبودية اللسان الكلام عن الحق سبحانه بالدعوة، والكلام معه في العبادة.

فكل مسلم يقف بين يدي ربه في الصلاة ويقول الله أكبر ، فمن أحب أن يكلم الله فليدخل في الصلاة يتكلم مع ربه يكبره ، ويحمده ، ويسأله ، ويستغفره ، ثم يقدم التحية له في آخر الصلاة ، ثم يصلي ويسلم على من كان سبباً في وصول الحق إليه . ومن أحب أن يكلمه ربه الحق فليقرأ كتابه الذي كله أخبار وأوامر منه .

الله أكبر مفتاح الصلاة ، فكبره لأنه هو الملك الحق الذي يستحق التكبير ، هو الملك الحق ، فالذي يريد الدخول على السلطان العظيم ليسأله ، يتحلى بأحسن الأخلاق والأدب ، ويطهر نفسه من الأنجاس والأدناس ، وهكذا حال المصلي بين يدي ربه ، يقف بين يدي ربه العظيم بالتوحيد والإيمان ، والخضوع والخشوع ، ويطهر نفسه مما سوى الله ، ويطهر نفسه من دنس الذنوب بالتوبة ، ويطهرها من دنس الحرام والمشتبه بتركه ، ويطهرها من الالتفات لأعماله لا يدلي بها على ربه ، ويطهرها من الالتفات إلى حسناته ، ويطهرها من الالتفات إلى حوله وقوته ، ويقف بين يدي الله العظيم الكبير بالذل والافتقار للملك الحق العزيز الجبار : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١﴾

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ [المؤمنون: ١-٢] .

وحتى تأتي في قلوبنا عظمة الكبير جل جلاله ، عظمة الملك الحق جل جلاله ، الله عز وجل لنا هذه الصلوات الخمس ، حتى نعرف ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونؤدي الواجب له من تكبير وتسبيح ، وحمد وشكر ، وسؤال واستغفار ، وتحيات

وصلوات ، فالمسلم إذا وقف بين يدي ربه في الصلاة يقول الله أكبر ، وإذا أراد أن يعرف معنى هذه الكلمة العظيمة فليذكر بقلبه أن الله أكبر من كل شيء ، أكبر مما عرفت ومما لم تعرف .

وإذا أردت أن تعرف عظمة الله وكبريائه فقبل أن تقول الله أكبر استحضر في نفسك جميع مخلوقات الله من عالم الأجسام .

استحضر عظمة العرش والكرسي ، وعظمة السماوات السبع ، وما فيهن من المخلوقات ، واستحضر الفضاء العظيم ، وما فيه من مخلوقات ، واستحضر الأرض وما عليها من الجبال والبحار والأنهار ، والنباتات ، والمخلوقات العجيبة من الدواب التي تدب على ظهرها .

واستحضر البحار ، وما فيها من مخلوقات عظيمة ، حتى تعلم أن الله أكبر ، حتى يخشع القلب ، وتخضع الجوارح ، ويستسلم الإنسان لربه الحق استسلام محبة وخضوع وتذلل ، ويجد اللذة في هذه المناجاة .

تستحضر عالم الأجسام ، وتستحضر عالم الأرواح ، تستحضر عالم الملائكة ، تستحضر جميع الأرواح في جميع الكائنات ، ما من حي إلا وفيه روح الحياة ، استحضر الأرواح في جميع المخلوقات ، واستحضر في عقلك جميع ما في هذا الفضاء وفي هذا العالم من الجماد ، عالم الجماد عالم عظيم ، عالم يسبح بحمد ربه ، ويشهد له بالوحدانية ، والكل خاضع لعظمة الحق ، ومسرع إلى إرادته ، ومستجيب لمشيئته : ﴿ تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

حليماً عليكم ، الله ﷻ أنزل عليكم الحق فقبله بضعكم ، وبعضكم لم يقبله ، ومن قبله لم يقم به كما يجب أو كما يليق بجلال الله ، إنه كان حليماً على من عصاه ، غفوراً لمن أذنب .

وجميع المخلوقات تسبح بحمد ربها ؛ لأن جميع المخلوقات اختارت أن تكون مجبرة مسخرة مطيعة لله ، مسخرة على التسبيح ، وعلى التحميد ، وعلى أداء وظيفتها، أما هذا الإنسان فهو الذي اختار أن يكون مخيراً لا مسيراً : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ  
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ  
مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج: ١٨] .

فتتذكر عالم الجماد ، وأن الله رب الجماد ، ورب السماوات والأرض وما فيهن ،  
ورب الدنيا والآخرة ، ورب العرش العظيم ، وتذكر أن هذه المخلوقات كلها تكبر  
الله ، وهي دالة على كبريائه ، وعظمة ملكه ، وكمال قدرته .

وتتذكر عالم النبات ، وما فيه من المخلوقات المختلفة التي تدل على صفة الجلال  
والجمال للملك الحق جل جلاله .

وتتذكر الحيوانات التي تدل كذلك على صفة الجلال والجمال للملك الحق ، والله  
أكرمنا بهذه الأطعمة ، النباتات على موائدنا ، والحيوانات على موائدنا .

وتتذكر المعادن المختلفة التي في بطون الجبال ، هذه الجبال أرحام للمعادن  
النفيسة ، في الجبال أكثر من مئة معدن من المعادن من الذهب ، والفضة ،  
والحديد ، والرصاص ، والنحاس وغيرها من المعادن : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ  
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا  
وَعَرَابِيْبٌ سُودٌ ﴾ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى  
اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨] .

فالأرض رحم كبير للنباتات ، والأنثى رحم للمواليد ، واللسان رحم للكلام ،  
يخرج منه الكلام ، ولكن كلام اللسان إما داء وإما دواء ، فإن صدر من القلب حقاً  
فهو دواء وشفاء ، وإن صدر من اللسان دون القلب فهو داء وبلاء .

وتنظر إلى عالم الذرات والهباءات في الكون ، كل هباءة في الكون ، كل ذرة في  
الكون ، من أصغر ذرة إلى العرش العظيم ، لها ثلاثة أوامر من ربها :

أمر بالإيجاد . . وأمر بالبقاء . . وأمر بالنفع والضرر .

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥٤) [الأعراف/ ٥٤] .

خلق الله الكبير والصغير ، وخلق العالي وخلق السافل ، وخلق الرطب ، وخلق  
اليابس ، وخلق الجماد ، وخلق النبات ، وخلق البر وخلق البحر ، هو خالق كل شيء

جل جلاله ، له الخلق ، وله التصريف والتدبير ، والتحريك والتسكين ، في ملكه العظيم : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ ﴾ (٣١) ﴿ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرِفُونَ ﴾ (٣٢) [يونس: ٣١-٣٢] .

لله وحده الأمر الكوني ، والأمر الشرعي ، والأمر الجزائي ، له الأوامر كلها ، وبيده الخلائق كلها ، فالله ﷻ يريد منا إذا أردنا أن نقف بين يديه في الصلاة أن نتذكر عظمة الله ﷻ بذكر عظمة مخلوقاته ، فننتقل من المخلوق إلى الخالق ، ومن الصور إلى المصور ، ومن المرزوق إلى الرازق ، ومن العادات إلى السنن ، ومن الدنيا إلى الآخرة : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٥) ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَىٰ وَوَعْدُ اللَّهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦) ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ (٧) [الحج: ٥-٧] .

ننظر إلى ذرات الهباء ، وذرات الرمال والجبال ، وقطرات المياه والبحار ، ثم نرقى منها إلى السماء الدنيا ونتفكر في عظمتها وارتفاعها ، ثم نرقى من سماء إلى سماء ، وما فيها من مخلوقات تسبح الله ، حتى ننتهي إلى سدرة المنتهى ، والكرسي الكريم ، والعرش العظيم : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٦) ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٧) ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (٨) ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ (٩) ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ (١٠) ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (١١) ﴿ [ق: ٦-١١] .

ثم ننتقل من عالم الأجساد الظاهرة إلى عالم الأرواح العلوية والسفلية الخفية كالملائكة والجن ، ثم نقول في كل ركوع وسجود ، وفي كل خفض ورفع ( الله أكبر ) ثم نقول بعد السلام لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

فالله أكبر من أن يشبهه أحد من خلقه ، والله أكبر من كل ما سواه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١١) [الشورى/ ١١] .

هو الكبير الواحد الأحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .

ولهذا استحق الحمد كله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

هذا هو الملك الحق الذي إذا عرفناه وجب علينا أن نطيعه ، ونتبع أمره الحق ، وكتابه الحق ، لنصل إلى وعده الحق جل جلاله ، فالله أكبر من أن يشبهه أحد من خلقه ، والله أكبر من أن تصل إليه عقول الخلق وأفهامهم ، لا يمكن لإنسان أن يتصور نعيم الجنة ، بل العقل لا يدرك الروح التي في بدنه ، فكيف يدرك نعيم الجنة ؟ ! .

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٧] .

فكيف يدرك أو يحيط بعظمة الله ﷻ ، الله أكبر من أن تصل إليه عقول الخلق وأفهامهم ، لو جمعنا جميع ذرات الدنيا والآخرة ، ووهبناها أكبر العقول ، ثم شكلناها على عدد الهباءات والذرات في الكون ، ثم أمرناها أن تخطب في عظمة الله ، وتتكلم عن عظمة الله ما قدرت الله حق قدره ، فلا يعرف الله على الحقيقة إلا الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] .

والله أعطانا من معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله ما يدعونا إلى محبته وتعظيمه وعبادته ، فالله عظيم ، والكلام عنه عظيم ، ودينه عظيم ، وملكه عظيم ، وثوابه عظيم ، فلا بد لنا أن نعرف الحق سبحانه ، وأن نتبع الحق ، ونمثل أمر الحق: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

ولكي نعرف هذا لا بد أن نجلس في المجالس الإيمانية ، نجلس في موائد الإيمان بعيداً عن كل جدل وخلاف ، نعرض الحق صافياً ، الماء الصافي يشربه الإنسان بدون تفكير ، لكن الماء الملوث ينظر ويتفكر ماذا فيه ؟ كذلك الوحي الإلهي الله ﷻ عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله في كتابه المقروء وهو القرآن ، وفي كتابه المنظور وهو هذا الكون ، فلا بد أن نعرف الله ﷻ حتى نتأدب عند مناجاته وعبادته كأننا نراه .

فنقول الله أكبر أن يشبهه أحد من خلقه ، الله أكبر من أن تصل إليه عقول الخلق وأفهامهم وأوهامهم ، الله أكبر من أن يقدر الخلق على أداء حق عبوديته ، سبحانه ما عبدناك حق عبادتك : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فطاعات الخلق قاصرة عن القيام بحقه العظيم ، لأن نعم الحق على الخلق لا تعد ولا تحصى .

يتنفس الإنسان يومياً بالمعدل العادي أربعة وعشرين ألف نفس ، كل نفس نعمة من الله ، وكل نعمة يجب أن نشكر الله عليها ، هذا النفس يجب أن يكون في الحق لا في الباطل ، في الخير لا في الشر ، في طاعة الله لا في معصية الله ، كم نفس تتنفس في طاعة الله ، وكم نفس تتنفس في معصية الله .

فليستح العبد من ربه أن يسكن في ملكه ، ويأكل من رزقه ويعصيه بنعمه ، فلولا رحمة الله بمن عصاه لعاجلهم بالعقوبة : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ١٨ ﴾ [النحل/١٨] .

﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

ظلوم كفار ، لأنه لم يجلس على موائد الأنبياء ، لم يسمع الكلام عن الله ، وعن رسوله ، وعن دينه الحق ، فإذا جلسنا في مجالس العلم تعلمنا كيف نعبد الله ، وإذا جلسنا في مجالس الإيمان نتعلم معرفة الله ، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، لأن أعلى درجات الإيمان هي معرفة الله ، ثم نكلمها ببقية المعارف ، فكمال الإيمان يحصل بمعرفة أركان الإيمان الستة وهي الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

فإذا جاء الإيمان الكامل جاءت العبادات كاملة ، وأكرمنا الله بالشواب الكامل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

فالله أكبر من أن يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته ، وطاعات جميع الخلق قاصرة عن القيام بحقه ، وأسماعهم وأبصارهم وعقولهم قاصرة عن معرفة كمال كبريائه : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

كبرياؤه لا بداية له ولا نهاية له ، عظمته لا بداية لها ولا نهاية لها ، قوته لا بداية لها ولا نهاية لها ، ذاته لا بداية لها ولا نهاية لها ، كرمه لا بداية له ولا نهاية له ، ولا أول له ولا آخر.. وهكذا في بقية الأسماء والصفات .  
الله أكبر عن معرفة كنه سرمدية الله ﷻ .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٨) [طه/٨] .

الله أكبر عند الدخول في الصلاة ، إقرار من العبد لربه بالكبرياء ، إقرار من القلب ، يظهره اللسان ، وتحققه الجوارح ، الله أكبر في الصلاة إذا رأيت الملك والملكوت ، إذا رأيت أنك تقف أمام ربك الحق حتى تؤدي الصلاة كما يجب ، وكما يليق بجلال الله ﷻ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٧) [الزمر/٦٧] .

فالله بين لنا أسماءه وصفاته وأفعاله ، وجلاله وكبريائه ، لنعلم أن الله هو الكبير ، وإذا عرفت الكبير فليس لي حاجة بالصغير ، الكبير هو الملك الحق فاعبد الكبير وحده ، وإذا عرفت الكبير فليس لي حاجة إلى الصغير ، وإذا عرفت الغني لم أقف بباب الفقير ، وإذا عرفت الكريم سألته ، لأنه يعطيني من غير منة ، أن يمتن علي ربي الغني الكريم أحسن من أن يمتن علي ويدلني من هو مثلي من البشر ، فإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، لأنه صمد ، ملك حق ، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، خزائنه مלאى ، ويده سحاء بالعطاء ، الليل والنهار ، يعطي جميع الخلائق جميعاً في وقت واحد ، ولا ينقص ما ينفق على خلقه مثقال ذرة من خزائنه ، لماذا ؟ لأن خزائنه كن فيكون .

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢) ﴿ فَسَبِّحْ لِلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣) [يس: ٨٢-٨٣] .

والمحدود إذا أخذ من المحدود نقص ، مائة ريال أخذنا منها عشرة صارت تسعين ، لكن المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ [ص: ٥٤] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ ، قَامُوا فِي صَبْعِيٍّ وَاحِدٍ ، ثُمَّ سَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ ، لَا نَقُصُّ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ » أخرجه مسلم (١) .

الملك الغني الحق هو الذي لا تنقص خزائنه أبداً ، فلو نقصت لعاد محتاجاً إلى ما نقص ، والله منزه عن ذلك ، ومن نقصت خزائنه فليس بملك ، إنما هو مالك ، والله مالك الملك ، ومالك الممالك ، ومالك ما يملكون : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

أنا مالك لثوبي ، مالك لسيارتي ، مالك لبيتي ، لكن الله مالكني ، ومالك ما أملك ، فهو ﷻ مالك يوم الدين يوم القيامة : ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ﴾ [غافر/ ١٦] .

فتسكت الخلائق فيجب نفسه : ﴿ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [غافر/ ١٦] .

هذا هو الملك الحق الذي يجب أن نعبد وحده لا شريك له ، ونقضي أوقاتنا كلها إما في الكلام عنه بالدعوة ، أو في الكلام معه في العبادة .

الكلام عنه : بالثناء عليه بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، والدعوة إليه بين الناس .

والكلام معه : أن أعبد ، وأتلو كتابه ، وأذكره وأدعوه ، وأسأله وأستغفره ، وأحمده وأشكره .

ومن أحب أن يكلم الله ، فليدخل في الصلاة ، ومن أحب أن يكلمه الله فليقرأ القرآن والله يكلمك في القرآن في أمرين : إما بإخبار ، وإما بأوامر .

الأخبار : أخبار عن نفسه ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧ .

أو أخباراً عن خلقه عن السماوات ، والأرض ، والجنة ، والنار ، والمخلوقات الأخرى : ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر/ ٦٢] .  
والأوامر : يطلب منك أن تفعل كذا ، وتترك كذا : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا نُقِدْ مَوْأً لِّأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة/ ١١٠] .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] .

الملك الحق جل جلاله هذا مُلْكُهُ ، وهذا سُلْطَانُهُ ، وهؤلاء خلقه ، والله جعل من خَلَقَهُ في هذا الطرف الكبير هذا الإنسان ، ويُريد من هذا الإنسان أن يتبع الرُّسُلَ ويتصف بصفات الرسل ، لأن أفضل البشرية هم الرُّسُلُ .

فأصح المخلوقات مِزَاجًا هم البشر ، وأصح البشر مِزَاجًا هم المؤمنون ، وأصح المؤمنين مِزَاجًا هم الأنبياء والرُّسُلُ ، وأصح الأنبياء والرُّسُلُ مِزَاجًا هم أولو العزم (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم الصلاة والسلام ، وأصح أولي العزم مِزَاجًا هم الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وأصح الخليلين مِزَاجًا هو محمد ﷺ ، الذي كان أحسن الناس خَلْقًا وَخُلُقًا وكان خلقه القرآن ، وجمع الله فيه صفات الأنبياء والرسل : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] .

والله سبحانه وتعالى ربي أنبياءه ورسله على أحسن الصفات ، وفضل بعضهم على بعض : فمنهم مَنْ أعطاه المُلْكُ والسلطان كداود وسليمان ، ومنهم مَنْ تحلى بالزُّهد كزكريا ويحيى ، وغيره من الأنبياء ، ومنهم مَنْ أعطاه الله القوة في الحجّة كموسى ، ومنهم من كلمه الله كموسى ، ومنهم من اتخذه الله خليلاً كإبراهيم .

ثم جَمَعَ الله جميع صفات الأنبياء والرسل في سيد الأنبياء ﷺ ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء .

فالأخلاق الحسنة حلية يتحلى بها النموذج الذي يُريد الله أن يكون الناس مثله ، وهم الأنبياء فالله ﷻ مثلاً في الصلوات الخمس أعطانا وقتاً خاصاً للصلاة ، فالله يُريد منا أن نُصلي لله في كُلِّ وقت ، ونتعبد لله بكلِّ جارحة من جوارحنا ، حتى تكون حياتنا

خارج الصلاة كما هي داخل الصلاة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١١٦] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .  
 كذلك الله ﷻ أرسل الرُّسل ، واصطفاهم ، واجتباهم ، واختارهم ، وعلمهم ، ثم أرسلهم إلى البشر بالأقوال التي يُحِبُّها ، والأفعال التي يُحِبُّها ، والأخلاق التي يُحِبُّها ، ليكونوا قدوة للناس .

فالله فرق الصفات العالية في الأنبياء ، ثم جمعها في سيد الأنبياء ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فكونوا خير أمة ، ولا تكونوا شر أمة ، وكونوا أحسن أمة ، ولا تكونوا أسوأ أمة .  
 كنتم خير أمة : بالإيمان ، بالتوحيد ، باليقين ، بالإعمال الصالحة ، بالبر ، بالإحسان ، بالدعوة ، بالعلم ، بالأخلاق الحسنة .

فاجتهدوا لتُخْرِجُوا النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ، كما اجتهد الأنبياء لإخراج الناس من الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، فلا نكون شر أمة ، ولا نكون أسوأ أمة .  
 ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

فقد اجتباكم من بين الأمم : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّثْلَ مَا أَنزَلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

فالله اختاركم من بين الأمم كما اختار الأنبياء من بين البشر ، وشرفكم بأعمال الأنبياء والرسل ، وهي الدعوة والعبادة : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجَدُوا وَعِبَدُوا رَبَّهُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] .

والتكاليف الشرعية دون الطاقة البشرية ، جميع التكاليف الشرعية ميسرة :  
 الصوم شهر في السنة ، والصلوات خمس ساعة في اليوم ، والزكاة اثنان ونصف

بالمائة لمن عنده مال ، الحج في العمر مرة .  
 وقت قليل ، الله يُكلف بالعمل القليل ، ويُعطي العطاء الجزيل لماذا ؟ لأن عطاء  
 المخلوق على قدر المخلوق لكن عطاء الله على قدر شأنه .

ولهذا أول عطاء الله أن الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ،  
 إلى عطاء بغير حساب ، فهذا كله يدخل في الموازين ، لكن هناك عطاء خاص  
 للخواص ، هذا أمر مخفي عنده ، يعطيه تكمراً منه بلا عمل من العبد بحسب ما يعلم  
 من العبد من الخضوع ، والخشوع ، والذل ، والانكسار ، وكمال الإيمان والتقوى :  
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا  
 عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ٤٠] .

فطاعاتنا ، وعبادتنا ، قاصرة عن حقه جل جلاله ، فقولنا الله أكبر عند الدخول في  
 الصلاة إقرار للملك الحق جل جلاله بالكبرياء ، وإقراراً من أنفسنا بالذلة للملك  
 الحق جل جلاله ، ثم ينزل الإنسان من صفة الكبرياء إلى صفة العظمة ، فتقول في  
 الركوع سبحان ربي العظيم ، الكبرياء أعظم شيء ، قال الله ﷻ في الحديث القدسي  
 قال رسول الله ﷺ : «الكبرياءُ ردائي ، والعز إزاري» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup> .  
 والرداء أكبر من الإزار ، لأنه يغطي الإزار .

فاعلي أحوال الإنسان أن يكون قائماً ، فكذلك يقوم في الصلاة ، ثم يقول قائماً الله  
 أكبر ، ثم ينزل درجة ، ويقول سبحان ربي العظيم ، ينتقل من صفة الكبرياء إلى صفة  
 العظمة ، فيقول في الركوع سبحان ربي العظيم .

هو العظيم بذاته وأسمائه وصفاته ، العظيم بأفعاله ، العظيم بملكه وسلطانه ، العظيم  
 بآياته ومخلوقاته ، أقول ذلك لتأتي في قلبي عظمة ربي جل جلاله ، فهو ملك عظيم ،  
 وملكه عظيم ، وكتابه عظيم ، وأمره عظيم ، وثوابه عظيم : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ  
 الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا  
 بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٦٢٠ .

كُرْسِيِّهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُتَوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فتأتي في القلب عظمة الرب بعد أن عرفت كبريائه ، ثم تنزل من صفة العظمة إلى صفة العلو ، فتقول سبحانه ربي الأعلى في السجود ، فأنت في أدنى درجات السفلى ، والله ﷻ في أعلى درجات العلو ، تقول سبحانه ربي الأعلى ، وربّي الكبير ، وربّي العظيم ، هو العليّ الأعلى ، عليّ بذاته ، وأسمائه وصفاته ، وأفعاله . فتقول سبحانه ربي الأعلى ؛ لأن السجود أكثر تواضعاً من الركوع ، وأنت في أدنى درجات الدّل والصغار ، والله في أعلى درجات الكبرياء ، والعظمة ، والعلو ، فهذه الحال أعظم شيء في الصلاة .

ولهذا الله ﷻ يريد أن نقف بين يديه عبيد ؛ لأن هو الملك نقف بين يديه عبيد متذلّلين لله ، نحن حقاً عبيد ونتشرف أن نكون عبيد للملك الحق .

ولهذا العبد يفتخر بسيدّه ، إبراهيم ﷻ افتخر بربه ، والكافر يفتخر بملكه أو ماله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٥٨] .

ولهذا الله ﷻ سن لنا في الصلاة قراءة الفاتحة ، وسورة الفاتحة هي موجز القرآن ، وباقي القرآن تفصيل للفاتحة .

سورة الفاتحة في كل يوم نقرؤها أكثر من أربعين مرة في كل ركعة من الفرائض أو النوافل .

في سورة الفاتحة خمسة من أسماء الحق جل جلاله ، وهي : الله ، والرب ، والرحمن ، والرحيم ، والمالك .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢-٤] .

في الفاتحة خمسة من أسماء الرب ، وخمس من صفات العبد .

أسماء الرب : الله ، الرب ، الرحمن ، الرحيم ، المالك ، أو الملك .

وأما صفات العبد فهي خمس : صفة العبودية ، وصفة الاستعانة ، وطلب الهداية ، وطلب الاستقامة ، وطلب أحسن النعمة .

فالعبودية : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة/ ٥] .

وطلب العون : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥] .

وطلب الهداية : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة/ ٦] .

وطلب الاستقامة : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة/ ٦] .

وطلب النعمة التي هي الدين : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة/ ٧] .

وهم الذين عرفوا الحق ، واتبعوه .

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة/ ٧] .

وهم الذين عرفوا الحق وتركوه ، واستكبروا عنه .

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة/ ٧] .

وهم الذين ضلوا عنه .

فانطبقت تلك الأسماء الخمسة للرب جل جلاله على أحوال العبد الخمسة ، كأنه

قيل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة/ ٥] .

لأنك أنت الله المحبوب المألوه ، نعبدك ، لأنك أنت الإله الذي لك الكبرياء في

السموات والأرض ، ومنك كل نعمة ، فنعبدك لأنك أنت العظيم الكبير ، أنت الذي

لك الأسماء الحسنى والصفات العلا ، و أنت المنعم بكل نعمة ، والمتفضل بكل

فضل ، فنحن نعظم الله ونحب الله لماذا ؟ لأنه هو الذي خلق كل شيء ، وهو رب

كل شيء ، وهو الذي من علينا بالنعمة المادية والنعمة الروحية : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٤]

[الأنعام: ١٠٢] .

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥] .

لأنك أنت الرب الذي يربي العباد ، أنت رب العالمين ، أنت رب السموات ، ورب

الأرض ، ورب العرش الكريم ، ورب الإنس ، ورب الجن ، ورب الرياح ، ورب

النباتات ، ورب الحيوانات ، ورب البحار ، ورب الجبال ، فأنت القادر على كل

شيء : ﴿تَبَرَكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] .

نستعين بك ، لأنك أنت الذي تملك القوة ، والقوة صفة ذاتية للملك الحق ، كل قوة

في كل مخلوق من قوته ، الله هو القوى الذي عنده خزائن القوة ، والذي أعطى القوة كل قوى فصار قويا بتقوية الله ، ولو رفع عنه القوة لعاد ضعيفا .

الشمس فيها قوة الإنارة ، والقادر ﷻ يخرق ناموس الشمس بالكسوف ، والنار فيها قوة الإحراق فسلب الله قوة الإحراق لإبراهيم فكانت برداً وسلاماً عليه .

والبحر فيه قوة الإغراق ، والله ﷻ نزع عنه هذه القوة فصار طريقاً يساً لموسي ﷺ ، وهكذا الله ﷻ كل صفة من صفاته الذاتية لا بداية لها ولا نهاية ، ولا أول لها ولا آخر :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨] .

لكن الصفات الفعلية كالخلق والرحمة ، فالله يخلق ما يشاء ، متى شاء ، ويرحم من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، أما الصفات الذاتية كالقوة والعلم والقدرة هذه صفات ذاتية لله ، لا تنفك عنه أبداً .

﴿ وَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِيبُ ﴾ [الفاتحة/ ٥] .

لأنك أنت الملك ، الحق ، القوى ، القادر ، القاهر ، الوكيل على كل شيء ، الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ؛ أنت الرب ، لأنك أنت ، رب العالمين ، رب السماوات والأرض ، رب الدنيا والآخرة ، رب جبريل وميكائيل وإسرافيل . أنت القوى القادر الذي خلق كل قوى وقادر .

جبريل له ستمائة جناح لو مد منها جناحاً لسد الأفق ، فسبحان من أقدره .

وإسرافيل ينفخ في الصور نفخة واحدة فتموت جميع الخلائق ، ثم ينفخ فيه أخرى فتحيا جميع الخلائق ، هذه قوة نفخته فكيف بقوة بدنه ! ، فكم تكون قوة من خلقه ؟ جبريل بطرف جناحه اقتلع خمس قرى من قرى قوم لوط الذين كانوا يفعلون الفاحشة فقلبها عليهم .

كيف لو استعمل جميع جناحه ! كيف لو استعمل عشرة أجنحة ! كيف لو استعمل الستمائة جناح ! هذه قوة أجنحته فكم تكون قوة رجله ، وكم تكون قوة جميع بدنه ، وإذا كانت هذه قوته ، فكم تكون قوة وعظمة من خلقه ! : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١] .

الجبال فيها قوة ، والنار فيها قوة ، والماء فيه قوة ، والحديد فيه قوة ، والرياح فيها

قوة وأشد جنود الله عشرة كما مر معنا .

هذه المخلوقات العظيمة الحق خلق فيها القوة ، فكيف بقوة القوي الذي خلقها ! .  
القوي جل جلاله هو الذي خلقني وصورني في بطن الأم ، وكمل أعضائي  
وجوارحي الظاهرة والباطنة ، ثم أخرجني إلى هذه الدنيا ، وأمرني بأمرين :  
تكميل الإيمان ، وتكميل الأعمال الصالحة .

تكميل محبوباته هو ليكمل محبوباتي يوم القيامة ، و في القبر يستضيفني حسب  
عملي ، إما في روضة من رياض الجنة ، أو في حفرة من حفر النار ، وفي يوم القيامة  
الله يستضيفني في دار الكرامة أو دار الإهانة ، في الجنة أو النار : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ  
وُجُوهٌُ وَسَوْدُوُ وُجُوهٌُ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا  
كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾  
[ آل عمران: ١٠٦ - ١٠٧ ] .

هذه الحياة يجب علينا أن نفهم من الحق ؟ ، وماذا يريد الحق مني ؟ ، وماذا أريد أنا من  
الحق ؟ ، وكيف أعرف صفات الحق ؟ وكيف أعمل بأمر الحق ؟ وكيف أنال ثواب  
الحق جل جلاله ؟ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَنَّهُ  
أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [ الطلاق: ١٢ ] .

الله ﷻ يريد منا أن نجلس في موائد الإيمان ؛ حتى نتعلم هذه الأمور ، فيزداد الإيمان ،  
ثم تزيد الأعمال ، كالتجار يعملون في الأسواق لتزيد أموالهم ، ثم تزيد أشياءهم ،  
كذلك نحن نجتهد على الإيمان حتى يزيد ، وإذا زاد الإيمان جاءت الطاعة ، ثم  
تنوعت الطاعات ، ثم صلحت الحياة ، ثم جاء رضوان الله ﷻ ، ثم ازداد هذا الرضا  
عند الموت ، ثم ازداد في القبر ، ثم ازداد في الجنة حيث يكمل النعيم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ ﴾ [ البينة: ٧ - ٨ ] .

في مجالس الإيمان يزيد الإيمان ، وفي مجالس الغفلة ينقص مؤثر الإيمان ، فتأتي  
المعاصي ، ثم تتنوع المعاصي ، ثم تفسد الأحوال ، ثم يأتي سخط الله ، ثم يزداد  
الإنسان شقاءً في حياته ، ثم يزداد شقاؤه عند موته ، ثم يزداد شقاؤه في قبره ، ثم

يبلغ كمال الشقاء في نار جهنم حيث الخلود الأبدي ، والشقاء الأبدي ، والعذاب الأبدي ، والعذاب الأليم ، والعذاب المقيم ، والعذاب المهين ، والعذاب الكبير ، والعذاب العظيم ، هذه صفات العذاب في جهنم .

والعذاب على قدر قوة المَعْدَب ، إذا عذب الله فكيف يكون عذابه ! .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نَصَّجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/ ٥٦] .

فلا بد أن نعرف هذا المسائل ، حتى نقف بين يدي الله في الصلاة بكمال الحب لله ، وكمال التعظيم له ، وكمال الذل له : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

لأنه الهادي ، لأنه الرحمن ، أنا طلبت منه أن يهديني الصراط المستقيم ، لأنه الرحمن الذي أرحم بي من نفسي ، وأرحم بالإنسان من الأم الشفيقة بولدها : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [١] الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٣] [الفاتحة/ ١-٣] .

يبين أنه الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، حتى نرغب في الاستقامة ، نرغب في الطاعة ، ونحذر من المعصية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ قَدِيمًا مِّنذُ بَنِي إِدْرِيسَ وَمُؤَدِّمًا إِلَىٰ عَذَابِ الدَّاهِيَةِ وَمُنذِرًا لِّقَوْمٍ يُصَلِّينَ ﴾ [٥] [الفاتحة/ ٥] .

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [٦] [الفاتحة/ ٦] .

أطلب هذا الطلب الذي هو أعظم سؤال في القرآن سؤال الهداية : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [٦] [الفاتحة/ ٦] .

لأنك أنت الرحمن الذي رحمتنا بالعتاء المادي بالهواء بالماء بالطعام بالشراب ، بالبلاد المستقرة ، باللباس ، بالسكن ، أنت الرحمن الرحيم ، فارقنا لاستقامة على الدين لأنك أنت الرحيم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١٤٣] [البقرة/ ١٤٣] .

فتح الله لنا أبواب الخير ، وأبواب الرحمة ، وأبواب العطاء ، لأنه يريد منا أن نخطوا إليه خطوة «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» متفق عليه (١) .

وأفضت علينا نعمك وكرمك لأنك مالك يوم الدين ، استضفتنا في هذه الدنيا ،

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٤٠٥ ، واللفظ له ، ومسلم برقم: ٢٦٧٥ .

وأعطيتنا النعم المادية التي ننعيم بها ، وأعطيتنا هذا الدين حتى نُسعد ونكسب الأجر ؛ حتى نلتاق يوم القيامة بالأخلاق العالية، بالأعمال الصالحة .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤] .

فإن الله ﷻ يريد منا هذه المسائل يريد أن نستشعر هذه الأمور ، ولا نعتدي على حق الله ﷻ ، فهو الملك الحق الذي له ملك السماوات والأرض جل جلاله ، و أعظم الاعتداء على حقوق الحق جل جلاله الاعتداء على سلطانه في التشريع ، أن نشرع غير شرع الله ، ونتبع غير شرع الله ، ونقرأ غير كتاب الله ، ونقضى أوقات في غير ما يرضي الله ﷻ .

هذا من أعظم الظلم والاعتداء أن نتبع غير منهج الله ، ونتبع هوانا ، نُعرض عن الهدى ، ونتبع الهوى : ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠] .

فلا بد أولاً من معرفة الحق جل جلاله ؛ لأن معرفته من أعظم العلوم وأول أركان الإسلام والإيمان ، ومن عرف الله عرف كل شيء ، ومن لم يعرف الله فاته كل شيء وبإثارة الحق في الاعتقاد والقول والعمل ينال الإنسان شرف الدنيا والآخرة : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

أمن جسدي ، وأمن روحي ، وأمن سياسي ، وأمن اقتصادي : ﴿لَا يَلْفُفُ فُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش/ ١-٤] .

فإن الله يريد لهذا الإنسان أن يكون آمناً سعيداً في الدنيا والآخرة ، وأن يكون خليفة في الأرض ، خليفة يمثل أوامر ربه ، فجميع المخلوقات جُبلت على عبادة الله ، فهو عليه أن يطيع الله فيما أعطاه من نعم ، في بدنه أو فيما حوله ؛ لأنه خليفة في الأرض ، يطيع أوامر من استخلفه : ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ

فالله يقول للملائكة إن جاعل في الأرض خليفة ، هو أنت الخليفة الذي ينفذ أوامر من استخلفه ، استخلفه لمدة معينة في هذا الكون : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ﴿٣٠﴾ [البقرة: ٣٠] .  
فالله خلق هذا الإنسان وعرض عليه الحق .

فمن قبل هذا الحق قبل الخلافة في الأرض ، وصار من المصلحين ، والذي رفضها رفض هذه الخلافة ، وصار من المفسدين الذين يركعون لشهواتهم ، ويكونون كالحيوانات والسباع لا أمر ولا ناهي ، ولا طاعة ولا معصية ، ويتشبهون بالشياطين في الفساد والإفساد : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

والله يريد إعمار هذا الكون لا الإفساد في الكون ، واستعمر الإنسان في هذا الكون ، ليعمره بطاعته ، بالأعمال الصالحة التي تنفع العبد في دنياه وأخراه .  
ويوم القيامة ينال المسلم ثمرات هذا العمل بدخول الجنة ، ورضوان الرحمن ، والنجاة من النار ، ولن يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقاً ، ولكي نعرف الحق سبحانه ننظر في الآيات الكونية ، وننظر في الآيات الشرعية ، حتى تأتي في قلوبنا معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فإذا عرفناه عبدناه إلهاً ورباً ومالِكاً : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وحتى تمتلئ قلوبنا بالإيمان والتقوى لا بد أن نجلس على موائد الإيمان ، وحتى أجسادنا تصح ، لا بد أن نجلس على موائد الطعام والشراب الطيب .

• وحتى تمتلئ قلوبنا بالإيمان لا بد من معرفة سبعة أمور :

أن نعرف الله .. ونعرف وأسماءه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعدته .. ووعيده .  
هذه مغذيات القلوب ، فالقلوب تتغذى بالإيمان بأركانه الستة ، ومغذيات العقول العلوم الإلهية جميع العلوم التي ترفع مقام الإنسان في الدنيا من صناعة وتجارة

وزراعة وطب وهندسة وغيرها ، ومغذيات الأجساد الطعام والشراب الحلال .  
والقلوب أحوج إلى الإيمانيات من حاجة الأجساد للطعام والشراب الحلال .  
والقلوب أحوج إلى الإيمانيات من حاجة الأجساد للطعام والشراب فلا بد كل يوم أن  
يأخذ المؤمن هذه الوجبة الإيمانية حتى يترقى من مزاج سمعنا وعصينا إلى مزاج  
سمعنا وأطعنا ، ويترقى من الشهوات الحيوانية إلى تنفيذ الأوامر الملكية ، ويتجاوز  
الدنيا إلى الآخرة ، ويخترق المخلوقات إلى الخالق ، ويخترق الصور إلى المصور ،  
وينمي الإيمان والأعمال الصالحة ويترك تنمية الأموال والأشياء ، ويأخذ من الدنيا  
بقدر حاجته ، ويعطي للدين بقدر طاقته : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ  
الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٤] .

ولكن لا مانع من الكسب ، لا بد للإنسان أن يكسب ، ليمتثل أمر الله في طلب الرزق  
الحلال ، ونعبد الله بكسب معاشنا ، ورزق كل مخلوق مقدر سيأخذه ، فقد فرغ الله  
إلى كل إنسان من خمسة أشياء : من رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ، لكن  
نحن في دار الأسباب لا بد أن نفعل بالأسباب ، ولكن نفعلها بجوارحنا ، ونتوكل  
على الله بقلوبنا : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [٢] ﴿ وَرِزْقَهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ  
عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [٣] [الطلاق: ٢-٣] .  
فإنه قد قسم وقدر الأرزاق كما قدر الآجال ، والأعمار لجميع الخلائق ، فلن تموت  
نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها .

فإنه خلق القلم ثم قال له : اكتب فكتب كل ما يكون إلى أن تقوم الساعة .  
فسبحان الملك الحق ، وهذه قدرته ، وهذا أمره ، وهذا ملكه ، وهذا خلقه ، والإنسان  
ظلم كفار إذا عصاه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴾ [٦] ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ  
فَعَدَلَكَ ﴾ [٧] ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [٨] [الانفطار: ٦-٨] .

فتبارك الله رب العالمين الذي ما من شيء خلقه إلا وهو موزون بميزان العدل  
والقسط ، قدر في الكمية ، وقدر في النوعية ، وقدر في الشكل ، وقدر في اللون  
والطعم وقدر في المكان والزمان : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٤١] ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ  
بِالْبَصَرِ ﴾ [٥٠] [القمر: ٤٩-٥٠] .

فكل مخلوق ، وكل أمر موزون بميزان العدل والقسط ، وتعالى الله عن الإهمال والعبث ، وتنزه الله عن الحيف والجور : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ٤٠] .

فكل أفعال الحق حق : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩] .

واعلم أن كل شيء في خزائن الحق سبحانه موزون بقدر في نوعيته وكميته ، ومكانه وزمانه ، فسبحان رب المكان ، ورب الزمان ، كل حدث في الكون لا بد له من مكان ، ومن زمان ؛ كل حدث من صلاة أو حياة أو موت ، أو إنعام أو عقوبة ، وكل شيء لا بد له من مكان يحصل فيه ، ولا بد له من زمان يقع فيه .

هذه الساعة التي نحن فيها الآن الله ﷻ يرانا ، وهو أول السامعين لنا ، يرانا كل في مكانه ، وكل في زمانه يتكلم أحدنا ، ويسمع غيره ، والله يحب السامع ، ويحب المتكلم ، ويحفظ بهذا المجلس من حضر ، يحفظه لأنه يعلم بالمكان ، ويعلم بالزمان ، ويعلم من بالمكان ، ومن بالزمان جل جلاله ، فهو خالق الظرف ، وخالق المظروف ، ويعلم ما في الظرف من الكلام والأقوال والأعمال .

كل شيء له وقت الرزق له وقت ، والنهار له وقت ، والليل له وقت ، وكل شيء عند الله خزائنه ، عند الله خزائن الحبوب والثمار ، خزائن المعادن ، خزائن الليل والنهار ، وخزائن العلم والعمل ، وخزائن العطاء والكرم ، وخزائن الثواب والعقاب ، وخزائن الكلام ، وخزائن الأقوال ، وخزائن المياه والرياح .

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

هو الحق جل جلاله ، وقوله الحق ، وفعله الحق ، وأمره الحق ، ودينه الحق ، وكتبه حق ، ورسله حق ، ووعدته حق ، ووعيده حق : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴾ [٣١] فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ

﴿ ٣٢ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢] .

## التعبد لله عز وجل باسمه الحق

بعد أن عرفنا اسم الله الحق يجب علينا بعد هذه المعرفة أن نعبد الله بموجب هذه المعرفة ، إذا عرفت أن الله هو الكريم لابد أن أكون في الصف الأول في الكرم ، إذا عرفت أن الله هو العفو لابد أن تكون في الصف الأول في العفو ، وهكذا في جميع الأسماء والصفات .

وفي هذه الاسم العظيم يجب علينا أن نعرف الحق سبحانه ، ونعرف دين الحق ، ونعمل بالحق ، وندعو إلى الحق ، ونترقى في الحق .

فهذه خمسة أمور نتعبد لله بها : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٨٠] ﴿ [الأعراف: ١٨٠] .

فأولاً : نعرف الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْفَرَ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوِّكُم ﴾ [١٩] ﴿ [محمد/ ١٩] .

ثم نتعلم ونعلم دين الحق : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [٧٩] ﴿ [آل عمران/ ٧٩] .

ونعمل بالحق : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٧٧] ﴿ [الحج: ٧٧] .

نتعلم الحق ، ونعلم الحق ، ونثبت على الحق ، فإذا جاءت عواصف الباطل لا نلتفت إليها ، فإن الحق كالشمس إذا جاء بدد الظلمات : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٨١] ﴿ [الإسراء/ ٨١] .

ونترقى في معرفة الحق : نترقى في معرفة الله بأسمائه وصفاته ، نترقى في معرفة أركان الإيمان الستة وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ونترقى في معرفة الحلال والحرام ، ونترقى في معرفة الأوامر والنواهي ، ومن صدق أعطاه الحق ما طلب : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٦٩] ﴿ [الغنكوت: ٦٩] .

فكلما ازددنا معرفة بالله ازددنا إيماناً ، وكلما ازددنا إيماناً ازددنا طاعة ، وأكثرنا من

أنواع القربات والطاعات .

ثم ننشر الحق ، كما أن الله نشر النور في العالم بواسطة الشمس كذلك نحن ننشر الحق في العالم ؛ ونصيغ البشرية بصبغة الله : ﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَكِّرَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

هذه كلها مطالب موجودة في القرآن ، وإذا عرفنا الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله فما هو واجبنا ؟ .

فلابد لكل مسلم أن يتفكر ، ويكون له عبودية مع كل اسم من أسماء الله ﷻ ، فالله ﷻ أمرنا أن نعرف الحق العظيم الذي خلق به كل شيء ، وأقام به كل شيء ، ونقدَّ به حكمه وتدبيره ، وعدله وإحسانه ، وفضله ورحمته : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٤٤] .

خلق الله السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما ، هذا الخلق المحكم المتقن ليل ونهار ، سماء وأرض ، شمس وقمر ، ونجوم وجبال ، وبحار وأنهار ، ونبات وحيوان ، فهذه الخلائق وغيرها تُسبح بحمد ربها ، وتخضع لوحدانيته ، وتعطي عطاء ، ويصدر منها منافع .

بالحق أمر الله وهدى ، وبه أمر ونهى ، وبه أعطى ومنع ، وبه أبعد وقرب ، وبه ابتلى وعافى ، وبه أمات وأحيا ، وبه خذل ونصر ، وبه حمد نفسه ؛ لأنه هو الحق المعبود بحق ، الربُّ بحق ، الملك بحق ، وبه أظهر كمال قدرته وعلمه في ملكه وملكوته ، الملك هو المشاهد ، والملكوت هو عالم الغيب : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمَنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

فالله يخبرنا أنه خالق كل شيء ، وكل إنسان يفتخر أنه اخترع كذا وكذا ، وتنشر الجرائد والمجلات وأجهزة الإعلام أن فلاناً اخترع كذا ، ويكتب له برآه اختراع ، فكذلك والله المثل الأعلى الحق يخبرنا أنه هو الذي خلق هذا الكون ، وبين لنا انه

خالق كل شيء ، وبيده كل شيء ، هو الذي له أوامر الخلق والإيجاد ، وأوامر التحريك والتدبير والتصريف ، وأوامر العطاء والمنع ، وكل شيء بيده : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَلْتَلَّ النَّهَارَ يُطَلِّبُهُ حَيْثَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

الحق سبحانه بين لنا أسماءه وصفاته وأفعاله في كتابه ، حتى نعبد بمقتضاها : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] .

فالله خالق كل شيء ، فيجب علينا عبادته وحده لا شريك له : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .  
 فعلينا أن نعبد الحق الذي أنزل الحق ، وأمر بالحق : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالَةُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس/ ٣٢] .

فعلي أن اشتغل بالحق عن طريق دينه الحق ، وإتباع رسوله الحق : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] .  
 وإذا عرفت الملك الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله فاعلم أنك عبده ، وللملك على عبيده حقوق كثيرة تقابل إنعامه عليهم ، وإحسانه إليهم ، وتليق بجلاله وعظمته ، والله لا يحتاج إلى عبادة أحد ، بل أنا الذي احتاج إلى عبادة الله ؛ لأنه الرازق وأنا احتاج إلى الرزق ، وهو العفو وأنا احتاج إلى العفو ، وهو المؤمن وأنا احتاج إلى الأمن ، له حقوق كثيرة تقابل إنعامه على خلقه ، وإحسانه إليهم ، وتليق بجلاله وعظمته ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨] .

فكن رحمك الله عبداً للحق ، ولا تكن عبداً للباطل ، وانشر الحق ، ولا تنشر الباطل ، وادع إلى ربك بالحق ، ولا تدعو إلى الباطل : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ

الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤].

وإذا عرفت ربك الحق فاعبد الحق ، وبين الحق ، وأظهر الحق ، وعلم الحق ، وأسمع الناس الحق : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ويا عبد الحق كن أول العبيد في عبادة الحق ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ [الزمر: ١١-١٢].  
يا عبد الحق ، ويا أمة الحق ، كونوا أول المسلمين في عبادة الله ، والدعوة إليه ، وتعلم وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه .

كونوا أول المسلمين في أحسن الأخلاق ، في الرحمة ، والصبر ، والصدق : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن حق الله سبحانه لازم لك أيها العبد في ظاهرك وباطنك ، وفي أولك وآخرك ، فهو الذي خلقك وصورك ، وأحسن تصويرك ، وأنشأك ورباك بنعمته المادية والروحية ، وهداك إلى الصراط المستقيم ، وحفظك من الأذى ، نعمة عليك سابعة ظاهرة وباطنة ، وفي جميع أمورك وأحوالك شائعة : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

فما الواجب على العبد؟ الواجب على العبد أن يخلص العبادة للحق جل جلاله ، فالعبادة أعظم حقوق الله على العباد ، والتوحيد أعظم حقوق الله على العباد ، فاعبده وحده لا شريك له ، واجتنب عبادة ما سواه : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

• فالناس اثنان :

إما عابدٌ لله.. أو عابدٌ لعبدِ الله من الأشجار أو الأحجار أو الأشخاص وغيره : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

فالذي يعبد غير الله هو من اتبع هواه ، وهذا أضل خلق الله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠] .

أما من يعبد الله ﷻ فهذا هو الذي عرفه ، وهو الذي نجا بنفسه ، وحفظ عمله ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٦] .

وحق الله علينا في كل نعمة جاد بها علينا أن نطيعه ونعبده ، ولا تشغلنا نعمة علينا عن عبادته وطاعته : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩] .

فما أعظم غرور من كفر بالله وعصاه : ﴿ يَأْتِيهَا الْإِنسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الذي خلقك فسوونك فعدلك ﴿ ٧ ﴾ في أي سورة ما شاء رَبُّكَ ﴿ ٨ ﴾ ] [الانفطار/ ٦] .

ما غرك ربك الكريم ؟ أغرك حلمه عليك ! وصبره على معاصيك ! لا حد أصبر على الأذى من الله ، يرمونه بالصاحبة والولد ، وهو يعافيهم ويرزقهم ، الله ﷻ حلیم ، وحلمه لانهاية له ، هو الذي خلق الحلم في كل حلیم ، فصار حلیمًا ، ولو رفع عنه الحلم لعاد سفيهاً : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤] .

واعلم أن الله الحق الحمد وحده لا شريك له لماذا ؟ لأنه هو الذي خلقك في أحسن تقويم ، وأمدك بالأقوات ، وهداك للإسلام ، وأذن لك بذكركه ، وسمح لك بعبادته ، وأقامك في طاعته ، وأعانك على ذكره وشكره وحسن عبادته وأثابك على عملك الصالح : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٣٦] وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ ٣٧ ﴾ [الجاثية: ٣٦ - ٣٧] .

هو الملك الحق ، الرحمن الرحيم الذي أذن لك بذكركه ، هو الذي فتح لك باب الإيمان فأمنت ، هو الذي سمح لك بعبادته ومناجاته ، هو الذي أقامك في طاعته ،

هو الذي أعانك على ذكره وشكره وحسن عبادته ، هو الذي بغض إليك المعاصي ، هو الذي حب إليك الدين ، هو الذي أعانك على الطاعة ، هو الذي ضاعف لك الأجر ، هو الذي أعطاك الوقت الذي تعبد الله فيه ، والمكان الذي تعبد الله فيه ، واللسان الذي تذكر الله به ، والجوارح التي تتعبد الله بها : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

لماذا خصك الحق بهذه الكرامات ؟ ، لتنال بذلك المزيد من فضله وإحسانه ، وتسعد بحبه ورضوانه ، والقرب منه ، فله المِنَّة والفضل أولاً وأخراً .

له المِنَّة علينا قبل أن يخلقنا ، كنا عدماً فأوجدنا الله ، هو الذي أمر المعدوم أن يكون موجوداً ، وهو الذي أطعمنا وسقانا ، وعافانا وهدانا : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بِلِ اللَّهِ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات/ ١٧] .

فيا عبد الحق اعرف فضل الله عليك ، وابق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ شَاءِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤] .

الله من علينا بالهداية إليه ، بالهداية إلى معرفة ما يحبه ويرضاه ، بالهداية إلى معرفة الحسن والأحسن من الأقوال والأعمال والأخلاق .

هو الحق الذي أعطى العقول والأسماع والأبصار ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وعرفنا بالحق وورغبنا فيه ، وعرفنا بالباطل وحذرنا منه ، ثم ترك لنا الاختيار : ﴿ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩ - ٣٠] .

فالفطرة البشرية موجودة : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠] .

هذا العهد الأول : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴿١٧٢﴾ ﴿الأعراف/ ١٧٢﴾ .

هذه الفطرة البشرية ، وهذا العهد الأول ، فلماذا تعبدون غير الله : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَنْبِيَّءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠ - ٦١] .

**والعهد الثاني :** العهد العقلي الذي تعرف الله به من خلال الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، أن الله هو الحق الواحد الأحد في الخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، والملك والتدبير ، وأنه هو الإله المحبوب المعبود ، هو الذي يستحق العبادة وحده ، لا شريك له ، وأن عبادة غيره ظلم وافتراء ، وأعظم الظلم هو الشرك ؛ لأن الشرك وضع العبادة في غير موضعها ، وصرفها لغير مستحقها ؛ فالشرك ظلمٌ عظيم ، لأنه وضع للشيء في غير موضعه ، وصرفه لغير مستحقه ، والتصرف في ملك غيره بدون إذنه ، والشياطين اجتالت بني آدم فصرفتهم عن التوحيد إلى الشرك ، وعن الطاعات إلى المعاصي ، وعن السنن إلى البدع : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦] .

ومن رحمة الله أنه يرسل رسولا كلما أعرضت الأمة عن الدين ، وخالفت أمر الله : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦] .

• وأمور الهداية ثلاثة :

**الأمر الأول :** الإنسان يتفكر بعقله ، وينظر في ملكوت السماوات والأرض ، فيهتدي إلى أن ربه ملك حق يستحق العبادة وحده لا شريك له ، ثم يُطيعه بما جاء عن الرسول ﷺ .

**الأمر الثاني :** إذا ضعف فيه هذا الوازع الله يقيض له من يأمره بالمعروف ، وينهاه عن المنكر : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

**الأمر الثالث :** إن لم يكن هذا ولا هذا فالله ﷻ يحب الخير ، ويأمر به ، ولا يرضى أن

يقوم الشر في البشرية ، فالله الذي أصلح الكون لا يرضى أن يعم الفساد في الأرض ، هو برحمته يرسل رسولا كلما طم الشر ، وعم الفساد ، فإن لم يستجب الناس للرسول دمرهم بعذاب الاستئصال : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

وبعثة الرسل انتهت بعثة محمد ﷺ ، فبقي الوازع الديني من النفس ، والوازع الاجتماعي من الغير : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [العصر: ١- ٣] .

هذا الوازع الديني من النفس : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر/ ٣] .  
 فبقي هذا الوازع الديني من الغير في هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس .  
 الوازع النفسي ، والوازع الاجتماعي الذي يدفعك إلى الخير ، وينقلك من الفساد إلى الصلاح ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن المعاصي إلى الطاعات ، فلا نمن على الله أن كنا مسلمين ، كل معبود من دون الله هو الذي يستفيد من عابديه ، الأصنام التي تعبد لها سدنة ، والسدنة يأخذون الأموال من الناس ، كل معبود من دون الله يأخذ الخير ممن يعبده ، والله ﷻ هو المعبود بحق ، وهذا العبد هو الذي يأخذ الأجر والخير من ربه ، الله لا يستفيد من عبادتنا شيئا ، بل نحن المستفيدون : ﴿ وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦] .

هو الملك الحق الغني عن السماوات ، والأرض ، والعرش ، والكرسي ، والإنس ، والجن ، والملائكة ، غني بذاته عن كل ما سواه .

هو الغني الذي لا تنقص خزائنه أبدا ، ليس بحاجة لطاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصيين : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] .  
 فلنحمد الله ﷻ أن جعلنا مسلمين ، وجعلنا مؤمنين ، وجعلنا محسنين هذه نعمة كبيرة من الحق ﷻ .

الحق جل جلاله يريدنا أن نعرف الحق ، وأن نعمل بالحق ، وأن ندعو إلى الحق ،

والذي يثقل في الميزان يوم القيامة هو الحق ، والذي يخف به هو الباطل ، فثقل ميزانك بالإيمان والطاعات ، فهي أيسر عملاً ، وأكثر ثواباً .  
قال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا » أخرجه مسلم (١).

وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هذه غراس الجنة ، فلنثقل موازيننا بالأعمال الصالحة ، ونتخلق بالأخلاق الحسنة ، مع ربنا بالتوحيد ، والإيمان ، والتقوى ، وحسن الطاعة والانقياد للملك الحق ، ومع الخلق بأحسن الأخلاق ، بأن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عن من ظلمك ، وتحسن إلى من أساء إليك .

فثقل ميزانك بالإيمان والتقوى وحسن العبادة والدعوة تنال ما يرضيك : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۗ ۝٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۖ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۖ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ۖ ۝١١ ﴾ [الفارعة: ٤ - ١١] .

### • والإيمان ثلاث درجات :

إيمانٌ مطلوب .. إيمان موجود .. وإيمان مفقود .  
الإيمان المفقود لا بد أن أجتهد لتحصيله ، حتى يأتي عندي الإيمان بالله ، بالملائكة ، بالكتب ، بالرسول ، باليوم بالآخر ، وبالقدر خيره وشره .  
وأكثر الخلق عنده إيمان مجمل بالله لكن بقية أركان الإيمان ليست عنده .

فالإيمان الموجود لا بد من ترقيته بمعرفة المفقود ، حتى يأتي الإيمان المطلوب الذي يحرك القلب والقلب للطاعات ، ويجنب المسلم المعاصي ، ويجعل المسلم يسير على هدى ربه ، ولا يسير على هوى نفسه ، هذا هو الإيمان المطلوب الذي يحرك النفوس للطاعات ، ويبعدها عن المعاصي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ ءَ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٧٣٤ .

وَمَلَئِكِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

فتقل ميزانك بالإيمان والطاعات ، وإلا خف بضد ذلك من المعاصي والسيئات ، متى ؟ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ [الزلزلة/ ٦].

يأتي العامل يوم القيامة بما عمل ، ويرى نفسه وهو يرمي الجمرات ، وهو يقبل الحجر الأسود ، وهو يطوف بالبيت ، وهو يبحث ، وهو يبكي ، وهو قائم ، وهو يصلي ، وهو يتصدق .

وكذلك يرى نفسه وهو يأكل المحرمات ، وهو يراي ، وهو يأكل الربا ، وهو يعبد الصنم ، وهو يغتاب الناس ، وهو يظلم الناس ، وهو يسفك دماء الناس ، وهو يشرب الخمر : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٨] [الزلزلة/ ٧].

فسبحان الملك الحق الذي يعطي على الإيمان والعمل القليل الأجر الكبير ، فالذي في قلبه مثقال مثقال ذرة من إيمان له مثل هذه الدنيا عشر مرات .

هذا هو الملك الحق الذي يجب أن نعبده وحده لا شريك له ، ولا نضيع ثانية واحدة إلا في طاعته ، استماعاً لكلامه ، وعملاً بشرعه ، وحمداً لنعمه ، ودعوة إليه ،

وتعليماً لشرعه وإحساناً إلى خلقه ، وصبراً على ما يأتينا من البلاء : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فعلى عبد الحق أن يتفقد نفسه ، ويتعبد لله في كل حال ، ويعطي القسط من نفسه لربه ، فهو أهل أن يُعبد ، وأن يُطاع ، وأن يكبر ، وأن يشكر ، يقوم بذلك حسب طاقته ، وأجر ذلك كله عائد عليه : ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٦].

• وبذل الجهد من أجل الدين ينقسم إلى قسمين :

جهدٌ على النفس ، وجهدٌ على الغير .

والجهد على النفس قسمان :

الأول: جهد علمي بمعرفة الله ، بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ

الثاني : جهد عملي وهو امتثال أوامر الله في خمسة أمور :

طاعات تؤديها ، ومعاصي نجتنبها ، ونعم نشكر الله عليها ، وذنوب نستغفر الله منها ، وابتلاءات نصبر عليها : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

الله يريد أحسن شيء ، أحسن شيء الدعوة ، وعبادة الله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

وعبد الحق يسعى جاهداً في معرفة الحق ، وعبادة ربه الحق ، ودعوة الناس إليه : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

منّ عليكم بأن جعلكم مسلمين ، وأخرجكم من الظلمات إلى النور بفضله ، فما جاء من الطاعات بفضله ، وما جاء من المعاصي فسبب سوء اختيار العبد : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء/ ٧٩].

والله خلق الإنسان فاختار الإيمان أو الكفر ، أو الطاعات أو المعاصي ، فالله اجتبي هذه الأمة من بين الأمم كما اجتبي الرسل من البشر : ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَوْلًا أَيْبِكُمْ إِزْرَاهِمَ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

ملة إبراهيم هي التضحية بكل شيء من أجل الدين ، التضحية بالوقت ، وبالمال ، وبالنفس ، وبالأهل ، وبالولد ، وبالشهوات ، إبراهيم ﷺ ضحى بنفسه ، فأنجاه الله من النار ، وضحى ببلده ، فالله أعطاه أحسن بلد مكة ، وضحى بولده ، فالله أحيا الولد إسماعيل ، ثم وهبه إسحاق ، وأخرج من نسل إسماعيل أحسن ولد ، وأفضل ولد ، محمد ﷺ ، سيد الخلق كلهم .

وضحى بأم الولد هاجر فجعلها الله أمّاً للعرب ، وجعل خطواتها نسكاً يتعبد المسلمون به بين الصفا والمروة .

وضحى بماله حين قدمه للضيغان .. فالله ﷻ أعطاه بأن جعله أباً للبشرية كلها ، فهو أبو البشرية الثالث ، فأبو البشرية الأول آدم ، ثم الثاني نوح ، ثم الثالث إبراهيم

عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

فمن ضحى لدين الله بصدق الله لا يؤخر النتيجة ، يعطيه فوراً أحسن مما أعطى .  
فإن الله كريم ، والكريم من البشر من إذا قَدِرَ عفا ، وإذا عهد وفى ، وإذا سؤل أعطى ، ولا يبالي كم أعطي ، ولمن أعطى .

فالله ﷻ أولى بهذه الصفات من البشر ، فهو كريم لا يرد سائلاً أبداً ، لأن الذي يرد السائل هو العاجز والبخيل والفقير ، لكن الله غني وكريم وقادر على كل شيء ، يسمع جميع الأصوات ، يسمع جميع النداءات ، يسمع جميع الاستغاثات في البر ، والبحر ، والجو ، في السماء ، وفي الأرض ، يسمع جميع الخلائق ، ويعطيهم جميعاً ، ويجب أسئلتهم جمعياً ، كما يرزقهم جميعاً في وقت واحد ، يسمع دعاءهم في وقت واحد ، ويسمع كلامهم في وقت واحد ، ويعطيهم في وقت واحد ، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيْزُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨] .

﴿ رَبَّنَا ءَاٰنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْاٰخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١] .

﴿ رَبِّ اَوْزِعْنِيْ اَنْ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِيْ اَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وٰلِدَيَّ وَاَنْ اَعْمَلَ صٰلِحًا تَرْضَاهُ وَاَدْخِلْنِيْ بِرَحْمَتِكَ فِيْ عِبَادِكَ الصّٰلِحِيْنَ ﴾ [النمل: ١٩] .  
سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المبين

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المبين

الله سبحانه يريد من عباده أن يعرفوه ويعبدوه بموجب هذه المعرفة: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَلِكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].  
والله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

فيجب أن نعرف هذه الأسماء؛ حتى نعبد الله ﷻ بمقتضاها، ونتصف بما يليق بنا من تلك الصفات الكريمة؛ لنشكر المنعم بها، فهي لنا على شكل نعم من ربنا: ﴿وَمَا يَكُم مِّن تَعَمَّةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالِيهِ تَجْرُؤُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

الله علمنا ما لم نكن نعلم، وخلقنا من عدم، وأمدنا بالأقوات وهدانا إلى الصراط المستقيم، ورزقنا ما نأكل ونشرب منه ، وما ننعيم به، وبين لنا سبل الهدى والخير والرشاد: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

الله ﷻ هو الملك الحق المبين، الذي لا يخفى على أحد، القلوب تعرفه ، والبصائر تراه، والعقول لا تحيط به؛ لأن العقول والأبصار محدودة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠١] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه المبين الذي بان لكل أحد: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه المبين الذي بين لعباده الحق بالأدلة الحسية، والأدلة السمعية، والأدلة العقلية، في أقواله الصادقة، وأفعاله الحكيمة، وآياته العظيمة ، ومخلوقاته العجيبة، وكل

ذلك بينه الله ﷻ لنا في كتابه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

أحصى سبحانه كل شيء من جميع المخلوقات، والآيات، والحركات، والسكنات، والنيات، والأقوال، والأعمال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس/١٢].  
هو سبحانه المبين الذي أبان عن نفسه بما أظهر لعباده من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى.

فآيات الله الكونية، وآيات الله الشرعية، كلها تدل على ذات الله ﷻ، وتدل على أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/٦-٨].

وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَمَرَ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ٩-١١].

فالله سبحانه هو المبين الذي أبان لخلقه الأدلة القاطعة الدالة على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، والدالة على وحدانيته، وربوبيته وألوهيته، وتفردته بالخلق والأمر: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/٥٤].

وأبان لعباده أنه لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله هو وحده المستحق للعبادة دون سواه من مخلوقاته: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ

الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هو سبحانه الملك الحق المبين الذي نراه في الدنيا ببصائرنا من خلال آياته ومخلوقاته ، ونراه يوم القيامة بذاته وأسمائه وصفاته : ﴿يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] .

والله ﷻ أبان لنا أنه الملك الحق المبين، ولكن الأبصار لا تستطيع أن تراه ، وإنما تراه البصائر، والأبصار وسيلة لرؤية آياته الدالة على وجوده، وكمال ذاته وجلاله وجماله . وأصل الدين معرفة الله، فمن عرف الله تعالى تفانى في طاعته، وأحبه لكمال إحسانه وإنعامه، وعظمه لجلاله وكبريائه وعظمة ملكه وسلطانه : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩] . فمعرفة الله ﷻ هي أصل الدين ، وتحصل بأمرين :

الأول : بمعرفة الإنسان ربه بأنه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، وأن كل ما سواه ناقص، والناقص لا يكمله إلا الكامل ذو الجلال والإكرام .

فهذا الأمر الأول، أن يعرف الإنسان أنه ناقص، ويعرف أن الناقص لا يكمله إلا الكامل وهو الله ﷻ : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩] .

الثاني : كل ما سوى الله ممكن الوجود؛ السموات، الأرض، الجبال، البحار، والناس، والجن، والملائكة؛ فالله ﷻ خلقهم بعد أن كانوا معدومين، فكل ما سوى الله ممكن الوجود، ومحتاج إلى من يوجده ولا يمكن أن يوجد محتاج بلا محتاج إليه، والله ﷻ هو الغني عن كل ما سواه، وكل شيء محتاج إليه في كل شيء، فكل عبد وكل مخلوق محتاج إلى ربه : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وكل مخلوق ضعيف فقير عاجز محتاج، ولا يكمل المحتاج إلا من يحتاج إليه جميع الخلق وهو الله الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، الصمد الذي تصمد إليه جميع

المخلوقات، لأنه الذي أوجدها وهو الذي يدبر أمرها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ اللهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾  
 [الإخلاص: ١-٤].

فالتفكر في خلق السموات والأرض هو الذي يأتي بالعبادة المطلوبة، وهو الذي يأتي بالعبودية القلبية، التي تدل الإنسان على ربه، وتعرفه بأسمائه وصفاته، فيوحده ويكبره، ويحمده ويشكره، ويسعد به ويحبه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝١٩١﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

فالله ﷻ أبين من كل بين، ولكن الأبصار لا تراه في هذه الدنيا، لأنها محدودة، ومن رحمته سبحانه أن حجبتنا عن رؤيته، وإلا لبطل التكليف، لو رأيناه لم نخالف أمره، ولكن الله أذن للعقول والبصائر، أن تعرفه عن طريق معرفة آياته ومخلوقاته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾  
 [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فالتفكر هو العبادة الأولى، والعبادة الكبرى في الدين، التي تجعل الإنسان يجب ربه ويكبره ويوحده: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس: ١٠١].  
 وآيات الله في كتابه أخبار وأوامر، فهي إما تعريف بالخالق وأسمائه وصفاته وأفعاله ومخلوقاته، أو أوامر ونواهي.

فالأوامر: كل آية في كتاب الله فيها أمر وجب عليك أن تأتمر به، وكل آية فيها نهي يجب علينا أن ننتهي عنه: ﴿وَمَا آتَيْنَاكَ الرَّسُولُ فَخُذْهُ وَمَا نَهَيْكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

وإذا قرأنا آية فيها وصف للجنة، فهي تقتضي منا أن نسعى إلى الجنة، وإذا قرأنا آية فيها

وصف للنار، فهي تقتضي منا أن نفر من النار .

وإذا قرأنا قصص الأنبياء وغيرهم مما ذكر الله في كتابه؛ فيجب أن نعتبر : ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١] .

فهذه الأوامر التي أمرنا الله ﷻ بها ، فعل الأوامر ، واجتناب النواهي ، تؤديها بكمال الحب والتعظيم والذل لله ، إذا عرفنا الرب جل جلاله ، وعرفنا من أمر بها ، ومن نهانا عما يضرنا : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨] .

• والله سبحانه هو الحق المبين، وآياته التي تدل الناس عليه ثلاث :

الأولى : آيات كونية؛ وهي مخلوقاته التي خلقها كالسما والارض وما فيهما .

الثانية: آيات تكوينية؛ وهي أفعاله في ملكه من خلق وتديير وتصريف في كل وقت .

الثالثة: آيات شرعية؛ هي كلامه المشتمل على الأخبار والأوامر والنواهي .

فالله ﷻ أبين من كل بين، فهو الحق المبين جل جلاله، الذي بان للعقول والأبصار والبصائر .

وآياته التي يعرفه العباد من خلالها ثلاث :

الأولى : آيات كونية كونها، السماء الموجودة ، والأرض الموجودة ، والجبال والبحار، والجماد والنبات ، والإنسان والحيوان، وكل هذه المخلوقات آيات كوونها سبحانه، فعن طريقها نعرف الخالق، فيقول العقل للقلب :

إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، آيات محكمات ، ومطر ونبات، ونجوم تزهـر ، وبحار تزخر، وليل داج وسماء ذات أبراج : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ السِّنَنِكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢] .

هذه آيات كونية تدل على أن لهذا الكون مكوناً ولهذا الخلق خالقاً، فهذه آيات كونية إذا نظرنا فيها عرفنا الخالق الذي خلق المخلوقات، والمصور الذي صور الكائنات : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [٦] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا

وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرَ لِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾

[ق: ٦-٨].

الثانية: آيات تكوينية هي أفعاله في ملكه العظيم أنه يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ويعز ويذل، ويبسط ويقبض .

فإنه ﷻ جعل هذه الآيات التكوينية في ملكه ، والتي نراها في كل يوم ليل ونهار، وحر وبرد، وحياة وموت : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مُخْرِجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام: ٩٩] .

فهذه أفعاله التكوينية التي يخلق بها ما يشاء ، ويدبر الأمر في هذا الملك العظيم : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿١٩﴾ [الروم/ ١٩].

في كل يوم تنزل الأمطار في العالم، وتكسو الأرض، أو تلبس الأرض كسوتها من النباتات المختلفة ، التي تحمل الأزهار والثمار المتنوعة : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج: ٥-٧] .

هذا النسل الكبير من ذرية آدم من الرجال والنساء ، أصله من رجل واحد : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوهَا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء: ١] .

ومن آياته التكوينية : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّونِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم/ ٢١-٢٢] .

هذه آيات الله التكوينية التي تثمر للعبد معرفة الملك الحق الذي له الخلق والأمر، وهذه التدبيرات العجيبة، والآيات المتتابعة ، دلائل على وحدانيته، ودلائل على أن الله ﷻ له

الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الكبرى ونحن محتاجون إليه في وجودنا ، وفي أوقاتنا، وفي هدايتنا ومحتاجون إلى رحمته لنا بعد موتنا، وأن يدخلنا الجنة، وأن ينجينا من النار : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] .

فالله ﷻ أمرنا بالتفكير والتدبر؛ حتى نعرف الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الروم/ ٢٣] .

ومن آياته التكوينية التي يراها الخلق كل يوم : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الروم/ ٢٤] .

هذه آيات تكوينية تجعل الإنسان يعرف ربه ، وأنه ذو القدرة المطلقة ، والقوة المطلقة والعلم المطلق : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم: ٢٥-٢٦] .

ومن آياته التكوينية: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧] .

والقرآن مملوء من هذه الآيات أكثر من ألف وثلاثمائة آية تتكلم عن هذه الآيات الكونية والتكوينية في ملك الله ﷻ : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩] .  
فهذه آياته التكوينية ، وآياته الكونية .

الثالثة : آياته الشرعية وهي كلامه، فالكون قرآنٌ صامت، اقرأ الكون ببصرك تجد الرب جل جلاله خلق كل كبير وصغير، وكل عالٍ وسافل، وكل جامدٍ وسائل؛ فالكون قرآن صامت تقرأ فيه أسماء الله وصفاته ، وآياته ومخلوقاته : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَضْرِبِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ

الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَدَّتْ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

والقرآن كلام الله الناطق الذي بين أنه الخالق: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

وبين أنه الملك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك / ١].

وبين أنه الرزاق: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

والنبي ﷺ قرآن يمشي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم / ٤].

كان ﷺ خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويتعبد لله بأحكامه. فالكون قرآن صامت، والقرآن كلام ناطق، والنبي ﷺ قرآن يمشي، وعلينا أن نفتدي به في أقواله وأعماله وأخلاقه.

فكل عبادة ليس فيها محبة الله الملك الحق المبين، كل عبادة ليس فيها محبة الله وتعظيم الله؛ فليست عبادة مقبولة، وليست هي العبادة المطلوبة، فما عبد الله من أطاعه ولم يحبه، لا بد أن أطيعه وأحبه لماذا؟ لأنه الملك الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، هو الملك الكريم الذي منه الإنعام والإحسان: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [التجافى جنوبيهم عن المصاحح يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

فأنا أحبه لإنعامه، وأكبره لعظمة جلاله وكبريائه، وعظمة ملكه وسلطانه.

فما عبد الله من أطاعه ولم يحبه، وما عبد الله من أحبه ولم يطعه، ما عبد الله الذي يقول: أنا أحب الله، ولم يطعه، لا بد أن تطيع الله إذا عرفت الله؛ فلا بد أن تعبده، وتمثل أوامره، وتجتنب نواهيه؛ لأن المحب لمن يحب مطيع: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

فالطاعة مقرونة بالمحبة، والمحبة مقرونة بالطاعة، ولا قيمة للطاعة بدون محبة، ولا

قيمة للمحبة بدون طاعة : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

فإذا نظرت إلى الآيات الكونية، والآيات التكوينية، والآيات الشرعية؛ وجدت أن الله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، فأمنت به وأحببته لإنعامه وإحسانه ، وكبرته وعظمته؛ لعظمة جلاله وكبريائه ، وعظمة ملكه وسلطانه، فإذا عرفت ذلك وقفت بين يديه بالحب والتعظيم والذل له، هذه العبادة تفضي بالإنسان إلى السعادة الأبدية، سعادة أبدية يوم القيامة، وسعادة مؤقتة في الدنيا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام / ٨٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْعُونَ عَنْهَا  
جَوْلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف / ١٠٧-١٠٨].

فهذه هي العبودية المطلوبة من المسلم، لا نقف بالقلب دون القلب، بل لا بد من اجتماع القلب مع القلب معاً؛ فالقلب يخشع وينكسر بين يدي الله ، ويتوكل عليه ، ويحبه ويعظمه .

والبدن يقوم ويقعد ، ويركع ويسجد داخل الصلاة ، وخارج الصلاة ، لأوامر ربه الملك الحق المبين :

فأنا في داخل الصلاة عبد لله، وخارج الصلاة عبد لله، أنا في بيتي عبد لله، وفي السوق عبد لله، عبد لله الذي له الخلق والأمر، له الأوامر الكونية ، وله الأوامر الشرعية، وله الأوامر الجزائية يوم القيامة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

فهذه العبادة الذشياء أن يقف العبد بين يدي ربه وهو أسعد الناس؛ لأنه متصل بالملك : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيئٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩].

وقال النبي ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» أخرجه النسائي (١).

والله ﷻ هو الملك الحق المين الظاهر للأبصار والبصائر، يقول لأتبيائه ورسله: تحملوا فراقى من أجل عبادى؛ لتأتوا بخلقى إلى بابى؛ فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وكان ﷻ يقوم الليل؛ حتى تتفطر قدماه؛ فيقال له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول «أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا» أخرجه البخاري (٢).

فالنبي ﷻ يرى الكبير العظيم، يرى الغني المحسن الكريم، يرى القوي القادر، يرى الحلیم الغفور الرحيم فيقف بين يديه، حامدًا له، ممجداً له، مكبراً له، مستغفراً من ذنبه، ذاكراً له بلسانه وقلبه وجوارحه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

هذه العبادة هي المطلوبة، وهذه العبودية تستغرق عمر الإنسان كله، في جميع أحواله، من حين يبلغ الإنسان إلى موت الإنسان: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٢ - ١٦٣].

فالله خلقنا وهدانا واشترانا، لنعبده، لنصدق أخباره ونطبق أحكامه، ما دمننا في هذه الحياة، والله يضاعف لنا الأجر، ويسعدنا في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤].

فكل أحد في نعيم أو جحيم في الدنيا، وفي القبر، وفي دار القرار حسب عمله: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ - ١١].

فمن أراد الله به خيراً، وأقبل على ربه، وفعل الأسباب، وجاهد في الله؛ فالله ﷻ يقبل عليه ويهديه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فمن أحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، وسأل الهادي أن يهديه، والعليم أن يعلمه، والتواب أن يتوب عليه، والرحمن أن يرحمه، فهذا هو الذي دخل جنة المعرفة، التي

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (٣٩٣٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٧).

ثمرتها الكبرى دخول جنة الآخرة يوم القيامة ، ورضوان الله ، ورؤيته يوم القيامة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

فالعبادات الخمس التي هي أركان الإسلام ، وهي الشهادتان ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج ، هذه أركان الإسلام ، والإسلام يقوم عليها .  
والإسلام فوق تلك الأركان الخمسة ، شامل لجميع حياة الإنسان ، من حين يولد إلى أن يموت .

الإسلام ينظم حياة الإنسان في جميع أحواله ، وعرف العلماء من أحوال الإنسان أكثر من خمسمائة ألف حالة ، كلها بين الله ﷻ أحكامها في كتابه وسنة رسوله ﷺ ؛ لأن الإنسان قد يكون حاكماً ، قد يكون عالماً ، قد يكون مريضاً ، قد يكون مسافراً ، قد يكون طبيباً ، قد يكون عاملاً ، قد يكون غنياً ، قد يكون فقيراً ، قد يكون ذكراً ، قد يكون أنثى ، جميع أحوال الإنسان الله ﷻ بين أحكامها غاية البيان : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل / ٨٩] .

فهذه العبادة هي العبادة المطلوبة من كل إنسان ، أن يكون عبداً لله داخل الصلاة ، وخارج الصلاة ، ويرى ربه المبين ويعبده كأنه يراه ؛ فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

الله سبحانه من علينا بهذه العلوم النافعة العظيمة التي تجعل الإنسان يرى ربه ، ويعبده كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه .

فالأول مقام المشاهدة ، ومن شاهد الله بكبريائه وعظمته ، وأسمائه وصفاته ، وأفعاله ؛ عبده ولم يخالف أمره : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

فإن لم تكن عنده هذه الدرجة، فليكن في الدرجة الثانية؛ وهي مقام المراقبة ليعلم أنه مراقب، وأن الله رقيب عليه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك، يراقبك ويشهد أعمالك جل جلاله، هو السميع لأقوالك، البصير بأعمالك الخبير بظاهرك وباطنك: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

فالله ﷻ بين لنا أن من أسمائه المبين؛ حتى نعرف ربنا ﷻ، ونعلم أنه مبين بين ظاهر لكل أحد، هو سبحانه المبين الذي بين لنا الدين، وأمرنا بعبادته وحده؛ لأن الإنسان خلق محتاجاً؛ فإما أن يعبد الله، أو يعبد عبد الله من صنم أو حجر أو وثن أو إنسان أو غير ذلك من المعبودات.

لهذا أمرنا ﷻ بمعرفة الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له بقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَكِّفِكُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١٩].

فلا بد للإنسان أن يعرف الرب الذي يستحق العبادة، ثم بعد ذلك يؤدي العبادة، فالذي يستحق العبادة هو الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة؛ هذا هو الإله الذي يجب أن أعبد؛ لأنني محتاج إليه، أعبدته إجلالاً لعظمته وكبريائه، وأعبدته شكراً لنعمه وإحسانه، وأعبدته لأنني محتاج إليه، فقير إليه في خلقي، وفي صحتي، وفي طعامي وشرابي، وفي كل شيء أنا محتاج بل مضطر إلى الله في كل حال: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

فسبحان المبين الذي أبان لكل مخلوق علة وجوده، بين أنه خلق هذا الإنسان لعبادته وحده لا شريك له: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

يعني يوحدون، يطيعوني فيما أمر به، وفيما أنهى عنه، يصدقوني في الأخبار التي أخبر بها؛ فهو جل جلاله الصادق في أخباره، الحكيم في أوامره: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فالله ﷻ هو المبين لعباده سبل الرشاد من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق الحسنة الموجبة لثوابه، المبين لكل ما يوجب عقابه من الأقوال، والأعمال، والأخلاق السيئة .

هو المبين للأقوال والأعمال والأخلاق التي يجبهها، والمبين للثواب على هذه الأعمال .

وكذلك هو المبين لكل ما يوجب عقابه من الأخلاق والأقوال والأعمال السيئة، المبين

الذي بين كل خير ، ورغب فيه ، وأثاب عليه، المبين الذي بين كل شر ، وحذر منه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ نَبِيًّا رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢].

هو المبين الذي بين لعباده الأحكام التي تسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ [النساء/ ٢٦].

فسبحان الملك الحق المبين، الذي بين كل شيء في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

بين في كتابه كل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل/ ٨٩].

وأمر رسوله ﷺ أن يبين للناس ما أنزل إليهم: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل/ ٤٤].

واسم الله المبين من أسماء الذات والأفعال؛ فهو سبحانه المبين بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المبين في وجوده ووحدانيته، الظاهر للبصائر والأبصار والعقول، فهو أبين من

كل بين: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

أما صفة الفعل؛ فهو سبحانه المبين الذي بين الدلائل الدالة على ربوبيته، وألوهيته

ووحدانيته، وأبان للعباد الدين والشرع الذي يجبه ويرضاه، وأبان الثواب والعقاب لمن

أطاعه أو عصاه: ﴿فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ

لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا

﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَنتَ ءَايَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٣٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

هو سبحانه المبين الظاهر المظهر للحق من الباطل، المبين الذي أبان كل شيء تحتاجه

الأمّة، المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل / ٨٩].

هو سبحانه المبين الظاهر لكل أحد، المبين الذي بين وبين لعباده ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، في آياته الكونية، وآياته التكوينية، وآياته الشرعية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [الروم / ٢١].

هو سبحانه الملك الحق المبين الذي بين كل شيء في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَقَوَّنَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١٥﴾ [التوبة / ١١٥].

فسبحان المبين الذي بين كل شيء في ملكه وسلطانه، وفي كتابه العظيم. ومن رحمة المبين جل جلاله بعباده، أن نوع بيانه للحق في كل مكان وزمان، فالله ﷻ بين لعباده ما يدلهم على وحدانيته، وما يدلهم على أنه الملك الحق: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٥٣﴾ [فصلت / ٥٣].

فالله ﷻ في وقت النبوة ينزل القرآن والصحابة يرون الآيات التي تنزل والمعجزات التي نزلت على النبي ﷺ؛ كخروج الماء من بين أصابعه، وآيات القرآن العظيمة، فهذه آيات تجعلهم يؤمنون بالله، وتزيد إيمانهم بالله، ونحن في زماننا هذا الله من علينا بكتابه العظيم، وكونه الكبير، وآياته التكوينية، وآياته الشرعية، ويفتح لنا في كل يوم فتحة في العلم؛ حتى نعرف وحدانيته: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٥٣﴾ [فصلت / ٥٣].

فالله ﷻ هو الملك، هو الخلاق الذي خلق أعظم شيء، وهو العرش العظيم، المحيط بالكرسي، والكرسي محيط بالسماوات، والسماوات محيطة بالأرض، والله فوق عرشه محيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط.

فالعرش أكبر المخلوقات، وأعظم المخلوقات، وأوسع المخلوقات، وأعلى المخلوقات، والله ﷻ استوى عليه؛ فهو أكمل المخلوقات؛ ولهذا استوى عليه جل جلاله برحمته:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥٠].

وكذلك الله ﷻ خلق أصغر شيء، أصغر شيء مثلاً هذه البعوضة التي نراها، هذه البعوضة هي مليكة لا جيش لها سواها، تحقرها عين من تراها، لكنها خيفة، هذا المخلوق الضعيف الله أظهر قدرته في خلق مخلوق ضعيف، وكشف لنا العلم الآن، أن هذه البعوضة التي نحتقرها كما قال النبي ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُعَدُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.  
فالذي لا تزن عند الله جناح بعوضة.

كم نسبة الجناح من البعوضة؟ وكم وزن البعوضة؟ فهذه البعوضة الآن بين العلم كيفية خلقها، هذه البعوضة التي نراها لها مائة عين في رأسها، ولها خرطوم فيه ست سكاكين؛ لتقطع اللحم ثم ينفذ خرطومها في الجسم، ولها ثلاثة قلوب، ولها ثمانية وأربعون سنًا، فسبحان المبين الذي بين في خلقه العظيم كمال قدرته وعظمته، وعلمه وحكمته :  
﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وبين كذلك قدرته في خلق المخلوق الضعيف كهذه البعوضة؛ فهذه البعوضة لا ترى ببصرها؛ ولهذا تمشي بسرعة في الظلام، وتصل إلى الهدف الذي تريد؛ فهي بواسطة الحرارة تصل إلى الأجسام، وعندها قدرة على تميع الدم الغليظ الذي تأخذه من الإنسان، ليجري في عروقها، وهي تختار نوع الدم الذي يناسبها، وعندها جهاز تخدير تخدر به الإنسان، ثم تمتص دمه، ثم تطير؛ لتقول للإنسان أثناء طيرانها: قد أخذت منك أيها الإنسان الضعيف ما أريد، وما أنا فوقك لا تستطيع أن تصل إليّ.

فسبحان الخلاق العليم، الذي أظهر قدرته في خلق الكبير والصغير، وفي خلق الجامدات والمائعات، وفي خلق الذكور والإناث، وفي خلق الجبال والبحار، وفي خلق الرطب واليابس، فأظهر قدرته؛ وبين دلائل توحيده ووحدانيتها لنعلم أنه الحق المبين البين لكل أحد، الذي لا يخفى على أحد: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٠).

يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

[الطلاق: ١٢].

هو سبحانه الملك الحق المبين الذي خلق العالم العلوي والعالم السفلي، وخلق الجامدات والمائعات، وخلق الرطب واليابس، وخلق الكبير والصغير، وخلق الدنيا وخلق الآخرة؛ فسبحان ربنا الملك الحق المبين، الذي يفعل ما يشاء، بقدرته، وهو الخلاق العليم، وهو الحكيم العليم الذي لا يفعل إلا ما هو حكمة: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر: ٥].

فإن الله عز وجل عزيز حكيم أفعاله كلها حكمة أظهر خمسة، وأخفى خمسة: أظهر بعض المخلوقات التي تدل على وحدانيته، وحجب الخلق عن رؤيته بقوة نوره، وشدة ظهوره.

فأظهر المخلوقات وأخفى نفسه، وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة، وأظهر قيمة الأموال والأشياء، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال، وأظهر الأبدان وأخفى الأرواح، وأظهر سنته وأخفى قدرته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

فأظهر سنته كالماء الذي ينزل من السماء على الأرض، فتنتبت من كل زوج بهيج، هذه سنته، لكن قدرته المخلوق لا يفعل إلا بإذن الله، الفعال هو الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْ يَكُنَّ اللَّهُ رَمِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال / ١٧].

فالخلق كله، والأمر كله بيد: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فالمؤمن إذا تفكر تبين له الملك الحق المبين، فرآه يخلق ويرزق، ويعطي، ويمنع، ويبسط ويقبض ويحيي ويميت، ويقلب الليل والنهار، ويراه يفعل في ملكه ما يشاء، حر بعد برد، وليل بعد نهار، وذكر وأنثى، وخوف وأمن، وصحة ومريض.

ومن لم ينظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية، ويعرف ربه في الدنيا فلن يراه يوم القيامة: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين: ١٥-١٦].

فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَلَيْنَا بِجَنَّةِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي نَعْرِفُ بِهَا رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ، وَنَعْرِفُ الَّذِي بِيَدِهِ الْهُدَايَةُ ، وَبِيَدِهِ الْأَمْنُ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ : ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران: ٧٣] .

فَسُبْحَانَ الْهَادِي الْمُبِينِ الَّذِي بَيْنَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ بَيَانًا شَافِيًّا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ [النساء/ ٢٦] .

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ نِعْمَةِ الْهُدَايَةِ وَالْبَيَانِ : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة/ ١٨٧] .

فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُبِينِ الْبَاطِنِ مِنْ خَلْقِهِ، الْعَالِي فَوْقَ خَلْقِهِ : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨] .

وَالْإِنْسَانُ كُلَّمَا زَادَ إِيمَانَهُ خَافَ بِعَقْلِهِ، وَكُلَّمَا نَقَصَ إِيمَانَهُ خَافَ بِعَيْنِهِ؛ كَغَيْرِهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْبَهَائِمِ، فَالْكَفَّارُ وَالْبَهَائِمُ تَخَافُ بِعَيْنِهَا، إِنْ رَأَتْ النَّارَ هَرَبَتْ مِنْهَا، وَإِنْ رَأَتْ الْحُفْرَةَ أَبْعَدَتْ عَنْهَا، لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ كُلَّمَا زَادَ إِيمَانَهُ بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ خَافَ بِعَقْلِهِ، يَخَافُ مِنَ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ يَخَافُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَعَقُوبَتِهِ .

وَكُلَّمَا نَقَصَ إِيمَانَهُ خَافَ بِعَيْنِهِ كَغَيْرِهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْبَهَائِمِ الَّذِينَ يَخَافُونَ مِنَ الْمَاءِ أَنْ يَغْرُقَ، أَوْ النَّارَ أَنْ تَحْرُقَ .

وَهَذَا الْخَوْفُ طَبِيعِيٌّ ، لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَرَقَّى بِفِكْرِهِ فَيَخَافُ بِعَقْلِهِ؛ لِأَنَّهُ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ الرَّبِّ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ جَلَّ جَلَالُهُ؛ فَيَخَافُ بِعَقْلِهِ أَلَّا يَمِثَلَ أَوْامِرَ رَبِّهِ، وَيَخَافُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ، وَيَخَافُ مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ؛ لِأَنَّهُ عَرَفَهُ بِعَقْلِهِ فَيَخَافُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ : ﴿يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩- ٥٠] .

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِرَبِّنَا الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، الَّذِي أَبَانَ دَلَائِلَ قُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ، وَدَلَائِلَ حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَدَلَائِلَ إِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ .

هُوَ الْمُبِينُ الَّذِي أَبَانَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَقِيقَةَ وَجُودِهِ : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ

شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان / ١ - ٣].

وأبان لكل إنسان حكمة خلقه فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

فأبان لكل إنسان حقيقة وجوده ، وأبان له سبل هدايته، ورحمته ونجاته: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام / ١٥٣].

هو الملك الحق المبين الذي أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، من أجل هداية خلقه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهٖ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهٖ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

فله الحمد على نعمة الأيمان، وعلى نعمة هداية القلوب، وعلى نعمة الأقوات فأبان لنا سبل الرزق، ويسر لنا سبل الرزق، بالبذر والغرس ، وأنواع التجارات المختلفة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ٩ - ١٠].

فالله ﷻ ما جعل رزق الإنسان في التجارة، إنما التجارة سبب، والله أوامر تمتثل وقت التجارة، وأوامر تمتثل وقت المرض، وأوامر تمتثل وقت الصحة، وأوامر عند الأكل، وأوامر عند النوم، فله ﷻ بيده كل شيء: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

والله يجب أن يمثل أمره، ويجب أن نصدق أخباره ، ونطبق أحكامه؛ لأن كل ذلك حق. فهو جل جلاله المبين الذي بين سبل الهداية، وسبل الرزق، وسبل الفلاح: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا

كَأُوَيَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [النحل / ٩٧].

وبين سبحانه سبل النجاة، وسبل الهلاك فقال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣-١٤].

وبين لنا أن الفوز والنجاة والفلاح في طاعة الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: ١-٤].

وبين جل جلاله كل شيء في آياته الكونية، وآياته التكوينية، وآياته الشرعية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].  
وبين المبين سبل معرفة خلق الخلائق، وسبل معرفة خلق الإنسان، وسبل معرفة هداية الإنسان، وسبل معرفة رزقه، وسبل صلاحه، وسبل نجاته، وسبل هلاكه، بين كل شيء: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة / ٨٩].  
في أي شيء؟ في كتابه العظيم: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ١-٢].

هو المبين لكل شيء مما يحبه الله ويرضاه، ومما يسخطه ويكرهه، المبين لأنواع العبادات، وأنواع الشرائع، المبين للحق من الباطل، المبين للحلال من الحرام، المبين للوعد والوعيد، المبين للثواب والعقاب.

فسبحان ربنا العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة.  
فالله ﷻ له أوصاف الكمال والجلال والجمال، وأوصاف الخلق أوصاف فقر وضعف وعجز واحتياج: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨].  
وأوصاف الخلق أوصاف فقر وضعف وعجز واحتياج: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر / ١٥].

فهذه المعارف العظيمة تجعل الإنسان يجب ربه، ويكبره، ويحمده ويقبل على عبادته

بالحب والتعظيم والذل له في كل حال من أحواله.

هو سبحانه الحق المبين الذي بين لعباده أسماءه وصفاته وأفعاله في مخلوقاته، ليعرفوه؛ فإذا عرفوه؛ عظموه وكبروه وأحبوه، ثم عبدوه وأطاعوه وحده لا شريك له في كل حال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢].

هو سبحانه الحق المبين الذي أعطى أنواع البيان للإنسان نطقًا، وإشارةً، وكتابةً: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن / ١-٤]. هو سبحانه الملك الحق المبين، والاله الحق العظيم، البين أمره في الوجدانية، والعظمة، والجلال، والكبرياء، والجمال.

المبين الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَدٌ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج / ٦٢].

فسبحان الملك الحق المبين، الذي بين لخلقه سبيل الرشاد، وكشف لهم الصراط المستقيم؛ ليسلكوه إليه، ووضح لهم الأعمال الصالحة، التي ينالون بها الثواب، وكشف لهم الأعمال السيئة التي يستحقون بها العقاب؛ لأنه الكريم الرحيم الرؤوف بعباده: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [النساء / ٢٦].

ولنعلم أن الخلق لما قصرت أفهامهم عن إدراك كنه بارئهم مع ما فرضه عليهم من وجوب معرفته؛ بين لهم سبحانه أسماءه وصفاته بما أظهره من المخلوقات العظيمة، والآيات الكريمة، الدالة على معرفة ذاته وأسمائه وصفاته جل جلاله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

فالله ﷻ خلق المخلوقات ، وأودع فيها أسماء وصفاته، فإذا رأينا المخلوقات عرفنا أن لها خالقاً، وإذا عرفنا عظمتها عرفنا أن خالقها عظيم، وإذا عرفنا قوتها عرفنا أن خالقها قوي، وهكذا نعرف الله ﷻ بالنظر والتفكير ، ثم أكد الله ذلك في كتابه الكريم فقال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فبين سبحانه أسماء الحسنی ، وصفاته العلی ، وأفعاله الكبيرة ، في جميع مخلوقاته العلوية والسفلية، وأوامره وكلماته الكونية والشرعية التي تدل على كمال علمه وقدرته ، وتشهد بوحدانيته : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (٢٥٥) [البقرة: ٢٥٥].

فبين سبحانه أنه الواحد الأحد حتى نوحده : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

وبين سبحانه أسماء وصفاته في آياته ومخلوقاته ، حتى نعرف من نعبد، لنعرف أن الذي نعبد هو الكبير ، وهو العظيم ، وهو القوي، وهو القاهر، وهو الخلاق ، وهو العليم ، وهو السميع، وهو البصير، وهو الملك ، وهو الكريم ، وهو الرزاق، وهو اللطيف؛ فنعرف الأمر قبل معرفة أوامره، ثم نتقرب إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

أبان سبحانه كل شيء خلقه بما خصه به من الصفات، حتى يتميز عن غيره، فأبان سبحانه كل شيء خلقه من مخلوقاته بما خصه به من الصفات، وأنزل كتابه المبين مبيناً

لمراده من خلقه جل جلاله .

أبان كل المخلوقات ، وميز بعضها من بعض، إظهاراً لقدرته أبان البحر من الجبل، والسماء من الأرض، والذكر من الأنثى، والجهاد من النبات ، والرطب من اليابس، والنار من الماء، والإنسان من الحيوان؛ أبان كل شيء خلقه بما خصه به من الصفات ليعلم عباده بكمال أسمائه وصفاته .

وأنزل كتابه المبين مبيناً لمراده من خلقه، ما مراده من خلقه؟ مراده عبادته وحده لا شريك له : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

هو المبين الذي أرسل رسله لبيان ما في كتابه؛ حتى أظهر الحق من الباطن، وبين التوحيد من الشرك، وبين الخالق من المخلوق، والقادر من العاجز: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل/ ٤٤].

فيعرفون من يستحق أن يطاع فلا يعصى، ومن يستحق أن يذكر فلا ينسى، ومن يستحق أن يشكر فلا يكفر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فمن نظر وتفكر في هذا الكون العظيم؛ وجده كله أعلاه وأسفله، مشيراً بأجزائه وجملته إلى أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، فهذه الأسماء والصفات تشير إلى الملك الحق المبين جل جلاله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

ومن عرف ذلك قنت لربه في كل حال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ عَائَةَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر / ٩].

فإذا عرفنا الملك الحق المبين، وماذا يجب له من التوحيد والتعظيم والعبادة؛ فقد وجب علينا شكره وحمده: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجنات: ٣٦-٣٧].

فإذا عرفنا هذا عرفت الملك الحق المبين، وإذا تبين لك الطريق واستبان لك السبيل: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم / ٣٠].

الحمد لله رب العالمين الذي أبان لنا الحق، وحببه إلينا، ورغبنا فيه، وأثبتنا عليه، فله الحمد والشكر.

الله ﷻ هو الملك الحق المبين الذي خاطب عباده بكل أنواع البيان، وأقام حجته بأعظم أنواع البيان والبرهان؛ فما أرسل المبين رسولاً إلا بلسان قومه؛ ليعين لهم ما يفعلون وما يتقون: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وبين المبين في كتابه المبين الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، وأحكام الحلال والحرام، والوعد والوعيد، وحياة السعداء وحياة الأشقياء: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

فله الحمد والشكر على أن بين لنا الحق، وأظهره لنا، لتتقرب إليه بما يحبه ويرضاه،

ونبتعد عما يكرهه ويسخطه: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء/ ١٧٦).

وبين المبين جل جلاله في كتابه آياته الدالة على وحدانيته ، وآياته الدالة على كمال جلاله وجماله : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤).

وبين المبين سبحانه في كتابه العظيم أعمال أوليائه ، وثواب أتقيائه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة/ ٧١-٧٢).

وبين كذلك في كتابه المبين أعمال أعدائه ، وعقاب من كفر به، فقال: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (٦٧) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (٦٨) (التوبة/ ٦٧-٦٨).

فإن الله ﷻ بشر المؤمنين بحسن الثواب: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة/ ٢٥). وبشر الكافرين بسوء العقاب: ﴿بَشِّرِ الْمُنْفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (١٣٩) (النساء: ١٣٨-١٣٩).

وبين المبين أعمال المؤمن من أعمال الكافر: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة: ١٨ - ٢٠].

وبين المبين سبحانه في كتابه جليل ثواب الدعاة إلى الله فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت / ٣٣].  
وقال ﷺ: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران / ١٠٤].

وبين عظيم جرم من كتم العلم وترك بيان الحق للناس فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوتِيكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة / ١٥٩ - ١٦٠].

والله ﷻ بين عقوبة من كتم العلم، وترك الدعوة: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾ [محمد / ٣٨].

عقوبة ترك الدعوة استبدال، أما عقوبة المعاصي من زنى ومن سرقة، فهذا قطع لليد وهذا ضرب بالعصا.

فالله ﷻ بين في كتابه الحق، ومن يعمل بالحق، وثواب أهل الحق، وبين الباطل، ومن يعمل بالباطل، وجزاء من عمل بالباطل.

فسبحان ربنا المبين الذي تكفل ببيان كل ما يحتاجه الخلق من بيان أركان التوحيد والإسلام والإيمان، وبيان العبادات والمعاملات وبيان الآداب والأخلاق وبيان الوعد والوعيد، والثواب والعقاب: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل / ٨٩].

الله أكبر ما أعظم بيان ربنا الملك الحق المبين لعباده ما يسعدهم في الدنيا والآخرة!، وما

أرحمه لهم! ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيَّنَّتْ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة/ ٩٩].

﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيَّنَّتْ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [الحديد/ ٩].

والله سبحانه هو الحق المبين الذي أرسل رسله؛ لبيان ما يريده من عباده، وما يحبه من عباده، وبيان ما أعد له لعباده: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد/ ٢٥].

هو سبحانه المبين الذي بين للخلق كافة ما ينفعهم ويصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة، بين لهم الأرزاق، وبين سبل تحصيلها، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول؛ ليهتدوا بها إلى خالقهم فيحمدوه على نعمه، ويسبحوا بحمده، ويمجدونه ويكبرونه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور/ ٤٦].  
فسبحان المبين الذي أبان لعباده كل شيء، وخص رسله ببيان الحق الذي أنزله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل/ ٤٤].

هو سبحانه الذي نور قلوب من شاء من عباده بنور الإيذان والتوحيد والقرآن: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكِ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطُلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم وما يحكد بآياتنا إلا الظالمون ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٨-٤٩].

والحمد لله رب العالمين الذي أبان لنا الحق ورغبنا فيه، وأبان لنا الباطل وحذرنا منه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

## التعبد لله عز وجل باسمه المبين

الله سبحانه هو الملك الحق المبين ، الظاهر للبصائر، المبين الذي أظهر وبين وأوضح الدلائل والبيّنات التي تدل على أنه الرب الحق ، الإله الحق ، الملك الحق الهادي إلى الصراط المستقيم، هداية بيان وإرشاد، وهداية توفيق وإلهام : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النور: ٤٦] .

والله سبحانه هو الحق المبين، يجب أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى، ويجب من تخلق بها، واتصف بها من عباده ، فالله يحب المؤمنين، ويجب المحسنين ، ويجب التوايين ويجب الصابرين : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

فالله سبحانه هو الحق المبين الذي بين نفسه بما أظهره من أسمائه وصفاته بآياته ومخلوقاته، وبين ما يحبه وما يكرهه ، وما يرضيه وما يسخطه، وما يقبله وما لا يقبله .  
فيا عبد المبين : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩] .

وعليكم أيها المؤمنون معرفة ما تتقربون به إلى مولاكم فتنجوا به من عذابه من معرفة أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، ووعدته ووعدته، ومواعظه وأحكامه وأخباره .  
فالتعبد لربكم بموجب هذه المعرفة، يثمر لكم حب الله وتعظيمه وخشيته وتقواه : ﴿ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوَىٰ وَأَنْتُمْ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

ثم اعمل أيها المسلم والمسلمة بما علمت، وبينه للناس، وأحسن إليهم كما أحسن الله إليك، وعلمهم كما علمك الله تكن من الربانيين : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩] .

واعلم أن الله ﷻ بين في كتابه مراده من عباده، وبين رسوله ﷺ أحسن ما يتقربون به إلى ربهم فبين أنت رحمك الله لخلقه ذلك ، وعلم عباده مما علمك الله، وثواب ذلك عائد عليك ، عسى أن تحشر في زمرة العلماء ، تلو الأنبياء، شاهداً على الناس مع الشهداء ،

بالحق المبين: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠]. وكفى بالله عليماً ﴿٧٠﴾

يا عبد المبين إذا وهبك الله نعمة العلم بأسمائه وصفته، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بحلاله وحرامه، وثوابه وعقابه، فبينه للناس، واعبد ربك بمقتضاه تفوز برضاه: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

وإياك وكتهان العلم إن وجدت له سائلاً، أو ألفت له طالباً، أو تبينت له موضعاً، فكاتم البيئات من العلم والهدى ملعون في كتاب الله لعناً مضاعفاً، ويلجم بلجام من نار يوم القيامة، إن لم يتب ويصلح ويبين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ [البقرة/ ١٥٩ - ١٦٠].

فالله ﷻ بين الحق، وأمرنا ببيانه للناس، فجهدنا على أنفسنا بالاستقامة على خمسة أمور: طاعات نؤديها، ومعاصي نجتنبها، ونعم نشكر الله عليها، وابتلاءات نصبر عليها، وذنوب نستغفر الله منها.

• أما جهدنا على الغير؛ فبين لهم ما أنزل الله في كتابه، ونجتهد عليهم بثلاثة أمور: الأول: جهد على الكافر لعله يهتدي، نبين له الحق لعل الله أن يهديه: ﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [السجدة: ٣].

الثاني: جهد على الجاهل ليكون عالماً، وجهد على الفاسد ليكون صالحاً، وجهد على الغافل ليكون ذاكراً: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

الثالث: جهد على العالم ليكون معلماً، وجهد على الصالح ليكون مصلحاً، وجهد على الذائر ليكون مذكراً: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية: ٢١].

هذه جهود ثلاثة في مجال الدعوة، فالله فتح لنا هذه الأبواب، وبين لنا الحق، وأمرنا ببيان

الحق للناس كلهم : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم / ٥٢].

فالحق أبين من كل بين، والحق أسهل شيء ، والعمل به أيسر وأسهل شيء : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر / ١٧].

كذلك الله ﷻ أعطانا الفقراء والضعفاء والمحتاجين، محل صدقاتنا وإعانتنا، فبين للناس كل ما يهمهم من مصالح دنياهم ودينهم ، ونبليغ عن نبينا ﷺ أقواله الحسنة، وأعماله الصالحة، وأخلاقه العالية؛ ليكون كل مسلم مقتدياً بالرسول ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب / ٢١]. فمن عرف ربه باسمه المبين هو سبحانه المبين البين لكل أحد، الظاهر للبصائر والعقول، بآياته الكونية، وآياته التكوينية، وآياته الشرعية، والمبين لكل شيء ، مبين للحق من الباطل، ومبين للمخلوقات بصفاتهما، ومبين للملكه وسلطانه العظيم، والمبين للعبد ما له في الدنيا وما له في الآخرة : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه : ٨].

من عرف ربه باسمه المبين أحبه وحمده وشكره؛ لما يرى من عظيم إحسانه وإنعامه ، وجزيل نعمائه ، وعظيم إكرامه : ﴿ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وإذا عرف العبد ربه المبين كبره وعظمه ومجده، لما يرى من عظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة حكمه وشرعه، وعظمة ثوابه وعقابه، وعظمة وعده ووعيده : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥].

والمسلم إذا عرف ربه باسمه المبين، عرف أنه الرب الحق والإله الحق، والملك الحق؛ فوحده بأسمائه وصفاته ، ووحده بعبادته؛ لما يراه من جلاله وجماله ، وإنعامه وإحسانه : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتُونَكُمْ ﴾ [محمد : ١٩].

والمسلم إذا عرف ربه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة، اطمأن بذكره ،

وسارع إلى مرضاته، وسلم لأحكامه القدرية والشرعية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَثَابُ﴾ (٢٩) ﴿[الرعد: ٢٨-٢٩].

واستقام على أمره: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣) ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٤) ﴿[الأنفال/ ٢-٤].

فاللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

ومن عرف ربه المبين افتقر إليه في جميع أحواله، وطلب الهداية منه، وسأل ربه الثبات على الحق: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) ﴿[القصص/ ٥٦].

وعبد المؤمن، وعبد المبين، عليه أن يستقيم على أوامر ربه المبين، ويدعو الناس إلى عبادة ربه المبين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١) ﴿نُزُلًا مِّنْ عَفْوَ رَبِّهِمْ﴾ (٣٢) ﴿[فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٤٥) ﴿[النحل: ١٢٥].

وعبد المبين يعلم المؤمنين دين ربهم، ويبين لهم أحكامه، وفضائله ومسائله: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَٰنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِلَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٩) ﴿[آل عمران/ ٧٩].

وقال النبي ﷺ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

فعلينا جميعاً أن نحسن الظن برنا، ونحسن الظن بإخواننا من كانوا وحيث كانوا، ولا

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).

نقبل الكلام عن غيرنا حتى يتبين لنا ثبوت ذلك عنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ  
بِنِيءٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيْهِ مَا فَعَلْتُمْ نَدَمِينَ ﴿٦﴾ [الحجرات / ٦].

وإذا اشتبهت عليك الأمور، وعز عليك معرفة الحق، فاسأل الميين أن يكشف لك ما  
استغلق عليك من المسائل: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ  
إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُمِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب جبريل وميكائيل  
وإسرافيل، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون؛ اهدنا لما اختلف فيه من الحق  
بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

فاللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه يا أرحم  
الرحمين .

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والمهرم وعذاب القبر.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن  
دعوة لا يستجاب لها .

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به  
جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا .

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا برحمتك يا أرحم  
الرحمين .

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَاتِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الحي

# موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

## اسم الله الحي

الله ﷻ هو الحي بجميع صفات الكمال ، فله الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦٥] [غافر: ٦٥] .

وقد ورد اسم الله الحي في القرآن ( ٥ ) مرات .

• والله ﷻ خلق في هذا الكون نوعين من المخلوقات :

أحدها : مخلوقات مُسَخَّرَةٌ مجبولة على الطاعة ، اختارت أن تكون مُسَخَّرَةٌ مطيعة لربها ، وهي كل ما سوى الإنس والجن ، جميع المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، هذه المخلوقات اختارت أن تكون مُسَخَّرَةٌ مطيعة لربها ، شاهدة بوحدانيته ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته : ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

الثاني: الإنس والجن ، هؤلاء هم المخاطبون بالأوامر الشرعية وفيهم إيمان فطري فطر الله القلوب عليه ، ولكن لا بد من سقي هذا الإيمان الفطري بالإيمان الكسبي الذي نجتهد حتى نتحصل عليه ، كما نجتهد للحصول على الأموال حتى نشترى الأشياء ، نجتهد للحصول على الإيمان الذي يقوي هذا الإنسان قلبًا وقالبًا على عبادة الله ﷻ بالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد والدعوة وغير ذلك من الأعمال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [٤] [الأنفال: ٢-٤] .

لابد أن يمتلئ القلب بالإيمان المولّد للطاقة العملية ، وهذه الطاقة موجهة ومقيدة بما جاء عن النبي ﷺ ، فتوجيه الطاقة بيد الإنسان ، يوجّه طاقته إلى الحق أو إلى الباطل ، أو إلى الخير أو إلى الشر : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ [الإنسان: ٢٩-٣١] .

بحسب البيئة الإيمانية يزداد إيمان العبد ، وإذا زاد الإيمان في القلب بمعرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله جاءت الطاعات متوالية ، وجاءت الطاعات متنوعة ، وجاءت المسارعة والمسابقة إلى الخيرات ، وإلى الأعمال الصالحة : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ (٩٠) [الأنبياء: ٩٠] .

جاءت هذه العبادات سهلة بالمحبة والتعظيم والذل لله ﷻ ، هذه أركان العبادة التي يجب علينا أن نعبد الله ﷻ بموجبها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١-٢] .

### • فكل عبادة من العبادات تقوم على أركان ثلاثة :

حب الله ﷻ .. والخوف من الله ﷻ .. ورجاء ثواب الله ﷻ .

نحن عبيد لله ، والله ﷻ أعطانا الاختيار لتوجيه الطاقة للعمل بالحق ، أو العمل بالباطل : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (٢٩) [الكهف/ ٢٩] .  
هذه القلوب بأمرس الحاجة إلى معرفة معبودها وفاطرها جل جلاله ، تعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتعرف عظمة نعمه وإحسانه ، وتعرف وعده ووعيده ، حتى تمثل أمره ، وتجتنب نهيه ، بهذه الصفات الثلاث : حب الله ﷻ .. والخوف من عقابه .. ورجاء ثوابه .

الركن الأول : محبة الله ﷻ أهم أركان العبادة ، والإنسان إما عابد لله ، أو عابد لعبد الله ، بحسب معرفته بالله ، وجهله بالله ، إما أن يكون عابداً لله أو عابداً لعبد الله ، ممن يسبح بحمده من مخلوقاته حجرٍ أو شجرٍ أو غيرهما .

ولا يعبد غير الله إلا من لم يعرف الله ، من لم يعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويعرف عظمة مُلكه وسلطانه ، ويعرف ثوابه وعقابه ، ويعرف وعده ووعيده ، ويعرف أمره ونهيه ، فلا بد أن يجره الشيطان إلى عبادة غير الله من الأهواء والأصنام والأحجار ، وأعظم صنم معبود من دون الله هو صنم الهوى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الفصص/ ٥٠] .

الهوى الذي يهوي بالإنسان من الحق إلى الباطل ، ومن العلو إلى السفل ، ومن الإيمان إلى الكفر ، فالهوى مقابل الهدى ، ولا يحق للإنسان أن يعيش ثانية واحدة بغير الهدى ؛ لأنه إذا عاش بغير الهدى ضل ، وإذا ضل عمى عن الطريق الذي يسير عليه إلى ربه : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنُكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

ولا تكون العبادة حقًا إلا لمن عرف الله حقًا بأسمائه وصفاته وأفعاله .

ومحبة الله ﷻ ثمرة معرفة عظمته ، وكبريائه ، وجلاله ، وجبروته ، ومُلكه ، وسلطانه ، وثمره معرفة نعمه ، وإحسانه ، وفضله ، وإكرامه لخلقه ، فجميع النعم التي نتنعم بها كلها بفضل الله ﷻ ، ومن نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى .

فأنا أحب العظيم ، وأحب الكريم ، أحب العظيم لعظمته ؛ لأنه بهرني بعظمته وجلاله ، وأحب الكريم ، لإنعامه عليّ وعلى غيري ، ولأنه أعطاني خيرًا وصرف عني شرًا : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فمحبة الله ﷻ أهم أركان العبادة ، فيجب علينا أن نُحب الله ، وأن نُحب رسوله ﷺ ، ونُحب المؤمنين ، ونُحب دينه وكل ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات ، ونُحب كل ما يحبه الله ورسوله ، أكثر مما نُحب أنفسنا وأولادنا وأموالنا ، ونُكره كل ما يكرهه الله من المعاصي .

ومحبة الله تنشأ من معرفة أسمائه الحُسنى ، وصفاته العُلى ، ومن معرفة نعمه وإحسانه ، ومعرفة صفات جلاله وجماله .

وكلما زادت معرفة العبد بربه زادت محبته لله ، وإجلاله ، وتعظيمه ، وزاد حب الله له وزادت طاعته لربه ، والمحبة الكاملة مقرونة بالطاعة الكاملة .

فمتى جاءت المحبة الكاملة ، جاءت الطاعة الكاملة ، وجاء الثواب الكامل ، والرضا الكامل من ربنا ﷻ .

وكلما نقصت معرفة العبد بربه نقص حبه لله ، ونقصت طاعته له ، وزادت معاصيه ، وكلما عصى العبد ربه نقصت محبته لله بقدر معصيته ، وكلما أطاع العبد ربه زاد حب الله له بقدر طاعته قال الله ﷻ في الحديث القدسي : « مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ » أخرجه البخاري (١) .

وإذا ضعفت محبة الله في قلب العبد بسبب كثرة المعاصي ، فقد لذة العبادة ، واستولى عليه الشيطان ، فيؤدي العبادة وهو لاهٍ غافلٍ عن ربه ويجد قسوة في قلبه ، ويشعر بلذة المعصية ، ويحس بثقل الطاعة .

فالأوامر الشرعية في مقابلها الشهوات الحيوانية ، وهذا محل الابتلاء .

الأوامر الإلهية من ربنا جل جلاله على هذا الإنسان يقابلها الشهوات الحيوانية ، الملائكة مجبولون على الطاعات ، ليس عندهم شهوات تصرفهم عن الطاعة ، ولكننا نحن اخترنا أن نكون مختارين أن نؤمن أو نكفر ، نفعل الخير أو نفعل الشر ، أن نعمل بالحق أو نعمل بالباطل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

ومما يقوي محبة الله ﷻ في قلب العبد معرفته بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة نعم الله عليه ، وأداء الواجبات ، واجتناب المحرمات والإكثار من نوافل العبادات .

الركن الثاني من أركان العبادة الخوف من الله تعالى ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف .

والخوف من الله ﷻ إنما ينشأ من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة وعيد الله لمن عصاه بالعقوبة ومعرفة شدة عقوبة الله لمن عصاه بالعذاب الأليم ، والعذاب

(١) أخرجه البخاري برقم: ٦٥٠٢ .

العظيم: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [١٠٢] . [هود: ١٠٢] .

وكلما قويَ إيمان العبد ، وتصديقه بعذاب الله ، ومعرفة شدة عذابه لمن عصاه اشتد خوفه من الله : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٤٩] يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِمَّنْ فَوْقَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل: ٤٩-٥٠] .

فالخوف من الله ينشأ من معرفة عظمة الله ، وكبريائه ، وجلاله ، وجبروته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وأنه كبير ، محيط بكل كبير ، عالم بكل شيء ، قادر على كل شيء ، محيطٌ بكل شيء ، لا يخفى عليه شيء ، ولا يُعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض ، له العالم العلوي ، وله العالم السفلي ، خلق العرش والكرسي ، وخلق السماوات والأرض وخلق ما بينهما ، وخلق ما في الأرض من الجبال والبحار والأنهار ، والنبات والحيوان ، والإنس والجن ، وخلق السماوات العلا وملاؤها بالملائكة ، هذه عظمة ملك الحي القيوم تولد الهيبة والخشية ، والخوف والرهبة من الله الملك العزيز الجبار ، فأمثل أوامره ، وأجتنب نواهيه ، لأنني أعلم أنه إذا أمرني بأمر وخالفته فالله ﷻ يعاقبني حسب جنايتي .

فالعقوبة حقُّ لله ﷻ على من عصاه ، أما الثواب فهو حقُّ للعبد من الله ، فالله ﷻ لا يظلم مثقال ذرة : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/٤٠] .

فنعرف عظمة الله وكبريائه وجلاله وجبروته حتى يتولد عندنا الخوف من الله ، الخوف من المعاصي ، الخوف من نار جهنم ، الخوف مما يجري في عرصات القيامة ، كما قال الله عن الكفار : ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَتَّبِعُونَ فَاتَّقُونَ﴾ [١٦] [الزمر: ١٦] .

ومتى نخاف الله ونخشاه ؟ نخافه إذا عرفناه ، عرفنا صفات جلاله من الملك والقوة والقدرة والقهر ، وصفات الجلال لله ﷻ تولد الخوف والهيبة والخشية لله ﷻ :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر/٢٨] .

الذين يعلمون أن ربهم بيده ملكوت السماوات والأرض ، السماوات من جند الله ، والأرض من جند الله ، والرياح من جند الله ، والنار من جند الله ، وكل مخلوق من جند الله : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح/ ٧] .

فإن الله ﷻ ملكٌ عظيم ، وسلطانه كبير ، ويفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، فإذا عرفته بأسمائه الحسنى ، وبصفات جلاله ، ازداد خوفي منه فأخاف من يملك القدرة ، ومن يملك القوة ، ومن يملك القهر ، ومن خلق الجبال ، وخلق البحار ، وخلق النيران ، وخلق الإنس ، وخلق الجن ، وخلق النار ، وخلق السماوات ، وخلق الأرض ، وخلق الملائكة ، وخلق الكرسي : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فإذا عرفت الله ﷻ جاء في قلبي تعظيمه جل جلاله ، وخشيته ، والخوف منه ، فأقبلت على طاعته واجتنبت معصيته : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩] .

الركن الثالث من أركان العبادة الواجبة لله ﷻ رجاء الله تعالى .  
والرجاء هو الطمع في ثواب الله ومغفرته .

#### • والرجاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الرجاء الأول : رجاء المؤمن الذي أطاع الله في أن يتقبل الله عمله من الأقوال والأعمال الصالحة ، وأن يشبهه عليه بالفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، فالأعمال كلها من فضل الله ﷻ ، فالله خلقنا ، وهدانا للإسلام ، وحبب إلينا الطاعات ، وأعاننا عليها ، ويسر لنا القيام بها ، وقبلها وأثاب عليها ، وضاعف الثواب عليها ، ثم يأتي بعد ذلك رضوانه الله جل جلاله ودخول الجنة ، فالمؤمن يرجو أن يتقبل الله ﷻ عمله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

والعمل الصالح من فضل الله ﷻ على الإنسان ، فالمؤمن يرجو أن يتقبل الله عمله ، وأن يثيبه عليه بالفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، نحن لا نستحق على الله شيئاً ، لأننا عبده ولكننا كريم ، العطاء أحب إليه من المنع جل جلاله .

فهذا الرجاء الأول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءُؤَلِّتِكُمْ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة/ ٢١٨] .

الرجاء الثاني : رجاء من أذنب ذنباً ، ثم تاب منها ، سرق أو قتل أو شرب الخمر أو ترك الصلاة أو فعل شيئاً من الفواحش ، رجاء من أذنب ذنباً ، ثم تاب منها ، أن يغفر الله له ذنوبه وأن يعفو عنها ويبدلها حسنات ، فالله ﷻ كريم يقبل التوبة وغافر الذنب وقابل التوب ويعفو عن السيئات ، والعفو أحب إليه من الانتقام ، والرحمة أحب إليه من القسوة ، والعطاء أحب إليه من المنع ، فأنا أرجو الله حينما أعبده إذا أذنبت ذنباً ثم تبت منه أن يعفو الله عني ، وأن يبدل سيئاتي حسنات : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ءِإِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ ءَآثَامًا ﴾ [٦٨] يُضَعَّفُ لَهُ ءَلْعَذَابُ يَوْمِ ءَلْقَيْمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴾ [٦٩] ءِإِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوۡلَٰئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ ؕ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان / ٦٨ - ٧٠] .

وهذان النوعان محمودان مأمورٌ بهما شرعاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتَّوۡنَ كِتَابَ اللَّهِ ءَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ءَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبۡوَرًا ﴾ [٢٩] .

الرجاء الثالث : رجاء من هو متمادٍ في التفريط في الواجبات ، والوقوع في المحرمات ، دون توبة ، ومع ذلك يرجو رحمة الله ، فهذا هو الغرور والتمني ، والرجاء الكاذب المذموم :

فيجب علينا أن نعبد الله محبةً له ، وطمعاً في ثوابه ، وخوفاً من عقابه ، والمسلم يرجو الله ﷻ ، ويخافه ، ويحبه جل جلاله .

هذه الأمور الثلاثة لا تنفك عن أي عبادة سواءً كانت دعوة ، أو تعليماً لشرع الله أو إحساناً إلى خلق الله ، أو صلاة أو صياماً أو ذكراً أو دعاءً ، أو أي عملٍ صالح ، نحن نتقرب إلى الله بإخلاص العبادة لله مع كمال الحب له ، وكمال التعظيم له ، وكمال الذل له ، مع رجاء ثوابه والخوف من عقابه .

ولهذا أمرنا الله ﷻ أن نذكره ذكراً كثيراً لأن من ذكر الله أحبه وخافه ورجاه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٣] .

فلا بد من ذكر الله ﷻ حتى نستحضر عظمة الله ، فإذا استحضرنا عظمة الله ﷻ أقبلنا على طاعته ، وابتعدنا عن معصيته ، وأدبنا العبادة بالمحبة والتعظيم والذل لله ﷻ .

• وذكر الله ﷻ يكون بحسب معرفته :

يكون باللسان .. ويكون بالقلب .. ويكون بالجوارح .

فالذكر باللسان : يكون بحمد الله ، وتسبيحه ، وتكبيره ، وتمجيده ، وقراءة كتابه ، والدعوة إلى دينه ، وتعليم شرعه .

• وذكر الله بالقلب ثلاثة أنواع :

الأول : التفكير في الدلائل الدالة على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، بالنظر في الآيات الكونية التي خلقها الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس / ١٠١] .

انظروا في العالم العلوي هذه السماء العظيمة ، وهذه النجوم المنتشرة ، وهذه السحب المتراكمة ، وهذه الرياح التي تهب ، وهذه الطيور السابحة ، وهذه الأفلاك الواسعة ، وهذه الشمس المضيئة ، وهذا القمر المنير ، وهذه الأرض الممهودة ، وهذه الكائنات التي تدب على وجه الأرض في الجو ، وفي البر ، وفي البحر ، هذه الخلائق العظيمة لاشك أن لها خالق : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ

كُلِّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ  
الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

ولكل مخلوق من هذه المخلوقات ، بل لكل ذرة في هذه المخلوقات ، ثلاثة أوامر من ربنا ﷻ :

أمر بالخلق والإيجاد.. وأمر بالبقاء.. وأمر بالنفع والضّر ، والتحريك والتسكين .  
فإنه ﷻ حي قيوم ، قائم على كل شيء : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ  
وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ  
حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

الله ﷻ هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، هو الحي الذي حياته كاملة  
ليست مسبقة بعدم ولا يلحقها زوال ولا يعترها نقص أو عيب : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥] .

هو الحي بجميع صفات الكمال من السمع والبصر ، والعلم والقدرة ، والكرم  
والرحمة ، والإرادة والمشية ، والتصريف والتدبير وغير ذلك من الأسماء الحسنى ،  
والصفات العلى ، والأفعال الجميلة : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ [طه/ ٨] .

فإنه ﷻ إذا عرفناه أحببناه وكبرناه ، وإذا أحببناه عبدناه ، وإذا عبدناه استجاب  
دعاءنا ، وإذا استجاب دعاءنا أعطانا ما يُسعدنا في الدنيا ، وما يُسعدنا في الآخرة ،  
فلا بد من ذكر الله ؛ لأن ذكر الله ﷻ عبادة مفتوحة في جميع الأوقات ، وفي جميع  
الأزمان ، وفي جميع الأماكن وفي جميع الحالات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ  
ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ [الأحزاب/ ٤١-٤٢] .

هو الحي الذي أحيا كل حي ، هو الحي الذي خلق الحياة في كل حي ، هو الحي  
القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، حي لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، من يدبّر العالم  
العلوي والعالم السفلي لو نام ؟ من يدبّر النجوم ، من يدبّر الرياح ؟ من يدبّر

البحار ؟ من يُدبّر مليارات المخلوقات في البر والبحر والجو ؟ من يُدبّر الملائكة في السماء ؟ من يُدبّر المخلوقات على ظهر الأرض من جمادات ونباتات وحيوانات وإنس وجن ؟ ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس / ٣١ - ٣٢] .

الله ﷻ هو الحي الذي يُدبّر الأوامر الملكية في العالم العلوي والعالم السفلي ، وفي عالم الغيب والشهادة ، وفي الدنيا والآخرة ، من حياة وموت ، وتحريك وتسكين ، وعطاء ومنع : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥] .

فالله ﷻ له الخلق والأمر في هذا الملكوت العظيم ، فلا شيء ألد في هذه الحياة ، وأشهى للقلوب ، من اللذة بمعرفة الله وأسمائه وصفاته ، والتعبد له بموجب هذه المعرفة ، والوقوف بين يديه بالعبادة ، والوقوف بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتحبيب الناس إلى ربهم بتعريفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ليعظموه ، وتعريفهم بنعمه ليشكروه ، وتعريفهم بالطاعات المقربة إليه ليقبلوا عليها ، وتعريفهم بالمعاصي التي تُبعدهم عنه ليحذروها .

فنحن عبيد لله ﷻ ، وليس للعبد أن يقضي وقته على هواه ، بل على هدى ربه ، ليس للعبد أن يخالف أوامر سيده ، فلا تشغله شهواته عن أوامر ربه ﷻ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء / ٩٠] .

هذه حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، حياته ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، وكان بين يدي الخلق داعياً ، ومعلماً ، ومحسناً ومبشراً ونذيراً .

وجُلّ وقته مقسوم على العبادة ، والدعوة ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله . قائم بالعبادات الانفرادية ، والعبادات الاجتماعية ، العبادات الانفرادية كقراءة القرآن والذكر والدعاء ، وهذه تسمى الأوامر الخفيفة .

ويقوم بالعبادات الاجتماعية كالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، والنصيحة والجهاد في سبيل الله ، هذه تسمى الأوامر الثقيلة ، والإيمان يزيد بالأوامر الخفيفة ، والأوامر الثقيلة على النفس : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة / ٧١] .

الدعوة إلى الله أعظم أوامر الله بعد الإيمان ، لأنها أم الأعمال كلها التوحيد والأيمان والأعمال الصالحة .

لهذا الدعوة تحتاج إلى تضحيات ، تضحية بالأوقات ، بالأموال ، بالأنفس ، بالشهوات ، بالتغرب عن البلاد ، وعن الأهل ، كما فعل النبي ﷺ انتقل من مكة إلى المدينة من أجل الدين ، ومن المدينة خرج مائة وخمسين خروجا كلها في الدعوة إلى الله ، ونشر دين الله ، وصدّ عدوان الأعداء الذين يحاربون دين الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات / ١٥] .

القسم الثاني : الفكر في الدلائل الدالة على كمال أحكام الله وتكاليفه الشرعية ، وأوامره ونواهيه ، ووعده ووعيده ، نتفكر في الأوامر الشرعية على عباده ، نتفكر في الصلاة كيف الصلاة تصل العبد بربه ؟ ، فالصلاة فيها خمس صفات :

تكبير الله ﷻ (الله أكبر).. وحمده ( الحمد لله رب العالمين ).. واستغفاره بين السجدين.. وسؤاله الهداية.. وتقديم التحية له.. والصلاة والسلام على من ضحى بأوقاته ، وأمواله ، ونفسه وأهله ، وبلده ، في سبيل وصول الدين إلينا كاملاً : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة / ١٢٨] .

جاءت الصلاة إلينا كاملة ، والزكاة كاملة ، والتقرب إلى الله بأنواع الطاعات واجباتها ومستحباتها ، جاء بالدين الكامل كله بسبب تضحيات النبي ﷺ الذي ضحى بكل شيء من أجل أن يظهر الحق ، ويزهق الباطل ، ويكمل الدين ، ولما بلغ الرسالة ،

وأدى الأمانة ، وكمل الدين ، توفاه الله ﷻ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣] .

هو جل جلاله الحي القيوم ، له الأسماء الحُسنَى ، والصفات العُلَى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، فكتابه كامل ، ودينه كامل ، وأحكامه كاملة ، ونعيمه كامل ، لكن من أراد النعيم الكامل ، فليأتِ بالعمل الكامل ، لينال الثواب الكامل من الله ﷻ .

فالفكر في الأوامر الشرعية يثمر معرفة كمال علم الله وحكمته ورحمته ، والإنسان إنما يتلقى أوامره وطريقة حياته لا من مساوية من الناس ، ولا ممن هو دونه من المخلوقات ، لا من صنم ، ولا حجر ، ولا بهائم ، ولا غيرها ممن هو دونه ، بلى يتلقى الأوامر وطريق الحياة من ربه العلي الأعلى الذي خلقه ورزقه وهداه:

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

[الأنعام/ ١٠٢- ١٠٣] .

والإنسان العاقل يتلقى من ربه الأوامر التكليفية عملاً ، كما تلقى من ربه الأوامر الكونية قهراً في خلقه ونوعه ولونه وطوله كأن الله يقول : أنا الرب الذي خلقتكم ورزقتكم وأحييكم وأميتكم ، و كل شيء خزائنه عندي ، فتوجهوا إليّ ، وسلوني ما شئتم ، وأطيعوا أمري ، والله من حُبه لعباده ينزل إلى السماء الدنيا آخر كل ليلة ، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟» متفق عليه (١) .

فالله ﷻ يحب من عباده من يتقرب إليه ، فالله ﷻ يعطاء الربوبية للمؤمن والكافر والمطيع والعاصي ، يأمر الناس أن يعبدوا ربهم الذي خلقهم ورزقهم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٤٩٤ ، واللفظ له ، ومسلم برقم: ٧٥٨ .

الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢] .

فكما خضعت لأمره الكوني في خلقي يجب أن أخضع لأمره الشرعي في حياتي:  
﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فالله ﷻ يريد من عباده أن يتقربوا إليه ، ولكن بأحكامه الشرعية التي جاء بها رسوله ﷺ ، فتتعرف على الأحكام الشرعية ، لنعرف عظمة الملك ، فمثلاً الصلاة أحد أركان الإسلام ، للاتصال بالخالق لابد من هيئة للصلاة ، وهيئة الصلاة من التكبير إلى التسليم فيها مئتي سنة عن النبي ﷺ ، ويسبقها الوضوء لتتم طهارة الباطن بالتوحيد والإيمان ، وطهارة الخارج بغسل الأعضاء ، وطهارة البقعة ، وطهارة الثوب ، فالله ﷻ يريد من عبده أن يكون طيباً نظيفاً يقف بين يديه مكبراً له ، وحامداً له ، يسأله ما شاء ، ويستغفره من ذنوبه ، ويقدم التحية له ثم يصلي ويسلم على من بذل كل ما يملك من أجل إظهار دين الله ﷻ فيقول : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، أنك حميد مجيد .

فالنبي ﷺ مأمور بإتباع ملة أبيه إبراهيم ، ونحن مأمورون بإتباع النبي ﷺ في توحيده وإيمانه ، وفي نيته وفكره ، وفي أقواله وأعماله وأخلاقه : ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

فالغاية من دعوة الخلق إلى الله لتحقيق أربعة أمور:

الأول : أن تكون شخصيتي مطابقة لشخصية النبي ﷺ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١] .  
أفتدي بالنبي ﷺ في سنته ، وسيرته ، وأحواله ، وأقواله ، وأعماله وأخلاقه .

فإذا تمت هذه الأمور جاء الخير ، وتحولت الأمة إلى مجتمع فيه التوحيد والإيمان ، والإحسان والأمن ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة / ٧١] .

الثاني: أن يكون مسجدي كمسجد النبي ﷺ ، مسجد النبي ﷺ كان معموراً بالأعمال فيه أعمال كثيرة تزيد على مثلي عمل ، منها صلاة الجمعة والجماعة ، ومنها حلقات التعليم ، ومنها إكرام الضيوف ، ومنها الأذكار ، ومنها استقبال الجماعات والضيوف ، ومنها تفقد المحتاجين ، ومنها سماع الأحوال في مسجده ﷺ .

الثالث: أن يكون بيتي مطابقاً لبيت النبي ﷺ بما فيه من الإيمان ، والمعاملة الحسنة ، والأعمال الصالحة التي كان يقوم بها النبي ﷺ في بيته مع أهله .

فالمدينة سُميت المدينة بعد أن جاءت في أهلها الصفات الحسنة ، وقبل ذلك كانت تسمى يثرب .

ليست المدينة مدينة الحجارة بل المدينة مدينة الصفات ، سُميت المدينة ، لما فيها من الصفات التي يحبها الله ، أما مدينة الحجارة فهي التي تُبنى بالطوب والطين ، فهي تشارك المدن الأخرى بالطوب والطين ، لكن حقيقة المدينة هي مدينة الصفات التي يحبها الله ، الكرم ، والإحسان ، والعفو ، والرحمة ، والأمن ، والدعوة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من الصفات التي يحبها الله ، ويحب العباد الذين يتخلقون بها : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة / ١٢٠] .

الرابع: أن تكون مدينتي مطابقة لمدينة النبي ﷺ في الأخلاق العالية ، وفي الأعمال الصالحة ، وفي إقامة الدين ، وفي الأمر بالمعروف ، وفي النهي عن المنكر وفي المحبة ، وفي التراحم وفي المواساة .

فالله ﷻ أمرنا بالصلاة ، ويحب أن يشيع الصلاة في العالم ، وأمرنا بالذكر ، ويحب أن يشيع الذكر في العالم ، يكون الكون كله ذاكرةً مسبحاً ، ينسجم مع الجماد والنبات والحيوان : ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

ولكن هذا لا يكون إلا إذا قمنا بالأوامر الاجتماعية ، وهي الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة ، والجهد في سبيل الله ، هذه الأمور الثقيلة تحتاج إلى إيمان قوي ، والإيمان القوي إنما يحصل بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات القرآنية ، والعمل بالأحكام الشرعية من فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي والمواظبة على الجو الإيماني الذي يزيد فيه الإيمان ، والذي يولد الطاقة لفعل الأعمال الانفرادية ، وفعل الأعمال الاجتماعية ، والانقطاع عن جو الغفلة : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف / ٢٨] .

أما القسم الثالث من ذكر الله بالقلب : فهو الفكر في أسرار المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وهذا مقام عظيم لا نهاية له .

ننظر إلى مليارات النجوم في السماء ، ومليارات النباتات التي يخلقها الله في كل ثانية ، ومليارات المخلوقات في البر ، ومليارات المخلوقات في البحار ، لولا أن السمك يأكل كباره صغاره لصار قطعة لحم واحدة .

فمن خلق هذه المخلوقات ؟ ومن صورها ؟ ، ومن يدبرها ؟ ، ومن يطعمها : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [٦٣] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الزمر / ٦٢ - ٦٣] .

خلق الله ﷻ جميع المخلوقات للدلالة على كمال عظمته وكبريائه ، وأنه واحدٌ أحد ، وأنه بيده ملكوت السماوات والأرض ، وأنه يخلق بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب ، ويفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢) فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[يس: ٨٢-٨٣].

ملك عظيم له ملك عظيم ، وممالك عظيمة مملأها بالمخلوقات ، مملأها بالجمادات ، بالنباتات ، بالحيوانات ، وبسائر المخلوقات ، وهذه المخلوقات جميعاً الله ﷻ جعل لها ظرفاً ، الظرف هو السماوات والأرض ، في داخل الظرف مخلوقات عظيمة لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله ﷻ : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان/ ١١].

• ومن أعظم هذه المخلوقات العظيمة في هذا الظرف العظيم ستة عوالم :  
عالم الجمادات .. والنباتات .. والحيوانات .. الإنس .. والجن .. والملائكة .

في داخل هذا الظرف العظيم الذي هو ظرف السماوات والأرض مخلوقات عظيمة من الجمادات ، وهو أوسع دائرة ، ومن النباتات ، ومن الحيوانات ، ومن الإنس ، ومن الجن ، ومن الملائكة ، هذه المخلوقات العظيمة لملك عظيم خلقها جميعاً مسبحة بحمده ، وشاهدة بوحدانيته ، وخاضعة لأمره ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١٢) [الطلاق/ ١٢].

فسبحان من خلق هذه الخلائق التي تسبح بحمده : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (١) [الجمعة/ ١].

هذه البشرية الآن الأحياء منهم ما يزيد على سبعة مليارات كلهم من رجل وامرأة ، من آدم وحواء ، وهذه الحيوانات كل صنف منها يرجع إلى واحد ، حتى يرجع الجميع إلى الواحد الأحد الذي خلق جميع المخلوقات جل جلاله خلقها بقدرته ، تنبيهاً

لبريته وشاهده بوحدانيته ، مُسَبَّحة بحمده : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

أما ذكر الله بالجوارح : فهو أن تكون جوارح العبد مستغرقة في الأعمال التي أمر الله ورسوله بها ، خالية من الأعمال التي نهى الله عنها : ﴿ فَادْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة / ١٥٢] .

نذكر الله ، بأسمائه وصفاته وأفعاله ، نذكر دينه وشرعه ، ونذكر أمره ونهيه ، ونذكر وعده ووعيده ، ونعمل بموجب ذلك ، هذا الذكر هو المطلوب من الإنسان ، وكان الرسول ﷺ يذكر الله على كل أحيانه ، ومن يذكر الله ﷻ دوماً يطيعه ولا يعصيه ، يسبح بحمده ، ويدعوه ، ويسأله ، ويستغفره : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٢ - ٤] .

فغذاء القلوب بمعرفة أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الكبرى .

والله ﷻ حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، لا ينام ، لأنه هو الذي يدبر هذا الكون ومن فيه ، وهو ملك عظيم قائم على كل نفس ، قائم بنفسه ، مقيم لغيره ، ومملكه له ما في السماوات وما في الأرض ، لا أحد يأمر في هذا الكون ولا ينهي ، ولا يحول ولا يغير ، ولا يُبدل ولا يُصرف إلا هو : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك / ١] .

هو ﷻ ملك ، قادر ، قاهر ، حي ، قيوم ، وغالب لا يعجزه شيء ، ولا يخفى عليه شيء ولا يغيب عن علمه شيء ولا يهرب منه شيء : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

له الأوامر الملكية في ملكه العظيم ، في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وله الأوامر الشرعية على المكلفين من الإنس والجن ، وله الأوامر الجزائية يوم القيامة .

أحاط علمه بكل شيء : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

يعلم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، هو حي قيوم ، سميع بصير ، عليم خبير ، يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد ورق الأشجار وعدد ذرات الرمال وما أظلم عليهم الليل وما أشرق عليهم النهار ، لا تواري منه سماء سماء ، ولا أرض أرضاً ، ولا جبل ما في وعره ولا بحر ما في قعره ، عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، قادر على كل شيء ، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولهذا مدح نفسه فقال : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥] .

إذا عرفنا أن الله حي بصفات الكمال ، حي بالسمع والبصر ، والقوة والقدرة ، والعلم والحكمة ، والملك والعزة ، حي بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى .

وكل ما يجري في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، في الظلمات والنور ، وفي الليل والنهار ، وفي عالم الغيب والشهادة ، لا يغرب عنه مثقال ذرة منه علماً ، ورؤية وإحاطة : ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ [سبا/ ٣-٥] .

ويعلم بأعمال وحركات جميع المخلوقات قبل أن تفعل ؛ لأن كل شيء مكتوب عند الله ، فلا يخفى عليه شيء : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾ [الحج: ٧٠] .

فسبحان من هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله ، وهذا ملكه العظيم الواسع :

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما ؛ لأن أمره ملكي كوني ينفذ فوراً : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢) ﴿ فَسَبَّحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣) [يس / ٨٢ - ٨٣] .

هو سبحانه حي قوي ، قادر قاهر ، يمسك السماء أن تقع على الأرض ، ويمسك السموات والأرض : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٤١) ﴿ [فاطر / ٤١] هذه السماوات العظيمة من يحيط بها ؟ ، هذا الكون العظيم من يحيط به ؟ ، ومن يدبر فيه ؟ .

الله قدّر لي أن أسير من الرياض إلى أمريكا ، ومن الرياض إلى اليابان ، ومن الرياض إلى جنوب أفريقيا ، ومن الرياض إلى روسيا ، هذا الملك الواسع في أرض من أرض الله ، الله ﷻ خلق سبع أرضين ، وكشف لنا واحدة ، وأعلمنا بما فيها ، وبقية الأرضين الست غيبٌ عنا لا نعلمها ، وكشف لنا سماء واحدة وأخفى عنا سبعة ، فالله عالم الغيب والشهادة يستحق العبادة لذاته ولكمال أسمائه وصفاته : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٥) ﴿ [غافر / ٦٥] .

هو الحي وما دام هو الحي وحده لا شريك له ، وكل ما سواه الله أحياء ، فالله حي له حياة كاملة ، لا يلحقه فناء ولا موت ، أما غيره من الأحياء فالحي هو الذي خلقهم ، وعنده خزائن الحياة والأحياء ، وكل حي مخلوق سوف يموت ، وكل ميت سوف يُبعث ، وكل مبعوث سوف يحاسب : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢٧) ﴿ [الروم : ٢٧] .

فسبحان من خلقه وأمره بكلمة من كلامه : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤٠) ﴿ [النحل / ٤٠] .

ولكي أعيش حياة كاملة ، حياة طيبة ، أتصل بالعزیز ، حتى أكون عزيزاً ، وأتصل بالقوي حتى أكون قوياً ، وأتصل بالرحمن حتى تأتي في صفة الرحمة ، وأتصل

بالكريم حتى تأتي في صفة الكرم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ . [النحل / ٩٧] .

الله ﷻ هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، وحياته كاملة لا يلحقها زوال ، وليست مسبوقه بعدم ، ولا يعترئها نقص .

هو الحي الذي تستلزم حياته جميع صفات الكمال من السمع والبصر ، والعلم والقدرة ، والكرم والرحمة ، والإرادة والمشية ، وغير ذلك من الأسماء الحسنی ، والصفات العلی : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨] .

• وأسماء الله على قسمين :

أسماء ذاتية .. وأسماء فعلية .

من الأسماء الذاتية : الواحد الأحد ، الحي القيوم ، السميع البصير ، القوي القادر .

ومن الأسماء الفعلية : الخالق ، الرازق ونحوهما .

فالأسماء والصفات الذاتية : هي التي لا تنفك عن الله أبداً ، هو واحد أحد ، سميع بصير أبداً ، عليم قدير أبداً .

أما الأسماء والصفات الفعلية : فهي التي تنفك عن الله ، إذا شاء فعلها وإذا شاء لم يفعلها ، فهو يخلق إذا شاء ، ويرزق إذا شاء ، ويكرم إذا شاء ، ويهين إذا شاء ، ويرحم إذا شاء ، ويرزق إذا شاء .

فالأسماء و الصفات الفعلية هي المتعلقة بالمشية والإرادة ، والحي القيوم من أسمائه الذاتية التي لا تنفك عنه جل جلاله أبداً ، فهو الحي الذي لا يموت ، الحي الذي تستلزم حياته جميع صفات الكمال : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥] .

من فطرة الإنسان أنه يحب الاتصال بالعظيم ، والاتصال بالكريم ، يحب الاتصال بالعظيم ، ليستفيد من حمايته وحفظه ، ويحب الاتصال بالكريم ليستفيد من فضله وكرمه .

والله جلالة الحي القيوم بذاته ، وكل حيٍ سواه فهو حي لا بذاته بل بإمداد الله له بالحياة ، فإذا قطع الحي عنه الحياة صار جثة هامدة : ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [غافر/ ٦٨] .

هو سبحانه الحي القيوم الذي لا يموت أبدًا ، ولا ينام أبدًا ، هو الحي الذي ليس لحياته موت ولا فناء ولا زوال ، هو الحي الذي عنده خزائن الحياة والأحياء ، هو الحي الذي وهب الحياة لكل حي : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون/ ٨٠] .

هو الملك الحي القيوم : ﴿ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

هو الحي الذي يحيي ويميت في كل ثانية مليارات المخلوقات من النباتات والحيوانات والإنس والجن وغيرها : ﴿ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٥] ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ ٦ ﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿ ٧ ﴾ [الحج/ ٥ - ٧] .

والله عَزَّ وَجَلَّ هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، هو الحي العظيم المحيط بكل عظيم ، القوي المحيط بكل قوي ، القادر القاهر المحيط بكل قادر وقاهر ، الأحد المحيط بكل أحد : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُّعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

هو الحي القيوم العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، الرحمن الذي لا أرحم منه ، الكريم الذي لا أكرم منه ، العليم الذي لا أعلم منه ، هو الحي القيوم القوي الذي لا أقوى منه ، هو العزيز الذي لا أعز منه ، هو العلي الذي لا أعلى منه ، هو الحي القيوم اللطيف الذي لا أطف منه ، هو السميع الذي لا أسمع منه ، هو

البصير الذي لا أبصر منه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص / ١ - ٤] .

هو الحي العظيم الذي وهب كل عظيم ، هو الرزاق الذي وهب كل رزق ، هو العليم الذي وهب كل علم ، هو الحكيم الذي وهب كل حكمة ، هو الحي القيوم الملك المالك لكل مالك ، القاهر لكل قاهر ، هو الحي الواحد الأحد ، المحيط بكل واحد وأحد .

هو الحي القيوم القوي فلا نتوكل إلا عليه وحده ، هو القادر فلا نستعين إلا به وحده ، هو المجيب فلا ندعو إلا إياه وحده ، هو الغني فلا نسأل إلا إياه وحده : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾ [البقرة: / ١٨٦] .

والله ﷻ هو الحي القيوم وحده لا شريك له ، دائم الحياة ، دائم البقاء ، دائم الملك ، دائم العز ، دائم الكرم : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦٥ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

هو الحي صفة كمال ، جاء بعدها التوحيد : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

ثم أمرنا بعبادته وحده : ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۝٦٥ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

ثم حمد نفسه على كماله وهدايته : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦٥ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

أن كان ربنا جل جلاله عظيماً ، كبيراً ، كريماً ، حليماً ، غنياً ، حميداً ، غفوراً ، رحيماً ، لطيفاً .

هو حي قيوم ، كريم العطاء ، جزيل المواهب سابغ النعم ، دافع النقم ، مجيب دعوة المضطرين ، كاشف الكربات ، ومجيب الدعوات : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦٥ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى ، نعم على الظاهر ، ونعم على الباطن ، ونعم في الدنيا ، ونعم في الآخرة ، أما الإنسان وغيره من الأحياء ، فإنما كانوا أحياء بإحياء الله الحي لهم ، فلا بد لهذا الإنسان أن يموت ، إظهاراً للحي القيوم الذي لا يموت ، من

الحي المخلوق الذي يموت وإعلامًا بالحي الذي يملك الحياة والموت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران / ٢] .

فالذي يملك الحياة هو الذي يملك الموت ، والذي يملك الخلق هو الذي يملك الرزق ، والذي يملك الدنيا هو الذي يملك الآخرة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وحياة الإنسان دائمة ، والموت معبر لانتقال هذا الحي من دارٍ إلى دار ، حياة الإنسان مؤقتة ومؤبدة ، فالله ﷻ يعطى المؤمن يوم القيامة حياةً بلا موت ، ونعيمًا بلا بؤس ، وشبابًا بلا هرم ، وكذلك الكافر يوم القيامة ، له حياة بلا موت ، وشقاء بلا سعادة: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُنَّ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُعِيُّوٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلْدَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود / ١٠٥ - ١٠٨] .

فالإنسان خلق الله يبقى حياً ، ولكنه ينتقل من دار إلى دار: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج / ٦٦] .

فالإنسان ينتقل من بطن الأم ، إلى بطن الدنيا ، إلى بطن القبر ، إلى بطن الآخرة ، ثم يعطيه الله ﷻ من صفات الآخرة ، ويحيا إما في نعيم ، وإما في جحيم ، إما في جنة عرضها السماوات والأرض إن كان مؤمناً ، وإلا في سجن من سجون جهنم إن كان كافراً: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدُ بِنَفَرٍ قَوْمٌ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤ - ١٦] .

هو الحي الذي لا إله إلا هو ، له المُلْكُ والملكوت ، وله عالم الغيب والشهادة ، وله الحمد على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى .

هو الحي الذي يفعل ما يشاء ، وهو على كل شيء قدير ، يُنْجِي بِأَسْبَابِ الْهَلَاكِ كَمَا أَنْجَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ مِنَ النَّارِ ، وَأَنْجَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْبَحْرِ ، وَيُهْلِكُ بِأَسْبَابِ

النجاة كما أهلك قارون مع ماله ، وأهلك فرعون مع مُلكه ، ويُعزَّرُ بأسباب الذلة كما أعزَّ أنبيائه ورسله والمؤمنين ، ويُذَلُّ بأسباب العزة كما أذلَّ قارون وفرعون وهامان :

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ  
الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

هو الحي القيوم الذي يهب الحياة لكل حي ، هو خالق الحياة في كل شيء من مخلوقاته ، الذي أعطى كل مخلوق حياةً تخصه : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١-٢] .

فسبحان من أجرى أمره بالحياة والموت على جميع مخلوقاته ، وتفرد بالحياة المطلقة التي لم يسبقها عدم ، ولا يلحقها زوال : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران/ ٢] .

وإذا عرفت الحي فاتصل بالحي لتحيى الحياة التي يريدنا الله ، والحياة التي يريدنا الله هي حياة الأنبياء والرسل الذين هم أعرف الخلق بالله ﷻ : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۗ إِذَا تُنذِرُ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم/ ٥٨] .

هو الحي القيوم الذي يحيي الخلق من العدم ، خلق جميع المخلوقات وأبدعها على غير مثالٍ سابق : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: / ١٠١] .

خلق الخلق من العدم ، والمخلوق قد يخلق شيئاً ، لكن يخلق معدوماً من موجود ، الله خلق السماوات والأرض ، والإنس ، والجن ، والجبال ، والبحار من عدم ، قال لها كوني فكانت ، والإنسان يخلق ، لكن يخلق معدوماً من موجود ، يخلق من الحديد سيارة وطيارة ، ويخلق من القطن لباساً ، ويخلق من البلاستيك الصناعات المختلفة .

فهو فقط يخلق معدوماً من موجود .

لهذا الله ﷻ أحسن الخالقين ؛ لأنه يخلق من عدم ، وخلق هذا يكبر ، ويتكاثر ، ويتحرك ، خلق النبات وهذا النبات يكبر ويزيد ويتكاثر وتدب فيه الحياة ، لكن الإنسان يخلق سيارة لا تزيد ولا تتكاثر ، لا بد من تصنيع آخر : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون/ ١٢ - ١٤] .

هو جل جلاله الحي القيوم الذي يحيي الخلق من العدم ، ويحيي الخلق بعد الموت ، ويحيي القلوب بمعرفته والاتصال به : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ [الحديد/ ٢] .

وكل إنسان حي الذات ، ميت الصفات ، كل مخلوق من بني آدم حي الذات نفخت فيه الروح ، لكنه ميت الصفات ، فإذا آمن بالله ، أحيا الله قلبه بالإيمان ، وأحيا روحه بالأخلاق الحسنة وأحيا جوارحه بالأعمال الصالحة : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

فكما تحيا الأرض بالماء ، كذلك القلوب تحيا بالإيمان ، فالماء الذي ينزل من السماء على الأرض المعجدة تفتح له وتقبله ثم تحيا فتنبت من كل زوج بهيج ، من النباتات والأشجار ، وتخرج الأشجار والنباتات ثمار متنوعة الطعوم ، مختلفة الأشكال والألوان والأحجام : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج/ ٥-٧] .

فسبحانه الملك الحي الذي أحيا القلوب بالإيمان ، أنزل الوحي علي القلوب ، فأنبت الصفات التي يحبها الله ، أنبت الإيمان والكرم ، والعفو ، والإحسان ،

والتقوى ، وأنبت في الجوارح الأعمال الصالحة ، وأنبت في الألسنة الذكر ، وتلاوة القرآن ، والدعاء ، والدعوة وأنبت في الأذان سماع القرآن .

فالوحي إذا نزل على القلوب أنبت كل عملٍ صالح سواء كان عمل اللسان ، أو عمل القلوب ، أو عمل الجوارح .

هو الحي الذي يحيي القلوب بالإيمان ، ويحيي الأبدان بالأرواح ، ويحيي الأرض بالنبات : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٨٠﴾

[المؤمنون/ ٨٠] .

فسبحان الحي الذي خلق الحياة في كل حي من جميع المخلوقات ، وسبحان من أجرى أمره بالحياة والموت على جميع مخلوقاته ، وتفرد بالحياة التي لم يسبقها عدم ولا يلحقها زوال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

فالكافر ميت القلب ، والمؤمن حي القلب ، إذا ذكر ربه وقرأ القرآن خشع قلبه ودمعت عينه ، واقتصر جلدته ، وأحب ربه ، وعظم مولاه ، وسبح بحمده ، ودعاه وذكره ، وأطاعه وعبده لأنه حي القلب بالإيمان : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ [الحديد/ ١٦- ١٧] .

• وكل إنسان لا بد له من نفختين :

الأولى : نفخة الرسول الملكي : ينفخ فيه الملك الروح فتدب فيه الحياة ، ويشاركه في هذه الحيوان .

الثانية : نفخة الرسول البشري : وهو هذا الدين الذي إذا نفخ فيه صار مؤمناً ، اكتسب صفة جديدة هي صفة الإيمان : ﴿ أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ

فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

أحييناه بالإيمان وبالصفات التي يحبها الله .

فالإنسان بدون الإيمان أعمى ، وإن كان حياً لكنه أعمى ، هو حي حياة يشارك فيها البهائم التي ترتع في الشهوات ، وليس لها أوامر ولا نواهي ، لكن الحياة الأخرى هي المطلوبة ، وهذه الحياة الإيمانية مبنية على الحياة الأخرى ، فالدين ليس للأموات ، بل للأحياء : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٦٩ / ٧٠] .

فسبحان الحي القيوم الذي كل شيء ، وكل حي ، وكل ميت ، وكل ما في عالم الغيب والشهادة ، عبد له ، يُسَبِّحُ بحمد ، ويشهد بوحدانيته : ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

ولهذا لا بد أن نجزم باليقين على أن كل مخلوق حي ، لكن له حياة تخصه : ﴿الْمَرْتَرِ أَنْ اللَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتِ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١] .

لا يُسَبِّحُ الله ، ولا يُعْظَمُ الله ، ولا يُكَبَّرُ الله إلا حي ، لأن الطاعة فرع الحياة ، فلا يسبح الله إلا حي .

ولهذا عالم الجماد حي ، وعالم النبات حي ، عالم الحيوان حي ، جميع العوالم التي خلقها الله حية ، حتى جميع الذرات كلها حية ، متحركة بطاعة من خلقها ، وشاهدة بوحدانية ربها ومُسَبِّحة بحمده : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن: ١] .

ولا يُسَبِّحُ الحي إلا حي ، ولكن له حياة تخصه نحن لا نعلمها : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

هو المَلَك الحي القيوم القادر الذي أحيا كل شيء بسِرِّه ، الذي لم يُطَلع عليه أحدًا من خلقه ، أحيا عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنسان ، وعالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الطيور ، وعالم الأسماك ، وعالم الذرات : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة/ ١١٦] .

فسبحان من أحيا العوالم العظيمة بسِرِّه ، وغمر جميع المخلوقات بوافر بَرِّه ، بر الله الرحمن الرحيم على جميع مخلوقاته منتشر ، فالكل مخلوق لله ﷻ ، وكل مخلوق من مخلوقاته يسكن في مُلكه ، ويأكل من رزقه ، وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، ويشهد بوحدانيته : ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

جميع الجمادات مخلوقات حية ، وجميع الجمادات مكونه من ذرات ، فالسماوات والأرض كلها مكونة من ذرات ، وجميع هذه الذرات حية مطيعة تُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا : ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة/ ٧٤] .

الله ﷻ أخبرنا عن الحجارة أن منها ما يهبط من خشية الله ، لأنها ترى عظمة الله في خلق السماوات ، وخلق الأرض ، وخلق الجبال ، وخلق البحار ، وخلق هذه السحب العظيمة السابحة في الفضاء ، هذه المياه التي تتجول في الفضاء ، وتمشي وتمطر هنا ، وتمطر هنا ، وخلق هذه الشمس الساطعة ، وهذا القمر المنير ، وهذه الكواكب المنتشرة ، وخلق هذه المخلوقات العظيمة : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ﴾ [٤٩] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل/ ٤٩ - ٥٠] .

هذه الجمادات وهذه الحجارة تهبط من خشية الله ، فلا نظن أن الحجر إذا نزل من الجبل أنه نزل بنفسه ، بل هو حي يهبط من خشية الله ، وعظمة الله ، وكبرياء الله ،

وتصريفه وتدبيره : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر / ٢١] .

وما في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وعالم البحار ، وعالم الأنهار ، وعالم الإنس ، وعالم الجن ، وعالم الملائكة ، وما في الدنيا وما في الآخرة ، كل ذلك شاهد بوحدانية الحي الذي خلقه ، وساجد لمن صنعه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج / ١٨] .

هو حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم يخفض القسط ويرفعه ، ويدبر الأمر : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن / ٢٩] .

ومن هذا شأنه ، وهذه أسماؤه ، وهذه صفاته ، وهذه أفعاله ، وهذا ملكه ، وهذا سلطانه ، هو الذي يستحق أن يُطاع ويُعبد ، ويُركع له ، ويُسجد ويُذكر ويحمد : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥] .  
جميع المخلوقات اختارت أن تكون مسخرة مسبحة بحمد ربها ، شاهدة بوحدانيته ، دالة على كمال عظمته ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته .

أما هذا الإنسان فاختار أن يكون مخيراً فحمل الأمانة : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۗ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب / ٧٢] .

ومن تحمل الأمانة وهي الدين فسيعرض للثواب أو العقاب : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب / ٧٣] .

فهذا الإنسان إن وجد له مُذَكَّرٌ قَوِيٌّ عنده جانب الإيمان والطاعة ، وإن لم يكن عنده مُذَكَّرٌ قَوِيٌّ عنده جانب الكفر والمعاصي ، فلا بد من التذكير : ﴿ فَذَكِّرْ ۗ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية / ٢١] .

مهمة الداعية أن يُذكر الغافل ، وينقله من بيئة الغفلة إلى بيئة الذكر ، فيتذكر ، ثم يعود مرة أخرى مُذكرًا لغيره : ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ٩ سَيَذَكِّرْ مَنْ يَحْتَسِبُ ١٠ وَبِجَنبِهَا الْأَسْفَى ١١ الَّذِي يَصَلِي النَّارَ الْكُبْرَى ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ١٣ ﴾ [الأعلى / ٩ - ١٣].

فالمسلم إما أن يذكر الله كثيرًا ، أو يُذكر خلقه بالله ، وبأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويُذكرهم بِنِعْمته وإِحسانه ، ليكبروه ويحبوه ويحمدوه ، ويتوبوا إليه .

أما الحي الذي يموت ، أو الميت ، أو الجماد ، فكل هؤلاء وجميع المخلوقات لا يستحقون شيئًا من العبادة ؛ لأنهم من العبيد الفقراء الذين لم يكونوا شيئًا ، ثم خلقهم الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلَكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١١٤ ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

فجميع المخلوقات كانت معدومة ثم أوجدها الله ، ثم لما أوجدها مُلكها ، ثم هو يُدبرها ويصرفها كيف شاء ، ويُفنيها إذا شاء ، ويُبقيها إذا شاء ، لو رفع عنها البقاء لفنيت : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هذه المخلوقات كلها ما كانت شيئًا حتى تفعل شيئًا وليس بيدها شيء ، وليس عندها شيئًا ولا تملك شيئًا لكنها دالة على عظمة الله ، ودالة على خالقها ، وشاهدة بوحداية الله ، ومسبحة بحمده ، وساجدة لعظمته : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ٣٧ ﴾ [فصلت: ٣٧].

ونحن نستفيد منها من جانب آخر ، نستفيد من ضوء الشمس ، ومن نبات الأرض ، ومن الهواء ، ومن الطعام والشراب ، لكن جميع المخلوقات دالة على جلال الله ، وعلى جمال الله ، وعلى كبريائه ، وعظمته ، وعلى كمال قدرته ، وخبرته وحكمته ، فهي مسخرة لنا تسخير تعريف لنؤمن بالله الذي خلقها ، وتسخير تكريم لنشكر الله الذي سخرها لنا: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا

عَلِيمًا ١٤٧ ﴾ [النساء / ١٤٧]

فالله ﷻ خلق المخلوقات و أخفى فيها أسماء صفاته ، فأسمائه وصفاته مخفية في مخلوقاته ولهذا من ينظر إلى السماء والأرض يعلم أن لها خالقاً ، وأن هذا الخالق قادر ، وأنه غني ، وأن عنده خزائن كل شيء ، وأنه حكيم ، وأنه عليم ، وأنه عظيم وأنه رحمن ، فالنظر في الآيات الكونية يبرز لنا أسماء الله وصفاته ؛ لأن أسماء الله وصفاته مختزنة في المخلوقات ، مخفية في المخلوقات ، بالنظر نعرف أن لهذه المخلوقات خالق ، وأن هذا الخالق له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةَ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨].

علينا أن نعلم أن ربنا هو الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحُسنى ، وإذا عرفنا ذلك أحببناه ، وإذا أحببناه عبدناه ، فأصل العبادة هي الحب الكامل ، والذل الكامل ، والتعظيم الكامل ، لمن هو كامل في ذاته وأسمائه و صفاته وأفعاله ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢]. فالله وحده هو الحي الغني بذاته ، وكل ماسواه فقير إليه بذاته : ﴿ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥].

• وكل مخلوق مطبوع على أربع صفات :  
ضعيف.. فقير.. عاجز.. محتاج .

فالله ﷻ هو القوي الذي قواه ، وإذا سلب القوة عنه صار ضعيفاً ، وهو الغني الذي أغناه ، ولو سلب الغنى عنه عاد فقيراً ، وهو القادر الذي أقدره ، ولو سلب القدرة عنه عاد عاجزاً : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

ربنا هو الحي الذي يستحق أن يذكر فلا ينسى ، وأن يطاع فلا يعصى ، وأن يعبد فلا يكفر: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

و هؤلاء العبيد المخاليق من العرش والكرسي ، والسموات والأرض ، والإنس والجن ، والملائكة و الروح ، كلهم عبيد فقراء إلى الله ، الله خلقهم وحده وجميعهم في قبضة الله وحده ، لم يكونوا شيئاً ثم خلقهم الله ، وكلهم عبيده وتحت قهره وسلطانه .

والله ﷻ هو العظيم وحده ، هو الحي وحده ، وهو القادر القاهر وحده لا شريك له ، لا يشاركه أحد في أسمائه وصفاته وأفعاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى/ ١١] .

أما هذه المخلوقات فليس بأيديها شيء ، ولا تستحق أن تُعبد ، ولا تدري بمن يعبد: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٦] .

إنما هذه المخلوقات العظيمة دالة على جلال الله وجماله ، ولنا منها منافع ، فالله سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ١٧-١٨] .

إن تُعدوا نعمة واحدة من نِعَمِ الله لا تحصوها ، نعمة واحدة ، نعمة السمع ، نعمة البصر ، نعمة العقل ، نعمة الطعام ، نعمة الشراب ، نعمة الهواء : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل/ ١٨] .

فكيف نعد النعم ؟ ، وكيف ننعم بهذه النعم ونعصي بها من أنعم بها؟ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل/ ١٨] .

كيف تسكنون في أرضه ، وتأكلوا من رزقه ، وتعصونه بنعمه؟ ، لكن الله غفور رحيم بعباده : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [١٩] وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ أَمْوتَ عِوَرٍ أَحْيَاءٍ ﴿ ٢١ ﴾ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿ ٢١ ﴾

[النحل/ ١٩-٢١] .

الأصنام والأحجار لا يملكون شيئاً ، ليس لديهم أيدي يبطشون بها ، ولا أرجل يمشون بها ، ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها : ﴿ أَلَمْ أَرَجُلٌ يَمْسُونَ بِهَا أَمْ لَّهُمْ

أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ  
ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ [الأعراف / ١٩٥].

أما الله ﷻ فله الأسماء الحُسنى والصفات العُلى فيجب أن نعبده وحده ، وعبادة الله  
ﷻ نفعها عائدٌ علينا ، العبد نفعه عائدٌ على سيده ، السيد الذي له عبيد من البشر ،  
هؤلاء العبيد يخدمون عنده في الزراعة ، في التجارة ، في الصناعة ، ونفعهم عائد إلى  
سيدهم ، أما عبيد الله فنفعهم عائد إلى أنفسهم ، والمعطى لهم سيدهم : ﴿ مَنْ عَمِلَ  
صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٩٧﴾ [النحل / ٩٧] .

و الله ﷻ محمودٌ قبل أن نحمده ، وكبيرٌ قبل أن نُكَبِّره ، وعظيمٌ قبل أن نُعَظِّمه ، حمد  
نفسه قبل أن يخلق الحامدين له .

فهو الغني ، ونحن الفقراء ، نحن نحتاج أن نطيع الله ، ونعبد الله ، لأننا بحاجة إلى  
الرحمة ، إلى العفو ، إلى الرزق ، إلى الشفاء ، إلى الأمن ، إلى الطمأنينة ، نحن  
المحتاجون ، أما الله ﷻ فهو الغني عن جميع مخلوقاته ، وطاعتهم لا تنفعه ،  
ومعاصيهم لا تضره ، هو العلي الأعلى بذاته وأسمائه وصفاته ، الغني عن كل ما  
سواه ، وكل ما سواه محتاجٌ إليه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ  
الْحَمِيدُ ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر / ١٥] .

المستحق للعبادة على الكمال والتمام هو الله وحده ، هو الحي الذي لا يموت ،  
العليم بكل شيء ، فلنخلص له العبادة ، ونتوكل عليه ، ونسبح بحمده ، ولا نعبد إلا  
إياه ، ولا نخاف إلا منه : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ  
بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴾ ﴿٥٨﴾ [الفرقان / ٥٨] .

توكل على الحي الذي لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، وسبح بحمده ، لأنه أنعم  
عليك ، وأنعم على غيرك ، وأعطاك خير ، ومنع عنك الشر ، وتكفل بك في بطن  
الأم ، وفي بطن الدنيا ، وفي بطن القبر ، وفي يوم القيامة : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا  
عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٦﴾ [هود / ٦] .

كتب رزقها ، وأجلها ، وخطواتها ، ويعلم مكانها ، ويسمع تسييحها ويراها .  
هذا هو العظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الحي القيوم الذي يجب أن نُسبح  
بحمده ، ونتوكل عليه ؛ لأنه العليم الخبير بكل شيء .

فسبحان الحي القيوم الذي خلق الحياة في كل حي فصار حياً ، الحي الذي يملك  
خزائن الحياة والأحياء ، الحي الذي يملك أنواع الحياة .  
الحي الذي يُحيي ما شاء بما شاء :

أحيا الأرض بالنبات ، والنبات أكثر من أربعين مليون صنف ، عرف منه الإنسان الآن  
هذا الرقم ، النبات أمم وقبائل وشعوب .

هو سبحانه الذي أحيا الأرض بالنبات ، وأحيا الأجساد بالأرواح ، كم أجساد البشر ؟  
كم أجساد الحيوانات والطيور والحشرات ؟ وأحيا القلوب بالإيمان ، أشكال وأنواع  
من الحياة والأحياء ، أحصاها من خلقها : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا  
وَأَثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس/١٢] .

قبل أن يخلق الحي ، وما يعمله الحي ، الله ﷻ أحصى ذلك ؛ لأنه العليم بما كان وما  
يكون وما سيكون .

وأول ما خلق الله القلم قال له : اكتب ، قال : ما أكتب ، قال : اكتب ما هو كائن إلى  
أن تقوم الساعة من المخلوقات ، والحركات ، والسكنات ، والأرزاق ، والآجال ،  
والأحوال ، وجميع ما يجري إلى يوم القيامة ؛ لأنه العليم الذي أحاط علمه بكل  
مخلوق .

فهو الذي أحيا الأرض بالنبات ، نباتات مختلفة ومتجددة ، مختلفة الأشكال والألوان  
والطعوم ، وأحيا الأجساد بالأرواح ، أجساد البشر والحيوان ، أجساد الحيوانات  
عُرِفَ منها الآن أكثر من مليون نوع في البر ، وأكثر من مليون نوع في البحر ، هذه  
المخلوقات العظيمة من خلقها ؟ من أحيائها ؟ من يرزقها ؟ ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ  
الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤] .

هو الحي الذي أحيا القلوب بالإيمان ، جعل هذه القلوب حية بالإيمان ، تنبت الصدق ، تنبت الكرم ، تنبت الإحسان ، تنبت العفو ، تنبت الأعمال الصالحة ، تنبت الصلوات ، وهكذا الأعمال والحركات التي يحبها الله ويرضاها : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

فالله ﷻ هو الحي الذي أحيا كل حي ، والحي القيوم من أعظم أسماء الله الحسنى ، وعليهما مدار جميع الأسماء الحسنى ، وجميع صفات الله ﷻ راجعة إليهما ، ويرجى أن يكونا هما اسم الله الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى ، وإذا دُعِيَ به أجاب ، قال النبي ﷺ «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١) .

فالحَيِّ جامعٌ لصفات الذات التي لا تنفك عن الله أبداً كالسمع والبصر ، والعلم والقدرة وغيرها ، والقيوم جامعٌ لصفات الأفعال التي يفعلها الله إذا شاء كالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، والتصريف والتدبير ، والتغيير والتبديل ، والعفو والرحمة : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

فسبحان الحي القيوم القائم بنفسه ، الذي هو قائم على كل نفس ، المقيم لخلقه خلقاً ورزقاً وتدبيراً .

هو حي قيوم يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات من الذرات ، والنباتات ، والحيوانات ، وما نعلمه ، وما لا نعلمه ، في عالم الغيب ، وفي عالم الشهادة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر/ ٨٦] .

وكلما خلق شيئاً زاد ملكه ، وزاد من يعبده : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان/ ١١] .

(١) صحيح/ أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم: ٥٧٠.

فسبحان من هذه قدرته : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢)

[يس/٨٢] .

فالحمد لله أن هذا هو ربنا الخلاق العليم ، الغفور الرحيم ، العزيز الكريم ، الخالق البارئ المصور : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/٢٢-٢٤] .

الله ﷻ يثني على نفسه ليعرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ لأننا إذا عرفنا الملك تشوقنا لامثال أوامره ، والرغبة في وعده ، والحذر من وعيده جل جلاله .

إذا عرفنا الحي القيوم بأسمائه وصفاته وأفعاله تفانينا في طاعته ، وإذا عرفنا أوامره ، ولم نعرف الذي أمر بها ، تفننا في التفلت من أوامره ، فالمؤمن إذا عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تفاني في طاعته ، وسابق إلى مرضاته ونوع الطاعات واستكثر من العبادات ووصل الطاعة بالطاعة والحسنة بالحسنة : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُثَوِّبِكُمْ ﴾ (١٩) [محمد/١٩] .

وإذا عرف الأوامر ، وكانت معرفته بالأمر قليلة ، تفاني في التفلت من الأوامر لأنه بجهله بالله يعتبرها تكاليفاً شاقه ، بينما أمور الشرع ليست تكاليفاً ، بل هي هدى وشفاء ، ورحمة وإحسان من رب العالمين ؛ لأنها تقربنا إلى الله ، ونفعها عائد علينا ، ولا يعود على الله منها شيء ، لأن الله هو الغني الحميد ونحن الفقراء إليه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١٥) [فاطر/١٥] .

فالله ﷻ هو الحي القيوم ، المستحق للعبادة وحده لا شريك له ؛ لأن له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السماوات والأرض ، فلنخلص له العبادة ، ونتوكل عليه وحده لا شريك له : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ [الزمر/١١-١٢] .

فنحمد الحي القيوم على نعمة التي لا تعد ولا تحصى ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، ملء السماء ، وملء الأرض ، أن جعلنا مؤمنين ، وجعلنا من أهل السنة والجماعة ، وجعلنا من خير أمة أُخْرِجَت للناس ، وجعلنا من الدعاة إليه ، وجعلنا من المعلمين و المتعلمين لشرعه ، وقبلنا لعبادته ، وفتح قلوبنا للإيمان ، وفتح ألسنتنا للذكر وفتح أذاننا لسماع القرآن ، وحرَّكَ أبداننا لطاعته وعبادته ، فله الحمد أولاً وأخراً ، وله الحمد في الأولى والآخرة : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

هو الحي القيوم الذي خلق الحياة والأحياء ، الذي يُحيي ويميت ، الذي خلق كل شيء ، وأحكم صنع كل شيء ، وأحاط علمه وقدرته بكل شيء : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فما أعظم جناية من كفر به ، وما أخسر من أعراض عن ذكره : ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر/ ١٥].

هو سبحانه الحي القيوم الذي يُحيي كل ميت ، يُحيي الأرض بعد موتها ، ويُحيي القلوب بالإيمان ، ويميت كل حي ، هو الذي يملك الحياة ، وهو الذي يملك الموت ، وهو الحي الذي يميت كل حي ، فليس يميت الحي قاتله ، ولا يُحيي الحي تاركة ، بل الله وحده هو الحي الذي يُحيي ويميت ، لأنه وحده الذي يملك الحياة والموت : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق/ ٤٣].

أما المقتول ، فهذا قد فقد حياته ، لكن القتل هو هدم البنية التي تسكن فيها الروح ، فإذا قُتِلَ إنسان فإنما قُطِعَت رقبته ، والروح لا تستقر في بدن مقطوع الرأس ، فتخرج ، لكن الله ﷻ قدر موت هذا الإنسان بهذا السبب ، والله ﷻ وحده يميت الحي بدون القتل ؛ لأنه وحده الذي يُحيي ويميت الأشجار ، وكل المخلوقات ، لأنه هو الحي الذي يملك الحياة ، ويملك الموت : ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون/ ٨٠].

وخلق الله هذه الحياة ، وهذا الموت ، ليدل على قدرة الحي الذي لا يموت ، في الدنيا حي كبير ، وحي صغير ، الحي الصغير الذي أحياه الحي الكبير ، الحي الكبير هو الذي أحيى الحي الصغير من جماد ، ونبات ، وحيوان وإنسان وملك وغيره ، وإذا سلب عنه الحي الحياة عاد ميتاً ، هو الرزاق وإذا سلب الرزق عن المرزوق عاد فقيراً ، وهكذا الله ﷻ هو الذي يهب الصفات وهو الذي يسلب الصفات ، بحسب الإيمان ، وبحسب الكفر ، وبحسب رضاه ، وبحسب سخطه : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ۝ (٢) ﴾ [الملك / ١-٢] .

وهو سبحانه الحي الذي خلق الحياة في كل حي ، وخلق الموت في كل ميت ، هو الذي خلق الموت ، وخلق الحياة ، وخلق كل شيء ، وكل ذلك ملكه ، فإله له ملك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات وما في الأرض ، وله تدبير السماوات والأرض ومن فيهن : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ (١١٦) ﴾ [التوبة: ١١٦] .

مالك من ولي يتولاكم بالنعم ، وبالخلق ، وبالأمن ، وبالعافية ، وبالهداية ، إلا الله ، ولا نصير ينصركم من دون الله ، بل هو الناصر وحده ، فالنصر لا يأتي بالعدة والسلاح ، بل هي أسباب أمرنا بفعلها في دار الأسباب ، ولكن الغيث لا ينزل إلا من المغيث ، والنصر لا ينزل إلا من الناصر ، والرزق لا يأتي إلا من الرزاق جل جلاله ، والأرزاق في السماء ، والتسليم في الأرض ، فعل الأسباب في الأرض ، أما الأرزاق فهي تنزل السماء : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ (٢٢) ﴾ [الذاريات/ ٢٢] .

ولو كانت الأرزاق في الأرض لتقاتل الناس عليها ، ولكن الأرزاق في السماء ، والتسليم في الأرض ، وكلُّ قد علم الله رزقه فأرسله إليه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ (٣٠) ﴾ [الإسراء: ٣٠] .

فسبحان الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، الذي يخلق ويرزق ، ويحيي الأرض بالنبات ، ويحيي الأجساد بالأرواح ، ويحيي القلوب بالإيمان والتوحيد ،

ويُحيي الجوارح بالأعمال الصالحة : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم/ ٥٠] .

لا بد للإنسان أن يعتبر ، وينظر إلى هذا الماء المخلوق لله ، كيف فعله في الأرض ؟ ، فكيف بالوحي الذي هو كلام الله ﷻ كيف يحيي القلوب بالإيمان ، ثم يحركها بالطاعة ، ثم تخرج المنافع من هذا الإنسان ، ويكون هذا الإنسان على درجات ، أعلاهم الأنبياء والرسل ثم الصديقين والشهداء والصالحين : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [٦١] ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَٰلِمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/ ٦٩ - ٧٠] .

فالناس درجات في الإيمان والتقوى ، بحسب معرفتهم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وبحسب الإيمان والعلم تكون قوة العبادة ، وتكون قوة امتثال أوامر الرب ، ويكون الإخلاص ، ويكون الصدق ، ويكون العطاء ، ويكون الخوف والوجل من الجبار : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأفال/ ٢ - ٤] .

هو الحي القيوم الذي قهر عباده أبرارًا أو فجارًا بالموت : ﴿ أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ [النساء/ ٧٨] .

• فالله ﷻ أذل بني آدم بثلاثة أشياء رحمة بهم ، ليعودوا إلى ربهم : بالفقر .. والمرض .. والموت .

ولولا ذلك لقال الإنسان أنا ربكم الأعلى ، كما قال فرعون .

ضرب الله الإنسان وأذله بالفقر إلى الطعام ، وإلى الشراب ، وإلى الهواء ، وإلى الأرض التي يسكن فيها ، وأذله بالمرض ، لا يستطيع أن يدفع المرض عن نفسه ، المرض يأتي بأمر الله وحده ، ويزول بأمر الله وحده ، ويزيد بأمر الله وحده ، وينقص

بأمر الله ، هو الشافي وحده : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ [الشعراء / ٧٨ - ٨٠] .

هو الفعال وحده ، وكل ما سواه مفعول ، والأسباب مأموره ، فالله فعال لما يشاء :  
يفعل بالأسباب ، ويفعل بدون الأسباب ، ويفعل بضد الأسباب .

يفعل بالأسباب ، يأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، ويفعل بدون الأسباب يقول للشيء كن فيكون ، ويفعل بضد الأسباب كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ، وكما رزق مريم طعامًا بلا شجر ، وابنًا بلا ذكر ؛ لأنه هو الحي القيوم ، الحي الذي له الحياة الكاملة ، الحي الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلَى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الْدِينَ ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥] .

فسبحان الملك الرحيم الذي تكرم على عباده بعطاء الربوبية ، وعطاء الألوهية :  
﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

ما دام تمتعتم بعطاء الربوبية من الخلق والرزق وغير ذلك من عطاء الربوبية للمؤمن والكافر ، فعليكم أن تستقبلوا من الله الأوامر الشريعة التي تقرّبكم إلى الله ، ونفعها عائدٌ عليكم ، إن صليتم فلکم ، وإن زكيتم فلکم ، وإن صمتم فلکم ، وإن أحسستم فلکم ، وإن دعوتم فلکم ، وإن علمتم فلکم ، وكل ذلك عائد عليكم ؛ لأن الله هو الغني ، وأنتم الفقراء : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦] .

هو الحي الغني الذي عنده خزائن كل شيء : ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٦٨) [غافر / ٦٨] .

كأنه شيء موجود ثم قال له اظهر ، من خزائن الله ؛ لأن هذه المخلوقات كلها خرجت من خزائن الله ، وخزائن الله من غيب الله ، وغيب الله لا يعلمه الا الله : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتٍ أَرْضٍ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

هذا هو الإله العظيم الذي يستحق أن يُعبد ويُشكر ، ويُركع له ويُسجد ، فالله يُحيي ويميت ، يُعلم الناس أن الله وحده هو القادر على التصرف في الإحياء والإماتة ، متى شاء ، على من شاء .

والله وحده هو الذي يُحيي ويميت ، وهو الذي خلق الموت والحياة ، وقد وُكِّل قبض الأرواح إلى ملك الموت كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة/ ١١] .

والله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، وله الصفات العُلَى ، وله الأفعال الجميلة ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض ، فلا بد للمسلم أن يعرف المعبود قبل العبادة ، ويعرف الأمر قبل أمره ، ليأتي في القلب تعظيمه وحبه والخضوع له ﷻ .

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله هو أول العلوم على الإطلاق ، وأعظم أبواب التوحيد ، وأزكى العلوم ، وأعلاها ، وأحسنها ، وأعظمها ، وأفضلها ، وأوجبها ؛ لماذا ؟ لأن شرف العلم بشرف المعلوم وهو الله ﷻ : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٩٨] .

وهذا العلم أشرف ما صُرفت فيه الأنفاس ، وهو عماد السير إلى الله ﷻ ، والباب الأعظم لمعرفته جل جلاله ، ونيل محابه ورضاه ، وهو الصراط المستقيم لكل من أحبه الله واجتباه : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩] .

فالإيمان بالله ﷻ والإيمان بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، أساس بنیان الدين ، وهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، و أعظم أبواب التوحيد ، وهو أساس التوحيد وهو أساس بنیان الإسلام : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

• وبيان الإسلام مركب من أمرين :

الأول : معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وتوحيده بذلك .

والأمر الثاني : تجريد الانقياد لله ورسوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

والقرآن كله بيان لهذا الأساس العظيم ، والله ﷻ أمرنا أن نتعلم هذا العلم الشريف ونعتني به ، هذا العلم من أعظم العلوم ، فهو غذاءٌ للقلوب ، ومحركٌ للأبدان وللجوارح بالذكر ، والتعظيم ، والتسبيح ، والتقديس لرب العالمين .

فلا بد من معرفة ربنا بأسمائه وصفاته حتى يمتلئ قلب المؤمن بالإيمان ، وإذا امتلأ القلب بالإيمان ، زاد تعظيمه لربه ، وزاد حبه له ، لأن تعظيمه ومحبته ثمرة معرفته بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، وثمره معرفة عظمة نعمه وإحسانه وفضله الذي عم به عموم خلقه : ﴿ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتُونِكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

والله ﷻ أسماؤه وصفاته كلها حسنى ، وهي بالغة في الحسن والجمال كماله ومنتهاه ، فلا أحسن منها بوجه من الوجوه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨] .  
فأسماء الله ﷻ أحسن الأسماء ، وصفاته أحسن الصفات ، وأقواله أحسن الأقوال ، وأفعاله أحسن الأفعال ، ومخلوقاته أحسن المخلوقات ، وأحكامه أحسن الأحكام ، وشرائعه أحسن الشرائع ، وكتبه أحسن الكتب ، ورسله أحسن الرسل ، وأوامره أحسن الأوامر ، وثوابه أحسن الثواب : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٤].

وأسماء الله كلها حسنى ، لماذا ؟ لأنها تدل على صفات الكمال ، والجلال ، والجمال لله ﷻ ، فهي أسماء مدح ، وحمد ، وثناء ، وأسماء تمجيد ، وتعظيم ، وإجلال لله ﷻ ، وأسماء رحمة ، ولطف ، وإحسان : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ﴿١١٠﴾ [الإسراء/ ١١٠] .

والله ﷻ لجلاله ، وجماله ، وعظمته ، وكبريائه ، وإحسانه ، وإنعامه ، لا يسمى إلا بأحسن الأسماء ، ولا يوصف إلا بأحسن الصفات ، فلا بد من معرفة الأسماء ، ومعرفة الصفات ، لا بد من معرفة الكامل بذاته وأسمائه وصفاته حتى نكمل له أوامره ، ونستجيب لأمره بقلوبنا ، وبألسنتنا ، وبجميع جوارحنا : ﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر/ ٤٩ - ٥٠] .

فالله ﷻ لا يسمى إلا بأحسن الأسماء : العزيز ، الرحمن ، الرحيم ، الكريم ، العفو ، اللطيف ، القوي ، القادر .

ولا يوصف إلا بأحسن الصفات ، ولا يحمد إلا بأحسن المحامد ، ولا يعبد إلا بأحسن العبادات : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣] .

ونحن كما لا نعرف كيفية الذات ، لا نعرف كيفية الصفات ، ولماذا لا نعرف كيفية الذات ، وكيفية الصفات ؟ لأن الله ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير ، ولأن العلم بها إدراك لله ﷻ ، وإحاطة به ، والله ﷻ هو المحيط بكل محيط ، والقادر على كل قادر ونحن لا نعلم من أسمائه وصفاته إلا ما علمنا الله ورسوله به ، ولا نصفه إلا بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

وأسماء الله الحُسنى ، وصفاته العُلى ، كثيرة ، ليس لها حصر ، ولا تحدد بعدد معين ، ولا يحيط بعلمها إلا الرب الذي تسمى بها ، واتصف بها .

وأسماء الله ﷻ ، كلها حُسنى ، ولهذا أمر الله بمعرفتها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها ، وتوحيده بها : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

• وأسماء الله ﷻ من حيث العلم بها ثلاثة أقسام :

أحدها : من أسمائه ما استأثر الله بعلمه ، فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه .

الثاني : ما علمه الله بعض خلقه ، ولم يذكره في كتابه .

الثالث : ما بينه الله في كتابه ، أو سماه به رسوله ﷺ في سنته .

والله جَلَّ جَلَالُهُ له من الأسماء الحُسنى تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها ، وحفظها ، وعمل بمقتضاها ، ودعا الله بها أدخله الجنة .

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم حُسن معرفتها ، وحفظها ، وفهمها ، والتصديق بها ، ودعاء الله ﷻ بمقتضاها ، وحُسن التعبد لله بها : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا

الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» متفقٌ عليه <sup>(١)</sup> .

وفي حديث الشفاعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ ، وَحَسَنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي» متفقٌ عليه <sup>(٢)</sup> .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ مِنَ الْفَرَاشِ ، فَالْتَمَسْتُهُ ، فَوَقَعَتْ يَدِي فِي بَطْنِ قَدَمَيْهِ ، وَهُوَ فِي الْمُسْجِدِ ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ» أخرجه مسلم <sup>(٣)</sup> .

وأسماء الله ﷻ وصفاته توقيفية ، فنثبت لله ﷻ من الأسماء والصفات ما أثبتته الله ﷻ لنفسه في كتابه أو أثبتته له رسوله ﷺ في سنته ، وننفي عن الله من الأسماء والصفات ما نفاه عن نفسه في كتابه ، أو نفاه عنه رسول الله ﷺ في سنته .

فلا نتجاوز القرآن والحديث ، ولا نقول على الله بلا علم ، ولا نعمل إلا بما أنزل الله ، ولا نقول على الله غير الحق : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

[الأعراف/ ٣٣] .

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ٢٧٣٦ ، واللفظ له ، ومسلم برقم: ٢٦٧٧ .

(٢) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ٤٧١٢ ، واللفظ له ، ومسلم برقم: ١٩٤ .

(٣) أخرجه مسلم برقم: ٤٨٦ .

وأسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في القرآن والسنة تؤمن بها كلها ، ونعبد الله بموجبها ، وأسماء ربنا أحسن الأسماء ، وصفات ربنا أحسن الصفات ، وصفات ربنا ﷻ أوسع من أسمائه ، وأفعاله أوسع من أسمائه ، وصفاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله كلها دالة على كمال ذاته وجلاله وجماله .

وكل اسم من أسماء الله الحسنى نشق منه صفة له كالرحمة من الرحمن ، والعزة من العزيز .. وهكذا .

### • صفات الله ﷻ على قسمين :

صفات ذاتية .. وصفات فعلية .

الصفات الذاتية : هي التي لا تنفك عن الله أبداً ، والصفات الفعلية هي التي يفعلها الله إذا شاء مثل الخلق ، والرزق ، والتصوير وغير ذلك .

وكل اسم من أسماء الله الحسنى نشق منه صفة له ، فالله سمي نفسه : الخالق ، الرازق ، المصور ووصف نفسه بأنه يخلق ويرزق ويصور .

وليست كل صفة يشتق منها اسماً لله ﷻ ، فالله وصف نفسه بأنه يرسل ، وينزل ، يكشف ، ويقلب ، ويشاء ، ويريد ، ولا يسمى بالمرسل ، والمنزل ، والكاشف ،

والمقلب ، و الشائي ، والمريد ، لأنه لم يسم بها نفسه وإنما وصف بها نفسه كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ

الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ [الشورى / ٢٨] .

فنصفه بذلك ولا نسميه به ، وليس كل فعل لله ﷻ يؤخذ منه صفة له ، فالله أخبر أنه يمكر ، ويكيد ، ويخدع ، وينسى ، ونحو ذلك ، فلا يوصف الله بذلك إلا مقروناً

بسببه ، ولا يسمى به كذلك فلا يقال الماكر ، والفاتن والكائد بل يقال : يمكر الله بمن مكر بأوليائه ويكيد من كاد أوليائه ويخدع من يخادعه : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ

خَدِيْعُهُمْ ﴿١٤٢﴾ [النساء / ١٤٢] .

وينسى من نسيه : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴿٦٧﴾ [التوبة / ٦٧] .

ويزيغ من زاغ عن الحق : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴿٥﴾ [الصف / ٥] .

وهكذا في باقي تلك الأفعال ، لا يوصف الله بها إلا مقروناً بسببه ، ولهذا يجب علينا

العلم بالله والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، حتى نُثبت لله ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ ، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه أو ما نفاه عنه رسوله ﷺ ، فلا نتجاوز القرآن والحديث في الاعتقاد والقول والعمل والخلق : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [١١٦-١١٧] .

• وأركان الإيمان بأسماء الله وصفاته ثلاثة :

الركن الأول : تنزيه ربنا خالق السموات والأرض عن مشابهة المخلوقين في الذات والأسماء والصفات والأفعال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى/ ١١] .

هو ﷻ سميع بصير ، وهو ينزل ويستوي على العرش جَلَّ جَلَالُهُ ولكن ليس كمثلته شيء لا في نزوله ولا في استوائه ولا في سمعه ، ولا في بصره ، فنزه خالق السموات والأرض عن مشابهة المخلوق ، لأن المخلوق محدث ناقص ، وهو مخلوق من خالق ، والله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة فهو واحد في ذاته ، واحد في أسمائه ، واحد في أفعاله : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة/ ١٦٣] .

الركن الثاني : الإيمان بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله من الأسماء والصفات ، فهو خالق يخلق ، ورازق يرزق ، ورحمن يرحم ، وعفو يعفو ، نؤمن بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من الأسماء والصفات ، الواردة في القرآن والسنة .

الركن الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله ، فكما لا نعلم كيفية ذاته سبحانه ، لا نعلم كيفية أسمائه وصفاته وأفعاله ، لأن العلم بها إحاطة بالرب الخالق العظيم ، والله محيط بكل محيط ، ولا يحيط به أحد ، بل هو المحيط بكل أحد ، بل نقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى/ ١١] .

فالمخلوق سميع لكن ياذن ، بصير لكن بعين ، لكن الله ﷻ نُثبت له أنه هو السميع الأعلى ، والبصير الأعلى ، والقوي الأعلى ، لكن ليس كمثلته شيء في ذاته

وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص / ١ - ٤] .

الله ﷻ له الأسماء الحُسنى وله الصفات العُلى ، وهذه الأسماء الحُسنى لا بد للعبد أن يتعرف على أسماء ربه وصفاته ؛ لأن حاجات العباد مربوطة بهذه الأسماء والله ﷻ صمد لجميع حوائج الخلق ، ويصمد إليه جميع الخلق في حوائجهم ، فهو يخلق ويرزق في كل ثانية مليارات المخلوقات ، ومليارات الأرزاق ، يرزق من في البر ، ومن في الجو ، ومن في البحر : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝٦ ﴾ [هود/٦] .

فلا رزق إلا من رازق ولا خلق إلا من خالق ، ولا صور إلا من مصور . هذا الخالق العظيم من أعظم أسمائه الحي جَلَّ جَلَالُهُ ، والحي هو الحي الذي لم يسبق حياته موت ولا عدم ، هو الحي جل جلاله ، وليس كمثلُه أحد في الحياة .

الله ﷻ هو الحي الذي خلق كل حي ، وأمات كل حي ، وبيده الموت ، وبيده الحياة ، ومقاليد الأمور كلها بيد الحي القيوم وحده لا شريك له : ﴿ إِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٥٤ ﴾ [الأعراف / ٥٤] .

فهو ﷻ الحي القيوم وحياته مستلزمة لجميع صفات الكمال ، من صفات الجلال ، وصفات الجمال ، حياته مستلزمة لجميع صفات الجلال من المُلْك والقوة ، والقدرة ، والإحاطة ، والعلم ، والعزة ، ومستلزمة لصفات الجمال من الرحمة ، والكرم ، والعفو ، واللطف ، والإحسان : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦٥ ﴾ [غافر / ٦٥] .

## التعبد لله عز وجل باسمه الحي

لا بد للعبد بعد أن يعرف أن الله هو الحي القيوم ، الحي الذي له ملك السموات والأرض ، الحي الذي أحيا كل حي ، الحي الذي له الخلق والأمر ، الحي الذي له الأسماء الحُسنى والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، أن يأخذ من هذا الاسم حظه ، ولكن على شاكلة العبودية .

فالله حي خالق كل حي ، وعنده خزائن الحياة ، وخزائن الموت ، وعنده خزائن القوة ، وخزائن الرحمة ، وخزائن كل شيء : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر / ٢١].

وهو الحي الذي وهب الحياة لكل حي من جماد ، ونبات ، وحيوان ، وإنسان ، وجن ، وملك فلكل مخلوق من المخلوقات حياة تخصه ، بها يعبد الله ، وبها يشهد بوحدانيته وبها يسبح بحمده ، وبها يصلي صلاته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَتْ كُلُّ قَدِّعِلْمَ صَلَاتِهِ، وَتَسْبِيحِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور / ٤١].

فالله ﷻ علمنا أن له الحياة المطلقة ، وله الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الكمال ، فلا بد أن يكون لنا حظ من هذا الاسم ، فالله ﷻ من أعظم نعمه على عباده أنه خلقهم ، و أول نعمة أنعم بها على عباده أن جعلهم أحياء : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوْنُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّن يُنَوِّقُ مِّن قَبْلٍ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلَ مُّسَمًّى وَعَلَّكُمْ تَعْقُلُونَ ﴾ [غافر: ٦٧].

والحي القيوم ﷻ أعلمنا بأنه حي قيوم ، ويريد منا أن نتشبه بهذه الصفة ، نأخذ منها ما يناسب أحوالنا كعبيد ، ونحيا بالإيمان ، نحيا قلوبنا بالإيمان والتوحيد ، ونحيا جوارحنا بالطاعات ، وأعمال البر والخير ، ونحيا أرواحنا بالأخلاق الحسنة ، ونجنبها الأخلاق السيئة .

فكما ينزل المطر على الأرض فتنبت من كل زوج بهيج ، وتدب فيها الحياة ، كذلك هذه القلوب إذا نزل فيها نور الإيمان حيت وأنبتت من كل زوج بهيج من الأخلاق الكريمة التي يحبها الله من الإيمان والتوحيد ، والإحسان ، والرحمة والصدق ، والبر ، والعفو ، والكرم وغير ذلك من الصفات التي ذكرها الله في القرآن .

فالوحي ينبت : ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَّخِضُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢] .

وينبت أهل الصفات التي يحبها ، ويعطى عليها الأجر العظيم : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

فهذه الصفات الله ﷻ بينها لنا ، وبين ثوابها ، وحث على التخلق بها ، ولهذا لا بد أن نتخلق بصفة الحي والتخلق بصفة الحي أن ننظر في أكمل المخلوقات حياة ، وما هي أطول حياة ؟ ، وما هي أصول الحياة النافعة التي يحبها الله ؟ ، وما هي أصول حياة المسلم ؟ ، وما هي أصول حياة الأنبياء والرسل ؟ .

لا بد من معرفة أفضل حياة ، أفضل حياة هي حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فأصح المخلوقات مزاجاً هم بنو آدم ، وأصح بني آدم مزاجاً هم المؤمنون ، وأصح المؤمنين مزاجاً هم الأنبياء والرسل ، وأصح الأنبياء والرسل مزاجاً هم أولو العزم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وأفضل أولى العزم مزاجاً هما الخليلان : محمد وإبراهيم .

وأفضل الخليلين : محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، وكان خلقه القرآن ، يتأدب بأدبه ، ويحل حلاله ويحرم حرامه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٤] .

[القلم/ ٤] .

فكيف تأتي حياة النبي ﷺ في حياتي ، وكيف أصبغ حياتي بحياة النبي ﷺ ؟.

• لا بد لكل إنسان من حياتين :

حياته البدنية . . وحياته القلبية .

١- لا بد من نفخة الرسول الملكي الذي ينفخ الروح في الإنسان حينما يبلغ أربعة أشهر في بطن أمه ، فينفخ فيه الروح لتدب الحياة في هذا البدن ، ولا تكفي هذه الحياة ، فهذه حياة بدنية كالبهائم .

٢- لكن حياته القلبية لا بد لها من نفخة الرسول البشري الذي ينفخ فيه روح الإيمان وهو محمد ﷺ : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٢) [الأنعام/١٢٢] .

هذا النور هو نفخة الرسول البشري ، فالله ﷻ امتن علينا بأن أحيانا حياة الأبدان ، وحياة القلوب : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٦) [المائدة: ١٥-١٦] .

و كل إنسان فيه ذرة من الذرات الحية التي كانت موجودة حينما خلق الله آدم ، واستخرج ذريته من صلبه ، فأقروا له بالتوحيد

فكل إنسان فيه ذرة حية من آدم حينما أخذ الله عليه العهد وذريته كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١٧٣) [الأعراف / ١٧٢ - ١٧٣] .

ثم أرجع الله ﷻ هذه الذرية في صلب آدم ، وأخرجهم جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرون ، فلكل إنسان ذرة حية شهدت الإقرار لله بالربوبية ، وأخذ عليها العهد بأن تمثل أمر الله ، وتجتنب معصيته ، وتؤمن به ﷻ ، لكن من الناس من قبل حمل الأمانة، وهم المؤمنون ، ومنهم من ردها ، وهم الكفار والمشركون والمنافقون :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

[الأحزاب / ٧٢-٧٣].

فإن الله ﷻ بحياة كاملة مستلزمة لصفات الكمال ، وصفات الجلال ، وصفات الجمال ، فحتى تكون حياتي مطابقة لحياة النبي ﷺ لا بد للإنسان أن يزن نفسه بحياة النبي ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١١) [الأحزاب: ٢١].

• وحياة النبي ﷺ تقوم على ثلاثة أصول :

طريقة حياة.. فرائض حياة.. مقصد حياة .

الأول :طريقة الحياة : هي الأحكام الشرعية الواردة في القرآن والسنة ، والآداب الإسلامية التي يتخلق بها المسلم ، ويتميز بها عن الشيطان ، وعن الكفار ، وعن الحيوان .

طريقة حياة : كيف أكل على السنة ؟ وأشرب على السنة ؟ وألبس على السنة ؟ وأسافر على السنة ؟ وأجلس على السنة ؟ ، وأتكلم على السنة ؟ وأسمع على السنة ؟ ، هذه طريقة الحياة : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (١٣٨) [البقرة/ ١٣٨].

فهذه طريقة الحياة أن تكون حياتي أحسن حياة ، مزاجها سمعنا وأطعنا ، وأتسبه وأتخلق وأقتدي بالملائكة وبالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الملائكة في السماء مزاجهم سمعنا وأطعنا ، والأنبياء في الأرض مزاجهم سمعنا وأطعنا ، فأقتدي بهؤلاء وهؤلاء ، لتكون طريقة حياتي كلها كحياتهم : ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُّ بَيْنَ أَيْدِي مَنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨٥) [البقرة/ ٢٨٥].

في كل حال أمثل أمر الله ﷻ : في الطريق ، في المسجد ، في دورة المياه ، في غرفة النوم ، في المجلس ، مع الكافر ، مع المسلم ، مع الحيوان ، هذه طريقة الحياة أن تتميز عن الشياطين ، وعن الكفار ، وعن الحيوانات بأن أصبغ حياتي بالصبغة التي أمرنا الله أن نجعل أجسادنا بها ، فظهور السنن والأحكام الشرعية على الأبدان أجمل من الأزهار والثمار على الأغصان التي فوق الأشجار ، فهذا هو المقصد الأول ، أو الركن الأول من أركان حياة الرسول ﷺ .

**الأصل الثاني فرائض الحياة :** المؤمن يتميز بأن له طريقة حياة خاصة ، فإذا جاء وقت الصلوات الخمس أصلها ، وإذا جاء وقت الزكاة أخرجها ، وإذا جاء وقت الصيام أصوم ، وإذا جاء وقت الحج أحج ، ولساني أشغله بذكر الله ﷻ والدعوة إليه ، وعيني أرى بها الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، وأذني واسمع بها القرآن والمواعظ وهكذا أقوم بفرائض الحياة الواجبة ، سواء كانت انفرادية ، أو كانت اجتماعية .

الفرائض الانفرادية : كذكر الله ، ودعائه ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج وغيرها من الفرائض .

وأقوم بأداء حقوق الخلق الواجبة كقضاء الديون ، وأداء الحقوق بأنواعها : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧].

والفرائض الاجتماعية : هي الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران / ١٠٤].

هذه فرائض الحياة ، المسلم عليه واجبات ، وله ثواب على أداء الواجبات ، وعليه عقاب إذا ترك الواجبات ، فلا بد من أداء الواجبات حتى يستحق الإنسان الجزاء عليها ، ويسلم من عقوبة تركها : ﴿وَمَا ءَأَنْتُمْ إِلَّا رَسُولٌ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ [الحشر / ٧].

الأصل الثالث : مقصد الحياة ، ومقصد حياة كل مسلم من هذه الأمة أن يكون داعياً إلى الله كالأنبياء ؛ لأن الأنبياء والرسل أعطاهم الله الدعوة والعبادة ، ونحن أعطانا الله الدعوة ، وأعطانا العبادة ، وأمرنا بالدعوة ، وأمرنا بالعبادة أمرنا بالعبادة فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة/ ٢١] .

وأمرنا بالدعوة فقال : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

• أمرنا الله بهذا وهذا ، لأننا أمة ، وأفضل أمة ، والله ﷻ توجنا بأربعة تيجان :

تاج : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

وتاج : ﴿ هُوَ أَحَبُّكُمْ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

وتاج : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

وتاج : ﴿ لَنْ كُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

فنحن أمة متوجة ، أمة مميزة ، فعلينا جهد على النفس بالعبادة ، وجهد على الغير بالدعوة إلى الله ، والله ﷻ وصفنا بأننا خير أمة ، ولذلك خير أمة تنال أفضل الجزاء ، وهم الآخرون والسابقون يوم القيامة : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

ومقصد حياة النبي ﷺ ، وحياة جميع الأنبياء ، عشرة أمور ، ذكرها الله بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٤٥] وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿ ٤٦ ﴾ وبشيراً للمؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴿ ٤٧ ﴾ ولا نطع الكافرين والمنافقين ودع أذنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴿ ٤٨ ﴾ [الأحزاب / ٤٥-٤٨] .

هذه الأمور العشرة خطاب للنبي ﷺ ، وخطاب لأُمَّته .

• فهذه حياة النبي ﷺ قائمة على هذه الأصول الثلاثة :

طريقة الحياة.. وفرائض الحياة.. ومقصد الحياة: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

فبعض المسلمين أخذ بعض طريقة الحياة ، وكثير منهم يؤدي فرائض الحياة ، وأكثرهم ترك مقصد الحياة وهو الدعوة إلى الله ، وكنتم ما أكرمهم الله به عن غيره:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة/ ١٥٩ - ١٦٠].

والله ﷻ كريم رحيم ، أعطانا عطاء الربوبية للمسلم والكافر ، وعطاء الألوهية للمسلم والكافر ، ولكن المؤمن قبل عطاء الألوهية ، والكافر رده ، وقامت الحجة على الجميع بوجود الأسماع ، والأبصار والعقول ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب. المؤمن قبل هذه النعمة ، وشكر الله عليها ، فسعد في الدنيا ويسعده الله بالجنة والرضوان يوم القيامة ، والكافر رد هذه النعمة فشقي في الدنيا ، ويشقى يوم القيامة بسخط الله ﷻ ، ودخول النار: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَاصْبِرُوا لِحُكْمِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُ لِيُضِلَّ عِبَادَهُ أَذُنًا غَايِبَةً لَا تَسْمَعُ وَلَا عَيْنًا غَائِبَةً لَا تَبْصُرُ وَلَا نَفْسًا غَائِبَةً لَا تَشْعُرُ وَمَنْ حَضَرَ عِيشَةً نَحْوَهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضِلُّونَ ﴿١٦٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٦٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٦٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٦٦﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

• وحياة البشر أربعة أقسام :

حياة حيوانية.. وحياة إنسانية.. وحياة إبليسية.. وحياة إيمانية .  
ولنجاة الإنسان وسعادته لا بد أن يخرج من الحياة الحيوانية ، والحياة الإنسانية ، والحياة الإبليسية ، لينتقل إلى الحياة الملائكية ، والحياة الإيمانية لينجو من الخسار ، ويسعد بالفوز والفلاح .

• ولتحقيق هذا لا بد للإنسان أن يقيم حياته على أربعة أصول :

آمنوا.. وعملوا الصالحات.. وتواصوا بالحق.. وتواصوا بالصبر .  
كما قال سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١- ٣] .  
• وجميع البشرية أموات وفي خسارة إلا من اتصف بأربع صفات :

آمنوا وعملوا الصالحات : عبادة بيني وبين ربي .

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر : دعوة بيني وبين خلقه .

أجتهد على الكافر لعله يهتدي ، وأجتهد على الجاهل لعله يتعلم ، وأجتهد على العاصي لعله يطيع ، وأجتهد على العالم ليكون معلماً ، وأجتهد على الصالح ليكون مصلحاً .

فهذه أصول الحياة النافعة الرابحة المنجية أربعة أصول لا بد أن تكون في حياتي :  
﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر / ١- ٣] .

ومن الناس من أخذ القسم الأول آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا شك أن هذا على خير ، ولكنه قام بالعمل الانفرادي بينه وبين ربه ، لكنه ترك الواجب الاجتماعي وهو التواصي بالحق ، فالمجتمع كله يلاحق الآخر ، ويدعوه ، وينبهه ، ويذكره ، حتى لا يقع في مصيدة من مصائد الشيطان .

هذا المجتمع وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ، لا يعطب فيه إنسان ، فهو كله ذاك ومذكر ، وناصح ومنصوح ، وصالح ومصلح .

فأصول الحياة النافعة التي يريدتها الله من كل مسلم لخصها الله لنا في سورة العصر :  
﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر / ١- ٣] .

فالواجب الانفرادي أكثر المسلمين يقوم به ، أما الواجب الاجتماعي فأكثر المسلمين لا يقوم به ، لأنه يحتاج من الإنسان إلى جهد وفكر ، وتضحية وصبر ، وبذل وترك ، ولا بد لكمال الإيمان في القلوب ، ولصالح أنفسنا والبشرية ، أن نأخذ حياة النبي ﷺ وحياة الأنبياء بحذافيرها ، حتى تكون حياتنا كحياة الأنبياء ومشابهاة لحياة الملائكة الذين مزاجهم سمعنا وأطعنا ، لا سمعنا وعصينا : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام/ ٩٠].

ما دام الإنسان حياً لا بد أن يتعرف على الحياة النافعة ، ويميز بينها وبين الحياة الضارة .

الحياة الضارة هي حياة الشياطين ، حياة الحيوانات التي ترتع فيما تشتتهي لا أمر ولا نهى ، حياة السباع ، حياة الغافلين :

أما الحياة النافعة فهي حياة الأنبياء والرسل ، الذين أمرنا الله بمعرفة حياتهم ودعوتهم :

﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم/ ٤١] .

﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم/ ٥٤] .

﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخَصَّصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم/ ٥١] .

الله أمرنا بذكر حياة الأنبياء ، لا بذكر حياة الرؤساء ، ولا بذكر حياة الأغنياء ؛ لأن ذكر حياة الملوك والرؤساء تذكرنا بالجاه و ترغبنا في الجاه والمناصب ، وذكر حياة الأغنياء تذكر بالمال و ترغبنا في الشهوات ، لكن ذكر حياة الأنبياء تعلق قلوبنا بالله ﷻ ، وبتعظيمه ، و ترغبنا في السير على هديهم : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

• والله ﷻ أرسل الأنبياء والرسل بثلاثة أمور :

الأول : التعريف بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، حتى يعبده الناس وحده .

الثاني : التعريف بالطريق الموصل إليه وهو الدين عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً .

الثالث : التعريف بما للناس بعد القدوم عليه ، من الجنة للمؤمن والنار للكافر .

فالحق القيوم أرسل الرسل رحمة بالناس : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [١٠٧] .  
[الأنبياء: ١٠٧] .

وإذا ذهبت إلى الناس ماذا أقول للناس ؟

قل للناس : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤ ﴾ [الإخلاص/١-٤] .

قل للناس : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر/٢٢] .

قل للناس : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر/٢٣] .

قل للناس : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر/٢٤] .

قل للناس : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة/٢٥٥] .

وهكذا الله ﷻ يثني على نفسه ، ويمدح نفسه ، ويبين نفسه ، حتى نتعرف على أسمائه وصفاته ، ونتخلق بها ، ونعبده بمقتضاها ، وندعو الناس إلى رب الناس : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/٥٢] .  
فالله حي ب حياة كاملة ، فيها القوة الكاملة ، والقدرة الكاملة ، والكرم الكامل ، والعفو الكامل ، والرحمة الكاملة ، والإحسان الكامل والالطف الكامل .

وهكذا نحن يجب علينا أن نحيا ب حياة كاملة ، والحياة الكاملة هي حياة الأنبياء ، والحياة الكاملة ثوابها النعيم الكامل : ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/٩٧] .

• وحياة النبي ﷺ أحسن حياة ، وأطهر حياة ، وأجمل حياة :

وهذه الحياة يجمعها خمسة أمور ، وعلى المسلم أن يقتدي بالنبي ﷺ فيها حسب قدرته :

يقتدي به في نيته وفكره.. وفي توحيد وإيمانه.. وفي أقواله الحسنة.. وفي أعماله الصالحة.. وفي أخلاقه العظيمة .

الأولى : نية واسعة ، اتسعت لنفسه ، ولأهله ، ولعشيرته ، ولقومه ، ولقريته التي هي أم القرى ، ولمن حولها ، وللناس كافة ، وللعالم قاطبة ، فهذه ثمان دوائر ، بدءاً بالنفس ، وانتهاء بالعالم .

فبدءاً ﷺ بنفسه وأهله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم/ ٦] .

ثم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء/ ٢١٤] .

ثم : ﴿ لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص/ ٤٦] .

ثم : ﴿ لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الشورى/ ٧] .

ثم إنذار الناس كافة : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

ثم العالم قاطبة بإنسه وجنه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان/ ١] .

فمن نوى هذه النية أعطاه الله أجرها ، ويبدأ بما يستطيع ، حسب قدرته ، فالأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى .

فأنوي هداية نفسي ، وأهلي ، وعشيرتي ، وقومي ، وبلدي ، وما حولها من القرى ، والناس كافة والعالم قاطبة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

فهذه نية النبي ﷺ وفكره في هذه الدوائر الثمان ، وعلينا الاقتداء به فيها : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

الثانية : في توحيده وإيمانه ﷺ ، فأجتهد لأحصل على كمال التوحيد والإيمان ، وابلغ ذلك للناس : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

الثالثة : اقتدى به أقواله الحسنه ، ذكراً ودعاء ، ودعوة ، وتذكرة ، وعبودية اللسان في أمرين :

أن يتكلم مع الله ، أو يتكلم عنه ، إما أن أتكلم مع الله بالعبادة ، أذكره ، وأسبحه ، وأعظمه ، وأحمده ، وأمجده ، أو أتكلم عنه بتعريف الناس به ، ودعوتهم إليه : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف / ١٠٨].

فالمسلم تارة يتكلم مع ربه : فيقول ربي اغفر لي ، وارحمني ، وأهدني ، وارزقني ، ربي ظلمت نفسي ، يتكلم معه بالدعاء والذكر .

وتارة يتكلم عن ربه يبين الناس أسماءه وصفاته ، ويدعو الناس إليه ، ويعظمه بينهم .

ومن عظم الله في نفسه ، عظم الله في قلبه ، وعظم هو في عين الله .

ومن عظم الله أمام الناس : عظم الله في قلبه .. وعظم الله في قلوب الناس .. وعظم هذا الإنسان في عين الله .. وعظم الناس الذين عظموا الله في عين الله .

فلا بد من معرفة العظيم جل جلاله ، ومعرفة الحي القيوم ، وإذا عرفت العظيم ،

أمنت بكتابه العظيم ، وامتثلت أمره العظيم .

الرابعة : اقتدى بالنبي ﷺ في أعماله الصالحة ، انفرادية كالعبادة ، أو إجتماعية كالدعوة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣].

الخامسة : اقتدى بالنبي ﷺ في أخلاقه العظيمة مع ربه ، ومع خلقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم / ٤].

فكل حي مخاطب أن تكون حياته أعلى حياة ، وأحسن حياة ، وأعلى حياة هي حياة الأنبياء ، وحياة الأنبياء بينها الله لنا في القرآن ، فالله قص علينا حياة الأنبياء ، لنزن حياتنا بحياة الأنبياء ، ثم نجعل حياتنا كحياة الأنبياء ، دعوة ، وعبادة ، وتعليماً ، وإحساناً إلى الخلق : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء / ٩٠].

• وأصول حياة الأنبياء أربعة :

الأصل الأول : التضحية بكل شيء من أجل الدين ، وذلك بترك الأدنى من أجل الأعلى ، وبذل المحبوب لما هو أحب إلى الله ، وترك محبوبات النفس من أجل محبوبات الرب ، والخروج من مزاج النفس إلى مزاج الدين ، وتقديم الوحي على العقل ، ومن ضحى بشيء من أجل الله وهبه الله له فوراً ، كما حصل لإبراهيم عليه السلام ، وتلك حقيقة المجاهدة : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

هؤلاء المجاهدون فكيف بمن دعوهم إلى الله ، كم يدخل في الدين ، ويتعلم الدين ، بسبب الداعية ، والمجاهد ، لكن الله ﷻ قال : المستفيد الأول هو الداعية ، لأن الدعوة للداعية تركيزاً ، ولغيره تذكيراً ، فمن ضحى بأي شيء من أجل الدين ، وهبه الله له فوراً ، فإبراهيم عليه السلام ضحى بالحياة ، حين ألقى في النار ، فوهب الله له الحياة فوراً : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء/ ٦٩] .

وضحى بالولد إسماعيل ، وأراد أن يذبحه ، فلما عزم على الذبح ، أنجى الله إسماعيل ، وجعله نبياً ، ثم وهبه الله أفضل ولد وهو محمد ﷺ الذي خرج من نسل إسماعيل ، فهو أفضل الأنبياء ، وأمه أفضل الأمم ، وضحى إبراهيم بالبلد العراق ، وجاء إلى الشام ، ثم الله أعطاه أحسن بلد مكة ، وبني فيها أعظم بيت على وجه الأرض الكعبة : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة/ ١٢٧] .

وضحى بأب الولد لها جر ، فتركها بواد غير ذي زرع فجعلها الله أمماً للعرب ، وجعل خطواتها بين لصفا والمروة نسكاً من مناسك الحج والعمرة .  
وضحى بما له للضيفان فجعل الله النبوة من بعده في ذريته .

وقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ بإتباع الأنبياء عموماً ، وإتباع ملة إبراهيم خصوصاً فقال : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل/ ١٢٣] .

ملة إبراهيم هي التضحية بكل شيء من أجل الدين .  
التضحية بالأوقات ، والأموال ، والأنفس ، والشهوات ، والأهل ، والأولاد ، والبلاد  
من أجل الدين .

فإذا جاءت هذه التضحيات أعطى الله هذا الداعي هداية كاملة ، وعملاً كاملاً وثواباً  
كاملاً : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٦٩﴾  
[العنكبوت: ٦٩] .

الأصل الثاني من أصول حياة الأنبياء : الاستقامة على الدعوة ، فالدعوة أمر الله ،  
كالصلاة أمر الله ، كلاهما فرض عين على كل مسلم ومسلمة .  
فالله يقول : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ﴿٢٠﴾ [المزمل/ ٢٠] .

أقيموا الصلاة أمر الله ، وآتوا الزكاة أمر الله ، كذلك الدعوة أمر الله : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ  
رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ﴿١٢٥﴾ [النحل/ ١٢٥] .

فالدعوة فرض عين على كل مسلم لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ ، فلما مات بعد البلاغ  
ترك لنا الدين ، وترك لنا باقي الأرض ، وباقي الناس ، فكل مسلم من هذه الأمة  
مطلوب منه أن يجتهد على غيره ، ويدعو الناس إلى الله ، ويخرج الناس من  
الظلمات إلى النور بإذن ربهم : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ﴿١﴾ [إبراهيم/ ١] .  
ولا يمكن أن يستقم المسلم على الدعوة إلا بالبيئة الإيمانية التي تزيد الإيمان بالله  
ﷻ ، والاستقامة على الدعوة .

فالدعوة أمر الله كالصلاة ، والذي يريد الاستقامة لا بد له من التوبة ، ولا يستقيم على  
جهد الدعوة إلا من تيقن أن فلاح البشرية كلها بهذا العمل ، وبهذا الدين ، لا فلاح  
للبشرية أبداً ، ولا خروج لهم من الظلمات إلى النور ، ولا من الشقاء إلى السعادة ،  
ولا من الذلة إلى العزة إلا بالدين فقط : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

من يتقن هذا ضحى بكل شيء من أجل إيصال هذا الدين العظيم إلى كل الناس ، فإن فلاح البشرية كلها بهذا العمل ، ويلزم بيئة الإيمان ، لأنها تعطيه طاقة إيمانية ، يقوي بها عبادته بالمذكرات الإيمانية ، بالكلام عن الله وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده ، وينقطع عن جو الغفلة : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْوَيْنَا قَبْلَهُ ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] .

وأعظم الأمراض التي تطرد المسلم عن عمل الدعوة هي الغيبة والنميمة ، وإتباع الهوى ، والانتقاد ، وحب الدنيا ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُونَا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢] .

متى يأتي الشيطان إلى العبد؟ إذا وجده غافلاً ، فكل غافل يصطاده الشيطان عند الغفلة ، أما الذاكر فلا يستطيع أن يقترب منه الشيطان ، لأنه متصل بربه ، قائم بين يديه بالعبادة ، وقائم بين يدي خلقه بالدعوة : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦] .

الأصل الثالث من حياة الأنبياء : المسابقة والمسارة في كل ميادين طاعة الله ورسوله حتى الممات ، يسارع ليكون في الصف الأول في الدعوة ، في الصف الأول في التعليم ، في الصف الأول في العبادة ، في الصف الأول في الإنفاق ، في الصف الأول في الأخلاق ، في الصف الأول في كل فضيلة .

والصحابة رضي الله عنهم قدم كل واحد منهم ما يملك وما يستطيع إلى آخر يوم في حياته ، ولهذا رضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

فلما جاءت الهجرة التي هي الترك ، ترك الأهل ، والبلاد ، والأموال ، والشهوات ، وجاءت النصره التي هي بذل المحبوب إلى ما هو أحب ، التقت الهجرة والنصره فجاء الثالث ، وهو الرضوان ، كما أن الكهرباء إذا جاء التيار الكهربائي ، مع وجود

اللمبة جاء الثالث ، وهو النور ، كذلك بالتضحية والمسابقة للخيرات ، والشبات ، ولزوم بيئة الإيمان ، تكون حياتي كحياة الأنبياء ، الحياة التي يحبها الله ، وإذا أحب الله ﷻ هذا العبد ، كان معه ونصره وحفظه من عدوه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] .

وبقدر الجهد تكون الهداية : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

الأصل الرابع من حياة الأنبياء : هو الدعاء والاستغاثة بالله وحده ، لأنه قاضي الحاجات وحده : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٧] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغُرِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨٨] [الأنبياء: ٨٧-٨٨] .

فالمؤمن يستغيث عند حاجته بالله وحده ، ولا يلتفت لأحد سواه : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [٨٩] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [٩٠] [الأنبياء: ٨٩-٩٠] .

فالله ﷻ فتح البحر لموسى ، وفجر الحجر بالماء لموسى ، وجعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ، وجعل بطن الحوت داراً ليونس ، وهكذا الله ﷻ من استقام على دينه ، وتوجه إليه ، وأخلص له التوحيد ، وصدق في الدعاء ، فالله يستجيب له ، وينصره فوراً .

والقرآن كله يبين دعوة الأنبياء ، ودعاء الأنبياء : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [٨٣] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٨٤] [الأنبياء: ٨٣-٨٤] .

فهذه هي أصول دعوة الأنبياء، التضحية، والاستقامة ، والسابقية ، والدعاء والاستغاثة بالله ﷻ .

فمن قام بها حصل له كمال الإيمان والتقوى ، والفلاح في الدنيا والآخرة ، وعاش أحسن حياة .

والمقصود من الدعاء إحياء أمر الله في طلب الحوائج من الله وحده ، ليس الاستجابة فقط ، فالله ﷻ كريم ، الكريم من البشر لا يرد السائل ، فكيف بالكريم الذي لا تنقص خزائنه ، وهو الكريم الذي له منتهى الكمال في الكرم .

فهذه أصول حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آتَدَتْهُ قُلُوبٌ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّا هُوَ إِلَّا ذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ** ﴾ ﴿١٠﴾ . [الأنعام: ٩٠] .

فيجب علينا أن تكون هذه الأصول في حياتنا ، ونأخذ أصول هذه الحياة ممن أمرنا الله ﷻ بالافتداء بهم ، فإذا جاءت فينا هذه الصفات ، زاد الإيمان ، ورغبت القلوب في العمل بالأوامر الشرعية من ربنا ﷻ ، ثم كنا في أمان ، قلوبنا مملوءة بالتوحيد والإيمان ، بعيدة عن الشبه والشك والشرك ، وأجسادنا وقلوبنا معلقة بالله ﷻ ، ترعع وتسجد له ، وتسبح بحمده : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ ﴿٢﴾ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴿٣﴾ **أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

فإذا جاءت هذه الأمور في حياتنا ، جاءت أربعة أمور ، هي أصول حياة كل مسلم ومسلمة ، فأصول حياة المسلم من هذه الأمة هي أصول حياة النبي ﷺ ، وحياة أصحابه ، وحياة الأنبياء قبله :

الدعوة إلى الله .. وتعليم شرع الله .. والعبادات بأنواعها .. والأخلاق العالية .  
فالدعوة : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف/ ١٠٨] .  
وخطاب النبي ﷺ خطاب لأُمَّته .

والتعليم : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

والعبادات : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١] .

والأخلاق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤] .

• وأصول الأخلاق أربعة ، وكلها شديدة المرارة :

أن تصل من قطعك .. وتعفو عن من ظلمك .. وتعطي من حرمك .. وتحسن لمن أساء إليك .

فهذه مجامع الأخلاق : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩] .

وإذا جاءت هذه الأصول في حياة الناس تحولت المدينة بكاملها إلى حياة طيبة يحبها الله ﷻ ، فالمدينة هي مدينة الصفات لا مدينة الحجارة ، المدينة كانت تسمى يثرب ، فلما جاء إليها النبي ﷺ ، وقامت فيها الأعمال ، وقام فيها جهد النبوة ، وقامت العبادات ، وانتشرت فيها الأخلاق العالية ، وقامت الدعوة ، والتعليم ، ونشر الهداية ، صارت مدينة الصفات ، وجاء الناس من كل مكان يدخلون إلى المسجد ، فيتعلمون الدين ويرجعون إلى أهلهم ويخبرونهم بهذا الدين ، فيدخلون في دين الله راغبين محبين : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

• فمدينة الصفات تقوم على أربعة أركان :

الأول : أن تكون حياتي مطابقة لحياة النبي ﷺ في نيته وتوحيده وأقواله وأعماله وأخلاقه .

الثاني : أن يكون بيتي كبيت النبي ﷺ ، معمورًا بالأعمال ، والأخلاق العالية .

الثالث: أن يكون مسجدي مسجد النبي ﷺ ، معمورًا بالأعمال ، والعبادات ، والأذكار ، والقرآن وتوديع الجيوش ، واستقبال الوفود والجماعات ، وحكاية الأحوال ، وإطعام الطعام وهكذا .

الرابع : أن تكون مدينتي كمدينة النبي ﷺ : عشرة آلاف من المسلمين يتفكرون لواحد ، كيف يقوم على السنة ؟ ، وكيف يرضي الله ﷻ ؟ وكيف يتعد عن المحرمات والكبائر ، وواحد يتفكر لعشرة آلاف ، الواحد يتفكر لأمة ، والأمة تتفكر للواحد ، فلا يصيب هذه الأمة عطب ، أو فرقة : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرزِجٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَفَازَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩] .

فهذه الأصول أصول لحياة الإنسان ، وحياة الأمة ، وتجميل المدينة بهذه الصفات ، فبلغ الإسلام كماله ، وتمامه ، وجماله في عهد النبوة ، وتجلي هذا الدين في خير القرون ، الذين هم صحابة الرسول ﷺ ، أبر هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينها ، فاعرفوا لهم فضلهم ، فإنهم على الهدى المستقيم : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

فأفضل الناس بعد الأنبياء أصحاب النبي ﷺ ، وأفضل البيوت بيوت أصحاب النبي ﷺ ، وأفضل المساجد أعمالاً مسجد النبي ﷺ ، وأفضل المدن مدن مدينة النبي ﷺ ، فالله يريد منا إنشاء هذه المدينة في العالم ، لتكون المدائن كلها كمدينة النبي ﷺ ، تكون المدائن كلها كمكة والمدينة ، لماذا ؟ لأنها مدينة الصفات ظهر فيها الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

فهذا حظنا من هذا الاسم العظيم ، أن نسعى لأن نحيا بالحياة الكاملة ، والحياة الكاملة موجودة في حياة الأنبياء ، وفي حياة الملائكة ، وفي حياة أصحاب النبي ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [٧٤] [الأنفال: ٧٤].

والله ﷻ هو الحي القيوم ، ومن فضله وكرمه أن رزقنا الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، فأعطانا الدين ، وأعطانا حب العمل بالدين ، وأعطانا الدعوة إلى الدين ، وأعطانا الثواب العظيم على هذا الدين ، فلنسأل الحي القيوم أن يرزقنا الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، وأن يحيي قلوبنا بالإيمان ، ويحيي أجسادنا بالأعمال الصالحة ، ويلبسنا لباس التقوى : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد/٢١] .

فلباس التقوى ألبسه ، وألبسه للعالم ، مطلوب مني أن أنقل هذه السنن والأحكام إلى أجساد البشرية ، وأنقل التوحيد والإيمان والأخلاق العالية إلى قلوب البشرية ، حتى ترقى من حياة البهائم ، وحياة السباع ، وحياة الشياطين ، إلى حياة الملائكة ، وحياة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣٠] نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴿٣١﴾ نزلاً من عفور رحيم ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

والله ﷻ هو الحي القيوم الكريم ، إذا خصك بهذه النعم فأحيك ، ونور قلبك بالإيمان فهو يريد منك أن تكون عبداً حياً قائماً بين يديه بالعبادة ، وقائماً بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله ، والإحسان إليهم ، وإصلاح ذات بينهم ، وهذا مقام الأنبياء فأحسن المقامات : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت/٣٣] .

وأنت أيها العبد اشكر الحي القيوم على إحسانه ، أحسن خلقك ، ورزقك من فضله ، وأعطاك أحسن دين ، وأحسن أحكام ، وأحسن ثواب ، فاشكر الحي القيوم على

إحسانه ، واحمده على هدايته ، ولولا ذلك لكنت من الأموات الخاسرين : ﴿أَوْمَنَ  
كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ  
مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/١٢٢]

والزم باب العبودية للحي القيوم ، فأنت عبده ، وليس عند العبد عمل إلا امتثال أوامر  
سيده ، أوامر انفرادية بينه وبين ربه ، وأوامر اجتماعية بينه وبين خلقه .  
فالأوامر الانفرادية هي العبادات بأنواعها ، والأوامر الاجتماعية هي الدعوة ،  
والتعليم ، والإحسان إلى الخلق .

فالزم باب العبودية للحي القيوم ، فإنه يراك ويسمعك ، ولا تمل فتقعد عن العمل ،  
فتحرم مما تحب ، وتعاقب بما تكره : ﴿وَلَتَكُنَّ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا  
وَأَخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥] .  
فالطالب إذا عرف قدر ما يطلب هان عليه قدر ما يبذل فيه ، فالذي يطلب شيئاً ،  
ويعرف أنه ثمين ، يجاهد من أجل الحصول عليه ، ويبذل كل شيء من أجل الحصول  
عليه .

ولهذا الصحابة ضحوا بكل شيء من أجل الدين ، حتى قام الدين ، تركوا المحبوب  
الأدنى من أجل المحبوب الأعلى ، وبذلوا الأنفس والأموال من أجل إعلاء كلمة  
الله ، فالله أعطاهم الرضوان وأعطاهم الجنة يوم القيامة : ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا  
فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [الروم/٣٠] .

• فالدين خطوتان :

خطوة للعبادة.. وخطوة للدعوة .

خطوة لعبادة الحق ، وخطوة للإحسان إلى الخلق : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ  
شَيْئًا ۗ وَاللَّوَالِدِينَ إِحْسَانًا ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦] .

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن حياة القلوب أعظم من حياة الأبدان ، فحياة الأبدان نشترك فيها مع الحيوانات ، ومع الكفار ، أما حياة القلوب فتكون بالتوحيد والإيمان بالله ، والعمل الصالح ، حياة القلوب بالتوحيد والإيمان بالله ، والعمل الصالح ، من أعظم الهبات التي يخص الله بها من يعلم أنه يزكو بها ، ويمنعها من لا يزكو بها: ﴿قُلْ إِنَّ أَلْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ۗ﴾ (٧٣) يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو أَلْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤] .

هو الحي العليم الخبير الذي يعلم حيث يجعل رسالته ، ويعلم بمن يستحق الجنة ، ومن يستحق النار ، ويعلم بمن يزكو على التوحيد والإيمان ممن لا يزكو على ذلك ، فالله ﷻ مَنْ عَلَيْنَا بِالْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَمَنْ عَلَيْنَا بِالْحَيَاتَيْنِ .

حياة من عدم ، بنفخة الرسول الملكي لروح الجنين في بطن الأم ، وحياة قلوب وهي نفخة الرسول البشري محمد ﷺ للإيمان : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾﴾ [الشعراء/ ١٩٣-١٩٥] .

فالله أنزل الوحي على الأنبياء بواسطة الرسول الملكي جبريل ، وجبريل نزل بالوحي الذي سماه الله روحاً على قلب النبي ﷺ ، والنبي ﷺ دعا الصحابة إليه ، وهكذا انتقل من الصحابة إلى التابعين ، وهكذا حتى وصل إلينا ، فالله وصلنا بحياتين ، كل حياة تستحق الشكر لربنا ﷻ ، أن جعلنا أحياء ، لم يجعلنا تراباً يُيال عليه ، ولا حيواناً يُركب عليه ، بل جعلنا أحياء بحياة فيها صفات عالية ، فيها صفات الإسلام والإيمان ، والصدق والإخلاص ، والبر والإحسان ، وكمال الطاعة والتقوى .

وهذه الحياة أعظم نعم الله على عباده في الدنيا والآخرة ؛ لأنها تكشف عن البصر غطاءه ، وتزيل عن السمع وقره ، وترفع عن القلب أكتفه ، ليعرف فطره ومعبوده ، فيقف ببابه قائماً له : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ مَنْ عَانَءَ الْبَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩] .

وبالنظر والتفكير يبصر العقل حقائق المخلوقات ، وينظر إلى آيات ربه ، ويبصر شواهد وحدانيته ، ويسمع شهادة الشاهدين بالوحدانية ، فيستجيب لربه الحي القيوم

الذي يدعوهُ إلى الحياة الطيبة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأفـال/ ٢٤] .

وبهذه الحياة الطيبة التي هي حياة الأنبياء والملائكة ، والكلم الطيب ، والعمل الطيب ، والخلق الطيب ، تطيب النفوس ، وتنشرح الصدور ، وتطمئن القلوب ، وتنجلي عنها ظلمات الشرك والشبهات ، وتفتح لها طرق الخير ، وأبواب البر ، فشرق بنور ربها ، فترى الحق حقاً وتعمل به ، وترى الباطل باطلاً وتجتنبه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الزمر/ ٢٨] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي كِتَابِ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩] .

فالله ﷻ مقصوده من خلقه هو الاتصاف بالصفات الحسنى على شاكلة العبودية ، وعبادته بموجب تلك الصفات ، فالله يحب عبده الحي الذي حيا قلبه بالإيمان والتوحيد ، وجوارحه بالأعمال الصالحة، ولسانه بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن ، أن يحيي غيره بهذه الفضائل العظيمة : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وأفضل حياة في العالم هي حياة الأنبياء والرسل ، وأفضل حياة الأنبياء والرسل حياة النبي ﷺ الذي هو سيد الأولين والآخرين: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

### • حياة النبي ﷺ قائمة على أربعة أمور هي :

الدعوة إلى الله .. وتعليم دين الله .. وعبادة الله .. وحسن الخلق .

وهذه الحياة محفوظة بالكامل في القرآن والسنة ، وهي أفضل حياة أمر الله ﷻ البشرية بالافتداء بها كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

وهذه الحياة أسهل حياة ، وأطهر حياة ، ومراد الله ﷻ أن نمشي على هذه الحياة لنسعد في الدنيا والآخرة ، هذه الحياة فيها التوحيد والإيمان والتقوى ، فيها تقديم

الوحي على العقل ، وفيها تقديم ما يحبه الله ويرضاه على ما تحبه النفس وتشتهيه ، وفيها التضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله ، وفيها أفضل حياة على وجه الأرض ، إذ بهذه الحياة تتحقق كلمة سمعنا وأطعنا ، فمراد الله من خلقه أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، وكما استقبلوا نعمه المادية ، فليستقبلوا أوامره الشرعية ويعملوا بموجبها فهذه نعمة ، وتلك نعمة : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

ولكن هذه النعمة نعمة الإيمان خاصة بالإنسان ، وتعقبها حياة سعيدة في الدنيا ، وحياة أسعد في الآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] .

فعلى المؤمن الذي أحيا الله قلبه بالإيمان ، أن يشكر نعمة الله عليه بالتوحيد والإيمان والسمع والبصر والعقل ، وأن يشكر هذه النعم بالجهد لإحياء القلوب الميتة الغافلة عن ربها ، لعل الله أن يجعله سبباً لحياتها ، وهدايتها ، وكسب أجرها : ﴿ هَذَا بَلٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوٓا۟ بِهِۦٓ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهُ وَحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَٓ أُولُوٓا۟ الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

هذا الدين بلاغ للناس كلهم ، لأن فيه نظام حياتهم ، بلغه جبريل إلى النبي ﷺ ، وبلغه محمد ﷺ إلى الصحابة ، وبلغه الصحابة إلى التابعين ، والتابعون إلى تابعي التابعين وهكذا حتى وصل إلينا ، فهو الآن أمانة بين أيدينا ، وبين أيدينا البشرية كلها ، بل الإنس والجن معاً ، وهؤلاء يعيش أكثرهم في ظلام دامس ، وضلال بعيد ، وكفر برب العالمين .

والمطلوب نقل الأحكام الشرعية إلى أجساد البشرية ، ونقل الإيمان والتوحيد إلى قلوب البشرية ، وهذا يتطلب التضحية بالوقت ، والمال ، والنفس ، وبكل شيء ، من أجل الدين ، ومن أجل إعلاء كلمة الله في العالم كما فعل الأنبياء والرسل والصحابة : ﴿ لٰكِنَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُۥ جَاهِدُوْا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُوْلٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴾ [٨٨] أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ﴿٨٩﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩] .

والله ﷻ ملاً هذه الدنيا بمحوباته هو ، وملاً الآخرة بمحوباتنا نحن .

محوبات الله ﷻ هي التوحيد والإيمان والتقوى ، وأنواع العبادات ، ومحوباتنا يوم القيامة ، هي أن ندخل الجنة وأن يرضى الله ﷻ عنا ، فتكميل محوباتنا في الآخرة ، وتكميل محوبات الرب في الدنيا ، ولهذا الحي القيوم أعطانا حياة تختلف عن غيرنا ، كل مخلوق من المخلوقات سوف يفنى إلا الإنس والجن ، وما أخبر الله عنه من الجنة والنار وغيرها .

هذا الإنسان خلقه الله ﷻ ، ولكن ينقله من حال إلى حال ، ومن دار إلى دار ، ثم يوم القيامة يعطيه من صفاته سبحانه ، يكون حياً أبداً ، نعيم بلا بؤس ، وحياة بلا موت .

فمن عمّر هذه الحياة بالحياة الطيبة طاب مسكنه يوم القيامة ، وطاب مقامه بين يدي ربه ، فبيان الحق ، والعمل به ، ونشره والدفاع عنه أمرٌ لازمٌ لكل حيّ أحياه الله ﷻ بدنياً ، وأحي قلبه بالإيمان ، لماذا : ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال/ ٤٢] .

فالحي سميعٌ للأقوال ، عليمٌ بالأفعال ، هذا الإنسان عبدٌ لله ، وليس عند العبد إلا امتثال أوامر سيده في جميع أوقاته ، وفي جميع أحواله ، والإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ، ومازج نوره لحم الإنسان ودمه ، صار العبد حياً حياةً أخرى ، فأبصر بعد العمى ، وسمع بعد الصمم ، ونطق بعد البكم ، وذكر بعد الغفلة ، وأطاع ربه بعد المعصية : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام/ ١٠٤] .

هذه القلوب إذا أبصرت بعد العمى ، وتذكرت بعد الغفلة ، صار الإنسان حياً حياةً أخرى ، فيخترق المخلوقات إلى الخالق ، ويخترق الصور إلى المصور ، ويخترق الدنيا إلى الآخرة ، ويخترق السنن الكونية إلى القدرة الإلهية ، ويخترق عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ويعيش مع الخالق ، ولا يلتفت إلى المخلوق ، ولا يتوكل إلا على الله ، ولا يلتفت إلى ما سواه : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ

إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأعام/ ١٦١-١٦٣].

فهذا الإنسان إذا خالط نور الإيمان جسده ولحمه ، وامتلاً قلبه بالإيمان ، خشع قلبه  
 لربه ، وخضعت جوارحه لمولاه ، وأصبح بين يدي ربه عابداً ، وبين يدي خلقه داعياً  
 ومعلماً ومحسناً ، والله يحب جميع هذه الأعمال من عبده ، ومن عاش هذه الحياة  
 الطيبة ، عاش يوم القيامة في أحسن حياة ، من حيي هذه الحياة الدنيا كحياة الأنبياء  
 والرسل التي فيها الأعمال الأربعة كما قال سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي  
 خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴿

[العصر: ١-٣].

هذا الحي التقي لا يموت أبداً ، إلا موت النقلة من دار الدنيا إلى الدار الآخرة ، ثم  
 يصير إلى حياة النعيم أبد الآباد ، في ملك لا تستطيع أن تتوهمه ، فكيف تستطيع أن  
 تصفه ؟ ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ  
 لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا  
 رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴿

[السجدة/ ١٥-١٧].

خروا سجداً ، لأنهم يعرفون صفات جلاله من الملك ، والقهر ، والقدرة ، والقوة ،  
 والجبروت ، والعزة .

ويعرفون صفات جماله من الكرم واللطف والرحمة والإحسان والبر .

فلما عرفوه آمنوا به ، فاحيا الله قلوبهم بالإيمان والتقوى ، وعمر أوقاتهم كلها بعبادته ،  
 خوفاً من عقابه ، وطمعاً في ثوابه : ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا  
 وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴿ [السجدة: ١٦].

الأغنياء ينفقون الأموال ، والعلماء ينفقون العلم ، والدعاة يدعون إلى الله وهكذا ،  
 كل من أعطاه الله نعمة ينفقها ، فهي أمانه عنده يعمل بها ، ويدعو الناس إليها ، فالعلم  
 أمانة لدي أعمل بموجبه ، ولا خير في العلم إن لم نعمل به ، والمقصود من العلم

خشية الله ، فكل علم لا يورث خشية فليس بعلم : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾  
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨] .

فأتعلم العلم الإلهي لأكون عالماً ، وأعبد الله بموجب هذا العلم ، وأعلم الناس ،  
وأمرهم بتعليم غيرهم ، وهكذا تتسع دائرات العلم والتعليم : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ  
يُنْفِقُونَ ﴾ [السجدة/ ١٦] .

والعلم من أعظم صفات الرب ، ولهذا أمرنا الله به فقال : ﴿ مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا  
رَبِّدِينِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ [آل عمران: ٧٩] .

فالمؤمن حي ينفق مما أتاه الله ، فالذي عنده الأخلاق العالية ينفق الحلم والعمو  
والرحمة والإحسان ، والذي عنده المال ينفق المال ، والذي عنده العلم ينفق العلم ،  
والذي عنده الجاه يقضي حاجات الناس وهكذا : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ  
اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ  
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأففال: ٢-٤] .

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٧] .  
فكل مؤمن حي بصير ، وكل كافر ميت أعمى : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ  
يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٢٢﴾ [الملك: ٢٢] .

والعمل فرع الحياة ، فكل حي من نبات وحيوان وإنسان لابد له من عمل ، ولكل  
عمل ثمرة ، وأحسن الأعمال التي تثمر أحسن الثواب ، هي امثال أوامر الله ﷻ ،  
واجتناب نواهيه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَىٰ لَهُمْ ﴾ ﴿١٢﴾ [محمد: ١٢] .

• وعمل المسلم ينقسم إلى قسمين :

عمل بالأوامر الثقيلة .. وعمل بالأوامر الخفيفة .

الأول: الأوامر الخفيفة : كالذكر والدعاء وقراءة القرآن ، والصلاة ، والتسبيح وغيرها من العبادات التي بين العبد وربّه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ① قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④ ﴾ [المزمل: ١-٤] .

الثاني : الأوامر الثقيلة : هي الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، والنصيحة ، والإنفاق في سبيل الله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُدِيرُ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦ ﴾ [المدثر: ١-٧] .

والإيمان يزيد بامتثال الأوامر الخفيفة ، وامتثال الأوامر الثقيلة : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ⑦ ﴾ [التوبة: ٧١] .

والدعوة إلى الله أم الأعمال ، وأفضل العبادات بعد الإيمان ، لأنها عمل الأنبياء . فالداعي إلى الله ﷻ حي مليح بالإيمان والتوحيد ، والأخلاق العالية ، والأعمال الصالحة ، فهو حي مليح يذهب إلى مليح في بيئة الإيمان ؛ فيزداد إيماناً ، ويزداد علماً ، ويزداد أخلاقاً ، ويزداد ملاحه ، يذهب إلى المؤمنين في بيئة إيمانية ، ويذهب إلى المسجد ، ويذهب إلى مكة ؛ ليؤدي العمرة والحج .

المؤمن الداعي إلى الله مليح يذهب إلى مليح ؛ وهو المؤمن في أي بيئة إيمانية أيًا كانت كما كان في دار الأرقم بمكة ، وكما كان في المسجد الحرام ، والمسجد النبوي وغيرها من المساجد .

المؤمن مليح يذهب إلى مليح مثله ، مليح بما في قلبه من التوحيد ، وما على جسده من الأعمال الصالحة ، وما هو عليه من الأخلاق العالية ، يذهب إلى مليح ، هذا المؤمن العابد ، لكن الداعي أفضل منه ؛ لأنه زاد درجةً عليه بالدعوة ، وتوسيع الدين ، وكثرة العابدين .

فالمؤمن مليحٌ بما فيه من الصفات التي يحبها الله ، يذهب إلى قبيح وهو الكافر ، والمشرك ، والمنافق ، وإلى جو الكفر ؛ فيزداد هو ملاحه وحسناً : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٦٩/ العنكبوت] .

وينشر الملاحه بين الناس ، يمشي كما يمشي التاجر بسلعته بين الناس ، وينشر السلع والسيارات والآلات والملابس وغيرها في العالم ، كذلك المؤمن الحي ينشر سنن النبي ﷺ بين الناس ، هو مليح ينشر الملاحه في العالم ؛ حتى يجمل قلوب وأجساد البشرية بالإيمان والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٣] [فصلت: ٣٣] .

فالداعي إلى الله الأرض دكانه ، والناس زبائنه ، وأحكام الدين سلعته ؛ فهو يسوقها للناس ، ابتغاء وجه الله : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سبأ: ٤٧] .

فالداعي مليح يذهب إلى قبيح فيزداد هو ملاحه ؛ لأنه يتقي الله فيعطيه هداية ، وينشر الملاحه بين الناس منهم من يقبل ، ومنهم من لا يقبل ؛ كالأرض مثلاً منها ما ينبت ومنها ما لا ينبت ، ويكون سبب لدخول مليح جديد في الدين .

بالحركة ينتشر الدين ؛ فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، وطاقات مدفونة ، لا بد من الزيارات والتجول في أماكن الكفر ، وأماكن الشرك ، وأماكن الظلمات ؛ حتى نُخرج الناس من البيئات الغافلة إلى البيئات الذاكرة ، ثم يتذكروا فيعودوا مذكرين للبيئة الغافلة : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [١١٢] .

[التوبة/ ١١٩] .

إذا كنت في بيئة الصدق ، صدقت وصدقت بما جاء عن الله ورسوله ، وعملت بموجبها ، ثم نقلت هذه الأخبار وهذه الأحكام الشرعية عن ربنا ﷺ إلى غيري ، وهكذا ينتشر الدين كما تنتشر السحب في السماء ، وتمطر في أنحاء الأرض ، وتُنبت من كل زوج بهيج : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ

وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴿الحج: ٥-٧﴾ .

فالداعي يحيي القلوب بالإيمان كما يحيي الماء الأرض بالنبات .

والداعي أجرته مدفوعة بالكامل ، ولو لم يهتدي الناس ؛ والدعوة للداعي تركيزًا ، ولغيره تذكيرًا ، فلا بد أن نحيا الحياة الطيبة حتى ننال الثواب والحياة الطيبة ، ونسعد بالقرآن من الملك الحق : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/٥٤-٥٥] .

فالمؤمن حي بين يدي الحي عابداً ، ذاكراً ، حامداً ، مستغفراً .

وبين يدي خلقه داعياً ، ومعلماً ، ومحسناً : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧] .

فالله ﷻ حي قيوم ، وأخبرنا أنه حي قيوم ، فيجيب على الحي الصغير أن يتوجه للحي الكبير جل جلاله فيعبده ، ويكبره ، ويعظمه ، ويشكره على نعمه ، ويدعوه لهداية الناس ، بقوله اللهم اهدنا ، واهدي بنا ، واجعلنا سبيلاً لمن اهتدي .

يقوم بين يدي ربه الحي القيوم إذا نام الناس ، يقوم بين يدي ربه راکعاً وساجداً لعظمته وجلاله ، فإذا طلع الفجر قال : يا حي يا قيوم ، هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فإن قبلت مني ليلتي فأنت الكريم ، وإن رددتها علي فأنت الغفور الرحيم : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ مَنْ أَمَّنَ الْيَلَّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يِعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يِعْمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/٩] .

الله أمرنا أن نتعلم ، وأن نعرف الإله المستحق للعبادة ، حتى نقدره حق قدره ، ونكبره كما يليق بجلاله : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر/١٧] .

فالزم رحمتك الله باب الحي القيوم ، وقم بين يديه راکعاً وساجداً ، وباكياً وخاشعاً ، ولا تمل ولا تفتر ، حتى يفتح لك الفتح العليم كل خير تصلح به حياتك في الدنيا

والآخرة : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر/ ٢]

المفتاح بيد واحد ، مفتاح الخزائن بيد واحد ، مفتاح العلوم بيد واحد ، مفتاح العقول بيد واحد ، مفتاح الأمن بيد واحد ، مفتاح الهداية بيد واحد ، وهو الله خير الفاتحين .

فلنقبل عليه ، ولنقف بين يديه ركعاً سجداً ، حامدين ، ذاكرين ، شاكرين ، والله ﷻ هو الذي بيده المفاتيح ، وإذا فتح لا يستطيع أحد أن يُغلق ما فتح ، وإذا أغلق لا يستطيع أحد أن يفتح ما أغلق ، فالله ﷻ له الخلق والأمر ، وهو العزيز الذي لا يُغلب ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

ومن اتصل بالحي القيوم أحيا قلبه وروحه ، ولسانه وجوارحه ، بما يحبه الله ويرضاه ، وصرّف عنه ما يضره وما لا ينفعه .

الذي يتصل بالحي حي ، والذي يتصل بالعزيز عزيز ، والذي يتصل بالقوي قوي ، فمن أراد الحياة الطيبة حقاً ، والسعادة حقاً ، والفوز حقاً ، فليتصل بربه عن طريق طاعته وعبادته : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب/ ٧١] .

وكل عبد خيره عائدٌ إلى سيده ، إلا عبد الله فخيرُه عائدٌ عليه ، الله يأمرني بالصلاة وأجرها لي ، يأمرني بالزكاة وأجرها عائدٌ علي ، يأمرني بالصوم ، بالذكر ، بالدعاء بأي عمل ، وأجر ذلك عائد علي فالله غنيٌّ عن العالمين ، وعن أعمالهم ؛ فهو محمودٌ قبل أن نحمده ، وكبير قبل أن نكبره ، وعظيم قبل أن نعظمه ؛ لكن الله ﷻ من علينا بأن جعلنا من عبيده ، وأمرنا بالعمل الذي يُسعدنا في الدنيا ، ويسعدنا في الآخرة ، ونفع أعمالنا عائدٌ علينا ، لا عائدٌ إلى الله : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۗ إِنَّ

اللَّهُ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦] .

وكل من لم يصل ويتصل بربه الحي القيوم فهو ميت ، وحياته حيوانية لا آدمية : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۝٢٢﴾ [فاطر/ ١٩-٢٢] .  
واعلم بأن الإنسان خلقه الله ﷻ حياً ، فيما أن يحيا حياة الأنبياء والملائكة ، أو يحيا حياة الحيوانات والشیاطين .

ومن عاش عبداً لهواه وشهوته غافلاً عن ربه ، فإن الله لا يعابأ به ولا بعمله : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ۖ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥] .

فعلينا أن نطلب الحياة العالية ، الحياة الطيبة الطاهرة في حياة الأنبياء والرسل ، وفي حياة الملائكة ، فاجعل حياتك لربك الذي جئت منه ، وتسكن في ملكه ، وتأكل من رزقه ، ثم تعود إليه : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۖ دِينًا قِيمًا مِّمَّا لَبِثْتُ فِيهِمْ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١١١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١١٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١١٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

فالله ﷻ يحب أهل الصفات من عباده ، الله يحب المتقين ، ويحب المؤمنين ، ويحب الصادقين ، ويحب المحسنين ، ويحب التوايين ، ويحب المتطهرين ، ويدعوهم إليها ، وجعل فضائل لهذه الأعمال ؛ لأن الله يحب لعباده كل خير : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣] .

فالله ﷻ يريد منا أن نحيا الحياة التي يحبها ، بأن نتصف بالصفات التي يحبها ، وندعو الناس إلى الصفات التي يحبها ، ونقتدي بالأنبياء الذين أرسلهم الله ، والملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ونحبهم لتعظيمهم لربنا ﷻ ، ولقيامهم بالدعاء لنا : ﴿ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧] .

وهذا الحي المؤمن يجب أن يكثر من ذكر هادم اللذات وهو الموت ، ويبادر للتوبة في كل وقت ، توبة من المعاصي بأنواعها وأشكالها ؛ لأن من لم يتب فهو ظالمٌ : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات/ ١١] .

نتوب من الشرك والمعاصي ، ومن كل عملٍ يُسخط الله ﷻ علينا ، فالإنسان بعد الموت سوف يرجع إلى ربه ، وسوف يجازيه بما عمل : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٨١] .

ومن عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بُعث عليه ، والناس حمالة ، إما حاملين الأوزار على ظهورهم ، أو حاملين الحسنات إلى ربهم ﷻ ، وكلُّ قادمٌ على ربه ؛ إما بالأعمال الصالحة ، أو بالأعمال التي تسخط ربنا ﷻ ، ومن طاب قلبه بالتوحيد والإيمان طاب عمله ، وطاب مقامه بين يدي ربه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

نحياه حياةً طيبة ، كحياة الأنبياء والرسل ، نجعل في حياتهم أعمالاً صالحة يزدادون بها حسنات ، ونبتليهم بالمصائب ، ونبتليهم بالنعمة ، لنظهر قلوبهم من التعلق بالمخلوق ، ونجعلهم يفرون إلى ربهم من كل نعمة ، ومن كل مصيبة ، فمن طاب قلبه طاب عمله ، وطاب مقامه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

فالمؤمن أطيب الناس حياة في الدنيا ، ثم تزداد حياته الطيبة فرحاً عند الموت ، ثم تزداد طيباً في القبر حيث يكون روضة من رياض الجنة ، ثم تزداد طيباً في الجنة ، حيث لا أذن سمعت ، ولا عين رأت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] .

فالخير كله بحذافيره في الجنة ، فيها الخلود ، وفيها رؤية الرب ، وفيها رضوان الله ﷻ ، وفيها النعيم المقيم ، وفيها سماع كلام الرب ، وفيها القرب منه جل جلاله ، ثمان كرامات للإنسان في الجنة ، وإن حُرمت هذه الحياة الإيمانية في هذه الدار بقيت

فيها قليلاً ب حياة تضا هي حياة البهائم والأنعام ، ثم تموت بعد موة الكفر التي كنت فيها ، ثم يبعثك ربك ، لا لإكرامك ، بل ليجازيك بأفعالك : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۗ ﴾ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿ ٧٥ ﴾ [ طه : ٧٤ - ٧٥ ] .

ثم يوم القيامة يذبح الموت بين الجنة والنار : « يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ ، خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ » متفق عليه<sup>(١)</sup> .

والكفار والمشركون يحشرون مع الشيطان إلى النار ، أما المؤمنون فهم يساقون إلى ربهم : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴿ ٨٥ ﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿ ٨٦ ﴾ ﴾ [ مريم : ٨٥ - ٨٦ ] .

والمؤمنين إذا قدموا على الكريم سبحانه أسكنهم فيما يحبون ويحب هو ، في جنة عرضها السماوات والأرض ، وبحسب تنوع الأعمال الصالحة في الدنيا يتنوع النعيم في الجنة وترتفع المنازل والدرجات : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ ٢ ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ ٣ ﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿ ٤ ﴾ ﴾ [ الأنفال : ٢ - ٤ ] .

والجنة درجات ، وفي أعلاها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثم من سار على هديهم في أصول الدين الأربعة ، في الدعوة ، وفي تعلم الدين وتعليمه ، وفي العبادة ، وفي حُسن الخلق .

• وحُسن الخلق ينقسم إلى قسمين :

حُسن الخلق مع الخالق .. وحُسن الخلق مع المخلوق .

وحُسن الخلق مع الخالق : بأن أعبد الله وحده ، وأشكر من أنعم علي ، وأسكنني في أرضه ، وأطعمني من رزقه ، وكساني من فضله ، وهداني بعد الضلالة ، فأشكره

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم : ٤٧٣٠ ، واللفظ له ، ومسلم برقم : ٢٨٤٩ .

وأوحده ، وأمثل أمره وأجنب نهيهِ : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٢) [الزمر: ١١-١٢] .

وحسن الخلق مع المخلوق : درجات ؛ حُسن الخلق مع النبي ﷺ بإتباعه في كل ما جاء به من أمور الدين .

وكذلك حُسن الخلق مع المؤمن ، ومع الكافر ، ومع الجيران ، مع الوالدين ، مع جميع الخلق ، أتصف بالأخلاق العالية التي يحبها الله ﷻ : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبْظِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤) [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

وخشية الله ﷻ تحصل للعبد بالعلم النافع : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢٨) [فاطر/ ٢٨] .

هؤلاء هم الأحياء الذين يعرفون قدرة الله ، وجلاله ، وملكوته ، وجماله ، وكرمه ، وإنعامه ، وإحسانه ، ثم يعملون بموجب تلك المعرفة : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ (٩٠) [الأنبياء: ٩٠] .

هذا الرب العظيم الذي خلق هذا الكون ، وملاه لنا بالنعمة الظاهرة والباطنة ، فيجب علينا أن نملاه بالحمد والشكر له ، كما ملأ الله كونه بالنعمة ، نملؤه بالحمد والذكر والشكر والعبادة: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (٤٣) [الأحزاب: ٤١-٤٣] .

واعلم أن خشية الله إنما تحصل للعبد بالعلم النافع ، وأعلى العلم النافع هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ، ووعدته ووعيده ، والعلم بدينه وشرعه : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴾ (١٩) [محمد: ١٩] .

والدين كله مجموع في أمرين : قوة اليقين على الله ، وقوة الرحمة لخلق الله وقوة الإيمان واليقين تحصل بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، فالصدق لا بد له من تكميل ، والإيمان لا بد له من تكميل ، كما أن البناء لا بد له من تكميل ، وهكذا كل شيء له أولٌ ووسطٌ ونهاية ، فعلينا أن نجتهد حتى تأتي فينا قوة اليقين على الله وقوة الرحمة لخلق الله .

فقوة اليقين تمنع عني أذى المخلوقات كلها ، وقوة الرحمة في قلب المؤمن تمنعه من الإساءة إلى الناس كما جاء الأعرابي للنبي ﷺ يريد أن يقتل النبي ﷺ ، «فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : اللَّهُ ، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup> .

فقوة اليقين على الله تمنع أذى المخلوقات عني ، وقوة الرحمة في قلبي تمنعني أن أضر المخلوقات .

فقوة يقين النبي ﷺ على ربه منعت الأعرابي أن يضره .

وقوة الرحمة في قلب النبي ﷺ جعلته لا ينتقم منه مع أنه مستحق للعقوبة فدعا قومه فأمنوا .

الخشية لله تقوم على أصول من قوة اليقين ، وكمال الإيمان ، وحقيقة التوحيد ، وكل ذلك لا يحصل إلا بالعلم بالله وأسمائه وصفاته ، والنظر في الآيات الكونية ، وتدبر الآيات الشرعية .

وذلك يُثمر كل عمل صالح ، وثواب من الرب جزيل ، ونعيمٌ من الكريم مستديم :

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت/ ٣٠] .

فإن الله ﷻ خلق الجنة ، وأعد فيها ما لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على

قلب بشر ، هذا لعموم المؤمنين ، أما خواص المؤمنين ، وهم السابقون ؛ فهؤلاء

لهم : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/ ١٧] .

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٣٩٠٥ ، ومسلم برقم: ٨٤٣ .

فالله كشف لنا الجنة ، وأنهارها ، ولباسها ، وحليها ، وما فيها من ألوان النعيم ، هذا لعموم المؤمنين ، أما الجنة المخفية فهي خاصة بمن قام مقام الأنبياء ، وهم السابقون المقربون : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٧﴾

[السجدة : ١٧]

قال الله ﷻ لموسي ﷺ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشِيرٌ ﴾ أخرجه مسلم (١) .

وصلاح القلب هو المراد من هذا الإنسان ، وعليه مدار أمله ، فعلينا أن نملاً هذه القلوب بمعرفة الله ، والتعبد لله ، والخوف من الله ، وحب الله ، وخشية الله ، وتعظيم الله ، والتوكل على الله ، ونطلب صلاح القلب بكمال الإيمان والتقوى ، لنسعد بأفضل حياة : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ ﴿٣﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

فجميع طرقك إلى ربك مفتقرة إليه ، ولا يتم شيء بينك وبين ربك إلا به ، فأملأه بالإيمان ، تجني منه أحسن الثمار : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٧﴾

[النحل : ٩٧] .

### • والإيمان قسمان :

الأول : إيمان فطري فطر الله الناس عليه ، بأنه ربهم ، وأخذ عليهم جميعاً العهد بذلك : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

الثاني : إيمان كسبي : نتحصل عليه بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، لنعرف من القرآن ربنا بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله العظيمة ، ونعرف من خلق السماوات والأرض ، وخلق العرش والكرسي ، وخلق الإنس

(١) أخرجه مسلم برقم : ١٨٩ .

والجن : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

فإن الله خالق كل شيء ، الأرض شيء والنباتات شيء ، والحيوانات شيء ، والهواء شيء ، والطيور شيء ، والأسماك شيء ، والله خالق كل شيء ، والسموات شيء ، والملائكة شيء ، والعرش شيء ، والكرسي شيء ، والله ﷻ خالق كل شيء : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

لا بد للقلب أن يمتلئ بهذه العلوم الإلهية ، وأن يعلم أن الله خالق كل شيء ، وأن بيده أمر كل شيء ، وأن له الأمر الملكي على جميع الكائنات ، وله الأمر الشرعي على المكلفين من المخلوقات ؛ وهم الإنس والجن والملائكة .

فالمطلوب من المسلم أن يُصلح قلبه ؛ وصلاح القلوب بالإيمان والتقوى : ﴿ ذَلِكِ وَمَنْ يَعْظَمَ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج/ ٣٢] .  
فاتق الله حيثما كنت : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٢] .

واتق اليوم الذي سترجع فيه إلى الله : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١] .  
واتق النار التي أعدها الله لمن كفر به وعصاه : ﴿ وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١] .

فالمطلوب من المؤمن أن يُصلح قلبه بكمال الإيمان والتقوى ، فجميع الطرق إلى ربنا ﷻ مفتقرة إليه ، ولا يتم شيء بيننا وبين ربنا إلا به ، فإذا امتلأت القلوب بالإيمان ، أنبت الإيمان أحسن الثمار ، وأحسن الأخلاق ، وأحسن الأعمال ، وأحسن الأقوال ، ونال صاحبها أحسن الثواب : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ] [البقرة: ٢٨١] .

[الرعد/ ٢٨-٢٩] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجُسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجُسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجُسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه (١) .

هذا القلب مطلوبٌ أن نجتهد عليه ، فإذا انفتح هذا القلب امتلاً بالإيمان ، وإذا امتلاً بالإيمان أنبت الطاعات ، ثم تنوعت الطاعات ، ثم جاء رضا الله ، ثم جاء السعادة للإنسان في الدنيا وفي الآخرة .

والمطلوب من كل إنسان أن يجعل قلبه في الأرض يطابق صفات العرش في السماء ؛ العرش في السماء هو أكمل المخلوقات ، وأعظمها ، وأوسعها ، ولهذا استوى الله ﷻ عليه : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] .

فإذا كانت قلوبنا مطابقة لصفات العرش علواً ، واتساعاً ، وإشراقاً ، يرضى الله ﷻ عن هذا العبد ، ويسعده في الدنيا والآخرة .

هذا القلب إذا امتلاً بالإيمان كان عالياً على غيره ممن لم يدخله الإيمان : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٩] .

فالإنسان بإيمانه يكون عالياً على الكفار ، على المنافقين ، على الحيوانات ، على الشياطين .

وكذلك إذا امتلاً القلب بنور الإيمان انفسح وانشرح ، واتسع للطاعات فرضها ونفلها ، وأصبح يحب كل ما فيه مرضاة الله ﷻ من الصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج ، والذكر ، والدعاء ، وصلة الرحم ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة ، والجهاد في سبيل الله ؛ فيتسع القلب بسبب نور الإيمان لكل طاعة وعبادة وقربة لمولاه .

والعرش له صفات عظيمة ، وهو عظيم ، عال ، ومتسع ؛ لكن أعظم صفات العرش العلو ، والاتساع ، والإشراق ، فإذا امتلاً القلب بالإيمان اتسع لجميع الطاعات ،

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٥٢، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٥٩٩ .

وأركان الإيمان التي تملأ القلب إيماناً ستة ، الإيمان بالله.. وملائكته.. وكتبه..  
ورسله.. واليوم الآخر.. والقدر خيره وشره .

هذه أركان الإيمان ، إذا امتلأ القلب بأركان الإيمان اتسع لطاعة الله وحب الله ،  
والتوكل على الله ، وخشية الله ، والخوف من الله ، والاستعانة بالله ، والاستغاثة به ،  
وعدم الالتفات إلى ما سواه ، وبادرت الجوارح إلى الطاعات ، واشتغل اللسان إما  
بالكلام مع ربه العظيم بالعبادة ، أو بالكلام عنه بالدعوة والتعليم .

فحياة القلب بأن يمتلئ بالإيمان ، وأن يتسع لأنواع الطاعات ، ويشرق بنور الإيمان  
والأعمال : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن  
ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر/ ٢٢] .

فإذا طبقت صفات القلب صفات العرش ، أفلح هذا الإنسان ، واستأنس بخالقه ،  
واستوحش من غيره ، ولم يكن له علاقة بغير الله إلا بالكافر يدعوه إلى الله ،  
وبالجاهل يعلمه ، وبالفقير يحسن إليه ، وبالضعيف يعينه ، تكون علاقته مع الخلق  
علاقة إحسان لغيره ، وعلاقته مع ربه حمداً وذكراً وتمجيذاً ودعاءً وعبادةً : ﴿ وَمَنْ  
أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

### • فأعظم صفات العرش ثلاث :

هو أعلى المخلوقات.. وهو أوسعها.. وهو أنورها .

فالله ﷻ نور السماوات والأرض ، ونور العرش من نوره ، والنور الموجود ، في  
العالم كله من نور الله ﷻ ، وهو ذرة من نور الله ﷻ ، فالله ﷻ نور السماوات  
والأرض ، فأنور شيء من المخلوقات ، وأوسع شيء وأعلى شيء هو العرش .  
فإذا استنار القلب بالتوحيد والإيمان ، أبصر ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، في ضوء  
هذا النور ، وأشبه العرش في علوه واتساعه وإشراقه .

وصلاح الظاهر دلالة على صلاح الباطن ، وفساد الظاهر دلالة على فساد الباطن ،  
فلنجتهد على الباطن ، لنملأه بالتوحيد والإيمان ، ليصلح الظاهر بالطاعات والأعمال  
التي يحبها الله ﷻ ويرضاها .

واعلم أن الله حيُّ قيوم فاعبده وحده لا شريك له ، ولا تعلق قلبك بغيره ، فالله يغار إن رأى قلبك مع غيره ، فلا تشغلك محبة غيره عنه ، الله يريدك له ، ويريد لك الجنة ، فلا يرضى أن يتعلق قلبك بغيره من أشخاصٍ ، أو شهواتٍ ، أو غيرها ، فالإنسان يعمل في هذه الحياة إما من أجل الشهرة ، أو من أجل الشهوة ، أو من أجل الطاعة ، فليكن نصيبك أن تكون مطيعاً لربك بقلبك ولسانك وجوارحك : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [٦٩] ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلِمًا ﴿٧٠﴾

[النساء: ٦٩-٧٠] .

والإنسان إما أن يقاتل ليقال جرى ، أو ينفق ليقال كريم ، أو يقرأ ليقال قارئ ، ولكن المؤمن يعمل الأعمال لوجه الله ﷻ ، يفعل جميع الطاعات ابتغاء وجه الله ، لا يعملها من أجل الشهرة ، ولا من أجل الشهوة : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [١١] وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ [الزمر: ١١-١٢] .

• وحركات الإنسان لا تخرج عن هذه الثلاث :

إما أن أعمل من أجل الشهرة من رئاسة وغيرها.. أو أعمل من أجل أن أحقق الشهوات ؛ شهوة البطن ، شهوة الفرج ، شهوة النظر ، شهوة السمع .. أو أعمل من أجل طاعة الله ورسوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب/ ٧١] .

واعلم أن من ضايقتك وأذاك فالله ﷻ ألهمه لتفك ارتباطك معه ، وتفر منه إلى ربك الحي القيوم الذي خلقك ورزقك وهداك .

فلا نغتر بما يأتينا من المصائب والأحوال ، فالله ﷻ يريد به شيئاً آخر ، ليست المصائب على ظاهرها ؛ لأن الله ﷻ يريد أن نُحدث توبة جديدة ، وإيماناً جديداً ، وحمداً جديداً ، واستغفاراً جديداً ، وطاعة جديدة : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٤١] الروم: ٤١

فإذا جاءت هذه المصائب ، ودعونا الله ، وكشفها عنا ، فالله ﷻ برحمته يُحدث لنا توبة جديدة ، وإيمان جديد ، وحمد جديد ؛ لأننا بسبب الغفلة نقع في المعصية فالله

يذكرنا بهذه المصائب ، لتتوب إليه : ﴿ فَتُورُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا  
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠/ ٥١] .

وتوجه بعبادتك للحي القيوم الذي يراك حين تقوم ، فإنه حي قيوم ، يسمع ويرى ،  
وتوجه بعبادتك للحي القيوم الذي هو أرحم بك من نفسك ، وأخلص جميع أعمالك  
له ، ولا تُشرك معه فيها أحداً ، فإنك قادمٌ عليه ، وراجعٌ إليه ، فاختر ما يحبه ويرضاه ،  
لتسعد في الدنيا والآخرة ولا تشقى : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ  
ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾  
[طه/ ١١١-١١٢] .

فلنكن في هذه الدنيا أحياء كحياة الأنبياء والرسل ، وحياة الملائكة ، نعمل بالدين ،  
وندعو للدين ، ونعلم الدين ، وننشر الدين ، هذه صفات الحي الذي يحبه الله ﷻ :  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ  
يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤] .  
﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾  
[آل عمران: ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾  
[الفرقان: ٧٤] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .  
اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ،  
وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل  
الموت راحة لنا من كل شر .

اللهم أحیی قلوبنا بالتوحيد والإيمان ، وأحیی ألسنتنا بذكرك ، وشكرك ، والدعوة  
إليك ، وأحیی جوارحنا بحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .  
سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

القيوم

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله القيوم

الله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، وله الخلق والأمر في السماوات وفي الأرض . ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨] .

الله ﷻ هو الملك الحق المبين ، هو الحي القيوم الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا بد للقلب أن يعرف معبوده ، وماله من الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، ويعرف مخلوقاته ، ويعرف آياته ، ويعرف فضله وإنعامه ؛ حتى يُقبل على ربه بالتعظيم والمحبة ، والتوكل والخشية ، والانكسار والذل بين يديه . ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

• وأسماء الله ﷻ كلها حُسنى ، وهى من حيث معانيها تنقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : الأسماء الدالة على صفة ذاتية للرب جل جلاله ، والصفات الذاتية : هي كل صفة لا تنفك عن الذات ، ولا تعلق لها بالمشيئة ، ومن هذه الأسماء : الواحد.. الأحد.. الحي.. القيوم.. السميع.. البصير.. العليم.. الخبير.. القوي.. العزيز.. العلى.. الكبير ، وأمثالها .

هذه أسماء ذاتية لا تنفك عن الله أبداً هو سميعٌ أبداً ، بصيرٌ أبداً ، حيٌّ أبداً ، قيومٌ أبداً ، واحدٌ أبداً ، قويٌّ أبداً ، عليمٌ أبداً ، عزيزٌ أبداً ، وهكذا . ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢] .

القسم الثاني : الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب جل جلاله .

والصفة الفعلية : هي كل صفة تتعلق بالمشيئة والإرادة ، إن شاء الله فعلها ، وإن لم يشأ لم يفعلها ، ومن هذه الأسماء :

الخالق.. الرازق.. التواب.. العفو.. الغفور.. الرحيم ، وأمثالها من الأسماء .

فالخالق عَلَّمَ يخلق إذا شاء ، ويكرم إذا شاء ، ويرزق من يشاء ، ويتوب على من يشاء ، ويرحم من يشاء ، ويغفر لمن يشاء : ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [١٤/ الفتح] .

القسم الثالث من أسماء الله الحسنى : الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب عَلَّمَ عن ما لا يليق بجلاله وعظمته ، ومن هذه الأسماء : القدوس .. السلام .. السبوح وأمثالها .

هو سبحانه السلام من كل نقص وعيب وآفة ، وهو القدوس السبوح المنزه عن جميع النقائص والعيوب ، المنزه عن كل ما ينافي صفات كماله وجلاله وجماله ، المنزه عن الضد والند والكفؤ والمثل ، المنزه عن جميع صفات الخلق : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [١١/ الشورى] .

هو الله الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله :

﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .

القسم الرابع من أسماء الله الحسنى : الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حسنى للرب عَلَّمَ .

من هذه الأسماء : العظيم .. الحميد .. والمجيد .. والملك .. والصمد ، وأمثالها من الأسماء الجامعة لجملة أوصاف الله عَلَّمَ .

فالعظيم جل جلاله من له كمال العظمة في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله .

والحميد يدل على كثرة حمده ، لكثرة نعمه ، فالحميد يدل على كثرة حمده ، وكثرة الحامدين له ، وكثرة ما يُحمد عليه جل جلاله .

والمجيد يدل على عظمة أسمائه وصفاته جل جلاله ، وكثرتها ، وسعتها ، وعلى عظمة ملكه وسلطانه ، وتفرد به بالجلال والجمال والكمال ، وهكذا بقية أسماء الله الحسنى : ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ [طه: ٨] .

فسبحانه من هذه اسمائه ، وهذه صفاته ، وهذه أفعاله ، وهذا خلقه ، وهذا تدبيره .

فالله ﷻ يخلق إذا شاء ، في كل ثانية يخلق مليارات المخلوقات من عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الذرات ، وجميع حركات الخلق كلها الله هو الحي القيوم خالقها ، هو الذي خلقنا وما نعمل ؛ لكن الإنسان يوجه الطاقة التي أعطاه الله ﷻ إلى ما يحبه الله ويرضاه ، أو يوجهها إلى ما يُسخط ربه ويغضبه، هو بالخيار .

فالله ﷻ خلق الإنسان مختاراً إما أن يوجه طاقة الفعل إلى ما يحبه الله ويرضاه ، أو يوجهها إلى ما يُسخطه ويغضبه جل جلاله ، فالمؤمن يوجهها إلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، والكافر يوجهها إلى ما يُسخط الله ﷻ من ضد ذلك ، ثم يكون الحساب والثواب والعقاب على ما اختار : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [٢٩] ﴿ [الكهف/ ٢٩] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [٢] ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [٣] ﴿ [الإنسان: ٢- ٣] .

أما أصل الفعل فكل شيء الله ﷻ هو خالقه ، الفعل شيء ، والقول شيء ، وكل شيء في الكون الله ﷻ هو خالقه : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [٦٢] ﴿ [الزمر: ٦٢] .

لكن الإنسان يوجه الطاقة التي أعطاه الله وهي الاختيار إما الى فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي ، أو إلى فعل المعاصي ، وترك الطاعات ، هو بالخيار ، مخير أن يطيع ربه ، أو يعصي ربه ، مخير أن يؤمن ، أو يكفر ويتحمل نتيجة ما أختار : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [٢٩] ﴿ [الكهف/ ٢٩] .

فالله ﷻ اكرمنا بالأسماع والعقول والأبصار ، وأنزل علينا الكتب ، وأرسل إلينا الرسل ، وأوضح لنا دلائل التوحيد والإيمان ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذَكَرُ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٢٧] ﴿ لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ [٢٨] ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢٩] ﴿ [التكوير: ٢٧- ٢٩] .

فالإنسان عنده اختيار أن يوجه الطاقة الفعلية ، لكن الذي خلق الإنسان ، وخلق صفات الإنسان ، وخلق طباع الإنسان ، وخلق السماوات والأرض هو الله ﷻ خالق كل شيء : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

هو وحده الذي خلق الخلق ، وصفاتهم ، وأعمالهم ، والإنسان بمحض إرادته ومشئته التي اعطاها الله ، يوجه الطاقة إما إلى الخير أو إلى الشر ، إما إلى الإيمان أو إلى الكفر ، والله ﷻ رغب في الطاعات ، وحذر من المعاصي : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩-٣٠] .

الله ﷻ هو الحي القيوم ، هو الحي الذي لم يسبق حياته عدم ، ولا يلحق حياته زوال ، والحياة والقيومية صفتان ذاتيتان للرب ﷻ ، فالله ﷻ حي ، وله كمال الحياة ، وهو قيوم ، وله كمال القيومية جل جلاله ، قيوم قائم بنفسه ، وقائم على غيره ، ومقيم لغيره : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

الله ﷻ هو الحي القيوم القائم الباقي الذي لا يزول أبداً ، القائم بنفسه ، فلا يحتاج إلى غيره وهو واحدٌ أحد ، غني عن كل أحد ، وتحت قهره وأمره كل أحد .

هو القائم بنفسه ، الذي لا يحتاج في قيامه ودوامه إلى أحد ، بل هو الغني عن كل أحد ، وكل أحد محتاج إلى الواحد الأحد في خلقه وإيجاده ، وفي إمداده ، وفي هدايته ، وفي بقاءه ، وفي نفعه وضره : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر/ ١٥] .

• وكل المخلوقات فقيرة إلى الله ، وموسومة بسمة النقص ، ومطبوعة على أربع صفات :

كل مخلوق ضعيف.. فقير.. عاجز.. محتاج .

فالعرش أعظم المخلوقات ، وأكبرها ، وأعلاها ، وأوسعها ، محتاج إلى الله في إيجاده وفي بقاءه ، والله لا يحتاج إلى العرش ليستوي عليه ، بل العرش محتاج إلى الله في خلقه وإيجاده ، وكذا الكرسي ، والسموات ، والأرض ، والجبال ، والبحار ، والنجوم ، والأنبياء ، والرسل ، وكافة المخلوقات ، كلها محتاجة إلى الحي القيوم الذي خلقها وحفظها وأقامها على ما أراد : ﴿ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۙ ﴾ [الزمر: ٤] .

هو سبحانه القيوم القائم بنفسه ، القائم على كل نفس في كل مكان وزمان وحال . هو الواحد الأحد ، هو الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ ٱلْآخِرُ ٱلظَّهَرُ ٱلْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۙ ﴾ [الحديد: ٣] .

هو سبحانه القيوم الذي قام بنفسه ، واستغنى عن جميع مخلوقاته ؛ لأنه هو الغني ، وكل ما سواه من خزائنه ، ومن فضله ، ومن خلقه .

وجميع مخلوقاته فقيرة إليه ، افتقرت إليه جميع المخلوقات في إيجادها ، وفي بقاءها ، وفي إمدادها ، فلا قيام لها إلا بإقامة الحي القيوم لها : ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ ۙ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۙ ﴾ [غافر: ٦٥] .

والمخلوقات التي خلقها الله في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، لا بد من معرفتها ، حتى نعرف من خلقها ، ومن يقوم بتدبيرها ، وتحريكها ، وتسكينها ، وإعدادها ، وإمدادها ، وخلقها : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنعلموا أَن ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۙ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

لا بد من التعرف على ذلك حتى نعرف عظمة القيوم جل جلاله القائم على كل نفس ، القائم على كل مخلوق خلقًا وإيجادًا ، وتدبيرًا وتصريفًا : ﴿ ٱللَّهُ ۙ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۙ لَآ تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ ۗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ ۙ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۙ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ۙ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۗ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۙ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

هو سبحانه حي قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، ثم بين الله ﷻ لنا ملكه فقال : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

ثم بين لنا أن الله وحده بيده مقاليد الأمور كلها فقال : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۗ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

هو جل جلاله خالق كل شيء ، القائم على كل شيء ، المحيط بكل شيء ، العليم بكل شيء ، القادر القاهر لكل شيء ، الملك الذي لا يعجزه شيء : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

هو سبحانه الحي القيوم الذي خلق المخلوقات كلها في العالم العلوي والعالم السفلي ، في الدنيا والآخرة ، خلق المخلوقات بأنواعها وأشكالها المختلفة ، وكل ما سوى الله عالم ، والمخلوقات عوالم مختلفة ، لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله ﷻ : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦] .

ومن أعظم هذه المخلوقات في العالم العلوي : العرش العظيم ، والكرسي الكريم ، والسموات السبع ، والنجوم ، والشمس والقمر ، والملائكة . وفي العالم السفلي : الأرض بجبالها ، وبحارها ، وأنهارها ، وجمادها ، ونباتها ، وحيوانها ، وانسها وجننها .

كل هذا العوالم الله ﷻ خلقها ، ومن أعظم هذه المخلوقات التي خلقها الله ﷻ العرش الذي استوي عليه رحمته فقال : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۗ﴾ [طه: ٥] . فسبحان من استوى على عرشه في علوه ، ويعلم بكل ذرة في ملكه .

هو سبحانه القيوم الذي قام بنفسه ، فلا يحتاج إلى أحد ، واستغنى عن جميع مخلوقاته التي افتقرت إليه ، فلا قيام لها إلا بإقامة الحي القيوم لها . أمر بخلقها فوجدت : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس/ ٨٢] .

• هو الملك الحي القيوم الذي له على كل مخلوق ثلاثة أوامر ملكية ، من العرش العظيم إلى أصغر مخلوق :

الأمر الأول : أمر الخلق والإيجاد : وهو أمر متوجه من الله إلى جميع المخلوقات بالإيجاد ، فالله ﷻ خلقها باسمه الخالق جل جلاله : ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] .

الأمر الثاني : أمر البقاء والفناء : وهو أمر متوجه من الله إلى جميع المخلوقات . وهذه المخلوقات التي خلقها الله ﷻ عوالم كثيرة ، ومن وأعظم هذه العوالم ، عالم الجماد ، و عالم النبات ، و عالم الحيوان ، و عالم الإنسان ، و عالم الجن ، و عالم الملائكة .

هذه ستة عوالم كبرى الله ﷻ خلقها ، وكلها أنواع وأجناس مختلفة ، لا يحصيها إلا الله الذي خلقها ، وأمر بقائها وفنائها بيده ، وأمر حياتها وموتها بيده : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠] .

فسبحان القائم على كل الذرات والمجرات ، خلقاً وتدبيراً ، وبقاءً وفناءً ، وحركة وسكوناً : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر/ ٤١] .

فلا اله إلا الله وما أعظم قوته وقدرته : ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥] .

هو الحي القيوم الذي خلق المخلوقات ، وأعطاهها أمر الخلق فظهرت ، وأعطاهها أمر البقاء فبقيت ، ولو رفع عنها أمر البقاء لذهبت كما يذهب النور ، ويأتي الظلام ، فاختفت ولا نعلم أين ذهبت : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢-٨٣] .

الأمر الثالث الموجه إلى المخلوقات كلها : أمر التحريك والسكين ، والتصريف والتدبير : وتقليب الليل والنهار ، وأمر الحياة والموت ، وأمر النفع والضرر ، كل ذلك بيده وحده لا شريك له : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ

مِمَّنْ تَشَاءُ وَنِعْزُ مِنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعَيْرٍ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

هو جل جلاله حي قيوم قائم على جميع مخلوقاته من الذرة إلى المجرة ، هو الحي القيوم الذي خلقها ، وأحيائها ، وأقامها ورزقها ، وحفظها وأبقاها : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو سبحانه الحي القيوم القائم بنفسه ، المقيم لغيره ، القائم على كل شيء سمعاً ، وبصراً ، وقدرةً ، وعلماً ، وقهراً ، وتدبيراً ، وتصريفاً : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ﴿٢﴾ [آل عمران: ٢].

فالله حي قيوم قائم على كل شيء :

في خلقه وتدبيره.. وفي بقاءه وفنائه.. وفي نفعه وضره.. وفي حركته وسكونه . كل شيء خلقه الله ﷻ هو قائم عليه في بقاءه وفنائه ، هو الذي أوجده وهو الذي يفنيه إذا شاء ، وفي حركته وسكونه ، وفي نفعه وضره ، هو الذي جعل هذا متحركاً ، وهذا ساكناً ، وهذا نافعاً ، وهذا ضاراً ، وهذا حامداً ، وهذا صابراً ، وهذا معطياً ، وهذا سائلاً : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ [الملك: ١].

هو القيوم الذي به قيام كل شيء ، الباقي الذي لا يزول أبداً ، القائم بنفسه ، والقائم على كل نفس ، القائم بالقسط والعدل : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١٨﴾ [آل عمران/ ١٨].

هو جل جلاله الحي القيوم الذي خلق المخلوقات كلها ، القائم بتدبير المخلوقات كلها ، من الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، والإنس والجن ، والملائكة ، والأفلاك والمجرات ، والذرات : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

الله ﷻ هو الملك الذي له الخلق والأمر كله في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، هو جل جلاله له مُلك السماوات والأرض ، وملك عالم الغيب والشهادة ، وملك الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤] .

فلا بد أن نعرف المخلوقات ؛ حتى نعرف من خلقها ، ومدبرها ، والقائم عليها . هذه المخلوقات العظيمة خالقها عظيم ، فالله ﷻ هو العظيم الذي خلق كل عظيم ، من العرش ، والكرسي ، والسماوات ، والأرض ، والإنس ، والجن ، والجبال ، والبحار ، السماوات السبع ، والأراضون السبع ، جميع هذه المخلوقات عظيمة ، وخالقها عظيم له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الكبرى : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فلا بد أن نتعرف على مخلوقات ربنا ﷻ ، نعرف من هو الذي خلق السماوات والأرض ؟ وماذا له من الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، حتى إذا أمر أظعننا ، وإذا نهى اجتنبنا ، وإذا رأينا نعمته شكرناه ، وإذا أذنبنا استغفرناه ؟ : ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَثَوَانَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

فربنا ﷻ يعرف بنفسه كثيراً في القرآن ، ويدعونا إلى معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله فيقول : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] .

• لهذا القرآن يدور على خمس مسائل كبرى :

المسألة الأولى : التعريف بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، وعده ، وعيده ، وآياته ، ومخلوقاته .

الأمر الثاني : التعريف بالأنبياء والرسل ، وجهودهم في الدعوة إلى الله ، وبيان صفاتهم وأخلاقهم .

الأمر الثالث : التعريف باليوم الآخر ، وما فيه من الأهوال ، والجنة والنار ، والثواب والعقاب .

الأمر الرابع : التعريف بالدين عقيدة ، وأحكاماً ، وأخلاقاً .

الأمر الخامس : التعريف بالقضاء والقدر ، وأن كل شيء بقضاء الله وقدره وحده لا شريك له .

فالقرآن كله يدور على هذه المسائل الخمس الكبرى .

فالله ﷻ في مقام التوحيد والتعريف به جل جلاله يقول لنا : ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

فسبحان من له الخلق والأمر كله ، له الأوامر الملكية الكونية.. وله الأوامر الشرعية التكليفية.. وله الأوامر الجزائية بالوعد والوعيد .

له الأوامر الملكية الكونية :

وهي التي بها خلق ويخلق جميع المخلوقات ، فالله خالق كل شيء : ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

وكيل على كل شيء تدبيراً وتصريفاً ، وبقاءً وفناءً ، وحركةً وسكوناً ، ونفعاً وضراً ، وحياةً وموتاً : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

هو وحده الملك القادر الذي يجعل الضار نافعاً والنافع ضاراً بقدرته ، جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وأهلك بأسباب النجاة ، أهلك فرعون مع وجود الملك ، وأهلك قارون مع وجود المال ، وربى موسى في قصر عدوه فرعون ، وأخرج لموسى الماء من الحجر ، وحول له البحر إلى حجر فعبر .

فهو جل جلاله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ؛ له الأوامر الملكية الكونية على جميع المخلوقات خلقاً وإيجاداً ، وتديراً وتصريفاً : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَنَّهُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

وله الأوامر الشرعية التكليفية :

على المكلفين ، وهم العقلاء من الإنس والجن ، هذه الأوامر الشرعية هي الدين بأخباره وأوامره ، ومجموعها خمسة أشياء :

إيمانيات .. عبادات .. معاملات .. معاشرات .. وأخلاقيات .

وله الأوامر الجزائية :

الأوامر الجزائية : هي الوعد والوعيد ، هي اليوم الآخر الذي فيه الجنة والنار ، الجنة لمن آمن بالله وأطاعه ، وعبده وامتثل أمره ، والنار لمن كفر به وعصاه وخالف أمره .

فهذه الأوامر الثلاثة لله الحي القيوم وحده ، القائم على ملكه العظيم خلقاً وتديراً :

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴾ [٣١] فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ

الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢] .

فإن الله عَزَّوَجَلَّ أعطانا عطاء الربوبية من الأرزاق ، ومن سائر النعم المادية من طعام وشراب

ولباس ، وغيرها من النعم ، وأنعم علينا بعطاء الألوهية ، وهو أن أتم علينا النعمة

بالدين الذي نعبد الله به : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ

الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣] .

فالإسلام نعمة من الله يجب أن نشكر الله عليها ، ونمثل أمر الله ﷻ فيها ؛ لأن هذه النعمة تسعد بها في الدنيا ، ثم تسعد بها يوم القيامة ، ويرضى ربنا ﷻ عنا بامثال أوامره ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۗ ﴾ [البينة: ٧-٨] .

فكما أكرمنا الله بعبطاء الربوبية من الخلق والرزق ، والإمداد والإنعام ؛ يجب أن نشكر الله بامثال أوامر الألوهية ، بامثال أوامره جل جلاله ، واجتناب نواهيه ، وثواب امتثال الأوامر عائداً علينا نحن ، والله غني عنا ، وعن أعمالنا : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت/٦] .

الله غني عن الخلائق وحمدهم ، فهو كبير قبل أن نكبره ، وعظيم قبل أن نعظمه ، ومحمودٌ قبل أن نحمده ، لكنه كريم عرفنا بنفسه ، وعرفنا بنعمه المادية ، وأكرمنا بنعمة عطاء الألوهية ؛ فجاء لنا بهذا الدين الكامل ، فلنحمد الله ، ونفرح بذلك : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ۗ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨] .

فكما تنعمنا بنعمه المادية ؛ يجب علينا أن نمثل أوامره الشرعية ، ونحن الراحون على الله بهذا وهذا ، وله المنة والفضل علينا في خلقنا وإيجادنا ، وإمدادنا وإعدادنا وهدايتنا ، وإنزال الدين علينا ، وتحبيب الدين إلينا ، وإعانتنا عليه ، ومضاعفة الأجر عليه ، فله المنة والفضل علينا ، وله الحمد أولاً وأخراً : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧] .  
والله ﷻ بارك في أسمائه وصفاته وإنعامه : ﴿ نَبِّذْكَ أَتَمَّ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨] .

ولا بد لنا من معرفة مخلوقات ربنا ﷻ ، حتى نعرف عظمتها ، ونعرف عظمة خالقها ، وعظمة القائم عليها ، الذي يحركها ويسكنها ، ويصرفها ويدبرها : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣] .  
﴿ اللَّهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣] .

الله ﷻ خلق هذه المخلوقات العظيمة ، والعالم العلوي ، والعالم السفلي ، وفي الدنيا والآخرة ، وفي عالم الغيب والشهادة ، وأمرنا بالنظر إليها ، والتفكير في خلقها ، لنعرف من خلقها ، فإذا عرفناه أحببناه وعبدناه : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] .

فالله ﷻ خلق هذه المخلوقات العظيمة ، وجعلها في هذا الكون ، لتدل على عظمته ، وكمال قدرته ، وكمال علمه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

فخلق السموات والأرض ، وما فيهما ، وما عليهما ، وما فوقهما ، وما بينهما ، كله دال على كمال قدرة الله ، وعلى كمال أسمائه وصفاته وأفعاله .

وما فيهما من الأحكام والإتقان ، ودقة الصنع دال على كمال حكمة الله جل جلاله . وما فيهما من المنافع والمصالح دال على كمال كرمه ، وسعة رحمته جل جلاله ، وذلك كله دال على عظمة ملكه ، وسعة علمه وكمال رحمته ، وأنه وحده الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الحمد لله رب العالمين] ﴿ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فتبارك الله في نفسه بعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله ، وبارك في غيره بإحلال كل خير في العالم : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

والله ﷻ بين مخلوقاته العظيمة وأظهرها في الكون ، وأخبر عنها في كتابه المقروء وهو القرآن ، ومن مخلوقاته العظيمة :

خلق العرش والكرسي ، وخلق الملائكة ، وخلق السموات السبع وما فيهما من المخلوقات العجيبة ، وخلق الأرض ، وما فيها من المخلوقات التي على ظهرها ، والتي في باطنها ، وخلق الشمس والقمر ، وخلق النجوم ، وخلق الليل والنهار ، وخلق السحب والرياح : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ

عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ [يونس: ٣-٤] .

فالنظر والتفكير أعظم أبواب التوحيد والإيمان: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦-٨] .

النبات أكثر من أربعين مليون صنف ، والنبات عوالم مختلفة ، أممٌ وقبائل وشعوب ، الله خالقها ، وقائمٌ عليها في إنباتها ، وفي ألوانها ، وفي أحجامها ، وفي طعومها ، وفي إثمارها ، وفي حياتها ، وفي موتها : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٩] .

وخلق الله الحيوانات كلها ، الحيوانات أكثر من مليون صنف في البر ، وأكثر من مليون صنف في البحر ، كل هذه الخلائق العظيمة الله قائمٌ عليها : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦] . هو الحي القيوم القائم بنفسه المقيم لغيره ، القائم على كل نفس ، القائم على كل شيء خلقاً وتديراً وتصريفاً : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢] .

فهذا الحي القيوم هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٧-١٨] .

هو الخلاق العليم الذي خلق الجبال ، والجبال عالمٌ عظيم ، وأممٌ وقبائل ، وفيها من المعادن ما الله به عليم ، وخلق الله الرياح ، وخلق النار ، وخلق الجن ، وخلق آدم

وذريته ، وخلق الروح ، وخلق الدنيا ، وخلق الآخرة : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢] .

هذه المخلوقات لا بد أن نتعرف عليها ، لنعرف من خلقها ؛ ولنعرف القائم عليها ، ونعرف عظمة ربنا من خلال مخلوقاته : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] .

فإنه خالق كل شيء ، خلق كل شيء لحكمة ، ولم يتركه هملاً ، بل هو على كل شيء وكيل ، قائم على جميع المخلوقات : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [١٠١] ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/١٠١-١٠٢] .

الله تبارك وتعالى هو الخلاق العليم ، الحي القيوم الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً ، خلق كل شيء في العالم العلوي ، وفي العالم السفلي .

خلق سبحانه العالم العلوي ، خلق العرش والكرسي ، وخلق السماوات والأرض ، وخلق الشمس والقمر ، وخلق النجوم والكواكب ، وخلق الليل والنهار ، وخلق الملائكة والأرواح ، وخلق السحب والرياح ، وغير ذلك مما خلقه الله ، ولا يحيط بعلمه إلا هو .

وخلق الله سبحانه العالم السفلي ، خلق الأنهار والبحار ، وخلق التراب والجبال ، وخلق النبات والحيوان ، وخلق الإنس والجان ، وخلق الحر والبرد ، وخلق اليابس والرطب ، وخلق الكبير والصغير ، وخلق الذكر والأنثى .

وخلق سبحانه الدنيا والآخرة ، والجنة والنار ، والثواب والعقاب : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [غافر/٦٢] .

والله يخلق هذه العوالم الكبرى ، وهو قيومٌ عليها ، قيومٌ على الشمس ، قيومٌ على القمر ، قيومٌ على الجمادات ، قيومٌ على السماوات ومن فيهن ، قيومٌ على الأرض وما فيها ، قيومٌ على الجبال ، قيومٌ على البحار ، قيومٌ على كل مخلوقاته : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي

يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

[البقرة/ ٢٥٥] .

هذا الملك العظيم هو الذي يستحق العبادة : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .  
﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص/ ٦٨] .

هو الخلاق الذي يخلق ما يشاء ويختار ، القادر الذي خلق كل شيء ، العظيم الذي لا يعجزه شيء ، الملك الذي بيده ملكوت كل شيء ، القوي القادر على كل شيء :  
﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۗ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس/ ٨١] .

يخلق في كل ثانية أو أقل من ثانية مليارات المخلوقات من الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، والإنس ، والجن وغيرهم مما لا يعلمه إلا هو ، كل شيء موجود في خزائن الله ، وبكلمة كن ، يظهره ويبرزه من خزائنه : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس/ ٨٢] .

ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرف عظمة مكله وسلطانه ، وعرف عظمة نعمه وإحسانه ، وعمل بموجب هذه المعرفة فهو أعلم الناس ، وأعبدهم ، هذه هي جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة ، وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الجنة إلا هذه الجنة : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

فلا بد لهذا القلب أن يعرف معبوده ، ويعرف مخلوقاته ، حتى تأتي عظمة الله ومحبه في قلبه ، وحتى نعرف عظمة الحي القيوم جل جلاله ، ونعرف سعة ملكه وسلطانه ، ونعرف إكرامه وإنعامه ، ونعلم أنه قائم على كل نفس : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ ۗ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

هو جل جلاله الذي خلق المخلوقات صغيرها وكبيرها ، ذكرها وأنثاها ، جامدها وسائلها ، عاليها وسفليها ، ناطقها وصامتها ، ومن هذا خلقه هو الذي يستحق العبادة وحده : ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦] .

فإن الله ﷻ أثنى على نفسه بأنه رب العرش الكريم ، خلق العرش واستوى عليه ، وأمر الملائكة بحمله ، وتعبدتهم بتعظيمه ، والطواف به .

وخلق البيت المعمور في السماء السابعة ، وأمر الملائكة بالطواف به ، وجعل سبحانه البيت العتيق في الأرض ، وأمر بني آدم بالطواف به ، واستقبله في الصلاة : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُرُوبَاءِ أَلْبَيْتَ الْحَرَامِ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَّ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٧] .

فهذه متعبدات الخلق من الملائكة والإنس والجن .

وعرش الرحمن ﷻ سريرٌ ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم ، وهو سقف المخلوقات ، وأعظم المخلوقات ، وأعلى المخلوقات ، وأنور المخلوقات ، وأكبر المخلوقات .

والله سبحانه وصف العرش بأنه مجيدٌ ، وكريمٌ ، وعظيمٌ ، هو عظيم لكونه أعظم المخلوقات ، وأكبرها ، وأعلاها ، وأوسطها ، وكريم لما له من منزلة تميز بها عما سواه من المخلوقات ، ومجيد عالٍ مرتفع على جميع المخلوقات والكائنات .

إن الله ﷻ هو الرحمن الرحيم الذي استوى بصفة الرحمة على أوسع المخلوقات ، وهو العرش ، فقال سبحانه : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه/ ٥] .

وعرش الله ﷻ أعلى المخلوقات ، وأرفعها ، وهو سقف المخلوقات ، وأقربها إلى الله تعالى ﷻ ، فهو أعلى من السماوات والأرض ، وهو سقف الجنة ، اختصه الله بالعلو ، والسعة ، والارتفاع فوق جميع ما خلق

قال النبي ﷺ : «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري (١) .  
وقال النبي ﷺ : «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» أخرجه مسلم (٢) .

الله ﷻ خلق هذا العرش العظيم ، والعرش العظيم محيطٌ بجميع المخلوقات ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه مثقال ذرةٍ من أعمال العباد .  
والله فوق العرش لا يحتاج إلى العرش ، بل العرش محتاجٌ إلى الله في إيجاده وبقائه ، فما أعظم ملك الله ، في السموات مخلوقات ، وفي الأرض مخلوقات ، وبين السماء والأرض مخلوقاتٍ عظيمة ، لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله ، وفي بحر الهواء ذراتٌ لا يحصيها إلا الله ، كل ذرة في الهواء وهي التي تسمى الخردلة ، التي تظهر في النور إذا دخل في غرفة مظلمة ، هذه الذرات تسبح بحمد ربها ، وتشهد بوحدانيته ، وتدل على عظمة قدرته ، وكمال تدبيره : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤] .  
• وكل ذرة في الكون محتاجة إلى ثلاثة أوامر :

أمر الإيجاد فوجدت .. وأمر البقاء فبقيت .. وأمر النفع والضر ، فنفعت أو ضرت .  
فسبحان من هذه قدرته في خلق الذرات والمجرات : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١] .

(١) أخرجه البخاري برقم: ٢٧٩٠ .

(٢) أخرجه مسلم برقم: ٢٦٥٣ .

والحمد لله رب العالمين أن الله خلقنا ، وخلق كل شيءٍ بقدر ، خلق السمع ، وجعله بقدر ، ولو فُتح أمر السمع لسمعنا هضم المعدة للطعام ، ولسمعنا كل شيء ، وما استطعنا أن ننام .

وخلق البصر ، وجعله بمقدار ، فلو فُتح البصر لرأينا الشيء البعيد ، ولرأينا ما في الماء من الجراثيم المتحركة فعافته نفوسنا .

فسبحان من خلق كل شيءٍ بقدر : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝٥٠ ﴾ [ القمر : ٤٩ - ٥٠ ] .

هو جل جلاله الحي القيوم القائم على جميع المخلوقات ، وكل هذه المخلوقات ظروف ، ما بين السماء والأرض ظرف للمخلوقات ، فيه الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والذرات ، والرياح ، والسحب .

والسماوات السبع ظروف فيها مخلوقات عظيمة ، لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله من الملائكة والروح .

والكرسي محيطٌ بالسماوات السبع ، والسماء الدنيا محيطة بالأرض ، ثم سمك السماء الدنيا خمسمائة عام ، وما بين السماء الدنيا والثانية خمسمائة عام ، وسمك السماء الثانية وهكذا إلى السماء السابعة ، سمك كل سماء خمسمائة عام ، والفضاء الموجود بين السماء والسماء خمسمائة عام .

فكل أرض مملوثة بمخلوقات ، وكل فضاء مملوء ، وكل سماء مملوءة قال النبي ﷺ : «أَطَّتِ السَّمَاءُ ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَيْطَّ ؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ ، أَوْ رَاكِعٌ ، أَوْ سَاجِدٌ لِلَّهِ»<sup>(١)</sup> أخرجه الترمذي .

فإن الله ﷻ حي قيوم خلق هذه المخلوقات ، وهو الحي القيوم القائم على كل شيء ، القائم على كل نفس خلقاً ، وتدبيراً ، وتصريفاً ، يقرب بقدرته الليل والنهار ، والحر والبرد ، والأمن والخوف ، والصحة والسقم ، والعطاء والمنع : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ أَيْلًا فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي أَيْلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

(١) حسن / أخرجه الترمذي برقم : ٢٣١٢ .

وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ [لقمان: ٢٩-٣٠] .

فسبحان من هذا ملكه ، وهذا خلقه ، وهذه قدرته ، وهذه قيوميته .

خلق عرشه العظيم الذي استوى عليه ، والعرش وسع جميع مخلوقاته ، والكرسي وسع السماوات والأرض ، والسماوات السبع ، والأرضون السبع ، بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرضٍ فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة .

والسماوات السبع والأرضون السبع وما بينهما وما فيهن في الكرسي كحلقة ملقاة بأرض فلاة .

وحملة العرش ملائكةٌ عظام ، لا يعلم عظمتهم خلقهم إلا الله ، ولا يعلم قوتهم إلا الله ، ولا يعلم عددهم إلا الله ، يحملون العرش بقدرته الله ، ويطوفون به ويحملونه ، وحملة العرش من أكبر الملائكة : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧] .

قال النبي ﷺ : « أذن لي أن أحدث عن ملكٍ من حملة العرش ، ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام » أخرجه أبو داود (١) .

فكم المسافة بين رأسه وقدميه ؟ وكم عظمت هذا الملك ؟ وكم عظمت العرش الذي يحمل ؟ وكم عظمت العظيم الذي استوى على العرش ؟ فلا إله إلا الله ، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ، وزنة عرشه ، ورضا نفسه ، ومداد كلماته .

فلا إله إلا الله ما أعظم قدرته ، وما أوسع ملكه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وإذا كانت هذه عظمت كرسية جل جلاله ، فكم تكون عظمت عرشه الذي وصفه بأنه عظيم ، وبأنه مجيد ، وأنه كريم ؟ وكم تكون عظمت الرب الذي استوى عليه جل

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: ٤٧٢٧ .

جلاله ؟ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو الحي القيوم الذي خلق السماوات ، وهو القائم عليها ، يمسكها أن تقع على الأرض ، ويمسكها أن تزول جل جلاله : ﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ [النازعات/ ٢٧-٢٩].

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ [ق/ ٦].

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١].

هو الحكيم الذي أظهر أسماءه وصفاته في آياته ومخلوقاته ، ومن آياته العظيمة خلق السماوات ، فهي من أعظم الآيات في علوها ، وارتفاعها ، وسعتها ، وقرارها ، حيث لا تصعد علواً كالنار ، ولا تهبط نزولاً كالأجسام الثقيلة ؛ ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ [الرعد/ ٢].

فسبحان القوي القادر الذي أمسكها بقدرته : ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [الحج: ٦٥].

هو سبحانه الذي خلق سبع سماوات كل واحدة فوق الأخرى ، أظهر لنا واحدة ، وأخفى عنا ستاً ، لكن اخبرنا عما فيها ، ولم يكشفها لنا ، وخلق سبع أراضين ، وكشف لنا واحدة ، وأخفى عنا ستاً .

فالله ﷻ يظهر ما شاء من مخلوقاته ، ويخفي ما شاء من مخلوقاته :  
أظهر المخلوقات ، وأخفى نفسه ، وأظهر الدنيا ، وأخفى الآخرة ، وأظهر الأجساد ، وأخفى الأرواح ، وأظهر السنن الكونية ، وأخفى القدرة الإلهية ، وأظهر قيمة الأموال والأشياء ، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة وأظهر المياه وأخفى الرياح :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٥٩﴾

[الأعام: ٥٩].

فالإنسان يعلم كم عنده طن من الحديد ، أو كم عنده من الأموال ، أو كم عنده من السيارات ، لكن أجور الأعمال الصالحة الله أخفاها عنا ، حتى لا نغتر بها ، ونقعد عن العمل : ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥] .

فالله سبحانه خلق سبع سماوات ، ويدبر الأمر فيها ، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض جل جلاله ، خلق سبع سماوات كل واحد فوق الأخرى ، خلقها في غاية الحُسن والإتقان ، لا خلل فيها ولا نقص ، فهي حسنةٌ كاملةٌ ، متناسبة من كل وجه في لونها ، وهيئتها ، وارتفاعها ، وبنائها : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ [الملك/ ١-٥] .

هذه الكواكب العظيمة ، وهذه الشمس ، وهذا القمر ، وهذه النجوم المنثورة من يحصيها ؟ من خلقها ؟ من القائم عليها ؟ أشكال وألوان من النجوم ، الكبير والصغير ، والمضيء والمظلم ، والمتحرك والساكن ، الله جعل هذه النجوم زينةً وجمالاً للسماء ، ونوراً وهدايةً يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، ورجوماً للشياطين الذين يسترقون السمع : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ ﴿٥﴾ [الملك/ ٥] .

فلا إله إلا الله ، هذا العالم العلوي ، وما فيه من المخلوقات ، من خلقه ؟ ومن القائم عليه ؟ ففي السماء عجائب عظيمة ، وآيات كبيرة ، وعجائب في الشمس والقمر

والكواكب : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ  
الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٥-١٦] .

بل لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السماوات في سعتها وعظمتها ،  
وعلوها ، وما فيها من الملائكة والكواكب والشمس والقمر ، كما قال سبحانه :  
﴿ وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيِّدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات/ ٤٧] .

فلأرض وما فيها من المخلوقات ، والعوالم العظيمة في البر والجو والبحر ، بالنسبة  
إلى السماوات ، وما فيها من المخلوقات كقطرة في بحر ، وذرة في جبل : ﴿ لَخَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾  
[غافر/ ٥٧] .

فسبحان الله ما أعظم خلقه ، وما أوسع ملكه .

قال النبي ﷺ : «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ  
تَبْطَأَ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا  
أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ  
إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ» أخرجه الترمذي (١) .

ولعظمة خلق السماوات قل أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها ، إما إخبارًا  
عن عظمتها وسعتها ، وإما إقسامًا بها ، وأما دعاء إلى النظر إلى خلقها وعظمتها ،  
وإما إرشادًا لعباده أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها ، وإما استدلالًا منه  
بربوبيته لها على وحدانيته ، هو رب السماوات والأرض ، ورب الملائكة والروح ،  
وإما استدلالًا بخلقها على ما أخبر به من المعاد ، وإما استدلالًا بحسنها ، واستوائها ،  
وإمسакها ، على تمام قدرته وكمال حكمته ﷻ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ  
مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾  
[الطلاق: ١٢] .

(١) حسن / أخرجه الترمذي برقم: ٢٣١٢ .

فلا إله إلا الله ، كم في خلق السماوات الأرض من عجائب ؟ ، وكم في خلق السماوات السبع ومن فيها من مخلوقات ؟ ، وكم فيها من دلائل الوحداية : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْأَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

فلا إله إلا الله ، الله ﷻ خلق هذه السماوات السبع الشداد بقدرته ، وأتقن صنعها بحكمته جل جلاله ، وكذلك الله ﷻ خلق الأرضين السبع ، الأرض الله ﷻ جعلها في مقابل السماء ، وفتق الأرض إلى سبع أراضي ، وفتق السماء إلى سبع سماوات : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] .

فسبحان الذي خلق السماوات والأرض ، وخلق ما فيهما ، وما بينهما ، وقام على ذلك كله : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ ٦ ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ ٧ ﴿ وَنَخْلًا بِاسْقَاتِهَا طَلْعَ نَضِيدٍ ﴾ ١٠ ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ ١١ [ق/٦-١١] .

فالله قائم بذاته ، قائم بنفسه ، مقيم لغيره ، قائم على كل شيء ، قائم على كل نفس ، قائم على هذا الظرف العظيم الذي هو السماوات السبع ، وعلى هذا الظرف العظيم الذي هو الأرضين السبع ، وما فيهما من المخلوقات خلقًا وتدبيرًا وتصريفًا : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِونَ ﴾ ٣١ ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢] .

خلق الله ﷻ الأرض مختلفة الأجناس ، والصفات ، والمنافع : فأرض سهلة ، وأرض حزنة ، وأرض صلبة ، وأرض رخوة ، وهذه سوداء ، وهذه بيضاء ، وهذه حصى كلها ، وبجوارها أرض ليس فيها حجر ، وهذه سبخة مالحة ، وبجوارها أرض خصبة طيبة ، وهذه طين أو رمل ليس فيها جبل ، وهذه مسجرة

بالجبال ، وهذه تصلح لنبات كذا ، وهذه لا تصلح له ، وهذه تمسك الماء ، ولا تثبت الكلاً ، وهذه تثبت الكلاً ، ولا تمسك الماء : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد/٤] .

فسبحان من نوعها هذا التنوع ، وفرق أجزائها هذا التفريق ، ومن خص كل قطعة منها بما خصها به من المنافع ، والنبات ، والمعادن : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وسبحان الرب الحي القيوم ، القادر على كل شيء ، الذي ألقى على الأرض رواسيها ، وفتح فيها السبل ، واخرج منها الماء والمرعى ، ومن بارك فيها وقدر فيها أقواتها : ﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [فصلت: ٩-١٠] .

خلقها الله ﷻ فراشاً ، ومهاداً ، وذلها لعباده ، وجعل فيها أرزاقهم ، وأقواتهم ، ومعاشهم ، وجعل فيها السبل ، لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم ، وأرساها بالجبال ، ونوع فيها المخلوقات من جمادٍ ونباتٍ وحيوان .

ونوع فيها الأقوات ، فهذه لغذاء الإنسان ، وهذه لغذاء الحيوان ، وهذا سمٌ قاتل ، وهذا شفاءً من السم ، وهذا حار ، وهذا بارد ، وهذا حلو ، وهذا مر ، وهذا حامض ، وهذا مالح ، وهذا ثمر ، وهذا ورق ، وهذا حبٌ متراكب ، وهذا منفرد ، وهذا ثمرٌ مستور ، وهذا مكشوف ، وهذا ثمرٌ أبيض ، وهذا أصفر ، وهذا أحمر ، وهذا أسود : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٨٦] .

وهذه ثمرها في باطن الأرض ، وهذه على سطح الأرض ، وهذا ثمره في أعلاه ، وهذا في أسفله ، إلى غير ذلك من عجائب النبات التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا الله وحده : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان/١١] .

والله عَزَّ وَجَلَّ قائمٌ على هذه المخلوقات ، وعلى هذه الثمرات ، وعلى هذه الحبوب ، وعلى هذه الأقوات ، يخلق كل يوم مليارات المخلوقات من النباتات ، والجمادات ، والحيوانات وغيرها ، ثم الله عَزَّ وَجَلَّ يسوق الماء إلى الأشجار ، فتخرج النبات ، وتخرج الثمار ، وتخرج الأوراق .

والله عَزَّ وَجَلَّ خلق ما لا يحصيه إلا هو من المخلوقات التي على ظهر الأرض ، وفي باطن الأرض ، وما بين السماء والأرض : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون/١٤] . هو الذي يحيي الأرض بعد موتها ، فينزل عليها الماء من السماء ، ثم يرسل عليها الرياح ، ويطلع عليها الشمس ، فتأخذ في الجبل ، فإذا حان وقت الولادة مخضت للوضع ، واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ ٥﴾ [الحج/٥] .

• ثم رتب الله على ذلك خمس مسائل في العقيدة هي ثمرة هذا المثل الحسي :

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ٧﴾ [الحج/٦-٧] .

فسبحان من لا يشغله سمعٌ عن سمع ، ولا مرئيٌ عن مرئي ، ولا غائبٌ عن شاهد ، ولا سائلٌ عن سائل ، ولا مستغفر عن مستغفر ، ولا من في العالم العلوي عمى في العالم السفلي .

هو جل جلاله السميع الذي وسع سمعه الأصوات ، ووسع بصره جميع المخلوقات ، محيطٌ بكل شيء ، قادرٌ على كل شيء ، يدبر الأمر في السماء والأرض ، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُّعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥] .

هو جل جلاله مالك الملك ، حيٌ قيومٌ لا تأخذه سنةٌ ولا نوم .

فإذا عرفنا الحي ، وعرفنا القيوم ، فعلينا أن نقف بين يديه بالعبادة : ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ١﴾ قُرْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ٢﴾ نَصْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٤﴾

[المزمل/١-٤] .

ونقف بين يدي خلقه بالدعوة : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرِي ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرِي ۝٣ وَتِيَابَكَ فَطَهِّرِي ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرِي ۝٥ وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْتَكْبِرِينَ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرِي ۝٧﴾ [المدثر/ ١-٧] .

فهذا الظرف العظيم ، وهو الأرض العظيمة التي خلق الله فيها أكثر من أربعين مليون عائلة من عائلة النباتات ، وأكثر من مليون عائلة من عوائل الحيوانات والطيور والحشرات ، وأكثر من مليون عائلة من الأسماك مختلفة الأشكال والألوان والطعوم .

هذه المخلوقات تحتاج إلى قيومٍ يقوم عليها ، يقوم بخلقها ، ويقوم بتدبير أقواتها ، ويقوم على حياتها ، وهو قائمٌ على كل نفس بما كسبت .

يدبر الخلق في الظلمات ، وفي النور ، في الليل ، وفي النهار ، في العالم العلوي ، وفي العالم السفلي ، في الدنيا والآخرة ، في عالم الغيب ، وعالم الشهادة ، في عالم الملك ، وعالم الملكوت : ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٤﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

هو الذي أمسك السماء بأمره ، وأمسك الأرض بأمره ، والشمس تجري بأمره ، والقمر يجري بأمره : ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ [نوح/ ١٥-٢٠] .

فسبحان الحكيم ، العليم ، القوي ، القادر الذي خلق هذه الشمس المتوهجة ، هذه النار الملتهبة ، من خلقها ؟ ومن يقوم عليها ؟ درجة الحرارة في باطنها أكثر من عشرين مليون درجة ، وفي ظاهرها أكثر من ستة آلاف درجة ، ولهبا يمتد أكثر من نصف مليون كيلو متر ، هذه الشمس ، لو نزلت قليلاً ، لأحرقت كل شيء ، ولو ارتفعت قليلاً ، لتجمد كل شيء ، ولكن الله ﷻ خلق كل شيء بقدر : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٣٨ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٣٨-٤٠] .

الله ﷻ قائمٌ على مخلوقاته ، يأتي بالليل بعد النهار ، ويأتي بالنهار بعد الليل ، ويأتي بالشمس بعد القمر ، ويأتي بالقمر بعد الشمس ، وهو القيوم عليهما بالخلق والإيجاد، والتصريف والتدبير ، والإضاءة والإنارة ، فجعل الشمس سراجاً وهاجاً ، وجعل القمر سراجاً منيراً : ﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ [الفرقان: ٦١ - ٦٢] .

وخلق الله جل جلاله النجوم : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٧) [الأنعام/ ٩٧] .  
 ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ (٥) [الملك/ ٥] .

هذه النجوم العظيمة الكثيرة المختلفة ، نجومٌ خلقها الله ﷻ ، خلقها مختلفة الأشكال والألوان ، والإنارة والإضاءة ، وجعل لها البروج والمنازل ، وجعل منها الثوابت والسيارة ، والكبير والصغير ، والقريب والبعيد ، والمنفرد والمجموع ، وفاوت بين ألوانها ، وأحجامها ، وحركاتها ، وسيرها بقدرته ، منها الثابت ، ومنها المتحرك ، ومنها ما يسير وحده ، ومنها ما يسير مع رفقته : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٦) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣] .

فلا إله إلا الله الذي سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض ، الحي القيوم الذي يدبر المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي ، ومن هذه المخلوقات النجوم العظيمة المنتشرة في جو السماء ، فلا تتقدم إلا بأمره ، ولا تتأخر إلا بأمره ، ولا تسكن إلا بأمره ، ولا تتحرك إلا بأمره : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٢) [النحل/ ١٢] .  
 وخالف سبحانه بين الكواكب بعضها يطلع ، وبعضها يغيب ، ومنها السائر ، ومنها المتحرك ، ومنها ما يسير مجتمعاً كالجيش الواحد ، ومنها ما يسير وحده كالقائد ،

ومنها ظاهرٌ لا يغيب أبداً ، جعلها الله بمنزلة الأعلام المنصوبة التي يهتدي بها الناس في الطرق المجهولة في البر والبحر والجو : ﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَايَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ١٥ وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿ ١٦ ﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ١٧ ﴾ [النحل: ١٥-١٧] .

لا إله إلا الله كم خلق من النجوم ؟ ولا إله إلا الله كم حرَّك من هذه النجوم ؟ ولا إله إلا الله كم ملاًها بالنور ؟ وجميعها في قبضته ، وكلها عبيد من عبيده ، وكلها جنود من جنوده ، وكلها خاضعٌ لأمره ومستجيبٌ لمشيئته ، ومسرعٌ إلى إرادته ، ومسبحٌ بحمده وهو قائمٌ عليها ، وكل شيء في قبضته ، وتحت تصرفه : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ٥٦ [هود/٥٦] .

كل ما يدب في هذا الكون هو آخذٌ بناصيته ، ويعلم كل شيء ، ويبصر كل شيء : ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿ ١٤ ﴾ [الملك: ١٣-١٤] .

بلى ؛ لأنه هو الخلاق العليم ، وكل شيء خلقه وسعه علمه ، وسعه سمعه ، وسعه بصره فهو محيطٌ بكل شيء ، عليمٌ بكل شيء ، فلا إله إلا الله والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ، وزنه عرشه ، ورضاء نفسه ومداد كلماته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ ١٢ [الطلاق: ١٢] .

الله ﷻ هو الحي القيوم القائم بتصريف الأحوال في العالم العلوي والعالم السفلي ، القائم برزق العباد ، وخلق أرزاقهم في كل حين ، فهم نائمون غافلون ، والأمطار من السماء تهطل ، والأنهار في الأرض تجري ، والجذر ينمو ، والأشجار تُثمر ، والأرض تُنبت من كل زوج بهيج : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ ٢٤ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً ﴿ ٢٦ ﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً ﴿ ٢٧ ﴾ وَعَبْنَا وَقَضَباً ﴿ ٢٨ ﴾ وَزَيْتُوناً وَنَخَلاً ﴿ ٢٩ ﴾ وَحَدَائِقِ غُلْباً ﴿ ٣٠ ﴾ وَفَلَكْهَةً وَابَّأً ﴿ ٣١ ﴾ مَتَعَا لَكُمْ وَلَا نَعْمَكُمْ ﴿ ٣٢ ﴾ [عبس/٢٤-٣٢] .

فسبحان الحي القيوم الذي يُصَرِّف الأحوال ، ويرزق العباد بأنواع مختلفة من النباتات، والحبوب ، والثمار : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦] .

هو الحي القيوم الذي لا يقع في الكون شيءٌ إلا بأمره وإذنه ومشئته ، فالله ﷻ هو مالك الملك ، ولا يجري في ملكه إلا ما يشاء ؛ من إيمان أو كفر أو طاعات أو معاصي : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١] .

فسبحان من أحكم الأمور ، فلا يقع في ملكه إلا ما يشاء : ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٢٧] ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ [٢٨] ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٧- ٢٩] .

• فلا يجري في ملكه شيءٌ إلا بأمره ، وإذنه ، ومشئته من :

التدبيرات .. وخلق المخلوقات .. وتصريف الأحوال .. وأفعال العباد .  
ومن هذه التدبيرات ، الزلازل والبراكين ، والأعاصير والأمطار ، والفيضانات ، والخسوف ، والغرق ، والحرق ، والهدم ، والأوبئة ، والأمراض ، والأمن والخوف ، والسلم والحرب ، والعافية والسقم ، والحياة والموت ، والنصر والهزيمة : ﴿ إِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

هو الملك الحي القيوم :

له الأوامر الكونية.. وله الأوامر الشرعية.. وله الأوامر الجزائية بالثواب والعقاب : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْمَزْتُمْ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] .

لكن أوامر الله ﷻ الكونية من الخلق والتدبير لا يسع أحد مخالفتها ، وهي موجهة إلى جميع المخلوقات ، فمتى أرادها الله كانت ، فالله ﷻ لا يُعجزه شيء : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ

إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

أما الأوامر الشرعية فللجن والأنس أن يطيعوا أو يعصوا ، يؤمنوا أو يكفروا ، فالإنس والجن مخيرون بين الإيمان والكفر ، بعضهم يؤمن ، وبعضهم يكفر ، كالأرض منها ما يُنبت ، ومنها ما لا يُنبت : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنآ لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩-٣٠].

وكل ما سوى الله عالم ، عالم السماوات ، عالم الأرض ، عالم الملائكة ، عالم النجوم ، عالم الرياح ، عالم الذرات ، عالم الجماد ، عالم النبات ، عالم الحيوان ، عالم الجن ، عالم الإنس هذه عوالم مختلفة ، والله ﷻ هو الذي خلق هؤلاء ، وهو القائم عليهم في كل حال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢].

فهو جل جلاله حي قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ، محيط بكل شيء ، بصير بكل شيء ولا يغيب عنه شيء .

فسبحان الحي القيوم الذي خلق كل مخلوق ، وكل شيء ، وكل ذرة في الكون مُلكه ، وكل ذرة في الكون عبده : ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٩٣].

فسبحان من أظهر قدرته في خلق الصغير كالذرة ، وخلق الكبير كالعرش ، وخلق العالي كالسماوات وخلق السافل كالأرضين ، وخلق الضدين الماء والنار ، وخلق البر والبحر ، وخلق الرطب واليابس ، وخلق الأجساد وخلق الأرواح : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦].

فالله ﷻ أظهر قدرته في مخلوقاته ، وأظهر أسماءه وصفاته في مخلوقاته ؛ ليعرف الناس ربهم ، وإذا عرفوه عظموه وأحبوه وعبدوه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ

مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق/ ١٢] .

الكل من المخلوقات شاهدٌ أمام ربه ، عالم الجماد ، عالم النبات ، عالم الحيوان ، عالم الأنس ، عالم الجن ، عالم الملائكة ، الكل شاهدٌ أمام ربه ، ومستجيب لمشيئته ، ومسرّعٌ إلى إرادته ، وشاهدٌ بوحدانيته ، ومسبحٌ بحمده : ﴿مَمِّن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦] .

جميع المخلوقات مُسَبَّحَةٌ بحمد ربها ، وكل ذرة في الكون سواءً كانت في السماوات أو في الأرض ، أو في الجماد ، أو في النبات ، أو في الحيوان ، أو في الإنسان ، جميع الذرات كلها مُسَبَّحَةٌ بحمد ربها : ﴿سُبْحٰنَ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ ءِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلٰكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فالله عَظِيْمٌ .. ومُلكه عَظِيْمٌ .. وكتابه عَظِيْمٌ .. ودينه عَظِيْمٌ .. وثوابه عَظِيْمٌ ، فالأليق بالعاقل أن يتصل بالعظيم ، ويقرأ كتابه العظيم ، ويمثل أمره العظيم ؛ لينال ثوابه العظيم يوم القيامة ، ويكون في جوار الملك العظيم في الجنة : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

فسبحان من وسع سمعه الأصوات ، ووسع بصره جميع المخلوقات ، وأحاط بالعالم العلوي والعالم السفلي ، يعلم مثاقيل الجبال ، ومكايل البحار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد ذرات الرمال ، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض ، لا توارى منه سماءٌ سماءً ، ولا أرضٌ أرضاً ، ولا جبل ما في وعره ، ولا بحر ما في قعره ، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ، هو محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضُ وَلَا يَئُوْدُهٗ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيْمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

فهو الحي القيوم الذي حياته مستلزمة لجميع صفات الكمال من السمع والبصر ، والعظمة والكبرياء ، والقدرة والعزة ، والعلم والرحمة ، وجميع صفات الكمال .

فالله عَظِيْمٌ هو الرب العظيم ، والإله الكريم ، الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض : ﴿هُوَ اللَّهُ

الْخَلْقِ الْبَارِئِ الْمُصَوِّرِ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤] .

هو الحي القيوم الذي يريد من خلقه أن يتخلقوا بصفاته ، ويتعبدوا لله بها ، فهو محسنٌ يحب المحسنين ، وهو مؤمن يحب المؤمنين ، وتواب يحب التوابين ، فالله ﷻ يحب من خلقه أن يمثلوا أوامره ، ويتخلقوا بصفاته ، ولكن على شاكلة العبودية ، هو الكريم الأعلى ، وأنا الكريم الأدنى ، وهو القوي الأعلى ، وأنا القوي الأدنى ، وهكذا الله يحب من خلقه أن يتصفوا بصفاته : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

فالله ﷻ مقصوده من جميع الأخبار ، والأوامر ، والأحكام الشرعية هو تحصيل اليقين على ذاته ، وأنه واحد أحد بيده كل أحد ، وأنه حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأن له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة مقصوده أن تأتي في القلوب عظمته ، وأن تأتي في القلوب محبته ، وأن يأتي في القلوب الانكسار بين يديه .

فإذا جاء اليقين على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله جاء اليقين على كتابه وعلى قوله ، جاء اليقين على وعده ووعيده ، ثم جاء امثال أوامره ، واجتناب نواهيهِ ، مقرونًا بالتعظيم له ، والحب له ، والذل له : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِالْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [ الأنبياء: ٩٠ ] .  
فمقصود الله ﷻ من خلقه أن يتصفوا بالصفات التي يحبها الله :

وهي : ﴿التَّيْبُوتِ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّكِينُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢] .

وهي : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ

وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴿الأحزاب/ ٣٥﴾ .

وهي : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١- ١١] .

وهي : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٣- ٦٤] .  
وغيرها من الصفات الإيمانية المذكورة في القرآن .

هذا الإنسان الله ﷻ خلقه بيده ، وخلق جميع المخلوقات بأمره ، وهذا الإنسان شرفه الله ، لأنه يريد خليفه في الأرض ، يسمع كلام الله ، ويعمل بدين الله ، ويدعو إلى الله . وأمر الإنسان أن يتصف بالصفات التي هي في أعظم المخلوقات ، وأعظم المخلوقات هو العرش ، وله ثلاث صفات :  
صفة العلو.. وصفة الاتساع.. وصفة النور .

كذلك قلب الإنسان يريد الله منه أن يطابق العرش في علوه على ما دونه من المخلوقات ، وأن يتسع صدر المؤمن للتوحيد ، والإيمان ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، وأن يمتلئ القلب بنور الإيمان الذي يحرك الجوارح بأنواع العبادات : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨] .

فالواجب أن نجتهد على القلب ؛ حتى يكون أعلى المخلوقات : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٩] .

بتوحيدهم ، وإيمانكم ، وأعمالكم الصالحة ، وأخلاقكم الحسنة ، حياتكم تشبه حياة الأنبياء ، وحياة الأنبياء تشبه حياة الملائكة التي مزاجها سمعنا وأطعنا ، فنحن قدوتنا الأنبياء والرسل والملائكة : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [ الأنعام: ٩٠ ] .

ويجتهد على القلب ليتسع صدر المؤمن لجميع الأعمال الصالحة التي يحبها الله ، ويمتلئ قلبه بنور الإيمان ، الذي يدفعها إلى كل طاعة ، ويبدد كل ظلمة .

فإذا امتلأ بنور الإيمان حرك الجوارح بالطاعات التي يحبها الله ﷻ ، وملاً الكون بحمد الله وذكره وشكره كما ملاً الله له الكون بنعمه وآلائه وإحسانه ، فعلى المؤمن تكميل محبوبات الرب في الدنيا ، ويوم القيامة الله يكمل محبوبات العبد في الجنة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [ الكهف: ١٠٧-١٠٨ ] .

والله خلق الدنيا وملائها بما يحبه الرب من الإيمان والأعمال الصالحة ، وملائها بما تحبه النفس من أنواع الشهوات .

### • ومحبوبات الرب هي :

الإيمانيات .. والعبادات .. والمعاملات .. والمعاشرات .. والأخلاق العالية .

ما يحبه الرب : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ التوبة/ ١١٢ ] .

فالله ملاً الدنيا بمحبوباته هو ، وملاً الجنة بمحبوباتنا نحن ، فلنملاً الدنيا بمحبوباته ، حتى يوم القيامة ننعم بمحبوباتنا نحن ، ونعيش يوم القيامة مع النعمة والمنعم ، في الدنيا جميع الخلائق تعيش مع النعمة ، إلا المؤمن يعيش مع النعمة ، ويخترق النعمة إلى المنعم ، المؤمن يخترق المخلوقات إلى الخالق ، فيرضيه بما يحبه ويرضاه من الإيمان والطاعات ، ويخترق الدنيا إلى الآخرة ، ويخترق الصور إلى المصور ،

ويتجاوز عالم الأموال والأشياء إلى الازدياد من الإيمان والأعمال الصالحة ، فيفعل ما يرضي ربه وما يحبه جل جلاله .

فالله ﷻ حيّ قيوم لا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والعالم السفلي ، رقيب على القلوب والجوارح : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١] .

فسبحان مالك لملك ، عالم الغيب والشهادة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

عالم الشهادة بالنسبة لعالم الغيب لا يساوي ذرة ، فالجنة والنار من عالم الغيب ، وهذه الدنيا التي نحن فيها للمؤمن مثلها عشر مرات ، هذا أدنى مؤمن في الجنة ، أما أعلاهم منزلة فله جنات ودرجات عالية : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] .

فالله ﷻ حيّ قيوم ، محيط بعالم الغيب ، وعالم الشهادة ، حيّ قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، هذا الحي القيوم الرحمن الرحيم يجب أن أقف بين يديه ، وأطيع أمره ، وأجتنب نهيه ، وأشكره على نعمه ، واستغفره من الذنب ، واصبر على بلائه ؛ لأنه رحمن رحيم لا يتبلي عبده إلا بمصيبة ترفع درجته ومقامه ، وترده إلى ربه ، وتكفر سيئاته ، وتنقي توحيدته : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١] .

هو سبحانه الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت ، رقابة ، وخلقاً ، ورزقاً ، وعلماً وتديباً ، هو قائم على كل نفس بما كسبت من خير أو شر : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢] .

هو القيوم رقابةً : يطلع على ما في القلوب ، يطلع على ما عمله الجوارح ، يطلع على النيات ، يطلع على كل شيء .

وخلقًا : كل ما يفعله الإنسان خلقه الله ، فالله خلق فعله ، والإنسان يوجه الطاقة إلى الخير أو الشر ، إلى الحق أو الباطل ، إلى الفضيلة أو الرذيلة : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ ﴾

[الإنسان: ٢٩-٣٠] .

ورزقًا : فكل رزق في العالم من الرزاق ، وحيثما كان خلقه كان رزقه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝٦ ﴾ [هود: ٦] .  
وعلمًا : حيثما كان خلقه كان علمه : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر/ ٧] .

فالله عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، ورحمته وسعت كل شيء ، فحيثما كان خلقه كانت رحمته ، وكان علمه : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر/ ٧] .

وتدبيرًا : هو الذي يدبر الأمر في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، يدبر أمر الملائكة ، أمر النجوم ، أمر السماوات السبع ومن فيها ، أمر الأراضين السبع ومن فيها ، أمر الجبال ، أمر البحار ، أمر النيران ، أمر الطيور ، أمر الحشرات ، أمر الرياح ، أمر الشمس ، أمر القمر ، أمر الإنس ، أمر الجن : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ ﴾ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴿ ٥ ﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿ ٦ ﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿ ٧ ﴾ [السجدة: ٤-٧] .

كل ذرة في ملكه لها تدبيرات ، هو الذي يدبر الأمر في ملكه العظيم ، هو الذي يقرب الليل والنهار ، ويحيي ويميت ، ويعطي ويمنع ، ويقبض ويسط ، هو الذي يغير الأحوال من الأمن إلى الخوف ، من العافية إلى المرض ، من الحياة إلى الموت : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ۝٤٤ ﴾ [النور/ ٤٤] .

فالحمد لله أن جعلنا من خلقه ، ومن بني آدم ، وممن أعطاهم الله عقولاً تقرأ كتاب الله ، وتفهمه وتعمل بموجبه ، وتفهم معاني أسماء ربها وصفاته ، فتحبه ، وتعظمه ، وتكبره ، وتجد اللذة والأنس في مناجاته ، وعبادته ، والقيام بين يديه ، تذكره كثيراً ، وتحمده كثيراً ، وتسبح بحمده آناء الليل ، وأطراف النهار ، وتصلي وتسلم على رسوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

الحمد لله على نعمة الإسلام ، الحمد لله أن ربنا حيّ قيوم خزائن كل شيء عنده : خزائن الأمن ، خزائن الخوف ، خزائن الرزق ، خزائن الحبوب ، خزائن الثمار ، خزائن الليل ، خزائن النهار ، خزائن الرحمة ، خزائن العقول ، خزائن العزة ، خزائن الذلة ، خزائن الحديد ، خزائن الذهب : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا إِعِنَّا فَخْلَهُ وَمَا نُزِّلُ إِلَّا لِأَن نَّذَرِ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

فالله ﷻ له خزائن السماوات والأرض ، وخزائن السماوات والأرض من خزائن غيبه . فجميع ما نراه هو من خزائنه ، والجنة والنار من خزائنه ، والدنيا والآخرة من خزائنه ، وعالم الغيب والشهادة من خزائنه : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُوعُهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فسبحان من يُصِرُّف الدهور ، ويقلب الليل والنهار ، ويقلب الأحوال ، ويحيي ويميت ، ويعز ويذل ، وهو قائم على كل نفس .

وهو سبحانه القائم على الصراط المستقيم ، الذي هو الحكمة والعدل والإحسان ، الباقي بعد فناء كل شيء : ﴿ كُلُّ مَن عَلِيهَا فَإِنَّ ﴾ [٦٦] وَيَبْعَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٢٧] [الرحمن/ ٢٦-٢٧] .

فسبحان الحي القيوم الذي كل شيء قائم به ، ولو رفع عنه أمر القيام ، أو أمر البقاء ، لفني فوراً ولذهب ولا نعلم أين ذهب .

فكل شيء قائم به ، العرش والكرسي ، والسموات والأرض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والإنس والجن ، والملائكة ، والجبال والبحار ، كل شيء قائم به ، فلولا إقامة الله له لما قام ، ولولا خلق الله له لما وجد .

وكل مخلوق مستسلم له ، خاضع لأمره ، وخاضع لعزته ، ومتصاغر لكبريائه ، فالله له الكبرياء في السموات والأرض ، وكل شيء من المخلوقات متصاغر لكبريائه ، فهو الكبير المتعال وحده لا شريك له : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

وهذه المخلوقات كل منها متدلل لعظمته ، مُسَبِّحٌ بحمده ، مطيعٌ لأمره . سبحانه هو الله الواحد القهار ، مادام هو الواحد ، لا بد أن يكون قهاراً ، وما دام هو قهار ، لا بد أن يكون واحد ، فالله هو الواحد القهار الذي خلق جميع المخلوقات ، وقهرها على ما أراد : ﴿ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤] .

وهو سبحانه قيوم السموات والأرض ، قائم عليها ، وعلى من فيها ، وعلى ما في باطنها ، وعلى من فوق ظهرها ، وعلى من تحتها ، هو قيوم السموات والأرض ، وقيام الدنيا والآخرة ، القائم للخلائق كلها بجميع معاني وجودها حياةً ، وإمداداً ، وإعداداً ، وهدايةً ، وتدبيراً : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١] .

هو القائم على الخلائق كلها بجميع معاني وجودها : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر/ ٦٢] .

قائم عليها بالتدبير والتصريف ، الحافظ لها ، المصرف أحوالها ، الحاكم لها ، الرحيم بها ، المالك لها وحده لا شريك له : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران/ ١٨] .

فهو سبحانه حي قيوم لا تأخذه سنةٌ ولا نوم ، قائمٌ على كل شيء ، قائمٌ على كل نفس بالخلق والإيجاد ، وبالتدبير والتصريف ، وبالبقاء والفناء ، وبالنفع والضرر : ﴿ ذٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾

﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۗ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾  
 [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

لماذا لا تدركه الأبصار؟ لو أدركته لأحاطت به، والله محيط بكل محيط، ولا يحيط به أحد، هو المحيط بكل أحد، فالأبصار لا تدركه، ولكن الله يأذن لهذه الأبصار أن تراه يوم القيامة، لكن لا تحيط به؛ لأنه المحيط بكل شيء، المحيط بالسموات والأرض، والمحيط بجميع المخلوقات، المحيط بالدنيا والآخرة، المحيط بالعالم العلوي والعالم السفلي، المحيط بعالم الغيب والشهادة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

سبحانه هو حيٌّ قيوم لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، وكيف ينام وهو سبحانه القائم بجملة الخليفة، وتدبير أمورها جملة وتفصيلاً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ﴿٢﴾ [آل عمران/٢].

هذه الحبة النبتة من أودع فيها الجذر، والساق، والأوراق، والأزهار، والثمار، كل مخلوق له أمرٌ من أوامر الله مودعٌ فيه، كل حيوان، كل طير، كل ذرة، كل نبتة. كم نبتة في العالم؟ كم حشرة في العالم؟ كم حيوان في العالم؟ كم طير في العالم؟ كم ذرة في العالم؟

فالله حيٌّ قيوم يرعى المخلوقات، ويدبرها، ويربها، خلقاً وإيجاداً، وإعداداً وإمداداً، وتدبيراً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۗ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فسبحان الحي القيوم القائم على كل شيء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر/٤١].

خلق سبحانه جميع المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وأبدعها على غير مثال سابق : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ، وَوَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠١] .

خلق جميع المخلوقات ، وأبدعها على غير مثال سابق ، وجعلها مظهرًا لأسمائه وصفاته وأفعاله ، وجعلها شاهدة بتوحيده ، مُسَبِّحَةٌ بِحَمْدِهِ ، وساجدة لعظمته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨] .

ثم سوف يفترق الجمع ، وتزول الآثار ، ويبقى الله الواحد القهار : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص/ ٨٨] .

ثم يعيد الخلق مرة أخرى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم/ ٢٧] .

يعيده إظهارًا لقدرته ، وكمال عزته ، فلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وسبحان القائم بنفسه ، القائم بخلق الخلق ، القائم بقسمة أرزاقهم وأقواتهم ، وتصريف أحوالهم ، وحشرهم وحسابهم : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مریم/ ٩٣-٩٥] .

هو سبحانه الحي القيوم الذي لكمال حياته وقيوميته لا تأخذه سنة ولا نوم ، القائم بنفسه ، فلا يحتاج إلى غيره : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

مالك المُلْكُ ، الذي لكمال ملكه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، هو مالك العالم العلوي والعالم السفلي ، هو مالك السماوات والأرض وما فيهن ، وما عليهن ، وما بينهن : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ، إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

هو العالم بكل شيء ، الذي لكمال علمه لا يعزب عنه مثقال ذرة .

فسبحانه ما أعظم قدرته ، وما أعظم تدبيره لملكوته : ﴿ وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ  
وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم/ ٢٥] .

يأمر الله السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، فيخرج الناس كما تنبت البقلة في حميل  
السيل ، ثم يساقون إلى المحشر : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ  
ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١] .

هو القادر على كل شيء ، الذي لكمال قدرته خلق أعظم شيء وهو العرش العظيم ،  
والكرسي الكريم ، وخلق السماوات والأرض وما بينهما ، وخلق الدنيا والآخرة ،  
ولا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه وعلمه وإرادته : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦] .

هو السميع لكل صوت في العالم العلوي والعالم السفلي ، يسمع المسبحين  
والحامدين والذاكرين ، ويسمع السائلين والداعين ، ويسمع المستغفرين  
والمسترحمين ، ويعجب كل أحد ؛ لأنه كريم لا يرد سائلاً : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي  
عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ  
يُرْشَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

هو السميع لكل صوت ، الذي لكمال سمعه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في  
السماء ، يسمع أصوات الإنس ، والجن ، والملائكة ، والجمادات ، والنباتات ،  
والحيوانات ، ويسمع تسبيح كل ذرة ، ويسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة  
الصماء ، في الليلة الظلماء ، فلا إله إلا الله ، والله أكبر ، نستغفر الله ، ونتوب إليه :  
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦-١٧] .

وهو البصير بكل شيء ، الذي لكمال بصره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات  
ولا في الأرض : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا

كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس: ٦١] .

فالسماوات شيء ، وما فيهن شيء ، والكرسي شيء ، والعرش شيء ، والفضاء شيء ، والأرض شيء ، والجبال شيء ، والبحر شيء ، وكل ذرة شيء ، والله تَعَالَى خالق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢] .

فسبحان الحي القيوم القائم على هذا الكون العظيم بكلياته وجزئياته .

فالكليات : كالظروف الكبرى : السماوات ظرف ، والأرض ظرف ، والجبال ظرف ، والبحر ظرف ، والفضاء ظرف ، والليل ظرف ، والنهار ظرف : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] .

هذه الظروف العظيمة مملوءة بالمظاريق ، فكم في الأرض من م ظروف ؟ وكم في السماء من م ظروف ؟ وكم في الفضاء من الذرات ، النجوم ، والكواكب ، والشمس والقمر ؟ وكم في الكون من الكلمات الطائرة ؟ وكم فيه من الذرات السابحة ؟ . والفضاء ظرف كبير للكلمات التي نقولها ، ولو ثبتت ورأيناها كما تكتب بالأفلام على الأوراق لرأينا شيئاً عجباً .

فسبحان الحي القيوم ، القائم على هذا الكون العظيم بكلياته وجزئياته في كل وقت ، القائم على كل نفس بما كسبت : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم/ ٦٥] .

هو ربنا جل جلاله الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

[الحشر: ٢٢-٢٤] .

ومن هذه أسماءه ، وهذه صفاته ، وهذا خلقه ، وهذا ملكه ، وهذه قدرته ، هو وحده المستحق للعبادة وحده دون سواه ، وهو أهل أن يُعبد ، ويُذكر ، ويشكر ، ويطاع وحده لا شريك له ؛ لأنه الملك الحي القيوم القائم على كل نفس ، الخالق كل شيء ، القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء ، المنعم بكل نعمة : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾

[الأنعام: ١٠٢] .

سبحان الحي القيوم الذي لا ينام : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَيِّنُهُمْ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ ﴿٣٣﴾ [الرعد/ ٣٣] .

من الشريك الذي يخلق كخلق الله ، ويرزق كرزق الله ، ويأمر كأمر الله ؟ ويعلم كعلم الله ، ويقدر كقدرة الله ، ويدبر كتدبير الله ، ويسمع كسمع الله ، ويبصر كبصر الله ، ويحكم كحكم الله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَ تَجِيبُوا لَهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ أَلْهَمَ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُم أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمَ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾

[الأعراف: ١٩٤-١٩٦] .

فإن الله ﷻ أقام الحجة ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وأعطى الأسماع والعقول والأبصار ، فقامت الحجة على الناس ، لكن من زاغ أزاغ الله قلبه ، ومن أعرض أعرض الله عنه ، ومن انصرف عن الله انصرف الله عنه ، ومن نسي الله ؛ الله ﷻ ينساه . فإذا بدأ الإنسان بالانصراف ، فالله ﷻ يصرفه عن الدين ؛ لأن الله ﷻ حكيمٌ وعليمٌ وخبيرٌ بمن يصلح للكرامة ، ومن يصلح للإهانة ، ومن يصلح للجنة ، ومن يصلح للنار ، ومن يصلح للهدى ، ومن لا يصلح لذلك ، كالأرض الطيبة تستقبل الماء ثم

تُنبت من كل زوج بهيج ، أما الأرض السبخة فلا تنبت : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ ، يُادِنُ رَبَّهُ وَالَّذِي حُبَّتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصِرْفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٨] .

والله عليم بهذا وهذا ، ولكن البلاغ لا بد منه لجميع الناس ، والأسماع والأبصار والعقول موجودة عند جميع الناس ، والرسول بعثوا إلى كل الناس .  
 فالله ﷻ أقام الحجة على الناس ، حيث فطر الله كل الناس على التوحيد ، لكن لم يكتفي بهذا ، بل من علينا بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، وإقامة الدلائل على وحدانيته ، وعلى ربوبيته ، وعلى ألوهيته ، وأعطانا السمع والأبصار والعقول ، ورغب في الطاعات ، وحذر من المعاصي ، وضاعف الأجر لمن أطاعه ، وجعل على السيئة الواحدة سيئة مثلها ، أو يعفو عنها جل جلاله ، فالله ﷻ رحيم بالعباد :  
 ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

والله ﷻ لم يخلق مخلوقاته لمحض الفناء ، بل لتعرف عظمته ، وقدرته ، وعلمه ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، كما قال سبحانه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

البصر يرى التصريف والتدبير ، والتغيير والتجديد ، والليل والنهار ، والحر والبرد ، والأمن والخوف ، والإيجاد والإبداع ، والإحياء والإماتة : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .  
 لماذا ؟ ، لأمرين : ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

وإذا علمتم بذلك فاعبدوا ربكم وأطيعوه ، إذا علمتم أنه لا إله إلا الله فاعبدوه : ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

ولما أرى الله جل جلاله الألباب والعقول عظيم قدرته على الإيجاد ، ولطيف حكمته في إتقان الصنع ، وجميل فضله وإحسانه في العطاء ، استأثر الحي القيوم بالملك والبقاء ؛ إظهاراً لعزة الربوبية ، وعظمة الملك والملكوت والجبروت : ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [١٣] .

أولوا الألباب والعقول ، أولوا البصائر والأفكار ، لما رأوا عظيم قدرة الله ﷻ على خلق المخلوقات العظيمة من العرش والكرسي ، والسموات والأرض وما فيهن ، وما بينهن ، وما عليهن ، وشاهدوا لطيف حكمته في إتقان الصنع ، ورأوا جميل فضله وإحسانه في العطاء ؛ عطاء هذا المال ، وعطاء هذه الأرزاق ، وعطاء هذه الأنوار ، وهذه الأرض التي نسكنها ، وهذا الطعام الذي نأكله ، وهذا الماء الذي نشربه وهذا الهواء الذي نتنفسه ، وهذا الإبداع في الخلق ، لما رأوا ذلك آمنوا بالله وحده .

لما رأت العقول عظمة الله ، وجميل فضله وإحسانه ، توجهت إليه تعظمه وتكبره ، وتحمده وتشكره ، وهذا هو موضوع الدعوة إلى الله ، أن نُعظم العظيم حتى يعظمه الناس ، ونكبره حتى يكبره الناس ، ونذكر نعمه وإحسانه حتى يحبه الناس ، ونذكر وعده على الإيمان والطاعات لتقبل الناس على عبادته ، ونذكر وعيده على الكفر والمعاصي ليحذر الناس الكفر به ومعصيته .

وهذا لب العبودية ؛ أن يُعظم الله ويُكبر ، وأن يُحمد ويُشكر : ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٤٢] [الأحزاب/ ٤١-٤٢] .

فلما رأت القلوب المؤمنة عظيم قدرة الله على الإيجاد ، ولطيف حكمته في إتقان الصنع ، وجميل فضله وإحسانه في العطاء ؛ خرت راکعة وساجدة بين يدي ربها : ﴿ أَمَنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [٩] [الزمر/ ٩] .

هذه العبادة التي يريد الله ، الله يريد عبادة القلوب والقوالب ، لا عبادة القوالب ، عبادة القوالب فقط عبادة المنافقين ؛ أما عبادة القلوب والقوالب فهي عبادة

المؤمنين ، أن يخضع القلب لله فيأمر الجوارح بعبادة الله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [ الأنفال: ٢-٤ ] .

اللسان له عبودية ، وعبودية اللسان أن تتكلم عن الله أو تتكلم معه ، تتكلم عنه بالدعوة إليه بذكر أسمائه وصفاته ، وذكر نعمه وإحسانه ، وتعلم شرعه لعباده . أو تتكلم معه بأن تسأله فيجيبك ، وتستغفره فيغفر ذنبك ، وتحمده على نعمه ، وتكبره ، وتمجده .

فعبودية اللسان أن يتكلم معه ، أو يتكلم عنه ، الكلام عنه بالدعوة إلى الله ، والكلام معه بالعبادة التي هي أقوال وأفعال معلومة : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) [ التوبة: ٧١ ] .

والله ﷻ هو الحي القيوم ، الذي تفرد بالملك والبقاء ، وهو يमित الخلق ، إظهاراً للحي القيوم الذي لا يموت عن الحي المخلوق الذي يموت .

استأثر الحي القيوم بالملك والبقاء في الدنيا والآخرة ، إظهاراً لعزة الربوبية ، فهو حيٌّ ، وحياته مستلزمه لجميع صفات الكمال ، وعظمة الملك والملكوت ، ملك السماوات والأرض ، وملك الدنيا والآخرة ، وملك العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وملك عالم الغيب والشهادة ، وملك الذرات والمجرات ، إظهاراً لعزة الربوبية ، والقدرة الربانية ، والعلم المحيط ، والملك الكبير : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُوعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٥) [ غافر: ٦٥ ] .

فالله ﷻ هو ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، وإذا عرفت الكبير ، فأنا في غنى عن الصغير ، وإذا عرفت الغني فليس لي حاجة بالفقير ، وإذا عرفت الملك فليس لي حاجة بالعبيد ، وإذا عرفت الخالق استغنيت به عن المخلوق : ﴿ ذَلِكُمْ

اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

استأثر الحي القيوم بالملك والبقاء ، إظهاراً لعزة الربوبية ، وعظمة الملك والملكوت والجبروت ، حتى تتصاغر القلوب لعظمته ، وتتصاغر المخلوقات أمام الملك العزيز الجبار : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّرَابِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢] .

ثم أفنى الحي القيوم الذي لا يموت تلك المخلوقات كلها ، إلا ما استثني الله ﷻ من العرش والجنة والنار ، والقلم وغيرها ، تفرقةً بين عزته وذلتهم ، وبقائه وهلاكهم ؛ لأنه الملك الحي الذي لا يموت ، وهم المماليك والعبيد له ، يفعل بهم العليم القدير ما يشاء : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فالله ﷻ خلق المخلوقات العظيمة ، إظهاراً لكمال قدرته وقوته وعظمته ، وعظمة ملكه وسلطانه ثم يفنيهم ويعيدهم ، تكميلاً لحكمته في خلقه ، وإظهاراً لكمال قدرته : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧] .

فسبحان الحي القيوم الذي ما شاء أبقاه إلى أمد ، فإذا قطع عنه أمر البقاء زال فوراً ، وأمره ماضٍ في كل مكان وزمان ، وكل موجود سواه فان : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فسبحنن الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ ﴿٦٦﴾ وَسَبَّحَنَّا وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] .

وكل ما أريد به وجهه باق ، وفاعله مُكْرَم غير مهان ، وما لم يُرد به وجهه فضائع ، وفاعله باق في الهوان : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ [الزخرف/ ٤٣-٤٤] .

وشتان بين المؤمن والكافر : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ [السجدة: ١٨-٢٠] .

الله ﷻ له ملك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات وما في الأرض ، وله غيب السماوات والأرض ، هذه ظروف عظيمة ، وفيها مخلوقات عظيمة ، وفي خزائن الله وغيبه مخلوقات لا يعلمها إلا هو ، والله ﷻ هو القائم على هذه المخلوقات في ملكه العظيم يقوم بخلقها ، وتدبيرها ، وأرزاقها : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (٢) [آل عمران/ ٢] .

حي بصفات الكمال ، من : العلم ، والقوة ، والقدرة ، والعزة ، والكرم ، والعفو ، والسمع ، والبصر ، والملك ، والغني ، والجلال ، والجمال ، حي بالصفات الكاملة : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٥) [غافر: ٦٥] .

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض ، والله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه ؛ لأننا إذا عرفناه بصفات الجلال كالمملك والقدرة ، والعزة والعظمة ، كبرناه وعظمناه ، وخشيناه وخفناه ، واتفيناه وعبدناه .

وإذا عرفناه بصفات الجمال كالرحمة والإحسان ، والحلم والعفو ، أحبيناه لما له من النعم التي لا تعد ولا تحصى ، وإذا عظمناه وأحبيناه أطعناه ، لأننا نرى أنه هو العظيم الذي يجب أن يطاع ، وهو الكبير الذي يجب أن يمتثل أمره ، وهو الغني الذي عنده حوائج الخلق ، فتوجه إليه ونعبده بالمحبة ، لكثرة نعمه ، وصفات

جماله ، والتعظيم ، لأنه ﷻ مالك الملك ، وسلطانه على ملكه العظيم محيط ، فله ملك السماوات والأرض ، وله العالم العلوي والعالم السفلي ، وله الدنيا والآخرة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] .

فإنه سبحانه له صفات الجلال ، وله صفات الجمال ، ومن صفات جلاله أنه قيوم على جميع مخلوقاته : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

## التعبد لله ﷻ باسمه القيوم

الله ﷻ هو القائم على كل نفس ، فلا بد لنا بعد أن عرفنا شيئاً عن اسم ربنا القيوم ، وأنه قائم على الملك والملكوت ، وقائم على كل نفس بما كسبت ، لا بد أن نعرف القيوم ، وما يجب له ، وما هو حظنا من هذا الاسم ؟ فمفتاح التعبد بكل اسم من أسماء الله الحسنى هو أن نتعرف عليه ، فتعرف على القيوم جل جلاله ، وعلى أي شيء يقوم ، وما عظمة ملكه ؟ وما هي المخلوقات التي في ملكه ؟ مخلوقات الله في ملكه جل جلاله لا يعلمها إلا الله ، ولا يحصيها إلا الله ﷻ ، ولكن الله ﷻ أخبرنا عن بعض مخلوقاته ، وهذه المخلوقات ستة عوالم هي :

عالم الجماد.. وعالم النبات.. وعالم الحيوان.. وعالم الإنسان.. وعالم الجن.. وعالم الملائكة .

هؤلاء خلائق عظيمة ، لا يحصيهم ولا يعلمهم إلا الله ﷻ ، والله ﷻ لا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه ، هو حي قيوم يسمع ويرى ويعلم ويقدر : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠] .

هو الحي القيوم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وسع علمه جميع مخلوقاته ، وسع سمعه جميع الذرات في ملكه ، وجميع الأجرام العلوية والسفلية ، والكبيرة والصغيرة ، ووسع بصره جميع مخلوقاته ، فحيثما كان خلقه كان علمه ، وكان بصره ، وكان سمعه : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، والله ﷻ يحب منا أن نأخذ من هذه الصفة ، وأن نقوم على أنفسنا بالاستقامة ، بالعبادة ، بالطاعة ، بامتثال الأوامر ، بالعبادات القلبية ، بعبادة الجوارح : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قُلْ أَتَيْكُمْ أَنْبَاءُ آبَائِكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا

لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ  
وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج: ٧٨] .

وأن نقوم على غيرنا ، يكون لنا جهد على أنفسنا ، وجهد على غيرنا ، وأن نكون  
قوامين لله ، وأن نكون من القائمين بشرع الله ، فنحن نوازن في حياتنا بين العبادة ،  
والدعوة ، والتعليم ، والإحسان .

فالعبرة : ﴿يَأْتِيهَا الْمَرْمِلُ ﴿١﴾ قُرْآنًا لَّيْلًا لِأَقِيلًا ﴿٢﴾﴾ [المزمل/ ١-٢] .

والدعوة : ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ﴿١﴾ قُرْآنًا ذَرًّا ﴿٢﴾﴾ [المدثر/ ١-٢] .

والتعلم والتعليم : ﴿كُونُوا رَبَّيْنَكَ يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾  
[آل عمران/ ٧٩] .

والإحسان : ﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥] .

فالله ﷻ يريد منا أن نقوم على أنفسنا بحملها على طاعة الله ، وزجرها عن معصية  
الله ، وأن نقوم على غيرنا بأعمال يحبها جل جلاله ، ويتصف بها : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ  
فَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣] .

فمفتاح التعبد بكل اسم من أسماء الله الحسنى طلب علمه ، أن نتعرف عليه ، وفهم  
معناه ، ومعرفة مجاريه في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وتتبع آثاره في  
المخلوقات ، حتى نبلغ درجة اليقين في الإيمان به : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَوَكُمُ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩] .

ومن عرف ربه كما يجب استغفر من جهله بعظمته ، وحفظ وقته في عبادته وطاعته .  
فيجب علينا أن نتفقد أنفسنا ، فنحملها على طاعة الله ، ونزجرها عن معصية الله ،  
وتقواه في السر والعلن : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمتْ لِغَدٍ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر/ ١٨] .

فالله ﷻ يريد منا هذا القيام ، قيام بين يديه بالعبادة ، وقيام بين يدي خلقه ، بالدعوة  
والتعليم والإحسان إلى الخلق .

وإذا أردنا أن نعرف القيوم ، وعظمة القيوم ، وما هو قائم عليه ، وكيف أنه لا تأخذه سنة ولا نوم ، فتتعرف على ملكه العظيم ، ونتفكر في عظمة مخلوقاته في السماء والأرض : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران/ ١٩٠] .

هذا فعل الرب ، والرسول ﷺ كان إذا قام من الليل يتلوا هذه الآيات ، وتندبر معانيها ، ونبكي من خشية الله ، فالذي يتلوها ولا يبكي ، ولا يبادر إلى ذكر ربه ودعائه ، فقلبه مريض يحتاج إلى علاج : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥-١٧] .

خلق الله السماء السماوات السبع ، والأراضين السبع ، وما فيهما من المخلوقات ، عالم الجماد ، وما فيه من العوالم المختلفة ، عالم الجبال ، عالم البحار ، عالم الذرات ، عالم التربة ، عالم المعادن ، هذه المخلوقات التي سخرها الله ﷻ لخدمة الإنسان .

وعالم النبات مخلوقات وأمم وقبائل شتى ، عالم النبات أكثر من أربعين مليون صنف من النباتات التي خلقها الله ﷻ ، وفي كل ورقة من كل نبتة مظهر للجلال ومظهر للجمال لله ﷻ ، فهي من جهة في خدمة الإنسان ، ومن جهة أخرى دالة على وحدانية وعظمة الله ﷻ : ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠] .

وقائم على عالم الحيوان بأنواعه ، وأجناسه ، وطعامه ، وشرابه ، وحياته وموته : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥] .

الله ﷻ هو الذي له الخلق والأمر وحده ، ولكن الله ﷻ أخفى قدرته وراء الأسباب ،  
 فإله خالق كل شيء ، والأسباب هذه غلاف ، فالمؤمن يخترق الصور إلى المصور ،  
 ويخترق المخلوقات إلى خالقها ، ويخترق السنن الكونية إلى القدرة الإلهية ، ليعلم  
 من هو الملك الحق ، الحي القيوم .

هو القائم على النجوم الماثورة في جو السماء حتى لا يصدم بعضها بعضا ، ولو  
 اصطدم نجم بنجم لفسد العالم : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤] .  
 هو القائم على الشمس بحيث تسير في مسارها المحدود ، بدرجة حرارة محدودة .  
 فللشمس ثلاثمائة وستون مشرقاً وثلاثمائة وستون مغرباً ، هو رب المشارق  
 والمغرب ، قائم عليها في سيرها ، وحرارتها ، ومشرقها ومغربها .

وقائم على القمر حين يبدو هلالاً ، حتى يصير بدرًا ، ثم يأخذ في النقص في نهاية  
 الشهر : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨) ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ  
 مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (٣٩) ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ  
 النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤٠) [يس: ٣٨-٤٠] .

وهو قائم على الملائكة في العالم العلوي ، وهو قائم على السماء ، يمسك السماء أن  
 تقع على الأرض ، وهو قائم على البحار حتى لا تغرق البشر ، قائم على الجامدات  
 حتى لا تسيل ، قائم على النار حتى لا تحرق البشر ، قائم على الأذان حتى تسمع ،  
 وعلى الأبصار حتى ترى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ  
 وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ  
 أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣١) ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (٣٢) [يونس: ٣١-٣٢] .

هو جل جلاله قائم على كل نفس ، وهو جل جلاله ذو الجلال والإكرام ، وضع  
 اسمه على السماء فاستقلت ، وعلى الأرض فاستقرت ، وعلى الجبال فرست ،  
 وعلى البحار فسالت ، وعلى الرياح فهبت ، وعلى اللسان فتكلم ، وعلى الأذن

فسمعت ، وعلى العين فأبصرت ، وعلى اليد فبطشت ، وعلى الرجل فمشت : ﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ٢] .

هو الحي القيوم القائم بخلق الخلائق ، وتدبير الخلائق ، وإمداد الخلائق ، بيده التصريف والتدبير ، والتشكيل والتغيير ، والتحريك والتسكين ، والإحياء والإماتة ، والعزة والذلة ، والقبض والبسط ، قائم على ملكه عظيم ، لا يخفى عليه شيء ، ولا يشغله سمع عن سمع من جميع الخلائق في البر والجو والبحر ، في العالم العلوي ، والعالم السفلي .

يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللغات ، وتعدد الحاجات ، ويوجب السؤالات ، ويسمع الأصوات ، ويعلم ما في البر والجو والبحر : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ أَلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

الله ﷻ عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، قادر على كل شيء ، رقيب على كل شيء ، شهيد على كل شيء ، ولا يعجزه شيء : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢] .

الله ﷻ حين خلق المخلوقات خيرها كلها في حمل الأمانة ، خير السماوات والأرض والجبال ، والإنس ، وجميع المخلوقات ، خيرها أن تتحمل الأمانة ، أمانة الدين ، فلما خيرها الله ﷻ اختار خلق منهم أن يكون مسخراً وهم ما سوى الجن والإنس ، واختار خلق منهم أن يكون مخيراً وهم الجن والإنس .

فالله ﷻ خلق جميع الكائنات في العالم العلوي والعالم السفلي ثم خيرهم ، فمنها ما اختار أن يكون مسخراً ، خيار له ؛ وهم جميع المخلوقات إلا الإنس والجن ، وتلك المخلوقات اختارت أن تكون مسخرة ، تسبح بحمد ربها ، وتشاهد بوحدانيته ، مطيعة له جل وجلاله ، خاضعة لأمره ، مستجيبة لمشيئته : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

هذه المخلوقات الله خيرها ، وخير الإنسان ، لكن هذه المخلوقات اختارت أن تكون مسخرة لطبيعتها لربها ﷻ ولا خيار لها ، وهؤلاء هم :

عالم الجماد.. وعالم النبات.. وعالم الحيوان.. وعالم الملائكة .

كل هؤلاء يسبحون بحمد ربهم ، وكل قد علم صلاته وتسيبته ، هؤلاء اختاروا أن يكونوا مسخرين لا مخيرين : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّعِلْمِ صَلَاتِهِ، وَتَسْبِيحِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور: ٤١] .

ومن هذه المخلوقات ما هو مختار يفعل ما يشاء ، وهم الثقلان الجن والإنس : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٧٢] لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣] .

الله ﷻ لما خير هذا الإنسان ابتلاه بالأوامر الملكية ، وبالشهوات الحيوانية ، ابتلاه بالأوامر الشرعية الإلهية تحبها الروح ، والشهوات الحيوانية تحبها النفس ، والإنسان حسب المذكر .

إن وجد مذكراً مال إلى محبوبات الرب ، وهي كل ما تحبه الروح ؛ لأن الروح تأنس بذكر الله ، وطاعته ، وعبادته : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [٢٨] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي ﴿ ٢٩ ﴾ . [الرعد: ٢٨ - ٢٩] .

وإن لم يوجد مذكر ، عاش حياته غافلاً كالبهائم : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنْ مِنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [٢٨] ﴾ [الكهف: ٢٨] .

الذي يعيش في الجو الغافل تثقل عليه الطاعات ، وتخف عليه المعاصي ، والذي يعيش في الجو الذاكر تكون طاعاته شهوات ، وتخف عليه العبادات والطاعات ، وتثقل عليه المحرمات والمعاصي .

فالإنس والجن هؤلاء هم الذين تحملوا الأمانة ، وهؤلاء الذين أرسل الله إليهم رسله بالحق ، فمن اختار الحق دخل الجنة ، ومن اختار الباطل دخل النار : ﴿ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [ الأنعام: ١٣٠ ] .

وقد سخر الله ﷻ جميع ما في الكون للإنسان ، لما تحمل الأمانة الله سخر له هذه الكائنات ، فكلها في خدمته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [ لقمان/ ٢٠ ] .

فلا بد ونحن في مجالس الذكر أن يحضر القلب ، ويحضر السمع ، وتكون في قلوبنا نية حب التعلم ، ونية العمل ، ونية نشر العلم ، ونفتح النية حتى الله ﷻ يعطينا على قدر النية ؛ لأن الله يعطي على النيات لا على العمل فقط كرمًا منه ، فإذا جاء العمل ازداد الأجر ، لكن الله يعطي على النيات قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » متفق عليه (١) .

فهذه المخلوقات كلها مسخرة للإنسان تسخيرين ، تسخير تعريف لتؤمن ، وتسخير تكريم لتشكر : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [ النساء: ١٤٧ ] .

فالجماد هو أوسع المخلوقات خاضع وخادم لمن فوقه من النبات والحيوان والإنسان .

والنبات أقل من الجماد خاضع وخادم لمن فوقه من الحيوان والإنسان ، عالم النبات كله في خدمة الإنسان والحيوان ، والحيوان أقل من النبات خاضع وخادم لمن فوقه وهو الإنسان ، والإنسان خاضع وعابد لربه الذي خلقه ، فكل مخلوق يخضع ويطيع من هو أعلى منه ، من الجماد إلى الإنسان .

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ١ ، واللفظ له ومسلم برقم: ١٩٠٧ .

فالله سخر كل شيء لهذا الإنسان الذي تحمل الأمانة : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجنائية: ١٣] .

فهذا الإنسان يجب أن يخضع لربه الذي خلقه ، ورزقه ، وهده ، واجتباه ، وكرمه ، واصطفاه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

والله ﷻ لا يريد منا في هذه الدنيا تكميل الشهوات ، بل يريد منا تكميل الصفات التي يحبها ، تكميل الإيمان ، تكميل الأعمال الصالحة ، تكميل الأخلاق العالية : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

الله يريد منا تكميل محبوباته في الدنيا ، والله ﷻ ملاً الدنيا بمحوباته هو ، وملاً الآخرة بمحوباتنا نحن ، فتأخذ من الشهوات المتاحة بقدر الحاجة ، ونعطي للدين بقدر الطاقة ، والله يكمل محوباتنا في الآخرة : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩] .

• ففي الجنة يكرم الله المسلم بثمان كرامات :

دخول الجنة.. والخلود فيها.. ورؤية الرب.. وسماع كلامه.. والقرب منه.. ورضوانه وسلامه على أوليائه.

ففي هذه الدنيا الله ﷻ يريد منا تكميل محبوباته ، محوبات الرب ﷻ هي الدين الكامل ، بنياته ، وأخباره ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه ، فمن أكمل ما يحب الرب في الدنيا ، أكمل الله له ما يحب في الآخرة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

• وشعب الدين خمس :

إيمانيات.. عبادات.. معاملات.. معاشرات.. أخلاق .

هذه محبوبات الرب ، الله يريد منا أن نزين أنفسنا بهذه الصفات التي يحبها :  
﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنَّ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨] .  
الله ﷻ يريدنا بنعمه المادية التي هي : المطعومات ، والمشروبات ، والملبوسات ،  
والمسكنات ، والمنكوحات ، والمركوبات ، وغير ذلك من النعم المادية  
المحسوسة .

ويرينا بنعمه الروحية وهي الدين ، فالله أمدنا بالنعم المادية وأمدنا بنعمة فوقها وهي  
نعمة الإسلام : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] .

فإذا اعترفنا لله بالربوبية ، وأنه هو الذي يرينا ، وليس لنا رب سواه ، هو الذي خلقنا  
وأمدنا بالأقوات ؛ فيجب علينا أن نمثل أمره في العبودية ، وثمره أعمالنا ،  
وطاعته ، وعبادته ، عائدة علينا : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ  
الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦] .

فالله ﷻ كبير قبل أن نكبره ، ومحمود قبل أن نحمله ، وهو واحد قبل أن نوحده جل  
جلاله ، هو الغني عن كل ما سواه ، ونحن نعبد الله ﷻ ، لأنه هو الذي يستحق أن  
يعبد ، ويستحق أن يكبر ، ويستحق أن يطاع ، ويستحق أن يحمد ، أما هو فهو غني عن  
العالمين .

﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] .

فالله يريد منا أن نجتهد على أنفسنا وأن نجتهد على غيرنا ، ونأخذ من صفة القيومية  
أن نكون قائمين بالحق والعدل : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة/ ٨] .  
نكون قوامين فليس في الدين قعود بل هو قيام كله ، إما قيام بين يدي الرب بالعبادة  
حمداً ، وشكراً ، وتكبيراً ، وتهليلاً ، وتعظيماً ، واستغفاراً ، وذكرأً ، ودعاءً .

أو قيام بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ،  
والنصيحة ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا  
وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] .

الله ﷻ يحب أن يرانا في الصف الأول ، في صفوف الصلاة ، في الحج ، في العمرة ، في أبواب الطاعات ، في الدعوة إلى الله ، في العلم ، في أبواب الجهاد : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

[الزمر: ١١-١٢].

يريد منا أن نتصف بالصفات التي يحبها ، وأن تخرج منا المنافع لنا ولغيرنا ، فكل ما تخرج منه المنافع لغيره محبوب ، الشمس تجري في الكون ، وتتجول على الناس كل يوم ، ولا تأخذ أجره وتخرج منها المنافع للخلق بالإنارة والحرارة . والسحب تمشي في العالم ، وتنفع الناس بنزول المطر بأمر الله ﷻ ، فالناس يحبون السحب ، لماذا ؟ لأنها تخرج منها المنافع .

وكذلك الناس يحبون الأرض التي تنبت لهم من كل زوج بهيج بأمر الله ﷻ ، وتخرج منها المنافع ، وهكذا كل شجرة تخرج منافع محبوبة . وهكذا الأنبياء نحبهم ؛ لأنهم تخرج منهم المنافع .

وكذلك الملائكة نحبهم ، لأنهم تخرج منهم الطاعات ، ويمثلون أمر الله ﷻ ، ولا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ويستغفرون للذين آمنوا .

وكذلك نحن يجب علينا أن تخرج منا المنافع لأنفسنا ولغيرنا تخرج المنافع التي يحبها الله ، فالإنسان ماكينه أعمال ، كالشجرة ماكينه للثمار ، الحبة تخرج سبعمائة حبة ، الحبة تخرج سبع سنابل في كل سنبله مئة حبة ، والله قائم على هذه الحبة ، وقائم على هذه السنبله وكل ما في هذه السنبله من حي وميت ، وناضج وغير ناضج :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢] .

والله ﷻ لا يخفى عليه شيء ، قائم على جميع المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، عالم الكواكب ، عالم الملائكة ، عالم الجن ، عالم الإنس ، عالم النباتات ، عالم النخيل ، عالم الفواكه ، عالم الزروع ، عالم الحيوانات في البر والجو والبحر ، عوالم لا يحصيها إلا الله ، هو قائم عليها جميعاً خلقاً وتدبيراً ورعاية : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ

فِي الْأَرْضِ أَمْ يَضَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ [الرعد: ٣٣] .

والله ﷻ خلق هذه المخلوقات العظيمة ليبين لنا عظمة قدرته ، نحن الآن عرفنا قوة الحديد فأصبحنا نخاف ممن يملك الحديد ، والحديد يقال أنه يشكل ثلاثين بالمائة من الأرض ، عرفنا قوة الحديد ، واجتهدنا على الحديد حتى استخرجنا من الحديد عدة صناعات ، لكن من هذه الصناعات ما يدمر الإنسان ، ويهلك الإنسان ، وأصبح الناس يتنافسون في صنع القنابل والصواريخ التي تهلك الحرث والنسل .

والله ﷻ لا يريد منا هذا ، إنما أراد أن نجتهد على الحديد ، ونخرج منه منافع كالسيارات ، والطائرات ، وغير ذلك من المصالح النافعة : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نِيصْرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ﴿٢٥﴾ [الحديد: ٢٥] .

وإذا كنا قد عرفنا قوة الحديد ، وقوة الفولاذ ، وقوة الرصاص ، فمتى نعرف قوة الله ، وقدرة الله ، وعظمة الله ، وخزائن الله ، وملك الله ، وقيومية الله ﷻ ؟ متى نعرف أسماء الله وصفاته وأفعاله : ؟ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢] .

إذا عرفنا هذه الأسماء والصفات امتلأ القلب بالإيمان وامتلاً بالنور ، ثم حرك الجوارح للطاعة ؛ فأصبح الإنسان يستأنس بربه ويستوحش من غيره ، وتظهر في حياته أعمال الأنبياء ، وأعمال الملائكة ، ثم يحيا قلبه ، وبتكرار النظر في الملك والملكوت ، وفي الآيات الكونية والشرعية يحيا القلب ، ويوجل القلب من ربه ﷻ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْأَخْيَارِ وَيَدْعُونَكَ رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فحياة القلب لها علامات ، من هذه العلامات ، وجل القلب من الله سبحانه ، وشدة خوفه منه ، وقوة توكله عليه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتَهُ، زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

هذه علامات حياة القلب أنه يوجل ، ويتوكل على ربه ، ويخاف من ربه الملك العزيز الجبار ، الذي له ملك السماوات والأرض ، والذي يملك الرياح ، ويملك المياه ، ويملك النيران ، ويملك الجبال ، ويملك ما في السماوات وما في الأرض ، إذا عرف القلب هذا الإله العظيم ، والرّب الكريم ، والملك القادر ، خافه ورجاه ، واستحى وخاف من معصيته : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧] .

#### • ومن علامات حياة القلب :

ما يحصل من قشعريرة في البدن ، ولين الجلود والقلوب عند سماع القرآن كما قال سبحانه : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّثَشِّبًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ ﴿٢٣﴾ [الزمر/ ٢٣] .

تأتي قشعريرة ، لأنني أعرف أن هذا الكتاب عظيم ، والذي أنزله عظيم ، وعند العظيم كل ثواب عظيم .

فإذا عرفت العظيم ، آمنت بكتابه العظيم ، وامثلت أمره العظيم ، ونلت ثوابه العظيم الذي يقول الله عنه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّةٍ عِدَّةٍ وَّرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢] .

فتحصل من هذه المعارف العظيمة معرفة الله ، ومعرفة أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعدته ووعيده ؛ ثم تحصل في البدن هذه القشعريرة ، وتلين الجلود

والقلوب عند سماع القرآن ، وتصديق أخباره ، وتمثل أوامره : ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَرُوا عَيْنَيْهِمْ وَلِيَسْتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .

فمن جاء عنده اليقين على ربه ، جاء عنده اليقين على كتابه ، وجاء عنده اليقين على وعده ووعيده ، فإذا جاء هذا اليقين عند المؤمن قدّم الدين على الدنيا ، وقدّم الآخرة على الدنيا ، وقدّم طاعات الرب على محبوبات النفس : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

ومن علامات حياة القلب حتى ينطلق في جهتين ، في ميدان نفسه وفي ميدان غيره ، خشوع القلب عند ذكر الله سبحانه كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد/ ١٦] .

لا بد أن نجلس في حلق الذكر ، حلق الذكر هذه تفيد المسلم فتقوي إيمانه ، وتعرفه بأركان الإيمان ، وتملأه بالتوحيد والإيمان ، وتكبير الله وتعظيمه ، وحب الله ، وخوفه ورجاؤه : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] .

• ففي الجو الإيماني نستفيد خمسة أمور :

نتعلم الدين .. ونعمل بالدين .. ونثبت على الدين .. ونترقى في الدين .. وندعو إلى الدين : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] .

نتحصل على خمس ثمرات في بيئة الذكر ، بيئة الذكر بيئة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، بيئة مذاكرة أركان الإيمان السنة ، وبيئة العلم والتعلم ، تعلم أحكام الشريعة ، والعمل بها ، وتعليمها للناس .

فالعمل بالدين هو العبادة ، ونشر الدين هو الدعوة .

• فالدين له ركنان :

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق .

عبادة الحق : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة/ ٤٣] .

والإحسان إلى الخلق : ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة/ ٤٣] .

• ومن علامات حياة القلب :

الإذعان للحق جل جلاله ، والإخبار له كما قال سبحانه : ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج/ ٥٤] .

فالله ﷻ أمرنا أن نتفكر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، والنظر إليها نظرة تدبر وتفكر ؛ حتى نعرف من الخالق ؟ من القادر ؟ من القاهر ؟ من المحيط بكل محيط ؟ من الواحد الأحد الذي بيده كل أحد ؟ ، من الغني عن كل أحد ؟ ، والذي هو أحد صمد ولم يكن له كفواً أحد ؟ ، ننظر في الملك والملكوت : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢] .

الأوامر الملكية تنزل على الخلق ، وأوامر بالليل والنهار ، وأوامر بالحر والبرد ، وأوامر بالبسط والقبض ، وأوامر بالأمن والخوف ، وأوامر بالحياة والموت .  
ولماذا هذه الأوامر : ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢] .

وإذا عرفتم ذلك وعبدتموه بالتعظيم له ، والحب له ، والذل له ، بالتعظيم له لأنه رب السماوات والأرض .

وهو ملك السماوات والأرض : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

وبالحب لأن ما في السماوات والأرض من النعم منه جل جلاله : ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل/ ٥٣] .

وقد جُبل الناس على حب من أحسن إليهم ، ولا أحد أحسن إلى الخلق من الله ﷻ ،  
أحسن خلقهم ، وأمدهم بالأقوات ، وهداهم إلى الصراط المستقيم ، وأعانهم على  
الطاعة ، وحببها إليهم ، وضاعف لهم الأجر ، واستضافهم في بطن الأم ،  
واستضافهم في بطن الدنيا ، ويستضيفهم في القبر ، ثم يستضيفهم في دار القرار ، في  
الجنة أو النار ، فهو ملك عظيم ، وله رسل ، وله أوامر ملكية ، وأوامر شرعية :  
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى  
الْأَيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

فهذا الإنسان الذي هيا الله له الأرض ليسكنها ، والطعام ليأكله ، واللباس ليلبسه ،  
وأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، وزوده بالسمع والبصر والعقل ، ليعرف  
معبوده وفطره ، فيتصل به يتصل بالعلي الأعلى جل جلاله .

لا يأخذ نظام حياته ومنهج حياته ممن هو دونه كالأصنام ، ولا ممن هو مثله من  
البشر ، ولا يعبد من هو أعلى منه من المخلوقات ، بل يأخذها من العلي الأعلى ؛  
ويعبد العلي الأعلى ، لأن الله يريد من هذا المخلوق أن يكون عالياً بإيمانه وأخلاقه :  
﴿وَلَا تَهْنُؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] .

ومن عرف ربه حقاً آمن به ، ووجل قلبه منه ، واستقام على دينه ، وأخبت إلى ربه :  
﴿فَالنُّهْكَرُ لِلَّهِ وَحَدُّ فَلَهُ ۗ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ  
وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤-٣٥] .

هذا الإنسان ﷻ احتفى به ، وكرمه ، وشرفه ، فلما خلق الله ﷻ آدم أمر الملائكة  
بالسجود له ، فالملائكة سجدوا لأنهم نظروا إلى الأمر من هو ، فلما علموا أن الأمر  
هو الله سجدوا بغض النظر عن المسجود له ، أما إبليس فلم يسجد ، لأنه نظر إلى  
المأمور بالسجود له وهو آدم ، فحسده ، وأبى ، واستكبر : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ  
أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤] .

فنحن لا بد أن نملأ القلب بالإيمان ، حتى يعرف المعبود ، وحتى يقوم على نفسه ،  
ويأخذ حظه من اسم الله القيوم ، فيقوم على نفسه بالعبادة ، ويقوم على غيره  
بالدعوة ، ونعرف هذا من سنة النبي ﷺ : ﴿ كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾  
[المائدة/ ٨] .

ليس في الدين قعود ، كل الدين قيام ، وقد نهينا عن القعود ، فلا تقعدوا مع  
القاعدين ، فالإنسان آلة أعمال ، أعمال توصل إلى رضوان الله والجنة ، أو أعمال  
سيئة توصل إلى سخط الله والنار ، فالشجرة آلة للثمار والشمس مخلوقة للإنارة ،  
والسحب آلة للمياه ، كذلك الإنسان مخلوق للأعمال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۗ  
وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [٤٦] [فصلت: ٤٦] .

وفي كل إنسان مصرفان ، مصرف للطاعة ، ومصرف للمعصية ، إن وجد المذكر مال  
إلى الطاعة ، وأعاناه ربه جل جلاله ، وأن لم يوجد المذكر وقع في الغفلة ، وإذا غفل  
الإنسان صاده الشيطان ، كما أن الطير لا يصيده الصياد إلا عند غفلته ، فلا يصاد طير  
إلا بغفلته ، متى يصيد الشيطان هذا الإنسان ؟ .

يصيده إذا غفل عن ربه ، وعن أوامره ، وعن اليوم الآخر : ﴿ ثُمَّ لَا تَنبَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ  
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٧] .

هذه الجهات الأربع يقعد عليها الشيطان ، متى ما غفل المسلم صاده ، لكنه لا يقرب  
الجهة العلوية ؛ لأنها مكان الدعاء ، والجهة السفلية ، لأنها مكان السجود .

إذا اتصل هذا العبد بربه العلي الأعلى فالله ﷻ يحفظه ، ولا يستطيع الشيطان  
الحضور معه في هاتين الجهتين عند السجود ولا في جهة العلو ، وله الجهات الأربع  
يجتهد على الإنسان من خلالها .

ومن علامات حياة القلب :

كثرة الإنابة إلى الله كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [٢٣]  
[ق/ ٣٣] .

فهو منيب إلى ربه ، يعرف الكبير فيكبره ، ويعرف العظيم فيعظمه ، ويعرف الكريم فيحمده ، ويعرف المحسن فيتقرب إليه ويحبه ، لما له من الفضائل والإنعام والإحسان ، فهو ينيب إلى ربه .

بالتذكير يخرج الإنسان من جو الغفلة إلى جو الذكر ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الظلام إلى النور ولهذا كفار مكة كانوا في الغفلة ، كانوا معرضين عن دين الله ، فالنبي ﷺ اجتهد على أمة في أسفل سافلين ، كانوا في ظلمات الكفر والشرك ، والجهل والسفه ، والظلم والعدوان : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢] . كانوا شر أمة يعبدون الأصنام ، والأحجار ، وجهل ، وخلاف ، وفرقة ، كانوا شر أمة فاجتهد عليهم حتى صاروا خير أمة .

نقلهم بفضل الله من الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الفرقة إلى الاجتماع ، ومن الظلم إلى العدل ، كانوا يرون الذي لا يظلم أن هذا لا قيمة له . فقلهم من هذه الصفات السيئة إلى الصفات العالية بجهدہ ﷺ وجهد الصحابة : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

ولهذا النبي ﷺ علم الأمة أصول الدعوة قبل أحكام الدين ؛ لأن الدعوة أعلى شيء : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء قال النبي ﷺ : «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُسَرِّينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٢٢٠ ، وأخرجه مسلم برقم: ١٠٧٦ .

فهذه الأمة لها وظيفتان : وظيفة العبادة ، ووظيفة الدعوة : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

فلا بد أن يجتهد المؤمن على غير المؤمن ، ليكون مؤمناً ، ويجتهد الصالح على الفاسد ليكون صالحاً ، لتخرج البشرية من الظلمات إلى النور ، ومن الباطل إلى الحق ، ومن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق وحده : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨] .

وقد تعلم النبي ﷺ من ربه العلم الإلهي ، وهو أُمِّي ؛ لأن علومه كلها علوية ، ما أخذها من مخلوق ، علومه كلها إلهية ، فالأمية في النبي ﷺ صفة كمال ، والأمية فينا صفة نقص : ﴿ فَاعْمُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

والله أمرنا أن نكون ربانيين ، نتعلم علوم الرب ، ونعمل بها ، ونعلمها : ﴿ كُونُوا رَبَّذِينَ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩] .

فالله ﷻ بعث محمداً ﷺ ليقوم بالدعوة ، ويقوم بالعبادة ، فقام على قريش ، وعلى جهلة العرب ، فدعاهم إلى الله ، فآمنوا به ، حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً .

وكل القرآن يبين هذا ، فالله ﷻ تولى بيان أصول الدعوة في القرآن وفصلها ؛ لأننا أمة دعوة ، فنبينا آخر الأنبياء ، ونحن آخر الأمم : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠] .

أما أحكام الشريعة ففصلها النبي ﷺ ، آيات الأحكام في القرآن تقريباً خمسمائة آية ، لأن القرآن ستة آلاف ومئتان وستة وثلاثون آية ، منها خمسمائة في الأحكام ، والباقي كله في التوحيد والإيمان ، والرسالة ، والنبوة ، والدعوة ، وأحوال يوم القيامة .

والله ﷻ يذكر النبي ﷺ بحياة الأنبياء ، ليقندي بهم هو وأمته في جهد الدعوة إلى التوحيد والإيمان : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آقَتُهُمْ قُلَ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

فأمر الله سبحانه بذكر حياة الأنبياء فقال : ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنْ أَنْخَفَ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف/ ٢١].

وقال : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم/ ٤١].

وقال : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم/ ٥٤].

وقال : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم/ ٥١].

والله أمرنا أن نسير على سيرة الأنبياء ، لنقوم على البشرية بالإصلاح والدعوة والتعليم ، ما أمرنا أن ننظر في حياة الملوك والرؤساء والحكام ، ولا أمرنا أن ننظر في حياة الأغنياء ؛ لأن النظر في حياة الرؤساء تعلق الإنسان بالمنصب والجاه ، والنظر في حياة الأغنياء تعلق الإنسان بالشهوات ، وتكميل المحبوبات من المطعومات والمشروبات والمركوبات والملبوسات والمنكوحات ، بل أمرنا أن نذكر حياة الأنبياء ، ونعمل عمل الأنبياء .

### • وحياة الأنبياء والرسول مجموعة في أربع صفات :

الدعوة إلى الله .. وعبادة الله .. وتعليم شرع الله .. والتحلي بمكارم الأخلاق .

وهذه الأمة ، لأنها أفضل الأمم كرمها الله بما كرم به الأنبياء ، من الدعوة ، وعبادة الله ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال ﷻ : ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ عِنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

[آل عمران: ٧٩].

وقال ﷺ : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وهذه الأمة أمرت كذلك ، فما أمر الله ﷺ النبي ﷺ بشيء إلا أمر أمته كذلك : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال ﷺ : ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَوَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَغُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فما ذكر النبي ﷺ إلا وذكرت أمته معه ، أما الأنبياء السابقون فكلهم يذكرون لوحدهم ؛ لأن هذه الأمة مبعوثة ، فالدعوة أعلى شيء ، والنزول من أعلى شيء في المجاهدة لما هو دونه سهل ، الله ﷻ ربي النبي ﷺ ، والنبي ﷺ ربي الأمة على تعلم الدعوة في مكة ثلاثة عشر عاماً .

فلما تعلموا الدعوة ، دعا أبو بكر وجاء بستة من العشرة المبشرين بالجنة ، وتعلمت الدعوة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، ودعت إلى الله ﷻ ، وفاطمة بنت الخطاب ، وغيرهم من الدعاة إلى الله ، في بداية الدعوة في مكة .

فليس هناك فريضة تراحم فريضة الدعوة في مكة ، ليس في مكة إلا فريضة الدعوة ، ففي مكة كان الكلام على التوحيد والإيمان ، وعلى الفضائل ، وعلى الأخلاق العالية التي هي أواني للدعوة .

فهذه الأمة تعلمت أصول الدعوة قبل تعلم الأحكام ، ثم لما امتلأ القلب بالإيمان ، وشعر الصحابة بالمسؤولية ، تركوا كل شيء من أجل نشر الدين .

ثم في المدينة بعد الهجرة نزلت الأوامر والأحكام الشرعية كالمطر ، وأوامر الصلاة ، وأوامر الزكاة ، وأوامر الصوم ، وأوامر الحج ، وأوامر الجهاد وغيرها ، كلها نزلت كالمطر في المدينة ، فاستقبلتها قلوب مؤمنة بالله ، ترجوا ثوابه ، وتخاف عقابه ، فأنبئت وأخرجت ما شاء الله رجالاته ونساء كانوا هم القرن الأول ، هم خير القرون .

قال النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» متفق عليه (١) .  
هؤلاء خيار الناس ، لأن الذي رباهم هو النبي ﷺ : ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ  
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ  
تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .  
وهكذا نحن إذا امتلأت قلوبنا بالإيمان جاء فيها الحب لله ، والرغبة في طاعته ،  
وتلذذنا بالطاعات أعظم مما نتلذذ بالمأكولات والمشروبات ، وصار فكرنا فكر  
النبي ﷺ ، وأعمالنا أعماله ، وأقوالنا أقواله ، وأخلاقنا أخلاقه ، وأيامنا كأيامه ،  
وليالينا كلياليه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

#### • ومن علامات حياة القلب :

السكينة.. والوقار ، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا  
إِيمَانًا مَعَ إيمانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح/ ٤] .

#### • ومن علامات حياة القلب :

خفقان القلب بحب المؤمنين ، لأنه يأنس بهم ، لأنهم يوحدون الله ، ويذكرون الله ،  
فيحب من يعظم الله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا  
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر/ ١٠] .

#### • ومن علامات حياة القلب :

سلامة القلب من الأحقاد كما قال سبحانه : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً  
فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٣] .

وإذا مات القلب تعطلت جوارح هذا الإنسان عن الطاعة والعبادة ، ولم يؤد حق الله  
من الطاعة والعبودية ، ولم يعمل بكتاب ربه ، ولا بسنة رسوله ﷺ ، وعادى الرحمن ،

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٢٦٥٢ ، وأخرجه مسلم برقم: ٢٥٣٣ .

ووالى الشيطان، واشتغل بالمعاصي والسيئات، عن الطاعات والحسنات :  
﴿ أَفَمِنْ أَتْبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمَ ۗ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ  
دَرَجَتْ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣] .

• ومحركات القلوب إلى الله ﷻ ثلاثة :

المحبة.. والخوف.. والرجاء .

الأولى : المحبة ، فالمحبة أقوى المحركات إلى ، ويحركها في القلب كثرة ذكر  
المحبوب وهو الله ﷻ ، ومطالعة آلائه ونعمائه ، فالله ﷻ ملاً الكون بنعمه ، ومطالعة  
آيات الوعد بكل خير وفضل ، وذكر الجنة ونعيمها .

فيسير هذا العبد بهذه المحبة إلى محبوبه الذي يرى كل نعمة منه ، ويتقرب إليه بما  
أعطاه من النعم بالعبوديات الثلاث .

فلسانه ينطق بالذكر والحمد والشكر والدعاء والدعوة ، وجوارحه تعمل بالطاعات ،

وقلبه يخشع لربه ، وينكسر بين يديه ، ويتوكل عليه ، ويحبه ، ويرجوه ، ويخافه :

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا  
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

[السجدة: ١٥-١٧] .

الثاني : الخوف من الله ، فالله ﷻ أمرنا بعبودية عظيمة ، وهي عبودية الخوف منه :

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۗ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

[آل عمران/ ١٧٥] .

نخاف القوي الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال العظيمة فنخاف

منه ، ونخاف من عقوبته ، ونخاف من عذابه ؛ لأن عذابه أليم ، وعذابه عظيم ،

وعذابه كبير ، وعذابه مهين ، وعذابه شديد ، فلا بد أن نخافه وإذا خفناه اجتنبنا

معصيته ، وأقبلنا على طاعته : ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ

وَالْمَلَكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

[النحل: ٤٩-٥٠] .

والخوف المقصود منه المنع والزجر عن الخروج عن الطريق المستقيم ، وعن الصراط المستقيم ، ما الذي يحرك الخوف في القلب ؟ .

يحركه مطالعة آيات الوعيد والزجر ، والعرض ، والحساب ، والنار وأهوالها ، والعقوبات التي حلت بالمجرمين والمذنبين من الخسف ، والغرق ، والصيحة ، والرمي بالحجارة : ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/٤٠] .

الله ﷻ أرانا من قدرته ، وعظمته ، وشدة انتقامه ، وأمرنا بأن نتعرف على ذاته وأفعاله ، لنخافه ونرجوه : ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

[المائدة/٩٨] .

الثالث : من محركات القلوب إلى الله الرجاء ، والرجاء يقود الإنسان إلى الصراط المستقيم ، يحرك الرجاء في قلب المسلم مطالعة الكرم من الرب ، والإحسان ، والحلم ، والعفو ، والعطاء ، والامن ، وغير ذلك من صفات الجمال .

وقلوب العباد كلها بيد الله ﷻ القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء ، فمن أقبل على الله أقبل الله بقلوب عباده إليه ، وأعانه على طاعته ، أقبل بقلوب عباده إليه فأحبهه ، ومن أعرض عن الله صرف الله قلوب عباده عنه كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/٩٦] .

وكل شيء له مفتاح ، وأعظم المفاتيح مفاتيح القلوب ، فإذا انفتح القلب سار على صراط مستقيم .

فلا بد من الجهد على فتح هذا القلب ، القلب له مفتاح إذا انفتح هذا القلب امتلاً بالإيمان ، وحب الله ، وخوفه ، ورجائه ، وحرك الجوارح بكل طاعة وقربة .

ومفتاحه النظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات القرآنية ، فإذا انفتح القلب ، وحل فيه الإيمان خرج الشرك والكفر والنفاق ، واهتم هذا الإنسان بالآخرة ، وأعرض عن الدنيا ، وتأهب للقدوم على ربه ﷻ .

فهذه أول فتوح القلب وحياته : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأَنْعَام: ١٢٢] .

ثم يتحرك قلب هذا العبد لمعرفة ما يرضي ربه منه ، فيفعله ويتقرب به إليه ، وينبعث لمعرفة ما يسخط ربه ﷻ ويجتنبه ، فإذا تمكن العبد في ذلك فأمن بالله ﷻ ، وعرف ما يحبه الله ففعله ، وعرف ما يسخطه فاجتنبه ، يفتح الله له باب الأنس به في الخلوة ، ومحبة الأماكن الخالية التي تهدأ فيها الأصوات والحركات ، فلا شيء أحب إليه من ذلك ، لماذا ؟ .

لأنها تجتمع فيها قوى قلبه وإرادته ، وإقباله على ربه ، وتسد عليه الأبواب التي تفرق همه ، وتمزق شمله ، ولهذا النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تنفطر قدماه ، فقيل له : إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : « أَفَلَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا » متفق عليه (١) .

ثم يفتح الله لهذا العبد باب حلاوة العبادة ، بحيث لا يكاد يشبع منها ، فتكون الطاعات والعبادات شهوات له ، ويجد فيها من اللذة والراحة أضعاف ما يجد في لذة اللهو واللعب ، ونيل الشهوات : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنْتِ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩] .

ثم يفتح الله له باب حلاوة استماع كلام الله فلا يشبع منه ، كلام الله عظيم يؤثر في الكفار ، يؤثر في النباتات ، يؤثر في الحيوان ، يؤثر في جميع المخلوقات ، هذه المخلوقات كلهم عبيد ، ولها سمع ، ولها بصر ، وتعقل ، وتعلم ، وتعبد ربها ولكن

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ٤٨٣٧ ، واللفظ له ، ومسلم برقم: ٢٨١٩ .

لا يعلم بحقيقة ذلك إلا الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَتِ كُلِّ قَدْعِمٍ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور/ ٤١] .

فيتلذذ هذا العبد بسماع كلام الله ﷻ ، لأنه يسمع عن ربه ، عن عظمته وكبريائه ، ويسمع عن نعمه وإحسانه ، ويسمع عن خلقه للمخلوقات ، ويسمع أخباره وأوامره ، ويسمع عن وعده ووعدته ، ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَمَشَرَّ عَمَادٍ ﴾ [١٧] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١٧- ١٨] .

ثم يفتح الله له باب شهود عظمة المتكلم به ، وجلاله ، وجماله ، وكمال أسمائه وصفاته ، ومعاني خطابه ، بحيث يستغرق قلبه في كل ذلك : ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .

ثم يفتح الله له باب الحياء من الله ﷻ ، وهو أول شواهد المعرفة ، وهو نور يقع في القلب ، يرى به العبد أنه يسكن في أرض الله ، ويأكل من نعم الله ، ويخالف أمر الله ، ويعصي الله ، ويعرض عن طاعته ، فيأخذه الحياء من ربه الذي أنعم عليه بكل نعمة . يريه ذلك النور أنه واقف بين يدي ربه ﷻ ، فيستحي منه في خلوته وجلوته ، فينشأ عن ذلك دوام المراقبة لربه الرقيب على كل شيء ، الشهيد على كل شيء ، ودوام مناجاة الله وعبادته كأنه يراه ، ودوام التطلع إلى ربه ، كأنه يراه ويشاهده فوق سماوته ملكاً عظيماً ، رؤوفاً رحيماً ، قويا عزيزاً ، غنياً كريماً ، مستويّاً على عرشه ، ناظراً إلى خلقه ، سامعاً لأصواتهم ، مُطلعاً على حركاتهم جل جلاله : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

ثم يفتح الله لهذا العبد باب الشعور بمشهد القيومية ، وهذه أعلى الدرجات ، يفتح له الفتح باب الشعور بمشهد القيومية ، فيرى ربه القائم على جميع الكائنات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، ويرى التقلبات الكونية من ليل ونهار ، وحر وبرد ، وأمن وخوف ، وحياة وموت ، وخلق وتدبير ، وتصريف وتقلب ، يرى ذلك كله بيده سبحانه : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوَوِّي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧] .

يرى الله ﷻ قائم على الملك والملكوت ، يدبر الكائنات ، ويخلق الخلائق ، ويسوق أقواتهم ، وهو رقيب على كل مخلوق ، وشهيد لكل ذرة في ملكه .  
فهذا المشهد ، وهذه الرقابة ، تجعله يرى ربه العظيم هو مالك النفع والضر وحده ، وهو الذي بيده الخلق والأمر كله ، وهو الذي من عنده الأرزاق كلها ، فإذا آمن بالله الرازق علم أن الرزق من عنده ، وإذا آمن بربه القوي توكل عليه ، وإذا آمن بربه الغني سأله وهكذا .

ويأتيه الحياء من ربه ﷻ ، ويرى ربه أنه هو الذي يحيي ويميت ، ويعز ويذل ، فيتخذه وحده وكيلاً ، ويرضى به رباً ومدبراً : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢] .

وعند ذلك إذا وقع نظره على شيء من المخلوقات دله على خالقه وبارئه ، فيخترق المخلوقات إلى خالقها ، ويخترق الصور إلى مصورها ، ويتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، ثم يفر من خلقه إليه ، فيمثل أوامره سواء كان بين يديه في العبادة ، أو كان بين يديه خلقه في الدعوة ، والتعليم ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

فكلما سار العبد في هذه الطرق ، ودخل من هذه الأبواب ، زادت الهداية في قلبه ، فامتلاً قلبه بالنور ، وزاد نور الإيمان في قلبه ، وانشرح صدره ، واتسع لجميع الطاعات ، ووجد اللذة في طاعة مولاه ؛ فهو يدعو الله ، وإذا انصرف من عبادة الله توجه إلى خلق الله ، ودعاهم إلى ربهم المستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ [فصلت: ٣٣] .

وهكذا يظل العبد في هذه الأبواب ، يدخل كل يوم من باب إلى باب ، ومن درجة إلى درجة ، وتفتح في قلبه أبواب العلم والعمل فلا تراه إلا واقفا بين يدي ربه بالعبادة ، وبين يدي خلقه بالدعوة ، أو التعليم ، أو الإحسان : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فإنه حق أن نعبد ، ونطيعه ، ونمثل أمره ، فمن حق ربنا ﷻ أن نعبد ونطيعه بالمحبة والتعظيم والذل له ، لا بد أن نتعرف على أسمائه الحسنی ، وصفاته العلاء ، وأفعاله الحميدة .

ونبصر القائم على كل نفس بنور البصيرة ، بنور القلب ، العين ترى المحسوسات التي تدل على الخالق ، والبصيرة ترى الملك العظيم ، مستوي على عرشه بصفة الرحمة ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ويعطي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويفعل ما يشاء جل جلاله : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [حمد: ١٩] .

ويرى الرب القائم على هذا الكون العظيم ، الذي قام كل شيء به ، ويرى الحي القيوم الذي لا ينام أبداً جل جلاله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢] .

وإذا عرف القلب ذلك قام بين يدي ربه خاشعاً ذليلاً ، مكبراً له ، حامداً له ، ممتثلاً لأوامره بالمحبة ، والتعظيم ، والذل لربه ، وقضى أوقاته في طاعته .

فالوقت ملك لله ، والمكان لله ، والزمان لله ، والإنسان لله ، بل لله ما في السماوات وما في الأرض ، فلا يتصرف في الوقت ، ولا في المكان ، ولا في الجوارح ، ولا في القلوب ، إلا وفق ما يرضي ربه : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١١٣] ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١١٢] لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين [الأنعام: ١٦١-١٦٣] .

الله ﷻ أعطانا الخيار أن نطيعه أو نعصيه ، أن نؤمن أو نكفر ، ورغب في الإيمان والطاعات ، وحذر من الكفر والمعاصي فالمؤمن لا يجوز له أن يصرف ثانية واحدة

في غير باب الهدى ، يجب عليه أن يجتنب باب الهوى ، لأن مقابل باب الهدى باب الهوى ، والهدى يهدينا إلى ربنا وإلى مرضاته وإلى سبل محابة ، وإلى رضوانه وإلى الجنة ، أما الهوى فيهوي بالإنسان من العلو إلى السفلى ، ومن الطاعات إلى المعاصي ، ومن الحق إلى الباطل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الفصل: ٥٠] .

لا ريب أن المعرفة تولد حب الله ، وتعظيم الله ، والإيمان بالله ، وعبادة الله ، وطاعة الله ، وتجعل العبد يحرك لسانه بذكره ، وجوارحه بعبادته ، وقلبه بالخشوع له ، والتوكل عليه ، ومحبته : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ٩] .

ولهذا أولوا الألباب هم الذين إذا نظروا في ملكوت السماوات والأرض ذكروا الله ﷻ ، فأوا فعل الرب في الكون ، فخشعت له قلوبهم ، وتصاغت لكبريائه نفوسهم : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] .

هذا فعل الرب ، هذا عطاء الربوبية ، عطاء الألوهية الله من علينا بالدين الحق ، فقال لهذه القلوب التي آمنت بربها ، إذا رأوا هذا الملك العظيم ، وهذا الملك والملكوت قال عنهم : هؤلاء هم أولوا الألباب ، الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ثم يعبدون ربهم بموجب هذه المعرفة .

ولذا نحرص على قراءة القرآن ، وقراءة هذه الآيات بتلاوتها أجور ، ولكنها تنقطع ، بفهمها وتدبرها أجور ، ولكن الفهم لا يكفي ؛ بل لابد من التعبد بتلاوتها ، بأن نتفكر وننظر في عمل الأنبياء ، نعمل كعمل الأنبياء ، ونقتدي بنبينا ﷺ في جميع

أحواله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿١١﴾ [الأحزاب: ٢١] .

نقتدي به ﷺ في خمسة أمور شاملة لحياته : في نيته ، وتوحيده ، وإيمانه ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه : ﴿ فَتَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ آلِ اللَّهِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فأكمل الناس حياة هم الأنبياء ، وأكملهم سيدهم محمد ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤] .

وأعلى الأخلاق أن تؤمن بربك الذي خلقك ، وتعبد ربك الذي رزقك : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ﴿١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥] .

وأعلى الأخلاق مع البشر أن تصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتحسن إلى من أساء إليك : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ [فصلت/ ٣٤-٣٥] .

فلا بد للمسلم حتى يقوم بين يدي ربه بالمحبة ، والتعظيم ، والذل لربه ، حتى يقوم بين يدي ربه بالعبادة ، ويقوم بين يدي خلقه بالدعوة ؛ لا بد أن يكون عنده معارف ، هذه المعارف أعلاها أن يعلم أنه لا إله إلا الله ، ويعرف ربه المعبود ، ويعرف ماذا يجب له .

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءِآنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر/ ٩] .

المعرفة هذه شيء غالي وعالي ، وهي أساس الدين كله ، وعليها تبنى أعمال القلوب والجوارح : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

﴿ ٣ ﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴿

[الأنفال: ٢-٤] .

كل ذرة في الكون تسبح بحمد ربها ، عابدة لمن خلقها ، خاضعة لكبريائه ، وشاهدة بوحدانيته ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته : ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٩٣-٩٥] .

لكن العبيد غير العباد ، العبيد هم جميع المخلوقات ، لهم عبودية القهر ، الله خلقني بهذا الطول ، وبهذا اللون ، وبهذا الجنس ، وخلق السماوات والأرض ، وجميع المخلوقات ، وقهر الكل على ما أراد ، خلقهم كيف شاء ، متى شاء ، على أي صفة شاء ، هؤلاء عبيد خاضعون للملك الحق ، فكل ما سوى الله عبد له ، لكن هذا الإنسان مخير ، إما أن يؤمن أو يكفر ، فالله أرسل الأنبياء والرسل ، حتى يدعو الناس إلى عبادة الله ، وليكونوا كما خضعوا لكونهم عبيد له في أشكالهم ، وألوانهم ، وأجناسهم فلا بد أن يخضعوا له ليكونوا عبيدًا له ، فيؤمنوا به ، ويعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨] .

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان/ ٦٣] .

فالمؤثر واحد وهو القرآن ، لكن القابل مختلف ، من الناس من يسمع القرآن فيؤمن ، ومنهم من يسمع القرآن فيكفر ، فلا بد من الجهد على هذا الكافر ، لعله يهتدي : ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٢﴾ [السجدة: ٣] . نحن لا نعلم هل هذا الكافر يهتدي أو لا يهتدي ، فالوحي كالغيث الذي ينزل من السماء على الأرض ، منها ما ينبت ، ومنها ما لا ينبت ، لكن أكثرها ينبت .

فلا بد من الجهد على الذي لا ينبت حتى ينبت ، فنحن لا بد أن نجتهد على الخلق بالدعوة ، وهذا أحسن شيء وأعظم شيء : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

ونرغب إلى ربنا ﷻ بحسن الطاعة ، ودوام العبادة ؛ وخشية الله في السر والعلن ، لننال الأجر الكبير من ربنا ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك: ١٢] .

فالله ﷻ كل مخلوق له عابد ، ولعزته خاضع ، ولرحمته راجي ، ولإحسانه محتاج : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] .

لكن نحن يجب علينا أن نجتهد على العبيد ، ليكونوا عباداً لمن خلقهم ورزقهم ، كما أخذوا عطاء الربوبية من ربهم ، بأن خلقهم الله ، وساق لهم أقواتهم ، وأمدهم بالنعيم ، فكذلك لا بد أن يستقبلوا أوامره الإلهية فيطيعوه ؛ لأنه الملك الذي يريد لهم أحسن حياة ولأن عنده خزائن كل شيء ، وبيده كل شيء ، فإذا عرفنا عطاء الربوبية ، هان علينا امتثال أوامر الألوهية : ﴿ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فالله ﷻ خلق هذا الإنسان للبقاء ولم يخلقه للفناء ، وإنما ينقل هذا الإنسان من دار إلى دار ليعمل ثم يجازى بعمله ، ثم يستقر في دار القرار ، بحسب ما عمل في هذه الدنيا ، في الجنة أو في النار : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُّحَضَّرُونَ ﴾ [الروم/ ١٤-١٦] .

فهذا الإنسان خلقه الله ليعمل ، فيما أن يكون أداة أعمال صالحة ، أو أداة أعمال سيئة ، وكل شيء مكتوب ، وكل شيء سوف يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة ؛ لأن هذا الإنسان خلقه الله ليبقى ، ليعطيه الله ﷻ صفة الحياة الأبدية ، ففي الجنة خلود بلا موت ، ونعيم بلا بؤس ، وسلام بلا أمراض ، وشباب بلا هرم ، الله يعطينا يوم القيامة من صفاته الحياة الأبدية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ

الرِّيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ [البينة: ٧-٨] .

وإذا عرفنا أن الله ﷻ هو الحي القيوم ، وإليه تنتهي الأمور ، وعنده خزائن الأجور ؛ فلنعمل له بكل جهد ، ولا نستبقي باقية في العمل له بطاعته سواء كان ذلك على أنفسنا أو على غيرنا : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

ونحن موعودون على ذلك بالبقاء الكريم الذي لا فناء بعده ، واللقاء الكريم الذي لا عز بعده ، والرضوان العظيم الذي لا سخط بعده : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .

وقد أهلنا ربنا ﷻ لأمر عظيم ، ومقام كريم ، وملك لا يفنى ، إن أطعناه ، وعملنا بما يحب كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

فلنرضي ربنا ﷻ بدوام ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، فإنه ﷻ وعدنا بأن يرضينا ويسترضينا : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم/ ٦] .  
وإذا رغب الإنسان عن ربه ، وجعله وراء ظهره ، فلا شك أنه سيبقى في عذاب أليم لا يبيد ولا يفنى ، ولا يموت فيه الإنسان ولا يحيى : ﴿ إِنَّهُ، مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ [طه: ٧٤] .

وتيقن أيها المسلم أن الخلود في الجنة العالية خير من الخلود في النار الحامية ، والبقاء غداً في النعيم المقيم خير من البقاء في العذاب الأليم : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر/ ٢٠] .

والبقاء في جوار الرحمن ورضوانه ، خير من البقاء في النار وسخط الرب سبحانه ، وشتان بين الدارين والمقامين : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ [١٨] أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا

فَمَا وَهُمْ نَارٌ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ  
تُكذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠] .

فلا بد أن يكون لنا حظ من اسم القيوم ، فنقوم على أنفسنا بالاستقامة ، ونحملها  
على طاعة الله ، واجتناب معصية الله ، ونقوم كذلك على غيرنا بالدعوة إلى الله ،  
والإحسان إليهم .

والجهد على النفس ، والجهد على الغير أقسام :

الجهد على النفس بخمسة أمور ، والجهد على الغير كذلك بخمسة أمور :

الأول: الجهد على النفس :

أن يجتهد الإنسان على نفسه بفعل الطاعات ، واجتناب المعاصي ، وحمد الله على  
النعم ، واستغفاره من الذنوب ، والصبر على البلاء ، فهذه خمسة أمور هي تاج  
الاستقامة .

هذه العبودية الخاصة بالنفس ، جهد على النفس بالاستقامة : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ  
الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٣﴾ [العصر/ ١-٣] .

وجهد على الغير : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾ [العصر/ ٣] .

لأن الحق ثقيل على النفوس عملاً وإبلاغاً ، فلا بد من الصبر ، صبر على الطاعات ،  
وصبر عن المعاصي وصبر على الأقدار المؤلمة ، لابد من الصبر على هذه الأمور ،  
وفي مقدمة الصابرين الأنبياء والرسل وفي مقدمتهم محمد ﷺ : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

فهذا الجهد على النفس طاعات أو أديها ، معاصي أجنبها ، ذنوب أستغفر الله منها ،  
نعم أشكر الله عليها ، ابتلاءات أصبر عليها ، هذه الأمور تكون فيما بين العبد وبين  
ربه : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴿

[الزمر: ١١-١٢] .

فبذل الجهد من أجل إصلاح النفس ، وبذل الجهد من أجل إصلاح الغير ، نفعه عائد على من قام به : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

الثاني : الجهد على الغير بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة لكل مسلم ، وتعلم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

### • والجهد على الغير ثلاثة أقسام :

القسم الأول : جهد على الكافر لعله يهتدي : ﴿ لَتُسْذِرَنَّا قَوْمًا مَّا آتَنَّهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٣﴾ [السجدة/ ٣] .

جهد على الكافر لعله يسلم ، جهد على الضال لعله يهتدي ، فقريش كانوا في الظلام ، كانوا في الحضيض ، فيهم الشرك بدل التوحيد ، وفيهم الضلال بدل الهدى ، وفيهم الجهل بدل العلم ، وفيهم الفرقة بدل الوحدة ، وفيهم الظلم بدل العدل : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

فالبشرية الآن تسير في هذا المسار الذي ذاقت بسببه ألوان الظلم ، والعذاب ، والخوف ، والجوع ، والرعب ، وفيها الشرك ، وفيها الجهل ، وفيها الفرقة ، وفيها الظلم ، فلا بد من الجهد عليها حتى يأتي التوحيد بدل الشرك ، والعلم بدل الجهل ، والاجتماع بدل الفرقة ، والعدل والإحسان بدل الظلم والعصيان : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَلِيلَةٌ أَيْكُمْ إِذْ هَمَّ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ ﴿٧٨﴾ [الحج: ٧٨] .

والجهد الثاني : جهد على العاصي حتى يكون مطيعاً ، وعلى الغافل حتى يكون ذاكراً ، وعلى الجاهل حتى يكون عالماً ، وعلى الفاسد حتى يكون صالحاً ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله ، والنصيحة ، والترغيب ، والترهيب : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

الجهد الثالث : جهد على العالم ليعلم غيره من الناس ، فالله أعطاه علماً وجعله خزانة للعلم ، فأذكره حتى يعلم الناس ، لا يعلم فقط أهل بيته ، ولا أهل حيه ، ولا أهل بلدته ، الدين لكل الناس ، والتعليم لكل المسلمين ، والرسول بعث لكل الناس ، الرسول ﷺ بعث رحمة للعالمين : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَغَنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

ونجتهد على الذاكر حتى يكون مذكراً ، ونجتهد على الصالح حتى يكون مصلحاً ، يجمع مع إصلاح النفس إصلاح الغير ، وجهد على الغني لينفع نفسه ، وغيره بالإحسان إليه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] .

#### • فالدين ركنان :

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق من كانوا ، وحيث كانوا .

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة/ ١٩٥] .

نحسن إلى الخلق ، نقوم بدعوتهم إلى الله ، ومواساة الفقراء ، والضعفاء ، والعاجزين ، والمرضى ، والمحتاجين ، وغير القادرين ، تخرج منا منافع لهم ، حتى يحبوا الدين من خلال هذه الأخلاق الكريمة : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ

وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظْمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فلباس الدين هو التحلي بالأخلاق العالية ، التحلي بالصفات التي يحبها الله ، حتى هذه الصفات تجذب الناس إلى الدين ، كما أن الحَبَّ أو الماء يجذب الطير والحيوان إلى أكلة أو شربه ، كذلك كسوة الإنسان بالأخلاق العالية ، بالأقوال الحسنة ، بالمعاملات الطيبة ، بالحلم ، بالصبر ، والعفو ، والإحسان إبتغاء وجه الله :

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ ﴿١٣٨﴾ [البقرة/ ١٣٨].

فأكون داعياً إلى الله بأخلاقي ، وأقوالي ، وأعمالي ، وأموالي ، وفكري ، وسمعي ، وبصري ، فأكون قدوة حسنة لكل أحد : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١].

• وحياة الرسول ﷺ ثلاثة أقسام :

طريقة حياة.. وفرائض حياة.. ومقصد حياة .

الأول : طريقة الحياة : هي الصبغة الإسلامية للإنسان في الحركات والسكنات ، في الأقوال ، والأفعال ، والأخلاق ، لا يتحرك إلا بالسنة في أكله وشربه ، في نومه ويقظته، في حضره وسفره ، في عبادته ومعاملاته : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ [النعام: ١٦٢ - ١٦٣].

الثاني : فرائض الحياة : وهي الأمور الواجبة سواء كانت يومية كالصلوات الخمس ، أو سنوية كالصيام والزكاة ، أو في العمر مرة كالحج ، وغير ذلك من فرائض الاسلام .  
والحقوق الواجبة لله والحقوق الواجبة للخلق ، هذه كلها فرائض حياة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجْدُوا وَعَابَدُوا رَبَّهُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

الثالث : مقصد الحياة : وهي الدعوة إلى الله ، وذلك بالقيام بعشرة أمور : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطْعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعَّ اٰذَنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٨] .

الأزهار والثمار على الأشجار أجمل شيء ، كذلك الصفات الإيمانية أجمل شيء في الإنسان ، وكما نحب نحن الأزهار والثمار على الأشجار كذلك نحب المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصابرين والصابرات ، والصادقين والصادقات ، وغيرها مما يحبه الله ، واتصف بها رسوله ﷺ :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وصفات المؤمنين الذين اشتراهم الله ﷻ : ﴿ التَّيْبُوتُ الْعَبِيدُوتُ الْحَمْدُوتُ السَّيْحُوتُ الرَّكْعُوتُ السَّجْدُوتُ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُوتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُوتَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة/ ١١٢] .

وكلما ازداد المسلم علماً بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله زاد إيمانه بربه ، وزادت خشيته له : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

• وقد ابتلى الله كل إنسان بأربع صفات هي :

العقل .. والهوى .. والعفة .. والشهوة .

فالعقل يعقل الإنسان عما يشين ، والهوى يهوي به إلى ما يشين ، والعقل يغالب الهوى ، والهوى يغالب العقل ، حسب المذكر وعدمه ، ولذلك لا بد أن نعيش في الجو الإيماني ، ليدفع العقل الهوى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة/ ١١٩] .

والعفة تغالب الشهوة ، العفة عن الرذائل ، والقبائح ، والمساوي تغالب الشهوة ، والشهوة أحيانا تغلب العفة : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان/ ٢-٣] .

والله ﷻ جعل للإنسان بواسطة العقل ، والعفة ، وصدق اللجوء إلى الله ، سلطاناً على نفسه ، فالعقل حاكم عادل ؛ لأن العقل يميز بين الحق والباطل ، وبين الفضائل والرذائل ، والعفة تمنع الإنسان مما لا ينبغي ، ولكن إذا جاءت الشهوة غلبت العفة أحياناً : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا ۝٥٩ ﴾ [مريم: ٥٩] .

الله ﷻ جعل للمؤمن بواسطة العقل والعفة وصدق اللجوء إلى الله سلطاناً على نفسه ، فأصبح يتحكم في نفسه ، فإذا كان هذا العبد من حزب الله ، وقام بطاعته ، واشتغل بعبادته ، زاد عونه له ، وأجزل له الأجر والمثوبة ، ونصره على عدوه : ﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝١٧ ﴾ [محمد/ ١٧] .

وبحسب قوة المجاهدة تأتي الهداية : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

وإن جنح الإنسان إلى الشهوات ، وآثر هواه على هدى ربه ، وأبى إلا مضياً في معصية ربه ، وكله إلى نفسه ، وتخلي عن نصرته ، ونسيه كما نسيه ، فتولاه الشيطان، واستعمله فيما يسخط الرحمن : ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝١١٩ يَئِدُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ ۝ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۝١٢١ ﴾ [النساء: ١١٩-١٢١] .

فليتنبه الإنسان لنفسه ، وليكن مع الصادقين ، في بيئة الصدق ، بيئة العلم ، بيئة الذكر ، بيئة الصلاة ، بيئة الطاعات بيئة الدعوة : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝٢٨ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

ومن اتقى الله وقاه ، ومن ذكر الله ذكره ، ومن أحسن أحسن الله إليه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝١٩ ﴾ [الحشر/ ١٨-١٩] .

والفاسقون هم الذين خرجوا من الطاعة إلى المعصية ، ومن الحق إلى الباطل ، ومن الهدى إلى الهوى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [ القصص: ٥٠ ] .

والحكمة في الأمور هي سلم المؤمن إلى نجاته ، ومعراجة إلى ربه : ﴿ قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ الْفِتْنَةَ لَا يُضِلُّ اللَّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾ [ آل عمران: ٧٣-٧٤ ] .

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ البقرة/ ٢٦٩ ] .

فالحكمة وضع الأمور في مواضعها ، ومراعاة الأحوال وضع الشيء في موضعه ، والحكمة سلم المؤمن إلى نجاته من النار ، وفوزه بالجنة ، ومعراجة إلى ربه ، ومنال رضوانه ، فإذا آمنت بالحكيم ، فلا بد أن آخذ منه الحكمة ، فأحكم الأمور ، وأزنها بميزان الشرع ، لأنال رضوان الله ، ومن عدمها ، وعدم العمل بها ؛ عدم القربى من ربه : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ الأعراف: ١٨٠ ] .

ومن لم يكن حكيماً ، محباً للحكمة ، عاملاً بالحكمة التي أرسل الله بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، وخلق بها خلقه ، لم يزل ينزل سُفلاً في أمور الدين والدنيا كلها : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [ ١١٣ ] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [ ١١٤ ] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [ ١١٥ ] قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَا فَتَبْنَا بِهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسىٰ ﴾ [ ١١٦ ] وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [ طه/ ١٢٣/ ١٢٧ ] .

فاسأل أيها العبد المؤمن ربك الكريم أن يرزقك الحكمة ، فإنه كريم جل جلاله : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ البقرة/ ٢٦٩ ] .

وتوجه إلى ربك الكريم الحي القيوم في جميع أعمالك ، الانفرادية والاجتماعية ،  
وجميع حوائجك الدنيوية والأخروية ، واضرع إليه أن يستعمل جوارحك في طاعته ،  
على ما يحبه ويرضاه ، لا على ما تحبه وتهواه ، واستقم كما أمرت لا كما اشتهيت :  
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) ﴿الكهف: ١١٠﴾ .  
استقم لربك كما أمرت يكرمك بما وعدك من الجنة ورضوانه .

واسأل ربك العظيم أن يعينك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يغفر ذنوبك ،  
ويستر عيوبك ويقطع عنك ما يقطعك عن طاعته ، ويصدق عما يصدقك عن سبيله ،  
وأحمد ربك على نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي  
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥) ﴿الأحقاف/ ١٥﴾ .

واعلم أن الله ﷻ هو الحي القيوم يحب أسماءه وصفاته ، ويحب أن يتحلى بها عباده  
على ما يحبه ويرضاه ، ويحب الحق ، والعمل بالحق ، والدعوة إلى الحق ، فعليك  
بدوام طاعته ، ولزوم سبل محابه ، ولا يصدنك عنه من أعرض عنه ، وتوكل على  
العزیز الرحيم يغنيك عن كل ما سواه : ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ أُنْقَ اللَّهُ وَلَا تُطْعِجُ الْكٰفِرِينَ  
وَالْمُنٰفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١) ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٢) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٣) ﴿الأحزاب: ١-٣﴾ .

واعلم يا عبد القيوم أن الله كما داوم عليك بإحسانه وتابع عليك إنعامه ، فداوم أنت  
على ذكره وشكره ، وحسن عبادته ، ليديم عليك ذلك ، ويزيدك من نعمائه : ﴿وَإِذْ  
تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) ﴿إبراهيم/ ٧﴾ .

واعلم يا عبد القيوم أن أعقل الناس من قام على نفسه بجهد الاستقامة ، واجتهد على  
غيره بجهد الهداية ، وترك الدنيا قبل أن تتركه ، وأنار قبره قبل أن يسكنه ، وأرضى ربه  
قبل أن يلقاه : ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

[القصص: ٧٧].

فإنه قيوم ، وقائم على كل نفس ، فكن أنت قائم على نفسك بحملها على طاعة الله ، واجتناب معاصيه ، واستعمل جوارحك فيما يرضيه ، وفيما يحبه ويرضاه من العبادة أقوالاً وأعمالاً ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى الخلق بالعلم والمال والبدن ، ومن أحسن في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة ، لأن الله ﷻ أمرنا أن نقول القول الحسن ، وأن نُحَسِّنَ ، ثم قال : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن/ ٦٠].

فمن أحسن في عبادة ربه ، وأحسن إلى خلقه ، أحسن الله إليه بالفوز بالجنة والرضوان .

والإحسان الأول منه ؛ لأنه هو المحسن الذي خلق وهدى ، وحبب إلينا الطاعات ، وأعاننا عليها ، وضاعف لنا الأجر عليها ، فله الفضل والمنة أولاً وأخراً .

ومنه الإحسان الثاني : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن/ ٦٠].

فإنه ﷻ يحسن إلى عبده بأنواع الإحسان ، يستضيفه في الجنة في مُلْكٍ عظيم ، ولأدنى مسلم في الجنة وما فيهم ذني مثل هذه الدنيا عشر مرات ، وله فيها رضوان من ربه ، وله الخلود في الجنة ، وله فيها النعيم المقيم ، ويسمع كلام ربه جل جلاله ، الله ﷻ يُسَلِّمُ عليه ، والملائكة يسلمون عليه ، ويكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾

[القمر: ٥٤-٥٥].

فمن امتثل الأوامر الشرعية في الدنيا ، وصار ملكاً على هواه وشهواته ؛ جعله الله يوم

القيامة ملكاً في مقعد صدق عند مليك مقتدر : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴾ [٢٠]

عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿١١﴾ إِنَّ هَذَا

كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿١٢﴾ [الإنسان: ٢٠-٢٢].

وتوكل على الحي القيوم ، فلا ترى لنفسك ناصرًا غيره ، ولا لعلمك مُعلمًا غيره ، ولا لعلمك شاهدًا غيره ، ولا لرزقك خازنًا غيره : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَيَسْتَوْكِلُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن/ ١٣] .

فالفقه في الدين من أعظم الأمور .

قال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » متفق عليه (١) .

وأعظم الفقه ، الفقه في أسماء الله ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعدته ، ووعيده .

والفقه كله في القرآن والسنة : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

الفقه أن أتعرف على حياة الرسل ، وماذا قاموا به من الدعوة إلى الله ، ونشر الحق بين الخلق ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم في سبيل إعلاء كلمة الله ، حتى انتشر الحق بين الناس : ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولِيَّتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩] .

والله ﷻ بعث الأنبياء لا أسباب معهم ، حتى إذا انقطعت عنهم الأسباب ، توجهوا إلى مسبب الأسباب ، لا يستندون إلى غيره ، فنصرهم على أعدائهم : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا قَالَ إِنَّكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ مَعْزُومَاتُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ لَا سَبَبَ لَهُمْ وَالْإِلَٰهُ يَخْتَارُ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣] .

والله بحكمته أعطى الأعداء الأموال والأسباب ، لكن الأنبياء ليس معهم أموال ولا أسباب مادية ، معهم قدرة الله ، قوة الله ، نصر الله . ولهذا الله ﷻ في بدر أظهر قدرته ، وفي أحد أظهر الله سنته ، وفي حنين أظهر الله سنته وقدرته .

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٣١١٦، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٠٣٧ .

في بدر حيث لا عدد ولا عدة ظهرت قوة لا إله إلا الله : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٢٣]

وفي أحد أظهر الله قوة محمد رسول الله ، فحين خالف الرماة أمر الرسول ﷺ رفع الله النصره عن الصحابة ؛ لتمشي لا إله إلا الله ، مع محمد رسول الله ، لا إله إلا الله إخلاصاً وتوحيداً ، ومحمد رسول الله إتباعاً وتسليماً : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢] .

فقوة لا إله إلا الله ظهرت في بدر ، وقوة محمد رسول الله ظهرت في أحد ، وفي حين ظهرت قوة الله ﷻ ، وظهرت قوة محمد ﷺ ، فالله ﷻ رفع النصره حين جاء العجب ثم أعادها في النهاية حين تابوا .

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ عَلَيْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَابَتْ مُدْرِيَّتُمْ ﴾ [٢٥] ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٧] .

المؤمن الذي يريد أن يمشي على الصراط المستقيم ، ويتبع الأنبياء والرسل في نشر التوحيد والإيمان والحق ، عليه أن يعرف مقاصد الإسلام ، ولماذا بعث الله الرسل ؟ وبماذا جاء الرسل عليهم الصلاة والسلام للبشرية ؟ جاءوا بالدين الحق ، الذي لا يصلح البشرية إلا هو ، جاءوا بالهدى الذي يخرج البشرية من الضلال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢] .

- الدين الحق الذي بعث الله به جميع الأنبياء والرسل يقوم على ثلاثة أصول :
- الأول : جلب المصالح .
- الثاني : دفع المفاسد .
- الثالث : التحلي بمكارم الأخلاق .

فجلب المصالح هي أعظم حاجات البشر ، وتسمى الحاجيات ، وأعظم حاجات الإنسان ليس الطعام والشراب ، أعظم حاجات الإنسان أن يعرف ربه ويوحده ، ويؤمن به ويعبده ، ويطيعه ، ويتبع رسله وشرعه ، ليسعد في دنياه وآخرته : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

هذه أعظم المصالح ، فالرسل جاءوا بجلب المصالح ، أن يرتبط المخلوق بخالقه ، وأن يتلقى الأوامر منه ، لا يتلقاها من مثله ، ولا ممن هو دونه ، بل يتلقاها من العلي الأعلى ، لأن هذه الأوامر الشرعية ترفعه إلى المقام الأعلى في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٩] .

يكون الإنسان عاليًا بإيمانه وأخلاقه عن الحيوانات ، عن السباع ، عن الشياطين ، عن الكفار مرتقيًا إلى درجة عالية بالافتداء بالأنبياء والمرسلين ، والملائكة الكرام الذين جبلوا على الطاعات : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَتْهُ قُلُوبٌ لَا تَسْمَعُ لِمَا يُرْسَلُ عَلَيْهَا مِنْ حَرَجٍ وَلَا حَفْظٍ إِلَّا نَزَحَتْ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

جلب المصالح هو أعظم حاجات البشرية ، ولهذا الله أرسل الرسل ، وأنزل الكتب لبيان هذه المصالح ، لم يرسل رسله لتعليم كيفية الزراعة ولا الصناعة ؛ ولا التجارة ، لأن هذه تحسينات ، يستطيع الناس أن يرتقوا فيها من اختراع إلى اختراع ، ومن اكتشاف إلى اكتشاف ، حتى تتحسن الأمور إلى الأفضل ، مثل المياه الآن ، كانت أولاً في الآبار ، ثم جاء الجهد عليها فصارت تستخرج بواسطة الحيوانات ، ثم جاء الجهد أكبر فأصبحت تستخرج بالكهرباء ، ثم كانت المياه تجمع في بركة ويرتوي الناس منها ، ثم تطور العقل البشري حتى اهتدى إلى صناعة المواسير التي تنقلها إلى البيوت ، وهكذا الحديد ، وهكذا في جميع أمور الصناعة ، كلما كثر الناس ، واشتدت الحاجات ، فتح الله لهم من أنواع الصناعات التي تصلح حياة البشر ، وتسهل معاشهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

فالله ﷻ أمرنا أن نعبد إلهًا واحدًا ، ونتبع كتابًا واحدًا ، ونتبع رسولاً واحدًا ، ونعمل بشرع واحد ، حتى لا تتصادم الحركات ؛ لأن المنهج واحد والكتاب واحد ، والرسول واحد ، والرب واحد ، الجميع يسيرون على الصراط المستقيم إلى ربهم : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

والأمر الثاني الذي جاء به الرسل ، لتكون حياة البشرية حياة عالية هو درء المفساد التي تضر الإنسان والأمة ، وهذه المفساد هي :

العدوان على دين الإنسان ، والعدوان على نفسه ، والعدوان على عقله ، والعدوان على نسبه وعرضه ، والعدوان على ماله ، وتسمى هذه الضروريات الخمس : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ أَمَلْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١] .

جاء الإسلام بجلب المصالح ، وهي أن يعرف الإنسان ربه ويعبده ، ويتلقى الأوامر منه ليسعد في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَّزَلَّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

وجاء بدرء المفساد ، وهي درء الضرر عن الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض والمال .

فجلب المصالح شيء ، ودرء المفساد شيء آخر ، درء المفساد منع الظلم والعدوان على دين الإنسان ، بالجهاد في سبيل الله ، والجهاد في بيان الحق ، وتعليم الشريعة ، وردع المعتدين والظلمة ، وكشف الشبهات ، ودفع الظلم والعدوان عن نفس

الإنسان: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

قال النبي ﷺ: « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ : الثِّبْتُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ » متفق عليه (١) .

ومن دفع المفاسد دفع الضرر عن العقل بتحريم شرب الخمر ، وعقوبة شارب الخمر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠] .

ومن درء المفاسد :

الدفاع عن نسبه وعرضه بحد الزنا لمن زنا : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] .

والدفاع عن ماله بقطع يد السارق : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨] .

فالدين الإسلامي جاء بجلب المصالح ، وإذا عرفت هذه الأمور والمصالح لا بد أن استجيب لها ، وأعبد الله بموجبها ، وأكون أول السابقين إلى فعلها : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [١١] وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [١٢] [الزمر: ١١-١٢] .

وأنشر هذه المصالح والأحكام في العالم ، ليكون الناس كلهم على حياة الأنبياء والرسل ، وحياة الملائكة : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [٥٢] [إبراهيم: ٥٢] .

ولا بد كذلك أن أدرأ المفاسد التي تضر الإنسان والأمة ؛ بدفع الظلم عن دين الإنسان، وعن نفسه ، وعقله ، ونسبه وعرضه ، وماله : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١٠٤] وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٠٥] [آل عمران: ١٠٤-١٠٥] .

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٨٧٨، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٦٧٦ .

وقد جاء الإسلام بدرء هذه المفساد كلها ، فإن جميع المظالم في الدنيا تدور حول هذه المسائل الخمس ، فشرع الله ﷻ الدعوة والجهاد في سبيل الله ، حتى لا يبقى في الدنيا شرك ، ولا فساد ديني ، شرع الله الدعوة ، حتى يكون الدين كله لله ، وشرع الجهاد في سبيل الله ، لدفع عدوان المعتدين ، وفتح الطرق للدعوة إلى الله ، ليعرف ربه كل إنسان : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

وشرع الله القصاص صيانة للنفوس : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

وشرع عقوبة الخمر صيانة للعقول ؛ لأن هذه العقول غالية ، لا بد أن نستعمل العقل فيما خلق له ، نستعمل عقولنا في التقرب إلى الله وتقديم ما يبقى على ما يفنى ، وتقديم محبوبات الرب على محبوبات النفس .  
صيانة العقول ، حتى تكون هذه النفوس مسبحة بحمد ربها ، مكبرة له ، حامدة له ، عابدة له .

وشرع الله ﷻ حد الزنا صيانة للأنساب حتى لا تختلط الأنساب ، فهذا الإنسان له كرامة ، ليس كالحيوانات يأكل ويشرب ويركب ما يشتهي ، بلا أمر ولا نهي ، ولا حد ولا قيد : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

الثالث : التحلي بمكارم الأخلاق :

وقد جاء الشرع بالحث على مكارم الأخلاق في كل دين ، وعلى لسان كل رسول ، جاء الحث على مكارم الأخلاق ، فالأخلاق العالية الله فرقها في الأنبياء ، ثم جمعها في سيد الأنبياء ﷺ وذلك يقول الله عنه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/٤] .  
حسن الخلق مع الخالق في توحيده والإيمان به وطاعته وعبادته ، وحسن الخلق مع المخلوق بدعوته إلى الله ، وتعليم الشرع ، والإحسان إلى الخلق .

فالله ﷻ جعل الأخلاق العالية في الأنبياء لأنهم قدوة للناس ، وجمع أخلاق الأنبياء في سيد الأنبياء ﷺ ، ثم فرق هذه الأخلاق العالية في النبي ﷺ في أمة سيد الأنبياء : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وهكذا الصفات الله ﷻ فرقتها في الأمة ، لتعبد الله بموجبها ، وتنقلها إلى كل جيل من هذه الأمة ، فالواجب علينا تحصيل الصفات التي يحبها الله ، وهذه الصفات هي مكارم الأخلاق : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩] . وكل شيء محدود ، الطهارة لها حد ، والصلوات ، والصيام ، والزكاة ، والحقوق ، كل شيء له حد إلا الأخلاق ، الله ﷻ أمرنا أن نحصل ما استطعنا من حسن الخلق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

وقد جاء الشرع بالحث على مكارم الأخلاق ، من الصدق ، والإيمان ، والعفو ، والعدل ، والإحسان ، والحلم ، والصبر ، والشكر ، والتعاون على البر والتقوى ، والمسارة إلى الخيرات : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

ونهى الشرع عن مساوئ الأخلاق من الظلم ، والغش ، والخيانة ، والعجب ، ، والكذب ، والرياء ، والحسد ، والكبر ، والغيبة ، والنميمة ، والتعاون على الإثم والعدوان : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

فيجب علينا أن نفقه هذه الأمور ، وأن نتوجه إلى الله ﷻ أن يرزقنا هذه الأعمال الصالحة ، وهذه الصفات الحسنة ، وأن يجعلنا هداة مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين . يا عبد القيوم : ﴿ أَقْرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧] .

يا عبد القيوم : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُقًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ﴾ [هود: ١١٤] .

يا عبد القيوم إن العمر جوهرة ، ولهذا العمر إناء هو المكان والزمان ، فلنضع في المكان والزمان ، أحسن الجواهر من النيات الواسعة ، والأقوال الحسنة ، والأعمال الصالحة .

فنكون قائمين في حياتنا بالأعمال التي يحبها الله ، نيةً ، وأقوالاً ، وأعمالاً ، وأخلاقاً ، ونأتي بها على الكمال ، فمن أكمل محبوبات الرب في الدنيا ، أكمل الله محبوباته في الآخرة ، ولنكن قائمين ، ومتحركين ، وسائرين ، ننقل الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله ، وننشر الحق الذي يبعد الناس عن الباطل : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١] .

والله ﷻ جعل هذه الأمة نائبة عن نبيها ﷺ ، وأعطيت ما أعطى الأنبياء من قبل ، من الدعوة والعبادة ، فأن نكون قائمين بأمر الله ونأخذ حظنا من هذا الاسم في القيام بين يدي ربنا بالعبادة في أمورنا الخمسة ، والقيام بين يدي خلقه بالأمور الخمسة التي ذكرناها .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل/ ١٩] .

اللهم اجعلنا قائمين بين يديك ركعاً سجداً ، وقائمين بين يدي خلقك بالدعوة والتعليم والإحسان ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الراحمين .  
سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

### الباب الخامس

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

١٩- اسم الله السميع.

التعبد لله عز وجل باسمه الله السميع.

٢٠- اسم الله البصير.

التعبد لله عز وجل باسمه البصير.

٢١-٢٢-٢٣- اسم الله العلي.. الأعلى.. المتعال.

التعبد لله عز وجل باسمه العلي.. الأعلى.. المتعال.

٢٤-٢٥- اسم الله الكبير.. المتكبر.

التعبد لله عز وجل باسمه الكبير.. المتكبر.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

السميع

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله السميع

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

هذا الإله العظيم، وهذا الرب الكريم، وهذا الملك الرحيم هو الذي يستحق أن يُعبد، لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى .

هو سبحانه أحق بالتوحيد من كل أحد ؛ لأنه واحدٌ أحد ، غنيٌّ عن كل أحد ، وبيده أمر كل أحد: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

هو الواحد الأحد، لا شريك له في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومملكه، وسلطانه ، وخالقه، وأمره، هو الملك الحق الذي خلق كل شيء وله ملك كل شيء:

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

• والإنسان إذا تأمل في هذا الكون رأى فيه ثلاثة:

الأول : كاملٌ بذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله لا يحتمل النقص أبداً ..

الثاني : ناقصٌ لا يحتمل الكمال أبداً .

الثالث : قابلٌ للزيادة والنقصان .

أما الكامل بذاته وأسمائه وصفاته ، والذي لا يحتمل النقصان أبداً فهو واحد لا شريك له، هو الله ﷻ ، الذي له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله .

هذا الإله العظيم لا بد من العلم به : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وِمَثَابِكُمْ﴾ [محمد/ ١٩] .

لا بد من معرفة المعبود قبل العبادة ، ومعرفة الملك قبل أن نتحرك في ملكه بأقوالنا وأفعالنا ، هذا الكامل بذاته وأسمائه وصفاته ، الذي له أسماء وصفات الجلال والجمال ، هذا هو الرب الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ

رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
 وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو الذي يحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويخلق ويرزق ، ويأمر وينهى ، هو الذي يقلب  
 الليل والنهار ، ويأتي بالعافية بعد المرض ، ويسوق المخلوقات إلى مقاديرها .  
 هو الذي سير الشمس والقمر ، وهو الذي يسيرنا في البر والبحر ، وله ملك  
 السماوات والأرض ، وله ما في السماوات والأرض ، وله ما بين السماوات  
 والأرض ، وله خزائن السماوات والأرض ، وله غيب السماوات والأرض ، وله جنود  
 السماوات والأرض ، وله مقاليد السماوات والأرض ، وله ميراث السماوات  
 والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه: ٨].

وبعده جل جلاله من المخلوقات الكاملة الملائكة، هؤلاء عباد مكرمون :  
 ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ [التحريم/ ٦] .  
 ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا  
 يَفْتُرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

فهم على الطاعات أبداً ، وهم أجسام روحانية، صمد لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا  
 ينامون ؛ خلصهم الله لطاعته وعبادته وتنفيذ أوامره .  
 وأما الناقص الذي لا يحتمل الكمال فهم ثلاثة:  
 عالم الجماد، وهو عالم كبير جداً . . . وعالم النبات . . . وعالم الحيوان .  
 وأما الذي يحمل الأمرين جميعاً فهم اثنان:

الجن . . . والأنس ، فالإنسان تارةً يعلو بإيمانه وتقواه ، فالمؤمن الذي اتصل بالعلي  
 الأعلى يعلو بإيمانه وتقواه ، ويقرب إلى أدنى درجة الملائكة الذين هم مجبولون  
 على الطاعة ، وعلى سمعنا وأطعنا ، ليس لديهم شهوات تعارض الأوامر الإلهية .  
 فالمؤمن إذا وجد في بيئة الذكر والتذكير يعلو بإيمانه وتقواه: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا  
 وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وتارةً يسقط الإنسان بكفره وفجوره إلى أسفل سافلين : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين/٤-٦] .

ولهذا لا بد أن نتعرف على ربنا ﷻ حتى تحصل على التوحيد الكامل ، التوحيد العملي في القلوب والجوارح ، التوحيد الذي يجد الإنسان فيه لذته ، ويستأنس بخالقه، ويستوحش من غيره ، هذا التوحيد لا بد له من جهد متصل، يثمر معرفة الرب، ثم عبادته بموجب هذه المعرفة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

هذا الجهد العلمي يكون بمعرفة الإله ، ومعرفة عظمة مُلكه وسلطانه ، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة آياته ومخلوقاته ، ومعرفة أوامره ونواهيه ، ومعرفة وعده ووعيده ؛ فإذا عرف القلب هذه الأمور امتلأ بالتوحيد الكامل الذي هو مقصود الرب من خلقه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وهذا التوحيد الكامل يقوم على ستة أركان:

الأول: توحيد الله ﷻ بأسمائه : كالعليم . . والقدير . . والسميع . . والبصير . . وغيرها من الأسماء الحُسنى .

الثاني: توحيد الله بصفاته : كالحياء . . والسمع . . والبصر . . والقدرة . . والرحمة وغيرها من الصفات العُلى .

الثالث: توحيد الله بأفعاله : كالخلق . . والرزق . . والإحياء . . والإماتة . . وغيرها من الأفعال الحميدة .

الرابع: توحيد الله بأفعال العباد : كدعاء الله . . والاستعانة به . . والتوكل عليه . . ومحبته . . والخوف منه . . كالصلاة والزكاة . . والصوم والحج . . وغير ذلك من أنواع العبادة التي يجب أن تصرف لله وحده .

الخامس: توحيد رسوله ﷺ بالإتباع : بطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتصديقه فيما أخبر، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع .

السادس: توحيد كتابه بالامتثال: تصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه .

هذا التوحيد العظيم الذي يجمع معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بأفعال العباد، وتوحيد رسوله بالإتباع ، وتوحيد كتابه بالامتثال مع السنة ؛ لأنها وحي آخر ، والله ﷻ أمرنا باتباع السنة بقوله ﷻ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

هذا التوحيد بأركانه الستة يأتي بقدر هذه المعارف العظيمة، وإذا جاء التوحيد الكامل، وجاء الإيمان الكامل، ثم جاء العمل الكامل، ثم جاء الثواب الكامل: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

هذا التوحيد متى يأتي في القلب ؟ يأتي هذا التوحيد بعد معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولذلك الإمام البخاري رحمه الله جعل كتاب التوحيد في آخر صحيح البخاري رقم (٩٧) ؛ لأن مجموع معرفة الله ومعرفة أوامر الله الملكية . . وأوامر الله الشرعية . . وأوامر الله الجزائية ، هذه المعارف العظيمة تملأ القلب بالإيمان ، فيأتي التوحيد الكامل ، توحيد الله بذاته ، توحيد أسمائه ، وتوحيده بصفاته ، وتوحيده بأفعاله ، توحيد رسوله وكتابه بالإتباع، وتوحيد الله بأفعال العباد.

هذا التوحيد يتحقق بقدر هذه المعرفة ، ولهذا لا بد أن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وإذا عرفناه أحببناه ، وإذا أحببناه أطعناه وعبدناه ، ولهذا أمرنا الله بالمعرفة، فالله خلق هذا الكون لتتعرف عليه ، أودع أسماءه وصفاته في مخلوقاته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفتم ذلك عظمتم الله لجلاله وكبريائه، وأحببتموه لكرمه وإحسانه ، وعبدتموه بما جاء عن رسوله ﷺ: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ولهذا القلوب تتغذى بالذكر والوعظ ، والعقول تتغذى بمعرفة المسائل والأحكام ، فالعقول تُدرك الكيفيات ، والقلوب تتأثر بالإيمانيات ، فيعظم الإيمان في القلب

فتنشط القلوب والجوارح للقيام بأنواع العبادات: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

هذا التوحيد والإيمان نتيجة ماذا؟ نتيجة معرفة الله بأسمائه . . وصفاته . . وأفعاله . . وخزائنه . . ووعدته . . ووعيده: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُوبِكُمْ ﴾ (١٩) [محمد: ١٩].  
والله غيب لا أراه ببصري، ولكن أراه بقلبي، فالله أخفى نفسه، وأظهر مخلوقاته، أظهر لنا شيئاً من مخلوقاته لنستدل بها على الخالق، وأظهر شيئاً من الصور لنستدل بها على المصور .

وإذا جاءت هذه المعرفة امتلاءً للقلب بالتوحيد والإيمان والتقوى، وانشرح الصدر للطاعة، والعبادة، ونفر من المعاصي وأحب الطاعات، وأحب ربه؛ وأحب أوامره، فانقادت جوارحه إلى العمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

وينيب إلى دار القرار، ويتجافى عن دار الغرور، ويستعد للموت قبل نزوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِن غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

هذا التوحيد العلمي القلبي العملي هو المطلوب من الإنسان، متى نصل إليه؟ إذا عرفنا الله ﷻ بأسمائه، وصفاته وأفعاله، وحدناه، وأحببناه، وعبدناه: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) [الأنعام: ١٠٢].

فهذه المعارف معارف عظيمة، لا بد للقلب أن يعرفها، ويدركها، حتى يعبد الله على بصيرة، يعرف الرب من العبد، ويعرف الخالق من المخلوق، ويعرف المنهج الذي

يسير عليه إلى ربه ، ويعرف القدوة الحسنة الذين يقتدي بهم وهم : الملائكة . .  
والأنبياء . . والرسل .

ويعرف الأعداء الذين يجب الحذر منهم وهم : الشيطان . . والنفس . . والدنيا . .  
والكفار .. والهوى .

ويعرف الدنيا الذي هو فيها ليعلم أنها لا تصلح لهذا الإنسان ، بل هي دار ممر لا دار  
مقر ، ودار غرور ، لا دار سرور .

هذه الدنيا وضع الله عليها لوحات كثيرة كما نعلق لوحات على الأطعمة والأشياء  
الفاسدة، حتى يحذرها الناس، فقال الله عن الدنيا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا  
تَغْرَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا  
يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ [فاطر: ٥-٦] .

وقال : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا  
يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت/ ٦٤] .

وقال: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ  
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْتَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ  
بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ [آل عمران: ١٤-١٥] .

فالدنيا لها أعمال، والآخرة لها أعمال ؛ لكن نعمل للدنيا بقدر الحاجة ، ونعمل للدين  
بقدر الطاقة : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

وهذه الدنيا مكان للعبادة ، مكان للصلاة ، مكان للصوم ، مكان للحج ، مكان  
للدعوة ، مكان للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، مكان الجهاد في سبيل الله ،  
فالله ﷻ جعلها ميداناً للتزود للآخرة ؛ فالدنيا دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار  
الثواب والعقاب: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾  
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

[الأعراف: ٨-٩] .

ولابد أن أعرف الشخصيات الذين يجب الاقتداء بهم وهم : الأنبياء . . والرسل . .  
والملائكة : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ ﴿٤١﴾ [مريم: ٤١].

وأعرف الأعداء الذين يجب الحذر منهم وهم : الشيطان . . والنفس . . والدنيا . .  
والكفار: ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا  
﴿١١١﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا  
يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ ﴿١٢١﴾ [النساء: ١١٩-١٢١].

وكل هذا بينه الله لنا في القرآن مفصلاً، وأعرف الدنيا التي أنا فيها وأعرف الآخرة التي  
سوف أقدم عليها ، وأعرف الأعمال الصالحة التي يرضى الله بها عنا ، وأعرف  
الأعمال السيئة التي يسخط الله بها علينا.

فإذا حصلت للعبد هذه المعارف العظيمة جاء في قلبه التوحيد حقاً ، والإيمان حقاً ،  
وتحرت جوارحه بالأعمال الصالحة ، ونطق لسانه بذكر ربه ، وحمده ، وتسبيحه ،  
وتوحيده ، وامتلاً قلبه بتعظيمه وحبه .

هذه المعارف هي غذاء للقلوب ، تغذي القلوب بالإيمان، حتى تكون الطاعات  
شهوات ، أعظم من شهوات النفس: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ  
وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ،  
والله ﷻ بين في القرآن من هو ، وما هي أسماؤه ، وما هي صفاته ، وما هي أفعاله ،  
وبين دينه في الكتاب الذي أنزله ، وبين الرسل الذي أرسلهم ، وبين المعاد يوم  
القيامة ، بين معاد المؤمنين وهو الجنة ، ومعاد الكفار وهو النار: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ  
الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩].  
والله ﷻ بين كل ذلك لماذا؟.

حتى نعرف ماذا عند الله، وماذا يريد منا، وماذا يعطينا إذا آمننا به وعبدناه، وبماذا يعاقبنا  
إذا عصيناه.

وإذا عرفنا ذلك اشتاقت نفوسنا لطاعة الله .

وإذا أردنا أن نطيع الله فعلينا أن نقتدي بشخص واحد هو نبينا ﷺ، سيد الأولين  
والآخرين، هو الذي يجب أن نقتدي به ونتبعه: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ  
تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٨) [الأعراف: ١٥٨].

وأفضل حياة هي حياة الأنبياء والرسل .

وأفضل حياة الأنبياء والرسل هي حياة نبينا ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ  
أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ  
رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التوبة: ١٢٨].

فحياته ﷺ أفضل حياة، وأحسن حياة؛ وأسعد حياة، ولذلك كانت محفوظة  
بالكامل، ثلاث وعشرون سنة، محفوظة أقوالاً وأعمالاً وأخلاقاً، كلها مسجلة  
ومبينة ومفصلة في كتب الحديث لنقتدي به ﷺ علمياً وعملياً وأخلاقياً: ﴿لَقَدْ كَانَ  
لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٦١) [الأحزاب: ٢١].

هذه الحياة هي أعلى شيء، كيف أصل إليها؟ .

إذا آمنت بالله العظيم، وآمنت بكتابه العظيم، وعملت بموجب ذلك: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ  
جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (١٧٤) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ  
وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (١٧٥) [النساء: ١٧٤-١٧٥].

هذا الكتاب جاء عن طريق من اجتباه واصطفاه واختاره، وجعله سيد الأولين  
والآخرين محمد ﷺ، فعلي أن أقتدي به في كل ما جاء به؛ لأنني آمنت بالله رباً،  
وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، وآمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم  
الآخر، والقدر خيره وشره .

إذا جاءت هذه الإيمانيات الغيبية في القلب، تحرك البدن بالطاعة، تحرك القلب  
بالخوف، والخشية، والحب، والتعظيم لله، ونطق اللسان بالذكر والحمد، والتسبيح

والاستغفار ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والقول الحسن ، ومعاملة الناس بما يحبه الله ﷻ ويرضاه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

• وأسماء الله الحُسنى من حيث معانيها أربعة أقسام :

القسم الأول : أسماء دالة على صفة ذاتية للرب ﷻ ، لا تنفك عنه أبداً .

والصفة الذاتية : هي كل صفة لا تنفك عن الذات ، ولا تعلق لها بالمشيئة ، ومن هذه الأسماء :

الحي ، القيوم ، السميع ، البصير ، العليم ، الخبير ، القوي ، العزيز ، العلي ، الكبير ، وغير ذلك من الأسماء والصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله ، فالله حي أبداً ، قيوم أبداً ، سميع أبداً ، بصير أبداً .

القسم الثاني : الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب ﷻ .

والصفة الفعلية : هي كل صفة تتعلق بالمشيئة والإرادة ، إن شاء الله فعلها ، وإن لم يشأ لم يفعلها ومن هذه الأسماء :

الخالق ، الرزاق ، التواب ، العفو ، الغفور ، الرحيم ، وغير ذلك من الأسماء الحُسنى ، فالله ﷻ يخلق ، الخالق اسم ، يخلق فعل ، والخالق يخلق إذا شاء ، ويرزق إذا شاء ، ويعز إذا شاء ، ويعفو إذا شاء ، ويتوب على من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، ويرحم من يشاء : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٤) [الفتح / ١٤] .

القسم الثالث : الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب ﷻ عن ما لا يليق بجلاله وعظمته، ومن هذه الأسماء الحُسنى :

القدوس ، السلام ، السبوح وأمثالها ، فهو سبحانه السلام من كل نقص، وعيب ، القدوس ، السبوح، المنزه عن جميع النقائص والعيوب ، والمنزه عن كل ما ينافي

صفات كماله وجلاله وجماله جل جلاله ، والمنزه عن الضد ، والند ، والكفاء ،  
 والمثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١] .  
 فالله هو الواحد الأحد الذي ليس كمثل أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الله الصمد  
 ٢] ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [٢] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .  
 القسم الرابع : الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حُسنى للرب ﷻ .  
 ومن هذه الأسماء :

العظيم ، الحميد ، المجيد ، الملك ، الصمد . . وأمثالها .  
 فالعظيم : من له كمال العظمة في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله .  
 والحميد : يدل على كثرة أوصافه ، ويدل على كثرة حمده ، وكثرة الحامدين له ،  
 وكثرة ما يُحمد عليه ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه .  
 والمجيد : يدل على عظمة صفاته وكثرتها وسعتها ، وعلى عظمة مُلكه وسلطانه ،  
 فهذه الأرض التي نحن عليها نحن نعرف أرضاً واحدة ، وست أراضي لا نعلمها إلا  
 بالخبر ، ونعرف سماءً واحدة ، وخلق سبحانه العرش ، وخلق الكرسي ، هذه  
 المخلوقات ذرة من خزائن غيبه ، وغيب الله ﷻ لا يعلمه إلا هو .  
 فهذه المخلوقات في الدنيا والآخرة ، والعالم العلوي والعالم السفلي ، لا تساوي ذرة  
 من خزائن غيبه .

فالسماوات السبع ، والأرضين السبع ، وما فيهن وما فوقهن ، وما بينهن ، بالنسبة  
 للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاء ، والعرش محيط بالكرسي ، والكرسي محيط  
 بالسماوات والأرض والكرسي لا يساوي ذرة بالنسبة للعرش ، والله ﷻ فوق العرش  
 جل جلاله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] .

فهذه المخلوقات الكبيرة تدل على أن الكبير الذي خلقها هو الكبير المتعال ، كبير  
 ليس كمثل أحد في الكبر والكبرياء ، وليس لعظمته حد ، ولا لصفاته حد: ﴿لَيْسَ  
 كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .  
 أما المخلوق فهو محدود الذات ، ومحدود الصفات ، ومحدود الحياة .

فالمجيد يدل على عظمة الصفات لله ﷻ وكثرتها وسعتها ، وعلى عظمة مُلكه وسلطانه ، وتفرده بالجلال والجمال والكمال . . وهكذا : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

الله ﷻ هو الحي القيوم ، الملك الحق ، السميع البصير ، العليم الخبير .  
الله ﷻ هو السميع الحق ، الذي يسمع جميع أصوات أهل السماوات والأرض ، من جميع الجهات في آنٍ واحد ، هو السميع الذي له كمال السمع ، وهو الذي خلق السمع في كل سامع ، وخلق السامع والمسموع .

هو السميع العليم الذي يسمع الأصوات ، كلها باللغات كلها ، في الأوقات كلها ، من المخلوقات كلها ، في آنٍ واحد من كلها : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُبَيِّنَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

هو السميع الذي يسمع الأصوات كلها ، باللغات كلها ؛ لغات الجماد ، والنبات ، والحيوان ، والرياح ، والمياه ، وجميع المخلوقات ، وجميع الإنس والجن والملائكة ، ويسمع الأصوات من كلها على اختلافها : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور: ٤١].

هو الحي القيوم بكمال الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، بكمال الحياة التي تستلزم كمال السمع ، وكمال البصر ، وكمال القيومية ، وكمال القوة ، وكمال الغنى ، وكمال الكرم ، وكمال العلم ، وكمال الرحمة : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

لا بد أن أعرف أن ربي هو السميع ، حتى لا أتكلم إلا بما يحب ، لا بد أن أعرف أن ربي هو السميع العليم ، هو السميع البصير ، هو السميع القريب المجيب جل جلاله : ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ: ٥٠].

والله ﷻ ذكر اسمه السميع في أكثر من خمس وخمسين آية في كتاب الله ﷻ .

هو السميع جل جلاله الذي يسمع كل شيء ، ولا يعزب عن سمعه شيء وإن خفي ، سواء كان صوت نفس ، أو حديث نفس ، أو خاطرة نفس ، والخاطر الذي يمر على النفس ، والحديث الذي يتكلم فيه الإنسان بينه وبين نفسه ، والصوت الذي يظهر للناس :

هو السميع الذي يسمع كل إنسان سواءً جهر أو أسر ، فأصوات الخلق ظاهرها وباطنها ، سرها وخفيها ، مكشوفة له ، مكشوفة لرب العالمين ﷻ يستوي عنده القريب والبعيد ، والسر والعلن ، والجهر والخفوت: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) ﴿[الملك: ١٣-١٤].

هو السميع العليم الذي لا تشبه عليه اللغات ، ولا تختلف عليه الأصوات ، ولا يُشغله سمعٌ عن سمع : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) ﴿[الشورى/ ١١] . ليس كمثل شيء لا في ذاته ، ولا في أسمائه ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) ﴿[الإخلاص: ١-٤].

والسمع والبصر صفتان من صفات الكمال مع الحياة ، فجميع مخلوقات الحي التي خلقها تشترك في السمع والبصر ، ولكن كلها صفات موهوبة السمع والبصر ، والأيدي والأرجل ، والله ﷻ هو خالق كل شيء ، خلق الناس ، ووهبهم السمع والأبصار والأفئدة : ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣) ﴿[الملك/ ٢٣] .

هو الغني الذي عنده خزائن الأسماع ، وعنده خزائن الأبصار ، وخزائن العقول ، كما أن عنده خزائن المياه ، وخزائن الحبوب ، وخزائن الذهب ، وخزائن الفضة ، كذلك عنده خزائن العزة ، وخزائن الذلة ، وخزائن الأمن ، وخزائن الخوف ، وخزائن الحب ، وخزائن البغض ، وخزائن النعيم ، وخزائن العذاب: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢١) ﴿[الحجر/ ٢١] .

فالله ﷻ يسمع ويرى في ملكه العظيم كل ذرة وخردله ، هو الذي قدر المقادير قبل أن تكون ثم أظهرها: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمِجٍ بَالْبَصَرِ﴾ (٥٠)

وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبْرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ [القمر/٤٩-٥٣].

والله ﷻ من رحمته أن أخبرنا عن أسمائه وصفاته حتى لا نُسَمِّعه ما لا يحب ، ونُسَمِّعه ما يحبه ويرضاه من الذكر والدعاء والدعوة ، وأخبرنا بأنه البصير حتى لا نفعل شيئاً يغضبه ، وأخبرنا أنه هو الرزاق وهو الغني حتى لا نسأل أحداً سواه ، أخبرنا أنه القادر على كل شيء ، القادر على تغيير العزة بالذلة ، والفرج بعد الكرب ، واليسر بعد العسر ، حتى نتوجه إليه وحده : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠].

فالله ﷻ هو السميع الذي يستوي في سمعه خفي القول وظاهره ، وسره وجهه : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ [الملك/١٣].

فسبحان السميع البصير الذي يسمع جميع الأصوات من كل جهة ، ومن كل مخلوق ، وبكل لغة ، وفي كل وقت يسمع ذلك كله في آنٍ واحد.

هو جل جلاله السميع الذي له الكمال المطلق في السمع ، فيسمع الأصوات كلها ، من الجهات كلها ، ومن المخلوقات كلها ، وباللغات كلها ، في الأوقات كلها ، يسمع ذلك كله في آنٍ واحد : ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٧٥﴾ [الحج: ٧٥].

فأنا الآن أمشي على ظهر الأرض ، وبين الأرض والسماء مسافة خمسمائة سنة ، وسمك السماء خمسمائة سنة ، وما بين السماء والثانية خمسمائة سنة ، وسمك السماء الثانية خمسمائة سنة ، وهكذا إلى السابعة ، ثم فوق السماوات السبع الكرسي محيط بالسماوات والأرض ، ثم فوق الكرسي الماء ، وفوق الماء العرش ، والعرش وسع السماوات والأرض ، وسع جميع المخلوقات ، والله فوق العرش ، يسمع ويرى كل ذرة في ملكه الكبير.

الله ﷻ استوى برحمته على أعظم وأكبر وأوسع وأنور مخلوقات وهو العرش ، والله فوق عرشه العظيم ، يسمع كل شيء ، ويرى كل شيء .

هو السميع الذي يسمع كل مخلوقاته في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وفي البر والجو والبحر ، يسمع أصوات الأشجار ، وأصوات النباتات ، وأصوات الجمادات ،

وأصوات الحجارة، وكل متحرك، وكل مساكن، وكل ناطق وصامت: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١].

هو السميع الذي يسمع تسبيح النباتات على اختلافها وأنواعها ، ويسمع أصوات الحيوانات ، ويجيب السائلين ، ويسمع الإنس ، ويسمع الجن ، ويسمع تسبيح الملائكة.

فسبحان من خلق السامعين وأحاط بسمعهم : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

هو الحي الذي يسمع ويرى، ويجيب كل دعاء، ولا ينسى أحداً. يحمد كل شاكر من خلقه ، ويغفر لكل مستغفر ، ويجيب كل سائل ، ويفرج كل كرب ، وينفس عن كل مكروب ، وينصر كل مظلوم ، ويجيب كل محتاج ، ويعاقب كل مسيء : ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩].

هو السميع العليم البصير الذي يسمع جميع الأصوات في كل مكان ، وفي كل زمان ، في آنٍ واحد ، هو السميع الذي حاط بجميع المسموعات في العالم العلوي والعالم السفلي ، يسمع تسبيح الملائكة كلهم ، ويسمع تسبيح الذرات والجمادات كلها ، ويسمع تسبيح النباتات والأشجار كلها ، ويسمع تسبيح الطير والحيوان ، ويسمع تسبيح الإنس والجن ، ويسمع جل جلاله تسبيح كل مُسبح في السموات والأرض : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ [الجمعة: ١].

فالله ﷻ يسمع في ملكه العظيم جميع المخلوقات التي تُسبح بحمده ، فالله ﷻ عظيم وخلق كل عظيم سواءً كان كبيراً أو كان صغيراً ، فخلق السموات والأرض ، والكل يسبح بحمده ، ويشهد بوحدانيته ، ويخضع لأمره ، ويتصاغر لكبريائه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

فسبحان السميع الذي يسمع جميع مخلوقاته التي تسبح بحمده : ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ  
الْأَسْبَعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا  
غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

كل شيء يُسبح بحمده ، منذ خلقه الله ، وإن من شيء إلا يسبح بحمد ربه ، لا يسعه  
إلا أن يسبح بحمد ربه ؛ لأنه يعرف الله الذي فطره على معرفة جلاله وجماله فيسبح  
بحمده ؛ لما يراه من عظمته وكرمه وإحسانه: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ﴾ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴿

[الحديد: ١ - ٢] .

فسبحانه بسط رزقه لخلقه في كل مكان وزمان، ليسمع حمدهم وشكرهم له .  
فهذه النعم تستوجب شكره ، تستوجب من الإنسان أن يشكر ربه ﷻ ، ولهذا هي  
تُسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته ، وتشهد بصفات جلاله وجماله ، وتشهد أنه  
واحد لا شريك له في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله .

والعقلاء يعرفون هذا منها ؛ لأنها مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، لا تخالف  
أمره ، ولا تتأخر عن طاعته، سخرها لنا من خلقها تسخير تعريف لنؤمن به، وتسخير  
تكريم لنشكره: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ  
ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (٣٠) ﴿ [لقمان/ ٢٠] .

هو جل جلاله الملك الواحد القاهر، قهر جميع المخلوقات على ما أراد .  
قهر الشمس على ما أراد ، وجعلها بهذا الارتفاع المحكم، لو ارتفعت قليلاً لتجمد  
الناس، وصاروا أشد من الحجارة ، تجمدت الخلائق كلها ، ولو نزلت قليلاً  
لاستحالت الأرض ومن فيها بخاراً ودخاناً .

هو القهار الذي قهر أسمعنا على ما يريد ، لو فُتح السمع قليلاً لسمعنا حركة المعدة ،  
وجريان الدم، وسمعنا كل شيء حولنا ؛ ولكن الله قدر السمع بأن نسمع أشياء، ولا  
نسمع أشياء: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٤) ﴿ [الزمر: ٤] .

والبصر الله ﷻ قدره، حيث نرى الماء ولا نرى الكائنات التي فيه، لو فُتح البصر زيادة لرأينا ما فيه ، هذا الماء الذي نشرب كله مركب من ذرات ومن ميكروبات تتفاعل مع بعضها ؛ ولو رأيناها ما شربناه : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۗ ﴾ [القمر/ ٤٩] .

فهو ﷻ القدير الذي قدر المقادير، وكتبها، وعلمها، وشاءها من جميع مخلوقاته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتِ كُلَّ قَدِّعِلْمَ صَلَاتِهِ، وَسَيِّحَهُ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النور/ ٤١] .

معنى هذا أنه لا بد أن نسارع نحن إلى التسييح، لننسجم مع المخلوقات التي تسبح بحمد ربهم ، المخلوقات كلها تسبح بحمد ربها إلا هذا الإنسان الذي خلقه الله بيده، وجعله مخيراً، إن شاء آمن بالله، وإن شاء كفر: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۚ ﴾ [٢] إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿ ٣ ﴾ [الإنسان: ٢-٣] .

والله ﷻ خير جميع المخلوقات أن تكون مسخرة، أو تكون مختارة، فاختارت كلها أن تعبد الله مسخرة، واختار الإنسان أن يعبد الله بموجب التخيير، فحمل الأمانة، وسخر الله له كل شيء، وأمره بأداء الأمانة وهي التكليف الشرعية.

فمن الناس من أدى الأمانة، ومنهم من خانها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٧٢] لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ ٧٣ ﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣] .

الله هو الملك، وكل الخلائق تسبح بحمده ؛ لأن كل نعمة منه ، أنعم علي، وأنعم على غيري ، أعطاني خيراً وصرف عني شراً ، خلق لي عالم الجماد بأنواعه ، وعالم النبات بأنواعه ، وعالم الحيوان بأنواعه ، وجعل الملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون للذين آمنوا ، وخلق كل نعمة لهذا الإنسان، حتى يتفرغ لعبادة ربه، ويستعين بها على طاعة من أنعم عليه : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠] .

هذا العالم العلوي كله يسبح بحمد ربه ، السماوات ، ومن في السماوات من الملائكة كلهم يسبحون بحمد ربهم ، والعالم السفلي كله يسبح بحمد ربه العظيم ، الأرض ومن فيها من الجماد والنبات والحيوان ، وجميع الذرات والقطرات: ﴿الْمَرْتَرَاتُ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

فسبحان السميع العليم القدير الذي يسمع تسييح جميع مخلوقاته في آن واحد، ويسمع كلامهم بلغاتهم ويجيب دعاءهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وجميع الأرزاق في السماء . . والتسليم في الأرض .

والأرض محل الآيات والعبر ، ومحل استلام الأرزاق ؛ فالله يقول : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠) ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١) ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢) ﴿[الذاريات: ٢٠-٢٢].

ولو كانت الأرزاق في الارض لتقاتل الناس عليها، ولحرم بعضهم بعضاً منها.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢) ﴿[الذاريات/ ٢٢].

فالرزق كله عند الرزاق، يُنزله على عباده بقدر ، ويعرف من يستحقه ممن لا يستحقه ، وهو الكريم الذي يعطي لمن أطاعه ومن عصاه ، من آمن به وكفر به ؛ لأنه أصلاً لا رازق غيره، ولهذا تكفل وحده بجميع أقوات الخلق: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِرًا وَرَحِمَتِ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٢٣) ﴿[الزخرف: ٣٢].

فالمُلك مُلكه ، والأرض أرضه ، والنعم نعمه ، والخلق خلقه ، والأمر أمره: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُؤْفَكُونَ﴾ (٢) ﴿[فاطر: ٣].

فسبحان السميع البصير الذي يسمع حمد الشاكرين، وذكر الذاكرين، واستغفار  
 المذنبين، ودعاء الداعين: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ  
 عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

هذا الإنسان لا بد له من البيئة الإيمانية التي تذكره بالله حتى يعظمه ، وتذكره بنعمه  
 حتى يشكره ، وتبين له أنه إذا آمن بالله فله الجنة ، وإذا كفر بالله عاقبه الله في دنياه وفي  
 الآخرة : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا  
 تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ  
 وَكَانَ أَمْرَهُ فُرطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

فلا إله إلا الله كم عظمة ملكه، كم في السماء من المخلوقات، وكم في الأرض من  
 العوالم ؟ عظمة المخلوقات تدل على عظمة من خلقها كميةً، ونوعيةً، وحجماً ، كم  
 عدد المخلوقات التي لا يحصيها إلا الله الذي خلقها: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ  
 وَنَكْتُمُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢].

الله خالق كل شيء ، العرش شيء ، الكرسي شيء ، والسموات شيء ، والأرض  
 شيء ، والله خالق كل شيء: ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢].

والملائكة شيء ، والإنس شيء ، والجن شيء والله خالق كل شيء .  
 والجماادات شيء ، والنباتات شيء ، والحيوانات شيء والله خالق كل شيء ، البحار  
 شيء ، والأسماك شيء، والنيران شيء والرياح شيء، والنور شيء، والذرات شيء،  
 والله خالق كل شيء .

الله ﷻ خالق كل شيء، وهذا هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ  
 كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [١٧] وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ  
 رَحِيمٌ ﴿ [النحل/ ١٧-١٨] .

الله ﷻ بين لنا من صفة الخلق أنه هو الذي يستحق العبادة وحده: ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ  
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢]

[الأنعام: ١٠٢].

ثم الله ﷻ ليس غافلاً عن ملكه هو سميع يسمع كل المسموعات ، وبصير يرى كل المبصرات ، وعليم يعلم السر والعلن والخفيات ، وخبير بما في ضمائر النفوس .  
 فالإنسان والكون كله مكشوف أمام الله سمعاً وبصراً وعلماً ، الله عليم بكل شيء ، بصيرٌ بكل شيء ، سميعٌ لكل شيء : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

فسبحان الملك العظيم الذي تسبح بحمده جميع مخلوقاته: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

هذا الإله العظيم، والرب الكريم ، نحن بحاجة إليه في جميع أمورنا : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

نحن فقراء إلى ربنا ، وهو السميع العليم ليس غافلاً عن ملكه، يسمع فيه كل شيء ، ويرى كل شيء ، ويعلم كل شيء ، فيجب علينا أن نستحي منه ، وأن نسمعه ما يحبه ويرضاه، ونجتنب ما يسخطه ويغضبه: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ [نوح: ١٣ - ٢٠].

الله ﷻ سميع يسمع كل شيء ، يسمع الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، ويسمع كلام الصادقين والكاذبين، ويسمع كل ما يقوله الخلق : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ [آل عمران/ ١٨١].

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ [المجادلة: ١].

الله ﷻ سميع له كمال السمع ، سميعٌ لكل شيء في ملكه العظيم ، ونحن ذرة من المخلوقات التي يسمعها ، كم ذرة في الكون؟ كم نبات في الكون؟ كم شجرة ، كم

حيوان؟ كم طير؟ كم ملك؟ كم في العالم العلوي كله؟ كم في العالم السفلي كله؟ كم في قاع البحار؟ كم في باطن الجبال؟ من المخلوقات التي تُسبح بحمد ربها بأصواتها؟ ﴿الْمُتَرَنَّ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ لَهُمْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَقَتِ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتِهِ، وَتَسْبِيحِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٤١﴾ [النور: ٤١].

فسبحان السميع البصير العليم بجميع ما يفعلون في جميع الأوقات، في كل ثانية مليارات الأفعال تصدر من هذه الخلائق، فسبحان من يسمع الجميع، ويحصي ما قالوه وما فعلوه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٦﴾ [المجادلة: ٦].

وهذه المخلوقات العظيمة كلها تشير إلى خالقها الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، وكلها شاهدة بوحدانيته، ومسبحة بحمده، وخاضعة لمشيئته، ومسرعة إلى إراداته، ومتصاغرة لكبريائه: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو السميع البصير، والسميع العليم، الذي يسمع جميع الأصوات من دعاء، وأستئلة، واستغاثة، ويسمع جل جلاله أصوات الرياح والعواصف، ويسمع أصوات الرعد والصواعق، ويسمع أصوات البحار والأنهار، ويسمع أصوات المياه والنيران، ويسمع جميع أصوات الجماد، وجميع أصوات النبات، وجميع أصوات الحيوان، وجميع أصوات الإنس، وجميع أصوات الجن، وجميع أصوات الملائكة، وجميع أصوات الذرات.

يسمع الكل من هذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي عالم الغيب، وعالم الشهادة، يسمع الكل في آن واحد، ولا يُشغله سمعٌ عن سمعٍ؛ لأنه السميع العليم بكل شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى/ ١١].

فسمعته وسع جميع الأصوات، ويسمع سمع إجابة جل جلاله ، وسمع علم: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣) ﴿[الأنعام/١٣] .

فسبحان السميع البصير الذي وسع سمعه الأصوات كلها، من الأمم كلها، في الأوقات كلها، ولغات الخلق التي لا يحصيها إلا الله وحده.

في الهند أكثر من سبعمائة لغة ، كم في الصين من لغة ؟ كم في أمريكا من لغة ؟ كم في أفريقيا من لغة ؟ كم في أوروبا من لغة ؟ كم في عالم الجن من لغة ؟ كم في عالم الطير من لغة ؟ كم في عالم الحيوانات من لغة ؟ كم في السماء من لغة، كم في الأرض من لغة.

هذه معارف إذا عرفها القلب خضع لربه وأحبه ، ثم أطاعه ووحده بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، ووحده بعبادته وحده لا شريك له.

وعبد ربه بثلاث صفات :

بالتعظيم له . . والحب له . . والذل له .

فيجد أنسه وراحته في مناجاة مولاه ، يحب ربه، ويقف بين يديه ، ويقنت له ، ويستأنس به في عبادته ، ويستوحش من غيره ، فهو مع ربه عبادةً وذكراً، ودعاءً ودعوة ، لماذا ؟ لأنه عرف ، وإذا عرف احترف، واستقام على أوامر الله : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٩) ﴿[الزمر/٩] .

فالعبد الذي يذوق طعم المعرفة والإيمان يتلذذ بطاعة الله ، يبذل كل شيء من أجل أن يُعبد الله ، فهو بين يدي ربه عابداً ، وبين يدي خلقه داعياً، ومعلماً، ومحسناً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣) ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٤) ﴿[الأنفال: ٢-٤] .

فلا بد أن يسمع منا السميع ما يحبه ويرضاه ، من الأذكار والأدعية، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) ﴿[فصلت: ٣٣] .

والله ﷻ خلق الدنيا وملاها بمحوباته هو ، وجعل أمور الدين أسهل شيء ، الأذكار والأدعية ، وأنواع العبادات ، كل ما نعمله في هذا الدين من قراءة القرآن ، وتطبيق الأحكام ، وإتباع الأوامر، هي بحر الحسنات المشروعة لكل غني وفقير من المسلمين: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [النحل: ٩٧].

باب التوحيد والإيمان، وباب الطاعات والقربات، مفتوح لكل إنسان، وهو أسهل شيء.

والله حكيم عليم ضيق الدنيا على المؤمن حتى يتوجه إلى ربه ، ولا تُشغله الدنيا عن الآخرة ، ولا تُشغله النعمة عن المنعم ؛ لأن الله جعل النعم وسيلة للتقوي على الطاعة ، فالمؤمن استعملها في طاعة الله فأُنبت له الحسنات ، والكافر استعملها في معصية الله فأُنبت له السيئات، ثم يأتي الثواب والعقاب بحسب العمل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١١٠﴾

[الأنعام: ١٦٠].

فالله ﷻ سميعٌ بصير، ولكنه حليم ، وسع حلمه جميع مخلوقاته : ﴿سُبْحٰنَ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

فسبحان السميع العليم بكل شيء ، المحيط بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

هو قاضي الحاجات، ومجيب الدعوات ، وعنده خزائن كل شيء ، فلو قام الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات ، ثم سألوا ربهم حاجاتهم ، سألوا ربهم جميعاً في لحظة واحدة ، وكل تحدث بلغته ، لسمعهم أجمعين، دون أن يختلط عليه سائلٌ بسائل ، أو لغةٌ بلغة ، أو صوتٌ بصوت ، أو حاجةٌ بحاجة : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٦١﴾ [يونس/ ٦١].

هو جل جلاله محيطٌ بكل شيء ، بصيرٌ بكل شيء ، عليمٌ بكل شيء ، سميعٌ لكل شيء ، قادر على كل شيء ، وإذا عرف الخلق هذه الصفات توجهوا إلى ربهم ، وعبدوه وحده لا شريك له بالحب والتعظيم والذل له: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

وهذه هي جنة المعرفة أسأل الله ﷻ أن يرزقنا جميعاً هذه المعرفة ، فإن الإنسان إذا دخل هذه الجنة فهو في جنة لا يشبهها إلا نعيم الجنة ، ففي الدنيا جنة المعرفة ، وفي الآخرة جنة الشهوات: ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

الله ﷻ هو السميع الذي يسمع جميع خلقه، ويقضي حاجتهم جميعاً، في لحظة واحدة ، من يُطعم الأسماك في البحار؟ كلها تسأل ربها حاجتها ، من يُطعم هذه الخلائق؟ من يكفي هذه الخلائق؟ الله الذي خلق الخلق، وخلق أقواتهم، وساق أقواتهم إليهم ، وهذا يتطلب صفات من القوة ، والقدرة ، والعلم ، والسمع والبصر ، والغنى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

الله ﷻ هو المستحق لعبادة ؛ لأن له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨].  
الله ﷻ هو الغني الكريم الذي يسمع كل سائل، ويُعطي كل سائل ، كم سائل في العالم العلوي، والعالم السفلي؟ لا يحصيهم إلا الله.

هو الغني الكريم ، غني لا تنقص خزائنه أبداً ، الذي تنقص خزائنه مثقال ذرة فقير ، وكل الناس إلى الله فقير ؛ لأن الله ﷻ هو الذي أعطاهم ، كانوا فقراء فأغناهم ، وكانوا معدومين فأوجدهم ، وكانوا ضالين فهداهم ، وكانوا عراة فكساهم.

فالله ﷻ هو الغني وحده، والغني الذي لا تنقص خزائنه أبداً على كثرة الإنفاق ، ويد الله سبحانه في الليل والنهار ، والنفقة من خزائنه لا تنقصها مثقال ذرة ، لا تنقصها إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر ، ماذا يأخذ المحيط إذا غمسناه في البحر؟.

والله غني له الكمال المطلق في الغنى ، هو الغني والغنى لا ينفك عنه ؛ لأنه غني بذاته، فكل ما في السماوات والأرض ، وكل ما في العالم العلوي والعالم السفلي ،

وكل ما في الدنيا والآخرة ، كله ملكه ، كله ذرة من خزائنه جل جلاله: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١].

هذه الخلائق كلها لو سألت الله ﷻ لا ينقص ما أعطاهم من خزائنه شيئاً .  
فَسَبْحَانَ الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ الَّذِي يُعْطِي كُلَّ سَائِلٍ ، وَلَا تَنْقُصُ خَزَائِنُهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مَعَ كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ عَلَى مَرِّ الدَّهْوَرِ .

عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » أخرجه مسلم (١) .

فالمحدود إذا أخذ من المحدود ينقص ، لكن المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً: ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ [ص: ٥٤].

فَسَبْحَانَ مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، وَالصِّفَاتُ الْعُلَى ، وَمَنْ لَا تَنْقُصُ خَزَائِنُهُ عَلَى كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ: ﴿ سُبْحَانَكَ هُوَ الْعَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨].

هذا الهواء العظيم الموجود بين السماء والأرض ، كم يتنفس منه الإنسان في اليوم ؟ هذا الهواء الذي هو أسهل شيء وأعلى شيء ، لو انقطع عن الإنسان دقيقة واحدة لمات ، كم يأخذ منه كل إنسان من البشر ؟ يأخذ كل يوم ثلاثمائة وستين متراً مكعباً هواء ، ويتنفس به أربعة وعشرين ألف نفس .

ويأخذه صالحاً ، ويخرجه فاسداً يذهب بأمر الله إلى النباتات ، ويُعْطِيهَا التَّغْذِيَةَ .  
هذه البحار التي تجري بين السماء والأرض ، هذه البحار التي تحملها الرياح ، هذه السحب العظيمة ، وهذه البحار التي في الأرض ، وهذه المخلوقات كلها ، ملك

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧ .

من ؟ خلقها من ؟ يدبرها من ؟ فسبحان من جعلها مظهراً لجلاله وجماله: ﴿ذَلِكَ مِّنْ أَلْفِ رَبِّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾  
[الأنعام: ١٠٢].

فهذه المخلوقات العظيمة تدل على صفاته العظيمة ، صفات الجلال وصفات الجمال ، ، فالسماوات ، والأرض ، والجبال والبحار ، والنبات والحيوان فيها صفة الجلال والعظمة ، تدل على أن خالقها عظيم وقاهر ، وأنه ملك قادر ، وتدل على صفة الجمال ؛ لأن الماء نشربه، والطعام نأكله، والهواء نتنفسه ، والله سخر لنا في السماوات وما في الأرض: ﴿الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنُهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

فهذه المخلوقات تدل على جلال الله وعلى جماله ، وهي مخلوقات من مخلوقاته، تُسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته ، وهي مسخرة لنا تكريماً لهذا الإنسان الذي خلقه الله بيديه ، والله ﷻ سخر له ما في السماوات وما في الأرض ، ليستعين به على طاعة الله ، فيسمع ما أمره الله بسماعه من الذكر والمواعظ ، فالله أعطاني أحسن شيء ، وهو السمع الذي في الأذن.

فيجب أن أسمع به أحسن شيء وهو القرآن: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَرُّ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى لِّلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ ﴿٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

وخلق الإنسان في أحسن تقويم يريد منه أن يعمل بأحسن شيء ، لينال أحسن شيء وأحسن شيء هو الدين : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء/ ١٢٥].

وأحرك لساني وجوراحي بأحسن شيء: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

وعلاقتي مع الخلائق كلهم أن أتكلم بأحسن شيء وأقول للناس أحسن شيء : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة/ ٨٣].

فأصل من قطعني ، وأعطي من حرمني ، وأعفو عمن ظلمني ، وأحسن لمن أساء إلي ، وأمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر ، ويكون صمتي فكراً ، ونظري عبرة ، ونظقي ذكراً وتسييحاً وحمداً وعبادةً ودعوة: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فالله خلقني ورزقني وهداني، فيجب أن أعمل بما يحبه ويرضاه، وأجتنب ما يُسخطه ؛ لأنني عبده ، وليس عند العبد عمل إلا امتثال أوامر سيده ، افعَل كذا ولا تفعل كذا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِن الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

ولكن من العبيد ما هو مسخر وهم كل ما سوى الجن والإنس، ومنهم من هو مخير وهم الإنس والجن، كل منهم مخير أن يقبل الهدى أو يرده ، أن يؤمن أو يكفر ، أن يطيع أو يعصي: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٢) [الأنعام: ١٣٢].

الله خالق كل شيء ، خالق الذوات ، وخالق الأسماع والصفات والأفعال في الذوات ، لكن الإنسان يوجه الطاقة والفعل إلى طاعة الله أو معصية الله: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

• فالإنسان مركب من ثلاثة أشياء :

• جسدٌ مادي . . وروحٌ ملكي . . ونفسٌ حيواني .

• فالجسد علبة فيها مخلوقان عظيمان :

الروح . . والنفس .

الروح : بحر الطاعات والفضائل .

والنفس : بحر المعاصي والشهوات ، والله طبعها على هذا: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ

إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥٣) [يوسف: ٥٣].

فالنفس شهوانية، والروح ملكية تحب أعمال الملائكة من التسبيح والتقديس ،  
وطاعة الله، وامثال أمره .

فمثل هذه المجالس الإيمانية تذكرونا بالله ، وتعرفنا بالدنيا والآخرة ، ومن يستحق  
العبادة ممن لا يستحقها ، وتعرفنا بما يجب لله ﷻ ، من التوحيد ، والحب في الله ،  
والبغض في الله ، وأنواع العبادات والقربات .

فالحمد لله رب العالمين أن يسر لنا مثل هذه المجالس التي نسمع فيها عن ربنا ، وعن  
أسمائه وصفاته وأفعاله ، فهذه أفضل المجالس ، لأن فضل المجلس بحسب ما يُذكر  
فيه.

والله ﷻ هو العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، القوي الذي لا أقوى  
منه ، السميع الذي لا أسمع منه ، البصير الذي لا أبصر منه.

هو جل جلاله الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا ، هذا القلب إذا امتلأ بهذه  
المعارف ، نشط لطاعة الله ، وأقبل على عبادة ربه: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

الله ﷻ هو السميع البصير ، وهو السميع العليم جل جلاله ، هو السميع البصير الذي  
يسمع جميع ما في ملكه العظيم ، ويسمع جميع المخلوقات على اختلاف لغاتها  
وأماكنها وأزمانها ، يسمعهم جميعاً في وقتٍ واحد ، لكمال سمعه ، وبصره ،  
وعلمه ، وأسمائه ، وصفاته: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ  
بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

هو السميع البصير الذي يرى كل مخلوق ، ويسمعه في كل حال.

يراك أيها الإنسان حين تقوم، وحين تنام ، ويراك حينما تأكل وتشرب ، ويسمعه إذا  
أمرت أو نهيت ، أو سألت أو دعيت ، ويسمعه إذا استغفرت أو حمدت ، أو  
ضحكت أو بكيت، أو أسأت أو أحسنت : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء/ ٤] .

هو جل جلاله السميع الذي يسمع كل ناطقٍ وصامت ، ويسمع كل متحركٍ وساكن ،  
لا يُشغله سمعٌ عن سمع ، يسمع أصوات الجن ، وأصوات الملائكة ، وأصوات

الطيور ، وأصوات الأسماك ، وأصوات الرياح ، وأصوات الرعود ، وأصوات الإنس على اختلاف الأقوال والسؤالات من حامدٍ ، وذاكرٍ ، وسائلٍ ، ومستغيثٍ ، وراغبٍ ، وراهبٍ .

هو السميع الذي يسمع كل ناطقٍ وصامت ، ويسمع كل متحركٍ وساكن ، ولا يُشغله سمعٌ عن سمع ، ولا يُشغله دعاء عن دعاء ، ولا تُشغله إجابة عبد عن إجابة عبد آخر : ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩] .

يسمع كل نجوى ، ويكشف كل بلوى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢] .

هو السميع الذي يسمع ويجب جل جلاله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

لكن بشرط : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .  
 فالله ﷻ سميع قريب مجيب ، يجب الداعي إذا وحد ربه جل جلاله .

فلا بد حين أدعو ربي ليستجيب دعائي أن أتيقن أنه سيجيبي ، لأن الله كريم لا يرد سائلاً أبداً ، كريمٌ له مطلق الكرم ، لا يرد سائلاً أبداً ؛ ولكن بشرط : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

• وإجابة الدعاء لا بد من اليقين على خمسة أمور :

أن أتيقن أن الله موجود . . وأنه يسمعي . . وأنه قريبٌ مني . . وأنه قادرٌ على قضاء حاجتي . . وأنه يحب أن يرحمني ويعطيني : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

ولذا حُسن الظن بالله هو العبادة ، وزُبدة اليقين حُسن الظن بالله .  
 والله ﷻ يقول في الحديث القدسي : «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ

تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِيرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً (متفق عليه (١)).

فهو ﷻ يسمع كل نجوى في العالم العلوي والعالم السفلي ، ويكشف كل بلوى :  
﴿يَعْلَمُ حَايِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١١) [غافر/١٩] .

فالذي يليق بجلاله هو العطاء والكرم، والإحسان والعفو، والرحمة والمغفرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٥) [الحج: ٦٥].

هو السميع الكريم الذي يجيب من دعاه عند الاضطرار ، ويكشف محنته عند الافتقار : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢) [النمل/ ٦٢] .

هو جل جلاله يجيب المضطر حتى ولو كان كافر إذا استغاث به : ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَّهْم إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٦٥) [العنكبوت/ ٦٥] .

فالمضطر الله ﷻ لا يجيبه لأهليته ؛ بل يجيبه لكمال رحمته بخلقه كلهم: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٦) [الأعراف: ١٥٦].

فهو يجيب المضطر إذا دعاه أيًا كان من عالم الحيوان ، أو عالم الإنس ، أو عالم الجن ، يجيب المضطر إذا دعاه حتى ولو كان كافرًا، إذا وحد الله في تلك الحالة: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥١) [الذاريات: ٥٠-٥١].

الله ﷻ سميع أوليائه ويجيبهم فورًا ، الله ﷻ هو السميع الذي يسمع يجيب دعاء من دعاه مخلصاً ، ليس فقط يسمعه ويتركه ؛ بل يسمعه، ويجيب دعاءه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) [البقرة: ١٨٦].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٤٠٥، واللفظ له ومسلم برقم: ٢٦٧٥.

• والله ﷻ أعطى الأنبياء والمؤمنين شيئين :

الإيمان . . والتقوى، وبالإيمان والتقوى تحصل جميع البركات: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ  
ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

• وأعطى أعداءهم شيئين :

الأموال . . والأسباب، والأموال والأسباب وسائل مخلوقة ليس بيدها شيء، بل  
الأمر كله بيد الله وحده: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي  
يَنْصُرْكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

فالأنبياء يفزعون إلى الله في كل شيء ، فنحن نقرأ في القرآن : ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ  
قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَضْرَبُهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء/٧٦-٧٧].

والله ﷻ سمع دعاء نوح ﷺ ، وسمع ما قال قوم نوح حين سخروا منه ، واستهزئوا به :  
﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر/١٠].

فقال الله ﷻ : ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْمَرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ  
فَدَقِيرٍ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرِ ﴿١٣﴾ تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرًا ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١١-١٤].

فالله ﷻ يسمع من أوليائه سماع إجابة ، ويجيبهم .

وأيوب ﷺ نادى ربه السميع البصير ، نادى السميع العليم ، نادى السميع المجيب :  
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ  
فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ ۖ وَعَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ  
لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء/٨٣-٨٤].

فكل نبي، وكل مؤمن إذا دعا الله مخلصاً بعد فعل الأسباب التي يقدر عليه، فالله  
يجيب دعاءه وينصره: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ  
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

والله ﷻ ابتلى أيوب بالمرض سبعة عشر عامًا ، حتى جاءت عنده الصفة التي يحبها الله ، وهي الصبر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص / ٤٤] . فكان العلاج تحت قدمه ، ولكن الله حبسه عنه سبعة عشر عامًا ، لأنه يريد أن يرى فيه صفة الصبر ، التي هي من أعظم الصفات بعد الإيمان ، صبرٌ على الطاعة ، وصبرٌ عن المعصية ، وصبرٌ على الأقدار ، صبرٌ على تحمل مشاق الدعوة ، صبر على أذى الناس: ﴿وَأذْكَرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أِنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرِضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذُ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤-٤١].

والأنبياء والرسل كانوا كلهم جبال التضحيات ، وكلهم قمم الصفات : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

والله ﷻ فرق الصفات التي يحبها في الأنبياء والرسل ، ثم جمعها في سيد الأنبياء محمد ﷺ ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم / ٤] ، هذا له .

وقال عن أمته : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

خير أمة في التوحيد ، في الإيمان ، في اليقين ، في الأخلاق ، في الدعوة ، في العبادة ، في التعليم ، في الإحسان .

كنتم خير أمة لتدعوا شر أمة ، ليكونوا خير أمة ، كما جعل الله ﷻ دعوة النبي ﷺ في شر أمة ، فصاروا خير أمة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

• وهذه الأمة على درجتين:

الأولى: خير أمة: وهم المؤمنون، وهم أمة الإجابة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَأُوهُمَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

الثانية: شر أمة: وهم أمة الدعوة، وهم العصاة، والكفار، والمشركون، والمجوس، والهندوس، واليهود، والنصارى.

فهؤلاء شر أمة، فتجب دعوتهم إلى الإسلام ليكونوا خير أمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦].

سمعنا القرآن، والقرآن مُتَعَبِدٌ بتلاوته، الحسنة بعشر أمثالها، ولكن هذا ينقطع بعد الموت.

وَمُتَعَبِدٌ بفهمه، نقرأ القرآن ونعرف المعجزات التي فيه وأساليبه ومعانيه ودلالة ألفاظه، وتندبر خلق السماوات والأرض، هذا عبادة من أعظم العبادات: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

والأمر الثالث العمل بما في القرآن.

فالقرآن مُتَعَبِدٌ بتلاوته، ومُتَعَبِدٌ بفهمه وتدبره، ومُتَعَبِدٌ بجهدته: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١].

فإذا سمعنا: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلْتَلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَقِلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ١-٤].

نقوم الليل بين يدي الله.

وإذا سمعنا: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدِيرُ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَنِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ عَلَى مَن سَتَكَرُّهُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر: ١-٧].

نقوم بين يدي الخلق ندعو إلى الله.

وإذا سمعنا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾  
 ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ  
 يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
 الْعِقَابِ ﴾ ﴿٢﴾ [المائدة: ٢].

نسابق إلى كل فضيلة وعبادة، ونتعاون على البر والتقوى ، وإذا سمعنا لا بد أن نطيع  
 وأن نمثل: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ  
 وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ  
 الْمَصِيرُ ﴾ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ولا بد أن نسمع الناس : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿١﴾ [الإخلاص / ١] .

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢].  
 ﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
 وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

نقول للناس ما سمعناه من ربنا ﷺ من أخبار وأوامر وأحكام: ﴿ يَتَّيِّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ  
 إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي  
 الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ [المائدة: ٦٧].

فبقدر قوة اليقين على الله وأسمائه وصفاته، تكون إجابة الدعاء فوراً، كما قال عن  
 يونس عليه السلام: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلُظًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا  
 إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء / ٨٧] .

أقر بأنه ظالم لنفسه ، ومقصر ، وهذه أفضل أحوال الإنسان أن يكثر من الاستغفار ،  
 فعلاج كل بلاء هو الاستغفار : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ

السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾  
[نوح: ١٠-١٢].

فيونس عليه السلام حين نادى ربه عنده اليقين التام على أن الله موجود ، وعلى أن الله يسمع  
دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ويسمع كل من في  
السموات ، ومن في الأرض ، ومن في قعر البحار ، ومن في النور ، ومن في الظلمات .  
عنده يقين حازم على أن الله موجود ، وأن الله يسمع ، وأن الله قادرٌ على إجابته ، وأن  
عنده قضاء حاجته ، وأن الله يحب أن يقضي حاجته ، لكمال رحمته بعباده :  
﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ  
الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء/ ٨٧] .

وفوراً قال الله عليه السلام : ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ﴾ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء/ ٨٨] .

لأنه في ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ، وظلمة الوحدة والوحشة .  
هذا للأنبياء ولكل مؤمن ومؤمنة .

في المستقبل : ﴿وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء/ ٨٨] .

إذ كان عندهم هذا اليقين على أن الله موجود ، وأن الله عليه السلام سميعٌ بصيرٌ عليهم بكل  
شيء ، وأنه قادر على كل شيء ، وأنه يحب لكمال رحمته أن يقضي حاجتهم ، فهذا  
هو حسن الظن بالله .

وإذا جاء اليقين على الله ، وحسن الظن بالله ، فتح الله أبواب الإجابة لمن  
دعاه : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ فَاَسْتَجَبْنَا  
لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ  
وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠] .

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ زَوْجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً  
لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩١﴾ [الأنبياء/ ٩١] .

وهذه الأمة ، النبي عليه السلام كان في العريش في غزوة بدر ، فدعا الله عليه السلام متضرعاً أن ينصر  
دينه وأوليائه قائلاً : «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض ، اللهم إنهم جياع

فأطعمهم ، وحفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup> .  
 فنزل النصر من عند الله كما ينزل المطر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
 لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فنزل جبريل ومعه ألف من الملائكة : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي  
 مُّمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [٩] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ  
 وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال/ ٩-١٠] .

فليفزع المؤمن إلى ربه في جميع الحالات في الضراء والسراء ، حاجاته عند الله ، إذا  
 سألت فاسأل الله ؛ لأنه سميع ، وبصير ، وقادر ، ويحب أن يقضي حاجتي التي تعيني  
 على طاعته ، وعنده خزائن كل شيء : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ  
 يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فبقدر قوة اليقين ، وكمال الافتقار ، وشدة الاضطرار ، وقوة الدعاء ، يأتي الفرج بعد  
 الكرب .

والله قادر أن يدمهم في بدر بملك واحد جبريل له ستمائة جناح ، قادر بطرف جناحه  
 أن يدمرهم ، لأنه رفع بطرف جناحه خمس قري من قري قوم لوط إلى السماء ، ثم  
 قلبها عليهم ، هو الآن مكان البحر الميت: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا  
 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ [٨٢] ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ  
 الظَّالِمِينَ﴾ [٨٣] ﴿[هود: ٨٢-٨٣].

والله ﷻ قادر أن ينصرهم بملك واحد ، لكن لماذا ألف ؟ لأن الله فرح بهؤلاء  
 المؤمنين الذين ضحوا بكل شيء من أجل أن يُعبد الله ، ومن أجل أن ينتشر الدين ،  
 ومن أجل أن يرضى الله ﷻ ، وخرجوا في سبيل الله بلا عدد ولا عدة .  
 فرح بهذه المجموعة المؤمنة التي هذا أول لقاء لها مع الأعداء ، ليبين لهم أنهم  
 يُنصرون من الناصر الذي بيده النصر وحده .

(١) أخرجه مسلم برقم: ١٧٦٣ .

ففي بدر أظهر الله قوة لا إله إلا الله ، وفي أحد أظهر قوة محمد رسول الله ﷺ ، حتى يعلموا أنه الناصر وحده .

فكان يكفي ملك واحد، لكن الله فرح وجاء بألف نصره لأوليائه، ثم جاء بثلاثة الآف، ثم جاء بخمسة الآف من الملائكة، إظهاراً لقدرته، ومحبة لعملهم فقال: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٥].

ثم بين لهم أن النصر من عنده وحده: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠) [الأنفال/ ١٠].

بشرى لكم ، هؤلاء الملائكة كلهم مخاليق من مخاليق الله مأمورون من ربهم ، لكن الناصر واحد ، والرازق واحد ، والخالق واحد ، والقاهر واحد ، والغني واحد ، والمحيط واحد ، ليس بيد الخلق شيء ، الذي له الخلق والأمر هو الله ، والذي بيده الخلق والأمر هو الذي يستحق أن يُعبد ، وحده لا شريك له: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) [الأنعام: ١٠٢].

هذا هو الإله الذي يستحق أن يُعبد ، ويجب أن يُعبد ؛ لأن المَلِك مُلكه ، والأرض أرضه ، وهو الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلَى ، والأفعال الحميدة .

هو الذي خلق الإنسان مفتقراً إلى غيره ، فالإنسان إما عابد لله ، أو عابد لعبد الله من الليل والنهار ، أو الشمس والقمر أو غيرها: ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٣٧) [فصلت: ٣٧].

فالخلق كلهم عبيد لله ، والمؤمنون هم عباد الله ، والواجب نقل البشرية من العبيد إلى العبودية والعبادة لله وحده ، كل الخلاق عبيد ، نحن عبيد لمن خلقنا على هذه الصورة ، وأمدنا بالأرزاق ، وأسكننا في الأرض: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

فيجب علينا كما خضعنا لربوبيته بالخلق والقوت والنعم المادية ، أن نخضع لألوهيته بامتثال أوامره الشرعية، ونمثل أمره لصالحنا نحن ، لأننا بامتثال أوامره الشرعية نحصل على الأمن، والخلافة في الأرض في الدنيا ، ونحصل على الجنة والرضوان في الآخرة : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ ءَأُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَلَمْنٌ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] .

والله ﷻ سميع، وأمرنا بدعائه، وما أمرنا بدعائه إلا ليجيب دعاءنا ، فلندعوه، ولا نعتدي في الدعاء ، الدعاء له ضوابط ، والصلاة لها سنن وأحكام والحج كذلك ، والدعاء له شروطٌ وآداب لا بد أن نفهم هذه الأمور ، وننظر في حياة الأنبياء ماذا عملوا ، لنقتدي بهم في التوحيد واليقين ، والأخلاق والدعوة والذكر والدعاء وفي الشريعة نتبع النبي ﷺ ، وما وافق سنته ﷺ بما جاء به الأنبياء من قبله: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦] .

هو سبحانه السميع العليم بجميع مخلوقاته جل جلاله ، البصير فكل ما يجري في ملكه العظيم، من أقداره على عباده كله على مقتضى الرحمة والحكمة ، والعدل والإحسان ، هذه أمضية الله وأقداره على خلقه ، كلها رحمة ، وحكمة ، وعدل ، وإحسانٌ إلى خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠] .

والله ﷻ من اسمه السميع نعلم أن الله ﷻ يسمع كل شيء ، وإذا علمنا أنه يسمع كل شيء فلا نتكلم إلا بما يحبه ويرضاه من الأقوال ، والأذكار ، والأدعية ، والدعوة ، وتعليم شرع الله ، ونجتنب ما يُسخطه من الغيبة والنميمة ، وغير ذلك من الأمور: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣] .

فهو جل جلاله يسمع كل نجوى ، ويكشف كل بلوى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾ [النمل/ ٦٢] .

فسبحان من يجيب دعوة المضطر من مؤمن، أو كافر إذا استغاث به، لأن رحمته وسعت كل شيء .

لو لم يرحم هذا الكافر ما أسكنه في أرضه، ولا رزقه من رزقه ، ولا سقاه من مائه ، ولا يجعله يتنفس من هوائه ، ولكن الله أرحم الراحمين ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا يضره معصية العاصين : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧] .

والله غني عن العباد وعبادتهم : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦] .

هو السميع الكريم الرحيم ، الذي يجيب من دعاه عند الاضطرار ، ويكشف محتته عند الافتقار ، ويرحم ضعفه عند الانكسار ، ويقبل عذره عند الاعتذار ، ويغفر ذنبه عند الاستغفار : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾ [النمل/ ٦٢] .

وكذلك المظلوم ، فالمضطر والمظلوم يجيب الله دعاه حتى ولو كان كافر ، لماذا ؟ لأن الله يحب العدل، ويكره الظلم ، ويبغض الظلم والظلمة ، فالله لكامل رحمته وعدله، يجيب المظلوم إذا قصده ولو كان كافراً .

قال النبي ﷺ : «وَأَتَى دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» متفق عليه (١) . كل مظلوم من مسلم أو كافر .

فالله يأمر بالعدل والإحسان ، وينهى عن الظلم والبغي، وينتقم من الظالمين، لأنه لا يحب الظالمين ، فهو لاء الظلمة عصي بيد الله ، ينتقم بها ثم ينتقم منها ، ينتقم بهم من الظلمة ممن ظلم نفسه أو ظلم غيره ، ينتقم بالظالم الكبير من الظالم الصغير حتى يُنقى هذا المجمع من أهل الظلم والباطل ، ليأتي أهل العدل والحق ، فينتقم بالظالم،

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ١٤٩٦، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٩ .

ثم ينتقم منه في النهاية .

فالله سلط فرعون على بني إسرائيل ؛ لأنهم بدلوا وغيروا في دينهم ، ثم أغرق الله فرعون وجنوده في البحر: ﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ اَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥].

فسبحان الحكيم العليم، السميع البصير، في خلقه وأمره، وعطائه ومنعه، ونصره وخذلانه: ﴿ ذَٰلِكُمْ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاَعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيْلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فلا تظن أن الله غافل : ﴿ وَمَا اَللّٰهُ بِغَفِيْلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ﴾ [البقرة/ ٧٤].

الله لا يعزب عنه مثقال ذرة ، يسمع المطيع والعاصي ، ويسمع من يسبح ويحمد ويشكر ، ويسمع من يسب ويشتم ويلعن ، هو سميع لكل شيء ، ويجري من أحكامه على ما به رحمة خلقه: ﴿ هُوَ اَلْحَيُّ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَادْعُوْهُ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ [غافر: ٦٥].

فسبحان السميع ، العليم ، البصير الذي يكشف بسمعه جميع أصوات مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي ، فأقوالهم معلومة ، وأجسادهم مرئية ، وأصواتهم مسموعة: ﴿ وَاَسْرُوْا قَوْلَكُمْ اَوْ اَجْهَرُوْا بِهٖۤ اِنَّهٗ عَلِيْمٌ بِذٰتِ الصُّدُوْرِ ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللّٰطِيْفُ الْخَبِيْرُ ﴾ [الملك: ١٣- ١٤].

هو السميع الذي يكشف بسمعه كمال صفاته ؛ لأن سمعه ليس كسمع المخلوق ، المخلوق يسمع ما حوله ، ولا يسمع الأصوات إذا كثرت أو بعدت ؛ لكن الله ﷻ سميع له الكمال المطلق في السمع ، يسمع القريب والبعيد وكلُّ عنده قريب ، يسمع جميع الأصوات، باختلاف اللغات، بجميع اللهجات، مع تعدد الحاجات، في جميع الأوقات ، يسمعها في آن واحد ، ويجيب السائلين في وقت واحد: ﴿ اِنَّهٗ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ [الأعلى: ٧].

فتنكشف بسمعه كمال صفاته ، وتنكشف له المسموعات انكشافاً تاماً في جميع ملكه وملكوته .

فما هو واجب العبد إذا سمع قوله : ﴿ وَالَّذِيْنَ اٰجْتَنَبُوا الطّٰغُوْتِ اَنْ يَّعْبُدُوْهَا وَاَنَابُوْا اِلَى اللّٰهِ هُمْ

الْبَشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

فالمسلم إذا سمع القول فقد أدرك الحق ، وإذا أدرك الحق انفعل إن كانت طاعة يؤديها ، وإن كانت معصية يجتنبها وإن كان خبراً يصدقه، ولكن لا يكفي هذا الانفعال بل لابد حركة البدن بفعل الصلاة ، والذكر ، والدعاء ، والدعوة ونحو ذلك: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

• فالأمور ثلاثة :

إدراك . . وانفعال . . وحركة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ [الصف: ٢-٣].

والإنسان إذا سمع فعلية أن يمتثل ، وعليه أن يُسمع غيره ، فالله أسمعني الحق ، لأعمل به ، وأسمعه غيري ، من كافرٍ أدعوه إلى الله ، وجاهلٍ أعلمه شرع الله ، وضالٍ أهديه سواء السبيل : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ مِن تَقْوَمٍ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

فلا بد للإنسان حتى يزيد إيمانه ؛ أن يعلم أن ربه سميعٌ ، عليمٌ ، بصيرٌ ، ليسمعه ما يحبه ويرضاه ، ويجتنب ما يُسخطه ويغضبه : ﴿وَقَلِّتُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤٤﴾ [البقرة/ ٢٤٤].

فأسمعوه ما يحبه من الذكر ، والحمد ، والثناء ، والتسبيح ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله : ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ﴾ ﴿٧١﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

هو السميع الذي يسمع الكلام، ويجازي عليه، خيراً كان أو شراً فتوكل على السميع العليم وحده، يُعنيك عن كل أحدٍ سواه : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦١﴾ [الأنفال: ٦١].

والله سَمِعَ يسمع ، ويرى كل شيء ، ويشيب ، ويعاقب ، بحسب ما يسمع ويرى ويعلم : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْرَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١٦٠] ﴿ [الأنعام: ١٦٠].

والله سَمِعَ له الأسماء الحُسنَى ، والصفات العُلى ، ومن أسمائه الحُسنَى العظيمة : السميع ، والبصير .

يسمع دعاء الداعين ، ويوجب أسئلة السائلين ، وينزل في آخر كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر إكرامًا للمؤمنين ويقول : «هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ» متفق عليه (١) .

هو ينزل كما يليق بجلاله ، ويسمع وهو فوق سماواته ، وفوق عرشه ، يسمع جميع مخلوقاته ، لكن إكرامًا لعباده ينزل آخر كل ليلة ، ليعطي كل سائل ، ويغفر لكل مستغفر ، ويوجب كل داع .

فالله سَمِعَ يسمع كل شيء ، ويُسمع خلقه ما يريد منهم ، ويوجب دعاء من دعاه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [١٨٦] ﴿ [البقرة/ ١٨٦] .

ويُسمع خلقه الحق : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [٢٢] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [٢٣] ﴿ [الأنفال: ٢٢ - ٢٣] .

والله من كرمه وجوده وإحسانه أن أسمعنا الحق ، وإلا الله فطرنا على التوحيد ، ولكن اسمعنا الحق بواسطة الأنبياء والرسل وبما أنزل من الكتب : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [١٨] ﴿ [الزمر: ١٧ - ١٨] .

فالذي في قبور الشهوات ، والذي في قبور الدنيا ، والذي في قبور الغفلة ، هذا لا يستفيد إذا سمع ، الذي يسمع القرآن ولم يتأثر ، ولم يتغير ، هذا كأنه عند الله لم يسمع : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [٢٢] ﴿ [فاطر: ٢٢] .

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ٦٣٢١ ، واللفظ له ، ومسلم برقم: ٧٥٨ .

فالله ﷻ أعطانا بكرمه ورحمته السمع ، لسمع به أحسن شيء وهو القرآن ، ثم نمثل أوامر هذا القرآن ، وبذلك نكون قد سمعنا وأطعنا : ﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

والله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلاء ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السماوات والأرض ، الله ﷻ هو الملك الحق الذي تفرّد بالملك والربوبية والألوهية ، كان الخلق جميعاً في العدم ثم أوجدهم الله ، وحين أوجدهم ملكهم ، ويده وحده بقاؤهم وفناؤهم ، وهو السميع لأقوالهم ، البصير بأفعالهم ، العليم بما في ضمائرهم .

فالله ﷻ هو السميع البصير ، الذي يسمع المخلوقات كلها ، باللغات كلها ، في الأوقات كلها ، في الأزمنة كلها ، ولا يشغله سمعٌ عن سمع : ﴿ يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ ﴿٢٩﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

إن معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله تملأ القلب بالإيمان ، وإذا امتلأ القلب بالإيمان نشطت الجوارح بالأعمال ، ومعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله هي أعظم دروس التوحيد والإيمان ، وهي الدرس الذي يجب علينا دائماً أن نردده ونكرره ؛ حتى نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته ، ونعبده بمقتضاها : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢] .

## التعبد لله ﷻ باسمه السميع

معرفة السميع البصير جل جلاله بأسمائه الحُسنى، وصفاته العلى، تولد الإيمان الكامل، والحب الكامل، والطاعة الكاملة، والعبادة الكاملة، والمراقبة الكاملة، وتثمر الثواب الكامل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ [محمد/١٩].

فإذا عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، أثمرت هذه المعرفة العظيمة عملاً عظيماً وهو التعبد لله بموجب هذه المعرفة، فيبني على معرفة اسم الله السميع أمرٌ عظيم، وهو التعبد لله بهذا الاسم الكريم.

فأسمع الله السميع كل ما يحبه ويرضاه من الذكر، والحمد، والثناء، والاستغفار، والسؤال، والدعاء، وتلاوة القرآن.

وأسمع خلقه من الإنس والجن ما يحبه ويرضاه من القول الحسن، والدعوة إلى الله، والذكر والمواظب، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وأسمع أنا كل ما يحبه الله ويرضاه من الأخبار، والأحكام، والأخلاق التي جاءت في كتاب الله العظيم، وفي سنة نبيه الكريم ﷺ، وأعمل بموجب ذلك، وأدعو الناس إلى ذلك، واصبر على ذلك: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

فلا بد من تزكية النفس بمعرفة التوحيد والإيمان، تزكية القلوب بأن تملأ بالصفات التي يحبها الله من التوحيد والإيمان والإحسان، حب الله، والتوكل عليه، والافتقار إليه، والانكسار بين يديه، والخوف منه، والرجاء له، والتعظيم له، والذل له.

وتزكية الجوارح بأن أستعمل اليد وفق أمر الله، وأستعمل البصر وفق أمر الله، وأستعمل السمع وفق أمر الله، وأستعمل البدن وفق أمر الله، وأدعو الناس إلى ذلك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

[الأنفال: ٢-٤].

الله ﷻ هو السميع البصير : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾

[الشورى/ ١١] .

ليس كمثلته شيء في السمع ، ليس كمثلته شيء في البصر ، ليس كمثلته شيء في القوة  
 ليس كمثلته شيء ، فهو ﷻ واحد أحد : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ  
 يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .  
 والله ﷻ من علينا بنعم كثيرة ، وجعل الإنسان الذي يستقبل أوامره مزود بثلاث نعم  
 كبرى :

السمع . . والبصر . . والعقل : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا  
 وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [النحل: ٧٨].  
 هذا الإنسان الذي زوده الله ﷻ بهذه الطاقات ، وميزه عن غيره بالعقل واستقبال  
 الوحي ، هذا الإنسان له وظيفة ، الله ﷻ أعطانا العقل ، لنعقل به أعظم شيء وهو  
 العلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، والعلم بدينه ، وشرعه ، والعلم بثوابه  
 وعقابه .

أعطانا هذا العقل ، لنعقل به الخالق من المخلوق ، والدنيا من الآخرة ، والحسن من  
 القبيح ، والطيب من الخبيث : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
 وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ  
 بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصْرَيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ  
 وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

وأعطانا جل جلاله السمع ، لنسمع به أحسن شيء : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا  
 وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
 هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر/ ١٧-١٨] .

وليس فقط أن نسمع ؛ بل نسمع ونستجيب : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ؕ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ؕ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال/ ٢٤] .

فليس فقط أن نسمع ، الذي يسمع ولا يعمل كأنه لم يسمع، فالمعول على سمعنا وأطعنا، لا على سمعنا ، ولا على سمعنا وعصينا : ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا ءُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ؕ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ؕ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ؕ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

نستغفر الله من التقصير في معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، من التقصير في الأقوال ، ومن التقصير في الأعمال، ومن التقصير في الأخلاق، من التقصير في الدعوة، ومن التقصير في العبادة، فليس عند العبد إلا كثرة الاستغفار، لأن حق الله عظيم ، والعمل الذي تقدمه قليل، وليس على الوجه اللائق بجلاله وعظمته : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ؕ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ؕ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

والله ﷻ أعطانا بمنه وكرمه ورحمته أعطانا اللسان، لتتكلم بأعظم شيء ، وأحسن شيء : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

هذا أحسن شيء نذكر العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وندعو الناس إليه : ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؕ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

هذا أحسن شيء أن أعرف الحق ، وأدعو إلى الحق ، واجتهد على نفسي بالعلم والعمل، والعبادة والاستقامة ، واجتهد على غيري بالدعوة والتعليم، والإحسان ، هذا هو أحسن شيء .

فعبودية اللسان أن يتكلم بأعظم شيء وأحسن شيء ؛ وأحسن شيء أن يذكر الله ذكراً كثيراً ، وأن ندعو إليه : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ  
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴿الأحزاب: ٤١ - ٤٣﴾.

وَأَنْ تُعَلِّمَ شَرْعَهُ : ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِنِيمَانٍ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ ﴿٧٦﴾﴾  
[آل عمران/ ٧٩] .

وَأَنْ نَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ﷻ ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَاجْتِنَابِ عِبَادَةِ مَا  
سِوَاهُ : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ  
مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦] .

هُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي أَعْطَانَا هَذِهِ الْأَسْمَاعَ ، وَالْأَبْصَارَ ، وَالْعُقُولَ ، وَأَعْطَانَا الْجَوَارِحَ ،  
وَجَعَلَ الْجَمِيعَ أَمَانَاتٍ فِي أَيْدِينَا ، فَالْعَقْلُ أَمَانَةٌ ، وَالْبَدَنُ أَمَانَةٌ ، وَالْقَلْبُ أَمَانَةٌ ،  
وَالْبَصَرُ أَمَانَةٌ ، وَالسَّمْعُ أَمَانَةٌ ، وَالزَّمَانُ أَمَانَةٌ ، وَالْمَكَانُ أَمَانَةٌ ، وَالْمَالُ أَمَانَةٌ .

وَاللَّهُ ﷻ أَمَرَنَا بِإِدَاءِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي قَبَلْنَاهَا، وَعَرَضَهَا عَلَيَّ غَيْرِنَا فَأَبَاهَا :  
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا  
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ  
وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾  
[الأحزاب: ٧٢ - ٧٣] .

وَالْأَمَانَةُ : هِيَ قَبُولُ الدِّينِ ، وَنَشْرُ الدِّينِ ، هَذِهِ الْأَمَانَةُ هِيَ قَبُولُ الْحَقِّ ، وَالْعَمَلُ بِهِ ،  
وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ : ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ - ٣] .

فَاللَّهُ ﷻ لَعَنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا أَعْرَضُوا عَنِ الدِّينِ ، وَحَرَفُوا ، وَبَدَلُوا ، وَتَرَكُوا الدَّعْوَةَ  
إِلَى اللَّهِ : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ  
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ  
لَيْتَسَّ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩] .

فَاللَّهُ ﷻ نَقَلَ مِنْهُمْ هَذِهِ الْأَمَانَةَ وَهَذَا الدِّينَ الْحَقَّ ، إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ لِأَنَّهَا خَيْرُ أُمَّةٍ  
أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَخَيْرِيَّتُهَا فِي أَنَّهَا : تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُؤْمِنُ

بالله ، وتعلم شرع الله ، وتعبد الله، وتجاهد في سبيل الله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ  
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ  
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴿

[آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ  
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴿ [التوبة: ٧١].

وهذا جزاؤهم: ﴿ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴿ جَزَاؤُهُمْ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ  
خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ ﴿ [البينة: ٧-٨].

﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمْ  
الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴿ [التوبة: ٨٨-٨٩].

والله ﷻ أمرنا بأداء الأمانة ، بقبول الحق ، والإيمان بالحق ، والدعوة إلى الحق ،  
وتعليم الحق ، ليس عندنا عمل غير هذا العمل .

فالواجب علينا أن نسارع إلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال ، والأعمال ،  
والأخلاق : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا  
الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴿ [الحج/ ٧٧] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴿ [آل عمران/ ١٠٢] .  
﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ  
عَذَابُ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴿ [آل عمران/ ١٠٤-١٠٥] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴿ [الأحزاب/ ٧٠-٧١] .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣)

[فصلت/ ٣٣] .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٠)

[آل عمران/ ٢٠٠] .

اسم الله السميع، اسم عظيم من أعظم أسماء الله الحسنى ؛ لأنه يقتضي سامعاً ، ومسموعاً منه ، ومسموعاً ، فالذي يسمعنا هو الله ﷻ ، والذي نسمع منه هو الحق ، والسامع له هو من آمن به .

فهذا الاسم اسم عظيم ، اسمٌ يستغرق وقتاً طويلاً في الكلام عنه .

• وأركان التعبد لله بهذا الاسم الكريم ثلاثة أمور :

أولاً : ماذا أسمع ؟ .

ثانياً : ماذا أسمع ؟ .

ثالثاً : من أسمع منه ؟ .

فالله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى ، وإذا أخبرنا أنه السميع ، فيجب أن نعرف السميع بذاته وأسمائه وصفاته ، وماذا نسمع منه ، وماذا نسمع ، ومن أسمع .

أما ماذا أسمع ؟ فالواجب علي أن أطيع السميع العليم البصير ، الذي خلق لي السمع ، وبين لي ما أسمع مما يحبه ويرضاه ، وأعظم ما أتلو وأسمع كتابه العظيم الذي فيه تبيان كل شيء : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ

الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أَولو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر/ ١٧-١٨] .

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢٤) [الأعراف/ ٢٠٤] .

وأسمع سماعاً إيجابياً فالمعول عليه سمعنا وأطعنا ، وكتاب الله العظيم هو أحسن الكتب ، وأشملها ، وأعظمها ، وهو المهيمن علي جميع الكتب ، الممين الذي بين الله فيه أحسن الأخبار والأحكام والأخلاق : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨١) [النحل/ ٨٩] .

والقرآن الكريم هو كلام الله ﷻ ، متعبدٌ بتلاوته ، وفهمه ، وتدبره ، والعمل به : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٥٥) [الأنعام/ ١٥٥] .

فالواجب على المسلم أن يطيع السميع العليم الذي خلق فيه السمع ، وبين له ما يسمع مما يحبه الله ويرضاه ، وأعظم ما يسمع هو كتاب الله ﷻ ، الذي فيه تبيان كل شيء ، نقرؤه تارة، ونسمعه تارة كما في الصلوات السرية والجهرية: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف/ ٢٠٤] .

فأنا أسمع القرآن ، فالأخبار أصدقها، والأوامر أفعالها، والمناهي أجنبها، فهذا الذي سمع، وفهم، وعمل ، وآيات القرآن سماعها فيه أجر ، وقراءتها فيها أجر ، وفهمها فيه أجر ، وإبلاغها للناس فيه أجر ، والعمل بموجبها فيه أجر: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠] .

فربنا ﷻ هو الحق الذي أنزل الكتاب بالحق ، ويريد منا أن نعرف الحق، لنعمل بالحق وندعو الناس إلى الحق ، وكل ما سوى الله ودينه وشرعه كله باطل ، والباطل في مقابل الحق ، كما أن النور في مقابل الظلمات، والنهار في مقابل الليل .

والله ﷻ خلق الكون، وزينه بآياته ومخلوقاته ، وكلها محكمة ، وكلها في إتقان، إلا حركة الإنسان، فهو إن سمع الهدى، وعمل به صار من المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، صار من أهل الصفات التي يحبها الله .

وإن لم يسمع الهدى أو سمعه وأعرض عنه، صار كالحيوانات ، أو كالسباع ، أو كالشياطين، فاشتغل في المنكرات والفواحش، و صار فاسداً ومفسداً .

فالقرآن متعبد بتلاوته ، الحرف منه بعشر حسنات، وكذلك هو متعبد بفهمه ، أن أفهم ماذا يريد الله ﷻ من هذا النص ، وأعرف أسراره ، ومعانيه ، وأتدبر أخباره أحكامه ، وما واجبي نحو هذا النص؟ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء/ ٨٢] .

• وحتى تفهم القرآن لا بد من العلم بأمرين :

الأمر الأول : أنني مخاطبٌ بالقرآن ، لأعمل بالقرآن، وأدعو إلى ما في القرآن من أخبار والأحكام: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذُكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

الأمر الثاني : لا بد أن أفهم مواضيع القرآن، ومقاصد القرآن.

• وفهم القرآن مبني على أمرين :

العلم بالأخبار .. والعلم بالأحكام.

• فالقرآن إما خبرٌ أو إنشاء، والخبر نوعان:

الأول: خبرٌ عن الله بأسمائه وصفاته وأفعاله كقوله ﷻ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَدٌ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

وقوله ﷻ : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤ ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

وقوله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٢٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: خبرٌ عن مخلوقاته ، خبرٌ عن خلق السماء والأرض : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝٨ ﴾ [ق/٦-٨] .

أو خبرٌ عن الجبال ، أو خبرٌ عن البحار ، أو خبرٌ عن الإنس ، أو خبرٌ عن الجن ، أو خبر عن الملائكة، أو خبر عن النباتات ، أو خبرٌ عن الحيوانات ، أو غيرها.

فهذه الأخبار أخبار أخبر بها الله عن مخلوقاته التي خلقها: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وإذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرفنا عظمة آياته ومخلوقاته، آمنا به وصدقناه، وأجبناه وكبرناه، وحمدناه وشكرناه، وأطعناه وعبدناه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

والله ﷻ ملاً الكون بمخلوقاته ، وأرانا هذه المخلوقات العظيمة، وسخرها لنا: ﴿الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْعَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].  
وجميع مخلوقات الله شاهدة بوحدانيته ، ومسبحة بحمده ، وخاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى ارادته : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِلْعَمَلِ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢].  
[الطلاق/ ١٢].

وإذا علمنا ذلك بقلوبنا امتلاً القلب بالإيمان ، وامتلاً بحب الله ، وتعظيم الله ، وأقبل على ربه وأحبه ، ثم أطاعه وعبده ، وجاء فيه مزاج سمعنا وأطعنا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

القسم الثاني : إنشاء وهو طلب فعل ، وطلب ترك  
طلب فعل مثل : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور/ ٥٦].

وطلب ترك مثل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

العلم بالله ، والعلم بمخلوقاته يثمر تعظيم الله ، وتكبيره ، ومهابته ، والخوف منه ، والحب له ، والثناء عليه ، وحمده ، وشكره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

فإذا عرفت القرآن، وما فيه من هذه الأخبار العظيمة والأحكام الحسنة ، تولد عندي التبعذ لله به، وهو القسم الثالث .

فالقرآن متعبد بتلاوته ، ومتعبد بفهمه ، ومتعبد بالعمل بأحكامه ، بالعمل بما سمعته وقرآته .

فإذا سمعت خبراً أو أمراً أو نهياً أكون أول من يقوم بهذا العمل: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١-١٢].

فإذا سمعت : ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٢] .  
أطيع الله ورسوله ، وأكون أول من يطيع الله ورسوله .

وإذا سمعت : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].  
أدعو إلى الله في كل مكان وزمان وحال .

وإذا سمعت : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور/ ٥٦] .

أكون أول المبادرين إلى ذلك، وهكذا في سائر الأحكام.

وإذا سمعت : ﴿وَالْعَصْرَ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣] .

أكون من هؤلاء الذين فيهم أربع صفات ، كانت في الأنبياء، وأصحاب الرسول ﷺ وهي:

آمنوا . . وعملوا الصالحات . . وتواصوا بالحق . . وتواصوا بالصبر .

الحق ثقيل على النفوس حتى نعرفه، لهذا إيلاغه للناس يحتاج إلى مجاهدة ، يحتاج إلى قوة الإيمان ، يحتاج إلى الوقت ، إلى الفكر ، إلى البذل والترك من أجله، والتضحية بكل شيء من أجله، فلا بد من الصبر .

فجميع آيات الصبر في القرآن في أكثر من ثمانين موضعاً على مشاق الدعوة ، وإبلاغ الحق للناس ، وتعليم الناس والصبر على أذى الناس : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم/ ٦٠] .

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [١٣٧]

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣٨﴾ [النحل/١٢٧-١٢٨].

وإذا سمعت : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ ﴾ [الحج/٧٨].

بذلت كل ما أملك ، وجاهدت في سبيل الله ، لإعلاء كلمة الل ،ه بلساني ، ومالي ، وبدني ، ووقتي .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾

[الأحزاب: ٤١-٤٢].

اذكر الله ﷻ ذكراً كثيراً أذكر الله ذكراً كثيراً في الصلوات ، في الصيام ، في أقوال اللسان من الذكر والتسبيح والدعاء .

أذكر أمر الله فأمثله ، وأذكر نهيه فأجتنبه ، أذكر حلاله وحرامه ، فلا تمتد إلى الحرام ، واستعمل الحلال فيما يرضي الله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۗ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۗ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

أكون أول المبادرين إلى هذا واستجيب لله ورسوله .

وهكذا القرآن متعبد بتلاوته ، ومتعبد بفهمه ، لا يكفي أن أتلوه فقط ، أو أفهمه فقط ، بل لابد من العمل بعد الفهم ، فالقرآن أنزل : ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى

الْكَافِرِينَ ﴾ [يس/٧٠].

فالقرآن أنزل للأحياء ، ليصدقوا أخباره ، ويمثلوا أوامره ، ويجتنبوا نواهيه ، ويقومون الناس عليه : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو

الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

• ففي القرآن واجبان عظيمان لا تصلح البشرية إلا بهما :

واجب انفرادي . . وواجب اجتماعي .

الأول: الواجب الانفرادي : العبادة بيني وبين ربي بأنواع العبادات مثل قراءة القرآن، والصلاة ، والصوم ، والأذكار ، والأدعية، وغيرها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٧٧﴾ [الحج: ١٧٧].  
 الثاني: الواجب اجتماعي: الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ،  
 النصيحة للمسلمين ، والإحسان إلى الخلق .

هذه واجبات اجتماعية لا بد منها حتى تتغير حياة الخلق كلهم ، ويتوجهوا إلى ربهم،  
 ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والله ﷻ أعطى هذه الأمة ما أعطى الأنبياء ، والأنبياء أعطاهم الله ﷻ أمرين :  
 العبادة ، والدعوة ، وأعطى هذه الأمة كذلك العبادة والدعوة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا  
 فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
 وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾  
 [البقرة: ١٥١-١٥٢].

فتلاوة القرآن أجورها محدودة ، ختمت عشر مرات ، خمسين مرة ، ثم مات المسلم  
 انقطع أجر تلاوته بموته .

والتدبر والفهم إذا لم يجدد ويزيد الإيمان في القلب، ويحرك الجوارح بالطاعات فلا  
 قيمة له، وصاحبه كأنه لم يسمع ؛ لأنه مقبور في سجون الشهوات ، وملاذ الدنيا، عن  
 الانتفاع بالقرآن بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ  
 وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ  
 ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٤] .

فالشهوَات قبور وسجون: شهوات المال ، شهوات الطعام والشراب ، شهوات  
 النساء ، الشهوات كلها حجاب يحجب الإنسان عن امتثال أوامر الله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ  
 خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

فكل إنسان يحمل مخلوقين عظيمين:

أحدهما: النفس : بحر الشهوات ، وهي أرضية سفلية تحب الشهوات بأنواعها فقط .

والروح : بحر الطاعات ، وهي علوية ملكية تحب العبادات بأنواعها فقط .

فإذا وجد المذكر نشطت الروح الملكية على النفس الحيوانية ، فأعان الله صاحبها

على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي.

وإذا لم يوجد المذكر ؛ غلبت النفس الحيوانية على الروح الملكية، فصارت تسمع ما لا يحبه الله ولا يرضاه من الأقوال والأعمال السيئة ، وتعمل بالمعاصي ، ويعينها على ذلك الشيطان ، وما بسط الله للناس من هذه الدنيا: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣].

فمن أعرض عن الدين فإنه يعاقب بعقوبة من الله، لعله يعود إلى ربه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام/ ٤٤] .

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

فالمقبور في سجون الشهوات لا يمكن أن يفهم القرآن ، لا يمكن أن يعمل بالقرآن ، لا يمكن أن يضحي بوقته و ماله ونفسه من أجل إعلاء كلمة الله ونشرها في العالم ، لا يمكن أن يجتهد على نشر الصلاة في العالم ، على نشر الصوم في العالم على نشر أخلاف الدين في العالم ، على نشر أحكام الشرع في العالم ، هذه سجون الشهوات تمنع صاحبها من فعل الخيرات: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر/ ٢٢] .

المقبور في هذه السجون لا يستطيع أن يسمع ، وإذا سمع لا يستجيب: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [٢٢] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [٢٣] [الأنفال: ٢٢ - ٢٣].

وواجبنا أن نجتهد على مثل هذا، حتى يسمع ويقول : سمعنا وأطعنا: ﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [السجدة: ٣].

• أما ماذا أسمع :

فالواجب علي أن أسمع عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، حينما اسمع أسمع أحسن شيء ، أسمع عن الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله ؛ ليعظم الله عز وجل في قلبي ، ويزيد إيماني بربي .

أسمع وأقول لنفس وللناس : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/١-٤] .

أسمع وأقول لنفس وللناس : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/٢٥٥] .

أسمع وأقول للنفس وللناس : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/٢٢-٢٤] .

أسمع عن الله ، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله ، حتى يترسخ في قلبي عظمته ، وهيبته ، وحبه ، وتمجيدته ، وإجلاله ، وتوقيره : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٧] .

وأسمع عن الملائكة ، والرسل ، والأنبياء الذين هم أفضل الخلق ، لأقتدي بهم في نياتهم ، وأقوالهم ، وأفعالهم ، وأخلاقهم .

أسمع عن الملائكة الذين خلقهم الله من نور ، وهم في العالم العلوي : ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠] .

وأسمع عن الأنبياء والرسل الذين هم أعرف الخلق بالله ، وأعبدهم لله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠] .

وكذلك أسمع لنصائح المؤمنين ، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ

اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١].

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ [غافر/ ٧-٨].

فالله ﷻ يحب لنا أحسن شيء، وهو أن نكون في أعلى درجات الإنسانية ، وهي الإسلام ، وأعلى درجات الإنسانية تقرب من أدنى درجات الملائكة ؛ لأن الملائكة : ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء/ ٢٠].

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم/ ٦].

لأنهم ليس عندهم شهوات ، فهم جُبلوا على التسبيح و التحميد وطاعة الله.

وأسمع كذلك الدروس العلمية التي تبين أحكام الشريعة ، التي جاء بها محمد ﷺ ، لأرفع الجهل عن نفسي ، وأعبد الله على بصيرة ، ويحسن عملي ، وتقبل أقوالي وأعمالي ، وأعمل بموجب ذلك، وأعلمه الناس : ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وقال النبي ﷺ : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري (١).

وقال ﷺ : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه (٢).

الفقه في أسماء الله وصفاته وأفعاله ، الفقه في دينه وشرعه ، الفقه في الحلال والحرام ، الفقه فيما يحبه الله ويرضاه ، الفقه فيما يسخط الله ويكرهه ، حتى أفعل هذا، وأجتنب هذا ، وأعبد من يستحق العبادة ، وأكبر من يستحق التكبير ، وأعظم من يستحق التعظيم ، واسأل الكريم ، وأستعين بالقوي القادر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

فهذه المعرفة تولد العبودية ، هذه المعرفة التي جاءت عن طريق القراءة ، أو عن

(١) أخرجه البخاري برقم: ٥٠٢٧.

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٣١٢ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٠٣٧ .

طريق السماع عليها عبودية أعظم ، أن أستجيب لقول الله ورسوله ، أسمع من الله ومن رسوله وأستجيب : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾

[الأَنْفَال: ٢٤].

فمن لم يعرف الله كأنه ميت ، جاءت فيه نفخة الرسول الملكي بنفخ روحه التي يشترك فيها مع الحيوانات ، والتي بها حياة الأبدان، ولم تأت نفخة الرسول البشري الذي هو الوحي ، والذي به حياة القلوب، والذي أنزله الله على رسوله بواسطة جبريل : ﴿ أَوْمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١١٢﴾

[الأَنْعَام: ١٢٢].

فاسمع الدروس العلمية ، حتى يقوي إيماني، فأحب عبادة ربي، حتى يحسن عملي ، كيف أصلي ؟ كيف أصوم ؟ كيف أزكي ؟ كيف أحج ؟ كيف أمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر ؟ كيف أقيم الحدود الشرعية ؟ كيف أقسم المواريث ؟ كيف أتزوج على السنة ؟ كيف أكل بالسنة ؟ كيف أنام بالسنة ؟ كيف ألبس بالسنة ؟ أتعلم الأحكام الشرعية، حتى أعبد الله، على ما جاء به رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

فلا بد من الإخلاص ، إخلاص العمل لله والمتابعة لرسول الله، إذا صدر ذلك عن مؤمن : ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ [النحل/ ٩٧] .

لا بد أن اسمع عن حياة الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

﴿ وَذَكَرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَادِقًا نَّبِيًّا ﴾ ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ

يَا رَبِّهِمْ لِمَ لَمْ تَنْتَه لَارْجَمْنَاكَ وَاهْجُرْنَا مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَعْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَذَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴿[مريم: ٤١-٥٥].﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴿[مريم: ٥١].﴾

أنا لا بد أن أعرف حياة الأنبياء وأسمع عن الأنبياء ، حتى أقتدي بهم في نياتهم ، وأقوالهم ، وأفعالهم ، وأخلاقهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

والقرآن مشتمل على هذه الأمور العظيمة ، فلا بد لي أن أعرف هذه الأمور حتى أكون قرآناً يتحرك ، بالآداب والسنن ، والفرائض ، والواجبات ، وما يحبه الله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٨].

هذا ما يجب علي أن أسمع: أسمع القرآن كتاب ربي الذي فيه تبيان كل شيء ، لأصدق أخباره ، وامثله أوامره ، واجتنب نواهيهِ .  
وأسمع عن الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، ومخلوقاته ، ليعظم ربي في قلبي ، وأحبه وأعبده .

وأسمع عن الملائكة والرسل والأنبياء لأقتدي بهم ، وأقوم بما يقومون به .  
وأسمع الدروس العلمية التي تبين التوحيد والإيمان ، وأحكام الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ .

وأسمع دروس الوعظ والإرشاد ، والوعد والوعيد ؛ ليمتلئ قلبي بالإيمان ، وحب الله وخوفه ورجائه ؛ لأن هذه القلوب إذا جاءها الوعظ والإرشاد أنبتت من كل زوج بهيج .

إذا عرفناها بالله وأسمائه وصفاته ، وذكرنا نعمه وإحسانه تأثرت ، كما تتأثر الأرض

إذا نزل عليها الماء : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ  
وَأَبْتَتَ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾﴾ [الحج/ ٥] .

فمجالس الوعظ والإرشاد تحرك الإيمان في القلب ، ومجالس العلم تزين الأعمال  
التي يقوم بها، حتى تكون مقبولة عند الله .

فالوعظ والإرشاد، والكلام عن الوعد والوعيد ، وعن الجنة والنار ، يحرك الإيمان  
في القلب ، ويجعله يقبل على الطاعات ، ويتعد عن المعاصي ، ويمتلئ بالخوف  
من الله، والحذر من معصيته: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا  
تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ  
كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] .

فالترغيب والترهيب يحرك القلب إلى طاعة الله ﷻ كما قال الله ﷻ مبشراً للمؤمنين في  
كتابه : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ  
فِيهَا أَنْوَاعٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥] .

وقال منذراً للكفار والمنافقين : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ  
جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء/ ٥٦] .  
﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ  
وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة/ ٦٨] .

فالناس إذا سمعت الترغيب والترهيب أقبلت على الطاعات ونفرت من المعاصي ،  
لذلك إذا سمعنا عن الجنة والنار، اشتقنا للجنة ونعيمها ، وما فيها مما لا عين رأت ،  
ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وإذا سمعنا عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، عظمناه وكبرناه، وأحببناه، وعبدناه.  
فهذا ما أسمع، وما يجب علي أن أسمعه، وما أتعبد لله بسماعه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ  
أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ  
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨] .

• أما من أسمع فهم ثلاثة :

الله ﷻ . . . والنفس . . . والناس .

إذا سمعت خيراً؟ أسمع الله ﷻ ، وأسمع نفسي ، وأسمع الثقيلين الإنس والجن .  
هذا الكلام يحمل على أجنحة الملائكة ، ويزيد منسوب الإيمان في العالم ، ونستدر  
به رحمة الله ﷻ: ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾  
[آل عمران: ٧٩].

فالذين أسمعهم ثلاثة هم : الله ﷻ ، والنفس ، والناس .

ماذا أسمع ربي ﷻ؟ أحسن ما يسمع مني ربي ﷻ تلاوة كتابه العظيم: ﴿ أَمَّنْ هُوَ  
قَنَيْتُ عَانَاءَ آلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ  
لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر: ٩].

الله ﷻ يحب أن يسمع كلامه من خلقه ، والإكثار من تلاوته: ﴿ وَمِنَ آلِيلٍ فَتَهَجَّدَ  
بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ ﴿٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].  
شيء كلامه يتلوه خلقه ، ولهذا أمرنا بقراءة القرآن: ﴿ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾  
[المزمل: ٢٠].

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو  
الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١٨﴾ [الزمر/ ١٨] .

ورغبنا في تلاوته: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ ﴿٢٩﴾ [فاطر: ٢٩].  
فأعظم شيء أسمع ربي دعاءه من كتابه : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ  
أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿١٤٧﴾ [آل عمران/ ١٤٧] .

﴿ رَبَّنَا نَقَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿١٢٧﴾ [البقرة/ ١٢٧] .  
﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].  
﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨] .  
﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ [النمل/ ١٩] .

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٤٠-٤١] .

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح/ ٢٨] .

فالله ﷻ يحب الذكر ، والدعاء ، والحمد ، والثناء ، والاستغفار ، فلنذكر الله ﷻ وندعوه ، ونحمده ، ونشني عليه ، ونستغفره ، فالله ﷻ سميع سمع إجابة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

ونستغفر الله ونتوب إليه من جميع المعاصي ، ونستغفر الله كثيراً : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤٧] .

نستغفر الله ؛ لأن الإنسان يخطئ كثيراً ، والاستغفار يغسل الذنوب ويثمر كل خير وبركة : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَنِينٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح/ ١٠-١٢] .

فإذا علمنا أن الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، سميع يسمع جميع أصوات الخلق في السموات والأرض، في آن واحد ، فلنسمعه ما يحبه ويرضاه من الأذكار والأقوال ، والحمد والثناء ، والدعاء والدعوة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَخِّوْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾

[الأحزاب: ٤١-٤٣] .

ومن عرف أن ربه هو السميع البصير ، لم ينطق لسانه إلا بما يرضيه ، ولم تتحرك جوارحه إلا بما يحبه الله ويرضاه ، ويستحي من ربه في كل حال ؛ لأن نعمه عليه تنزل ، وهو يبارز ربه بالمعاصي، ويراقب مولاه في كل قول أو عمل ، ويحاسب نفسه

علي أقواله وأفعاله : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر/ ١٨] .

والمسلم إذا سمع كلام ربه ﷻ فعليه أن ينفع نفسه ، ويُسمع غيره ، فأنا أسمع ثلاثة : الله . . والنفس . . والناس .

وقد مر بنا ما نسمع ربنا ﷻ ، فنسأله ﷻ ونتوجه إليه ، بالذكر والدعاء والاستغفار ، ونسمعه ما يحبه ويرضاه من الأقوال التي يحبها ﷻ ، وندعوه ونتيقن أنه سيجيبنا :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [٨٣] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤] .

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَأَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٧] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٧-٩٠] .

وأسمع ربي كتابه ، وأدعوه ، وأحمده ، وأثني عليه ، واستغفره ، وأتوب إليه .

• أما ماذا أسمع الخلق من الإنس والجن ؟

فالواجب علي أن أسمعهم ما يحبه الله ويرضاه ، وهو دينه الحق وكتابه الحق : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

• والخلق الذين يجب علي أن أسمعهم الحق أقسام :

القسم الأول : الكفار والمشركون .

هؤلاء أدعوهم إلى الله ، وأسمعهم كلام الله ، وأسمعهم عن الله وأسمائه وصفاته ، وعن آلائه وإحسانه، ليعظموا الله ﷻ ويكبروه ، ويحبوه ويوحدوه، ويؤمنوا به ويعبدوه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

• والدعوة إلى الله تكون بأربعة أمور :

ذكر الله بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعدته ، ووعيده .  
 ذكر الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله، وذكر صفات جلاله، ليعظمه الناس ويكبروه . .  
 وذكر نعمه وإحسانه، وذكر صفات جماله، ليجبه الناس . .  
 وذكر وعده لمن أطاعه بالجنة .. ليجبوه، ويطيعوه وذكر وعيده لمن عصاه بالنار،  
 ليحذروا ومعصيته .

فالناس إذا عرفوا الكبير كبروه ، وإذا عرفوا العظيم عظموه ، وإذا عرفوا الكريم  
 والرزاق ، والمحسن والرؤوف الرحيم أحبوه ، وإذا أحبوه آمنوا به أطاعوه وعبدوه ،  
 فرضي عنهم وأرضاهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾  
 جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ؕ أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ  
 ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

هذا العلم الإلهي علم عظيم ، قد غفل عنه أكثر الخلق ، لا بد من هذه المعارف،  
 حتى يتأثر القلب ، فإن القلب هو الملك الذي يأمر الجوارح بالعبادة والطاعة،  
 وامتنال أوامر الله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ  
 الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ  
 مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

فأسمع الخلق أولاً : الكافر والمشرك أدعوه إلى الله، وأسمعه كلام الله : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ  
 مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا  
 يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة/ ٦]

يجب عليك أيها المسلم إذا قابلت كافراً أو مشركاً أن تدعوه إلى الله، حتى ينجو من  
 النار، واجب عيني علينا، وعلى كل فرد في الأمة ، رجلاً كان أو امرأة ، أو طفلاً  
 عاقلاً .

فهذا الدين في عهد إبراهيم انتشر بثلاثة إبراهيم ، وإسماعيل ، وهاجر ، وفي هذه

الأمة انتشر في البداية بواسطة الرجال والنساء: النبي ﷺ ، وأبو بكر ، وخديجة ، وعلي ، كل الأصناف الثلاثة موجودة في الدعوة إلى الله ، وليس في مكة في أول الأمر فريضة تراحم فريضة الدعوة ، إلا فريضة التوحيد والإيمان .

ليس هناك فريضة ، لا صلاة ولا صيام ، ولا زكاة ولا حج ، ليس هناك فريضة تراحم فريضة الدعوة ، لأن الدعوة أم الأعمال ، والصلاة فرضت قبل الهجرة بسنة .

فَنَسَمِعَ الْكَافِرَ أَحْسَنَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ ﷻ ، أَسْمَعَهُ كَلَامَ اللَّهِ بِمَا فِيهِ مِنْ كَلَامٍ عَنِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَالْكَلَامُ عَنِ آيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَالْكَلَامُ عَنِ نِعْمِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَالْكَلَامُ عَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَعَنِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَعَنِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ ، حَتَّى يَتَأَثَّرَ ثُمَّ يُسَلِمُ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

والله ﷻ منّ علينا فأعطانا أو اني نضع فيها الحسنات والأجور في الدنيا: أعطانا الكافر لندعوه إلى الله فيسلم، والله قادر أن يهدي الناس جميعًا ، ولكنه منّ علينا بوجود هذا الجنس من الخلق .

ومنّ علينا كذلك بوجود الجاهل لتعلمه ، والغافل لندكره ، حتى يكون في صحيفتنا. ومنّ علينا بوجود الفقير حتى نطعمه ، وبوجود العاجز حتى نعينه ، وكل ذلك أبواب عظيمة من الحسنات والمنافع .

فواجبنا العظيم نحو الكافر والمشرِك ، أن نعرفهم بالله، ليعظموه ويحبوه ويوحده: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

فإذا استمعت الناس هذه الآيات ، قلوب الخلق واحدة تتأثر ، تتأثر بما تسمع من كلام الله ﷻ ، وتتلو عليهم كتاب الله ﷻ ، والآيات المذكورة به، حتى تتأثر قلوبهم بذكر الله، وتلين وتؤمن بالله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۗ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ  
 أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا  
 كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا  
 عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴿٥﴾

[يونس: ٣-٥].

أُسمع الكافر والمشرِك هذه الآيات ؛ لأنها تنزل على القلوب فتشمر التوحيد والإيمان، كما ينزل المطر على الأرض ، فتنبت من كل زوج بهيج ﴿٥﴾ وَتَرَى الْأَرْضَ  
 هَامِدَةً فإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ يَٰنَا  
 اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ  
 اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴿الحج: ٥-٧﴾.

فالكافر عنده عقل يعقل به ، ولكن عقل به الدنيا فأقام الدنيا ، ولو عرفنا هذا الكافر  
 بآيات الله ومخلوقاته، لأقبل على ربه، وآمن به : ﴿٥﴾ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ  
 وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴿الأعراف/ ٥٤﴾ .  
 الله ﷻ له الأوامر الملكية ، وله الأوامر الشرعية .

فالعاقل يعقل هذه الأمور ، وإذا عقل هذه الأمور أقبل على ربه ، وعرف أن المدبر  
 لهذا الكون واحدٌ أحد ، قادر على كل أحد ، ولا يحيط به أحد ، وهو المحيط بكل  
 أحد ، الخالق لكل أحد، فتوجه إلى ربه وعبده : ﴿٥٤﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ  
 يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴿الأنعام/ ١٠٢-١٠٣﴾ .

أُسمع الكافر آيات ربه، وأتلو عليه الكتاب ، النبي كان يزور الكفار، ويتلو عليهم  
 القرآن ، ويذهب إلى المجامع في عرفات في موسم الحج ، وفي مكة، وفي  
 المدينة ، يتجول على الناس، ويقرأ عليهم القرآن ، ويغشاهم في مجامعهم: ﴿٤٦﴾ يَٰأَيُّهَا  
 النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ  
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٨].

ونذكر الناس بآيات الله ومخلوقاته ، فيقبلوا على طاعته ، ونعرفهم به جل جلاله  
ونعرفهم بكلامه ، بما تكلم به هو عن نفسه أو عن آياته ومخلوقاته .  
هذه القلوب لها خطاب إيماني ، والعقول لها خطاب علمي ، والجوارح لها خطاب  
عملي .

هذه القلوب لابد أن تعرف الله ﷻ ، حتى لا تشرك به شيئاً ، وحتى تسبحه وتحمده ،  
وتقدسه وتعبده وحده لا شريك له : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ  
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ [ص: ٢٩].

فلا إله إلا الله وحده : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ [الروم: ١٧ - ١٨].

أفعاله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ  
تُخْرِجُونَ ﴿١٩﴾ [الروم: ١٩].

نقول للناس هذا : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا  
يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ [الأنبياء: ٤٥] .

أنذرهم بالوحي بالقرآن والسنة ، لا أزيد على هذا القرآن مليء بأساليب الدعوة التي  
تحرك الفطرة والإيمان في القلوب : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتُكُمْ  
لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا  
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ [الأنعام: ١٩].

فالقرآن وحي حي يذكر بمن أنزله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ  
تنتشرون ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ  
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ [الروم: ٢٠ - ٢١] .

والله ﷻ في القرآن أصول الدعوة بالتفصيل ، والنبى ﷺ بين في السنة أحكام  
العبادات والمعاملات بالتفصيل : من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وبيع وحقوق  
وغيرها ؛ فأصول الدعوة الله ﷻ بينها في كتابه ، وبينها الرسول ﷺ بطريقته ؛ لأنه ﷺ

كأنه قرآن يتحرك ، كان خلقه القرآن . يتأدب بأدابه ، ويعمل بأحكامه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٤٤] ﴿ [النحل: ٤٤].

فنذكر الناس بآيات الله ومخلوقاته، ليؤمنوا به ويحبوه ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [٢٢] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [٢٣] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٢٤] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم دَعْوَةَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [٢٥] ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴾ [٢٦] ﴿ [الروم/ ٢٢-٢٦].

كلُّ لزم مكانه ؛ السماوات والأرض، والنجوم والملائكة، والجبال والبحار، وجميع المخلوقات، لا تتحرك إلا بإذنه ، ولا تسكن إلا بإذنه: ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٥٦] ﴿ [هود: ٥٦].

فسبحان من هذه قدرته، وهذا ملكه، وهذا تديره: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢٧] ﴿ [الروم/ ٢٧].

هذا الذكر، وهذا الوعظ، وهذا الوحي، يؤثر في القلوب، ويحرك فيها الإيمان، ويوقظ الفطرة: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣٠] ﴿ [الروم: ٣٠].

فالواجب على المسلم أمام الكفار والمشركين أن يدعوهم إلى الله، وهو محفوظ فلا يخاف: ﴿ أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ [٤٣] ﴿ فَقَوْلًا لَهُ، قَوْلًا لِّسَانًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [٤٤] ﴿ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴾ [٤٥] ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [٤٦] ﴿ [طه: ٤٣-٤٦].

نذهب إلى الناس، لندعوهم إلى الله، معنا سلعة غالية نفيسة وحيدة منجية ، لا بد للمليح أن يذهب بالمليح ، لينشر الملاحه في العالم ، لينشر الخير في العالم ، لينشر

الحق في العالم: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ. وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

العالم كله يتخبط في الظلمات إلا من تصل بهذا النور: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَةِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأأنعام: ١٢٢].

وإذا عرفت القلوب مثل هذا أقبلت على ربها ، فكيف نعرف الناس نحن بهذا ؟ نخبرهم عن ربهم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، فإذا عرفوه آمنوا به وعبدوه وحده: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

نقول للناس هذا ما أمر الله بإبلاغه من أخبار وأحكام وأخلاق ، ونعرفهم بالخالق العظيم ، والرب الكريم: ﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ [النحل: ٥ - ١٤].

فسبحان من هذه أفعاله ، وهذ ملكه وسلطانه ، وهذه آياته ومخلوقاته: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ

رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴿[الأنعام: ١٠٢].

آيات مشاهدة حسية ، وبراهين قطعية، تضطر العقول والقلوب إلى الإذعان والإيمان، إذا ذكرنا الناس بها: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٤٥].  
فلنأت البيوت من أبوابها، ولا نبدأ بالفروع قبل الأصول في مجال الدعوة إلى الله، فالربا والزنا والحجاب هذه الأمور فرعية ، هي من الشريعة، نخبرها الكافر بعد إسلامه، ليعلم ما يجب عليه؛ لكن نذكر الناس بالآيات الكونية العظيمة الدالة على كمال قدرة الله وإحسانه إلى خلقه، ليعظموه ويحبوه ويؤمنوا به.

فهذه الآيات محسوسة متفق عليها ، ولا تحتاج إلى دليل ، لكن تحتاج إلى تذكير وإلى تنبيه ؛ تنبيه هذا الغافل عن ربه، لينظر في ملكوت السماوات والأرض ، وينظر ما في السماوات والأرض: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَىٰ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَىٰ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَىٰ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فِعَذْبَةُ اللَّهِ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ١٧- ٢٦].

وينظر كيف يجب أن يتحرك على هذه الأرض التي هو عليها ، وكيف جاء ؟ وإلى أين هو ذاهب ؟ وماذا يريد الله منه ؟ وماذا يريد هو من الله ؟ وماذا يعطيني الله إن أطعته ؟ وبماذا يعاقبني إن عصيته ؟ فالقرآن أوضح هذا كله بالتفصيل : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

فبين للناس من خلال القرآن الرب الذي خلق السماوات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الجبال والبحار والأنهار، وإذا عرفوا ذلك أقروا له بالربوبية والعبودية إلا من استكبر واتبع هواه: ﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ نَعْمِدَ بِكُمْ وَأَنْهَزًا وَسَبْلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ وَالْتَجِمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ [النحل/١٥-٢٣].

فنذكر الناس بهذه الآيات العظيمة حتى يقبلوا على الله ﷻ ، والبشرية الآن حوالي ثمانية آلاف مليون ، المسلمون منهم مليار ونصف تقريباً والبقية كفار ، هؤلاء الكفار لا بد من الجهد عليهم حتى يدخلوا في الإسلام ، وإذا دخلوا فيه يجب أن نعلمهم أحكام الإسلام.

وهذا العمل شرف لنا، وحاجتنا، ومسؤوليتنا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهكذا إما أن نشغل في منجم الذهب، أو نشغل مع الشيطان في مناجم الشهوات والمحرمات: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

هذا واجبنا بالنسبة للكافر والمشرک، ندعوه إلى الله، ليخرج من الكفر بالله إلى الإيمان بالله: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١].

ثانياً: واجبنا نحو المؤمنين، فالمؤمن إن كان ضعيف الإيمان نذكره بالله ، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ليقوى إيمانه ، ويزيد الإيمان في قلبه ، ونذكره بنعم الله، ليزداد حبه لله ﷻ ، ونذكره بوعد الله لمن أطاعه ليفعل الطاعات ، ونذكره بوعيد الله لمن عصاه، ليبعد عن المعاصي: ﴿وَذَكَرْنَا لِلذِّكْرِ نَفْعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات/٥٥].

نذكر الناس بجلال الله وجماله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، بالترغيب والترهيب حتى يقبلوا على الدين ؛ لأن هذه النفوس تغفل، فإذا غفلت صاهاها الشيطان.

فلا بد أن نذكرها بالله لتكبر الكبير ، وتعظم العظيم ، وتخاف الجبار، وتحب الرحيم، وتسأل الكريم ، وتستعين بالقوي ، وتتوكل على الملك الذي بيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء.

نذكر الناس بمن فطروهم على الإيمان به: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

### • وسبب الوقوع في المعاصي ثلاثة أمور :

الغفلة عن الله . . والغفلة عن أوامر الله . . والغفلة عن اليوم الآخر .  
 فلا بد من التذكير، حتى يعود الغافل ذاكراً ، ويقوم الذاكر مُذكراً، وبهذا تصلح الأمة.  
 فإذا صار المعلم يعلم ، والذاكر يذكر ، والصالح يصلح، تصلح الحياة.  
 أما إذا صارت الأمور بالعكس ينتشر الفساد في الأمة : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].  
 فالمؤمن إذا ضعف إيمانه يجب الجهد عليه، حتى يقوى إيمانه بذكر الله، وذكر عظمته، وذكر نعمه ، وذكر وعده ووعيده.

وإن كان هذا المسلم جاهلاً أعلمه : ﴿كُونُوا رَبَّيْنَكَ يَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري (١) .  
 وإن كان هذا المسلم صالحاً أذكره ليكون مُصلحاً ، وإن كان ذاكراً أذكره ليكون لغيره مذكراً.

هذا لا بد من تذكيره إن كان صالحاً ليكون مُصلحاً ، وداعياً ، ومحسناً : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣] .

﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر/ ٣] .

هذه يأخذ عليها المؤمن حسنات .

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ٣] . هذه يأخذ عليها حسنات أكثر، وكل

(١) أخرجه البخاري برقم: ٥٠٢٧.

مؤمن سوف يحاسب على ترك الواجب الفردي وهو العبادة، وعلى ترك الواجب الاجتماعي وهو الدعوة: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصِنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٦-٧].

واذكره بقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

اذكره بقول الله ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

اذكره بقول الله ﷻ: ﴿وَلَتَكُنَّ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالمجتمع الإسلامي كله ذاكر ومذكر ، ومعلم ومتعلم ، وصالح ومصلح ومحسن ومحسن إليه ، هذا المجتمع يزدادوا بامتثال أوامر الله حسناً وجمالاً وصلاً وطيباً ، وأماناً وسعادة : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

وإذا كان هذا المسلم عالماً أذكره بنشر ما علمه الله ﷻ بين عباده ، هذا العالم الذي عنده من العلم الكثير ، قد يعمل به في خاصة نفسه، لكن لا ينشره بين الناس ، والله ﷻ وكنل السحب بنشر المياه في العالم ، وكنل الشمس بنشر النور في العالم ، وكنل الأرض بالإنبات في العالم ، وكنلنا بنشر الهداية في العالم: ﴿كُونُوا رِبِّئِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

العالم وكيل على إبلاغ العلوم الشرعية في العالم ، الصلاة عالمية لا بد أعلمها للعالم ، الصوم عالمي لا بد أن أعلمه للعالم ، الحج عالمي لا بد أعلمه للعالم، وجميع أحكام الله عالمية لا بد أن أبلغها للعالم: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

على العالم بالله ودينه أن يمشي كالشمس والقمر ينشر النور في العالم ، حتى الناس

يعبدون الله وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿الذاريات: ٥٦﴾.

فهذا العالم قد يكون غافلاً عن تعليم غيره الدين ، فواجبنا في الدعوة أن نذكره بنشر ما علمه من الله بين عباده في مشارق الأرض ومغاربها لأن الله قد هدانا واشترانا وشرفنا بعبادته والدعوة إليه، وحياتنا كلها له: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١١٢﴾ لا شريك له، وبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ ﴿الأنعام: ١٦٢-١٦٣﴾.

ليس لي حق أن أتصرف في عمري ثانية واحدة على هواي. فالعمر الإسلامي هو الذي امتثل فيه أمر واحد أمر انفرادي بالعبادة ، وأمر اجتماعي بالدعوة ، لا نتبع الهوى، بل نتبع الهدى في كل حال: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿القصص: ٥٠﴾.

هذا الدين كله للعالم، وعلى أهله أن يبلغوه: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿إبراهيم: ٥٢﴾ .

وإذا كانت العبادة واجبنا، فالدعوة إلى الله مسؤوليتنا: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿يوسف: ١٠٨﴾.

فالدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ووقتا مفتوح كل وقت: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَةَ إِذَا أَحْسَنَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿النحل: ١٢٥﴾.

وقال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» أخرجه مسلم (١) .

ومن ترك الدعوة إلى الله أو قصر فيها فقد عرض نفسه لعقوبة الله وعذابه ولعنته إلا من تاب: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٨﴾ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه

(١) أخرجه مسلم برقم: ٥٥.

لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة/١٥٩-١٦٠].

فمن بلغ الرسالة فقد أدى الأمانة، ومن تركها فقد خان الأمانة، ولا نجاة له إلا بالتوبة بعد ظلمه، وإصلاح ما أفسد، وبيان ما كتم.

فالدعوة أن أقول للناس: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ أَهْلٌ بِهَذَا الْكُفْرِ وَاللَّهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة/١٦٣].

وكيف يعرف الناس ربهم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة/١٦٤].

فالأمانة عظيمة ، وأداؤها واجب ، والله ﷻ حملنا الأمانة ، وشرفنا بها.

فالدين شرفنا وحاجتنا ومسؤوليتنا ، فنحن كيف نصل إلى الله ، إذا وصلنا إلى الله فقد عرفنا كل شيء ، وصلنا لكل شيء: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوِّكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وإذا انقطعنا عن الله انقطعنا عن أوامر الله، وانقطعنا عن رحمة الله.

فهذه العلوم لا بد لنا أن نعرفها حتى نعبد الله ﷻ على بصيرة ، هذا ما ينبغي على معرفة هذا الاسم العظيم الذي هو السميع ، ينبغي عليه أمر عظيم ؛ وهو التعبد لله بهذا الاسم الكريم: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فأنا أسمع الله ما يحبه ويرضاه من الذكر، والحمد، والثناء ، والاستغفار، وتلاوة كتابه ، وأسمع خلقه من الإنس والجن ، ما يحبه ويرضاه من القول الحسن ، من الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، والنصيحة، والوعظ.

أما ماذا أسمع نفسي ؟ أسمع نفسي كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأذكار،

والآداب ، والأخلاق ، وحين تسمع ، تسمع كتاب الله ، أسمع هذه النفس أن النفس أمانة بالسوء إلا من رحم ربي: ﴿ وَمَا أُنزِلُ نَفْسِي إِلَّا أَنْتَفَسَ لِأَمْرَةٍ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣].

فلا بد من إسماعها ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال ، والأعمال ، والأخبار والأحكام في كتاب الله العظيم ، وفي سنة نبيه الكريم ، وأعمل بموجب ذلك ، وادعوا الناس إلى ذلك ، كما قال ﷺ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ ٧ ﴿ فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ ٨ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ٩ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ١٠ ﴿ [الشمس/ ٧-١٠].

فنسمع الحق ، ونعمل بالحق ، وندعو الناس إلى الحق: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ ١ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ ٢ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ ٣ ﴿ [العصر: ١-٣].

فلنعبد الله باسمه السميع لا بد أن أسمع من الله ورسوله ، من كتاب الله ، من سنة رسول الله ، وأسمع عباد الله دين الله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].  
فهذه عبودية أو كيفية التعبد باسم الله السميع .

الله ﷻ لم يخلق الأذن للإنسان إلا ليسمع بها ما ينفعه من القرآن والعلم والخير: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ ١٧ ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ١٨ ﴿ [الزمر: ١٧-١٨].

فلا يليق بالمسلم أن يسمع بأذنه ما يضره ، ويسخط ربه ﷻ ، من الإفك والبهتان والنميمة ، وكل كلام سيء ضار ، فنسمع الحق ، ونحذر ما سواه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء/ ٣٦] .  
الليل والنهار آنية ، آنية لجميع المسموعات ، هما خزانتان من خزائن الله ، فلينظر الإنسان ما يضع فيهما من المسموعات ، والأقوال ، والأعمال .

واعلم أن الله هو السميع البصير الذي يسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، سميعٌ لأقوالك ، عليمٌ بأحوالك ، شاهدٌ لأفعالك ،

فلا يسمع منك أخي المسلم إلا ما يسرك يوم تلقاه من ذكر الله ، وتسبيح بحمده ، وشهادة بوحدانيته وتلاوة كتابه آناء الليل ، وآناء النهار : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا﴾  
 اللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٢] .

وأسمعه ما يحبه ويرضاه من الدعوة إلى الله، وتعليم شرعه ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

فنسمع تارة ونسمع تارة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠] .

وهذا وحده هو طريق النجاة و الفلاح ، والفوز في الدنيا والآخرة : ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥] .

وإذا عرفت أن ربك هو السميع العليم فاحفظ نفسك أن يسمع منك ما يغضبه ويسخطه ، واحفظ لسانك من الكذب والغيبة والنميمة ، وشهادة الزور، والسب والشتيم ، والقول على الله بلا علم، وصنه عن الاستهزاء والسخرية بالناس، وعن فاحش الكلام ، وغير ذلك من الكبائر والصغائر : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا نَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَبِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الحجرات/ ١١] .

فكل ذلك سوف تحاسب عليه ، تعاقب عليه فبادر بالتوبة منه : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿١٨١﴾ [آل عمران/ ١٨١] .

وأكثر من الدعاء بهذا الاسم العظيم فحري أن يستجيب الله لك ، وتوسل إلى الله كما دعا به إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، فاستجاب الله لهما عند بناء البيت :

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة/ ١٢٧)

[البقرة/ ١٢٧].

فالله ﷻ قبل منهم عملهم ، وجاء من نسلهم محمد ﷺ ، وقامت هذه الأمة العظيمة .

وما تراه الآن من راعع وساجد، وذاكر وعابد، وحامد وشاكر كلهم في صحائفه .

وكما دعت بهذا الاسم العظيم امرأة عمران فاستجاب الله لها : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (آل عمران/ ٣٥) .

[آل عمران/ ٣٥] .

وإجابة الدعاء مقرونة بكمال اليقين:

يقين على أن الله موجود . . وعلى أن الله قادرٌ على كل شيء . . وعلى أن الله قريب

يسمعي . . وعلى أن الله يحب أن يقضي حاجتي . . وعلى أن الله عنده خزائن كل

شيء: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٥).

فالله يحب أن يقضي حاجات الخلق ؛ لأن العطاء أحب إليه من المنع ، والرحمة

أحب إليه من القسوة ، والإحسان أحب إليه من العدل، والعفو أحب إليه من

العقوبة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر: ٢٢).

[الحشر: ٢٢].

فهذه خمسة أمور لا يكاد أن يرد الدعاء معها: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي

قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ

يُرْشَدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

لكن لو كان اليقين ضعيفاً، وكان عندي من المعاصي ما يحجب دعائي عنه ، فأكثر

قبل الدعاء من الاستغفار والتوبة ، ثم أدعوه ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا

أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤٧) فَإِنَّهُمْ

اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٧-١٤٨).

فالله سبحانه كريم لا يرد سائلاً، ولا يخيب مؤملاً، ولا يمنع طالباً.

بل يعطيني قبل أن أسأله كما أعطانا الماء والهواء، والطعام والشراب، وسائر النعم،

بقدر زائد عن الحاجة: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا

تُحْصَوَهَا إِنَّكَ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

هذا عطاؤه في الدنيا فكم يكون عطاؤه في الآخرة لمن آمن به، فالمخلوق من مخلوقاته الذي هو حبة السنبلة تعطي سعمائة حبة ، فكم يكون عطاء من خلقها يوم القيامة لمن أطاعه ! ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة/١٧] .

وعبودية اللسان مبنية على عبودية السمع والعلم ، سمعت فلا بد أن أستجيب ، وأسمع ربي صفاته ، وحمده ، والثناء عليه ، وأسمع خلقه أسماءه وصفاته، ودينه وشرعه حتى يؤمنوا ، وأسمع نفسي كل ما يحبه الله ويرضاه حتى تستقيم على أوامر الله، فإذا استقامت سارت إلى الله بميزان الحب ، والتعظيم، والذل الكامل لله ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء ، وأن يستعملنا في طاعته ، وأن يجعلنا من أحسن المتعبدين بهذا الاسم العظيم ، وأن يقذف في قلوبنا حسن التبعث لله بهذا الاسم ، ولكن الشيطان لا يترك الإنسان في مجال الدعوة وفي مجال الإيمان ، في مجال العبادة فإذا نزع الشيطان لتفعل سوءاً فاستعد بالله منه ، لأنه أقوى منه ويدفع السميع العليم عنك شره : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [فصلت: ٣٣-٣٦].

فيا عبد السميع اسمع كل ما يحبه الله ويرضاه، واعرض عن كل ما يكرهه ويبغضه. ويا عبد السميع اسمع الحق من الحق، واسمعه غيرك كما جاء عن الله ورسوله: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلَعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴾ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

فواجبنا أن نسمع كلام ربنا ﷻ وأن نوح السمع في الخير والفضائل ؛ فنسمع عن الله، ونسمع عن رسوله ، وعن الأخبار والأحكام الواردة في القرآن والسنة ، وأن

نعمل بموجب ذلك.

ونُسمع الخلق ما سمعنا من ربنا ، فهذه المواليد البشرية نظهر كل يوم فلا بد لها من نشر الهداية بعاطفة الحب في الله ، والتعظيم لله ، وعدم السؤال على الأجر : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آفَقَةٌ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [١١٣] رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾ [آل عمران/ ١٩٣-١٩٤] .

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم طهر قلوبنا من الشرك، وأعيننا من الخيانة، وألسنتنا من الكذب يا أرحم الراحمين.

اللهم إنك تسمع كلامنا، وترى أحوالنا، وتعلم بضعفنا، فاغفر لنا م أنت أعلم به فيه، يا مجيب الدعوات، يا قاضي الحاجات، ارحم وجوهاً خرت لعظمتك ساجدة، وقامت بين يديك قانتة باكية.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك، ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

البصير

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله البصير

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ملء السماء ، وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، على عظمة أسمائك وصفاتك ، وعظمة آياتك ومخلوقاتك ، وعلى نعمك التي لا تعد ولا تحصى .

اللهم لك الملك كله ، ولك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وإليك يرجع الأمر كله .

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلاء ، والأفعال العظيمة ، والمثل الأعلى في السموات والأرض : ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠ ﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ لَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ۝١١١ ﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١] .

الله ﷻ هو السميع البصير الذي ليس له شبه ولا مثل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى/ ١١] .

الله ﷻ هو البصير الذي يبصر جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي ، وفي الدنيا والآخرة ، يبصر الظاهر والباطن ، ويبصر الكبير والصغير ، ويبصر عالم الغيب ، وعالم الشهادة : ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَىٰ أَلْطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَاتٍ وَيَقِظْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝١٩ ﴾ [الملك: ١٩] .

هو البصير بالجلي والخفي : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [يونس: ٦١] .

هو جل جلاله البصير الذي يبصر كل ذرة في عالم الجماد ، وكل ذرة في عالم النبات ، وكل ذرة في عالم الحيوان ، وكل ذرة في عالم الجن ، وكل ذرة في عالم الملائكة ، وكل ذرة في عالم الإنسان ، يبصر كل شيء في العالم العلوي ، وفي العالم السفلي ، وفي الفضاء والبر والبحر ، ويعلم بما كان وما يكون وما سيكون : ﴿ وَعِنْدَهُ

مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ أَرْضٍ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

هو جل جلاله البصير الذي أحاط بصره بجميع مخلوقاته في كل زمان وفي كل مكان ، فجميعها تحت بصره ورقابته كأنها شيء واحد .

فالله ﷻ يرى جميع مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي كأنها مخلوق واحد، ويحيط بها إحاطة علم ، وإحاطة قدرة ، وإحاطة سمع ، وإحاطة رؤية: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢] .

أحاط بكل شيء علما ، وأحاط بكل شيء رحمة ، وأحاط بكل شيء رؤية فله ﷻ وسعت رحمته كل شيء ، وسع علمه كل شيء ، وأحاط علمه بكل شيء .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة.

• هو الملك الحق الذي لا شريك له:

له مُلك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله ما بين السموات والأرض، وله ما بين السموات السبع وما بين الأراضين السبع، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك العالم العلوي والسفلي .

فهذه ثلاثة عشر ملكاً من معاهد ملكه الواسع العظيم: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

فسبحان من يرى ويبصر كل ذرة في هذا الملك العظيم: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

هذا الملك العظيم الذي هذه مملوكاته ومخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي،

هو الذي يستحق العبادة وحده لأنه ملك، والملك هو من ملك جميع المملوكات ، ما نبصره وما لا نبصره، ما نسمعه وما لا نسمعه، ما نعلمه وما لا نعلمه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الكل ملكه يفعل بهم ما يشاء ، كانوا معدومين فأوجدهم الله، وحين أوجدهم ملكهم، وهم لا يفعلون شيئاً إلا بإذنه وعلمه: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

فسبحان السميع البصير الذي يرى ويسمع ظواهر الخلق وبواطنهم، ويعلم سرهم ونجواهم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

هو السميع البصير الذي يسمع ويرى مليارات الملائكة، الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

هو السميع البصير الذي يسمع ويرى جميع المخلوقات المختلفة، من عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنسان ، وعالم الجن ، وعالم الملائكة.

هؤلاء كلهم عبيده، يسمع كلامهم، ويبصر ذواتهم، ويرى حركاتهم وسكناتهم، ويعلم بأحوالهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران: ٥ - ٦].

هو السميع البصير الذي يسمع ويرى كل ذرة في خزائنه.

خزائن السموات عنده، خزائن الأراضي عنده، خزائن الرياح عنده، خزائن الجبال عنده، خزائن النور عنده، خزائن النجوم عنده، خزائن الإنس عنده، خزائن الجن عنده، خزائن الحُجب عنده، خزائن المعادن عنده، خزائن المياه عنده، خزائن الطمأنينة عنده، خزائن الإيمان عنده، خزائن الرحمة ، خزائن النعيم عنده، خزائن

العذاب عنده: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر/ ٢١) .

هذا القلب لا بد أن يعلم أن الله ﷻ ملك ، له الأسماء الحسنی، والصفات العلا والأفعال الحميدة.

هو الإله الحق، وأعظم صفة من صفات الإله الحق أنه حي ، حي بصفات الكمال، هو الحي لا إله إلا هو ، هو الحي بصفات الكمال والجلال والجمال ، من السمع والبصر، من العلم والقدرة، والرحمة والكرم، والعتو والإحسان، والبر والल्प وغير ذلك من الصفات العلی: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٥).

والله جل جلاله يدعوننا للاتصاف بصفات الكمال على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف/ ١٨٠) .

الله ﷻ هو الحي القيوم ، القيوم القائم على ملكه العظيم، وسلطانه الكبير ، الحي الذي خلق الحياة في كل حي ، الحي بذاته جل جلاله، وكل حي من الأحياء حياته موهوبة من الحي القيوم ، الله هو الحي الذي يهب الحياة لكل حي، وكل حياة في كل مخلوق قد تُسلب، ولكن الحي القيوم هو الله ، ﷻ حي لا يموت ، قيوم لا ينام: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

هو السميع البصير، القادر العليم، القائم على تدبير العالم العلوي، وعلى تدبير العالم السفلي وعلى تدبير اليوم الآخر من الجنة والنار وجميع الأحوال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آل عمران: ٢).

هو جل جلاله الحي القيوم السميع البصير الذي لا يخفى عليه شيء في ملكه ، يرى جميع ذرات العالم، ذرات المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي.

ويُبصر الظاهر والباطن، ويُبصر الصغير كما يُبصر الكبير، وكل شيء أمامه صغير ،  
ويُبصر جميع عالم الغيب، وجميع عالم الشهادة ، يُبصر هذه المُبصرات كلها في آن  
واحد: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (١١) [الملك/ ١٩] .

يُبصر جميع ذرات المخلوقات ، يُبصر جميع ذرات العرش، جميع ذرات السموات،  
وجميع ذرات الفضاء، وجميع ذرات الأرض وجميع ذرات الجبال وجميع قطرات  
البحار والأنهار، وجميع ما في الجو والبر والبحر، والسماء والأرض وما فيها، وما  
عليهما، وما بينهما: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى: ١١] .

وهو البصير الذي يُبصر كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، العليم بكل شيء، المحيط  
بكل شيء، من الذرات والذوات، والنيات، والأقوال، والأعمال، والأسرار،  
والخفيات، والحركات والسكنات، والطاعات والمعاصي، وكل شيء: ﴿وَأَسْرُؤُا قَوْلِكُمْ  
أَوْ أَجْهَرُ وَإِيَّاهُ نَادِيهِمْ يُخْفُونَ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [الملك/ ١٣-١٤] .

هو جل جلاله البصير الذي يُبصر العابد إذا سجد له ، ويُبصر القارئ وهو يتلو كتابه ،  
ويُبصر الذاكر إذا ذكره ، ويُبصر الداعي إذا دعاه ، ويُبصر المستغيث إذا استغاث به  
ويُبصر العالم الذي يُعلم شرعه ، ويُبصر الشاكي إذا اشتكى إليه ويُبصر المجاهد في  
سبيله، ويُبصر الكريم الذي يُحسن إلى خلقه ويُبصر المسلم الذي يدعو إليه فيفرح  
بذلك: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (١٩) [الملك/ ١٩] .

فسبحان من يرى المؤمن وهو يعبد ربه، ثم يجزيه بأحسن من عمله: ﴿مَنْ عَمِلَ  
صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [النحل/ ٩٧] .

هو جل جلاله السميع البصير، الحليم الرحيم، الذي يبصر الكافر وهو يعبد غيره،  
ويدر عليه نعمه، لعله يتوب إليه، ، ويُبصر العاصي حين يعصيه، ويمهله بكمال  
رحمته وحلمه، لعله يتوب إليه ، ويُبصر من يؤذي أولياءه، ويُبصر من يسب دينه وكتبه  
ورسله ، ويُبصر كل من يسكن في أرضه، ويأكل من رزقه، ويعصيه بنعمه، ويُبصر  
جميع أعمال الكفار والفجار والفساق والمنافقين: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾ [التوبة/ ١٠٥] .

فسبحان الملك الحق، السميع البصير ، السميع لكل شيء البصير بكل شيء ، القادر على كل شيء المحيط بكل شيء ، الرزاق لكل أحد ، الحافظ لكل أحد ، الواحد الأحد، المحيط بكل أحد، الذي لا يحيط به أحد: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

الله ﷻ هو البصير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وله الملك والملكوت ، خلق الخلائق بأشكالهم وألوانهم، وأنواعهم، وأحجامهم في كل زمان، وفي كل مكان، يراهم جميعاً كأنهم ذرة واحدة أمامه ، يبصر ظاهرهم وباطنهم، وسرهم وعلانيتهم: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك/ ١٩] .

فمن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

هو جل جلاله البصير الحق ، الذي يُبصر كل شيء وإن دَقَّ وصغُر ، البصير الذي يُبصر ويرى ويعلم جميع المخلوقات، والمبصرات، والخفيات، والنيات ، لأنه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا جل جلاله ، فيُبصر كل شيء في العالم العلوي، والعالم السفلي ، ويُبصر كل ظاهر وباطن ، ويُبصر ما في البر والبحر والجو: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١] .

والبصير صفة مبالغة، والمبالغة إما في الكثرة، وإما في النوع .  
أما في الكثرة : فهو البصير الذي يُبصر جميع المخلوقات على اختلافها من الملائكة، والجن، والإنس، والحيوانات، والنباتات والجمادات، والذرات، يُبصر

جميع المخلوقات ، ويُبصر ظاهرها وباطنها ، ويُبصر صغيرها وكبيرها ، وعلويها وسفليها .

هو البصير الذي وسع بصره جميع المبصرات، فكل ذرة في ملكه تحت بصره، ومراقبته، ومشاهدته: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِّنَ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٣-٥٤].

هو جل جلاله رقيبٌ وشهيدٌ، وبصيرٌ وعليمٌ وقديرٌ وخبيرٌ، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، هذا بالنسبة لعدد المبصرات، وسع بصره جميع مخلوقاته . وأما بالنسبة للنوع : فهو البصير الذي يُبصر الصغير كما يُبصر الكبير ، ويُبصر الذرات والهباءات وكما يبصر المجرات ، ويُبصر جميع ما في السموات، وما في الأرض، وما عليهما ، وما بينهما من صغير وكبير ، وساكن ومتحرك ، وناطق وصامت ، وشاهدٍ وغائب، وظاهر وباطن: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحجرات/ ١٨] .

عالم الشهادة جزء من عالم الغيب ، والغيب عالم عظيم، وعالم الشهادة ذرة منه، والله ﷻ هو عالم الغيب والشهادة والله ﷻ وحده هو عالم الغيب والشهادة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

- والله ﷻ بحكمته وتدبيره أظهر ستاً، وأخفى ستاً:

أظهر الله المخلوقات، وحجب خلقه عن رؤيته . . وأظهر الدنيا، وأخفى الآخرة . وأظهر قيمة الأموال والأشياء، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال . . وأظهر الأجساد، وأخفى الأرواح . . وأظهر سنته، وأخفى قدرته، وأظهر عالم الشهادة وأخفى عالم الغيب .

فالله ﷻ يرى المخلوقات الظاهرة والباطنة ، وكلها أمام ربنا ﷻ كأنها مخلوق واحد: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك/ ١٩] .

ويُبصر جل جلاله ما تحت الأراضين السبع كما يُبصر ما فوق السموات السبع، فتعالى الله الملك الحق، البصير بكل الخلق: ﴿فَنَعْلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن

قَبْلِ أَنْ يُفَضِّلَ إِلَيْكَ وَحِيَّةً، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ [طه: ١١٤].

سمعته وسع جميع الأصوات ، وبصره وسع جميع المبصرات ، وعلمه وسع جميع المخلوقات، ورحمته وسعت كل المخلوقات ، وقدرته قهرت جميع المخلوقات:

﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

فسبحان من له الملك كله، والخلق كله، والأمر كله: ﴿بِتَرَكِ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١] .

فالسمع والبصر من أعظم صفات الله، والبصير اسمه، والإبصار صفتة، هذه صفة من صفاته، أحاطت بجميع المبصرات، فكيف بصفة العلم؟، وكيف بصفة القدرة التي أوجد بها هذه المخلوقات العظيمة؟ أوجد بها العرش، والكرسي، والسموات، والأرض، والجبال، والبحار، والإنس والجن؟ وبصفة القوة أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ويُمسك السماوات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١] .

فالله ﷻ هو القوي، وبقوته يُمسك السماء أن تقع على الأرض، وبقوته وقدرته وعلمه خلق هذا الكون العظيم، خلق العالم العلوي، وخلق العالم السفلي، وقهر كل شيء في ملكه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُوهٗ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

والإنسان خلقه الله محتاجاً فإما أن يكون عبداً لله أو عبداً لعبد الله ، فالأولى أن يكون عبداً لله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات والعلا، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى ، البصير بكل أحد، المحسن إلى كل أحد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء/ ٣٠] .

يعلم من عباده أن الغنى يُطغي فلاناً فيمنعه ، وأن الفقر يُفسد فلاناً فيُغنيه، هو بعباده خبير بصير ، يعطي بحكمة، ويمنع بحكمة: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ

فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

فهو سميع وعليم وبصير بملكه ، وجميع المخلوقات مفتقرة إليه، مملوكة له، وخاضعة لأمره، ومُستجيبة لمشيئته، وشاهده بوحدانيتها، ومُسبحة بحمده، ومسرعة إلى إرادته: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

وجميع مخلوقاته متصاغرة لكبريائه، ساجدة لعظمته: ﴿ تَسْبِخُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّعْيُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

من فضل الله علينا أن جعلنا مسلمين، وأن عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأن دعانا للتخلق بها ، وأن جعلنا أفضل المخلوقات، وجعل النوع الإنساني هم محل عبادته الاختيارية نحن جننا إلى الله حُبًا وتعظيمًا له، أما كافة المخلوقات فعبدت ربها لجلاله وجماله ولكنها مُسخرة للعبادة ، أما نحن فجئنا إليه طوعا ومحبةً واختيارا، ومن جاء إليه طوعا ومحبةً واختيارا أحب إليه ممن جاءه تسخيرًا ، ولهذا من أدى الأمانة هو أحب الخلق إلى الله، ومن خان الأمانة هو أبغض الخلق إلى الله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ [الأحزاب / ٧٢-٧٣] .

الله ﷻ هو البصير، ونحن نحب ربنا، لأنه بصير بأحوالنا، قاضي لحاجتنا، يشفي مريضنا ، ويطعم جائعنا ، ويُعلم جاهلنا، ويؤمن خائفنا ، كل النعم منه، فهو بصير بالعباد، رؤوف بالعباد عليم بأحوال الخلق ، بصيرٌ بأمور الخلق كلهم، سميع لأقوالهم، ودعائهم وأذكارهم ، بصير بأمورهم، وحاجاتهم، وأعمالهم: ﴿ إِنَّكَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ﴿٥٦﴾ [غافر: ٥٦].

ونحن ذرة في ملكه، عالم الملائكة أكبر منا، وعالم الجن أكبر منا، والسموات أعظم

منا: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [غافر: ٥٧].

وكافة المخلوقات التي خلقها الله ﷻ أكثر منا، نحن لا نسوي ذرة في مُلك الله العظيم، ولكن الله الكريم أكرم هذا الإنسان، وخلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء واصطفاه على غيره من المخلوقات، ليكون في الدنيا خليفة، ويكون يوم القيامة إن كان مؤمناً جليسه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

هو جل جلاله بصير بكل شيء ، بصير بالصغير والكبير ، بصير بجميع ما في الظلمات، وجميع ما في الأنوار، أنا لا أرى ما في الظلام ، لأنه لرؤية الأشياء بالنسبة لنا لا بد من نورين :

أحدهما: نور العين : وهو نور داخلي

الثاني: ونور خارجي : وهو نور الشمس مثلاً أو القمر أو السراج.

فلرؤية الأشياء لا بد من نورين : العين التي نرى بها الأشياء والنور الذي يكشف الأجسام التي أمامنا ، فإذا فقد أحدهما انعدمت الرؤية ، إذا كان الإنسان أعمى لا يرى، وإذا كان مُبصراً ولكنه في الظلمات لا يرى.

أما الله عز وجل فله المثل الأعلى، وله الأسماء الحسنى، فهو نور يُبصر كل شيء ، صغيراً وكبيراً ، في النهار والليل ، في الظلام والنور ، لأنه هو البصير الذي يُبصر كل شيء مهما دق وصغر ، ويُبصر جميع المخلوقات في كل مكان، وفي كل زمان، جل جلاله ، ويُبصر الصغير كما يُبصر الكبير ، ويُبصر ما في الظلام كما يُبصر ما في النور ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء / ١].

هو جل جلاله السميع الذي له السمع المطلق يسمع الكلام قبل أن نتكلم به، البصير الذي يُبصر كل شيء أما نحن فنُبصر أشياء، وتخفى علينا أشياء، عالم الغيب كله نجهله إلا قليلاً: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحاقة / ٣٨-٣٩].

وما نبصره بالنسبة لما لا نبصره كالذرة بالنسبة للجبل، وما نبصره وما لا نبصره في

علم الله كالذرة ، والله عَظِيمٌ بصير بكل شيء ، عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، قادر على كل شيء ، عنده خزائن كل شيء ، واهب كل نعمة لجميع خلقه ، هذا هو الله السميع البصير الحق الذي يجب أن نعبده جل جلاله .

﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾

[الأنعام / ١٠٢-١٠٣] .

القلوب فقيرة إلى الإيمانيات، كما أن العقول فقيرة للمعقولات، كما أن المعدة فقيرة إلى الطعام والشراب، بالطعام والشراب تبقى الأجساد حية قوية، لتؤدي الأعمال الدينية والدينية، وبالعلوم يتنور الإنسان ويعلم ما لم يكن يعلم من صناعة أو زراعة أو تجارة أو طب أو هندسة ولكن بالإيمان يزداد نور الإيمان في القلب، وإذا زاد نور الإيمان في القلب انفتح وانشرح فأبصر الخالق من المخلوق، وتجاوز الصغير إلى الكبير، واخترق الدنيا إلى الآخرة، وانتقل من الاهتمام بالأموال والأشياء إلى الاهتمام بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

والعرش هو أنور المخلوقات وأعلاها وأوسعها .

والله رب العرش العظيم، ورب العرش الكريم، استوى على هذا العرش العظيم برحمته ، فالعرش أعلى المخلوقات وأكبرها وأوسعها وأنورها ، والله يُريد من هذا الإنسان أن يتصف بصفات العرش، علواً واتساعاً وإنارة.

فبنور الإيمان يعرف الخالق من المخلوق، ويخترق الصور إلى المصور، ويخترق محبوبات النفس إلى محبوبات الرب ويُقدم الآخرة على الدنيا، ويستأنس بالله ويستوحش من غيره: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فإذا عرف الإنسان ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه، وإذا أحبه أطاعه، وإذا أطاعه عبده في كل حال بما يحبه ويرضاه ، فالمعاصي جاءت بسبب الجهل بالله، وما له من الأسماء الحسنی، والصفات العلاء ، والأفعال الكبرى .

والأعمال ثقيلة على النفوس حتى نعرف الأمر الذي أمر بها، والمعبود الذي أمرنا بالتعبد بها، وعلم التوحيد هو مصباح الهدى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوَكُمُ ﴾ [محمد/ ١٩] .

فهذا غذاء القلوب ، وغذاء القلوب أن تمتلئ بالإيمانيات ، فإذا جاء هذا الإيمان اتسع هذا القلب، وانشرح الصدر، وتحركت جميع الجوارح بجميع أنواع الطاعات التي يحبها الله ﷻ وسابق المؤمن إلى أنواع الخيرات والقربات وسارع إلى كل فريضة ونافله، وإلى أداء كل ركن، وواجب، ومستحب، وأبعد عن كل معصية وبدعه، وصغيرة وكبيرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ ٥٧ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ٥٨ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ ٥٩ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ ٦٠ ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ ٦١ ﴿ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١] .

إذا اتسع القلب بالإيمان انشرح وانفتح للطاعات والعبادات كلها فصار واسعاً يستوعب جميع ما يحبه الله ويرضاه، فتراه يتغذى بامثال جميع الواجبات والمستحبات، والنوافل والتطوعات، تجده يتغذى من تلك العبادات، لذلك كان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ؛ لأنه عرف ، عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرف عظمة نعمه وإحسانه ، ومن ذاق عرف، ومن عرف عرف: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ ﴾ ٩٠ ﴿ [الأنبياء: ٩٠] .

فمعرفة الرب العظيم أمر عظيم، وهو الدرس الأول في هذا الدين ، هو الدرس الذي فيه الحياة، فيه حياة القلب، وحياة الجوارح .

حياة القلب بالإيمان والتوحيد والتقوى ، وحياة الجوارح بالأعمال الصالحة والجوارح منقادة للقلب الذي يأمرها بأداء الأعمال لله الواحد الأحد، على سنة

النبي ﷺ: ﴿فَتَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ومقصودنا أن نترقى في معرفة الإله جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله، حتى تطابق صفاتنا صفات العرش علواً: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾ [آل عمران/ ١٣٩].

واتساعاً نتسع يعني هذه القلوب لجميع أنواع الطاعات.

ونوراً وإشراقاً يبدد كل ظلمة، ويحرك إلى كل طاعة: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِيَّةِ فَلُوبِهِمْ مِّنْ ذَكَرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [الزمر: ٢٢].

إذا اطمأنت القلوب بالإيمان، جاءت الطاعات بعد هذا الإيمان، وجاء الحب الكامل لله والتعظيم الكامل له والذل الكامل له ، كما تطمئن الأرض بالمطر إذا نزل عليها فتنبت من كل زوج بهيج ، كذلك هذه القلوب تطمئن بذكر الله، بتوحيد الله، بمعرفة الله، بمعرفة أركان الإيمان، معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة ملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره .

نعرف هذه المعارف الغيبية حتى يمتلئ القلب بالإيمان، فتأتي بعد الإيمان محبة الله وإذا أحببناه أطعناه، وإذا أطعناه عبدناه بما يحبه ويرضاه وصبغنا حياتنا بالصبغة التي يحبها الله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۗ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ [البقرة/ ١٣٨].

هو جل جلاله البصير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ويبصر الغائب كما يبصر الشاهد، ويرى الذرات كما يرى المجرات، ويرى سبحانه ما في جوف البحار المظلمة من المخلوقات والذرات كما يرى عرشه الذي هو مستوٍ عليه: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾ [المالك/ ١٩].

عالم البر عالم مشهود، وعالم البحر عالم غيبي حتى نطلع عليه، فمن الغيب ما يمكن الإطلاع عليه كما في جوف البحار، وبطنون الجبال، وكما في الصناعات ، و كل ما

غاب عني إذا عرفته صار مشاهدة ، لكن المحيط بالغيب كله هو الله ﷻ: ﴿وَإِنَّمَا مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وهذا العالم المشهود جزء من عالم الغيب، وعالم الغيب ذرة من خزائن الله عز وجل. هو الله الخالق البارئ المصور، هو الخالق الذي أظهر المخلوق من عدم ، البارئ الذي أوجد الشيء لمهمة ، أوجد الشمس لمهمة الإنارة، وأوجد الأرض لمهمة الإنبات وأوجد اللسان لمهمة الكلام، هو الله الخالق البارئ المصور الذي صور كل مخلوق على صورة تميزه عن غيره، وجعل له علامة تدل عليه كالجبل والبحر، والطيور والحيوان، والنبات، والإنسان، والملائكة وغيرهم: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٧].

هو المصور: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران/ ٦].

هذا أبيض وهذا أسود ، هذا ذكر وهذا أنثى ، هذا طويل وهذا قصير ، وهذه الأزهار المختلفة ، وهذه النباتات المتنوعة ، وهذه الحيوانات المختلفة ، كل شيء الله ﷻ جعل له صورة، وبعد التصوير جعل الحسن: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: ٦٤].

والحسنة درجات، أعلاه منتهى الجمال، وأدناه أقل الجمال ، وليس في الكون مخلوق قبيح، لأن فعل الله كله حسن وأحسن، والله يريدنا في أحسن شيء ، لذا أمرنا بالحسن والأحسن، ودعانا للأحسن ، أمرنا بالعدل والإحسان، ودعانا إلى الإحسان فقال: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

فهو ﷻ يريد لنا أن نكون في أحسن شيء، في أعلى شيء نتصف بالصفات التي يحبها على شاكلة العبودية، فالله يحب صفاته، ويحب من اتصف بها، ويجزيه بأحسن الجزاء: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۚ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦١﴾ [يونس: ٢٦].

الله بصير هو الذي وهب البصر لكل مُبصر من الحيوانات، و الطيور، والإنس، والجن، والملائكة، وجميع المخلوقات، فلا إله إلا الله كم حسنه ﷻ؟، وكم حسن دينه؟، وكم حسن ثوابه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].  
والبصر موهوب، والموهوب قد يُسلب .

فالله ﷻ هو البصير، والبصير صفة ذاتية له جل جلاله ، هو السميع البصير الذي يملك السمع والأبصار جل جلاله ، هو البصير الذي يُبصر ديبب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء ، ويرى مجاري القوت في أعضائها ، ويرى جريان الدم في عروقها ، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة كما يرى العرش العظيم:  
﴿عَلِمَ الْغَيْبُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

فسبحان من أحاط سمعه وبصره وعلمه بكل كبير وصغير في ملكه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس/ ٦١] .

فلا إله إلا الله الملك الحق المبين ، السميع البصير الذي يسمع ويرى كل ذرة في ملكه العظيم، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلاء، وليس له شبيه ولا مثل في ذاته، وأسمائه، وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١] .

هو القوي الذي ليس كمثلته شيء في القوة ، هو الملك الذي ليس كمثلته شيء في المُلْك ، هو الكريم الذي ليس كمثلته شيء في الكرم ، هو السميع الذي ليس كمثلته شيء في السمع ، هو البصير الذي ليس كمثلته شيء في البصر: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

[الإخلاص: ١ - ٤].

هو البصير الذي يُبصر الأشياء كلها ، البصير الذي يُبصر المُبصرات كلها ، البصير الذي يرى المخلوقات كلها ، البصير الذي يُدرك الحقائق كلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [١٨] [الحجرات/ ١٨] .

فسبحان البصير العليم بكل شيء ، البصير الذي يعلم المقاصد والنيات ، ويعلم سر الأقوال والأعمال ، ويعلم الأسرار والخفيات ، ويعلم ما في القلوب من الإرادات والنيات ، ويعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [١٩] [الملك: ١٩] .

والسر والجهر عنده سواء: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] [الملك/ ١٣ - ١٤] .  
هو جل جلاله البصير الذي يعلم بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء .  
وقد ورد اسم البصير في القرآن أكثر من (٥٠) مرة .

والبصير من أسماء الله الحسنى ، والعقل إذا لم يستنر بنور الوحي فهو أعمى ، لا بد للعقل من الوحي أو الهوى ، إما ينجر العقل إلى الهوى فيقدم الدنيا على الدين أو يستنير بنور الوحي فيقدم الدين على الدنيا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [١٠٤] [الأنعام: ١٠٤] .

فالعقل إذا لم يستنر بنور الوحي فهو أعمى ، وحاجة العقول إلى وحي السماء أعظم من حاجة العيون إلى رؤية الأشياء: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [٤٦] [الحج: ٤٦] .

فالإنسان مهما كان ذكياً، ومهما كان عاقلاً، ومهما كان عالماً، هو جاهل بدون الوحي ، لا بد أن يستنير العقل بنور الوحي ، فيعرف المشاهدات والغيبات، ويعرف محبوبات الرب، ومحبوبات النفس ، ويعرف الدنيا والآخرة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [١٧٤] [النساء: ١٧٤ - ١٧٥] .  
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [١٧٥] [النساء: ١٧٥ - ١٧٥] .

لابد لكل إنسان من نفخة الرسول الملكي لتحصل الحياة للأبدان، ونفخة الرسول البشري، لتحصل الحياة للقلوب، ويأتي نور الإيمان في القلب، هذا الحي إلى ربه على صراط مستقيم، بالوحي وبالإيمان : ﴿قُلْ إِنِّي هَدِنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١١١] [الأنعام/ ١٦١] .

وإذا استنار العقل بنور الوحي ازداد علماً ونوراً وعملاً: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٢] [الأنعام/ ١٦٢] .

فالناس اثنان، إما سائر في النور، يسير من نور إلى نور، حتى يدخل دار النور والسرور والخلود، وهذا هو المؤمن، أو يسير في الظلام، يسير من ظلمة إلى ظلمة، حتى يدخل دار الظلام والشقاء والخلود، فالنار أظلم ما خلق الله: ﴿وَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١١٣] [الأنعام: ١٢٢] .

أسلم قلبه لربه، وأسلم جوارحه لطاعة مولاه، لأنه عرف من يستحق العبادة وحده ومن يستحق الحمد والشكر وحده، وعرف أن ربه ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، وعرف أخباره الصادقة، وعرف أوامره الحكيمة، فتوجه إلى ربه، وأقبل على عبادته، لأنه هو الرب الخالق الكريم الحكيم الذي استضاف هذا الإنسان في بطن الأم تسعة أشهر، ليكمل الله أعضائه وجوارحه، واستضافه في بطن الدنيا ما شاء الله من العمر، ليكمل هو الإيمان والأعمال الصالحة، ثم يستضيفه في بطن القبر في روضة من رياض الجنة حتى البعث، ثم يستضيفه في الجنة دار القرار، حيث النعيم والخلود الأبدي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [١١٤] [محمد: ١٢] .

فحياة البشرية من دون الدين كلها جحيم ، البشرية من دون وحي السماء تمتلئ بالكفر، والشرك، والظلم، والجور، والفسق ، والخوف .

فلهذا يذوب قلب المسلم في جوفه، لما يرى في العالم الآن ، لما يرى من الفتن العظيمة، والانحرافات والمعاصي التي تُسخط الرب، وتوجب أليم عقابه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ

يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ [الأنفال: ٢٤-٢٥].

فأحسن حياة حياة الأنبياء والمؤمنين، لأن الله فتح لهم أبواب الخير والسعادة، لما فتحوا قلوبهم للإيمان به وتقواه.

فإذا عبدت الله بهذه العبودية، يوم القيامة تراه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَىٰ صَلَاتَيْنِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» متفق عليه (١).

وهذا المؤمن يقرب من ربه يوم القيامة كما قرب من ربه في الدنيا، وتقرب إليه، وعبده، وأطاع أوامره: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

فمن دخل جنة المعرفة في الدنيا وعمل بموجب هذه المعرفة أدخله الله يوم القيامة جنة الآخرة التي فيها من نعيم المقيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب وبشر وفوق ذلك رضوان الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فالطاعة تأتي بعدها الحسنة والنعمة، المعصية تأتي بعدها العقوبة والسيئة والشدة، فالسعادة مقترنة بكل طاعة، والشقاء بكل معصية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣].

أما الكفار فهم بعيدون عن نظر الرب جل جلاله، محجوبون عن رؤيته، لأنهم حجبا أنفسهم عن معرفة الله، وعن العمل بأحكام الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٥-١٧].

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ٥٥٤، ومسلم برقم: ٦٣٣.

فمن زاغ عن الدين أزاغ الله قلبه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

ومن نسي ربه نسيه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة/ ٦٧].

فهؤلاء الله أعطاهم الأسماع والأبصار والعقول، وأنزل عليهم الوحي، وأرسل إليهم الرسل، وأقام عليهم الحجّة، لكنهم لم يستجيبوا لربهم، ولم يسمعوا لرسوله، ولهذا الله ﷻ يوم القيامة يحجبهم عن رؤيته .

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين/ ١٥].

والله ﷻ بصير بالعباد يُعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب: ﴿قُلْ إِنْ أَرَادْتَ أَنْ تَنْفَعَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا وَيُخَوِّفُهُمْ يَوْمَئِذٍ بِطُونٍ﴾ [الأنعام/ ١٠٦].

﴿يَشَاءُ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤].

وإذا أخذ الله من عبده الدنيا، وتجلّى عليه بمعرفته، والعمل بشره، والإنس به، فهذا أعظم الرابحين، وأكبر الرابحين، وإذا أعطاه الدنيا، وحجبه عنه، فهو أكبر الخاسرين، إذا أخذ الله ﷻ من العبد الدنيا التي تشغله عن ربه وعن المسارعة إلى الخيرات ولكنه تجلّى عليه بمعرفته وحسن عبادته ودوام ذكره وشكره والعمل بشره فهذا أعظم الرابحين: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

أما إذا أعطاه الدنيا، وكان محجوباً عن ربه، فهذا هو أعظم الخاسرين وذلك هو الخسران المبين: ﴿قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

فمن عرف ربه وأطاعه فهو أكبر الرابحين، ومن لم يعرفه وعصاه فهو أكبر الخاسرين: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٨] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [٩].

يستحيل أن نطيع الله ونخسر، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وكذلك يستحيل أن نعصيه ونربح لا يمكن أن نعصيه ونربح، بل إذا أطعناه ربحتنا، وإذا عصيناه خسرتنا .

فالدنيا مركز للاستثمار، والناس يخرجون منها إما رابح وإما خاسر، والله يرى هؤلاء وهؤلاء: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وكل البشرية في حسان إلا من اتصف بأربع صفات: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر / ١-٣].

والله رؤوف بالعباد خلقنا وخلق فينا السمع والبصر والفؤاد، لنعرفه ثم نعبده: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

فهذا البصر الذي خلقه ﷻ فينا، مطلوبٌ أن نفعله، وأن نستفيد منه، ونتعرف به على الله وآياته الكونية العظيمة، وعلى الآيات القرآنية الكريمة: ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

من يملك هذا البصر يُبصر به الخير من الشر، ويعرف الحق من الباطل، ويميز بين الخالق والمخلوق ويرى الحق فيعمل به، ويرى الباطل فيجتنبه: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

الذي يطيع الله ﷻ ويعبده، هو الذي يملك الرؤية الصحيحة، هو الذي يملك البصر الصحيح، هو الذي يملك البصيرة الصحيحة.

الذي يؤمن بالله، ويلتزم بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويطيع ربه ويعبده، هو الذي يملك الرؤية الصحيحة، عرف المعبود، وأنه الذي يستحق العبادة، وعرف الكريم، وعرف من هو أهل الشكر والحمد جل جلاله، هذا هو الذي يملك الرؤية الصحيحة:

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١٥] ﴿ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [١٦] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٧].

[السجدة: ١٥-١٧].

هذا هو المؤمن الذي عرف ربه بأسمائه وصفاته، وعرف دينه وشرعه، وعرف ثوابه وعقابه وعرف وعده وووعيده ، هذا هو المؤمن الذي يطيع الله، ويعبده بالمحبة الكاملة والتعظيم الكامل، والذل الكامل.

هذا هو المؤمن الذي يملك الرؤية الصحيحة ببصره وبصيرته يخترق المخلوقات ليرى خالق المخلوقات، ويخترق الصور يرى المصور، ويخترق الأرزاق يرى الرازق.

أمن بربه فقدم ما يحب الرب على ما تحب النفس ، وقدم الأعلى على الأدنى ، وقدم الآخرة على الدنيا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيَابَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

حتى نترقى لهذه الرؤية، لابد أن نجلس مجالس الإيمان ، مجالس الذكر ، لنعرف الملك الحق، ونعرف ما يحب الرب، ونعرف ما يُسخط الرب، ونعرف من يستحق العبادة ممن لا يستحق العبادة: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

إن الذي يعصي الله ﷻ، ويقترف المحرمات، ويغشى الكبائر، يملك رؤية فاسدة تُشقيه في الدنيا والآخرة.

من يعصي الله ﷻ عنده رؤية، ولكنها رؤية فاسدة سار بها إلى إكمال شهواته كالبهائم، يتلذذ بالخمور، يتلذذ بالنساء، يتلذذ بأكل الربا، يتلذذ بسفك الدماء، ويتلذذ بأكل أموال الناس بالباطل، ويقترف المحرمات، ويغشى الكبائر، هذا الإنسان عنده رؤية، ولكن رؤيته فاسدة تُشقيه في الدنيا والآخرة: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

أما الرؤية الصحيحة فهي تُسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

أَسْتَقْمُوا نَتَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

هو البصير الذي خلق وخير: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَذُنَا فَنَسِينَهَا ۗ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٣٦﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

المؤمن حقاً يرى الدنيا كلها لا تساوي حسنة واحدة، وينظر إليها على أنها مطية للآخرة، وأنها مزرعة للآخرة ، قال النبي ﷺ: «الموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» أخرجه البخاري (١).

فستان بين الحياة الفانية والباقية: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾ [العنكبوت/ ٦٤].  
 وستان بين دار الغرور ودار السرور: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿٥﴾ [فاطر/ ٥].

فالذي خلق الدنيا هو الذي حذرنا من التعلق بها، لأنها لهو ولعب وزينة وتفاجر وتكاثر: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ﴿٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

وحب الدنيا، وحب النساء، أخطر شيء على الإنسان.  
 قال ﷺ: «الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» أخرجه مسلم (٢).

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣٢٥٠.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ٢٧٤٢.

وقال ﷺ: «ما تركتُ بعدي فتنةً أضربَ على الرجالِ من النساءِ» متفق عليه (١).  
 فإذا اشتغل الإنسان بالأوامر الشرعية، أشغله الشيطان، وأشغله النفس، بالشهوات  
 الحيوانية: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ ﴿٥٩﴾  
 [مريم: ٥٩].

### • وأعظم الشهوات التي تصرف الخلق عن عبادة الله:

حب الدنيا .. وحب النساء

وهذا أخطر شيء على الإنسان ، وكان اليهود والنصارى والكفار يحاربون المسلمين  
 بالسلاح والنار فلما أخفقوا حاربوهم بالشهوات والنساء، فسقطوا جرحى وقتلى في  
 هذه المعركة ، وهي أعظم من معركة السلاح والنار: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ  
 عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ  
 حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢١٧﴾  
 [البقرة: ٢١٧].

والحق والباطل ضدان لا يجتمعان كالنور والظلام ، فلا بد إذا دخل هذا يخرج  
 هذا: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبُطْلُ إِنَّ الْبُطْلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾ [الإسراء/ ٨١].  
 والله وكلنا بالعمل بالحق، والدعوة إلى الحق، كما وكل الشمس بالإنارة، والسحب  
 بإنزال المياه، والأرض بالإنبات كذلك وكلنا الله بالعمل بالحق، والدعوة إلى الحق،  
 والدفاع عن الحق: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو  
 الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

فاليهود والنصارى والمشركون والكفار عموماً يحاربون المسلمين بالسلاح والنار،  
 لأنهم يعتقدون أنهم على حق، ويعتقدون أننا على باطل.  
 والحق والباطل لا يجتمعان أبداً ، والباطل لا يسكت عن الحق أن يمتد، لأن ظهور  
 الحق يزيل الباطل ، فلما أفلسوا في هذه الحرب، جاؤا بحرب أخرى، حرب

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٥٠٩٦ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٧٤٠ .

الشهوات، وحرب النساء ، فانهزم كثير من المسلمين أمام الشهوات الحيوانية، ثم جرحهم الشيطان من الصغائر إلى الكبائر إلى الردة إلا من رحم الله: ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۖ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۗ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۗ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۗ ﴾ [النساء: ١١٩-١٢١].

وهذا الإنسان فيه نفس حيواني، وروح ملكي، ولكل منهما محبوباته.

### • ومحوبات النفس خمسة :

المأكولات .. والمشروبات .. والمركوبات .. والملبوسات .. والمنكوحات .

ومحوبات الروح هي الدين اعتقاداً، وأقوالاً، أفعالاً، وأخلاقاً.

فالشهوات تأخذ منها بقدر الحاجة حسب أمر الله، ونعطي للدين بقدر الطاقة.

والشيطان واليهود والنصارى والكفار اجتهدوا على المسلمين حتى تنقطع صلتهم بالله ﷻ، ليقدموا شهوات النفس على محوبات الرب.

والغزو الآن حي شرس بهذه الصورة، حب الدنيا، وحب النساء، وذلك أخطر شيء

على الإنسان، وهذا محمل الابتلاء: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۗ ﴾ ٢ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴾ ٣ ﴿

[العنكبوت: ٢-٣].

ومن صحت رؤيته صح عمله ، من صحت رؤيته من البشر بالإيمان عرف الله، وعرف

ما يحب، وعرف الأحكام الشرعية، صح عمله، ثم صلحت حياته، ثم رضي الله .

فمن أطاع الله علم أن الله يجزيه على عمله بأحسن الثواب، ومن عصى الله رأى أن

المعصية والشهوات المحرمة تجلب له منفعة: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۗ

وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسَىٰ ۗ ﴾ ٨٣ ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۗ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ

سَبِيلًا ۗ ﴾ [الإسراء: ٨٣-٨٤].

فمن صحت رؤيته، صح عمله، ثم سعد في الدنيا والآخرة، ومن فسدت رؤيته، فسد

عمله، ثم شقي في الدنيا والآخرة: ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ

وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١١٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾ ﴿آل عمران: ١٦٢-١٦٣﴾.

الله ﷻ هو السميع البصير ، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلا ، ومعرفة أسماء الله الحسنی هي غذاء القلوب، لأن هذه القلوب تتغذى بسبعة أمور :  
معرفة الله . . . ومعرفة أسمائه . . . ومعرفة صفاته . . . ومعرفة أفعاله . . . ومعرفة خزائنه . . . ومعرفة وعده . . . ومعرفة وعيده .

إذا تغذى القلب بهذه الأمور امتلاً بالإيمان، ثم استنار، ثم استعد للطاعات، وامثال الأوامر، واجتناب النواهي ، ثم يزداد نوراً بمعرفة كتب الله، ورسله، وأنبيائه، وملائكته، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

وكل ما ازداد الإنسان معرفة بهذه الأركان ازداد نور الإيمان في القلب ، وبحسب النور يكون العمل، وتكون المحبة والتعظيم والذل لله ﷻ ثم يكون الثواب: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

والله ﷻ هو البصير الذي وسع بصره جميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، يراها جميعاً في آن واحد كأنها مخلوق واحد.

هو البصير الذي يرى كل ذرة، وكل نية، وكل كلمة، وكل رقم، وكل خاطرة، وكل خافية، وكل ظاهر، وكل باطن، وكل متحرك وكل ساكن: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى السَّمَاءِ فَوَقَّهْمُ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَائِمَسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك/ ١٩].

وإذا عرف العبد هذا ازداد نوراً، وامتلاً قلبه بالإيمان ، وإذا عرفت هذا فاعلم إنه لما عسر على أبصار الخلق أن تدرك قرص الشمس المخلوقة في رابعة النهار، لامتناعها بشعاع ضياءها عن إدراك قرصها، وهي خلق من خلقه سبحانه لا يدركها البصر، فكيف يدرك البصير الصغير ببصره الضعيف البصير الكبير سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾

تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].  
وبقدر قوة العلم والتدبر والتفكر تكون قوة الإيمان والتقوى.

فانظر إلى هذه الشمس العظيمة التي نراها البصر الصغير إنما يرى شعاعها، وشعاعها حجب قرصها، فهي امتنعت بشعاع ضيائها عن إدراك قرصها، وهي خلق من خلقه سبحانه لا يدركها البصر ، فكيف يدرك البصير الصغير ببصره الضعيف المحدود البصير الكبير سبحانه: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٣] . .

وإذا أدركته الأبصار كان مقدوراً عليه، والله قادر لا يحيط به أحد، هو أحاط بكل شيء علماً، والخلائق لا تحيط به علماً، لأن أسماءه وصفاته غير متناهية، لأنه الكامل في ذاته، في أسمائه، في صفاته، في أفعاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه: ٨].

فسبحان ربنا السميع البصير، الخالق لكل شيء، الوكيل على كل شيء: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ [الزمر: ٦٢].

وكيل على الشمس ، وكيل على القمر، وكيل على الأرض، وكيل على الألسن، وكيل على الأسماع، وكيل على الأبصار، وكيل على الحيوانات، وكيل على البحار، وكيل على الرياح، وكيل على كل شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ذلكم الله ربكم ، هو بديع السموات والأرض ، له ما في السموات وما في الأرض ، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء.

العرش شيء، والكرسي شيء، والسموات شيء، والملائكة شيء، والشمس شيء، والقمر شيء، والنجوم شيء، والكواكب شيء، والفضاء شيء، والمجرات شيء، والله خالق كل شيء: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

والأرض شيء، وفي الأرض آيات ومخلوقات عظيمة من الجبال والسهول، والبحار،

والأنهار، والأشجار والنباتات، والحيوانات والطيور، والإنس والجن.

والله خلق جميع هذه المخلوقات مسبحة بحمده، وشاهدة بوحدانيته، وخاضعة لأمره، ودالة على جلاله وجماله وهو جل جلاله يرى جميع مخلوقاته، ويعلم بجميع مخلوقاته، لأنه عالم الغيب والشهادة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

هو البصير الذي يبصر كل ظاهر وكل باطن، فالإنسان عريان أمام ربه في سمعه، وفي بصره، وفي قلبه وقالبه، وفي نيته وفكره، وفي أقواله وأعماله، وفي سره وعلانيته.

الإنسان مكشوف أمام ربه السميع البصير العليم الذي لا تخفى عليه خافية.

هو البصير الذي نفذ بصره في جميع مخلوقاته وانكشفت له جميع ذرات مخلوقاته، هو البصير الذي يرى كل شيء: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك/ ١٩].

هو جل جلاله كما لا تدرك الإبصار ذاته، كذلك لا تدرك كنهه البصائر، ولا تحيط بشيء من علمه إلا بما شاء وهذه الأبصار الله ﷻ يوم القيامة يبدلها خلقاً آخر، فترى

الله ﷻ ولكن لا تدركه ، أنا أرى هذا البحر لكن لا أحيط بظاهره ولا باطنه ولا مساحته، كذلك يوم القيامة المؤمنون سيرون ربهم لكنهم لا يحيطون به، لأنه هو

المُحِيطُ بِكُلِّ مَحِيْطٍ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

كما لا تدركه الأبصار جل جلاله، كذلك لا تدرك كنهه البصائر والعقول ، ولا تحيط بشيء من علمه إلا بما شاء ، فعلم الله واسع، وأعطانا من علمه ما عرفنا به وعرفنا

بأوامره جل جلاله ، لكن هو العليم بكل شيء، المُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ، هو وحده الذي يعلم بما كان وما يكون وما سيكون: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

والله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، يتكلم بما شاء، ويكلم من شاء.

وقال ﷻ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيُكَلِّمُه رَبُّهُ ، ليس بينه وبينه تُرْجَمَانٌ ، ولا حِجَابٌ

يُحِجُّهُ» متفق عليه<sup>(١)</sup> .

فكلام الله ﷻ مسموع بالأذان، مفهوم للعقول، ولكن لا يدرك البشر كيفية كلام الرب سبحانه، وإنما يدركون أمره ونهيه، فالبشر لا يدركون كيفية كلام الرب، وإنما يدركون أمره ونهيه فقط، تعالى الله أن يتكلم بمثل كلامه، أحد أو يعرف كيفية كلامه أحد، أو يدركه بصر، أو يحيط به شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى / ١١] .

ومن آمن بربه في الدنيا وعنده كأنه يراه، وسمع كلامه بواسطة كتابه الذي أنزله، وعمل بما فيه، فإنه يراه سبحانه في الآخرة عياناً، ويسمع كلامه دون واسطة، كما قال ﷻ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣] . .

فسبحان الإله الحق الذي خلق الأشياء كلها، ودبرها أحسن تدبير، في العالم العلوي والعالم السفلي، خلق سبحانه الخلق لا من شيء بل هو بديع السموات والأرض: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١] .

خلق سبحانه الخلق لا من شيء بقدرته ، وابتلاهم من غير حاجة لهم بحكمته، ابتلاهم بالأوامر والشهوات، وابتدعهم من غير حاجة لهم بقدرته ، لأنه القادر الذي يفعل ما يشاء بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، يفعل بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢-٨٣] .

يفعل بالأسباب فيجري الرياح، ويرسل الرسل، ويرسل السحب، فتمطر على الأرض فتنبت النبات: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧] .

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ٧٤٤٣، ومسلم برقم: ١٠١٦ .

ويفعل سبحانه بضد الأسباب كما أنجى إبراهيم عليه السلام في النار، وجعلها بردًا وسلامًا:  
﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وكما أنجى يونس في بطن الحوت، وكما دمر فرعون مع ملكه وسلطانه، وخسف بقارون مع غناه وماله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٠٧﴾ [البقرة: ١٠٦-١٠٧]. فسبحان القادر على كل شيء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس / ٨٢].

في ثانية واحدة يرسل الله زلزالاً يدمر ما عمرته البشرية في مئات السنين، يكون خسف أو رياح أو غرق: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس / ٨٢]. هو البصير العليم، علم كل شيء، وكتب كل شيء، وقدر كل شيء: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ ﴿٥٣﴾ [القمر / ٥٢-٥٣].

فالله عز وجل يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، لأنه الملك الذي بيده مقاليد الأمور، والأسباب مفعولة مخلوقة مأمورة مدبرة: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك: ١].

فللدنيا أسباب يجب العمل بها، وللآخرة أسباب يجب العمل بها، لكي نفوز بالجنة، وننجو من النار، ولكن دخول الجنة برحمة الله، والعمل سبب، فنحن نفعل الأسباب لأن الله أمرنا بها، لكن الفضل كله لله: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ﴾ ﴿٧٣﴾ [آل عمران: ٧٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لن يدخل الجنة أحدٌ إلا برحمة الله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته» متفق عليه <sup>(١)</sup>.

فالله هو الذي خلق، وهو الذي هدى، وهو الذي أعان على العمل، وهو الذي حبب إلينا العمل، وهو الذي ضاعف لنا الأجر، وهو الذي يُعطينا الأجر، ونحن لا نستحق الأجر على العمل، لأننا عبیده، لكنه كريم، نحن عبیده نعمل العمل لا لمصلحته هو،

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ٥٦٧٣، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٨١٦.

بل لمصلحتنا نحن، والله غني عنا وعن أعمالنا: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦] .

والله ﷻ كبير قبل أن نكبره ومحمود قبل أن نحمله، وغني عن كل العالمين، لكن العمل نفعه عائد علينا، فنحمد الله ﷻ أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وإن ربنا ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والأفعال الحميدة، وأن عرفنا بأسمائه وصفاته، ودلنا على أحسن الأوامر ودلنا على أحسن الجنات، ومكننا من العمل، وحبب إلينا العمل، وضاعف لنا العمل والأجر.

فله الحمد في الأولى والآخرة وله الحمد أولاً وأخراً على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

فكل من أطاع الله فبفضله، ومن عصى الله فمن نفسه ، هو العبد الذي عصى الله ، فكل طاعة وكل نعمة من الله، وكل شر وكل سيئة من الإنسان: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

إن الله خلق الإنسان وجعل له الخيار، إما أن يطيع أو يعصي، إما أن يؤمن أو يكفر، فإذا أطاع الإنسان ربه بفضل الله ، والله أعانه على ذلك، وإذا عصى الله، فإنه هو الذي وجه الطاقة الاختيارية إلى معصية الله، هذا من نفسه، أما كل خير وكل نعمة فمن الله وحده: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]. فسبحان الرب الحكيم في خلقه وأوامره:

خَلَقَ خَلْقًا مِّن خَلْقِهِ عَقُولًا بِلَا أَجْسَامٍ، وَهَمَّ الْمَلَائِكَةُ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَهَوَاتٌ، بَلْ هُمْ صَمِدٌ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى أَكْلِ أَوْ شَرَبٍ وَلَا نَوْمٍ، فَرِغَهُمُ اللَّهُ لَذِكْرِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ.

وَخَلَقَ مِّن خَلْقِهِ شَهَوَاتٍ بِلَا عَقُولٍ وَهَمَّ عَالَمِ الْحَيَوَانَاتِ، الَّذِينَ لَا هَمَّ لَهُمْ إِلَّا الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ وَالنَّوْمُ.

وَخَلَقَ مِّن خَلْقِهِ مِّنْ لَهُمْ شَهَوَاتٍ، وَلَهُمْ عَقُولٌ، شَهَوَاتٍ يَسْتَعْمَلُونَهَا كَمَا يَسْتَعْمَلُهَا

الحيوان في الأكل والشرب، وعقول يعقلون بها أمورهم، ويستقبلون بها أوامر ربهم، ويعملون بموجبها.

وهذا الإنسان مبتلى بثلاثة أمور:

الشهوات الحيوانية . . والأوامر الشرعية.. والمصائب القدرية .

فإن وجد مُذكر مالت النفس إلى الأوامر الشرعية، وإن لم يوجد المُذكر قويت النفس على الروح الملكية، واقترن بها الشيطان، وحب الدنيا والشهوات، فغفلت عن ربها، واشتغلت بالنعمة عن المنعم وأذهبت طيباتها في الحياة الدنيا، وغفلت عن الآخرة .

لهذا لا بد من التذكير المستمر لتذهب الغفلة، لا بد للغافل من التذكير، ولا بد للصالح من الإصلاح ولا بد للعالم من التعليم هكذا نكون أمة جاهلها يتعلم: ﴿فَتَشَلُّوْاْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل / ٤٣] .

ومُعَلِّمَهَا يُعَلِّمُ : ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّنِيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ [آل عمران / ٧٩] .

فأمة مُعَلِّمَهَا يُعَلِّمُ، وجاهلها يتعلم، هذه الأمة ارتقت إلى درجة عالية من العلم بالله وأسمائه وصفاته، والعلم بأوامره وأحكامه، والعلم بوعدته ووعدته، والعمل بموجب ذلك .

فهذه الأمة تسعد في الدنيا، وتسعد في الآخرة: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [٦٣] لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ ذَلِكُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [٦٤] ﴿

[يونس: ٦٢-٦٤].

والله ﷻ يريد أن ترتقي الأمة إلى هذا المستوى العالي من العلم والعمل والأخلاق، وأعلى درجات البشرية هي حياة الأنبياء والرسل، وفي حياة الأنبياء والرسل لا بد لنا من الاقتداء بهم في أحسن الصفات التي طبعهم الله ﷻ عليها، وجملهم بها: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ﴾ [٩٠] ﴿

[الأنبياء: ٩٠].

والله ﷻ جمع الصفات العالية في الأنبياء، وجمع جميع صفات الأنبياء في سيد الأنبياء ﷺ، وفرق هذه الصفات العالية في أمة سيد الأنبياء الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فلنجهت على هؤلاء الناس حتى نُخرج هذه المعادن النفيسة ونظهرها في الأمة، ليكون العالم مُعلماً والذاكر مُذكراً والصالح مُصلحاً.

هذه المعادن النفيسة كالشمس والقمر والنجوم فالله خلق النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، وكذلك العلماء في الأمة زينة لأهل الأرض، وعلامات يهتدى بها، ورجوماً لأهل البدع والفسق.

ولهذا لا بد أن نصل إلى هذا المستوى العالي، ونجهت على أنفسنا لنكون في الصف الأول في الدين، في الصف الأول في التوحيد، في الصف الأول في الإيمان، في الأقوال، في الأعمال، في الأخلاق، في الأمر بالمعروف، في النهي عن المنكر.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١-١٢].  
لا بد من العمل المستمر، نحن أمة عاملة، أمة ليس عندها إلا العمل، أمة لها حالتان: قياماً بين يدي الرب . . وقيام بين يدي الخلق .

قياماً بين يدي الرب بالعبادة: ﴿يَأْتِيهَا الْمَرْمَلُ ﴿١﴾ فُرَاتِلَ إِلْقِيلًا ﴿٢﴾﴾ [المزمل / ١-٢].  
أقوم بين يدي ربي بالعبادة مكبراً له، مُعظماً له، حامداً له، مستغفراً له.

وأقوم بين يدي الخلق داعياً إلى الله، محسناً إلى خلق الله، فالكافر أدعوه إلى الله، والجاهل أعلمه، والفقير أواسيه، والمسيء أحسن إليه: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ﴿١﴾ قُرْآنًا ذَرًّا ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَبَايِكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾

[المدثر: ١-٧].

### • فالدين ركنان :

عبادة الحق . . والإحسان إلى الخلق .

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء / ٣٦].  
وأقيموا الصلاة عبادة الحق، وأتوا الزكاة الإحسان إلى الخلق، فالإنسان بين جهد على النفس، وجهد على الخلق، اجتهد على نفسي بالطاعات والاستقامة، حتى يرضى

عني ربي، لأنني امثل أو امره، واجتنب نواهيه، وأدعو الناس إلى عبادة الله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨).

والاستقامة على العبادة والدعوة والإحسان تاج الدين كله: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود: ١١٢).  
ومن أراد حسن الاستقامة فليتبِع الرسول ﷺ في خمسة أمور:  
في نيته وفكره . . . وفي توحيده وإيمانه . . . وفي أقواله الحسنة . . . وفي أعماله الصالحة . . . وفي أخلاقه الكريمة

هذه الأمور الخمسة هي السنة النبوية، وحياة النبي ﷺ محصورة في هذه الأمور الخمسة، فنقتدي به في نيته، فكان ﷺ يتفكر لنفسه وللعالم كله، كيف ينجو من النار، ويدخل الجنة، يتفكر ﷺ لهداية نفسه، وأهله، وعشيرته، وقومه، وبلدته، وما حولها، والناس، والعالم فهذه دوائر نيته وفكره ثمان: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء/ ١٠٧).

وفي توحيده وإيمانه، فأكون قوي التوحيد والإيمان، واليقين والتوكل .  
وفي أقواله الحسنة، فتكون أقوالي، وأذكاري، ودعائي، ودعوتي، كالرسول ﷺ وفي أعماله الصالحة، فأصلي وأصوم، وأحج وأعتمر، وأعبد الله كالرسول ﷺ وفي أخلاقه الكريمة، فتكون أخلاقي، وآدابي، كالرسول ﷺ.

فأتبع الرسول ﷺ في سره وسيرته: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).  
فسبحان من خلق السمع والبصر والفؤاد واللسان لعبادته.

وخلق اللسان وجعل فيه الكلام، إما حامداً، أو ذاكراً، أو شاكراً، أو داعياً، أو معلماً، أو مستغفراً هذه عبودية اللسان في أمرين، إما أتكلم مع الله بالعبادة، أو أتكلم عنه بالدعوة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣).

الله خلق البصر لنبصر به أحسن شيء : ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ  
الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

والنظر والتفكير يثمر الإيمان ويزيده: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا  
وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ ٦ ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ٧ تَبَصَّرَةً  
وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ ٨ ﴿ [ق/٦-٨].

وخلق السمع لنسمع به أحسن شيء وهو القرآن . . وهكذا الكل عضو عبادة.

إذا نظرنا في الملك والملكوت، ونظرنا في مُلك السموات والأرض، عرفنا الخالق  
من المخلوق، والملك من العبيد، والكبير من الصغير، والقادر من العاجز، وعرفنا  
ربنا بعزة الربوبية، وعرفنا أنفسنا بذلة العبودية.

ففي كل عبادة لابد من أن نستحضر أمرين عظيمين:

أحدهما : عزة الربوبية

والثاني : ذلة العبودية

فأولاً: أعرف ربي بأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والأفعال الكبرى، وأنه  
خلق السموات، وخلق الأرض، وخلق الملائكة، وخلق الإنس والجن، وخلق  
المخلوقات بأنواعها، وخلق عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان وخلق العالم  
الذين في البر، والذين في الجو، والذين في البحر خلق جميع المخلوقات: ﴿ ذَلِكُمْ  
اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هذا الملك العظيم الملك الحق، الذي هذا مُلكه وسلطانه، وهذا آياته ومخلوقاته،  
وهذه آلاؤه العظيمة، وهذا مُلكه الواسع، هذا الملك الحق هو ربي.

ثانياً: أعرف نفسي بذلة العبودية لله، فأنا كنت معدوماً فأوجدني الله، وكنت فقيراً  
فأغنانني الله، وكنت ضالاً فهداني الله، وكنت جاهلاً فعلمني الله، فعلي أن أعبد  
وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

[الإسراء: ٧٠].

وجميع المخلوقات من العرش حتى أصغر ذرة مطبوعة على أربع صفات:  
ضعيف . . فقير . . عاجز . . محتاج  
وكل ذرة في الكون لها ثلاثة أوامر من ربها :  
أمر بالإيجاد . . وأمر بالبقاء . . وأمر بالنفع والضرر .

فكل المخلوقات لا تنفع ولا تضر إلا بأمر الله ، النار طبيعتها الإحراق، لكن الله إذا شاء جعلها بردًا وسلامًا وهي تشتعل: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾

[الأنبياء: ٦٩].

والمَلِكُ فيه القوة، لكن الله ﷻ يُدَلُّ بالملك من يشاء كما أذل فرعون، ويُعزَّز بالملك من يشاء كما أعزَّ سليمان، إذا اقترن المَلِكُ بالإيمان أما إذا اقترن المَلِكُ بالكفر ففيه الذلة.

والأمور كلها بيد الواحد الأحد، القادر القاهر، السميع البصير: ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾

[الأعراف: ٥٤].

معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تملأ القلب إيماناً وتقوى، إذا عرفت الغني لا أقف باب الفقير، وإذا عرفت الكبير لست بحاجة للصغير، وإذا عرفت المَلِكُ ليس لي حاجة بالعبيد وإذا عرفت الكريم فلا التفت إلى البخيل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللهُ يَعْلَمُ مُنْقَلَبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فهذه الأغذية تملأ القلب إيماناً، وتحرك الجوارح بالطاعات، فيصلح القلب، وتصلح الحياة وينتشر خيري كمسلم إلى غيري من الكفار، فالكفار يرون مني الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة، فيأتون لهذه الأخلاق المجسدة في هذا الإنسان، كما تأتي الطير إلى الماء العذب فتشربه، وإلى الحَبِّ فتأكله وإذا لم تر

ماءً ولا حَبًّا فلا تأتي، كذلك الكفار إذا رأوا فيك هذه الصفات، فإنهم يأتون إلى هذا الدين ولهذا الدين قمته الأخلاق: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَاقْتَلَبْنَا فَظُؤًا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعُفُّ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

### • وحسن الخلق ينقسم الى قسمين :

الأول: حسن الخلق مع الخالق، بتوحيده، والإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له.

الثاني: حسن الخلق مع المخلوق، بالإحسان إليه، وكف الأذى عنه.

متى يكون عندي حسن خلق مع الخالق؟ إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، عرفت أنه أهل أن يُعبد وأن يُكَبَّر، لذاته وجلاله وجماله، وأنا أعبده، فإذا أكرمني بالجنة فهذا من فضله وكرمه، وأنا لا استحق عليه شيئاً ولهذا لا يدخل أحد الجنة بعمله، بل رحمة الله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

فالمؤمن خيره عائد على نفسه، وعلى الكفار، لأنهم يسلمون من شره، أما بترك الدعوة إلى الله فشر الكافر يصل إلي، لأنه يصنع الأسلحة المدمرة، والقنابل العنقودية، ويُفسد في الأرض، ويُسفك الدماء، ليسلب ما عند غيره من خير: ﴿إِنَّ الْكٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء: ١٠١].

فبالدعوة ينقلب العدو إلى صديق، وينالني خير هذا الذي أسلم، وأسلم من شره: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

فالكافر مستفيد من الخير الذي كان عندي، أما أنا فأتضرر من الشر الذي عند الكافر، ولو دعوته لتغيرت حاله، وانتقل من الشرك إلى التوحيد، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن المعاصي إلى الطاعات، وصار محسناً بعد أن كان مُسيئاً.

أما الآن فكل كافر على وجه الأرض ينالنا آذاه، لأننا تركنا دعوته إلى الله، فتعدى

ضرره إلينا، وحرمانه من رحمة الله.

لهذا فالدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ومسلمة كالصلاة، لأن الحياة لا تصلح أبداً إلا بالدين، والذين لا يقوم إلا بالدعوة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

والله ﷻ ائتمنا على هذا الدين، وقام بالدعوة النبي ﷺ، ثم خير القرون قاموا كذلك بالدعوة فانتشر الخير حتى وصل إلينا.

والآن أماننا البشرية، أكثرها يعيش في الكفر والظلمات، والله ﷻ، أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأمرنا بإبلاغ هذا الدين للعالم فماذا فعلنا؟ وبأي عمل قمنا؟ وبماذا نُشغل أوقاتنا؟ أوقاتنا كأنفسنا وأموالنا ليست لنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

فالله خلقنا، وهدانا، واشترانا، لأن الله يشتري السلع الغالية التي في أهلها أحسن الصفات وهي: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُخْلِصُونَ الْمُبِرُونَ الْمُخْلِصُونَ وَمَن بَدَّلُوا دِينَهُمْ كَمَا بَدَّلُوا آيَاتِنَا سُدَّتْ أَعْيُنُهُمْ وَاللَّهُ يَجْعَلُ الْيُسْرَى وَسُوءَ الْمَقْدُورِ﴾ [التوبة: ١١٢].

فهذا المؤمن إما أن يكون بين يدي الله عبداً: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَرْمَلُ ① قِرَ آيِلَ إِلَّا قَلِيلاً ②﴾ نَصْفُهُ ③ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلاً ④ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَبَّلَ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ⑤﴾ [المزمل: ١-٤].  
أو يكون بين يدي خلقه داعياً ومعلماً ومحسناً: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثَبِّاطْكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦﴾ [المدثر: ١-٧].

فالمؤمن حياته كلها عبادة ودعوة، لأنه مأمور بذلك، ولأنه نائب النبي ﷺ في أمته: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فلا بد للمؤمن أن يظهر العبودية لله في كل مكان وزمان، وكذلك لا بد أن يقوم بالدعوة

إلى الله في كل مكان وزمان، لا بد أن نكبر الكبير حتى يكبره الناس، ونعظم العظيم حتى يعظمه الناس، وتكلم عن العظيم حتى يعرفه الناس: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وأنتم خير الناس للناس، عرفوهم بالله ليعظموه عرفوهم بنعمه ليشكروه، عرفوهم بأوامره ليعبدوه بما يحب بما جاء به رسوله ﷺ، هذا كمال الدين صلاح وإصلاح: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].  
فحُسن الخلق مع الرب بتوحيده، والإيمان به، والعمل بشرعه، والتخلق بالأخلاق التي دعانا إليها.

وحسن الخلق مع الخلق برحمتهم، والإحسان إليهم بالقول والفعل، وأول شيء ندعوهم إلى الإيمان، ونُحسن إلى مسيئهم، وأواسي فقيرهم، وأحلم على السفيه، وأصبر على أذاهم، وأصل من قطعني، وأعفو عن من ظلمني، وأعطي من حرمني، أفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٣] وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [فصلت: ٣٣-٣٦].

فالله ﷻ هو السميع العليم بكل شيء، البصير بأحوال الخلق، ينظر ماذا نفعل، وماذا نقول، فأحوالنا مكشوفة له، ونياتنا مكشوفة له، وأقوالنا وأعمالنا كلها مكشوفة له، والليل والنهار خزانتان من خزائن الله، فلينظر أحدكم بما يملأ خزنته: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [٧] وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨].  
الله ﷻ أحاط بكل شيء علمه، ورزق من كل شيء بكرمه، ليدل على وحدانيته، وكمال قدرته، ويرى خلقه آثار صنعته، وعجائب حكمته وتدييره في ملكه، وإذا عرفوا ذلك آمنوا به، وأطاعوه، وأحبوه، وعبدوه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [١٢] [الطلاق/ ١٢].

فالمعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله تثمر الحب لله، والتعظيم لله، والذل لله، وطاعة الله وعبادة الله ﷻ، ومن عرف ربه خافه ورجاه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩٨) [المائدة: ٩٨].

هذه المعرفة غذاء القلوب، وليعرف الخلق ما توحد به ربنا ﷻ من الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والمثل الأعلى، وما اختص به من القدرة، وما انفرد به من الملك، والخلق، والأمر، والجلال، والجمال، والكبرياء، والعظمة، والعزة، والرحمة، والتدبير، والتصريف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَآلَسَمَسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤) [الأعراف: ٥٤].

هذه المعارف تُغذي القلوب بالإيمان، هذه المعارف تزيد الإيمان، وتزيد الأعمال، وتزيد الثواب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

أسعد الناس هو من عرف ربه، وعرف ما يحب، ثم عمل بموجب ذلك، وأشقى الناس من جهل بربه، واشتغل بشهواته عن أوامر ربه، ومن عرف لابد أن يُعرَّف من لا يعرف: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٣) [العصر: ١-٣].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) [غافر: ٦٥].

• وقد ذكر الله في القرآن لفظ (الأسماء الحسنى) في أربع آيات، في أربع سور:

الأولى: في سورة الأعراف: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۗ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۗ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف: ١٨٠].

والثانية : في سورة الإسراء : ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء/ ١١٠] .

والثالثة : في سورة طه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [طه/ ٨] .

والرابعة : في سورة الحشر : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر/ ٢٤] .

والله ﷻ من أسمائه الحسنَى اسم البصير ، والله ﷻ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى/ ١١] .

يسمع جميع المخلوقات في آن واحد ، ويُبصر جميع المخلوقات في آن واحد ، ويعلم بجميع المخلوقات في آن واحد ، لا يعجزه شيء ، ولا يخفى عليه شيء :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى/ ١١] .

والحكمة من ذكر اسم السميع والبصير في قوله ﷻ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى/ ١١] .

لأن السمع والبصر صفتان كاملتان، يتصف بهما كل مخلوق خلقه الله ﷻ من عالم الإنسان، وعالم الحيوان، ومن عالم الجماد، وعالم النبات : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى/ ١١] .

ليس كمثلته شيء في ذاته ، وليس كمثلته شيء في أسمائه ، وليس كمثلته شيء في صفاته ، وليس كمثلته شيء في أفعاله جل جلاله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [طه/ ٨] .

واسم البصير صفة مُبالغة ، فهو بصير يُبصر جميع المخلوقات، من عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنس ، وعالم الجن ، وعالم الملائكة ، وجميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، يُبصرها في وقتٍ واحد ، ويرى أفعالها وحركاتها وسكناتها كأنها مخلوقٌ واحدٌ بين يديه جل جلاله .

وسِع سمعه جميع الأصوات ، ووسِع بصره جميع المُبصرات ، بصير بالذرات والخفيات : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

هو البصير الذي يُبصر الصغير والكبير ، ويُبصر الذرات كما يُبصر المجرات ، ويُبصر جميع المخلوقات كلها على أشكالها وألوانها في جميع أوقاتها في آن واحد ، ويُبصر الصغير كما يُبصر الكبير ، لأن كل ما سوى الله كله صغير ، والله هو الكبير وحده: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣٧] .

هو ﷻ البصير بما في السماوات وما في الأرض ، البصير بما بين السماء والأرض ، البصير بما على الأرض ، البصير بما في باطن الأرض ، البصير بملكه كله، لا تخفى عليه ذرة منه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩] .

هذه أمور عظيمة لا بد أن نتفكر فيها ، ونعلم أن هذه المخلوقات كلها مودعة في ظرفين السماوات والأرض وما بينهما، هذه ظروف عظيمة ، وفي داخلها مظاريف كثيرة ، هذه المظاريف أعظمها هو الإنسان .

فسبحان من خلقها، وملاها بالمخلوقات العظيمة التي تشهد بوحدانيته وربوبيته وألوهيته، وتسبح بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] .

السماوات مملوءة بالملائكة الذين يُسبحون بحمد ربهم ، ولا يسأمون ولا ينامون ، ولا يأكلون ولا يشربون: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠] .

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦] .

فهذه المخلوقات كلها تُسبح بحمده، وهو السبوح الذي سبَّح نفسه قبل أن تُسبحه الخلائق فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] .

وقال: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣] .

فالله ﷻ سبَّح نفسه قبل أن يخلق المسبحين بحمد، وقبل أن يُسبحه مُسبح .

وكل ما خلق الله من المخلوقات مباشرة تُسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته ، وتخضع

لأمره ، وتستجيب لمشيئته ، وتُسرع إلى إرادته : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة: ١].

فكل ما خلق الله من قبل يسبح بحمده، وكل ما يخلق الله ﷻ من المخلوقات يسبح بحمده لأن الله ﷻ يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات التي لا يعلمها إلا هو، منها ما نعلمه، ومنها ما لا نعلمه ، يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات، الذي خلقها سبحت بحمده، ولا تزال تُسبح بحمده ، والتي يخلقها كلما خلق شيئاً سبح بحمده: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [١] لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ [الحديد: ١-٢].

فالله سبحانه ويسبح له ما في السماوات وما في الأرض تسخيراً، فماذا بقي ؟ بقي نحن، بقي المخلوق المخير : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة / ٥٢] .

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى / ١] .

أيها الإنسان نزهه عما لا يليق بجلاله من آفات النقص والعيب ، سبح بحمد ربك العظيم .

فالله ﷻ موصوفٌ بصفات الكمال ، ومنزهُ عن صفات النقص ، فكما ملأ الله الكون بنعمه ، فلنسبح نحن بحمده ، ونملؤه بحمده، وذكره، وشكره جل جلاله : ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠].

سبح بحمد ربك العظيم، ونزهه عما لا يليق بجلاله: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ١-٣].

فالله ﷻ سبَّح نفسه قبل أن يخلق المخلوقات ، كما أنه حمد نفسه قبل أن يخلق المخلوقات فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

فإذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، جاءت في قلوبنا صفات الحمد، والشكر،

والثناء، والتعظيم، والتنزيه لرَبِّنَا ﷻ.

فسبحانه حمد نفسه قبل أن يحمده الحامدون ، وَسَبَّحَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُسَبِّحَهُ الْمُسَبِّحُونَ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور/ ٤١] .

كل هذه المخلوقات التي خلقها الله سبحت بحمده ، فهي تُسَبِّحُ ، وكل ما يخلق الله خلقاً يُسَبِّحُ بحمده، فكلما اشتدت الأمور، وحصلت المكاره، وعز الناصر، فعليك بالصبر والتسبيح، ولزوم باب مولاك: ﴿ وَقَدْ نَعَلْنَا أَنْكَ يَصِيقُ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [١٧] فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق هذا الكون العظيم ، وهذا الكون كله يُسَبِّحُ بحمده ، ويشهد بوحدانيته، ويسجد لعظمته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: ١٨].

هو جل جلاله البصير بجميع مخلوقاته ، بصيرٌ بالعباد ، يعلم أفعالهم ، ويعلم أقوالهم ، ويُقَسِّمُ أرزاقهم ، بصيرٌ بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها ، ويشرح صدر هذا لقبول الهدى، لأنه أقبل على ربه ، فالله ﷻ يكرمه بالتوحيد و الإيمان، ويجعل صدره منشراً للطاعات، وأنواع القربات ، بصيرٌ بمن تصلح حاله بالغنى، ومن تفسد حاله بالغنى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء/ ٣٠] .

وإذا علمنا أن الله ﷻ بصيرٌ بالعباد كلهم، يرى أعمالهم ، ويسمع أقوالهم ، ويعلم نياتهم ويبصر أحوالهم ؛ فيجب علينا الخضوع والذل له، وإحسان عبادته، وودام المراقبة له ، ولزوم طاعته ، والبعد عن معصيته ، فإنه يرانا وإن لم نكن نراه : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا

فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس / ٦١] .

فلا إله إلا الله ، وَسِعَ سَمِعَهُ الْأَصْوَاتِ ، وَسِعَ بَصَرَهُ الْمُبْصِرَاتِ ، وَسِعَ عِلْمَهُ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾ [الحج : ٧٠] .

يعلم الطائع إذا أطاع ، ويعلم المُسْبِح إذا سَبَّح ، ويعلم المكبر إذا كَبَّر ، ويعلم المعتمر إذا اعتمر ، ويعلم الأقوال والأعمال التي تصدر عن الخلق .

ويرى جل جلاله الناسك وهو يتعبد في محرابه ، ويرى جميع المخلوقات التي تُسَبِّح بحمده ، ويرى السارق وهو يسرق ، ويرى الزاني وهو يزني ، ويرى شارب الخمر وهو يشربها ، ولكن البصير العليم وَسِعَ حِلْمَهُ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِهِ ، فِيمَهْلُ الْعِبَادِ وَلَا يَهْمَلُهُمْ ، لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ : ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤] .

حليم على الخلق الذين يعصونه بنعمه ، ويسكنون في أرضه ، ويأكلون من رزقه ، ويتقوتون من قوته ، يَعصونه بِالنِّعَمِ التي أعطاهم إياها ، ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ وَسِعَ حِلْمَهُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَحِلْمَهُ وَسِعَ الْعَاصِي وهو يعصي الله ، وَسِعَ الْفَاجِر وهو يفجر ، وَسِعَ الْكَافِر وهو يعبد الصنم ، أعطاه الهواء ، وأعطاه الماء ، وأعطاه الطعام ، وأعطاه العافية ، وأعطاه الأرض المستقرة ، وأعطاه اللباس الحسن ، وأعطاه المال ، وأعطاه ما يعيش به في هذه الحياة ؛ لأنه هو العزيز الرحيم الذي بيده المفاتيح ، وهو الذي عنده خزائن السموات والأرض ، فالمفاتيح كلها بيده : ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ [فاطر : ٢] .

فهو يُعْطِي عَطَاءَ الرِّبْوِيَّةِ لَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَلَكِنَّ عَطَاءَ الْأَلُوْهِيَّةِ لَجَمِيعِ النَّاسِ ، لَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ قَبْلَ هَذَا الْعَطَاءِ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ رَدَّ هَذَا الْعَطَاءَ ، فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ عِبِيدٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ لِأَنَّ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ ، وَهُوَ الَّذِي رَبَّاهُمْ بِنِعْمِهِ ، وَقَاتَهُمْ مِنْ قُوَّتِهِ ، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّهُمْ عِبِيدًا لِأَلُوْهِيَّتِهِ ؛ لِأَنَّ عَبْدَهُ الَّذِي آمَنَ بِهِ : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ

الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ ﴿٣١﴾ فَلَذِكْرُ اللَّهِ رَبِّكُمْ الْحَقِّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

الذي قبل عطاء الألوهية هذا هو المَوْحِد ، والذي قبل عطاء الربوبية، وخضع لعطاء الربوبية، وتنعم بعطاء الربوبية، ولم يقبل عطاء الألوهية، هذا كافر بالله والذي خلقه ورباه، وسوف يُسأل عمَّا عَمِلَ ، وعمَّا قال ، وعمَّا فعل: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

فالمؤمن قبل عطاء ربوبيته ، وقَبِلَ عطاء ألوهيته ، هذا هو العارف حقًا الذي عرف الحق واتبعه.

هو سبحانه البصير يرى جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

هو جل جلاله بصيرٌ بالعباد ، ومعرفتنا بهذه الصفة تجعل الإنسان يخضع لأمر ربه ﷻ ، ويستحي منه، لأنه يراه ، فأعظم المقامات مقام الإحسان .  
والإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فسبحان السميع البصير ، الحليم ، الغفور ، الرؤوف ، الرحيم الذي يُبصر العاصي حين يعصيه ؛ فيمهلُه لكمال رحمته ورأفته ، لعله يتوب إليه ، ويُبصر من يؤدي أولياءه، ويُبصر من يسب دينه، ورسله، وكتبه، ويُبصر من يسب ذاته ، ويُبصر كل من يسكن في أرضه وسمائه ، ويأكل من رزقه ، ويعصيه بنعمه .

ويُبصر جميع أعمال الكُفَّار والفُجَّار والفُسَّاق ، وكُلِّ شيء مكتوب ، وكل شيء قد أحصاه الله ونسوه : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَّيَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّوكَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٥] .

وكل قول أو عمل سوف يحاسب الله صاحبه: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

فسبحان الملك الحق السميع لكل شيء ، البصير بكل شيء ، القادر على كل شيء ، المُحيط بكل شيء ، الرزَّاق لكل أحد ، الحافظ لكل أحد ، الواحد الأحد ،

المُحِيطُ بِكُلِّ أَحَدٍ ، الَّذِي لَا يُحِيطُ بِهِ أَحَدٌ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

## التعبد لله ﷻ باسمه البصير

الله ﷻ هو السميع البصير ، وإذا عرفنا أن الله له الأسماء الحسنی والصفات العلی فكيف نتعبد لله بهذا الاسم العظيم ؟ الله ﷻ هو السميع البصير الذي خلق السمع في كل مخلوق ، وخلق البصر في كل مخلوق ، فما فائدة السمع ؟ ، وما فائدة البصر ؟  
الله أعطانا السمع في الأذن لنسمع به أحسن شيء ، وأعطانا اللسان لتتكلم بأحسن شيء ، وأعطانا العين لنرى بها أحسن شيء ، فأعظم شيء وأفضل شيء أن نسمع آيات كتاب ربنا ﷻ، ونسمع ما فيها من القصص والأخبار والأحكام: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الظُّغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

ونتكلم بأحسن شيء بذكر الله وحمده وتسيبته ، والدعوة إلى دينه ، وتعليم شرعه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].  
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة/ ٨٣].

ونعمل بأحسن شيء: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنِّتْ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].  
ونقول أحسن شيء: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٠].

وأحسن القول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فالله خلقنا ومَلَكْنَا ، فليست أنفسنا وأعضاؤنا مُلْك لنا، بل هي ملك لله : ﴿اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].  
فأنا بذاتي لله ، وأعضائي لله ، وكل مالي لله ، ووقتي كله لله : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣].

• فكيف نتعبد لله بهذا الاسم العظيم بقلوبنا وجوارحنا وأوقاتنا؟ .

لا بد أن نعلم أن الله ﷻ أعطانا البصر لنُبصر به مُلك ربنا الواسع ، ومخلوقاته العظيمة ، ونعمه السابغة ، وتقديراته النافذة في مُلكه العظيم ، ونتلو آياته المُنزلة بالحق والهدى، ليزيد نور الإيمان في قلوبنا ، ويعظم جلال الرب في نفوسنا : ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُعْطِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

نحن لا بد أن نُشغل البصر ، لتشتغل البصيرة في القلب ، لا بد أن ننظر إلى المخلوقات الكبيرة والصغيرة، ويكون لنا بصائر تخترق المخلوق إلى الخالق ، وتتجاوز الصور إلى المصوّر، وتتجاوز الأرزاق إلى الرازق، وتتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، وتتجاوز الأموال والأشياء إلى الإيمان والأعمال الصالحة التي يرضى بها ربنا عنا: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَنَّتَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] .

نعرف الخالق الذي خلق كل شيء، لنعبده وحده لا شريك له: ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .  
ونعرف قيمة الدنيا الفانية، ونعرف قيمة الآخرة الباقية: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠] .

الله ﷻ أعطانا البصر، وأعطانا البصيرة ، البصر نشترك فيه مع الكفار والحيوانات ، فنرى الأجسام، ونرى الحركات ، ولكن البصيرة في قلب الإنسان هي ثمرة ما يراه البصر ، وما تسمعه الأذن ، وما يُفكر به عقل الإنسان ، هذه كلها تصب العلوم في القلب ، فتأتي البصيرة في القلب ؛ فتفرق بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين من يستحق العبادة ممن لا يستحق العبادة ، فهذا النور إذا جاء في القلب امتلاً القلب بالإيمان ، وتحركت الجوارح بالأعمال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الَّذِينَ

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

ومن رحمة الله أن فطر القلوب على معرفته: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].  
 فإذا جاء العلم الإلهي ازداد القلب نوراً على نوره إذا جاء العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بأركان الإيمان، وأركان الإسلام، والعلم بالملك والملكوت، وعالم الغيب وعالم الشهادة، إذا جاء هذا العلم ازداد القلب نوراً على نور، وازداد هدىً على هدى، كالزيت الخالص: يرى كأن له نوراً، فإذا مسته النار في المصباح؛ ازداد نوراً على نور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور/ ٣٥].

فهذه المذكرات الإيمانية يزداد بها نور الإيمان في القلب، وإذا زاد نور الإيمان في القلب؛ انشرح واتسع لجميع أنواع الطاعات، ثم ترقى من طاعة إلى طاعة، ومن قربة إلى قربة، حتى يرى الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويعبد الله كأنه يراه. يعبده لأنه أهل أن يُعبد، ويكبره لأنه أهل أن يكبر، ويُسبحه لأنه أهل أن يُسبح، ويحمده لأنه أهل أن يُحمد.

فطلب العوض على العمل طريقة المبتدئين، والعمل كله من فضل الله وحده: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].  
 فالله خلق الإنسان، وخلق صفاته وأفعاله، وهده، وحبب إليه العمل، وضاعف له الأجر، فكل فضل ونعمة منه جل جلاله، فإذا من الله على العبد سقى فطرته بهذا العلم الإلهي، والعلم النافع هو الذي يقود الإنسان إلى ربه، العلم الحقيقي هو الذي يصل المخلوق بالخالق؛ فيتعرف على ما يحبه الله ويرضاه، وماذا يُريد الله منه؟ وكيف يتقرب إليه بأنواع الطاعات؟ وكيف يعبده وحده لا شريك له؟ وكيف يعمل بما الله يحبه ويرضاه؟ ويجتنب ما يسخطه ويكرهه جل جلاله.

هذا هو العلم الإلهي الذي جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من ربهم ، وهذا هو العلم الذي يدل الإنسان على ربه: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

وكل ما سوى هذا العلم جهالة بالنسبة إلى هذا العلم الإلهي ؛ لأن كل علم يربط المخلوق بالمخلوق فقط ، ولا يتعداه إلى الخالق فهو جهالة ، والعلم الإنساني يربط المخلوق بالمخلوق فقط ، كيف يصنع من الحديد سيارة ، وكيف يسقي المزارع بالآلات الحديثة ونحو ذلك ، وهذا العلم الإنساني الله الذي هدى الناس إليه: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٧) أَوْلَمْ يَنْفَكِرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [الروم: ٧-٨].

فالعلم الإلهي الذي جاء به الرسول ﷺ في مكة ، جاء به رجلٌ أميٌّ ، في أمةٍ ، أميةٌ هو العلم الإلهي العظيم الذي ابتلع دولة الفرس ، ودولة الروم ، وفتح القلوب ، وفتح البلاد ، وجعلها تحكم بالإسلام ، هذا العلم الإلهي .  
والعلم الإنساني بالنسبة للعلم الإلهي كالذرة بالنسبة للجبل ، وهو جزءٌ من العلم الإلهي : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات/ ٩٦] .

والله ﷻ خلق الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿ ٢ ﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿ ٣ ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿ ٤ ﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿ ٥ ﴾ [العلق: ١-٥].  
وإذا قر الإيمان في القلب ، جاء اليقين على ذات الله وجودًا ، وعلى أسمائه الحسنى ، وعلى صفاته العلى ، وعلى أفعاله الجميلة ، فإذا امتلأ القلب بهذا النور ، وسقيت فطرة الإنسان بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة أركان الإسلام ، وأركان الإيمان ، ومتابعة الطاعات بالطاعات ، والفرائض بالنوافل ، امتلأ هذا القلب بالإيمان ، ثم جاء اليقين على الله ﷻ ، وعلى أسمائه وصفاته ، وعلى أفعاله ، وعلى خزائنه ، وعلى وعده ، وعلى وعيده: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

إذا جاء هذا اليقين أقبلنا على كتاب ربنا : بامثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وكلما

ازددا معرفةً بالله ، ومعرفةً بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفةً بخزائنه ، ومعرفةً بوعده ووعيده ؛ ازداد نور الإيمان في القلب ، فيمشي الإنسان بهذا النور العظيم بين الخلق ، إذا قر الإيمان في القلب امتلاً نوراً وإشراقاً وشفاءً ، وظهر النور على جوارح الإنسان ، وعلى لسانه ذكراً وتسييحاً وتحميداً .  
 وظهر على أقواله وأفعاله ، فعل جميع الطاعات ، والمُسابقة إلى القربات ، وأنواع البر .  
 وظهر على أخلاقه ، فصار هذا المؤمن يتقلب بين ست خلال :

إن أُعطيَّ شكر . . . وإن ابتليَّ صبر . . . وإن قال صدق . . . وإن حكم عدل . . . وإن أذنب استغفر ، وإن أسيء إليه أحسن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠)  
 نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢] .

فهو بين الناس كالرجل الحي الذي يمشي بين الأموات في خمس خلالٍ من النور .  
 فكلامه نور . . . وعمله نور . . . وأخلاقه نور . . . ومجلسه نور . . . ومصيره إلى النور يوم القيامة : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِمُخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٢)  
 [الأنعام / ١٢٢] .

فنحن نجتهد إلى أن نصل هذه الدرجة ، إذا جاء نور الإيمان في القلب ؛ جاءت هذه الفضائل العظيمة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة : ١٥ - ١٦] .  
 ومن أكرمه الله بهذا النور استقام على أوامر الله بقلبه وقالبه :

طاعات يؤديها ، ومعاصي يجتنبها ، وذنوب يستغفر الله منها ، ونعم يشكر الله عليها ، وابتلاءات يصبر عليها .

هذا كله ثمرة النور ، فالنور شيء ، وثمرته شيء آخر ، إذا جاء هذا النور استطعنا أن نمشي بسلام ، ونعمل الأعمال الصالحة ، ونتجنب الأعمال السيئة : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا

فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِمُخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالنور مطية السلامة، والظلمات محل الكوارث ؛ لأن الذي يمشي في الظلمات، إما أن يصطدم بما هو أقوى منه فيحطمه ، أو يصطدم بما هو أضعف منه فيحطمه هو . فهذه الظلمات هي مكان التحطيم والهلاك، ولا أعظم ظلمة من الكفر ، فالتوحيد يُنجي الإنسان من كل ظلمة وهلاك في الدنيا والآخرة، التوحيد هو المفزع ، هو المطلوب الذي نسعى لتحصيله ، هو مقصود الرب من خلقه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وذلك هو توحيد الله ﷻ بذاته، وأسمائه، وصفاته، فأعظم شيء يجب أن تحصل عليه، وأفعاله ، توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

• ومن أراد أن يعبد الله حقاً فليملاً قلبه بمعرفتين:

معرفة عزة الربوبية . . معرفة ذلة العبودية .

معرفة عزة الربوبية بماذا تكون ؟ تكون بالنظر في الآيات الكونية ، وتدبر الآيات الشرعية ، ومعرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله ، ومعرفة عظيمته ملكه وسُلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ﴿٨﴾ [طه: ٨].

ومعرفة ذلة العبودية بأن أعرف من أنا ، ومم خلقت ، وأعرف فقري، ومسكنتي، وضعفي، وحاجتي، وعجزتي ، وأنه ليس بيدي شيء، وأني مخلوق من مخلوقات الله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر: ١٥].

فعند كل دعاء أو سؤال أو عبادة لا بد أن نتذكر ونستحضر عزة الربوبية، فنذكر ربنا بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، وعظمة ملكه وسُلطانه ، ونتذكر ذلة العبودية ، وأنا محتاجون إلى الله، فقراء إليه ، فقراء إلى رحمته ، فقراء إليه في وجودنا ، وفي أوقاتنا ، وفي حياتنا ، وفي موتنا ، فقراء إلى الله في كل حال.

فمن شاهد عزة الربوبية ، وشاهد ذلة العبودية، فقد وصل إلى معراج الأرواح

القدسية ، لأنه يعرف العظيم فيُعظمه، ويخضع له ، والانتقال من الذكر إلى التضرع يُشبه النزول من المعراج .

الانتقال من الذكر، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، الانتقال من ذكر الله بأسمائه وصفاته ، ومعرفة صفات جلاله وجماله ، الانتقال من هذا الذكر إلى التضرع هو ثمرة هذه المعرفة ، وهو يشبه النزول من المعراج ، فنرى ربنا ﷻ هو العليّ الأعلى ، الكبير المتعال ؛ فنخضع له ونسجد ، ونركع له ، لأننا عرفناه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

فالانتقال من الذكر إلى التضرع والانكسار يُشبه النزول من المعراج ، والانتقال من التضرع إلى الذكر يُشبه الصعود والعلو، وكلاهما متلازمان، فمن ذكر ربه حقاً خضع له، ومن خضع له فلا بد أن يكون قد عرفه وذكره.

فوقت أتضرع وأنكسر ، ووقت أكبر وأعظم ربي ﷻ ، ومعرفة الله من لوازمها التضرع والانكسار ، والخوف والرجاء : ﴿ وَأذْكُرْ تِلْكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٠٥] .  
ومن بان له النور سار فيه بسلام: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فالقلب يحتاج إلى هذه المعارف ، فكيف نتعبد لربنا ﷻ باسمه البصير جل جلاله .  
الله ﷻ هو البصير العظيم الذي يُبصر جميع المخلوقات ، وإذا عرف القلب ذلك يقيناً علم أن البصير الحق يراه في جميع الأحوال ، فإذا عرف ذلك، فليتزین لربه البصير يلبس لباس التقوى ، ولتتقرب إليه بما يحب ويرضى من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٢﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

[الأَنْفَال: ٢-٤].

الله أعطاك السمع لتسمع به أحسن شيء ، تسمع به القرآن ، تسمع به كلام ربك ، وما جاء في سنة نبيك ﷺ ، وأعطاك البصر لتُبصر به أعظم شيء ، وهو النظر في الآيات الكونية ، والآيات الشرعية: ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس: ١٠١].

وكل أحد سوف يسأل عما سمع ورأى وعمل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ ﴿٣٦﴾ [الإسراء/ ٣٦].

والله ﷻ خلق الإنسان وملّكه جوارحه ، فالقلب يأمر الجوارح أن تُطيع أو تعصي ، أن تفعل الحسنات أو تفعل السيئات ، فإن أمرها بطاعة أطاعته وحمدته ، وإن أمرها بمعصية أطاعته ولعنته ، لأنه استعمل الشيء في غير ما خلق له .

فالله خلق اللسان، ليُسبِّح الله ، ويذكر الله ، ويدعو إلى دين الله ، ويعلم شرع الله . وخلق الأرجل، لتمشي إلى طاعة الله من صلاة ، أو حج أو عمرة أو جهاد، أو صلة رَحِم ، أو دعوة، أو تعليم لشرع الله، أو كسب المعاش: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١١١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ [الأَنْعَام: ١٦١-١٦٣].

وخلق الله الأذن، لتسمع بها أحسن شيء ، فلا يجوز استعمال الشيء في غير ما خلق له ، فلنبادر إلى عبادة الله ﷻ بعد معرفة هذه المعارف العظيمة .

وكيف لنا بهذه المعرفة ؟

هذه المعرفة، معرفة الحق ، والعمل بالحق ، ونشر الحق نتيجة معرفتين: معرفة الله بأسمائه، وصفاته ، وأفعاله، من خلال النظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، ومعرفة حياة النبي ﷺ .

• فالنبي ﷺ حياته شيء ، وجُهدته شيء :

حياته ﷺ : هي السنن والعبادات التي جاء بها أقوالاً ، وأعمالاً ، وأخلاقاً وآداباً .

وَجُهِدْهُ شَيْءٌ آخَرَ: هو الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ونصيحة الأمة، وإقامة الدين، والجهاد في سبيل الله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

والله ﷻ امتن علينا، وأتم علينا هذه النعم العظيمة بفضله وحده ، وأعطانا الأسماع والعقول والأبصار، لنعقل بها عن ربنا ما يحبه ويرضاه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَولو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

الله ﷻ أعطانا السمع لنسمع به أحسن شيء ، وأعطانا البصر لنبصر به أحسن شيء ، والذي هو أحسن شيء أن ينظر في الآيات الكونية ، فرى الله ﷻ يفعل في مخلوقاته ما يشاء خلقاً ، وبرءاً، وتصويراً ، وتحريكاً ، وتسكيناً.

عبودية البصر أن أنظر في ملكوت السماوات والأرض ، فأرى مخلوقات الله العظيمة ، وآياته العجيبة في الملك والملكوت: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

أنظر إلى الصور وأعرف أن لها مَصُور ، وأنظر إلى هذه المخلوقات وأعلم أن لها خالق ، وأنظر إلى هذه الأرزاق وأعرف أن لها رازق عنده خزائن الأرزاق ، هو الرزاق الذي وهب الأرزاق لكل مرزوق في السماء والأرض ، وما بينهما ، وما تحتها: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

[الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فهذا النظر في الآيات الكونية به نرى الله ﷻ يفعل في مخلوقاته ما يشاء خلقاً وأمرأً، وتدبيراً وتصريفاً: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُكُمْ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

أرى الخالق يخلق ، والرازق يرزق ، والسميع يسمع ، والبصير يبصر ، والحكيم

يُحْكِمُ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَيُحْكِمُ أَمْرَهُ لِخَلْقِهِ جَلالَهُ .

وأرى القادر يفعل ما يشاء ، وأرى الملك يدبر ، وأرى اللطيف يلطف بعباده ، وأرى

الرحيم يرحم: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

وبهذا البصر ننظر إلى فعل الله في مخلوقاته خلقاً في إيجاد المخلوقات بعد عدمها ،

وُبرءاً بأن برأها لمهمة ، برأ الشمس للإنارة ، وبرأ الأرض للإنبات ، وبرأ اللسان

للكلام: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

الأول خلقها إيجاباً من عدم ، وثانياً برأها خلق كل مخلوق لمهمة ووظيفة ، وهي

بذاتها مظهرٌ لجلاله ، ومظهرٌ لجماله ، مظهر لقدرته وقوته وعظمته ، ومظهر لرحمته

وإحسانه ولطفه .

والله خالق أوجد بعد عدم ، هو بديع السماوات والأرض ، هو أحسن الخالقين ؛

لأنه خلق موجوداً من معدوم ، وغيره يخلق معدوماً من موجود ، صنع الصانع

السيارة من الحديد ، وصنع القماش من القطن ، والله خالق الصانع والمصنوع:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ [الصفات: ٩٦].

المخلوق يخلق معدوماً من موجود سابق ، أما الله فهو بديع السماوات والأرض ،

يخلق معدوماً من معدوم ، يقول له كن فيكون ، فهو أحسن الخالقين: ﴿بَدِيعُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

[الأنعام: ١٠١].

وما خلقه الله يزداد بذاته ، ويكبر بذاته ، وما خلقه الإنسان لا يزداد ولا يكبر ، لو صنع

الإنسان سيارة أو كوب أو غيره لا يُمكن أن يزيد كل يوم كوبين ، ثلاثة ، أربعة ، أو

سيارة ، لا يمكن تكبر أو تعطي سيارة أخرى ، لكن الله ﷻ خلق الحبة وخلق منها

سبعمئة حبة ، وكل حبة تُخرج سبعمئة حبة وهكذا ، وخلق الإنسان ، وخلق

الحيوان ، وخلق النبات ، وهذه المخلوقات ، تكبر وتزداد: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

الْمَخْلُوقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون/ ١٤] .

الله يخلق معدوماً من معدوم، وموجوداً من معدوم ، والإنسان يخلق موجوداً من موجود ، أو يخلق معدوماً لم يكن موجوداً، ولكنه يخلقه من شيء موجود الذي هو المادة التي سبقته ، فالذي خلق الإنسان ، وخلق فيه العقل ، وخلق المادة التي يصنع منها الشيء هو الله ﷻ : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون/ ١٤] .

فليمتلئ القلب بالإيمان، لا بد أن نستفيد من عبودية البصر ، فننظر في الآيات الكونية ، فنرى الله يفعل في مخلوقاته ما يشاء ، خلقاً ، وبرءاً ، وتصويراً .

صَوَّرَ السماء على شكل ، وصور الأرض على شكل ، وصور الحيوان والطيور على شكل ، والبقر على شكل ، والرجال على شكل ، والنساء على شكل ، والجبال على شكل ، والبحار على شكل : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ الْبَارِئِ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤] .

هذا النظر يجعل الإنسان يترقى من العلم الإنساني إلى العلم الإلهي .

يرى الأمن فيؤمن بالمؤمن ، ويرى الصور فيؤمن بالمصور ، ويرى الخلق فيؤمن بالخالق جل جلاله ، ويرى الدنيا ويؤمن بالآخرة ، ويرى عطاء المخلوق ويؤمن بالمعطي، الذي لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع جل جلاله ، فنور الإيمان مبني على المسموعات ، وعلى المرئيات .

المرئيات والمسموعات تُعرض على العقل ، وهذا العقل يتجاوز المخلوق إلى الخالق ، والصور إلى المصور ، والدنيا إلى الآخرة ، والأعمال السيئة إلى الأعمال الحسنة ، والأخلاق السافلة إلى الأخلاق العالية : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

ومطلوب من المؤمن أن ينظر في ملكوت السماوات والأرض، حتى يزيد في قلبه الإيمان ، ويعلم أن الله وحده لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وفي ملكه وسلطانه ، وفي عبادته وحده لا شريك له : ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس/ ١٠١] .

﴿ أَنفَاهُ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ ٦ ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهِيحٍ ﴾ ٧ ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّتَبِعٍ ﴾ ٨ ﴿ وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ ٩ ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ ١٠ ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ ١١ ﴿ [ق: ٦-١١].

وهكذا في كل القرآن أمر بالنظر ، والتفكر ، والتدبر : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ ٢٤ ﴿ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ ٢٥ ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ ٢٦ ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ ٢٧ ﴿ وَعَبَا وَقَضْبًا ﴾ ٢٨ ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾ ٢٩ ﴿ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴾ ٣٠ ﴿ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴾ ٣١ ﴿ مَنْعًا لَكُمْ وَلِنَعْمِكُمْ ﴾ ٣٢ ﴿ [عبس: ٢٤-٣٢].

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ١٧ ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ ١٨ ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ ١٩ ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ ٢٠ ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ ٢١ ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ ٢٢ ﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾ ٢٣ ﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾ ٢٤ ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ ٢٥ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ ٢٦ ﴿ [الغاشية: ١٧-٢٦].

فإذا عرفنا ذلك عرفنا أن فيه خالقاً ، وأن هذا الخالق قادر على كل شيء ، وأنه مُستحقٌّ للعبادة وحده : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ١٠٤ ﴿ [الأنعام: ١٠٢].

وأنا محتاج لهذا الخالق ، لأنه هو الذي خلقني ، وهو الذي تكفل برزقي ، وهو الذي منَّ عليّ بالهداية ، وأنا بحاجة إلى الكبير لأنني صغير ، وبحاجة إلى الغني لأنني فقير ، وبحاجة إلى العزيز لأنني ذليل ، وبحاجة إلى القوي لأنني ضعيف ، ليس بيدي شيء الأمر كله بيد الله ، أنا لم أكن شيئاً حتى أفعل شيئاً ، بل الله هو خالق كل شيء ، وأنا من ضمن هذه الأشياء ، فعليّ أن أمثل أوامر ربي ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ١٥ ﴿ [فاطر: ١٥].

والله ﷻ فضلنا على كثير من خلقه ، وأرسل إلينا الرسل ، وأنزل علينا الكتب ، فهو يحثني بنا ، يُريد أن يكرمنا ويرفع مقامنا ، وكل صانع يهتم بصنعتة ، فنجد صانع السيارة يُطورها حتى تكون في أعلى مستوى ، فالسيارة التي قبل خمسين سنة ليست كالسيارة اليوم ، والطائرة التي قبل خمسين سنة ليست كالطائرة اليوم ، كل صانع يسعى إلى تحسين صنعتة وتفقدتها ، ونشرها بين الناس ، كذلك والله المثل الأعلى ،

الله يحتفي بالإنسان ، يريد أن يُرقيه إلى أحسن شيء في الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، ولهذا أنزل عليه الكتب ، وأرسل إليه الرسل : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِيٍّ ضَلَّالٍ مُبِينٍ ﴾ [ الجمعة: ٢ ] .

﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [ النساء: ١١٣ ] .

وقال رسول الله : ﴿ إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَسَقْفُهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ﴾ أخرجه البخاري (١) .

هذا الإنسان الذي خلقه الله بيده ، يُريد له أحسن شيء في الدنيا وهو الإيمان ، والأعمال الصالحة ، والتقوى ، وطاعة الله ورسوله ، ويُريد له أحسن شيء يوم القيامة وهو دخول الجنة ، والخلود فيها ، والتنعم بما فيها من النعيم ، ورؤية الله ، ورضوان الله ، وسماع كلامه ، والقرب منه : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [ المائدة: ٩ ] .

الله يُريد أن يُحسن هذه الصنعة ، حتى تنتقل من حسن إلى أحسن : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [١٦] وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [ يونس: ٢٦-٢٧ ] .

﴿ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٦] مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ النحل: ٩٦-٩٧ ] .

لأن الله يعطي على قدر شأنه ، لا على قدر طلب العبد ، فالله عظيم ، والعظيم لا يعطي إلا العظيم .

هذا التدبر ، والتفكر ، والنظر يملأ القلب إيماناً ، وتوحيداً ، وحباً ، وتعظيماً ، وخضوعاً ، وانكساراً بين يدي ربنا ، فهذه المعرفة يأتي حب الله ، وتعظيم الله ،

(١) أخرجه البخاري برقم: ٢٧٩٠ .

وإذا جاء حب الله ، وتعظيم الله ، جاءت طاعته ، لأنني أعرف أنه القادر عليّ ، وأنه المنعم عليّ بكل نعمه ، فلذلك أمنت به ، وصدقت بكتابه ، وأمثل أمره ، وأجتنب نهيه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأَنْفَال: ٢-٤] .

فإذا عرفت أن الله وعدني على الطاعة بالجنة ، وعلى المعصية بالنار ؛ أقبلت على الطاعات ، وازددت من الأعمال الصالحة التي تُقربني إلى ربي وإلى رضوانه وإلى جنته ، ونفرت من المعاصي التي تُبعدني عن ربي ، وتُبعدني عن رحمته .

فالمؤمن ينظر في كل يوم نظر تفكر وتدبر ، حتى يأتي في قلبه الإيمان الذي يجعل العبودية لها طعمٌ ولذة وحلاوة ؛ فيعبد الله ﷻ ، لأنه أهل أن يُحمد ، وأهل أن يُعبد ، وأهل أن يُشكر وحده لا شريك له ، فيؤدي العبادة لربه ﷻ مُشرحاً بها صدره ، بالحب الكامل ، والتعظيم الكامل ، والذل الكامل لله ﷻ ، لأنه عرف من يستحق العبادة وحده : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأَنْعَام: ١٠٢-١٠٣] .

ومن عرف نفسه حقاً عرف ربه حقاً : ﴿ فَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خَلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ ﴾ [الطَّارِق: ٥-٧] .

هذا الإنسان الذي يتكون من قطرة ، وقطرة الماء هذه فيها أكثر من مائة مليون إنسان ، لو أن الله ﷻ أمرها كلها فوجِدَت ، فكيف تكون الحياة ؟ لكن الله ﷻ برحمته يخلق منها ولداً ، أو ولدين ، أو ثلاثة ، هذا الإنسان يتكون من ماء مهين ، كيف هذا الإنسان الله ﷻ احتفى به وأكرمه ، وجعل منه الأنبياء ، والرسل ، والدعاة ، والعلماء ، والصالحين ، والأولياء ، والأبرار ، وجعل منه الأشقياء ، والفُجَّار ، والفساق ، والكفار : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الْإِنْسَان: ٢-٣] .

فيتذكر المؤمن نعمة الله عليه أن جعله في قبضة اليمين ، وجعله من المؤمنين ،

وجعله في قبيلة المسلمين ، ولم يجعله في قبيلة المُجرمين ، والفَسَّاق ، والشياطين .  
 فليحمد الله على هذه النعمة أن الله اصطفاه واختاره ، وجعله من ذرية آدم ﷺ :  
 ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص/ ٦٨] .

أما يستحي الإنسان من معصية ربه الذي خلقه ورزقه : ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا  
 يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج/ ٣٩] .

خلق الله الإنسان من نطفة ، خُلِقَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ : ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ  
 الرَّحِيمُ﴾ ① الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ② ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ  
 سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ③ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ④ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ  
 وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ⑤ [السجدة: ٦- ٩] .

فمن هذا أصله ونسله يجب عليه أن يعبد من خلقه وصوره ، ولا يأخذه الغرور فيبعد  
 عن ربه : ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ رِبِّكَ أَلْكَرِيمِ﴾ ⑥ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ  
 صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧ [الانفطار: ٦- ٨] .

لقد غر الشيطان أكثر الخلق فأضلهم عن ربهم ، وشغلهم بالشهوات التي تصدهم عن  
 ذكر الله ، حتى نسوا ربهم ، وعبدوا أهواءهم ، وكفروا بربهم : ﴿أَلَمْ أَعْهَدِ إِلَيْكُمْ يَبْنَى  
 ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ⑩ وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ  
 ⑪ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ⑫ [يس: ٦٠- ٦٢] .

أهم شيء في الدين ، وأحسن شيء في هذه الحياة ، هو دخول جنة المعرفة ، فمن  
 دخل جنة المعرفة في الدنيا ؛ أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ⑨ [المائدة: ٩] .

جنة المعرفة : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، العلم بأركان الإسلام ، وأركان  
 الإيمان ، فهذه أعظم أغذية القلوب التي تثمر التوحيد والإيمان ، والحب والتعظيم لله  
 ﷻ ، ثم عبادته بموجب ذلك : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا  
 تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ② الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا  
 رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ③ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ  
 كَرِيمٌ ④ [الأنفال: ٢- ٤] .

أما الأحكام الشرعية كأحكام الوضوء والصلاة والصيام ، وأحكام البيوع  
والمعاملات المالية وغيرها ، فهذه نتعلمها مرة واحدة ، لنعمل بها ونعلمها الناس ،  
وما لا نعلمه من الأحكام نسأل عنه العلماء : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا  
تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧] .

فالإيمان يزيد ويزهر ويثمر بالنظر في الآيات الكونية والنظر في الآيات الشرعية :  
﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [١٧] ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ [١٨] ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾  
﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [٢٠] ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ مَدَّ كُفْرًا ﴾ [٢١] ﴿ [الغاشية/ ١٧-٢١] .  
ذكّرهم بالإله ، عرّفهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليُعظّموه ويكبروه ، عرّفهم  
بنعمه وإحسانه ؛ ليشكروه ويعبدوه : ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ [٩] ﴿ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ﴾ [١٠]  
﴿ وَيَنْجِنَهَا الْأَشْفَى ﴾ [١١] ﴿ [الأعلى: ٩-١١] .

فالله دعانا إلى معرفته بالنظر إلى الإبل التي لا يكاد يخلو منها مكان ، ثمّ النظر إلى  
السماء ، ثمّ إلى الجبال أعظم المخلوقات الأرضية علوّاً ، والبحار أعظم المخلوقات  
دنوّاً وسفلاً ، هذه عالية في الفضاء ، وهذه في باطن الأرض ، هذه البحر العظيم  
الذي يُشكل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية تقريباً .

هذا البحر العظيم مساحة كبيرة من المياه ، هذا الخلق العظيم ننظر إليه ، وماذا فيه من  
مليارات المخلوقات من الكائنات من الأسماك ، والأشجار ، والنباتات المختلفة ،  
هذه البحر العظيم وصل عمقه في بعض جهاته إلى أكثر من عشرة آلاف متر ، عشر  
كيلو تحت الأرض ، مملوءة بالكائنات العظيمة : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ  
لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ  
فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤] .

وأكثرنا يرى الجبال والبحار ، والشمس والقمر ، والسماء ، والأرض ، ونمر بذلك  
مرور الكرام ، ولا نذكر من خلقها ، وأتقن صنعها ، وملاها بالمعادن والخيرات ،  
فأثمر ذلك ضعف الإيمان أو موته ، وضعف الأعمال ، والإتيان بجسدها دون  
روحها : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً  
وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠] .

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلٍ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النبا: ٦-١٧].

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ الْأَرْضِ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح / ١٥-٢٠].

فسبحان من خلق هذه الكائنات العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

فلا إله إلا الله ، العظيم لا يخلق إلا العظيم من كبير وصغير ، خلق المكان كله ، وخلق الزمان كله ، وجعل المكان محلاً للأجسام ، وجعل الزمان محلاً للأعمال .

#### • والمكان سبعة أقاليم :

الأمريكتان ، أوروبا ، وأفريقيا ، وآسيا ، وأستراليا . . والسابع البحر . وفي كل من البر والبحر مخلوقات عظيمة لا يحصيها إلا من خلقها ، خلقها الله شاهدة بوحدانيته ، مُسَبَّحة بحمده ، وخاضعة لأمره ، وساجدة لعظمته ، ومسرعة إلى إرادته ، وإظهاراً لقدرته ، وإكراماً لعباده ، ومن عرف هذا فقد أدخله الله جنة المعرفة ، فليس في الدنيا نعيم يُشبهه نعيم الجنة إلا نعيم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وآياته ومخلوقاته : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١].

ومن أراد هذه الجنة فليجلس في مجالس الإيمان ، وليوطن نفسه على ذلك ، ليكسب هذه المعارف التي تولد الحب الكامل ، والتعظيم الكامل ، والذل الكامل لله ﷻ : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ

أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨] .

فسبحان الخلاق العليم الذي جعل المكان سبعة أقاليم ، وجعل الزمان سبعة أيام، السبت ، والأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، والجمعة ، وجعل الزمان مكاناً للأعمال ، وجعل الليل والنهار تدور على المكان ، فكل الأماكن يمر عليها الليل والنهار ، والمكان كله لله ﷻ ، جعل فيه الأجسام متحركة وساكنة ، والزمان كله لله ﷻ ، جعل فيه جميع الأعمال من الطاعات والمعاصي ، والحسنات والسيئات ، والخير والشر : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] .

فسبحان السميع البصير الذي يملك السمع والأبصار ، البصير الذي وهب لنا الأبصار والبصائر والعقول ، حتى نعرف الحق من الباطل ، وما يرضي الرب ، وما يسخط الرب : ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ إِلَهَ الْإِنسَانِ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

• والله ﷻ يخاطب بني آدم في القرآن بالأخبار والأوامر :

وهذا الإنسان الذي يسكن في المكان ، ويدور عليه الزمان ، خلقه الله لحكمة ، وهي عبادة ربه وحده لا شريك له ، ولتحقيق ذلك لا بد أن يتلقى من ربه المنهج الذي يسير عليه ، وهو الدين بأخباره وأوامره .

فالأخبار : خبر عن الله ، وخبر عن مخلوقات الله ، وذلك يثمر الإيمان والتوحيد .

والأوامر : أمرٌ بالفعل ، وأمرٌ بالترك ، أمرٌ بفعل الطاعات ، وأمرٌ بترك المعاصي .

وجميع السماوات والأرض وما فيهما ، وما بينهما ، وما تحتها ، وما فوقها ،

جميع المخلوقات نعمة من نعم الله علينا ، كل هذه النعم من الله وحده ، فيجب علينا

شكرها ، وعبادة من أنعم علينا بها : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ

شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

والتفكير أعظم عبادة ، ثمر أعظم عبادة وهي الإيمان بالله وحده : ﴿أَوْلَيْرَ الْإِنسَانِ أَنَا

خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس/ ٧٧-٧٩] .  
 ﴿٧٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ [السجدة/ ٢٧] .

﴿٢٧﴾ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ [الأنبياء/ ٣٠] .

فتق الله السماء إلى سبع سماوات وفتق السماء بالمياه ، والأرض فتقها إلى سبع أراضين ، فتقها بالنبات

هذا النظر يُثمر الإيمان ، يُثمر اليقين ، يُثمر الإحسان ، يُثمر التقوى : ﴿٦﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٦-٨] .  
 وإذا عرفنا ذلك تيقنت قلوبنا على عظمة الله ، وعرفت الرب الخالق ، الذي له ملك كل شيء ، وعرفنا أن الله لا إله إلا هو : ﴿٦٢﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢] .

وبموجب هذه المعارف التي تربط المخلوق بخالقه ، وتنقل الإنسان من عالم العبيد إلى رؤية مالك العبيد ، ورؤية الخالق يخلق ، والرازق يرزق ، والرحمن يرحم ، والعفو يعفو ، والغفور يغفر ، والتوَّاب يتوب ، سنة الله ﷻ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد : ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] .  
 والله ﷻ هو الحق المبين الظاهر ، لكن تراه البصائر ، ولا تراه الأبصار : ﴿١٠٢﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

فاعبد الله كأنك تراه ، ولهذا يُستجاب الدعاء إذا تيقنا أن الله موجود ، وأنه قريب ،

وأنه يسمع كلامنا ، وأنه يُحب أن يقضي حاجتنا ، وأنه أرحم بنا من أنفسنا ، فالله كريم لا يرد سائلاً ، وجميع أهل السماوات والأرض لو سألوه جميعاً ؛ فأعطاهم كل ما سألوه ، فإنه لا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨] .

فعبودية النظر والتفكير والتدبر تنقل الإنسان من عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ومن رؤية المخلوق إلى رؤية الخالق يفعل ما يشاء ، ويرزق من يشاء ، ويتوب على من يشاء ، وينتقم ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء : ﴿ اِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اَسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشٰى اِلَيْهِ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَيْثََا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرٰتٍ بِاَمْرِهٖ اَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ تَبٰرَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

إذا عرفنا ذلك تيقناً بقلوبنا على عظمة الله ، وأن له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة .

وإذا تيقناً على ذلك أحبيناً ربنا ﷻ وعظمناه ، وإذا أحبيناه أطعناه ، وعبدناه .

والعبادة طاعة العابد للمعبود فيما أمر به من فعل أو ترك : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللّٰهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَفَفَآ وَيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَيؤْتُوا الزَّكٰوةَ وَذٰلِكَ دِيْنُ الْقِيٰمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

• وأركان الإسلام لا بد منها لكل مسلم :

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. وإقام الصلاة.. وإيتاء الزكاة.. وصوم رمضان.. وحج بيت الله الحرام .

هذه شعائر تولد الطاقة الإيمانية ، وتحفظ الإنسان في الجو الإيماني ، حتى يزداد إيمانه ويستغفر من الذنوب ؛ وينشط قلبه وجوارحه لطاعة الله ﷻ .

فأركان الإسلام شيء ، والإسلام شيء آخر أكبر وأوسع ، الإسلام مبني على خمسة أركان ، والإسلام هو عبادة الله بطاعته في كل أمرٍ ونهي : ﴿ قُلْ اِنِّى هَدَيْتُ رَبِّىْ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ دِيْنًا قِيَمًا مِّلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ﴾ [١١١] ﴿ قُلْ اِنَّ صَلَاتِيْ وَنُسُكِيْ وَمَحْيَاىِ وَمَمَاتِيْ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ [١١٢] لا شريك لله ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿ [١١٣] ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣] .

• والله بعث الأنبياء والرسل بأمرين :

إبلاغ الدين . . والعمل بالدين .

إبلاغ الدين : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

والعمل بالدين : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

فنحن نفتدي بالنبي ﷺ في توحيده ، وفي عبادته ، وفي أقواله ، وفي أعماله ، وفي أخلاقه ، وفي دعوته لربه ﷻ ، لابد من تزيين أجسام البشرية بالأعمال الصالحة ، والأخلاق العالية ، وتزيين القلب بالتوحيد والإيمان : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨] .

فبقدر ما نرى ، ونتفكر ، ونتدبر ، في المملك والملكوت يزداد الإيمان في القلب ، وإذا ازداد نور الإيمان في القلب ؛ جاء الانسراح لفعل الطاعات ، وجاء الأنس بالله ، وقذف الله النور في القلب نورًا بعد نور ، كلما تعلم الإنسان شيئاً ، كلما رأى شيئاً ، كلما سمع شيئاً عن ربه ﷻ ازداد قلبه نوراً ، وإيماناً ، ويقيناً ، وحباً وتوحيداً لله ﷻ : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [حمد: ١٩] .

فإذا عرفنا ذلك تيقنت قلوبنا على عظمة ربنا ، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى ؛ فانقذنا إليه ، وسلّمنا الأمر إليه ، وسلّمنا الجوارح له : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ٢٢] . هذا النظر الأول في الآيات الكونية ، النظر في المملك والملكوت ، هذا النظر يولد الطاقة الإيمانية في القلب ، فالنظر والتدبر والتفكير في الآيات الكونية يثمر قوة الإيمان ، ويثمر اليقين ، ويثمر التقوى ، ويثمر الحب في الله ، والبغض في الله ، ويثمر تعظيم الله ، وحب الله .

هذا النظر والتفكير في الكتاب المنظور يقرؤه ويراه كل أحد يثمر كمال الإيمان ، واليقين ، والتوحيد : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا

أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٣﴾ [الطلاق / ١٢] .

وإذا عرفتم ذلك ؛ أحببتم الله ، وإذا أحببتموه ؛ أطعتموه ، وامثلتم أمره ، وهذه هي العبادة ، طاعة الله في كل أمر ، أمر فعل أو أمر ترك : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب / ٧١] .

هذا القسم الأول من الرؤية البصرية ، أن ننظر بأبصارنا إلى هذا الملك والملكوت المشهود ، ننظر إلى ما خلق الله في السماوات والأرض ، هذا النظر يجعل الإنسان يعرف أن لهذا الكون خالق ، ورازق ، ومالك ، وقادر ، وقاهر ، وأنه الواحد الأحد لا شريك له ، وأنه ملك يتصرف في جميع الممالك والممالك .

يتصرف في السحب كيف شاء ، وفي الرياح كيف شاء ، وفي السماء كيف شاء ، وفي الأرض كيف شاء ، ويُمسك السماء أن تقع على الأرض ، ويأمر الأرض فتنبت ، ويأمر السماء فتمطر ، ويأمر اللسان فيتكلم ، ويأمر العين فتبصر ، ويأمر الأذن فتسمع ، ويأمر الأقدام فتمشي ، لأنه وحده له الخلق والأمر : ﴿ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّلْنَا بِهٖ الْوَكَالَاتِ وَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

فإنه بين أن هذا النظر في الآيات الكونية أعظم سبب لحصول الإيمان وزيادته ، وعبادة الله بالحب والتعظيم ، والذل له جل جلاله : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١] .

• ثم يأتي النظر الآخر وهو النظر في الآيات القرآنية :

فالقرآن أخبار ، وأوامر ، والأخبار عن الله ، وعن مخلوقاته ، والأوامر أو أمر فعل ، وأوامر ترك .

وهذا القرآن العظيم مُتَعَبَّدٌ بتلاوته ، ومُتَعَبَّدٌ بتدبره ، ومُتَعَبَّدٌ بالعمل به .

مُتَعَبَّدٌ بتلاوته نأخذ على الحرف عشر حسنات ، ومُتَعَبَّدٌ بتدبر أخباره وأحكامه وأوامره : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] .

وهذا التدبر ينقل الإنسان من التعلق بالمخلوق إلى التعلق بالخالق ، ومن الصور إلى

المصور ، ومن العبيد إلى الملك ، ومن الدنيا إلى الآخرة .

ثم بعد هذا العمل بالقرآن ، القرآن مُتَعَبَّدٌ بتلاوته من ناحية الأجور ، مُتَعَبَّدٌ بتدبره والتفكير فيه ، وهذه عبادة ولكن هذا التدبر لا بد أن يقترن به العمل : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١٦] ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [١٧] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٧] [السجدة: ١٥-١٧] .

فأنا إذا رأيت الأسد أو الثعبان ، فوراً أتفكر بالخلاص منه بقتله ، أو الهروب منه ، وهكذا إذا رأيت الماء شربت منه ، فكذلك المسلم يتدبر القرآن ، ويقرأ القرآن بقلب حاضر ، ويتدبر آياته العظيمة فيراها إما خبر عن الله ، أو خبر عن مخلوقاته ، أو أمرٌ بفعل طاعة ، أو اجتناب معصية ، ثم يُبادر إلى فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي ، والخضوع والانكسار بين يدي ربه الذي أنزله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [٥٨] ﴿ [مريم: ٥٨] .

والقرآن العظيم كتاب فيه تبيان كل شيء ، وصفه من أنزله بأنه كتاب عظيم ، وحكيم ، وكريم ، ومجيد ، وعزيز ، ومبين ، بين الله فيه ، وفصل فيه أسماءه وصفاته وأفعاله ، وغيرها من الأخبار العظيمة ، والأحكام العادلة : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [٨٢] ﴿ [النساء/ ٨٢] .

ويقول ﷺ : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [٢٤] ﴿ [محمد/ ٢٤] .  
قُلٌ مُّقْفَلٌ عَلَى هَذِهِ الْقُلُوبِ بِأَقْفَالِ الشَّهَوَاتِ ، بِأَقْفَالِ النِّسَاءِ ، بِأَقْفَالِ الْأَمَالِ ،  
بِأَقْفَالِ الْأَمْوَالِ ، بِأَقْفَالِ الْأَهْوَاءِ .

فهذه الأقفال تمنع المسلم من الانتفاع بالقرآن ، والاتعاظ بمواعظه .

وهذا القرآن العظيم حفظه الله من التحريف والتبديل ، ومن الزيادة والنقصان : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِنْتُبُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] .

وهذا القرآن منهج البشرية إلى يوم القيامة عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً ، وما تكفل

الحفيظ بحفظه فسيبقى محفوظاً إلى يوم القيامة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

• القرآن العظيم بين الله فيه خمسة أمور :

الأول : القرآن العظيم كتاب التوحيد والإيمان ، فقد فصل الله فيه دلائل التوحيد والإيمان الحسية ، والعقلية والنقلية ، التي تشهد بوحدانية الله ، وكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

الثاني : القرآن كتاب الدعوة إلى الله ، فكل سير الدعاة إلى الله ، وكل من دعا إلى الله ، الله ذكره في القرآن من الأنبياء ، من الناس ، ومن الحيوان ، ومن الطير ؛ لنقتدي بهؤلاء في الدعوة إلى الله : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١].

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إسماعيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤].  
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَلْقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠-٢١].  
﴿ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢١].

• والأنبياء والرسل جاءوا بثلاثة أمور :

التعريف بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله.. والتعريف بالطريق الموصول إليه وهو الدين.. والتعريف بما للناس بعد القدوم عليه من الثواب والعقاب .

الثالث : القرآن العظيم كتاب الهداية ، إذا قامت الدعوة ، جاءت الهداية ، إذا قمنا بالدعوة إلى الله ، نزلت الهداية ، فالله وكّل السحب بحمل المياه ، ونشرها في العالم ، ووكل الشمس بالإنارة ، ووكلنا بنشر الهداية ، فإذا قامت الدعوة جاءت الهداية .

الرابع : القرآن العظيم كتاب الأحكام ، بين الله فيه أحكام العبادات ، والمعاملات ، والمعاشرات ، والأخلاق ، ثم فصلها النبي ﷺ في سنته .

الخامس : القرآن العظيم كتاب الأجر والثواب ، فكل حرف تقرأه بعشر حسنات فضلاً من الله لترغيب المؤمنين بالاستكثار من قراءته وتدبره .

فإذا قامت الدعوة ؛ جاءت الهداية ، وإذا جاءت الهداية ، واهتدى الإنسان ، جاءت الرغبة في العمل بالأحكام ، إذا اهتديت إلى ربي ، وعرفت الهادي ، وعرفت الرازق ، وعرفت الواحد الأحد الذي خزائنه مليئة بكل شيء ، الذي بيده كل شيء ، القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء ؛ أقبلت عليه ، وامثلت أمره ، لأنني أرجو منه الخير ، وأرجو أن يدفع عني الشر .

ولهذا كانت الدعوة إلى التوحيد والإيمان في مكة ، وفي المدينة جاءت الأحكام ، ونزلت الأحكام كالمطر ، أحكام كثيرة في الشريعة نزلت على أرض مشتاقه إلى الإنبات ، فنزل الغيث على هذه الأرض ، فأبنت من كل زوج بهيج .

أبنت : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٣٥﴾

[الأحزاب: ٣٥] .

أبنت : ﴿ التَّائِبِينَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَّخِضُونَ الرِّكْعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١٢﴾ [التوبة: ١١٢] .

أبنت : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ١-٩] .

أبنت : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٥] .

كما يُنبت الماء من كل زوج بهيج في الأرض ، كذلك هذا الوحي يُنبت في القلوب

هذه الأجناس التي يحبها الله ﷻ من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين  
والمسلمات .

فإنزل القرآن للبشرية كافة إلى يوم القيامة : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ  
لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان / ١] .

ولننظر بتدبر وتفكر في سور القرآن ، ففاتحة الكتاب فيها تبيان كل شيء ، وهي  
السبع المثاني ، والقرآن كله تفصيل لما جاء فيها ، والتفكر والتدبر والنظر في آيات  
القرآن الكريم من أعظم العبادات التي تملأ القلب إيماناً و يقيناً وتقوى ، وتحرك  
الألسنة بالذكر ، والحمد ، والدعاء ، والدعوة ، وتعليم شرع الله ، وتُشغل الأوقات  
والجوارح بالطاعات ، فالقرآن مُحكمٌ في آياته وأحكامه : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ  
فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود: ١] .

• والقرآن العظيم مُشتملٌ على أمرين عظيمين :  
فآياته إما خبرٌ . . وإما إنشاء .

الأول : الخبر وهو قسمان : إما خبر عن الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله . . أو خبر  
عن المخلوق بأنواعه .

خبر عن الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ  
وَالشَّهَادَةِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر / ٢٢] .

وخبر عن المخلوق : خبر عن خلق السماوات ، خبر عن الأرض ، خبر عن  
الإنسان ، خبر عن الجن ، خبر عن الملائكة ، أخبار عن الجنة ، أخبار عن النار .  
وبموجب هذه المعرفة ، معرفة الله ، ومعرفة مخلوقات الله ، يأتي بعد هذه المعرفة  
التكليف بأن تُطيع الله الذي خلق هذه المخلوقات ، وننقاد له ، ونُسلم لأمره ، كما  
سَلَّمَت له جميع المخلوقات .

فإننا خلقنا مختارين من بين المخلوقات ، فإذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته ، وعرفنا  
مخلوقاته ، وعرفنا الملك والملوك ، جاءت الرغبة في قلوبنا لطاعته ، لأننا  
أحببناه ، وعرفنا أنه العظيم ، ثم جاءت المحبة الكاملة لطاعته وعبادته جل جلاله :  
﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

وَكَيْلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأَنْعَامُ: ١٠٢] .

• والقسم الثاني : إنشاء ، وهو قسمان :

طلب فعل . . أو طلب ترك .

طلب فعل : وهي جميع الطاعات من الإيمان والتقوى ، والفضائل ، والأخلاق العالية .

وطلب ترك : وهو ترك الكفر ، والشرك ، والمحرمات ، والكبائر ، والصغائر ،

فطلب الفعل : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ﴿٣٦﴾ [النساء/ ٣٦] .

وطلب الترك : ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ﴿٣٦﴾ [النساء/ ٣٦] .

وهكذا : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ﴿٢٧٥﴾ [البقرة/ ٢٧٥] .

فالإنسان ما خلق عبثاً ، خلق ليملاً الأوقات ، ويملاً المكان ، بالأعمال الصالحة :

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [النحل/ ٧٨] .

﴿وَلَا تُقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾

[الإسراء/ ٣٦] .

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

فلنتدبر القرآن ، ولنقرأ القرآن ، ولننظر في القرآن ، لنرى الأخبار الصادقة ، ونرى

الأحكام العادلة ، ونرى فعل الله في مخلوقاته ، ونرى وعد الله ووعيده جل جلاله .

فهذه المعارف تملأ القلب توحيد وإيماناً ، وتحرك الألسنة بالذكر ، والحمد ،

والدعاء ، والدعوة ، وتجعلنا نُشغِل أوقاتنا بالطاعات ، ونُحَرِّك جوارحنا بأنواع

القربات : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ

مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ

وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ

وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .



الذي خلق الأرض والسموات العلى هو الذي يستحق أن يُعبد ، من هو ؟ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجَهَر بِالْقَوْلِ فإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٥-٨] .

ثم يقول : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمْوَسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَفَأَقْهَى بِيَمِينِي ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِرُبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ٩-٢٣] .

وفي هذا تربية للنبي ﷺ على كمال الإيمان واليقين ، ليتوكل على ربه وحده في إبلاغ دينه .

في سورة طه الله ﷻ يبين للنبي ﷺ أن هذا القرآن نزل فيه تبيان كل شيء ، وأنه مطلوب أن يُبلِّغه للناس ، لأنه آخر نبي ، وأمه آخر الأمم : ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾﴾ [طه/ ٢-٣] .

فهذه سيرة النبي ﷺ الله قص عليه قصة موسى ، وما جرى لموسى من شدة الأحوال ، وبين أنه مكلف مثله بهذا الدين .

ثم بين الله ﷻ بعد سورة طه قصص الأنبياء ، لتجعله يطمئن ، وتجعله يقتدي بهم ، وتجعله يسابق إلى الخيرات ، ويرغب أمته ليكونوا كالأنبياء ، في عبادتهم ، وفي دعوتهم ، وفي أخلاقهم ، فجاءت بعد سورة طه سورة الأنبياء ، حتى تكون هذه الأمة كلها كالأنبياء : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ جَازًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠] .

فالصفات التي في جميع الأنبياء جمعها الله في سيد الأنبياء ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء .

فالصفات التي في النبي ﷺ تنتقل إليك ، ترشحت الصفات من جسد النبي ﷺ إلى الصحابة ، لذلك كانوا خير القرون ، بعد أن كانوا شر القرون ، هم شر القرون وبالدعوة إلى الله صاروا خير القرون ، لأنه جاء فيهم مزاج النبي ﷺ ، فهم صالحون مصلحون ، فيهم عبادة الله ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، الأخلاق العالية التي جاء بها النبي ﷺ ، وانتقلت هذه الصفات من الأنبياء إلى أمة سيد الأنبياء : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

فالله ﷻ جاء لنا بسورة الأنبياء بعد سورة طه ، ليبين لنا أن جميع الأنبياء قاموا بالدعوة إلى الله : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء/ ١] .  
معرضون عن ربهم ﷻ ، غافلون عن الله ، مُشْتَغِلُونَ بالنعمة عن المنعم : ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢] .  
فالله ﷻ يقول : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء/ ٢٥] .

ويقول مذكراً لكفار هذه الأمة : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَّا رَتْقًا فَفَنَقْنَاهُمَْا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٣٠] وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ [٣١] وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء/ ٣٠-٣٢] .

فالأنبياء قاموا بالدعوة إلى الله ، وعرفوا بالله ﷻ ، وبيّنوا أحكام الله ، وعملوا بشرع الله ، وكذلك نحن هذه الأمة بعثنا الله كالأنبياء ، فنحن خير أمة في الدعوة ، في العبادة ، في العلم ، في الأخلاق العالية ، فلا بد أن يجتهد على شر الناس ، ليكونوا خير الناس : ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [٤٥] [الأنبياء/ ٤٥] .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُنْتَفِيكِينَ﴾ [الأنبياء/ ٤٨] .

فالله قصّ علينا هذا لكي نقتدي بهم : ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ [٤٩] ﴿ [الأنبياء / ٤٩] .

فلأجل الدعوة إلى سلوك طريقة الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله قص الله علينا أحوال الأنبياء لنقتدي بهم في دعوتهم إلى الله ، فالله ذكر جهد الأنبياء في سورة الأنبياء لأننا أمة تعمل بالدين عمل الأنبياء عبادة ودعوة ، فالأنبياء خير الناس ، ونحن خير الأمم ، والنبي ﷺ سيد الأمم : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [١١٠] ﴿ [آل عمران: ١١٠] .

فالله ﷻ يريد أن نقوم على هذا المقصد العظيم ، وهو الدعوة إلى الله ، ونشر دين الله ﷻ ، فقص علينا قصة موسى ، وقصة إبراهيم ، وقصة لوط ، وقصة سليمان ، وقصة يونس ، وقصة زكريا ، وغيرهم من الأنبياء ، لنقتدي بهم في مجال الدعوة إلى الله ، وكمال الصبر واليقين .

فسورة الأنبياء ذكرت قصص الأنبياء ، وما قاموا به في مجال الدعوة إلى الله ، حتى نقتدي بهم ، في توحيدهم وإيمانهم وأخلاقهم ودعوتهم إلى الله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [١٠٥] ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰكِدِينَ ﴾ [١٠٦] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِينَ ﴾ [١٠٧] ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾ [١٠٨] ﴿ [الأنبياء / ١٠٥-١٠٨] .

ثم جاءت بعد سورة الأنبياء سورة الحج ، لأن الحج هو القصد ، فبعد الدعوة إلى الله ، تتعلق القلوب بالله ، وتحب الله ، وتعظم الله ، وترغب في عبادة الله .

فالله ﷻ بالدعوة إلى الله يوجه القلوب إلى عبادة الواحد الأحد ، ويحرك الجوارح بالطاعة التي يحبها الله ، ويحجزها عن معصية الله ، ومن عرف الله أنقاه : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ زَلَلْتُمُ السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [١] ﴿ [الحج: ١] .

والتقوى : ألا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يجذك حيث نهاك .

ثم الله ﷻ يذكرنا بدليل حسي تخضع له القلوب والعقول والأعناق فيقول : ﴿ وَتَرَى

الْأَرْضِ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾  
[الحج / ٥] .

فالماء الذي ينزل على الأرض ، فتنبت من كل زوج بهيج مثل الوحي الذي ينزل على القلوب فتنبت الإيمان ومحاسن الأخلاق .

• وثمرة هذه السنة الكونية اليقين على خمسة أمور :

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج / ٦-٧] .

فإذا جاء كمال الإيمان والتوحيد توجهنا إلى قبلة واحدة ، وعبدنا ربًا واحدًا ، واتبعنا رسولًا واحدًا ، واتبعنا كتابًا واحدًا ، وأظهرنا ذلك كله للناس كلهم ، بقصد مكان معين في مكة ، لأداء نُسكٍ معين ، في وقتٍ معين ، فالله يريد أن نتوجه إليه على الدوام ، ونقصده ونعبده وحده لا شريك له ، في كل زمان ومكان .  
ولهذا جاءت سورة الحج بعد سورة الأنبياء حتى نتوجه إلى ربنا ﷻ ونوحده ونعبده ونقصده وحده لا شريك له .

ثم بين الله حرمة المسجد الحرام الذي يحج إليه الناس ، وتوعد من أَلحد فيه بالعذاب الأليم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِمْ يُظَلِّمْ نَذِقْهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج / ٢٥] .

ثم ذكر الله قصة إبراهيم ﷺ ، وأنه ضحى بكل شيء من أجل الدين .  
فإبراهيم ﷺ ضحى بنفسه فوهب الله له الله الحياة فورًا في النار ، وضحى بالبلد فالله أعطاه أحسن بلد وهي مكة ، وضحى بالولد فالله أحيا الولد إسماعيل ، ومن إسماعيل جاء أحسن ولد ، سيد الأنبياء والرسل ، وسيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله ، وضحى بأم الولد هاجر فصارت أمًا للعرب ، وصارت خطواتها نسكًا يتعبد المسلمون به بين الصفا والمروة ، ولا يتم الحج ولا تتم العمرة إلا به .

وأمرنا الله أن نعظم شعائر الله في كل زمان ومكان : ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج / ٣٢] .

وإذا جاء القصد لله ﷻ ، والتوجه إليه ﷻ ؛ جاء حب الله للعابد ، وحفظه ، والدفاع عنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج / ٣٨] .

ثم بين الله مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة فقال : ﴿ الْمَلَأُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [الحج / ٥٦-٥٧] .

ثم أمر الله ﷻ في آخر السورة بعبادته وحده لا شريك له ، وبذل كل جهد في سبيل نشر دينه فقال : ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٧٧] وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَوْلَهُ أَتَاكُمْ مِنْ رَبِّهِمْ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج / ٧٧-٧٨] .

فإذا قامت الدعوة ، جاءت الهداية ، وجاء الإيمان ، وجاءت حلاوة العبادة .

ثم جاءت سورة المؤمنون بعد الحج ، بعدما جاء التوجه الكامل لله ﷻ ، وقصده في كل حال الله يبشرنا بالفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

الذين قبلوا دعوة الرسل ، ووحدا ربهم ، وأطاعوه ، وعبدوه بشرهم بقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١١ ﴾ [المؤمنون : ١-١١] .

ثم دعانا الله ﷻ للنظر والتدبر والتفكير ، لنعرف الواحد الأحد ، وذلك بالنظر في آياته الكونية فقال : ﴿ قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ٨٧ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ

كُتِبَ تَعَامُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُدُّوا إِلَيْهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ [المؤمنون/ ٨٤-٩٢] .

فتنتيجة الدعوة حصول الإيمان ، ولزيادة الإيمان تُسقى الفطرة بالإيمان التفصيلي ، الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .  
 وثمرة الإيمان هي الفلاح في الدنيا والآخرة ، الأمن وخلافة الأرض في الدنيا ، ورضوان الله ﷻ ، والجنة في الآخرة ، وبين الله ﷻ أن هذا الإيمان إذا جاء في القلب ملاً القلب نوراً ، فيمتلئ القلب بالنور ، وإذا صار الإنسان يمشي في النور يُحصّل المنافع ، ويجتنب المفسدات ، يُحصّل ما ينفعه ، ويجتنب ما يضره ، والذي يمشي في الظلمات ؛ إما أن يحطم الصغير أو يحطمه الكبير : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

والذي يمشي في النور إما أن يمشي بالخير لنفسه في العبادة ، أو يمشي بالخير لغيره بالدعوة ، والتعليم ، والإحسان .

فإذا امتلأ القلب بالإيمان ازداد نوره ، نوراً على نور ، ولذلك جاءت بعد سورة المؤمنون سورة النور : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور/ ١] .

لأننا بهذا النور عرفنا الخالق من المخلوق ، والصور من المصوّر ، والدنيا من الآخرة ، وإذا عرفنا هذا أحببنا الله ، وأطعناه ، وعبدناه ، وتقربنا إليه بما يحبه ويرضاه : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور/ ١] .

ثم ذكر الله ﷻ قصة الإفك ، ثم بين الله أنه سميعٌ بصير ، يعلم المحسن من المسيء ، والمطيع من العاصي ، ويعلم جميع مخلوقاته .

ثم الله ﷻ دعانا للنظر والتفكير والتدبر : ﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [النور/ ٣٤] .

مَصْبَاحُ الْمَصْبَاحِ فِي زُجَاجَةِ الزُّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور/ ٣٤-٣٥].

أين نجد هذا النور؟ ﴿ فِي ثُبُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ [النور/ ٣٦-٣٧].

ثم أخبر أن جميع مخلوقاته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتُ كُلَّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ، وَاللَّهُ عِلْمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ [النور/ ٤١] ، يعني كونوا مثلهم .

ثم بين عظمة ملكه ، وكمال قدرته فقال : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ، عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يَقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ [النور/ ٤٢-٤٤].

فالقلب الآن امتلاً بنور الإيمان ، وإذا امتلاً بنور الإيمان ؛ رأى الحق حقاً وفعله ، ورأى الباطل باطلاً واجتنبه ، فإذا جاء عنده هذا النور بدأ يُبصر بقلبه الحق من الباطل ، والخير من الشر ، والحسن من القبيح، ويبصر قيمة الدنيا ، وقيمة الآخرة . ثم جاءت بعد سورة النور سورة الفرقان ، فإذا امتلاً القلب بنور الإيمان ، وجاء النور في القلب ؛ فرّق بين الحق والباطل ، كما أن العين تُفرق بين الأبيض والأسود ، والماء والتراب ، كذلك القلب إذا امتلاً بنور الإيمان ، فرق بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة ، وفرق بين الخالق والمخلوق، والملك من العبيد .

هذا النور جعل الإنسان يُفرق بين الحق والباطل ، وبين الخالق والمخلوق ، وبين من يستحق العبادة ممن لا يستحق العبادة : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ [الفرقان/ ١].

من هو ؟ ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ

كُلُّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ [الفرقان / ٢] .

ثم ذكر صفات أهل الفرقان فقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ [الفرقان / ٦٣-٦٧] .

إلى آخر الآيات ، هؤلاء الله ﷻ لما ذكر صفاتهم قال عنهم : ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ [الفرقان : ٧٥-٧٦] .

فهذه السور الست ترتيبها في القرآن عجيب ، وكل سور القرآن موضوعها ، وترتيبها ، فيه أسرار لا يعلمها إلا الراسخون في العلم : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٧﴾ [آل عمران : ٧] .

• إذا عرفنا هذا وذاك ؛ أقبلنا على ربنا ﷻ بأمرين :

عبادة الحق وحده لا شريك له . . . والإحسان إلى الخلق دعوة ، وتعليمًا ، وإحسانًا : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَأَلْيَتَيْكُمْ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ ﴿٣٦﴾ [النساء : ٣٦] .

فالله ﷻ هو السميع البصير الذي منَّ علينا واختارنا ، وجعلنا من خير أمة أُخرجت للناس ، يريد منا أن نتصف بهذه الصفات التي يحبها ﷻ ، وهذا وحده هو طريق النجاة ، طريق النجاة الذي ينجو به العبد من عذاب الله ﷻ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تُتَّقُونَ ﴾ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

فيا أخي المسلم ، ويا أختي المسلمة ، لنحسن عبادتنا لربنا العظيم السميع البصير ،

ونلزم ذكره ، ونتقرب إليه بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق ، ونسبح بحمده ، ونشكر نعمه ، ونصبر على بلائه ، ونكون بين يديه عابدين ، ذاكرين ، شاكرين ، ونكون بين خلقه دعاةً ومعلمين ومحسنين ، ونشكره أن جعلنا في قبضة اليمين فضلاً منه ورحمة : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

وإياك أيها المسلم أن يراك الله مُصْرًا على معصيته فما كفر به أحد ، ولا عصاه أحد ، إلا من جهله بربه ، وجهله بأمره ، وجهله بنفسه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ءِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ءِ سُبْحٰنَهُ وَنَعْلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٧] .

فما أسفه من أعرض عن آيات ربه ، وما أعظم عقوبته : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايٰتِنَا غٰفِلُونَ ﴾ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يونس/ ٧-٨] .

فأبصر رحمك الله مواضع النجاة ، ومواطن الهلاك ، وتعرف على ذلك من كتاب ربك العظيم ، وسنة نبيك الكريم ﷺ : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَآئِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ءِ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ءِ وَمَن عَمِيَٰ فَعَلَيْهَا ءِ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَفِيظٍ ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام/ ١٠٤] .

واعلم أن من علم أن الله يُبصره ويراه عبد ربه كأنه يراه ، وأحبه وتولاه ، وخافه ورجاه ، واستحي منه ، وتلذذ بمناجاته ، وسارع إلى طاعته ، وفر من معصيته : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ ءِ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ﴿١٢﴾ [الملك/ ١٢] .

واعلم أن الله أكرمك بنعمة البصر ، لتبصر به المخلوقات العظيمة ، والآيات الكونية الدالة على عظمة ربك العظيم ، وتنظر به إلى آياته الشرعية الدالة على كمال علمه وقدرته ، وكمال عدله وإحسانه : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ءِ وَأَن عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فِإِتَىٰ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٨٥﴾ من يُضِلِّ اللَّهُ فَكَأَيِّ هَادِيٍّ لَهُ ءِ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿١٨٦﴾ [الأعراف/ ١٨٥-١٨٦] .

فندبروا القرآن ، ففيه الأخبار الصادقة ، والأحكام العادلة ، والأخلاق الحسنة ، والمؤمن حقًا من كان صمته فكرًا ، ونطقه ذكرًا ، ونظره عبرة : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ ﴾

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ [النساء/ ٨٢] .

فيا عبد البصير استقم على أوامر من يسمعك ويراك ، وبصّر الناس بدين الله ، ولا تحبس نور الله عن خلق الله فتبوء بعقوبة الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

واعلم رعاك الله أن البصير الذي خلق فيك السمع والبصر والعقل يُبصِرُكَ في جميع أحوالك ، فأطعه ولا تعصه ، ولا تجعله أهون الناظرين إليك : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَنِيِّ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ هِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠] .

واتق الله أن يكون السميع ، البصير ، العليم ، القادر على كل شيء ، أهون الناظرين إليك ، واعلم أن من أخفى عن غير الله ما لا يُخفيه عن الله فقد استهان بنظر القادر القاهر إليه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

فاستحي من الله على قدر قربه منك ، واشكره على قدر نعمه عليك ، وخف منه على قدر قدرته عليك ، وأحبه على قدر إحسانه إليك : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١١﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد: ١٦-١٧] .

فيا من عصيت الملك الجبار في ملكه وسلطانه في خلوتك ، إن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت ، وإن كنت تعلم أنه يراك فقد اجترأت يا ضعيف ؛ فتب إلى ربك فإنه هو الغفور الرحيم : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠] .

وزين باطنك بالمراقبة ، وزين ظاهرك بالمحاسبة : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر/ ١٨] .

وإذا أردت أن تعصي ربك البصير فاعصه في مكان لا يراك فيه ، أو اخرج من سلطان ملكه ، وهذا وهذا محال حتى في الخيال : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ [الحديد/ ٤-٥] .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣] .

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨] .

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم أنت السميع لأقوالى ، العليم بسرى وعلايتى ، البصير بأفعالى ، ارحم ضعفى وسكنتى ، واجعل فى قلبى نوراً حتى أعبدك كأنى أراك ، ولا أخشى أحداً سواك ، يا رب العلمين .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

العلي.. والأعلى.. والمتعال

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله العلي.. والأعلى.. والتمتع

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال العظيمة ، والمثل الأعلى :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨] .

والله ﷻ أراد أن يُعرف ؛ ولهذا خلق هذا المَلِك العظيم ، وملاه بآياته ومخلوقاته والطرائق إلى معرفة الله بعدد أنفاس الخلائق ، فالطريق إلى معرفة الله أسهل شيء وأوضح شيء ، وأبين شيء : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت/ ٣٧] .

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بَهيج ﴾ [٥] ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج/ ٥-٧] .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴾ [٢٠] ﴿الرُّوم/ ٢٠﴾ .  
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [٢٥] ﴿الرُّوم/ ٢٥﴾ .

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية/ ١٧-٢٠] .

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بَهيج ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق/ ٦-٨] .

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا ﴿١٣﴾

وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَابًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ  
يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ ﴿[النبا/٦-١٧] .

والله ﷻ يريد من عباده أن يعرفوه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويعرفوا أن له الأسماء  
الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، ليعبدوه بموجب  
هذه المعرفة : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ ﴿[محمد/١٩] .

واسم الله العلي ذكره الله ﷻ في أعظم آية في القرآن ، وهي آية الكرسي : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ  
عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ  
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿[البقرة/٢٥٥] .

فالعلي صفة كمال ، والعظيم صفة كمال ، واقتران العلي بالعظيم كمال آخر .  
فالله ﷻ هو العلي الأعلى بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، العلي بمقامه ، العلي  
بقهره .

وهو العظيم جل جلاله بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، العلي بجلاله وجماله ،  
فالله ﷻ هو العلي في عظمته ، وهو العظيم في علوه .

وأسماء الله الحسنى جاءت في القرآن مفردة ، ومقترنة باسم آخر ، أو بعده أسماء .  
واسم العلي ورد في القرآن مقترناً باسم العظيم ، ومقترناً باسم الكبير ، ومقترناً باسم  
الحكيم .

وقد ورد اسم الله العلي في القرآن (٨) مرات ، والأعلى مرتين ، والمتعال مرة واحدة .  
واسم الله العلي ورد مقترناً بالعظيم في القرآن في موضعين ، ومقترناً بالكبير في أربعة  
مواضع ، ومقترناً بالحكيم مرة واحدة ، فالله ﷻ هو العلي الأعلى المتعال بذاته  
وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ  
الْعَظِيمُ ﴾ ﴿[البقرة/٢٥٥] .

أما المتعال فقد ورد مرة واحدة كما في سورة الرعد : ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ  
الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ ﴿[الرعد/٩] .

وورد مقترناً بالكبير أربع مرات : ﴿ ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج/ ٦٢] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبا/ ٢٣] .

وقال ﷻ : ﴿ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكُ بِهِ ، تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [غافر/ ١٢] .

ويقول ﷻ : ﴿ وَاللَّيْلِ تَخَافُونَ نُشُورَهُمْ ، فَعِظُواهُمْ ، وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ ، فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْعُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ، إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء/ ٣٤] .

أما اسمه الأعلى فقد ورد مرتين :

أحدهما : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ ﴾ [الأعلى/ ١-٣] .

والثاني ورد في سورة الليل : ﴿ وَسَبِّحْنَهَا الْأَنْفَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ ، يَتَزَكَّى ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ مُجَزَى ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝ لَسَوْفَ يَرْضَى ۝ ﴾ [الليل: ١٧-٢١] .

فالله ﷻ هو العليّ الأعلى جل جلاله ، فوق كل شيء ، فالعليّ بذاته ، العليّ بصفاته ، فلا أحد مثله ، تعالى عن كل ما سواه من المخلوقات ، العليّ عن الصاحبة والولد والشبيه والمثيل ، هو العليّ الذي رفع وأعلى من آمن به ، وخفض من كفر به ، والمطلوب من المسلم أن يرفع ، ويُعلي ، ويحب ، من أعلى الله من المؤمنين والمتقين والمحسنين ، ويخفض من خفض الله من الفسّاق ، والكفار ، والمجرمين ، والمستكبرين .

واسم الله العليّ والأعلى أسماء تدل على أسماء ذاتية للرب ﷻ ، والمتعال صفة تنزيهه ، هو ﷻ متعالٍ عن النقائص والعيوب ، متعالٍ عن الشريك والمثيل ، متعالٍ عن جميع مخلوقاته ، فهو عليّ بذاته ، متعالٍ عن النقائص والعيوب ، متعالٍ عن كل مخلوق ، هو الملك الحق ، ومن خصائص الملك الحق الأمر والنهي ، والثواب والعقاب ، والوعد والوعيد ، فالله ﷻ هو الملك الذي له الأوامر الكونية ، والشرعية ،

والجزائية ، وله الخلق والأمر كله : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

هو جل جلاله العليُّ الأعلى ، الذي تعالى عن النقائص والعيوب جميعها ، وتعالى عن الشريك ، والمثيل ، والشبيه ، والكفو ، وتعالى بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله عن مخلوقاته ، فالله ﷻ هو العليُّ الكبير ، وهو العليُّ العظيم ، وهو العليُّ الحكيم .

الله ﷻ كبيرٌ قبل أن نكبره ، وعظيمٌ قبل أن نعظمه ، وخالقٌ قبل أن يخلقنا ، ورازقٌ قبل أن يرزقنا : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦] .

والله ﷻ أكبر من كل شيء ، أكبر مما نعلم ، وأعظم مما لا نعلم ، وأقوى مما نعرف ومما لا نعرف ، وأجمل مما نعرف ومما لا نعرف ، فمهما عرفنا من قوته فهو أقوى ، ومهما عرفنا من كبريائه فهو أكبر ، ومهما عرفنا من علوه فهو أعلى ، ومهما عرفنا من رحمته فهو أرحم ، فهو العليُّ بذاته وأسمائه وصفاته عن مشابهة مخلوقاته ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

فسبحان من لا بداية ولا نهاية لعظمته وكبريائه وجلاله وجماله : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥] . هو الحي بجميع صفات الكمال ، هو الحي بكمال السمع والبصر ، والقوة والقدرة ، والعلم والخبرة ، والرحمة والعزة .

هو سبحانه العليُّ الأعلى الذي لا بداية له ولا نهاية ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، لا بداية لعظمته ، ولا نهاية لكبريائه ، وجلاله وجماله ، هو الحي لا إله إلا هو وإذا عرفناه بالكبرياء والعظمة ، والرحمة والإحسان ، أحببناه وعبدناه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

لأنه الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو القادر على كل شيء ، المُحيط بكل شيء ، الحفيظ لكل شيء ، الغني عن كل أحد ، الذي له مُلك السماوات والأرض ، الواحد الأحد في مُلكه وسلطانه ، وخلقِه وأمره ، وتدبيره وعبادته : ﴿فَكَادُغُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥] .

الحمد لله أن لنا رباً عظيماً ، له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى .

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى ، الحمد لله رب العالمين أن أنعم عليّ و أنعم على غيري ، الحمد لله رب العالمين أن أعطاني خيراً و صرف عني شراً ، الحمد لله رب العالمين الذي جعلني أسجد له ولا أسجد لغيره ، فالسجود له يُغنيك عن السجود لغيره ، ومن لم يسجد لله سجد لغير الله ، والله عنده كل شيء وغير الله ليس بيده شيء : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر/ ١] .

خزائن المخلوقات كلها عند الله ، وكل مخلوقاته تدل على وجوب توحيده وحمده : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾ [الأنعام: ١] .

فله الحمد كله ، لأنه الذي خلق الإنسان وأطعمه وسقاه ، وهداه واجتباه : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف/ ١] .

هو الحميد الذي حمد نفسه قبل أن يخلق الحامدين له ، فله الحمد على نعمه المادية والروحية : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [٣] ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٥] ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [١] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [٧] [الفاتحة: ٢-٧] .

هو الملك الحق الذي له الملك كله ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، وله الحمد كله . فإذا حمدناه استفدنا من هذا الحمد ؛ لأنه يزيدنا من نعمه كلما حمدناه وشكرناه : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٧] [إبراهيم/ ٧] .

ونحمده لأنه أهل أن يُحمد ، وأهل أن يعبد ، وأهل أن يطاع .

ومعرفة العلي الأعلى بأسمائه وصفاته وأفعاله تدفع الإنسان لحمد ربه ، وعبادته ، والخشوع له ، والانكسار بين يديه ، وسؤاله ؛ لأن له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى ، وهو العليُّ القادر القاهر الذي بيده كل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء ، الذي إذا تكلمت سمعك ، وإن تحركت رآك ، وإن أضمرت فهو يعلم بما في قلبي وفي صدري : ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك / ١٣ - ١٤] .

فهو سبحانه العليُّ الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه ، له علو الذات ، وله علو الصفات ، وله علو القدر ، وله علو القهر .

هو المتعال ، هو الغني بذاته ، العليُّ بذاته على جميع مخلوقاته ، الأعلى الذي استوى على أكبر وأعظم مخلوقاته ، وهو العرش العظيم ، بأعظم الصفات وهي الرحمة : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه/ ٥] .

دعانا باسمه الرحمن حتى نعرف أنه الرحمن وأنه على العرش استوى بصفة الرحمة ، لنقبل على سؤاله وعبادته ، وهو في علوه ، لا يخفى عليه شيء ، يسمع كل شيء ، يُبصر كل شيء ، عليم بكل شيء ، مُحيط بكل شيء ، قادر على كل شيء : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه/ ٥] .

وهو العليُّ علو قدر ، العليُّ العظيم بأسمائه الحُسنى ، وصفاته العُلى ، وأفعاله الجميلة : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨] .

له علو الجلال ، وعلو الجمال ، فهو الأعلى في كل صفة ، بقدرته وعزته وجلاله ، ورحمته وبره وإحسانه .

وهو العليُّ علو قهر ، فهو العليُّ القاهر فوق عباده ، الذي قهر كل شيء على ما أراد ، حجماً وشكلاً ، وطولاً وعرضاً ، وحياءً وموتاً ، العلي الذي دانت له المخلوقات بأسرها ، فلا يتحرك ولا يسكن شيءٌ منها إلا بإذنه وعلمه وإرادته : ﴿ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر/ ٤] .

قهر الجبال على السكون ، وقهر الرياح على الحركة ، وقهر البحار أن تفيض ، وقهر  
النبات على شكل معين ، وقهر جميع المخلوقات على ما أراد : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [هود / ٦٦] .

هو الواحد القهار ، قهر الرياح بالجبال ، وقهر الجبال بالحديد الذي يُكسرها ، وقهر  
الحديد بالنار التي تُذيبه ، وقهر النار بالماء الذي يُطفئها ، وقهر الماء بالرياح التي  
تحركه وتحمله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١١٦] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ ذُوْبِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [١٠٧] ﴿  
[البقرة / ١٠٦ - ١٠٧] .

فهو جل جلاله الواحد القهار ، هو واحد ، والواحد لا بد أن يكون قهاراً ، وهو القهار  
، والقهار لا بد أن يكون واحداً .

هو سبحانه الكبير المتعال عن كل نقص ، وعيب ، وآفة ، وظلم ، وسوء ، رفيع  
الدرجات ، له الأسماء الحُسنى ، والدرجات العُلى ، المستحق لأعظم درجات  
التعظيم ، والمدح ، والثناء : ﴿ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣] ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ  
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [٤] ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ  
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٥] ﴿ [الشورى / ٣ - ٥] .

فالسماوات تكاد تنفطر ، والملائكة تسبح بحمد ربها من قال إن الله ثالث ثلاثة ، أو  
قال : أن الله هو المسيح بن مريم ، أو قال : إنه اتخذ صاحبةً وولداً : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ  
حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ  
سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٦٧] ﴿ [الزمر: ٦٧] .

فهو جل جلاله العليّ الأعلى ، الغني عن كل ما سواه ، هو سبحانه العليّ الأعلى  
الذي جعل أوليائه هم الأعلون في الدنيا والآخرة ، جعل لهم في الدنيا جنة المعرفة ،  
وجعل لهم جنة في السماء في أعلى عليين : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ [٨] ﴿ لَسَعِيَ رَاضِيَةٌ ﴾ [٩] ﴿  
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [١٠] ﴿ [الغاشية/ ٨-١٠] .

وأصحاب عليين هم جلساء الرحمان ، على منابر من نور ، في أرفع الدرجات ، علوًا وسموًا ، في مقعد صدق عند الملك الحق : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

فيا سعادة من جعل ربه العليّ الأعلى ، الملك الحق ، الواحد الأحد ، إلهه ومعبوده ، ليسعد بذكره وشكره ، ويُجيب سؤاله ، ويُكرمه في الدنيا ، ويُكرمه في الآخرة : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٧] .

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس/ ٥٨] .  
 ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَبْرَأَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩] .  
 ثم بعد ذلك أين يقيم هؤلاء ؟ ﴿ يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر/ ٢٧-٣٠] .

هو العلي الأعلى الذي أمر بالأعلى من الأحكام ، ويعطي لأوليائه الأعلى من الدرجات .

فليهنأ من عبد ربًا واحدًا ، وأطاع ربًا واحدًا ، وحمد ربًا واحدًا ، يهنأ بذلك سعادة في الدنيا ، وأمنًا ، وخلافةً ، وطمأنينةً ، وانشراحًا ، وينعم في الآخرة برؤية ربه ، والقرب منه ، وسماع كلامه ، ورضوانه ، ودخول الجنة ، والخلود فيها ، والنجاة من النار ، في عمرٍ مديد ، ونعيمٍ مقيم : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .

وينادي أهل الجنة إذا دخلوها : «أما إنَّ لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا ، وتنعموا فلا تبأسوا أبدًا ، وتحيووا فلا تموتوا أبدًا ، وتشبُّوا فلا تهزُّموا أبدًا» أخرجه مسلم (١) .

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٨٣٧ .

فالله ﷻ يريد منا التحلي بأحسن الأخلاق ، الله ﷻ يحب معالي الأخلاق ، ويكره سفاسفها ، يحب معالي الأخلاق ، يُحِب نفسه ، ويحِب ملائكته ، ورسله ، وكتبه ، وأوليائه ، ويأمر الناس بأن يحبوا الله ، ويحبوا رسله وكتبه ، والأعمال التي تُقرب إليه جل جلاله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة / ٢٢٢] .

وجعل سبحانه الكفار والمكذبين في سجين ، في أسفل سافلين ؛ لأنهم اختاروا السفل ، اختاروا الشرك ، والجهل ، والكفر ، والظلم ، والصفات السيئة والمعاصي ؛ ولهذا جعلهم في أسفل سافلين : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ [التين / ٤ - ٨] .

أما المؤمنون فهم في أعلى عليين ؛ لأنهم اختاروا أفضل الأقوال ، وأعلى الأقوال ، وأعلى الأعمال ، وأعلى الأخلاق ، وحَدُوا ربهم وآمنوا به وَاتَّقَوْه وَأَطَاعَوْه ؛ فالله ﷻ أعطاهم صفات العلو في الدين في الدنيا : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران / ١٣٩] .

ثم يوم القيامة يجعلهم في جنة عالية ، لكن الكفار والمشركين والمكذبين في سجين ، في أسفل سافلين ، مقرهم سجين تحت الأرض ، خالدين فيها لا يخرجون منها أبداً : ﴿ كَلَّا إِنْ كُنْتُمْ الْفَجَّارَ لَفِي سَجِينٍ ﴾ [المطففين / ٧] .

فسجين تحت الأرض السفلى ، وهي أظلم ما خلق الله ، جمع الله فيها ما بين الظلمة الشديدة ، والحرارة الشديدة ، والعذاب الشديد ، والغضب من الرب ﷻ فلا تسأل عن حال هؤلاء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّيَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ٥٦ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَرْوَاحٌ مُطَهَّرَةٌ وَندخلهم ظللاً ظليلاً ﴿٥٧﴾ [النساء / ٥٦ - ٥٧] .

فالله ﷻ ذكر اسمه العلي والأعلى في القرآن في سور مختلفة ، وفي مناسبات مختلفة ، وهو ﷻ العلي الأعلى الذي له المثل الأعلى إثباتاً ونفيًا ، وقد ورد المثل الأعلى في القرآن ثلاث مرات بالإثبات والنفي :

فالإثبات جاء مرتين :

أحدهما : في سورة النحل كما قال الله ﷻ : ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل/ ٦٠] .

والثانية : في سورة الروم : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم/ ٢٧] .

هو العزيز الذي لا يُغلب ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه جل جلاله .  
الثانية : النفي : ورد في سورة الشورى كما قال ﷻ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١] .

فالله ليس كمثل ذاته ذات ، ولا مثل أسمائه أسماء ، ولا مثل صفاته صفات ، ولا مثل أفعاله أفعال ، ولا مثل أحكامه أحكام .  
ليس كمثلته شيء ، هو القوي الذي ليس كمثلته أحد في القوة ، هو القوي الذي له المثل الأعلى في القوة .

له الأسماء الحسنى ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض ، وليس كمثلته شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١-٤] .

## التعبد لله ﷻ باسمه العلي .. والأعلى .. والمتعال

التعبد لله ﷻ بأسمائه الحُسنى ، أن يتطلب الإنسان علمها في القرآن والسنة ، ويفهم معانيها ، ويتوجه إلى ربه أن يعلمه معاني هذه الأسماء ، ويسر له التعبد بموجبها ، ويسأله جل جلاله أن يُطلعه على أعلى درجات حسنها ؛ فإن الله ﷻ هو العلي الأعلى المتعال بالمجد ، والمحامد ، والثناء ، والحسن ، والأسماء الحُسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

والعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله هو أبرك العلوم ، وهو أفضل ما تعلمه العبيد ، وجنة المعرفة في الدنيا .

• جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة يوم القيامة لها سبعة أبواب :

الباب الأول : معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهذا أعظم الأبواب ، وأوسعها ، وأكبرها ، وأصلها ، فمن عرف ربه حقاً عبده حقاً : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُنُونَكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

الباب الثاني : معرفة الدين الذي أنزله الله ﷻ في كتابه ، حتى نعبد الله بموجبه : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩] .

الباب الثالث : معرفة الرسول الذي أرسله الله ﷻ به ، لنقتدي به في توحيده وأيمانه ، وفي نيته وفكره ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه : ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف / ١٥٨] .

الباب الرابع : معرفة النفس البشرية ، ماذا تريد من ربها ؟ ، وماذا يريد الله ﷻ منها ؟ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [١٢] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ ﴾ [١٣] ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّظْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا

الْعَظَمَ لِحَمَاتِهِمْ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ [المؤمنون / ١٢ - ١٦] .

ولهذا الله ﷻ بين أسماء وصفاته وأفعاله في القرآن بما لا تخلو منه آية ، وكذلك بين خلق هذا الإنسان من نطفة ثم علقه ثم مضغه ، بين كيفية خلق هذا الإنسان حتى يعرف الإنسان نفسه بالذلة ، والفقر والضعف ، ويعرف ربه بالعظمة ، والكبرياء ، والغنى .

الباب الخامس : معرفة الشيطان الذي نذر نفسه لعداوة الإنسان ، وإضلاله ، ليتقيه العبد ويحذر كيده ومكره : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ [فاطر / ٦] .

الباب السادس : معرفة الدنيا التي نعيش فيها ، وأنها دار الإيمان والعمل ، وتكميل ما يحب الرب ، لا دار تكميل محبوبات النفس من الشهوات : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ عَارِضٌ ﴿٢٠﴾ [الحديد / ٢٠] .

والباب السابع : معرفة الآخرة التي سوف نصير إليها ، والاستعداد لها بالإيمان والعمل الصالح : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد / ٢١] .

فهذه سبعة أبواب من المعارف موصلة إلى جنة الآخرة .

وكل شيء في الكون له سنة كونية يسير عليها ، فللشمس سنة ، وللقمر سنة ، وللنبات سنة ، وللحيوان سنة ، وللرياح سنة ، وللجبال سنة ، وللبحار سنة ، وكل شيء يسير بسنة من ربه ﷻ ، وكذلك للإنسان سنة شرعية يسير عليها ، هذه السنة هي الدين بأن يمثل أوامر الله ، ويجتنب نواهيه ، ويطيع الله ورسوله فيما أمر ونهى :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة / ١٥ - ١٦] .

• وهذا الإنسان علبة فيها مخلوقان عظيمان :

النفس .. والروح .

الروح محبوباتها ملكية ، وهي علوية ، والنفس محبوباتها سفلية ، وهي شهوانية ؛ فالروح بحر الطاعات تتلذذ بالطاعات ، والنفس بحر الشهوات ، فهذه الروح إذا أقبلت على الله اقترن بها ملك يسدها ، والنفس البشرية إذا أعرضت عن الله اقترن بها الشيطان : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف / ٥٣] . هذه المعارف السبع لا بد منها للإنسان ، حتى يمتلئ قلبه في الدنيا بالآيمان ، وتتحرك جوارحه بأنواع العبادات ، ويقدم الدار الباقية على الفانية ، ويدخل جنة المعرفة التي تسبق جنة الآخرة .

• فللإنسان جنتان :

الأولى : جنة في الدنيا هي جنة المعرفة بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ودينه ، وشرعه ، ووعدته ، وووعيدته .  
الثانية : جنة الآخرة التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

فجنة الدنيا علمية وعملية ، وجنة الآخرة بدنية وروحية ، وهي ثمرة جنة الدنيا ، وجنة الدنيا أعظم لأنها متعلقة بمعرفة الخالق وعبادته ، فمن دخلها دخل جنة الآخرة . وفي هذه الجنة ثمان كرامات أعظمها رؤية الله ، ورضوانه ، والقرب منه ، وسماع كلامه ، ودخول الجنة ، والخلود في الجنة ، والنعيم الأبدي ، فلهذا المؤمن كرامات في الدنيا ، وكرامات في الآخرة ، متى يحصل عليها العبد ؟ إذا اتصل بالعلي الأعلى جل جلاله .

فربنا العلي الأعلى المتعال عرفنا بأنه هو العلي ، ودعانا لأن نعلو بأنفسنا عن الرذائل بالفضائل ، وعن الشرك بالتوحيد ، وعن الجهل بالعلم ، وعن الغفلة بالذكر ، ونعلوا عن حياة البهائم والسباع والمفسدين إلى حياة الأنبياء والمرسلين والمصلحين .

وإذا عرفنا أن ربنا ﷻ هو العلي العظيم ؛ فعلينا أن نعظمه بقلوبنا ، وألستنا ، وجوارحنا ، ونوحده بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وننزهه عن كل ما لا يليق بجلاله ، ونعبده بما شرعه وحده لا شريك له : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

وإذا عرفنا ذلك ، وأبصرناه بقلوبنا ؛ فلنرجع النظر إلى أنفسنا تنكشف لنا حقائق : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات/ ٢١] .

ويتبين لنا ضعفها ، وسفال درجتها ، ومقدار جهلها : ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف/ ٥٣] .

والله ﷻ وحده هو العلي العظيم ، والنفس البشرية مفطورة على حب الأعلى ، والأكمل ، والأحسن ، وكل إنسان مفطور على حب الأعلى ، والأكمل ، والأحسن ، وفيه تطلع إلى من له الكمال المطلق ، للاحتماء به ، والانتفاع بخيره ، والنفس تسعى للحصول على الأعلى والأحسن ، وفيها فقر لا يسده إلا معرفة العظيم العلي الأعلى ، ذو الجلال والإكرام : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد/ ١٩] .

فإذا عرفته اطمأنت به ، ورضيت بعبادته ، وسارعت إلى مرضاته ، وقامت بالدعوة إليه ، ونالت ثوابه .

فلا بد من معرفة العلي الأعلى جلا جلاله بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، إذا عرفت النفس أن ربها هو الملك العلي الأعلى اطمأنت به ، وعملت بشرعه ، ورضيت بتدبيره ، ونالت ثوابه : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩] .

واعلم أن من عرف الله حقًا ، عرف أنه عبده حقًا ؛ فعبده حقًا ؛ وأحبه حقًا : ﴿ نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠].  
 فرينا العلي الأعلى له من الأسماء أحسنها ، وله من الصفات أعلاها ، هو القوي الذي كل الكون أثر من آثار أفعاله وقدرته وإرادته ، هو العزيز الذي لا يُغلب ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، الملك الذي : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [الشورى/ ٤] .

هو العلي العظيم بذاته وصفاته ، وطبيعة النفوس تُحب الأعلى ، والأكمل ، والأحسن ، فإذا عرفنا العلي ، وعرفنا العظيم ، وعرفنا الكبير ، وعرفنا الرزاق ؛ فلسنا بحاجة إلى من هو أسفل ، ولا من هو حقير ، ولا من هو صغير ، ولا من هو فقير : ﴿ فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [٥٠] وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١] .

والله ﷻ دائما يذكرنا بأسمائه وصفاته في كتابه وحتى نعرفه بأسمائه وصفاته ، وإذا عرفناه أحببناه ، وإذا أحببناه ؛ أطعناه وعبدناه ، ولننا رضاه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] . [الأعام/ ١٠٢] .

فالله ﷻ هو العلي الكبير الذي حارت العقول في معرفة كبريائه ، وتاهت الأنظار عن إدراك عظمته ، وشهدت ذوات المخلوقات على كمال قدرته وربوبيته و الوهيته ؛ فسبحه ومجده : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ ﴾ [الأعلى/ ١-٥] .

نزّه الله أن تجعله اسماً لغيره ، أو تجعل له شريكاً فيه ، أو مثيلاً له من خلقه ، ومجده بأسمائه الحسنى التي سمي نفسه بها : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [٨] [طه/ ٨] .

وتخلق بها ، وتعبد الله بها : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

سبح اسم ربك الأعلى ، ومجد ذكره ، فإنه سبحانه هو العلي العظيم بذاته وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وهو أعظم وأجل من أن يقدر الله أحدٌ حق قدره جل جلاله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

الله ﷻ هو العلي الكبير ، هو العلي العظيم ، هو العلي الحكيم ، والله ﷻ لكمال عظمته ، وكبريائه ، وعلوه ، استحق أن يُعبد لما له من الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ؛ فأسماء ربنا ﷻ كلها حُسنى ، وهي أحسن الأسماء ، لأنها أسماء حمدٍ ، وثناءٍ ، ومدحٍ ، وتمجيد .

أسماء الله ﷻ كالملك ، والحق ، والعلي ، والأعلى كلها حُسنى ، ليس فيها اسم سوء ، وصفاته كلها صفات كمال ، ليس فيها صفة نقص ، وأفعاله كلها حكمة ، ليس فيها فعل خال عن الحكمة ، والمصلحة .

• وأسماء الله ﷻ كلها حُسنى لأمرين :

الأول : أنها تدل على أحسن وأعظم وأجل مسمى ، وهو الله العلي الكبير .

الثاني : أنها متضمنة للصفات الكاملة ، لا نقص فيها ولا عيب بوجه من الوجوه :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨] .

• ومن تمام كونها حُسنى أنه لا يُدعى الله إلا بها بأنواع الدعاء الثلاثة :

دعاء المسألة.. ودعاء الثناء.. ودعاء التعبد .

• ولهذا من أراد أن يدعو الله ﷻ بأسمائه الحُسنى فليتذكر أمرين :

عزة الربوبية.. وذلة البشرية .

تذكر عزة الربوبية ، تذكر الملك الحق ، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، تذكر الذي له ما في السموات والأرض ، تذكر عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ، يتذكر العبد عزة الربوبية ، ويقرنها بمعرفة ذلة البشرية ، فأنا أقف بين يدي ربي ، وأعلم أنه العظيم الكبير القادر المتعال ، وأعرف نفسي بأنى أنا الضعيف ، الفقير ، العاجز ، المحتاج ، المذنب ، فهنا نتوجه إلى ربنا ونعلم ونتيقن أنه إن تكلمنا

سمعنا ، وإن تحركنا رأنا ، وأبصرنا وإن أضمرنا أمراً فهو خيرٌ بما في قلوبنا : ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [الملك / ١٣-١٤] .

تذكر الله ﷻ بعظمته ، وكبريائه ، وأنه مستوٍ على عرشه ، يدبر الأمر كله ، يعز هذا ، ويذل هذا ، ويمنع هذا ، ويعطي هذا ، ويحيي هذا ، ويميت هذا ، ويتذكر ذلة العبودية ، ويتذكر إكرام الله ﷻ لبني آدم بأنواع الكرامات : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [الإسراء / ٧٠] .

فالله ﷻ يريد أن يحسّن صنعته ، وهو هذا الإنسان ، ولهذا أنزل له الدين الكامل ، لأنه يريد منه العمل الكامل ، والصفات الكاملة ، والحياة الكاملة ، حتى يوم القيامة يكون بقرب ربه الملك الحق ، العلي الأعلى ، الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ﴾ (٥٥) [القمر / ٥٤-٥٥] .

• وأنواع الدعاء بأسماء الله الحُسنى ثلاثة :

الأول : دعاء الطلب والمسألة ، وهو طلب الداعي من ربه ما ينفعه من مصالح الدين والدنيا ، أو طلب كشف ما يضره أو دفعه ، والذي يملك النفع والضرر لأحد هو المستحق للعبادة ، ولا يملك ذلك أحدٌ إلا الله وحده لا شريك له : ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥٠) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥١) [الذاريات / ٥٠-٥١] .

فندعو الله وحده بأسمائه الحسنى ، فنقول يا رحمن ارحمني ، يا عليم علمني ، يا رزاق ارزقني ، يا عفو اعفُ عني .

الثاني : دعاء العبادة والثناء على الله ، كما قال يونس : ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) [الأنبياء / ٨٧] .

الثالث : دعاء التعبد لله بأسمائه الحسنی ، فإذا علمت أن الله كريم أكون كريماً ، وإذا علمت أنه رحيم أكون رحيماً ؛ وهكذا : ﴿ وَ لِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

• وإثبات أسماء الله الحسنی الواردة في القرآن والسنة يتم بثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن يرد الاسم مطلقاً دون قيد ، أو إضافة مثل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى / ١١] .

الشرط الثاني : أن يرد الاسم مطلقاً دون قيد أو إضافة مثل : الرحمن ، الرحيم ، العزيز ، الحكيم ، فالقيد مثل مالك الملك ، بديع السموات والأرض ، جامع الناس ، خير الغافرين ، خير الرازقين ، خير الفاتحين ، خير الفاصلين ، خير المنزلين ، رفيع الدرجات ، سريع الحساب ، شديد العقاب ، علام الغيوب ، فالق الحب والنوى ، منزل الكتاب ، مجري السحاب ، هازم الأحزاب .

الشرط الثالث : أن يكون الاسم مشتقاً يتضمن مدحاً وثناءً على الله ، لا جامداً كاسم الدهر ؛ فإنه جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنی .  
فهذه ضوابط إطلاق الأسماء الحسنی على الله ﷻ .

• وأسماء الله ﷻ نوعان :

الأول : ما ثبت شرعاً في القرآن والسنة مفرداً ، مطلقاً ، غير مضاف ، ولا مقيد مثل السميع ، والبصير ، والعزيز ، والتواب وأمثالها .

فهذه يسمى الله بها ، ويدعى بها ، لأنها تفيده المدح والثناء بنفسها .

القسم الثاني من أسماء الله : مقيد أو مضاف كسريع الحساب ، وشديد العقاب ، وفالق الإصباح ، وأمثالها .

وهذه يدعى الله بها فيقال : يا مالك الملك ، يا فالق الإصباح ، يا سريع الحساب .

وأسماء الله وصفاته لا تحصى ، ولا يمكن أن يحاط بها : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه / ١١٠] .

وأسماء الله ﷻ توقيفية ، وأسماء الله ﷻ كلها أعلامٌ ، وأوصاف ؛ فكل اسم متضمن لصفة ولا عكس ؛ فليس كل صفة لله يؤخذ منها اسم ، ولكن كل اسم يتضمن صفة ؛ فالعزيم متضمن لصفة العزة ، والخالق متضمن لصفة الخلق وهكذا .  
والله ﷻ وصف نفسه بأنه ينزل ، ويمكر ، ويكيد ، ويكتب ، فيوصف الله بذلك مقروناً بسببه ، ولا يسمى به .

وإذا عرفنا أن ربنا ﷻ هو العلي الأعلى بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ؛ فيجب علينا أن نخضع له ليرفعنا ، ونذل له ليعزنا ، ونفتقر إليه ليعطينا ، ونستغفره ليغفر لنا ، ونستنصره لينصرنا : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

فاخضع له يرفع مقامك في الدنيا والآخرة ، في الدنيا يجعلنا خلفاء الأرض ، ويملكنا الأرض : ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف/ ١٢٨] .

وتذل له يعزك : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ۖ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ ۗ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

وافتقر إليه يعطك أفضل مما سألت ، فالله ﷻ ابتلانا بالفقر لنظهر عبودية السؤال والحاجة للواحد الأحد : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر/ ١٥] .

فإذا افتقرنا إليه أعطانا ، وإذا افتقرنا إلى غيره أذلنا بعبثائه ، أو حرمانا . ونستغفره ؛ لأنه هو الغفور الرحيم ؛ فاستغفره يغفر لك ، واستنصره ينصرك ، فالله هو النصير الذي ينزل النصر من عنده ، كما ينزل الغيث من عنده .

والله عنده خزائن النصر ، لأنه القوي العزيز الذي يقول للشيء كن فيكون : ﴿وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الذِّينَ إِنْ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ لِلَّهِ عِاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١] .

واعلم أيها العبد أن فوق كل ذي علم عليم ، وفوق كل كبير أكبر ، وفوق كل غني أغنى ، وفوق كل كريم أكرم ، فكن مع العلي يرفعك ، وكن مع القوي يقويك .

فالله هو القوي الذي عنده خزائن القوة ، وهو الذي خلق القوة في كل قوي ، ولو رفع عنه أمر القوة لعاد ضعيفاً ، هو الرزاق الذي عنده خزائن الأرزاق ، وهو الذي خلق الأرزاق والمرزوقين ، وتكفل بإيصال الأرزاق إلى كل مرزوق في البر ، والبحر ، والجو ، وهو خير الرازقين ؛ لأنه يعطي بلا منة جل جلاله ، وكن مع الهادي يهديك سواء السبيل ، والصراط المستقيم : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأَنْعَامُ/ ١٦١] .

هذا منه ، ومني أنا : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١١٢] لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأَنْعَامُ/ ١٦٢- ١٦٣] .

ما دام الهادي هداني للدين الحق ؛ فأسير على الصراط المستقيم في الدنيا ؛ لأعبر الصراط المستقيم إلى الجنة ، وإلى رضوان الله ، يوم القيامة : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

لا بد من المجاهدة ، الإيمان يحتاج إلى مجاهدة ، والعلم يحتاج إلى مُدَارَسَة ، العلم بشقيه علم الدنيا ، وعلم الدين ، يحتاج إلى مُدَارَسَة ، أن أجلس ، وأستمع إلى درس ، أو محاضرة ، أستمع درساً عن كيفية الصلاة ، كيفية الحج ، أستمع درساً عن كيفية الصناعة ، كيفية الزراعة ، العلم يحتاج إلى مُدَارَسَة ، فاعلم كيفية هذا وهذا .

أما الإيمان فيحتاج إلى مجاهدة : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

نجاهد أنفسنا على تعلم الإيمان ، نتعلم الإيمان كما نتعلم القرآن ، وتعلم القرآن بعد تعلم الإيمان كما قال الصحابة : تعلمنا الإيمان ، ثم تعلمنا القرآن ؛ فازدنا إيماناً : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكُنَّبِ ﴾

الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ  
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [النساء/ ١٣٦] .

• وتعلم الإيمان له أربع جهود :

جهدٌ على تحصيل الإيمان.. وجهدٌ على حفظ الإيمان.. وجهدٌ على الاستفادة من  
الإيمان.. وجهدٌ على نشر الإيمان .

هذه جهود الإيمان ، فالإيمان أغلى شيء في خزائن الله ، فمن أقبل على الله بقلبه ،  
وأقبل بسمعه وبصره ، وعقله ، مفتقراً متذللاً ، الله ﷻ يمن عليه بالهداية ، ويفتح له  
أبواب الهداية : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْهُمْ ﴾ ﴿١٧﴾ [محمد/ ١٧] .

• فكمال الإيمان يتم بهذه الأمور الأربعة :

الأول : جهد على تحصيل الإيمان بالنظر في الآيات الكونية ، والآيات الشرعية ،  
والعلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ووعيده : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا  
مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس/ ١٠١] .

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ فِيهَا أَقْفَالُهَا ﴾ ﴿٢٤﴾ [محمد/ ٢٤] .

الثاني : جهد على حفظ الإيمان بالجو الإيمان ، بالبيئة الصالحة ، بجو المؤمنين ،  
المتقين ، المحسنين ، الصائمين ، الصادقين ، الصابرين .

حفظ الإيمان بالجو الإيمانى الذكر والمذكر ، الصالح والمصلح ، العابد والداعي :  
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿١١١﴾ [التوبة/ ١١٩] .

ألزم الجو الإيمانى ، جو حلقات التعليم ، جو المساجد ، جو حج بيت الله الحرام ،  
جو التذكير ، جو الذكر والوعظ ، جو الدعاة إلى الله .

هذه الأجواء هي الأجواء التي يحبها الله ، و بها يزيد الإيمان ، وتريد الأعمال ،  
وتريد الأخلاق : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ  
وَجْهَهُمْ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا  
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ﴿٢٨﴾ [الكهف/ ٢٨] .

الثالث : جهد على الاستفادة من الإيمان ، كيف أستفيد من إيماني ؟ كيف آخذ ثمرات هذا الإيمان .

• والله سبحانه جعل الاستفادة مما في الكون على درجتين :

الأولى : استفادة عامة لعموم الخلق ، كما يستفيد الإنسان من الحديد ، ومن التراب ، ومن الأخشاب ، هذا عطاء الربوبية لعامة الناس .

الثاني : عطاء خاص من الله لخواص خلقه ، وهم المؤمنون ، الذين إذا دعوا استجاب الله ﷻ دعاءهم ، لكمال يقينهم على ربهم ، فالأنبياء لما دعوا الله ﷻ استجاب دعاءهم لماذا ؟ لأن عندهم رصيد إيماني ، هذا الرصيد الإيماني جعلهم إذا أقبلوا على الله ﷻ ودعوه استجاب دعاءهم ، وكذلك كل مؤمن ، بالإيمان تفتح للبعد الأبواب المغلقة ، بالإيمان الله ﷻ يستجيب دعاءه ، ولهذا أجاب الله دعاء جميع الأنبياء والرسل :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٨٣] .

فأجاب الله دعاءه : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٨٤] .

لأن الله ﷻ معه ، يسمعه إن تكلم ، ويراه إن تحرك ، ويعلم بما في قلبه إن أضمر ، لأنه هو العليم الخبير .

ومن سأل ربه أعطاه ؛ لأنه متصل به في حال السراء والضراء ، فإذا دعاه أجابه ، لأن الله ﷻ أرحم بالعبد من نفسه ، وقد يؤخر الله إجابة الدعاء ، لأنه يحب أن يسمع صوت الداعي وتضرعه ، ليكمل إيمانه ، وتكمل صفاته ، فأيوب ﷺ كان في المرض سبعة عشر عاماً ، والعلاج كان تحت قدميه : ﴿ أَرَاكُنْ بِرِحِّكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص/ ٤٢] .

مغتسل يغسل الأدوية الخارجية ؛ لأنه ورد أنه كان في جلده تقرحات ، هذا مغتسل ليغسل الأمراض الخارجية ، وشراب ليشفي الأمراض الداخلية : ﴿ أَرَاكُنْ بِرِحِّكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص/ ٤٢] .

ولكن لماذا هذا البلاء الطويل ؟ ؛ ليستخرج منه عبودية الصبر ؛ لأن الله ﷻ قال بعد ذلك : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص/ ٤٤] .

الله ﷻ ابتلاه ليرى كم تبلغ درجة الصبر عنده ، سبعة عشر سنة وهو في البلاء ، والعلاج تحت قدميه ، لا يحتاج إلى أن يذهب إلى أمريكا ، ولا إلى أوربا أو يذهب للخلق ، العلاج تحت قدميه لما بلغ الدرجة التي يريدتها الله في الصبر ، هداه إلى علاجه : ﴿ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص/ ٤٢] .

ثم بماذا أكرمه الله ﷻ : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٨٤] .

الله ﷻ كريم لا يعطي على قدر سؤال العبد ، بل يعطي على قدر شأنه : ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٨٤] .

العابدون : هم المؤمنون بالله ، الذين كمل يقينهم على قدرة ربهم ، وتيقنوا أنهم إذا دعوه أجابهم .

فتوجه إلى الله بقلوبنا قبل أن نبدأ بأي عمل صالح .

وهناك شروط وصفات لإجابة الدعاء تسبق الدعاء :

بأن نتيقن أن الله ﷻ موجود ، وأنه قريب ، وأنه يسمع كلامي إن تكلمت ، ويراني إن تحركت ، وأنه قادرٌ على كل شيء ، وأنه يحب أن يقضي حاجتي ، وأنه أرحم بي من نفسي .

لا بد أن نتذكر هذه المعاني ، لا يدعو المسلم ولا يسأل ، ولا يدخل المسلم في الصلاة بدون توجه ، بل لا بد أن يحضر قلبه ويتوجه ، ويتفكر ، ويتيقن أن الذي يسمعه عظيم ، وكريم ، وهو العلي الأعلى الذي استوى فوق عرشه ، يسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى / ١١] .

والله ﷻ كريم لا يرد سائلاً أبداً ، ولا يؤخر الإجابة إلا إن كان فيه مصلحة ، أو يدفع الله به عنا شراً ، أو يؤخر العطاء إلى يوم القيامة حيث نكون أحوج إلى ذلك : ﴿ وَإِذَا

سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا  
بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

والله ﷻ كريم لا يرد سائلاً قصده، وهو من حبه لعباده ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ويقول: «هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيهِ؟ هل من مُستغفر فأغفر له» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup> .

ثم يُعطي جميع السائلين، ويكشف الضر عن المتضررين، ويجيب دعاء الداعين، ويغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة، بل هو يحب أن يقضي جميع حاجات الخلق، ويفرح بتوبة التائبين، فكم يفرح الله بمن يكون سبباً لتوبة التائبين، ومعرفة العارفين!

والله ﷻ يريد منا أن نكون في أعلى شيء، ولهذا بين لنا أنه العلي الأعلى، بذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، لنعلوا بإيماننا، وأقوالنا، وأعمالنا، وأخلاقنا .

فنحن نتوجه إلى العلي الأعلى، ونسأله أن يرزقنا ما نعلو به في حياتنا على غيرنا في أقوالنا، وأعمالنا، وأخلاقنا ونكون في المقام الأعلى .

فأعلى الناس هم المؤمنون، وأعلى المؤمنين هم الأنبياء، وأعلى الأنبياء هم أولي العزم، وأعلى أولي العزم هم الخليلان، وأعلاهما محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خَلْقًا وَخُلُقًا، وكان خلقه آن .

الله جمع صفات الأنبياء في محمد ﷺ، وأمرنا أن نقتدي بمحمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خَلْقًا وَخُلُقًا، فنقتدي به في نيته، وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وأقواله، وأعماله، وأخلاقه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

وبحسب كمال اليقين تكون إستجابة الدعاء: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء/ ٨٧] .

(١) أخرجه مسلم برقم: ٧٥٨ .

ماذا قال الله ﷻ؟ مباشرة بفاء التعقيب الفورية قال الله: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَهُ مِنَ الْعَمِّ﴾ [الأنبياء/ ٨٨] .

ثم فتح لنا الباب ، فقال : ﴿وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء/ ٨٨] .

الذين توجهوا إلى الله ، متيقنين أن الله يسمعهم ، ويراهم ، وأنه مجيبٌ ، وأنه قريبٌ ، وأنه يحب أن يقضي حاجاتنا ، وأنه أرحم بنا من أنفسنا ، ولا يريد أن يضرنا ، بل هو يبتلينا بهذه المصائب ؛ ليربينا بما يحب ، فعبودية الصبر لا تأتي إلا بالابتلاء ، الله يريد منا عبودية الحلم ، وهي لا تأتي إلا بالحلم على السفيه : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَّا وَاللَّيْنَا تَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء / ٣٥] .

فالله ﷻ إذا أراد أن يُرقي إنساناً ، ويستخرج منه عبودية الصبر ن ابتلاه حتى ينظر كم يصبر ، وإذا أراد أن يستخرج منه صفة الحلم ابتلاه بسفيه ، حتى يحلم عليه ، وإذا أراد أن يستخرج منه عبودية الإحسان ابتلاه بالفقير الذي يسأله ، لينظر هل يعطي أو يمنع .

هذه عبوديات عظيمة ، من يعرف هذه العبوديات فرح بها ، ليرقى بهذه العبوديات العظيمة التي أمرنا بها ، ويريد أن يربينا بهذه الصفات العظيمة . أكثر الناس لا يفقه في دينه ، بل رضي بالتقليد ، فإذا أصابته مصيبة جزع ، وشكى من ابتلاه .

فعبودية الصبر جوهرة ثمينة غالية ، فإذا أراد الله أن يعطيك عبودية الصبر واجهك بأحوال مرة شديدة .

لماذا؟ ونحن مؤمنون موحدون ، ليستخرج منا عبودية الصبر التي يحب أهلها ، ويشيهم بأحسن منها : ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [١٥٦] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧] .

لأنهم عرفوا أن الرحيم لا يمكن أن يؤدي عبده ، بل يبتليه ، ليخرج منه عبودية الصبر التي يحبها جل جلاله فإذا أراد أن يعطيك عبودية الصبر ، واجهك بحال تكررة ، إما

مرض ، أو موت قريب ، أو خسارة ، أو عدو يضايقك ، أو إنسان يحسدك ، فاصبر ولا تضجر : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣١٦﴾

[البقرة/ ٢١٦].

وهذه العبودية من أعظم العبوديات : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت / ٣٤-٣٥] .

وعبودية الشكر جوهره ثمينة غالية ، فإذا أراد الله أن يعطيك عبودية الشكر أعطاك من نعمه ، أعطاك نعمة الصحة ، نعمة الجمال ، نعمة المال ، نعمة العلم ، نعمة التعبد ، أعطاك نعمة ، فإن شكرت زادك ، وإن كفرت نقلها إلى غيرك : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ﴿٧﴾ [إبراهيم/ ٦-٧] .

فإنه ﷻ إذا أراد أن يستخرج من الإنسان عبودية الشكر أعطاه مالا ، أعطاه علما ، أعطاه جاهًا حتى ينظر هل يشكر أم لا يشكر ، وفرص الشكر عند من أعطي المال ، أو العلم أعظم ، فمثلاً من أعطي مالا فرص التعبد عنده أكثر ، يبني مسجداً ، ينفق على أسرة ، يكفل يتيماً ، يطبع كتب تنفع المسلمين ، ينفق للجهاد في سبيل الله ، يكفل الدعاة والعلماء ، يتصدق على المحتاجين ، يكرم الناس ، يطعم الناس ، ينفق في وجوه البر ، فرص التعبد عنده أكثر : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ [البقرة / ٢٦٢] .

وقال النبي ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ » أخرجه مسلم (١) .

لكن فرق بين هذا ، وبين هذا ، ابتلي هذا بالصبر ، وهو الضعيف ، وهذا ابتلي بالشكر ، وهو الغني ، ولكن شتان بينهما .

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٦٦٤ .

والله ﷻ هو الملك الحق إنما يشتري المجوهرات ، والأشياء الغالية ، والأشياء العالية ، والأشياء الثمينة ، وأعمال المسلم الصالحة كلها جواهر ، والله من رحمته بنا اشتراها ترغيباً لنا في حب وأداء الطاعة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ [التوبة/ ١١١] .

هذا كرم من رب العالمين أنه اشترى من هم ملكه وعبيده .

وما هي صفات السلعة التي اشتراها من خلقها ، وهداها ، ورباها ؟

صفاتها أحسن الصفات : ﴿ التَّيْبُوتُ الْعَبِيدُوتُ الْحَمِيدُوتُ السَّيِّحُوتُ الرَّكْعُوتُ السَّجْدُوتُ الْأَمْرُوتُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُوتُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُوتُ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢] .

هذا ترغيب من ربنا ﷻ ، لنصل إلى أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة .

فلتكن علاقتنا مع الرحمن لا مع الرحمة ، ومع الرزاق لا مع الرزق ، ومع المنعم لا مع النعمة ، بيئة الذكر تجعلنا أثرياء بالأعمال ، وبيئة الغفلة تجعلنا ملوثين بالمعاصي ، والأوقات ظروف للأحوال ؛ فلكل حال عبادة ، ولكل عبادة حال ، ولكل حال من الأحوال التي تمر بالإنسان مكاناً ، وزماناً ، وهذه الأزمنة ، والأمكنة ، ظروف للأعمال ، فلينظر أحدكم بما يملأ خزانته : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة/ ٧١] .

فتدلل أيها العبد لمولك العظيم ، وتواضع لربك الكبير المتعال ، وتخلق بمعالي الأمور ، وكن سبباً لرفع الناس من الأسفل إلى الأعلى من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، ورفعهم من الشرك إلى التوحيد ، ومن الرذائل إلى الفضائل .

واسبق ، وسابق ، وسارع إلى مرضاة ربك يرضى عليك ويرضيك : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُتَجَرِّبِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة / ١٠٠] .

وإسبق ما سواك إلى ما يرضي مولاك : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالْكَظْمِ الْأَظْمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣ - ١٣٤] .

وتقرب أيها المسلم إلى ربك العلي الأعلى ناظرًا إلى عز الربوبية ، وذل العبودية ، ناظرًا إلى عزة مولاك العلي الأعلى ، وناظرًا إلى نفسك الضعيفة بين يدي مولاك العلي الأعلى ؛ فتقرب إلى ربك العلي الأعلى بكمال الخشوع والخضوع ، فاخضع بجوارحك ، واخشع بقلبك ، وأكثر من الركوع والسجود مستشعرًا عجزك وضعفك ، وصغر قدرك ، وسفال منزلتك : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٧٧) [الحج / ٧٧] .

والفلاح هو الفوز بالمطلوب ، والنجاة من المرهوب ، فالله ﷻ هو العلي الأعلى الذي يريد لنا جميع المعالي ، يريد أن نعلو في كل شيء ، ومن آمن بالعلي أعلى الله قدره في الدنيا والآخرة ، ومن امتثل أوامر العلي جعل درجته في الدنيا والآخرة ، في أعلى المقامات : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴾ (٥٥) [القمر / ٥٤ - ٥٥] .

فجنة هذا المؤمن العالي بإيمانه ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه ، مسكنه الفردوس الأعلى التي سقفها عرش الرحمن ، والرحمن مستوي على عرشه ، فليس أقرب إلى الرحمن من هذا المؤمن الذي آمن بالمؤمن ، واتصل بالعلي الأعلى .

فمقامه في الدنيا الخلافة في الأرض : ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَأُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (٦٦) [ص / ٢٦] .

فهذا المؤمن خليفة في هذه الأرض ؛ لأنه هو العاقل الذي خلقه الله بيده ، واصطفاه من بين مخلوقاته ، وأكرمه بهذا الدين ، وعلمه أسماء كل شيء ، فهو يريد أن يرقيه من علو إلى ما هو أعلى : ﴿وَإِذْ رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ (٢٠) [الإنسان/ ٢٠] .

ملكه كبير ، ونعيمه كبير ، وربّه العليّ الكبير ، ومسكنه عال كبير : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۙ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۗ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۙ ١٠ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۙ ١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۙ ١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۙ ١٣ وَأَكْرَابٌ مُّوَضَّعَةٌ ۙ ١٤ وَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ ۙ ١٥ وَزُرَّابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۙ ١٦﴾ [الغاشية: ٢-١٦] .

فما هو الواجب على هذا المؤمن حتى يكون عاليًا ، الواجب عليه أن يعرف ربه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة ثم يعبده بمقتضى هذه الأسماء ، فالعليّ الأعلى يريدك عاليًا في كل شيء .

فكن عاليًا بأقوالك أَدعِ إلى الله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٢) [فصلت/ ٣٣] .

وأمر بالمعروف وانه عن المنكر : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) [آل عمران: ١٠٤] .

وعلم شرع الله : ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٩) [آل عمران/ ٧٩] .

واذكر الله يذكرك : ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۙ ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۙ ٤٢ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۙ ٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣] .

اذكر الله الذي يستحق الذكر ، اذكره بعظمته ، وكبريائه ، واذكره بنعمه ، وإحسانه ، واذكر ملكه وسلطانه ، واذكر دينه وشرعه ، وسبحه بكرةً وأصيلًا .  
وسبح بحمده في كل وقت ، فكما ملأ الله الكون بنعمه ، فأملأه بحمده ، وذكره ، وشكره .

فاذكره ، وإذا ذكرته استحضرته ، وإذا استحضرته ذكرت أسماء جلاله ، وأسماء جماله ، أحببته ، وإذا أحببته أطعته ، واسأل الله لا تسأل غير الله ، لا تُذَلْ نفسك لغير

الله ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾  
 [ غافر: ٦٠ ] .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ [ الفاتحة: ٢-٥ ] .

وسل من بيده ملكوت كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ﴿١٨٦﴾ [ البقرة: ١٨٦ ] .

وكن حسن الخلق مع الخالق والمخلوق ، مع الملك والعبيد : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ [ القلم: ٤ ] .

هذه الصفات التي يريد الله ﷻ أن يرقينا بها إلى أعلى الدرجات ، لا تشغلنا الأموال والشهوات عن كسب الأجر والمعالي ، والترقي إلى أعلى الدرجات التي يحبها الله ﷻ : ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنُ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٦٣﴾ [ آل عمران: ١٦٢-١٦٣ ] .

فالله ﷻ يريد أن أكون عالٍ بأقوالي بالدعوة ، وتعليم شرع الله ، وذكر الله ، ودعاء الله ، وسؤال الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [ النصر: ١-٣ ] .

سبح بحمد ربك ؛ لأن نعم الله لا تعد ولا تحصى ، فليكن همك التسبيح بحمد الله العلي الأعلى : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ﴿١﴾ [ الأعلى: ١ ] .

وسبح باسم ربك العظيم : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٧٤﴾ [ الواقعة: ٧٤ ] .

وجدد إيمانك كل يوم ، واشهد لربك العلي الكبير بالوحدانية ، فقل : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد لنبيك بالرسالة فقل : وأشهد أن محمداً رسول الله كما نقولها في

الأذان والإقامة والصلاة ، وتزوين بالإيمان والتقوى ، وحسن الخلق : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١] .

وتزهر عن الأمور السفلية من الغيبة ، والنميمة ، والقييل ، والقال والسب والشتيم ، والظلم والفواحش : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات/ ١١] .

واجتنب سوء الظن فإنه باب الافادة والاستفادة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْنَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وكن عاليًا بأعمالك ، اعبد ربك العظيم ، اعبد العلي الأعلى المتعال الذي يستحق العبادة ، لكمال ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة/ ٢١] .

وقال ﷺ : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » أخرجه أحمد (١) .

وتعبد لله بحسن الخلق مع الخالق والمخلوق ، فحسن الخلق أجمل المحاسن ، وأحسن المراكب : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤] .

أحسن إلى نفسك بحملها على طاعة الله ، ومنعها عن معصية الله ، وأحسن إلى كل أحد : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤] .

والمؤمن المحسن في معية الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل/ ١٢٨] .

فأحسن إلى كل مؤمن .

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: ٢١٥٢٦ .

قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

أحسن إلى عدوك ، ليكون صديقك : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾<sup>(٣٤)</sup> وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت/ ٣٥-٣٤].

وأحسن إلى زوجك وأهلك : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن آزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ <sup>ع</sup> وَإِن تَعَفَوْا وَنَصَّفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾<sup>(١٤)</sup> [التغابن/ ١٤].

فأحسن إلى زوجك حتى يصلح بيتك ، وتصلح ذريتك ، وأحسن إلى أهلك ، واجتنب كل سوء من الأعمال المختلفة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٩٠)</sup> [النحل: ٩٠].

ما أعظم رحمة الله بعباده ! ، يريد أن يجعلهم في أعلى الدرجات أقوالاً ، وأعمالاً ، وأخلاقاً ، لينالوا أحسن المقامات وأرفع الدرجات في الآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾<sup>(٣٠)</sup> نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِن عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

فكونوا كرماء بأقوالكم ، كرماء بأفعالكم ، كرماء بأخلاقكم ، كرماء بعبادتكم ، كرماء في تعليمكم ، كرماء في معاملاتكم : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾<sup>(١٣)</sup> [الحجرات: ١٣].

فهذه رحمة الله ﷻ بعباده أن يرقبهم في كل شيء .

يرقبهم أولاً في إيمانهم ؛ ليرتبطوا بالعلي الأعلى ، بالمؤمن ، بالكبير ، بالرازق ،

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ١٣ ، واللفظ له ، ومسلم برقم: ٤٤ .

فمن كان في معية العلي فهو علي ، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز ، ومن كان في معية الكبير فهو كبير ، ومن كان في معية القوي فهو قوي : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

والله ﷻ هو العلي الأعلى المتعال بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، المتعال عن الشبيه والمثيل ، والشريك والكفو ، المتعال عن النقص والعيب ، والظلم والنوم ، وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بجلاله .

فالله له علو الذات ، فهو العلي الأعلى الظاهر القاهر فوق عباده ، وله علو القدر ، له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، وله علو القهر ، هو القاهر لكل المخلوقات على ما أراد ، قهر السماء بهذا الشكل ، وقهر الأرض ، وقهر الأشجار ، وقهر الإنس ، وقهر الجن ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام/١٨] .

فالله العلي الأعلى فوق كل شيء ، الأعلى في أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، القاهر الغالب لكل أحد ، المتعال عن النقائص والشريك والمثيل : ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦] .

والله ﷻ من رحمته بنا أن عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وما يُحِب ، ويرضى ، وما يسخط ، وما يكره ، وعرفنا بأوامره ، ونواهيه ، وعرفنا بالطاعات ، والمعاصي ، وعرفنا بالحسنات ، والسيئات ، وعرفنا بالثواب والعقاب ، والوعد ، والوعيد ، وعرفنا بالجنة ، والنار .

فهذه دلائل عظيمة تدل على أن الله ﷻ هو الملك الحق ، وهو الرحمن الرحيم ، وهو العلي العظيم ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] .

فسبحان من له علو الذات ، وعلو القدر ، وعلو القهر ، وعلو الأسماء والصفات ، هو العلي الكبير ، وهو العلي العظيم ، وهو العلي الحكيم : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه: ٨].

فإن الله ﷻ يريد من كل مؤمنٍ ومؤمنة أن يكون عاليًا بإيمانه ، عاليًا بأقواله ، عاليًا بأعماله ، عاليًا بأخلاقه ، فمن اتصل بالعلي فهو علي ، ويوم القيامة يكون في أعلى مكان ، في جنة الفردوس التي سقفتها عرش الرحمن الذي استوى عليه جل جلاله ، فكان عاليًا بأخلاقك يحبك الله ، ويحبك الناس : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم/ ٩٦].

خذ العفو وأمر بالمعروف وانه عن المنكر : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم/ ٤].

عليك بالصدق فنعم المطية ، عليك بالإحسان فنعم الصبغة ، عليك بالتقوى فنعم الصفة : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].  
والتقوى : أن لا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يجذك حيث نهاك .

والتقوى الكاملة ثلاث درجات :

الأولى: تقوى الله : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

الثانية: إتقاء النار : ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

الثالثة : إتقاء اليوم الآخر : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢٨١].

فعليك بهذه الصفات العالية ، والتقوى الكاملة ، التي ترفعك من السفلى إلى العلو ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الرذائل إلى الفضائل ، ومن الدنيا إلى الآخرة : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وعليك بالرحمة : ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وعليك باللطف ، فالله لطيفٌ بعباده ، فنلطف بأنفسنا من أن تقترف المحرمات ، نلطف بأنفسنا لنحملها على الطاعات .

وعليك بالعفو فإن الله عفو يحب العافين عن الناس : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور/ ٢٢] .

وعليك بالرفق فما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وغيرها من الصفات والأخلاق العالية التي تعلق بصاحبها إلى أعلى مقام في الدنيا والآخرة ، فالأخلاق العالية قيد يقيد كل عدو : ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٣٤] وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥] .

• والأخلاق مع الناس معاقدها أربع كلها مرة إلا على من هدى الله : أن تصل من قطعك .. وتعطي من حرمك .. وتعفو عمن ظلمك .. وتحسن إلى من أساء إليك .

فمن وصل وصله الله ، ومن أعطى أعطاه الله ، ومن عفا عفا الله عنه ، ومن أحسن أحسن الله إليه : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

فمعرفتنا وتعبدنا باسم ربنا العلي الأعلى المتعال تستوجب منا أن نتصف بهذه الصفات ، فنأخذ الدين الأعلى ، الذي جاء من الأعلى ، ونكون أعلى الناس بالإيمان والتقوى ، والبر والإحسان : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء/ ١٢٥] .

فنأخذ بقول القوي الأعلى ذكراً ودعوة : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

هذه نداءات موجهة للمؤمنين ، أكثر من ثمانين نداء في القرآن موجهة للمؤمنين ، حتى يترقون في إيمانهم ، ويعلون بصفاتهم ، ويطرقون في أقوالهم : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرِيفٍ نُجِجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَقْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ يُجِيبُونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ [الصف: ١٠-١٣].

وإياك والعلو في الأرض ، فإن هذا من صفات الطغاة المتجبرين : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٤﴾ [القصص/ ٤].

وأنت يا عبد العلي ، ويا عبد الأعلى ، ويا عبد المتعال ، إنما تعلقو بإيمانك ، بأقوالك ، بأعمالك ، بأخلاقك ، فلا نتكبر على خلق الله ، ولا نتعالى عليهم ، فكلنا لآدم وآدم خلق من تراب ، ننزع رداء العصبية ، رداء القبلية ، رداء اللون ، رداء اللغة ، ننزع جميع هذه الملابس ، ونأخذ لباس التقوى : ﴿ يَبْنِيْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكْمٍ وَرِدْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ يَبْنِيْ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ [الأعراف/ ٢٦-٢٧].

وأكرم الناس من اتقى رب الناس : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

هذا المجلس العلمي الإيماني أعلى مجلس على وجه الأرض ، مجلس معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والتعبد له بهذه الصفات ، فأعلى المجالس هو المجلس الذي يعظم فيه العلي الأعلى : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

والإنسان إما أن يجلس على موائد الرحمن ، أو يجلس على موائد الشيطان .

مجالس الرحمن المرابي فيها الله ، والمرابي فيها رسوله ، نسمع عن الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وعن دينه ، وشرعه ، وعن ثوابه وعقابه ، فنترقى من درجة إلى

درجة ، ومن سنة إلى فريضة ، ومن عمل إلى عمل ، من الصلاة ، إلى الصوم ، من الزكاة ، إلى الذكر ، إلى الدعاء ، إلى الجهاد ، إلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، إلى النصيحة ، حتى نترقى من عمل إلى عمل ، حتى نعلو بإيماننا ، وأقوالنا ، وأعمالنا ، وأخلاقنا ، كل يوم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

فإياك والعلو والتعالي وحب الصيت والذكر بين الناس ، فإن الله يعلم ما في باطنك ، والناس ينظرون إلى ظاهرك ، والله ينظر إلى ظاهرك وباطنك : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٥] .  
وإياك والعلو والتعالي في بدنك ، وفي قولك ، وفي فعلك .

وإياك والعلو والتعالي بلباسك ، بمسكنك ، بسيارتك ، بشبابك ، بزينتك ، بمالك ، بجمالك ، بمنصبك بنسبك : ﴿ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴾ [١٨] وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان/ ١٨-١٩] .

والزم التواضع في جميع أمورك لتنال رحمة الله : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [التقصص/ ٨٣] .  
ثم أيها العبد راجع العمل فيما بينك وبين الله ، بطلب معالي الأخلاق ، والأعمال ، والأقوال ، والتحلي بمقتضى أسمائه وصفاته على شاكلة العبودية :

فهو كريم يحب الكرم وأهله ، مؤمن يحب الإيمان وأهله ، عفو يحب العفو وأهله ، محسن يحب الإحسان وأهله ، ويحب المتقين ، ويحب التوايين ، ويحب المتطهرين ، نتخلق بهذه الأخلاق حتى نعلو عما دوننا بما أمرنا الله ﷻ أن نتحلى به ، لنكون في أعلى مقام في الدنيا والآخرة .

فاطلب معالي الأخلاق ، والأقوال ، والأعمال ، والتحلي بمعاني أسمائه وصفاته : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وسارع إلى الخيرات ، وتفرغ للباقيات الصالحات ، من جميع أمور الدين .  
ونافس في أعلى مراتب الدين ، تنال أعلى الدرجات .

وتعمل بالدين ، وتعلم الدين ، وتعرف إلى الدين ، وتدعو إلى الدين : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٣١﴾

[الأحزاب: ٢١] .

وأحسن عبادة ربك ، وأتم الإحسان إلى الخلق .  
فالدين ركنان :

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦] .

فنافس في أعلى الدرجات من تلك الخيرات والفضائل ، وأنواع البر والإحسان ، والباقيات الصالحات ، نافس في أحسن العبادات والطاعات ، والقربات ، تنال أعلى الدرجات : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٢١﴾ [الحديد/ ٢١] .

والله عظيم ، والعظيم لا يعطي إلا العظيم ، فللمؤمن الذي في قلبه مثقال ذرة من إيمان، له مثل هذه الدنيا عشر مرات بسمواتها ، وأرضها ، وذهبها ، وفضتها ، ومياهها ، وبحارها ، وأرزاقها ، وأشجارها ، وسهولها ، وجبالها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۗ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء: ٤٠] .

واقنع رحمتك الله باليسير من عطائه كما رضي عنك باليسير من العمل .

والله كريم لا يعطي على قدر السؤال ، بل يعطي على قدر شأنه ، والعظيم لا يعطي إلا العظيم ، والحقير لا يعطي إلا الحقير ، والله عظيم في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، وعطائه ، وإحسانه : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ ۗ

الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الشورى: ٤] .

واعمل بهمتك صعوداً إلى التقرب إلى الله ، والتعبد له بمعاني أسمائه ، وصفاته ، ليكون ذلك وصفاً لك عنده ، فإنه سبحانه يحب معالي الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، ويكره سيئها وسفاسفها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ٩٠] .

فالعدل شيء ، والإحسان شيء ، فعله سبحانه كله حسن وأحسن ، يعطي على الحسنة ليس مثلها ، بل عشر أمثالها ، ويعطي على السيئة سيئة مثلها ، هذا عدل ، لكن في الحسنات يعامل بالفضل ، فالله يعامل المؤمنين بالعدل والإحسان ، حسنات مضاعفة ، وسيئات سيئة بسيئة ، أما الكفار فيعاملهم بالعدل : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٦٠] .

وارغب أيها المسلم إلى ربك أن يرفع ذكرك عنده ، ويُعلي درجاتك ، وأن يرزقك حسن عبادته ، ودوام ذكره وشكره ، لتكون مع الصفوة المختارة في الرفيق الأعلى يوم القيامة : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [٦٩] ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠] .

وسبح بحمد ربك العظيم ، وسبح باسم ربك الأعلى ، فكل المخلوقات تسبح بحمده ، وتطيع أمره ، وتشهد بوحدانيته ، وتسجد له : ﴿ سُبْحَانَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

حليماً على من جعله مختاراً وهو هذا الإنسان ، حليماً على من عرف الطاعة فتأخر عنها ، وعرف المعصية فاقتربها ، غفوراً يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [١١٠] .

[النساء: ١١٠] .

فسبحان ربي الأعلى المتعال الذي يصعد إليه الكلم الطيب ، والعمل الطيب ، من الذكر ، والدعاء ، والعمل الصالح : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ. وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَوْمُؤۡرُ﴾ [فاطر/ ١٠] .  
 والله ﷻ هو العلي الأعلى ، العلي بذاته ، الأعلى بصفاته ، المتعال عن الشبيه ، والمثيل ، المتعال عن النقص ، والعيب .

هو العلي العظيم ، القوي القادر ، الذي يدبر الأمر في السماء والأرض ، فيرحم هذا ، ويُغيث هذا ، ويعطي هذا ، ويمنع هذا ، وينصر هذا ، ويخذل هذا ، ويشفي هذا ، ويبتلي هذا ، ويفرج كرب هذا ، ويعز هذا ، ويذل هذا ، ويحيي هذا ، ويميت هذا : ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

فسبحان العلي الأعلى الذي بيده الملك والتدبير والتصريف : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢٦] ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [٢٧] [آل عمران: ٢٦-٢٧] .

هو العلي الأعلى الذي استوى على عرشه برحمته ، والذي جميع مخلوقاته في العالم السفلي ، والعالم العلوي ، والدنيا والآخرة ، وعالم الغيب والشهادة ، وكل ما خلقه الله ﷻ من مخلوقاته كالخردلة بين يديه ، لأنه هو الكبير ، وكل ما سواه صغير ، وهو العلي الأعلى المتعال ، وكل ما دونه من مخلوقاته فهو دونه ، والله ﷻ فوقه :

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٨] .

وإذا عرفت أن ربك هو العلي الأعلى ، فاحرص رحمك الله ألا يصعد منك إلى ربك إلا ما يحبه ويرضاه من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، والذكر ، والدعاء ، والدعوة ، والإحسان ، وتعليم خلقه ، وانظر إلى ما تمليه على الملائكة الكرام الكاتبين ، وما تجالس به رقيبك الحق المبين ، وما تودعه في صُحفك ، في ليلك ونهارك ، فإن الليل والنهار خزانتان من خزائن الله فلينظر أحدكم بما يملأ خزانته :

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢] .

واعبد ربك العظيم العلي الأعلى ، الغني عما سواه ، الذي كل ما سواه محتاج إليه ، فهو الواحد الأحد ، الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد ، وهو المحيط بكل محيط : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر/ ١٥] .

فانظر وتدبر عظمة من تعبد : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

اعبد ربك العظيم العلي الأعلى ، وأحسن الاقتداء بالأنبياء الطاهرين ، وتأدب بآداب الملائكة المكرمين ، الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠] .

وهم دائبون في طاعة مولاهم : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم/ ٦] .

واستح من حفظتك الملازمين لك ، ثم من الكرام الكاتين لأعمالك . واعلم أنه إذا كان يجب عليك الحياء من فعل قبيح أمام ملائكة رب العالمين ، والاستباق إلى كل عمل صالح ، وتستحي من فعل القبيح أمام الناس ، فكيف لا تستحي من الملك العلي العظيم ، الرقيب ، الشهيد ، السميع ، البصير ، الذي لا يخفى عليه شيء ، فتعصيه بنعمه عليك ، وهو يراك ويسمعك : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

فاخضع لربك العلي الأعلى ، واعلم أنه يراك ، ويسمعك ، ويعلم بحالك ، إن أطعته شكرك ، وإن عصيته أمهلك ، لتتوب إليه : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

فكن بين يديه راکعاً ، وساجداً ، وسامعاً ومطيعاً .

إذا عرفته بأسمائه وصفاته عبده بالحب ، والتعظيم ، والذل له ، ووقفت بين يديه  
 باكيًا ، خاشعًا ، خاضعًا : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيَّتْ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو  
 رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ٩] .

فاتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ، فكم  
 من الشاهدين لك من الملائكة المكرمين ، والحفظة ، والكتبة ، وكم من الشاهدين  
 غير هؤلاء لك أو عليك ، وكم من الناظرين إليك ، وكم من السامعين لك من  
 الجن ، والأرواح ، والمخلوقات التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله الذي أحصى  
 كل شيء عددًا ، وأحاط بكل شيء علمًا ، وكفى بالله شهيدًا لو كنت تخاف  
 وتخشى ، وتستحي من الذي خلقك ورزقك ، وعافاك وهداك : ﴿ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾  
 الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البروج: ٨ - ٩] .

فسبحان من سبق حلمه عقوبته ، وسبقت رحمته غضبه : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فنحن وجميع المخلوقات كلها أمام الله ﷻ كالخردلة يرى ظاهرها وباطنها ، ويسمع  
 حركاتها وسكونها ، فالإنسان مكشوف أمام ربه ظاهره وباطنه ، وسره وعلايته :  
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ  
 كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٥ - ٦] .

واعلم أن الله خلق الملائكة الكتبة ، والحفظة ، وغيرهم من جنود الله ، وخلق  
 الشياطين ، والعفاريت ، والمردة ، الذين يرونك من حيث لا تراهم ، وهؤلاء  
 وهؤلاء من عالم الغيب ، ولهم آثار وأعمال وأحوال .

فالملائكة يسرون بطاعتك ، وتضايقهم بمعصيتك ، فيستغفرون الله لك : ﴿ الَّذِينَ  
 يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ  
 كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ  
 الْجَحِيمِ ﴾ [غافر/ ٧] .

والشياطين يفرحون بمعصيتك ، وتحزنهم طاعتك ، فيكيدون لك ، ليجروك معهم

إلى جهنم ، فاحذرهم : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمُ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦] .

فكل أحد معه قرينه من الملائكة ، وقرينه من الجن ، والكل ملازمون له : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينًا ﴾ [الانفطار/ ١٠-١١] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » أخرجه مسلم (١) .

واعلم أن للجن سلماً دون السماء الدنيا لاستراق السمع ، وهو في مقابلة المعراج للروح ، والملائكة ، فإذا استرقوا السمع أرسل الله عليهم شهباً تحرقهم كما قال الله عنهم : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴾ (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ [الجن/ ٨-٩] .

فلا إله إلا الله العلي العظيم الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وبسط ملكه على جميع ممالكه ، وأظهر لهم أسمائه ، وصفاته ، بآياته ومخلوقاته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١٢) [الطلاق/ ١٢] .

وإذا عرفتم ذلك آمنتُم به ، وأحببتموه ، وعظمتُموه ، وإذا أحببتموه وعظمتُموه ؛ عبدتموه بالخوف والرجاء : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧] .

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا وَاتَّبَعْنَا الرُّسُولَ فَأَكْتُمِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥٣) [آل عمران: ٥٣] .

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٨١٤ .

﴿ رَبَّنَا ءَايَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].  
 ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].  
 الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى أن عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرفنا بدينه وشرعه ، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه .

لا إله إلا الله عدد ما مشى فوق السماوات والأرضين ودرج ، ولا إله إلا الله العلي الأعلى ، الملك الحق المبين ، الذي بيده مفاتيح الفرج ، لا إله إلا الله المعروف بالإحسان والإنعام ، لا إله إلا الله المذكور بكل لسان ، لا إله إلا الله الذي كل يوم هو في شأن : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الجمعة: ٣٦-٣٧].  
 ﴿ وَالْأَرْضُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك ، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك ، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، لك الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، اللهم يا من هو في السماء إله ، وفي الأرض إله ، يا من يسمع كل من ناجاه ، يا من يجيب المضطر إذا دعاه ، يا من عنت له الوجوه ، يا من ذلت لعظمته الجباه ، يا من ليس معه إله يُدعى ، ولا ربُّ يُرجى ، ولا كبير يخشى ، أسألك أن تقبل قولِي وعملي ، وأن تقبل معذرتي ، وأن تستجيب لدعائي يا أرحم الراحمين .  
 اللهم فقهننا في الدين ، واجعلنا هداة مهتدين ، يا كبيراً خضع لكبريائه كل شيء ، يا عظيماً تواضع لعظمته كل شيء ، يا أحسن الخالقين ، يا أحكم الحاكمين ، يا خير الفاتحين ، يا أرحم الراحمين ، يا مُغيث اللهفات ، يا مُقيل العثرات ، يا غافر الزلات ، يا مُجيب الدعوات .

سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، ما أغناك عني ، وما أحوجني إليك .  
لا إله إلا أنت الواحد الأحد الصمد ، ذو الكرم ، والجود ، والعطاء الممدود ، يا ذا  
الجلال والإكرام ، سبحانك اللهم وبحمدك يا رءوف يا رحيم ، إذا أسأنا حلمت  
ورحمت ، وإذا أحسنا تفضلت وقبلت ، وإذا عصينا سترت وأمهلته ، وإذا أذنبنا  
غفرت وعفوت ، وإذا ذكرناك ذكرتنا ، وإذا تقربنا إليك قرُبت منا ، فلا إله إلا أنت .  
ليس في الكون من الذرات ، ولا في الفضاء من الهباءات ، ولا في الأرض من  
الذوات ، ولا في البحار من قطرات ، ولا في الأشجار من ورقات ، ولا في الأجسام  
من حركات ، ولا في النفوس من خطرات ، إلا وهي بك عارفة ، ولك عابدة ،  
وإليك مُشاهدة ، وبحمدك مُسبحة ، ولك خاضعة ، يا من بيده ملكوت كل شيء  
سخر لي قلب من أحوجتني إليه ، واكفني شر من قدر علي ولا أقدر عليه ، إنك أنت  
العزيز القهار يا أرحم الراحمين .  
سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الكبير.. المتكبر

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الكبير.. المتكبر

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض. فالله ﷻ هو الكبير الأكبر المتعال جل جلاله .

واسم الله الكبير ورد في القرآن ست مرات؛ خمس مرات مقترناً باسمه العلي، ومرة واحدة باسمه المتعال .

الله ﷻ هو الكبير في ذاته ، العظيم في صفاته، العلي في قدره وشأنه، هو جل جلاله الكبير الذي كل شيءٍ دونه، ولا شيء أعظم منه، الكبير الأكبر في ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣] .

هو الكبير الذي صغر دون جلاله كل كبير، فالعرش وما دونه كله صغير أمام ربه ﷻ، والله وحده هو الكبير المتعال، هو الكبير الذي كبر عن شبه المخلوقين، وكبر عن المثل والشبيه والنظير، وكبر عن صفات النقص والعيب، والظلم، والجور، والنوم، وغيرها من صفات النقص : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤] .

هو جل جلاله الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وفي خلقه وتدبيره، الذي من كبريائه وعظمته أن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

والكبرياء لله جل جلاله تتضمن العظمة، فالله هو العلي الكبير، هو العلي في كبريائه، الكبير في علوه، فالعلو صفة كمال، والكبرياء صفة كمال، واجتماعهما كمال آخر، يجمع الكمال كله، كمال العلو، وكمال الكبرياء : ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣] .

وإذا عرفنا الكبير لم نلتفت للصغير، فكل ما سوى الله ﷻ كله صغير .

والكبرياء تتضمن العظمة، والكبرياء أعظم من العظمة .

واسم الله الكبير الصفة المشتقة منه هي الكبر: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجنائفة / ٣٦-٣٧].

ومن عرف أن ربه هو الكبير أكثر من تكبيره، وعظم أو امره، وخاف منه، وخشع له، وأحبه ومجده وأثنى عليه، وأفردته بالعبادة وحده لا شريك له، وأطاع أمره واجتنب نهيته، وانقاد لحكمه وعظم أو امره وحرماته: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَ لِدَاوُدَ وَلَوْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَوْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾ [الإسراء: ١١١].

فسبحان العلي الكبير الذي كبر وعلا في ذاته فلا أحد أكبر منه ولا أعظم منه، ولا أقوى منه، ولا أكرم منه، ولا أعلى منه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ مِنَ الدَّيْنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

هو سبحانه الكبير في صفاته، فصفاته جل جلاله كلها كمال وعظمة وجلال .

هو الكبير في أفعاله، فعظمة آياته ومخلوقاته تشهد بجلال أفعاله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَئِن لَّا كُنَّا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [غافر / ٥٧].

هو الكبير الذي يمجده نفسه؛ لأنه رب العرش العظيم ، ورب السموات والأرض، ورب كل شيء، ويمجده نفسه بأنه ملك الناس، ورب الناس، وإله الناس، ويمجده نفسه بأنه هو الكبير هو العظيم، هو القادر القاهر ، حتى تمتلئ القلوب بعظمته وكبريائه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجَهَّرِ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه / ٥-٨].

وإذا عرفته أحببته، وإذا أحببته أطاعت أمره، والطاعة هي العبادة المطلوبة من الخلق .

فالله ﷻ يريد منا أن نتعرف عليه، ونعرف أنه هو الكبير وحده لا شريك له، وأنه الخالق وحده لا شريك له، وأنه بيده الملك والملكوت جل جلاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِظْ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

وإذا عرفنا ذلك كبرناه وحمدناه وعبدناه، فالله ﷻ هو الذي يستحق أن يحمد وأن يكبر

وأن يعظم؛ لأنه الكبير وحده ، القوي وحده الغني وحده، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء .

الله ﷻ هو الكبير الذي يستحق التكبير والتعظيم والطاعة والعبادة: ﴿ فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ حِينَ نُسُوتُ وَحِينَ تَضِيحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الروم/ ١٧-١٨].

هو الكبير الذي تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن كما قال ﷻ: ﴿ سَبَّحَنَّهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

ما هي أفعاله؟ ما هي صفاته؟.

﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ [الروم/ ١٩-٢٠].

هو الخلاق العليم الذي خلق الموجود من المعدوم، هو بديع السموات والأرض، هو البديع الذي أبدع كل شيء خلقه، وخلق كل شيء وصوره على أحسن صورة، .

هو الملك الكبير العظيم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلاء، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هو سبحانه الكبير ذو العزة والكبرياء ، الواحد الأحد في ذاته وأسمائه ووصفاته وأفعاله: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو سبحانه الكبير الذي له الملك كله ، ووله الخلق كله ، له الأمر كله : ﴿ إِيَّاكَ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

الخلق هذا كله أثر من آثار اسمه الخالق، وكل كبير أثر من آثار اسمه الكبير، وكل رزق أثر من آثار اسمه الرزاق، وكل عزة في الكون أثر من آثار عزته: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) ﴿طه: ٨﴾.

فإنه ﷻ، هو الخلاق العليم، هو الكبير في خلقه؛ لأنه يخلق موجوداً من معدوم، أما الإنسان فيخلق معدوماً من موجود، يصنع السيارة من الحديد الموجود، ويصنع الباب من الخشب الموجود: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤) ﴿المؤمنون: ١٤﴾.

فإنه ﷻ أحسن الخالقين؛ لأنه يخلق موجوداً من معدوم: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١) ﴿بالأنعام: ١٠١﴾.

هو كبير في ذاته وأحكامه وصفاته وأفعاله، ومن أفعاله الخلق، فهو ﷻ الكبير في خلقه، هو الذي خلق السموات والأرض، هو الذي خلق العرش والكرسي، هو الذي خلق ما في السموات وما في الأرض، وخلق ما بينهما من المخلوقات: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٦٣) ﴿الزمر: ٦٢-٦٣﴾.

هو خالق كل شيء، فالعرش شيء، والكرسي شيء، والسموات شيء، والملائكة شيء، والنجوم شيء، والله خالق كل شيء، وما بين السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والرياح شيء، والأرض شيء، والحبال شيء، والنبات شيء، والحيوانات شيء، والله خالق كل شيء: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) ﴿الأنعام: ١٠٢-١٠٣﴾.

ومن مخلوقاته العظيمة، وآياته الكبيرة الليل والنهار، والشمس والقمر: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) ﴿فصلت/ ٣٧﴾.

هذه الشمس التي نراها في العالم العلوي، هذه الشمس العظيمة، الله ﷻ خلقها كتلة من اللهب، وهي أكبر من الأرض، جعلها الله سراجاً للعالم كله.

خلقها آية، وجريانها في الفضاء آية، وإنارتها آية، وملئها بالنور آية، وحرارتها آية.

والمسافة بين الشمس والأرض مسافة عظيمة ، وحرارة الشمس عند سطحها الخارجي تبلغ أكثر من ستة آلاف درجة، وحرارتها في جوفها تبلغ أكثر من عشرين مليون درجة مئوية، فهذه حرارة الشمس، فكيف بحرارة النار يوم القيامة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نَصَّجَتْ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦] .

• والشمس تمد الكون بأمر الله بنعمتين:

نعمة النور .. ونعمة الحرارة .

وهي تجري في الكون بأمر الله ولا تقف أبداً ، حتى تقوم الساعة : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس / ٣٨] .

فسبحان الخلاق الذي خلقها ، الكبير الذي كبرها ، النور الذي نورها ، القوي الذي أمسكها ، القادر الذي أجراها ، القاهر الذي قهرها : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] . وهذه الشمس الكبيرة لا يحركها إلا كبير بقدرته جل جلاله، فهي تجري في هذا الكون بصفة مستمرة ، وتعطي الناس والنبات والحيوان الإنارة والحرارة، ولا تأخذ على ذلك أجراً : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: ٥] .

هو الكبير جل جلاله الذي يملك كل كبير وصغير ، والشمس شديدة الحرارة، ولكن لا يصل إلى الأرض من حرارة الشمس إلا جزءاً يسيراً جداً .

أما البقية من هذه الحرارة، فتصب في الفضاء الهائل الذي خلقه الله ﷻ، وله وظائف في هذا الفضاء العظيم، ومع هذا القدر اليسير الذي يصل إلينا، نجد فيه من البركة ، والخير، والنور ، والنماء ، والحياة ، ما لا يعلمه إلا الله .

والشمس حرارتها ونورها وجريانها وارتفاعها بمقدار، فلو ارتفعت قليلاً لتجمد كل شيء، وصار أشد قساوة من الحجارة، ولو نزلت قليلاً لتبخر كل شيء في الأرض: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس / ٨٣] .

هو جل جلاله الذي خلق هذا الجرم العظيم، وخلق المجرات، والأفلاك ، وكم يجري فيها من الخلائق والنجوم والكواكب .

فسبحان الكبير الذي هذا خلقه ، وهذا ملكه ، وهذا تديره : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦٥] ﴿ غافر: ٦٥ .

فهذا خلق من خلق الله ، خلقه الخلاق العليم ، خلقه الكبير المتعال جل جلاله .

والإنسان عجيبة أخرى : ﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢٠] ﴿ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [١١] ﴿ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [٢٢] ﴿ [الذاريات / ٢٠-٢٢] .

فهذا الإنسان الذي خلقه الله من نطفة ، خلق الله ﷻ فيها اللحم والعصب والعروق والعظام ، وخلق في دماغ الإنسان مائة وأربعين مليار خلية لم تعرف وظائفها حتى الآن ، ولم يعرف من الإنسان طيباً إلا اثنان ونصف بالمائة ، والباقي سبعة وتسعون ونصف بالمائة لم يعرف حتى الآن .

وقلب الإنسان يضخ في اليوم الواحد ثمانية أمتار مكعبة من الدم ، أي : ما يعادل اثنين وعشرين ألف جالون يومياً ، والإنسان ، في متوسط عمره كم يضخ من الدم ، يعني من الخمسين ، إلى الستين تقريباً يضخ في متوسط عمره ما يملأ أكبر ناطحة سحاب في العالم .

فسبحان الكبير الذي يدبر الكبير والصغير في ملكه العظيم : ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [١٠٣] ﴿ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

وفي بدن الإنسان معامل ومصانع خلقها الكبير القادر على كل شيء ، والإنسان فيه من الأجهزة والأعضاء ما الله به عليم ، في كبده أكثر من خمسة آلاف مصنع لتصفية الدم وإزالة السموم ، إلى غير ذلك من الأعمال : ﴿ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [١١] ﴿

[الذاريات: ٢١] .

وعين الإنسان يمكن أن ترى في اليوم الواحد نصف مليون صورة ، وتحفظها بالألوان بالدماغ يومياً ، العين ترى المخلوقات بألوانها وأحجامها وأشكالها ، وتحفظ هذه الصور بالألوان في الدماغ في ملفات الحفظ ، ويستخرجها الإنسان متى ما أراد ، يقول : رأيت الكعبة اليوم الفلاني ، رأيت البحر في اليوم الفلاني ، ويتخيله ويراه ويخرجه من الملف ، الذي هو ملف الحفظ في الدماغ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [١٣] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [١٣] ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

الْمُضَعَّةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ  
الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

فإن الله ﷻ هو العظيم بذاته وأسمائه وصفاته الذي خلق كل عظيم، فالعظيم أحياناً يكون في الكبر، كالعرش والكرسي، والسموات والأرض.

وأحياناً يكون في خلق الصغير، كالذرة والنملة، فعظمته وكبريائه في خلق الكبير والصغير جل جلاله، فسبحان الكبير جل جلاله الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد/٩].

هو الكبير الذي كل شيء دونه، ولا شيء أعظم منه، الكبير الأكبر في ذاته وأسمائه وصفاته، الذي صغر دون كبريائه كل كبير من المخلوقات، والسموات والأرض والكرسي والعرش، كالخردلة أمام الكبير ﷻ، لأنها مخلوقة، والله ﷻ كبير ولا نهاية لكبريائه، وعظيم ولا نهاية لعظمته جل جلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو الكبير الذي كبر عن شبه المخلوقين، وكبر عن المثل والشبيه، وكبر عن صفات النقص والعيب.

هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، الكبير الذي من كبريائه وعظمته أن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/٦٧].

فلا بد للقلب أن يعرف الكبير حتى يكبره، أن يعرف العظيم حتى يعظمه، وأن يعرف الرزاق حتى يشكره، وأن يعرف القوي حتى يتوكل عليه، وأن يعرف القادر حتى يستعين به، وأن يعرف الكريم حتى يسأله، وأن يعرف التواب حتى يتوب عليه، وأن يعرف الغفار حتى يستغفره: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فإن الله هو الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، الله قد عرف نفسه، فشهد لنفسه بالوحدانية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [آل عمران/ ١٨].

وهو جل جلاله حمد نفسه؛ لأنه أعرف بنفسه من خلقه، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

حمد نفسه لأنه أعلم من خلقه بنفسه، وأمرنا بحمده لما له من العظمة والجلال والكبرياء جل جلاله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

وعرفنا بملكه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

لنعلم أننا عبيد عند الملك، وأنا عبيد من عبده، ميزنا الله بالعقول، لكي نعقل بها شرعه، ونطيع أمره، فنأتي إليه اختيارًا كما أذعنت له جميع المخلوقات إجبارًا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

وإذا عرفت الكبير فيجب أن أسجد لمن يستحق السجود، أسجد بقلبي، وبيدي، وبفكري وبجميع جوارحي لمن؟ للذي يستحق أن يسجد له، وأن يستسلم له: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

هو جل جلاله الذي في السماء إله، وفي الأرض إله، أمرنا أن نعرفه بذاته وأسمائه وصفاته؛ حتى نعبده بالمحبة والتعظيم والشوق والرغبة والذل، له جل جلاله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

فلا يمكن أن يتذلل الإنسان لربه إلا إذا عرف أنه الكبير القوي القادر، ولا يمكن لإنسان أن يذهب ليسأل الناس إلا إذا عرف أنهم أغنياء، والإنسان الفقير لا يذهب لفقير مثله، وإنما يذهب للغني سبحانه، فنحن لا بد أن نعرف الكبير حتى نقدره وندعوه ونسأله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فهو جل جلاله الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي من كبريائه وعظمته أن

الأرض والسماء والعرش والكرسي وجميع المخلوقات، كالخردلة أو كالذرة بين يديه جل جلاله: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٧٤﴾ [الحج/ ٧٤].  
هو سبحانه الكبير في أفعاله، هو الكبير في صفاته، هو الكبير في أسماؤه.

هو جل جلاله السميع، سمعه وسع جميع الأصوات، في العالم العلوي والعالم السفلي، ما نطق به الخلق وما لم ينطقوا به، علم به قبل أن يتكلموا به؛ لأنه علم بكل شيء قبل وجوده: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

وهو البصير الذي لا تخفى عليه ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾ [المك: ١٩].

فهو جل جلاله الكبير العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء، كبير في قدرته كبير في علمه، علمه محيط بكل شيء، وعلمه وسع كل شيء في ملكه العظيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

ومن عظمة الملك، كثرة عبيده الذين يسبحون بحمده، ويكبرونه، وله يسجدون، فكل ما سوى الله عبيد لله، كل ما سوى الله ﴿عَبْدٌ﴾ إما نعمة وإما منعمٌ عليه، فأنا منعم علي، والله الذي خلقني، وخلق السموات والأرض وما فيهن، وسخرها لنا: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَيَاطِنَةُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

السموات مملوءة بالملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم الكبير، ويسجدون لربهم العظيم ويستغفرون للذين آمنوا ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾ ﴿٧﴾ [غافر: ٧].

هو سبحانه الكبير الذي بحرفين من كلامه خلق هذا الكون الكبير: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿فَسَبَّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

هو سبحانه الكبير في ذاته وكلماته: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان/ ٢٧].

هو سبحانه الكبير في خلقه: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [٢٨] أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [٢٩] ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [لقمان: ٢٨-٣٠].

الله ﷻ عظيم، وصفاته عظيمة، وعظمة آياته ومخلوقاته تشهد بجلال أفعاله: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر/ ٥٧].

كم عظمة خلق السموات ، وكم فيها من المخلوقات! وكم عظمة خلق الأرض ، وكم فيها من المخلوقات! من جبال وبحار وأنهار ، وإنس وجن ، ونبات وحيوان ، ومخلوقات لا يعلمها إلا الذي خلقها: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر/ ٨٦].

فمعرفة هذه الصفات لله ﷻ، تولد في القلب تكبير الله، وتعظيم الله، وحب الله، وتدفعه إلى طاعة الله، والتسبيح بحمده ولهذا بقدر العلم، وبقدر قوة الإيمان تكون قوة الذكر والعبادة: ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

يأتي التعظيم لله، وتأتي المحبة لله ﷻ، فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه، ونعرف أسماءه وصفاته حتى تعرف قلوبنا عظمته وكبريائه جل جلاله، الله ﷻ من رحمته بنا أن جعل هذا الكون هو الكتاب المنظور؛ لتفكر فيه ، لنعرف من خلقه ، ثم نؤمن به ونعبده: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [٦] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٧] بَصْرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [٨].

[ق: ٦-٨].

نظر فنرى مخلوقات، ونرى صوراً، فبالعين نرى المخلوقات، وبالبصيرة نرى الله ﷻ،

يخلق ويرزق ، ويعطي ويمنع ، ويعز ويذل ، ويعافي ويمرض ويحيي ويميت جل جلاله :  
﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
وَكَيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [ الأنعام : ١٠٢ ] .

نرى الله ﷻ وحده يفعل في مخلوقاته ما يشاء ، لكن بدون الإيوان ، نرى المخلوقات  
تفعل ، ونقول : حملت المرأة ، وأمطرت السماء ، وأغرقت البحار ، وأنبت الأرض ، لا  
بد لهذه المخلوقات من أمر يأمرها بالحركة بالإنارة وبالإنبات : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾  
ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ تُبَدَّلَ  
أَمْثَلَكُمْ وَنُنشَأَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا  
تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾  
إِنَّا لَمَعْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ  
نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾  
ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَرِجَافًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾  
[ الواقعة : ٥٨ - ٧٣ ] .

فهذا العلم يجعل الإنسان يتفكر في آيات الله وفي مخلوقاته ، فيخترق المخلوقات إلى  
خالقها ، ومدبرها ، ويخترق الصور إلى المصور ، ويتجاوز المخلوق إلى الخالق ، بماذا؟  
ببصيرته بقلبه وفكره ، فالعين ترى الأشياء ، والقلب يرى الملك الحق الذي يدبر هذا  
الكون ، ويفعل فيه ما يشاء جل جلاله : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ  
كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكَيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [ الأنعام : ١٠٢ ] .  
فالله ﷻ هو الملك الذي له الملك العظيم ، الملك الكبير .

فله ﷻ ملك الخلق والإيجاد ، وله ملك إبقاء الملك ونزعه ، فهو يؤتي الملك من يشاء ،  
وينزع الملك ممن يشاء ، وله ملك الإعزاز والإذلال : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ  
مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [ آل عمران / ٢٦ ] .

وله جل جلاله ملك تقليب الأزمان والأحوال : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ الْأَيُّلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً  
لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ النور : ٤٤ ] .

وهو جل جلاله الملك الذي له ملك الأرزاق كلها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/٥٦-٥٨].

فهو الذي خلق الأرزاق، وخلق المرزوقين، وأوصل الأرزاق إلى كل مرزوق: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦) [هود/٦].

وله جل جلاله ملك البقاء والفناء، يبقى من يشاء، ويفني من يشاء، فجميع المخلوقات والكائنات باقية بأمره: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١) [فاطر: ٤١].

هذا هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الكبير الذي بيده وحده أمر التدبير والتصريف: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣١) فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

ولهذا كان مستحقاً للعبادة، لأنه العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الكبير المتعال، المحيط بكل محيط الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، الذي خلق جميع المخلوقات، في العالم العلوي والعالم السفلي، وكلهم عبيده، وكلهم خاضع لأمره، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته، ومسبح بحمده: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام/١٠٢].

فهذا العلم يجعل الإنسان من أولياء الله، الذي عرف ربه بأسمائه وصفاته تعلق قلبه بالله ﷻ، وإذا تعلق القلب بالله ﷻ استغنى به عن غيره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩) [محمد: ١٩].

فهذه المعرفة لا بد للقلب منها، لا بد أن يتغذى هذا الغذاء في كل يوم، ليعرف ربه الكبير في أفعاله، فعظمة آياته ومخلوقاته تشهد بجلال أفعاله: ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الْحَقَّ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾  
[الأعراف/ ٥٤].

له الخلق كله في العالم العلوي والعالم السفلي، خلق الشمس وهو الذي نورها وأجراها، وخلق القمر وهو الذي قدر له المنازل والأحوال، وخلق الأرض وأمرها بالإنبات، وخلق اللسان وهو الذي خلق فيه الكلام، وخلق الأذن وجعل فيها السمع، وخلق العين وجعل فيها البصر: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾  
[الزمر: ٦٢].

هو الرب الذي له الخلق كله، وله الأمر كله وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۗ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ [هود: ١٢٣].

فسبحان العلي الكبير الذي كبر وعلا في ذاته، فلا أكبر منه، ولا أعظم منه، ولا أعلى منه، هو العلي الكبير، هو العلي العظيم: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو الكبير الذي له العظمة والعزة، وله الجبروت والكبرياء، وله الإجلال والملك والسلطان في السموات والأرض: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿٣٧﴾ [الجنات: ٣٦-٣٧].  
الله ﷻ هو الكبير الذي له ملك السموات والأرض، هو الكبير الذي كبر وتعالى عن جميع النقائص والعيوب والمساوي، والشبيه والمثيل والضد والنظير.

هو الكبير الذي كبر وعلا عن عبادة ما سواه، فكل عمل أشرك فيه العبد غيره فالله ﷻ غني عنه، هو الكبير الغني عن عبادة كل أحد، ولكن نعبده لحاجتنا له، ولأنه يستحق التسبيح والتحميد، والتكبير والتعظيم؛ لأنه الخالق الرازق، القادر القاهر، الذي بيده ملكوت كل شيء، وله الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر: ١٥].

فهو الكبير الذي كبر وعلا عن عبادة ما سواه، فلا يقبل الكبير أن يعبد معه غيره، من الخلق، الكبير الذي كبر وتكبر عن الشبيه والمثيل: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ

الْعَيْبِ وَالشَّهَدَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ  
السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ  
﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هو الواحد الأحد الذي ليس كمثل له أحد، ولم يكن له كفواً أحد، هو الكبير المصرف  
عباده على ما يريد، من خلق وتدبير في الصورة، واللون، والحجم، والوظيفة.

هو الكبير الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

هو الذي جعل الليل ليلاً، والنهار نهاراً، والإنسان إنساناً، والسماء سماء، والأرض  
أرضاً: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾  
[الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

هو المصرف عباده على ما يريد من خلق وتدبير، وأمر ونهي، لا يعصى إلا بعلمه، ولا  
يقضى دونه أمر، ولا يرد أحد حكمه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ  
﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

هو جل جلاله الكبير المتعال عن النقص والمثيل والشبيه، هو الكبير الذي تكبر عن كل  
سوء وشر وظلم، هو الكبير في علوه، العلي في كبريائه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ  
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

وجلال الله ﷻ وكبريائه، لا يعلمه إلا هو، ولا يدرك كنه ذلك أحد، لا ملك مقرب ولا  
نبي مرسل، ولا يعرف الله على وجه الكمال إلا الله، فالله ﷻ لا يدرك كنهه أحد، لا ملك  
مقرب، ولا نبي مرسل، فمن نازعه في ذلك عذبه.

قال النبي ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبَتُهُ» أخرج مسلم<sup>(١)</sup>.

الله ﷻ هو الكبير المتكبر الذي له الكبرياء في العالم العلوي والعالم السفلي، الكبير الذي  
لا نهاية لكبريائه وعظمته، فهو سبحانه الكبير وحده في ذاته وأسمائه وصفاته، وكل ما

(١) أخرج مسلم برقم (٢٦٢٠).

سواه صغير، من العرش حتى أصغر ذرة، هو الكبير الأكبر من كل شيء، ذاتاً وقدرًا ،  
وشأنًا ، وعزةً وجلالاً وجمالاً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

فالله هو الكبير وحده لا شريك له، وهو العظيم وحده لا شريك له، ولا حظ للعبد في  
هذين الاسمين أبدًا، فالكبرياء والعظمة ، والعزة لله وحده لا شريك له : ﴿هُوَ اللَّهُ  
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ  
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر/ ٢٣].

وحظ العبد من ذلك الذلة والافتقار والصغار للكبير العظيم الواحد القهار، فحظ العبد  
من هذا الاسم أن يتصاغر لكبرياء ربه، ويخضع لعظمته ويسارع إلى طاعة ربه الكبير،  
ولا يستكبر عن عبادته، ويلتزم التسبيح والتحميد والتكبير والإجلال لربه الكبير  
المتعال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
وَكِيلٌ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء/ ١١١].

فمن عرف ربه الكبير المتعال، خلع عن نفسه أوصاف الربوبية، ولبس رداء العبودية،  
والمسلم لا يحقق معنى العبودية إلا بثلاث صفات:

الحب الكامل لربه، والتعظيم الكامل، والذل الكامل له : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا  
ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢]  
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [٤] [الأنفال: ٢-٤].

• وهذه الأمور الثلاثة ثمرة معرفتين:

معرفة عزة الربوبية.. ومعرفة ذلة البشرية.

فيستحضر العبد عظمة ربه الكبير المتعال ، القادر القاهر، العليم بكل شيء، القادر على  
كل شيء، المنعم بكل نعمة، الدافع لكل نقمة، الذي يفرج الكروب، والذي يحيي  
الموتى، والذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ  
اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

معرفة عزة الربوبية قبل أن أبدأ بالذكر، أو أبدأ بالصلاة، أو بإلقاء الدرس ، أو سماع  
الدرس ، لا بد أن أستحضر في قلبي أمرين:

أستحضر عزة الربوبية.. وأستحضر ذلة العبودية.

فذلة العبودية للربوبية أن أعرف الله، أن أذكر قلبي بلساني بصفات ربي، حتى يكبر ربي في قلبي، وأذكر وأخاطب نفسي، وأذكرها بذلة العبودية، وأقول لها: أنتِ عبدٌ من العبيد، أيها الإنسان كنت ضالاً فهداك الله، وفقيراً وأغناك الله، وضعيفاً فأقدرك الله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى/ ٦-٨].

فلوجود الحب الكامل، والتعظيم الكامل، والذل الكامل لله ﷻ، لا بد أن يستحضر العبد عند القيام بأي عبادة أمرين:

الأول: عزة الربوبية، بأن نذكر قلوبنا بألستتنا بالله العظيم، بالرب الكبير، بالرب القوي القادر القاهر، الذي بيده ملكوت كل شيء جل جلاله، حتى تأتي عظمته في القلب، فاعبده معظماً له، مكبراً له، محباً له: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

الثاني: ذلة العبودية، وأتذكر ذلة العبودية، وأني عبد ضعيف فقير عاجز محتاج، ولا بد للفقير أن يقف بباب الغني، ولا بد للصغير أن يقف بباب الكبير، ولا بد للعاجز أن يسأل القادر على كل شيء، ولا بد للمحتاج أن يسأل الصمد الذي لا يحتاج إلى أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

فهو صمد، صمد لجميع حوائج الخلق، وجميع الخلق يصمدون إليه في حوائجهم. فهو الشافي وحده، وهو الرازق وحده، وهو القادر وحده لا شريك له، وما سواه من المخلوقات خلقها الله إظهاراً لقدرته، وتنبهاً لبريته، وكلها مسبحةٌ بحمده، شاهدة بوحدانيته خاضعة لأمره: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّعَىٰ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فما أعظم فلاح وسعادة من عرف الله بأسمائه وصفاته، وما أعظم خسارة من جهل ربه، فقد خسر نفسه، وخسر دنياه، وخسر آخرته: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ

كَالْتَعْبَرِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٧٩-١٨٠].

فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله أن كتاب الله ﷻ بأيدينا، نتعرف من خلاله على ربنا بأسمائه وصفاته، ونتعرف على أحكامه، ونتعرف على أوامره جل جلاله، فنحن في نعم كبيرة، تمت علينا النعمة البدنية، والنعمة الروحية، فله الحمد رب العالمين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

فمن عرف ربه الكبير العظيم الأعلى المتعال خلع عن نفسه أوصاف الربوبية، ولبس رداء العبودية لله ذلّة وافتقارًا وانكسارًا، وخشية له، وتوكلاً عليه، واستعانة به: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

أما من تكبر عن الحق، وتكبر على الخلق، فهذا يشقى في الدنيا والآخر، واستغنى الله عنه وعن عبادته: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

ثم حرم دخول جنة الخلد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتِحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠-٤١].

وقال النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فالكلام عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله يولد الطاقة الإيمانية في القلب، ويملأ القلب إيمانًا فيزيد انشراحًا، والقلب في داخل الصدر، وهذا القلب لا بد أن يملأ بالعلم والإيمان والتعظيم والرحمة والحب لله ﷻ، فإذا امتلأ بهذه العلوم النافعة حرك البدن بما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة.

فتحرك اللسان بالذكر، والتكبير، والشكر، والحمد، والدعاء، والدعوة، والتعليم، والقول الحسن، وتحركت الجوارح بطاعة الله، فلا بد من معرفة الكبير، ليحصل التعب

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

بهذا الاسم العظيم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر/ ٢٣].

هو الكبير الذي كل شيء دونه صغير، هو الكبير الذي لا أكبر منه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان/ ٣٠].

هو الكبير المتعال الذي كل شيء سواه صغير، هو الكبير الذي لا حد لكبريائه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧].

هو سبحانه العلي الكبير، ذو العظمة والجلال والكبرياء، الكبير وحده لا شريك له، الكبير في ذاته الكبير في أسمائه، الكبير في صفاته .

فإذا قال عن نفسه إنه هو السميع فهو يسمع كل شيء، وإذا قال أنه البصير فهو يبصر كل شيء، وإذا قال أنه العليم فهو عليم بكل شيء، وإذا قال أنه القادر فهو قادر على كل شيء، وإذا قال أنه خبير فهو الخبير بكل شيء، مما نراه وما لا نراه، في العالم العلوي وفي العالم السفلي، في الدنيا والآخرة، في عالم الغيب وفي عالم الشهادة، فأسمائه جل جلاله كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وله جل جلاله الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته :

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُّعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

فسبحان الرب الكبير المتكبر الأكبر، ذو العظمة والكبرياء، والجلال والجبروت، الذي لا تحيط العقول بكنهه جلاله وجماله وكماله : ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، هذه الشمس التي نحن نراها كالحبزة في هذا الفضاء العظيم، كم تشغل من مساحة الفضاء الكبير، ومن الذي يمدّها بالطاقة التي تحرقها في كل يوم في هذا الكون العظيم؟ هو الكبير الذي يملك كل شيء، والذي خلقه لا يحتاج فيه إلى معالجة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ

شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨٢].

هو الكبير وحده لا شريك له، فلا بد أن يسمع القلب عن كبرياء الكبير حتى يكبره : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فنحن نقول: الله أكبر لنسمع القلب، نقول: الله أكبر في الأذان، الله أكبر في الإقامة، الله أكبر في الصلاة، نقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، نكبر الله؛ لیسمع اللسان قلب هذا الإنسان؛ ليعرف الكبير، ليكبره، وإلا فالله كبير قبل أن نكبره، محمود قبل أن نحمده، واحد قبل أن نوحده: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

هو الكبير وحده لا شريك له، وما عرفنا بهذا الاسم إلا لنكبره، ونتلذذ بتكبيره، ونملأ قلوبنا بتكبيره؛ لأننا إذا عرفنا أنه الكبير لم نلتفت لأحد سواه، ولهذا شرع تكرار التكبير في الأذان، حتى نعلم أن كل ما سوى الله صغير، فلا نذهب إلى التجارة أو الصناعة والزراعة.

إذا أذن المؤذن نذهب إلى بيت الكبير، لنعظم الكبير، ونحمد الكبير، ونسأل الكبير، ونستغفر الكبير، وفي النهاية نقدم التحية للكبير، التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأَ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: ٩-١١].

هو الكبير الذي له الكبرياء والعظمة، وله صفات الجلال والجمال، ويده ملكوت كل شيء، الكبير الذي له الخلق والأمر، الكبير الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته، مسبحة بحمده، وخاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، لا إله إلا هو،

ولا رب سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

هو العلي الكبير، الذي يستحق أن يعبد، وأن يحمد، وأن يسجد له: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْ اللَّهَ  
يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ  
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا  
يَشَاءُ﴾ [الحج/ ١٨].

هو جل جلاله الكبير الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لأن الملك ملكه، والأمر  
أمره، والخلق خلقه، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ  
الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

والله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه حتى نكبره، ونحبه، ونحمده، ونسأله فقال: ﴿أَعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٨].

وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

فلا بد من المعرفة بالله، وأسمائه وصفاته؛ لأنها تثمر المحبة والتعظيم للرب، وهي معرفة  
المعبود، والأحكام هي معرفة أنواع التعبد؛ فلا بد للإنسان أن يعرف هذا، وأن يعرف  
هذا، والعلماء في هذا وهذا أقسام:

الأول: العالم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

الثاني: العالم بأحكام الله، وهم أهل الفتوى الذين يعرفون الحلال من الحرام.

الثالث: العالم بالله، وبأحكام الله، وهؤلاء أشرف الأقسام وأكملها؛ لأن قلوبهم أشرفت  
بمعرفة الله، وأشرقت أسرارهم بأنوار جلال الله، وتزينت قلوبهم وألسنتهم  
وجوارحهم بعبادة الله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ أَمَّا أَلَيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا  
رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ٩].

فبحسب العلم تكون المعرفة، وبحسب المعرفة يأتي التعظيم لمن يستحق التعظيم، ويأتي  
الحب لمن يستحق الحب الكامل، ويأتي التكبير لمن يستحق التكبير.

فإذا جاءت هذه الصفات العظيمة، جاءت لذة التعبد، جاءت المحبة والتعظيم وحب  
الله، وحب ما أمر به، وحب أنبيائه ورسله وكتبه، وحب كل ما يرضيه جل في علاه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرِثَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١] .

فهذه هي أقسام العلماء، فلنحرص على أن نكون من القسم الثالث، وأن نضع أنفسنا لهذا الأمر، حتى نكون من العلماء بالله، ومن العلماء بأوامر الله، لتمتلىء قلوبنا بمعرفة الله وأسمائه وصفاته، وتمتلىء بالحب والتعظيم والذل لله ﷻ، وتمتلىء عقولنا بمعرفة أحكام الله، بمعرفة الكيفيات، كيفية الصلاة، كيفية الوضوء، كيفية الحج، كيفية الصوم، كيفية قسمة الموارث، كيفية إقامة الحدود، ونحو ذلك، ثم تتحرك قلوبنا وألسنتنا، وجوارحنا بعبادة الله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

فالعلم بالله، وبأحكام الله، هو أعلى الأقسام وأكملها، وفي ذروة هذا القسم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ومن سار على هديهم من المؤمنين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فمعرفة الله أسمائه وصفاته وأفعاله أعظم العلوم وأشرفها وأكملها وأعلاها؛ لأنها أساس كل شيء، لهذا يجب أن أعرف المعبود قبل العبادة، وأعرف الأمر قبل الأمر، وأعرف الحكيم قبل معرفة أحكامه، وأعرف الملك الغني الكريم قبل أن أسأله: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُنُونَكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

الله ﷻ هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، هو الكبير في قوته، وفي قدرته، وفي علمه، وفي حلمه، هو جل جلاله الكبير، وكل ما سواه صغير مملوك للكبير: ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فإذا تسلط عليك أحد من الناس، فاعلم أن الله الكبير أرسله إليك ليؤدبك، ثم ينتقم منه، فالطغاة والجبابة عصي بيد الله ينتقم الله بها، ثم ينتقم منها، فبنو إسرائيل لما خالفوا

أمر الله، الله ﷻ أرسل عليهم فرعون، فصار يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٤١].

ثم لما جاءهم موسى ﷺ بالدين، الله ﷻ أنقذهم منه، وأغرق فرعون وجنوده، وهكذا جميع من استكبر عن عبادة الله وطغى وتجبر الله ﷻ يدمرهم: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فالأسباب بيد الله، وهي من جنود الله، والله له سنة يفعلها أو يعطلها أو يعكسها، الله له سنة وقدرة، فالسنة خاضعة للقدرة، والله أظهر سنته وأخفى قدرته، سنته في أن يخلق اللسان في هذا الفم، ويتكلم باللغات، وينزل المطر على الأرض فينبت به من كل زوج بهيج، لكن قدرته مخفية في سنته، من يراها؟ لا يراها إلا المؤمن، والكافر يرى السنة الكونية فقط، لكن المؤمن يرى السنة الكونية، ويرى القدرة الإلهية، فيحترق المخلوقات إلى خالقها، ويتجاوز الصور إلى المصور، فيعبده وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فالله يفعل بالأسباب لأنه هو الكبير القوي الذي يفعل ما يشاء، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، والأسباب بيد الله وهي مخلوقة، لا نجعلها شريكا لله، فاليهود توكلوا على الأسباب، والنصارى تركوا الأسباب.

ونحن يجب أن نضحى بالأسباب من أجل دين الله ﷻ، نضحى بالوقت، نضحى بالمال، نضحى بالنفس، نضحى بالشهوات نضحى بالبلاد، كما فعل المهاجرون حينما ضحوا بهذه الأمور، ضحوا بأوقاتهم، وأمواهم، وأنفسهم، وشهواتهم، وبلادهم وأهلهم، ضحوا بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله.

فلما ضحوا جاء الرضوان من الله ﷻ، فالمهاجرون تركوا، والأنصار بذلوا بيوتهم

وأموالهم واستقبلوا المهاجرين، فلما جاءت الهجرة والنصرة جاء الرضوان من رب العالمين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقَدِّمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالخلق والأمر والملك والتدبير والتصريف بيد واحد: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فغذاء القلوب بأن تعرف الكبير، وتعرف العظيم، وتعرف القوي وحده لا شريك له، وتعرف الغني، وتعرف القهار، وتعرف الواحد الأحد، هذه هي أغذية القلوب أن تعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، حتى تتوكل على الله، وتخضع لله، وتخاف من الله، وتكبر الله، يكبر المسلم ربه في كل يوم أكثر من ستمائة وثلاثين مرة، في الصلوات الخمس، وفي الأذان، والإقامة، والأذكار المشروعة.

وفي الصلوات الخمس، في الصلاة الرباعية تكبر الله إحدى وعشرين مرة، والصلاة الثلاثية سبع عشرة مرة، وفي الصلاة الثنائية إحدى عشرة مرة، وفي التسبيح بعد الصلاة في أذكار الصباح، وأذكار المساء، وأذكار النوم، مجموع ما ورد من مشروعية التكبير فرضاً أو سنة أكثر من ستمائة وثلاثين مرة: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥].

لا بد لهذا القلب أن يعرف أعظم شيء عن ربه، أن يعرف أنه الكبير، وأن كل ما سواه صغير من جميع المخلوقات، وإذا عرف المسلم الكبير لم يعد بحاجة إلى الصغير، ومن سار في معية الكبير فهو كبير، وإذا توكل المؤمن على ربه الذي بيده كل شيء أغناه عما سواه، فالكبير في قوته هو الله ﷻ، وكل ما سواه صغير: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

هو مالك الملك بيده ملكوت كل شيء، يفعل بالأسباب وبدون الأسباب، وبضد

الأسباب، فالله ﷻ أنجى إبراهيم ﷺ من النار وهي تشتعل، وإبراهيم في وسط النار، لم يطفئها ولم ينقل إبراهيم إلى مكان آخر، بل قال لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

ودمر القوي العزيز فرعون مع ملكه، وخسف بقارون مع ماله: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٦٢﴾ [الحج/ ٦٢].

والأمر كله بيد الله العلي الكبير وحده لا شريك له، هو الكبير الذي بيده كل شيء .  
فإن نأخذ الأسباب، ونتوكل عليها، هذا شرك، نقول مثلاً: وصلنا بسلامة حسن قيادة الطيار، أو الملاح، أو قائد السفينة، أو قائد السيارة، لا؛ هذا شرك، فالله ﷻ هو الذي يسيركم في البر والبحر: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

وأن نعطل الأسباب، ولا نأخذ بها، هذا معصية، لا بد من فعل الأسباب، لأننا في دار الأسباب، فالدنيا لها أسباب، والدين له أسباب، أسباب دخول الجنة الإيمان والعمل الصالح، ولكن هذه أسباب لا بد من فعلها، أما دخول الجنة فيكون بفضل الله وبرحمته قال النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

أنا عبده ومن ممالئكه لا أستحق على عملي شيئاً، لكن إن أعطاني فهو الكريم، فالله ﷻ هو الكريم الذي يعطي من لا يستحق العطاء، ولكن لحبه لنا يعطينا وإلا نحن عبيده، كما أن الشمس من عبيده، والقمر من عبيده، والأرض من عبيده، والنباتات من عبيده كلها تسبح بحمده، ولا تسأل أجراً على أعمالها، لكن الله هو الكريم، والكريم أكرمنا، وأمرنا أن نتصف بصفاته: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فالله ﷻ له المنة والفضل أولاً وآخراً، وله الحمد في الأولى والآخرة: ﴿هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ [القصص: ٧٠].  
فإن نأخذ الأسباب ونتوكل عليها هذا شرك؛ وأن نعطل الأسباب ولا نأخذ بها هذا

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨١٦).

معصية، وأن نأخذ بالأسباب ولا نتوكل إلا على الله فهذا هو الإيمان .

نفعل الأسباب ، ونأتي بها نستطيع ، ونجاهد الأعداء ، ونعد لهم ما نستطيع من قوة؛ ثم الله يفعل ما يشاء: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال/ ١٧].

أنت فعلت السبب، لكن الذي جعل الإصابة هو الله ﷻ ، هو الذي يفعل ما يشاء . وهذا الإنسان لا يتحرك إلا بإذن الله ﷻ ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والله ﷻ يجب أن نذكره كثيراً في كل يوم ، ونكبره تكبيراً ، ونكرر ذكره ، لأن من أكثر من ذكره أطاعه ولم يعصه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴿ [الأحزاب: ٤١-٤٣] .

فالله ﷻ هو الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض ، هو الذي يجب أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴿ [الجن: ٣٦-٣٧] . هو جل جلاله العلي الكبير ، كبير في ذاته: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَكِن نَّنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٤٣﴾ ﴿ [الأعراف/ ١٤٣] .

هو جل جلاله الكبير العظيم تجلى للجبيل العظيم فصار هباءً ، وسقط أعلاه على أسفله ، لماذا؟ لأن الله ﷻ تجلى عليه ، وموسى ﷺ لما رأى المتجلى عليه ، فكيف لو رأى المتجلى سبحانه؟! : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿ [الزمر: ٦٧] .

وهو كبير في خلقه ، وهو كبير في قدرته لا يعجزه شيء ، ولا يخفى عليه شيء: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿ [النحل/ ٤٠] .

هو سبحانه الكبير في قدرته : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿ [لقمان: ٢٨] .

هو سبحانه الكبير في كلامه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان/ ٢٧].

وبحرفين من كلامه كن فيكون، خلق هذا الكون العظيم، خلق السموات السبع وما فيهن، خلق الأرضين وما فيهن، فهو جل جلاله خلاق عظيم: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [١٠] هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١٠-١١].

وهو سبحانه الكبير في ملكه العظيم: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

هو سبحانه الملك الذي له الملك كله ، في الكون كله :

له ملك العالم العلوي والعالم السفلي ، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة ، وله ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك السموات والأرض ، وله ما في السموات والأرض ، وله ملك ما بين السموات والأرض ، وله مقاليد السموات والأرض ، وله ميراث السموات والأرض: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

ومن هذا ملكه ، وهذه قدرته ، هو الكبير الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].  
فهذه عظمة ملكه، وهذا ملكه الكبير، فكيف تكون عظمة الكبير جل جلاله ، ولكن الله أخفى نفسه وأظهر مخلوقاته، أخفى نفسه رحمةً وحكمةً، أخفى نفسه عنا في الدنيا رحمةً بنا، فالملك أو الرئيس إذا كان له أوامر على رعيته وكان بينهم لا يعصونه أبداً، لكن إذا غابوا عنه عصوه.

فإنه ﷻ لو بان لخلقه، وظهر لخلقه عياناً لبطل أمر الأمر والنهي، وأمر التكليف وأمر الثواب والعقاب؛ إذا رأينا الله بأسائه وصفاته عياناً، لا يمكن أبداً أن نعصيه، وحينئذ يبطل أمر التكليف.

فرحمة بنا لا نراه، رحمةً وحكمةً؛ لأن الملوك لا تعصى أمامها أبداً .

فإنه ﷻ والله المثل الأعلى أخفى نفسه ، وأظهر مخلوقاته، لنعلم أن لهذا الخلق خالق،

ولهذا الملك ملك، وهذه الأرزاق رازق، وهذه الصور مصور، ولكننا لا نراه، لكن أيقنا قطعاً بوجوده، لكننا لا نراه، حتى يتم أمر الله ﷻ، وتحقق حكمة الابتلاء بالأمر والنهي؛ ليعلم الله من يخافه بالغيب: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ (٣) ﴿[العنكبوت: ٢-٣].

لكن يوم القيامة يراه المؤمنون تكريماً منه وعطاءً. ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰضِرَةٌ﴾ (٢٢) ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نٰظِرَةٌ﴾ (٢٣) ﴿[القيامة/ ٢٢-٢٣].

فمن استجاب لأمر الله، يراه يوم القيامة، يفتح له الأبصار فترى الله ﷻ، ولكن لا تحيط به ولا تدركه الأبصار، لكن تراه، والإدراك غير الرؤية، الإدراك إحاطة، أما الرؤية فأنا أرى هذا الشيء من جانب، ولا أراه من جانب آخر: ﴿ذٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصٰرَ وَهُوَ الْلَطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) ﴿[الأعام: ١٠٢-١٠٣].

وهو جل جلاله الكبير في إلهيته: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٦٢) ﴿[الحج/ ٦٢]. هو الكبير في حكمه جل جلاله: ﴿ذٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُونَ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (١٢) ﴿[غافر/ ١٢].

وهو سبحانه الكبير في قدرته: ﴿إِن رَّبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اَسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْاَيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسْحَرٰتٍ بِاَمْرِهِ اَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ تَبٰرَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعٰلَمِينَ﴾ (٥٤) ﴿[الأعراف: ٥٤].

هذا هو الكبير الذي يجب على القلب أن يعرفه ويكرر هذه المعرفة؛ لأن الإنسان إن لم يكن ذاكرًا كان غافلاً، وإن لم يكن عابداً لربه كان عابداً لغيره من المخلوقات الأخرى، فلا بد من التذكير المستمر لتعرف الكبير الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .

وكل من عصى الله فهو إما جاهل به أو غافل عنه .

• والغفلة تحصل بثلاثة أمور:

بالغفلة عن الله .. والغفلة عن أوامر الله .. والغفلة عن اليوم الآخر.

وعلاج داء الجهل بالعلم بالله وأسمائه وصفاته : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْفَرَ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [١٩] ﴿ [محمد: ١٩].

وعلاج الغفلة بالذكر ولزوم بيئة الإيمان ، والانقطاع عن الجو الغافل : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [٢٨] ﴿ [الكهف: ٢٨].

فسبحان الكبير في خلقه، الكبير في كلامه ، الكبير في حكمه ، الكبير في قدرته، الكبير في علمه : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا يَعْزُبُ عَنْهَا وَلَا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [٥٩] ﴿ [الأنعام/ ٥٩].

هو عليم جل جلاله بكل شيء ، لا يخفى عليه شيء من النيات والأقوال ، والحركات والسكنات : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [٦١] ﴿ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٢٣] ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢٤] ﴿ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فإن علمه محيط بكل شيء ، وقدرته محيط بكل شيء ، ورحمته وسعت كل شيء . فهذا هو الكبير الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى .

ومن هذا شأنه، وهذا جلاله، وهذا كبرياؤه، وهذه قدرته، وهذا علمه ، وهذا حكمه ، وهذا خلقه ، وهذا سلطانه ، يجب أن نؤمن به، ونشكره، ويجب أن نطيعه ولا نعصيه، ويجب أن نذكره ولا ننساه، ويجب أن نحبه ونعظمه ونعبده وحده لا شريك

له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فالإنسان خلق ليكون عبداً لربه ﷻ، فالله خلق كل شيء من أجل الإنسان، وخلق الإنسان ليوحده ربه، ليطيع ربه ويعبد ربه ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

من الإنسان؟؛ الإنسان عقل يدرك، يدرك هذه المخلوقات والأشياء التي يراها، وقلب بعد هذا الإدراك يجب أو يبغض.

فبعقولنا ندرك الأشياء، ندرك المخلوقات، ندرك الكائنات ، ونتيجة لهذه الإدراكات يتولد في القلب حب الله، تعظيم الله، تكبير الله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِهَيْجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

ومن هو العاقل؟ أعقل الناس هو الذي عرف من يجب أن يجب، من يجب أن يشكر ، من يجب أن يسأل، من يجب أن يكبر، هذا هو المؤمن: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

الذي يجب أن نحبه، هو العظيم ، هو الكبير، هو المتكبر، هو الكريم، هو الرحمن الرحيم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

هذا الذي يجب أن نحبه، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي بالناس رؤوف رحيم، الذي يجب أن نحبه هو الملك الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

القدوس المنزه عن النقائص والعيوب، وعن الشبيه والمثيل، السلام الذي سلم عباده من كل سوء، ويوم القيامة يسلمهم من جميع الآفات، ويدخلهم دار السلام، المؤمن الذي أمنه عباده أن يظلمهم .

هو المؤمن الذي خلق الأيمن وأكرم به أوليائه، خرج النبي ﷺ خائفًا من مكة، خرج إلى المدينة محتفياً ليكون قدوة لكل ضعيف، ولكن رجع يوزع الأيمن في مكة، لأنه متصل بالمؤمن الذي يملك الأيمن والخوف، فقال ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هو الذي نصره في غزوة بدر، حين لم يكن معه من العدة والعدد إلا القليل، لأنه هو الكبير الذي يملك جميع المخلوقات والقلوب: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران/١٢٣].

هو الذي أمدهم بالملائكة، هو الذي أنجى يونس ﷺ في بطن الحوت، هو الذي نصر أنبياءه ورسله، هو الذي دمر أعداء الرسل، حينما خالفوا واستكبروا عن الحق، وعن العمل بالحق.

فالله ﷻ دمرهم، لأنه هو الكبير، الذي عنده خزائن القوة، وعنده خزائن العذاب، وعنده خزائن القوات والجنود: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [٥١] يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

بقدر ما في قلب العبد من الإيمان، يخاف منه كل شيء، فهو لا يخاف إلا الله، العزيز الجبار المتكبر، هو جبار يجبر المنكسرين، ويجبر خلقه، الجبار في ملكه، وعظمته وسلطانه، الجبار على الظالمين والطغاة، هو الكبير المتكبر لما له من الأسماء الحسنی، والصفات العلا، والأفعال الكبرى.

فهذا الرب الذي يجب أن نحبه، وأن نعظمه، وأن نقدره، وأن نشكره: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣].

فأعلى الحب أن تحب من يستحق الحب الكامل، وتعظم من يستحق التعظيم، وتكبر من يستحق التكبير، ونحمد من يستحق الحمد، ونسأل من يقدر على الإجابة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٠).

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

فبقدر المعرفة تكون المحبة، وبقدر المحبة تكون الطاعة، والعبادة، وبقدر الطاعة والعبادة تكون السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ [الأحزاب/ ٧١].

والله ﷻ عرفنا بنفسه ، لتتعرف عليه، فأسعد الناس من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وأحب الله وأحب ما يحبه الله، وكره ما يكره الله، وعبد الله بموجب ذلك: ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٦٢﴾ [الحج/ ٦٢].

فهو جل جلاله الكبير وحده لا شريك له، الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، هو الكبير الذي لا بد أن نعرف أنه كبر عن مشابهة المخلوقات جميعها، فهو أكبر من أن يشبه خلقه، وأكبر من أن يشبهه أحد من خلقه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

هو سبحانه الأكبر وحده لا شريك له، أكبر من جميع مخلوقاته، أكبر من كل شيء، أكبر مما عرفنا، أكبر مما لم نعرف، أكبر مما تخيلنا، أكبر مما نظن، أكبر مما نتصور، فمهما تصورت أو تخيلت ذاته أو صفاته فهو أكبر مما تظن أو تتصور، وكل ما خطر ببالك من جلال الله وجماله وكبريائه، فالله أكبر من ذلك: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

هو سبحانه الكبير ذو المجد، والجلال، والكبرياء، والعظمة، له كمال الذات والأسماء والصفات، وكمال الذات هو كمال وجود الرب الحي القيوم، الذي لم يسبقه عدم، ولا يلحقه زوال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢﴾ [الحديد: ٣]. فاعلم أن معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله أول الواجبات، وأعظم الواجبات: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

ربنا ﷻ هو الكبير المتكبر الذي ليس لكبريائه نهاية، العظيم الذي ليس لعظمته نهاية، الكريم الذي ليس لكرمه نهاية، الحي الذي ليس لحياته نهاية، العليم الذي ليس لعلمه نهاية، القوي الذي ليس لقوته نهاية، الغني الذي ليس لغناه نهاية، الجميل الذي ليس لجماله نهاية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

هو الملك الكبير العظيم الذي لا يزول سلطانه، والعزيز الجبار الذي لا يجري في ملكه إلا ما يريد، المتكبر الذي ليس لملكه زوال، الملك الذي بيده الملك والإحسان والرحمة والغفران، الكبير الذي له الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود/١٢٣].

هو الكبير المتكبر، الذي تكبر عن ظلم الخلق، المتكبر الذي انفرد بالكبرياء والملك والملكوت، والعظمة والجبروت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/٨].

فسبحان الكبير المتكبر المتعال عن صفات الخلق، الذي تكبر عن كل نقص، وترفع عن كل عيب، وتنزه عن كل ما لا يليق بجلاله، فهو سبحانه العظيم الكبير المتكبر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر/٢٣].

واعلم أن الكبرياء لله ﷻ أكمل من العظمة؛ لأنه يتضمنها ويزيد عليها بالمعنى كما مر معنا، فالكبرياء رداؤه جل جلاله، والعظمة إزاره، والرداء أكبر من الإزار.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبَتَهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

والله جل جلاله هو الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض، وله الحمد والمجد والثناء من جميع الوجوه، له الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، فله الحمد والشكر وله العزة والمجد، فذكره وكبره تكبيراً، فهو أهل أن يحمد، وأهل أن يكبر وأهل أن يعظم: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم] [الجاثية: ٣٦-٣٧].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

فسبحان الرب الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي من كبريائه وعظمته أن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، ذلكم الله ربكم: ﴿عَلِمُوا الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد/ ٩].

ومن كبريائه أن عرشه العظيم وسع ملكه الكبير .

ومن كبريائه أن كرسيه وسع السموات والأرض، ومن كبريائه أن نواصي جميع الخلق بيده: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

ومن كبريائه وعظمته أن العبادات الصادرة من أهل السموات والأرض، المقصود منها تكبيره وتعظيمه ، وإجلاله ، وتقديسه، وتحميده، وتسييحه .

ولهذا كان شعار العبادات الكبار الله أكبر؛ كالأذان ، والإقامة ، والصلاة ، والحج وغيرها: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

هو سبحانه الكبير جل جلاله، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز، ومن كان في معية الكبير فهو كبير، ومن كان في معية الملك فهو ملك .

والملك من الناس هو من ملك جوارحه وأوقاته، وسخرها في طاعة الله ، واجتناب معصيته جل جلاله .

والملك هو من غلب الروح على النفس، فأشغل هذا البدن بطاعة الله ﷻ ، وكمل محبوبات ربه في الدنيا، والله ﷻ يكمل له محبوباته يوم القيامة : ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُخْلِصُونَ الرَّكَّعُونَ السَّجِدُونَ الْأُمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

[التوبة: ١١٢] .

فقيمة الإنسان بصفاته لا بذاته، قيمة الإنسان عند الله بإيمانه وإسلامه وتوحيده وتقواه فهذا الإنسان عند الله ﷻ عظيم، عند الله ﷻ كبير، والله ﷻ هو الكبير الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله ملك السموات والأرض، وله خزائن السموات

والأرض، وله غيب السموات والأرض: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزَلَّجْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

فالله ﷻ هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء، الله ﷻ هو الكبير بذاته، الكبير بأسمائه وصفاته وأفعاله، وآياته ومخلوقاته: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ [الحديد: ٣].

وهو العلي الكبير، علي في كبريائه، وكبير في علوه جل جلاله، هو الكبير المتعال، ودينه كبير، ومملكه كبير، ودين الله ﷻ هو الدين الواحد الذي لا دين سواه، فمن أخذ به أفلح، ومن أعرض عنه خسر: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٩]. ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ٨٥].

فمن أراد أن يكون عاليًا كبيراً فليتصل بالعلي الأعلى؛ ليعلو بإيمانه وتقواه وأخلاقه وأقواله وأعماله، لما يحبه الله ﷻ.

فالله ﷻ هو الكبير والأكبر، والمتكبر، فمن رفض الإيمان بالله، وأعرض عن دينه، فهو أسفه الخلق: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠].

والعاقل حقاً، والعارف حقاً، من عرف الكبير فاتصل به، وعمل بأوامره، وأعرض عما سواه، لأن كل ما سواه صغير، ومن عرف الغني لم يقف بباب الفقير، بل يسأل الغني الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، وهو على كل شيء قدير: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

لكن من أطاع المخلوق، وعصى الخالق، فهل قال الله أكبر حقاً؟ نحن نقول: الله أكبر في الأذان، في الإقامة، وفي ركعات الصلاة، عند الركوع عند السجود، نقول: الله أكبر، فمن أطاع المخلوق، وعصى الخالق، فما قال الله أكبر، حقيقةً، ما قال: الله أكبر بقلبه

ولو قالها بلسانه ألف مرة، فهذه لا تغنيه، من أطاع الصغير، وترك طاعة الكبير، وأطاع المخلوق، وعصى الخالق فما قال: الله أكبر بقلبه ولا مرة، ولو قالها بلسانه ألف مرة.

من كذب على الله ورسوله ودينه والمؤمنين فما قال الله أكبر ولا مرة، ولو قالها بلسانه ألف مرة، من أعرض عن ذكر الله ورضي بشرع غير شرع الله فما قال: الله أكبر ولا مرة، وإن قالها بلسانه ألف مرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف: ٢-٣].

من حلل الحرام، وحرّم الحلال، وغشي الكبائر والفواحش فما قال الله أكبر بقلبه ولا مرة، وإن قالها بلسانه ألف مرة، لأن قبول الأعمال مداره على النية: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة/٢٧].

فالتقوى عمل القلب، كالحب في الله، والبغض في الله، وتعظيم الله، والخشوع له، والانكسار بين يديه، والافتقار بين يديه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

من حكم بغير ما أنزل الله فما قال بقلبه الله أكبر ولا مرة وإن قالها بلسانه ألف مرة: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة/٤٤]. من قال في الصلاة: الله أكبر، وخرج من الصلاة وعصى الله، فأكل الربا، وسمع الغناء، وأكل الحرام، وفعل الكبائر، فما قال الله أكبر ولا مرة، وإن قالها في الصلاة مرات عديدة، فلا بد أن يطابق عمل الإنسان قلب الإنسان داخل الصلاة وخارج الصلاة.

والله ﷻ هو الكبير جل جلاله وحده لا شريك له، هو الكبير في وجوده لم يسبقه عدم، ولا يلحقه زوال، وكل ما سواه من الموجودات سبقه عدم، ويلحقه زوال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الفصص: ٨٨].

هو بديع السموات والأرض، الكبير الذي خلق السموات والأرض وأوجدها على غير مثال سابق، ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَنۢىۡ يَكُوۡنُ لَهُۥ وَلَدٌ وَّلَمْ تَكُنۡ لَّهٗۤ صٰحِبَةً وَّخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ ۭ

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].

فالله ﷻ هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، فلا بد للعبد أن يعرف الكبير، ليكبره حقاً، وينظر ويتدبر في ملكوت السموات والأرض؛ فيرى المخلوقات العظيمة، وهذه المخلوقات والأجرام الكبيرة .

فالسموات شيء، والقمر شيء، والشمس شيء، والعرش شيء، والكرسي شيء، والفضاء شيء، والله خالق كل شيء ، والأرض شيء، والجبال شيء ، والبحار شيء ، والنباتات شيء ، والحيوان شيء ، والله ﷻ خالق كل شيء : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ولذلك نقول: الله أكبر، ولا نقول: من كذا أو كذا؛ لأن الله لا يقاس بمخلوقاته : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١].

• ففي الكون اثنان:

كبير .. وصغير .

فالكبير هو الله وحده لا شريك له، وكل ما سواه من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في المخلوقات كله صغير .

وكل هذه المخلوقات خلقها الله لتسبح بحمده ، وتشهد بوحدانيته ، وتخضع لأمره ، وتستجيب لمشيئته، وتسرع إلى إرادته : ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ اِنَّهُ كَانَ حَكِيْمًا غَفُوْرًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

فالمطلوب من القلب أن يعرف ربه الكبير ، وإذا عرفنا الكبير تركنا الصغير، فعلاقتنا بالصغير إن كان بشر مثلنا أن ندعوه إلى الكبير؛ ليتصل بالكبير ، ويعبد الكبير ، ويأخذ من خزائن الكبير، ويأخذ من خزائن الغني، ويستفيد من قدرته : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ اِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

وكمال الإنسان أن يكمل نفسه ويكمل غيره، كالثلج بارد بنفسه ، مبرد لغيره، كمال الإنسان أن يكون صالحاً ومصلحاً لغيره، كمال الإنسان أن يكون عالماً معلماً لغيره، كمال الإنسان أن يأخذ من ربه ويحسن إلى خلقه، كمال الإنسان أن يحب لغيره كما يحب لنفسه،

كمال الإنسان أن يكون ذاكراً مذكراً لغيره، كمال الإنسان أن يكون مؤمناً يصل الناس بالمؤمن ، ويدعوهم إلى المؤمن : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١-٣].

هذا هو الكبير من العبيد في أقواله وأعماله وأخلاقه، وهذا في أعلى درجات الكمال، وفي أعلى درجات الكمال الأنبياء والرسل ، ثم أتباعهم من المؤمنين : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠ ﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

وحتى يجبك الله كن كبيراً في كل ذلك، في نيتي أكون كبيراً، نيتي إصلاح نفسي ، وأهلي ، وعشيرتي ، وقومي ، وبلدي ، وما حول بلدي والناس ، والعالم كله .  
والله سبحانه يعطي الأجر الكبير على قدر هذه النية الكبيرة، إذا نويت وبدأت بالعمل : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧ ﴾ [الحج: ٧٧].

يجب علينا أن نعرف الله الكبير، ونتجاوز هذا الملك العظيم إلى ربه الملك العظيم، نتجاوز هذه المخلوقات العظيمة الكبيرة إلى الكبير إلى العظيم؛ فتتعرف على أسمائه وصفاته، ونعبده بما جاء عن رسوله ﷺ : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۝١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

والإنسان لله خلقاً وعلماً وعملاً؛ فلا يليق بالإنسان أبداً أن يعبد غير الله من الصغار سواءً كان مثله من الناس ، أو أكبر منه كالشمس والقمر، أو دونه كالأحجار والأصنام، لأن كل ما سوى الله عبيد مخلوق ليس بأيديهم شيء : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٠٣ ﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

والعبادة هي الطاعة، فمن أطاع غير الله في معصية الله فهو عبد له .  
فلا يليق أبداً بالإنسان الذي خلقه الله لعبادته أن يكون عبداً لغير الله : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ

مُيِّنٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فإن أعرض عن ربه إلى غيره حق عليه العذاب : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

فالحمد لله أن عرفنا باسمه الكبير، باسمه العظيم، باسمه الملك، حتى نتعرف عليه ، ونتصل به ، ونتعلق به، ولا نتعلق بما دونه .

الله جل جلاله هو الكبير في ذاته، الكبير في أسماؤه، له الأسماء الحسنى، الكبير في صفاته، له الصفات العلا، الكبير في أفعاله، هو الكبير المتكبر عن صفات النقص والعيب والظلم والنوم، هو الكبير المتكبر عن المثل والشبيه والنظير: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو الكبير المتكبر بذاته، لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

هو المتكبر عن صفات الكمال في الخلق فالله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

فهو المتكبر عن علم الخلق، وقوة الخلق وقدرة الخلق وكرم الخلق .

فهو الكبير المتكبر عن صفات النقص من العيب، والمتكبر عن المثل والشبيه من الخلق ، والمتكبر عن صفات الكمال في الخلق، لأن صفات الكمال في الخلق موهوبة، وصفات الله أزلية .

أما صفات الخلق فهي موهوبة وهي من خزائن الله، فالله كريماً هو الذي جعل هذا كريماً، وهذا عالماً ، وهذا قوياً وهذا سميعاً وهذا بصيراً، والموهوب قد يُسلب، والمسلوب والموهوب سوف ينتهي، ينتهي بماذا؟ بالموت؛ لكن الكبير المتكبر هو الله وحده لا شريك له، الذي له الكبرياء في السموات والأرض؛ لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر/ ٢٣].

أما العبد فلا يليق به الكبر والتكبر، لأنه فقيرٌ ضعيفٌ عاجزٌ محتاج، وهو قبل هذا كله كان معدومًا فأوجده الله، ومملوكًا لله ﷻ، وجاهلاً فعلمه الله، وفقيرًا فأغناه الله، وضالًا فهداه الله ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۗ ﴾ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ [الضحى: ٦-١١].

فالله ﷻ هو الكبير الأكبر المتكبر، فيجب أن نتعرف على أسماء الله، ونعرف كبرياء الله وعظمته وجلاله وجماله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا أَن اللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللّٰهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].  
وأسماءه الحسنى وصفاته العلا، لا تحيط بها العقول، ولا تتصورها الأفهام، ولا تدركها الأبصار والأفكار، فالله أكبر وأعظم من ذلك كله: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ﴿٧٤﴾ [الحج/ ٧٤].

فأسماء الله لا بداية لها ولا نهاية؛ كذلك يجب أن نعرف أن معرفة الله بحر لا نهاية له، ومعرفة الإنسان عن ربه بل معرفة البشرية كلها لا تساوي بلل محيط غمس في البحر، والله ﷻ عظيم بذاته وأسمائه وصفاته، كبير بذاته وأسمائه وصفاته: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ﴿٢﴾ [آل عمران/ ٢].

حي بصفات الكمال، صفة السمع، صفة البصر، صفة الكرم، صفة الغنى، صفة القوة، صفة العلم، صفة الإحاطة، صفة الرحمة، صفة الكبرياء، صفة العزة: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

سبحانه لا إله إلا هو العلي الكبير، لا نهاية لعظمته وقوته وعلمه، ولا نهاية لجلاله وجماله، ولا نهاية للملكه وسلطانه؛ لأنه عظيم بذاته وأسمائه وصفاته: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ﴿٨﴾ [طه: ٨].

أما المخلوق فهو موهوب، موهوب من الله إيجابًا، وموهوب من الله صفاتًا، فمن أقبل على الله، رزقه من أسمائه الحسنى ما يكتسب به الشكر والحمد من ربه جل جلاله، فالله ﷻ يحمد الإنسان الذي يؤمن به ويطيعه ويعبده ويكرمه في الدنيا ويكرمه في الآخرة، الله

عَلَيْكَ لا بداية ولا نهاية لذاته وأسمائه وصفاته؛ لأن الله ليس كمثله شيء، أما المخلوق فليحياته بداية ونهاية، ولرزقه بداية ونهاية، ولعلمه بداية ونهاية: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان: ١-٢].

فالله عَزَّ وَجَلَّ وحده وهو الكبير المتكبر، لماذا؟ لأنه عليم بكل شيء، محيط بكل شيء، قادر على كل شيء، عنده خزائن كل شيء، قاهر لكل شيء، خالق كل شيء جل جلاله. فإذا تكبر جل جلاله، فلائنه يعلم أنه وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، ويعلم أنه الكبير وحده لا شريك له، وأنه العظيم وحده، وأنه الخالق وحده، وأنه الرحمن وحده، وأنه العزيز وحده، ولهذا يمجد نفسه في القرآن، حتى نعلم العظيم والكبير فنعظمه ونكبره، ونعرف الكريم ونعرف الغني فنحبه ونتقرب إليه؛ لأنه وحده منه الفضل والإحسان والإنعام: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٤﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هو الكبير الذي تنزه عن الشريك والمثيل، وتنزه عن صفات العيب والنقص، وتنزه عن الحاجة إلى الخلق، فالخلق إنما يجتهدون ويعبدون ويوحدون لمصلحة أنفسهم: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت: ٦]. فهو جل جلاله إذا تكبر ووصف نفسه بالكبرياء؛ فلائنه يعلم أنه وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى، ويعلم أنه الكبير وحده لا شريك له، وأنه العظيم وحده، وأنه الخالق وحده، وأنه الخبير وحده، وأنه الرزاق وحده: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥].

هو الخالق الذي أوجد الشيء من العدم، وهو الباري الذي أوجد المخلوق الذي خلقه لمهمة، فخلق الشمس للإنارة، والأرض للإنبات، واللسان للكلام والذكر والحمد والدعوة والأذن للسمع، هو الخالق الذي أوجد من عدم، الباري الذي خلق المخلوق لمهمة، المصور الذي صور كل مخلوق على هيئة معينة، فهذا جبل، وهذا شجر، وهذا إنسان، وهذا حيوان: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

هذه الأسماء العظيمة لا بد أن نعرفها؛ لأن الله هو الخالق وحده جل جلاله، الذي أوجد المخلوقات كلها من عدم، مليارات المخلوقات تخلق في كل ثانية، من عالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الذرات، خلائق لا يحصيها إلا الله، من يخلقها؟ .

يخلقها الخلاق العليم الكبير بذاته وأسمائه وصفاته، يخلقها الغني القادر، يخلقها الذي بيده مقاليد السموات والأرض، يخلقها من له الخلق والأمر، يخلقها الذي يقول للشيء كن فيكون: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [١٠] هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرْوِيَ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان: ١٠-١١].  
 فبكلمة واحدة الله ﷻ خلق الكون، قال للسماء كوني فكانت، وقال للنار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم فكانت، وقال لبني إسرائيل الذين عصوه كونوا قردهً خاسئين فكانوا، كذلك قال للسموات والأرض: ﴿أَتَتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت/ ١١].

فهو جل جلاله عظيم كبير في كلامه، كبير في أسمائه وصفاته، كبير في خزائنه .  
 لا بد أن يعرف القلب الكبير ذو الجلال والإكرام، ذو العزة والجبروت الذي له الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].  
 إذا عرف ذلك زهد فيما دونه، وتعلق بالكبير الواحد الأحد جل جلاله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

هو جل جلاله له الأسماء الحسنى، وخلق كل حسن، خلق أحسن الزهور، وأحسن

الثمار، وأحسن النجوم، وأحسن الخلائق، وأحسن المعادن، فهو الذي خلق كل شيء، وأحسن خلقه جل جلاله، فلا يخلق إلا كل حسن، ولا يأمر إلا بكل حسن، من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

فمن جاء بالحسن وامتلأ الأمر الحسن من الله ﷻ، وقال القول الحسن: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

فأعظم جنة في الدنيا هي جنة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، فمن أشغل بصره وسمعه وجوارحه في الدنيا بطاعة الله، يوم القيامة الله ﷻ يفتح لهذه العين أن تراه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ومن استمع القول الحسن واتبع أحسنه في الدنيا أسمع الله ﷻ ما يحب ويرضى يوم القيامة فيسمع كلام الله ﷻ: ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس/ ٥٨].  
ويسمع تسليم الملائكة عليه في الجنة: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

ويسمع تسليم المؤمنين عليه في الجنة، ويسلم على الملائكة، ويسمع كل شيء حسن. وهذا الإنسان إذا كبر الله وحمد الله بلسانه فهو في الدنيا كان ذاكرًا لربه، حامدًا له، داعيًا إليه، معلمًا لشرعه، محسنًا إلى خلقه، قائمًا بالعبادات القولية، فهذا اللسان يوم القيامة يمجد الله، ويعظم الله ﷻ، ويحمد الله فأهل الجنة يلهمون التسبيح، والتقديس، والتكبير والتحميد لربنا ﷻ: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

فالمؤمن في الدنيا ممثل لـ لا إله إلا الله، ويوم القيامة قائم بلا إله إلا الله، يعطى ما شاء، ويطلب ما شاء، يوسع له في القصور، فيسكن القصور الملكية؛ لأنه في الدنيا عاش ملكيًا، ملك جوارحه، وملك أوقاته، وملك شهواته، ففي يوم القيامة ينقله الله من هذا الملك إلى ملك عظيم أبدي: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعْمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [٢٠] عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسْوَرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [١١] إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٠-٢٢].

فمن قيد نفسه بطاعة الله في الدنيا أطلق الله جوارحه يوم القيامة، في النعيم المقيم، ونظر إلى الملك العظيم؛ لأنه كبير، ولأنه ملك جوارحه فيوم القيامة يكون بقرب الملك: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

فالفقه حقاً هو معرفة الله، ثم معرفة دينه وشرعه، ثم التبعيد لله بموجب ذلك، فعلاً للأوامر واجتناباً للنواهي، وقلبي مملوء بحب ربنا ﷺ، وبتعظيمه، وبالذل له، أعبدته بقلبي وقالبي، وبدني وروحي، القلب راعع وساجد لربه، خاضع لأمره، والبدن خاشع وخاضع بجوارحه لربه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩١﴾﴾ [الزمر/ ٩].

فسبحان الكبير المتعال، سبحان الكبير الأكبر المتكبر، لا إله إلا هو، الكبير الذي لا نهاية لعظمته وقوته وعلمه جل جلاله .

والكبرياء صفة كمال الله، لكنها بالنسبة للإنسان صفة نقص، فسبحان العزيز الجبار المتكبر، ورحم الله امرءاً عرف نفسه فوق عند حده: ﴿كَلَّا ۗ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [المعارج/ ٣٩].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق: ٥-٨].

فهذا الإنسان ذرة من مخلوقات ربه الكبير، خلقه الله بيده، وغمره بنعمه، وأكرمه بدينه. فعلى هذا العبد أن يطيع الملك، وعلى هذا الضعيف أن يطيع القوي، وعلى هذا الصغير أن يطيع الكبير .

فبالصفات التي يجبها الله يترقى الإنسان، ويتقرب إلى ربه بما دعاه إليه من أسمائه الحسنی: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۚ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والله ﷻ هو الكبير وحده لا شريك له، والنفوس البشرية مجبولة على حب الكريم، ومفطورة على تعظيم الكبير، النفوس تتعلق بالكبير خوفاً، وبالكريم محبةً ورجبةً، والتعلق بالعظيم الذي كمل في جلاله وجماله عزة، وليس ذلك لأحد إلا لله العلي الكبير، فلا أكبر ولا أعظم من الله، ولا أحد أكرم من الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

فلا يظن الناس أن الله يحتاج إلى عباده، وأن عبادتهم تزيد عزة، أو تزيده كبرياء، أو تزيده قوة، بل هو القوي الذي عنده خزائن القوة والذي وهب القوة لكل قوي .  
هو الرحمن الذي عنده خزائن الرحمة والذي وهب الرحمة لكل راحم.

فالله خلق مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة يتراحم بها الخلق، فإذا كان يوم القيامة لكمال  
رحمته تعاد هذه الرحمة إلى تسعة وتسعين رحمة وتكون مائة رحمة يرحم به الرحمن الرحيم  
خلقه يوم القيامة، فهو واسع الرحمة، واسع المغفرة، واسع العلم : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ  
كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿٧﴾  
[غافر: ٧].

وإذا عرفنا ذلك جاءت في قلوبنا عظمة الله وجلاله، وجاء في قلوبنا حبه وتعظيمه؛ لأنه  
هو الكبير وحده، وهو الكريم وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
فَاذْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وإذا أكثرنا من ذكره عرفنا جلاله وجماله وإذا عرفناه أحببناه ، وإذا أحببناه عبدناه  
وأطعناه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

## التعبد لله ﷻ باسمه الكبير .. المتكبر

حظ العبد من هذا الاسم الكريم، أن يجالس من هو كبير في علمه، كبير في حكمته، كبير في أقواله وأعماله وأخلاقه .

فحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يجالس ، العلماء بالله وأسمائه وصفاته ، ودينه وشرعه، ويصاحب الحكماء الذين عندهم الحكمة: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

والحكمة وضع الشيء في موضعه بحيث تغلب منفعته على مضرته .

الحكمة: وضع الشيء في موضعه، وعبادة الله هي أعظم حكمة، لأننا وجهنا العبادة لمن يستحق العبادة، كبرنا الكبير، وعظمنا العظيم، وسألنا الكريم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأأنعام: ١٠٢].

فحظ العبد من اسم الله الكبير هو أن يجالس العلماء، ويصاحب الحكماء، ويخالط الكبراء في دينهم وعلمهم ، وأخلاقهم وتقواهم ، ليستفيد منهم؛ ليكون كبيراً في أقواله، كبيراً في أعماله ، في أخلاقه، في إحسانه: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتَّابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

هذا اللسان صغير بماذا تكبره؟ تكبره بالتكبير، بالتسبيح، بالتحميد لربنا ﷻ، تكبره بالدعوة إلى الكبير المتعال، تكبره بتعليم شرع الكبير جل جلاله، تكبره بتوجيه الناس إلى الكبير جل جلاله، حتى لا تشغلهم الشهوات، ولا يشغلهم الصغار عن ربهم الكبير المتكبر جل جلاله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٤٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [٤٣] [الأحزاب: ٤١-٤٣].

فأجلس في البيئة الإيمانية، وأجلس مع العلماء وأختلط بالكبراء في دينهم لأستفيد أقوالاً وأعمالاً وأخلاقاً وفق شرع الله، كم استفاد الصحابة من النبي ﷺ؟! وكم استفادت الأمم من أنبيائهم؟ فأنا كذلك: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [٢٨] [الكهف/ ٢٨].

فالعاقل يكثر من صحبة من هو أكبر منه، ليستفيد من علمه تارة، ومن أدبه تارة، ومن حكمته تارة، ومن عبادته تارة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

والإنسان في الحياة لا بد أن يتوجه إلى شاهد، إلى مقصد، إلى هدف ، حتى يقصده ثم يصل إليه، أذهب إلى مكة، أو أذهب إلى الكويت، أو أذهب إلى لندن، أذهب إلى أي جهة؟ لا بد من توحيد الجهة، فأنا جهتي: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

فاتوجه إلى الله بقلبي وقلبي، وأمثل أمره ، وأجتنب نهيه ، وأفعل ما يجب، وأجتنب ما يسخط ربي ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٢﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

واعلم أن الكبير من الناس هو من عرف ربه الكبير حق المعرفة، وعرف أحكامه الشرعية، وعبد ربه ، وانقاد بموجب ذلك إلى ربه ﷻ في كل حال ، هذا هو الكبير من الناس، فلا تراه إلا بين يدي ربه ذاكرًا أو قائمًا ، وراكعًا وساجدًا؛ وبين يدي خلقه داعيًا ومعلمًا ومحسنًا: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧].

لا يستكبرون عن عبادة الله، ولا يستكبرون عن الإيمان بالله؛ لأنهم عرفوا الله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .

فهم بين عبادة الخالق ، والإحسان إلى المخلوق ، ينفقون من الماعون ، ولا يمنعون الماعون، اللسان ماعون، أنفق من هذا الماعون بالدعوة بتعليم شرع الله، بذكر الله .  
اليد ماعون الإنفاق ، فأنفق في سبيل الله أنفق على الفقراء والمساكين .  
العين ماعون أنظر بها في ملكوت السموات والأرض، أنظر بها الآيات القرآنية .  
الأذن ماعون لا أسمع هذا الماعون، بل أسمع به كلام الله ﷻ وكلام النبي ﷺ، فأنا أسمع

وأسمع، وأكبر وأمر الناس بأن يكبروا الله ﷻ، فهو لاء الذين مما رزقناهم ينفقون: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

دخول الجنة برحمة الله، واقتسامها بحسب الأعمال؛ لأن أعمال البشر لا تساوي شيئاً، لأنها من فضل الله عليهم، فليس لهم حق في الجنة، لكن الله الكريم نحن عبده ومماليكه فيجب علينا أن نطيعه، فإذا أعطانا الجنة، وأعطانا النعيم المقيم في الجنة، فهذا فضل منه؛ لأنه كريم يجب أن يعطي، والعطاء أحب إليه من المنع: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

فتتصف بهذا الاسم الكبير على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فأسعد الناس من يسعى إلى تكميل نفسه بالإيمان والتقوى، ويكمل غيره بالإيمان والتقوى، فالمسلم الأرض دكانه، والناس زبائنه، ودين الله سلعته، فهو يجتهد على القلوب بلا إله إلا الله، ويجتهد على الأبدان بمحمد رسول الله، أقوالاً وأعمالاً وأخلاقاً: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

كم عدد البشرية الآن؟ ما يزيد على سبعة آلاف مليون، هؤلاء يجب أن نتفكر لكل واحد، كيف تدخل لا إله إلا الله في قلوبهم؟ وكيف تزين أجسادهم بمحمد رسول الله؟ ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٠٤] وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

فهذا جهدنا تزين أجساد البشرية بصبغة الله، وتزين قلوبها بالإيمان بالله، لا بد من الجهد على الحديد حتى تخرج منه هذه المصنوعات، وجهد على التراب حتى تخرج منه هذه المنافع، كذلك البشر معادن لا بد من الجهد عليهم حتى يخرج منهم منتج جديد اسمه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَلِشِينَ وَالْخَلِشَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ

وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[الأحزاب: ٣٥].

ويخرج منهم: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَّحِبُونَ الرَّكْعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ وَالشَّاهِدُونَ عَلَى الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

هذا هو الجهد على البشر، فالكبير في نفسه، الكبير من الناس، من هو؟ .

هو من قام بعمل الأنبياء من الدعوة إلى الله، وعبادة الله، وتعلم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

والأعمال على قدر النيات، والأجور الكبيرة بحسب النيات الكبيرة، والأعمال الكبيرة لكن أنوي وأبدأ، فالإنسان الكامل من كان كاملاً في نفسه مكماً لغيره، كامل في نفسه بالإيمان والتقوى على حسب طاقته، مكماً لغيره بالإيمان والتقوى، عالم في نفسه، معلم لغيره، فمن سرى علمه وخلقه وإحسانه إلى الناس، فهو الكبير من الخلق، الرابح من البشر: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر/ ١-٣].

فباب الأرباح واحد هو باب الإيمان والتقوى، أما أبواب الخسارة فكثيرة، أبواب الكفر والشرك، والنفاق والرياء، وأبواب الكبائر والمحرمات: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّأَنَتْ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فحِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

فإذا خسر الإنسان دينه فذلك هو الخسران المين، الذي ليس بعده خسارة، فالرابع حقاً من كان له جهد على نفسه بالإيمان والتقوى، وجهد على غيره بالإيمان والتقوى، هذا هو باب الأرباح الوحيد: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالله ﷻ هو الكبير المتعال، وصف نفسه جل جلاله بما هو عليه من الجلال والجمال ، وبما هو أهله من التوحيد والعبادة: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحِيبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [ الأنعام: ١٠١-١٠٣ ] .

فهو الذي بين أنه الذي يستحق العبادة، لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلاء ، أكرمنا بالخلق والإيجاد والتصوير ، وأكرمنا بالنعم التي لا تعد ولا تحصى ، وأكرمنا بعباء الألوهية، بهذا الدين الذي يصلنا بربنا ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [ المائدة/ ٣ ] .

السميع لأقوال الخلق، أَعْلِيمٌ بما في الضمائر والقلوب، فالإنسان الذي خُلق في الظلمات ، وأخرج من الظلمات ، وأخرجه ربه من ظلمات الجاهلية، عليه أن يحمد الله على نعمة الهداية : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [ البقرة: ٢٥٧ ] .

والجاهلية كلها ظلمات، ولا نور إلا في الإسلام : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [ الأنعام/ ١٢٢ ] .

فالله ﷻ هو الكبير ، لا بد أن أعرف الكبير، أعرف الكبير لأكبره، وأمجده .

ومقصود جميع العبادات أن نكبر الله، وإذا عرفنا الكبير توجهنا إليه بحوائجنا، وصارت ذلتنا له عزة، ولهذا أمرنا الله بالإكثار من ذكره فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [ الأحزاب: ٤١-٤٣ ] .

فنحن أدلة بدون الدين، نحن ضعاف فقراء ليس بأيدينا شيء، وعزتنا باتصالنا بالعزیز، وقوتنا باتصالنا بالقوي جل جلاله، فمن أراد أن يكون كبيراً في أقواله وأعماله وأخلاقه، فليتصل بالكبير، ولينتهي أمره إلى كبير، تعبداً ودعوةً ، وتعلماً وإحساناً :

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢] .

الله جل جلاله وحده هو العلي الكبير، والكبير من الخلق غالباً يستكبر على الناس، فهو فظ وغلظ وجاف، ومسيء، ومستكبر، لكن الله ﷻ هو العلي الكبير الذي له صفات الجلال والجمال، رحمن رحيم، لطيف بعباده، ملك فرحم، وحكم فعدل، وقدر فقهر، وسئل فأعطى، وخلق فسوى، ورزق الخلائق، وفرج الكرب، وغاث من استغاث، وجبر من انكسر، وشفى من مرض، وأغنى من افتقر .

هو ملك كبير عظيم، لكنه لطيف رحمن، وعفو، وحليم: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣] .

الله يبين لنا صفات جلاله، وصفات جماله، أنه هو الكبير، هو الملك، لكن كبريائه وعظمته وجلاله فيها الرحمة، فيها اللطف، هو الكبير الذي رحم العباد، رزق العباد، وأنعم على من أطاعه وعلى من عصاه من خلقه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

فالله ﷻ هو الحق الذي أنزل الحق، ودعا إلى الحق، وأمرنا بالحق، عبادة ودعوة: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَبَّ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج/٦٢] .

الله ﷻ كريم خلقنا في أحسن تقويم، وأمدنا بالأقوات، وما أكرم به خلقه من هذا الدين فهو من إحسانه إليهم، ونعمة أنعم الله بها عليهم، فيجب عليهم شكرها، والقيام بحقها: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [٣] . [المائدة: ٣] .

الله ﷻ منه نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد ونعمة الهداية، نعمة هذا الدين الكامل .  
فله الحمد أن اختارني من بين ملايين الخلق، وجعلني مسلماً، جعلني مؤمناً، جعلني صائماً، جعلني صادقاً، جعلني صابراً: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن

قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

فبموجب هذه المعارف حقت على الخلق عبادة الحق جل جلاله، والإحسان إلى الخلق؛ لأن الدين ركنان:

عبادة الحق.. والإحسان إلى الخلق: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

والإحسان للخلق عبادة من العبادات؛ لأنها امتثال لأمر الله ﷻ، فحقت على الخلق بهذه المعرفة حسن عبادته بالقلوب والجوارح، مادام انكشف الأمر، وتبين لنا من يستحق العبادة، ورأينا فضله وإنعامه، هنا حقت علينا عبادته؛ لأننا نحن محتاجون إليه جل جلاله في كل شيء، في بقائنا ووجودنا، وطعامنا وشرابنا، وسائر أحوالنا: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

فنحن نعبده جل جلاله، بالقلوب والجوارح وحده لا شريك له، وعلينا عبادته وطاعته، تعظيماً لشأنه، وشكراً له على إحسانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

بعد أن عرفتم الربوبية، فيجب أن تؤدوا لله حق العبودية، ولهذا من أراد أن يعبد الله حقاً؛ فلينظر إلى عزة الربوبية، وينظر إلى ذلة البشرية، ذلة البشرية وما هم عليه من الضعف والعجز والفقر والحاجة، ومن هذا وهذا ينشأ في القلب تعظيم الرب، وحب الرب: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فمن أراد أن يتعبد لله حقاً، ويجد طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان؛ وحقيقة الإيمان فليعلم أنه حين يريد أن يصلي، ويذكر الله، أو يسمع العلم، أو يعلم العلم، أو يدعو إلى الله، أو يقوم بأي عمل صالح، عليه أن يشعر ويستحضر عظمة ربه ﷻ، ويتيقن أن الله موجود،

وأنه قريب مني، وأنه سميع لأقوالي، بصير بأحوالي، وأنه قادر على قضاء حاجتي، وأنه يجب أن يقضي حاجتي، لأنه أرحم بالعبد من نفسه؛ لأنه أرحم الراحمين، وخزائن رحمته وسعت كل شيء، وهو أعلم بعباده من أنفسهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

فإذا جاء اليقين جاءت النصرة فوراً، وجاءت إجابة السؤال فوراً.

ما هو مقصود سؤال العظيم، سؤال الكبير جل جلاله؟ المقصود من سؤال ربنا ﷻ هو إظهار الافتقار والانكسار والخضوع والخشوع لله ﷻ، أما إجابة السؤال فالكريم من الخلق إذا سُئِلَ أعطى، وإذا عاهد وفي، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى، أما الله ﷻ فقد وعد بأنه سوف يستجيب، لكن كيفية الإجابة إليه؛ لأنه أعلم بمصالح عباده: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).

مقصود السؤال إظهار الافتقار للواحد الأحد، لماذا الابتلاء بالفقر والمرض والهمل والحزن؟ الابتلاء ليظهر العبد الافتقار إلى الله، فإذا علم الله من القلب صدق الافتقار؛ جاءت النصرة فوراً: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٨٤) [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

وإبراهيم ﷺ لما ألقى في النار توجه إلى ربه باليقين، أنه قريب، وأنه يسمعه، وأنه أرحم به من نفسه، أنجاه ربه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦١) [الأنبياء: ٦٩]. إبراهيم ﷺ لما ضحى بنفسه، لما ضحى بحياته وهب الله له الحياة، لما ضحى بالحياة، الله وهب له الحياة فوراً، ولما ضحى بالبلد الله أعطاه أحسن بلد مكة، ولما ضحى بالولد إسماعيل وأراد ذبحه، الله أنجى الولد، وأخرج من صلبه أفضل ولد وهو محمد ﷺ الذي كان من نسل إسماعيل.

ولما ضحى بزوجه وتركها بواد غير ذي زرع؛ جعلها الله أمماً للعرب، وجعل الله خطواتها عبادة لا يصح نسك الحج والعمرة إلا بالسعي بين الصفا والمروة، ويونس ﷺ

حين القي في البحر نادى ربه فأجابه : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٧] فَاَسْتَجَبْنَا لَهُ، وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

الله ﷻ قريب مجيب، وحكمة السؤال إظهار الافتقار، فإذا كان لسان العبد يسأل، واليقين على الأدوية، اليقين على مال فلان، اليقين على الوظيفة، فهذا لا يستجاب دعاؤه، إظهار الافتقار عند سؤال الله فوراً يأتي بعده الشفاء والغنى والأمن وما طلبه الإنسان، هذا هو التعبد الحق : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَابِ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ ﴾ [٩٠] [الأنبياء: ٩٠].

عبادة الله ﷻ رحمة لنا، فضل من الله علينا، وأحسن شيء عبادة الله وحده .

حسن التعبد لله بالقلوب والجوارح وحده لا شريك له هو أحسن شيء، وما سوى ذلك هو أقبح شيء، فالتوحيد هو أعدل العدل، والشرك هو أظلم الظلم، وأحسن الحسن هو التوحيد، وأقبح القبيح هو الشرك : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

فنعبد الله بالقلوب والجوارح تعظيماً لشأنه، ونقول: الله أكبر في الأذان في الإقامة في الصلاة، في الأذكار بعد الصلاة، وهكذا تعظيماً لشأنه، وشكراً على إحسانه، وحق على العباد إشغال قلوبهم بحبه وتعظيمه وتكبيره، وتفريغها من كل ماسواه، وملئها بما يحبه ويرضاه، وإشغال ألسنتهم بذكره وتكبيره، وحمده وشكره؛ وتحريك جوارحهم بأنواع عبادته لأن من ذاق عرف، ومن عرف عرف : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣٠] [الروم: ٣٠].

إذا عرفت الله توجهت إليه، وإذا عرفت الرسول ﷺ اتبعته، إذا عرفت الشيطان ابتعدت عنه، إذا عرفت القرآن امتثلت أوامره، إذا عرفت الحلال أخذته، وإذا عرفت الحرام اجتنبت، إذا عرفت الطيبات أخذتها، وإذا عرفت الخبائث اجتنبتها وهكذا : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].

من هؤلاء العقلاء؟ هم الكبراء في البشرية، هم المؤمنون : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا

ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

فذلك الإيمان، وتلك التقوى، أوجبت لهم القرب من ربهم، لقربهم من صفاته، هذا الإيمان، وهذا التوحيد، وهذه التقوى، أوجبت لنا القرب من الله؛ لقربنا من صفاته، فهو كريم يحب الكريم، وهو عفو يحب العافين، ويجب المحسنين، ويجب الصابرين، ويجب المتقين، ويجب المؤمنين، فنحن نقرب من الله بقدر ما نحمل من الصفات الحسنة: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والقرب من الرب على قدر القرب من العبد: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وأما خدمة الجوارح، واستعمالها بوظائف الأعمال الصالحات، فقد أوجب لهم بذلك الجنة، فالقرب من الله ﷻ، والانكسار بين يديه، والخضوع له؛ أوجب لنا القرب من الله يوم القيامة، هذا القرب القلبي.

أما خدمة الجوارح التي يشترك فيها المؤمن والمنافق، خدمة الجوارح واستعمالها بوظائف الأعمال الصالحة، على نية صالحة، وعلى يقين وتوحيد صادق، فقد أوجب لهؤلاء المؤمنين بذلك الجنة، والنجاة من النار؛ لإجهاد أنفسهم فيما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فالتعبد حقاً باسم الله الكبير بماذا يكون؟ يكون بالتصاغر لكبرياء الله، والانكسار بين يديه، والمصارعة إلى طاعته، والذل له، وعدم الاستكبار عن أوامره، والحياء من معصيته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك/ ١٢].

أنا الله خلقتني ورزقني، وأنا أسكن في ملكه، وأكل من رزقه، وأعطاني الجوارح من فضله، وجوارحي من نعمه، اللسان من نعمه، والأذن من نعمه، والأقدام، والأيدي

والأرجل من نعمه، والعقل من نعمه، فكيف أعصيه بنعمه؟ مع أنه أعطاني هذه النعمة لأشكره بها: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل / ٧٨].

تشكرون المنعم، تشكرون الرزاق، تشكرون الكريم، تشكرون القادر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال جل جلاله، هذا التبعيد في الباطن: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وأما التبعيد بذلك في الظاهر فيكون بتكبير الله باللسان، وتعظيمه وتوحيده، وحمده وتسييحه، وسجود الأعضاء له، وتمريغ الوجوه في التراب ذلاً بين يديه، وذرف الدموع بين يديه حياءً وصغاراً وخشوعاً لله العزيز الجبار المتكبر جل جلاله، ومجانبة كل مكروه إليه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١-١١].

هذا هو أداء العبودية للكبير جل جلاله بالقلوب والجوارح، أن يكون هذا البدن بين يدي ربه ساجداً وراكعاً، وداعياً إلى ربه، وذاكراً له، ومسبحاً بحمده مطيعاً لربه مجتنباً لمعاصيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج / ٧٧].

الله ﷻ هو العلي والكبير في العزة والجبروت، والكبرياء والعظمة. وصفة الكبرياء لله ﷻ من أعظم الصفات، لماذا؟ لأن الله له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وله هذا الملك العظيم، وله الخلق والأمر، وله ملك السموات والأرض وما فيهن: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٦ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

فاستشعار صغار النفس وضعفها في التبعيد أمام ربه هو العبودية.

فمن أراد التعبد حقاً فلينظر إلى كبرياء الربوبية ، وذلة العبودية البشرية ، فالكبرياء رداء الله ﷻ ، والعظمة إزاره ، والكبرياء أعظم من العظمة ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢] .  
 فيجب على المسلم الذي يريد هذا التعبد المثمر أن يستشعر عظمة ربه ، وصغر قدر نفسه ، وضعفها عند التعبد أمام ربه ، وافتقارها وذلها بين يدي ربه الكبير جل جلاله .

هذا التعبد هو أعظم شيء ، وهو الذي يريده الله ﷻ ، أن نكبر الكبير ، ونعظم العظيم ، ونفتقر أمامه ، ونظهر الذلة والتواضع بين يديه ، وهذا هو أعظم قربة إلى الكبير سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ (٥٧) ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٨) ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥٩) ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٦٠) ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهُونَ ﴾ (٦١) [المؤمنون/ ٥٧-٦١] .

ولهذا كان ثواب هذا العمل ، وهذا الافتقار ، وهذا التواضع ، ثوابه يوم القيامة إكبار قدر العبد ، وإكبار منزلته ، وإكبار نعيمه ، وقربه من ربه الكبير الذي كبره وعظمه في الدنيا ، في ملك كبير من الملك الكبير: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴾ (٢٠) ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضْرٌ ذِخْرِيٍّ وَعِلَاقٌ خَضِرٌ وَحُلُوعٌ مُصَوَّرٌ مِمَّا عَمِلُوا مِنْ قَبْلِهِمْ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (١١) ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا مَشْكُورًا ﴾ [الإنسان: ٢٠-٢٢] .

وكان عقاب من أظهر الاستكبار عن الإيمان بربه ، والبعد عنه ، والإعراض عن شرعه ، كان عقاب من كفر بالله المقت ، والإعراض عنه ، وإهانته وتصغير قدره يوم القيامة كما قال سبحانه لأهل النار : ﴿ قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴾ (١٠٨) ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١٠٩) ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ (١١٠) [المؤمنون/ ١٠٨-١١٠] .

والاستكبار عن عبادة الله ، وعن توحيده والإيمان به ، أعظم ذنب ، وقد توعد الله ﷻ هؤلاء بالعذاب العظيم: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) [غافر: ٦٠] .  
 وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٤٠) ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ

وَمِنْ فَوْقِهِمْ عَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ [الأعراف: ٤٠-٤١].

والله ﷻ صغر أجسام المستكبرين عن عبادته ، يطوهم الناس بأقدامهم في المحشر إهانة لهم ، وكبر أجسامهم في النار لينالوا من العذاب أكبره وأشدّه ، فجسم الكافر سيكبر يوم القيامة ؛ لأن هذا الجسم له باع طويل في المعاصي ؛ فيكبر في نار جهنم حتى يكون الإنسان الكافر زاوية من زوايا جهنم يوم القيامة نسأل الله السلامة: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [١٢٤] [الأنعام/ ١٢٤].

صغار في القلوب ، وعذاب شديد على الأبدان .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل يا أرحم الراحمين .

وإذا عرفنا أن ربنا ﷻ هو الكبير المتكبر ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فلا يليق بنا ، أن نخضع لغيره وأن نطيع غيره ، وأن نمثل أمر غيره ، بل علينا أن نطيعه ونعبده وحده لا شريك له ، ونعرض عن كل ما سواه ، ونلزم أنفسنا التصاغر والتذلل للعزيز الجبار المتكبر وحده لا شريك له : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [٦٥] [مريم/ ٦٥].

واعلم أخي المسلم وأختي المسلمة أن من أطاع المخلوق ، وعصى الخالق ، فما قال الله أكبر ، ما قال الله أكبر حتى يطابق قلبه لسانه .

ومن امتثل أمر الله دخل الصلاة ، وخالفه خارج الصلاة فما قال : الله أكبر بقلبه ، فعلينا أن نعبد الله ظاهراً وباطناً ، ولا نخالف أمره ونستكبر عن عبادته ، فنشقى في الدنيا والآخرة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [٦٠] [غافر/ ٦٠].

يا عبد الكريم ما قدر الله حق قدره ، من كفر به ، أو أشرك معه غيره ، أو صرف العبادة لغيره ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ، ولا حياة ولا موتا ولا نشورا ، وترك الخضوع والذل للرب العلي الكبير المتكبر : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [١٧] وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [١٨] وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوبُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ [١٩] وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ

شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمُوتَ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ  
فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ [النحل/ ١٧-٢٢].

الله ﷻ لا يحب المستكبرين، إنما يحب المتقين، يحب المؤمنين، يحب المحسنين، فاضع  
لربك العزيز الجبار الكبير المتعال، بتدلل وصغار وانكسار، تكن من المصطفين المقربين  
الأخيار الذين اختارهم الله ، وعلم في قلوبهم الصلاحية لقبول الإيمان، فمن عليهم بهذا  
الفضل العظيم : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٤﴾ [الجمعة: ٤] .

وكن كبيراً في توحيدك ، وإيمانك ، وأعمالك الصالحة، وكن كبيراً في أخلاقك ، في  
الصدق والصبر والإحسان ومكارم الأخلاق: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ  
وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ  
وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْعَظِيمِ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴿١٣٤﴾  
[آل عمران: ١٣٣- ١٣٤].

وإياك والكبر، فإنه أصل أخلاق الشر كلها، فلا يظهر منك في قول ولا فعل، ولا في  
هيئة ولا في خلق: ﴿ يَبْغِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا  
أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسِّكَ وَأَغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ  
الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان/ ١٧-١٩].

• واعلم رحمك الله أن الكبر قسمان:

منه ما هو محمود .. ومنه ما هو مذموم.

فالمحمود من الكبر التكبر على أعداء الله المعاندين ، وإظهار العزة والشجاعة أمامهم :  
﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ  
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٥٤﴾ [المائدة: ٥٤] .

فالله جل جلاله في مقام الجهاد في سبيل الله يحب العجب والخيلاء أمام الأعداء، فالتكبر  
على أعداء الله المعاندين، والتكبر عن المعاصي والردائل هذا كله محمود .

والمذموم من الكبر هو الاستكبار عن عباد الله ، وعن طاعة الله ورسوله، والاستكبار

عن طاعة من تجب طاعته، والتكبر على الناس : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأعراف/ ٤٠-٤١].

فالتصاغر بين يدي الله ﷻ، والتذلل بين يديه، هو العزة هو الرفعة عند ربنا ﷻ .  
التصاغر بين يدي ربنا الكبير هو الشرف بل هو أعلى الشرف، وهو التصاغر لمن تجب طاعته وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥].

فتصاغرك لذي دنيا لديناه هدم لدينك، وتصغير لقدرك عند الكبير المتعال، فاستقم كما أمرت مكبراً الواحد الأحد ، وحده لا شريك له، واستقم كما أمرت لا كما اشتهيت : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٢-١١٣].

إذا أنعم الله علينا بنعمة الخلق والإيجاد ، ونعمة الجاه، ونعمة الجمال، ونعمة العافية، ونعمة الأموال، ونعمة الأولاد، لا نستكبر عن عبادة الله ﷻ، بل نحن أحوج الناس إلى عبادته وشكره جل جلاله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

واعلم أن من غمط الناس ازدراهم، ومن ازدراهم رد الحق على قائله، وهذا أصل العصيان كله، وعذابه أشد العذاب كله: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل/ ٨٨].

فياك أن ترد الحق على قائله الذي أوصله إليك، فتكون فيك الصفات التي لعن الله إبليس من أجلها كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٣٤].

وقال النبي ﷺ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، قال رجل: إن الرجل

يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً، قال: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ «أخرجه مسلم»<sup>(١)</sup>.

فإياك يا عبد الكبير أن تنظر إلى أحد من خلق الله بعين الاستكبار والاستصغار والاستهزاء والاحتقار، فذلك فسق وظلم تجب التوبة منه فوراً: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات/ ١١].

فتواضع لربنا ﷻ، ونظهر التذلل بين يديه، ولا نستكبر عن عبادته جل جلاله؛ فالله ﷻ هو الكبير الأكبر المتكبر وحده لا شريك له؛ فهو الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته؛ فنوحده بذلك.

أما العبد فلا يليق به الكبر، والتكبر والاستكبار؛ لأنه فقير صغير ضعيف عاجز محتاج إلى ربه ﷻ؛ فلا حق له في الكبرياء أبداً، وقد توعد الله كل متكبر عن الإيمان وعن عبادة الله بالنار: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].

وقد لعن الله إبليس لكفره واستكباره، وأغرق فرعون لكبره وكفره واستكباره، وأغرق قوم نوح لكفرهم واستكبارهم، ودمر قوم عاد لكفرهم واستكبارهم، وهكذا كل من استكبر عن عبادة الله، وعن طاعة رسل الله واستكبر وأعرض عن دين ربه اخذ العقوبة فوراً: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

فلمتكبرون أبعد الخلق عن الله وعن دينه، ومن تلبس بالكفر والكبر فقد تلبس بما ليس له فيه حق، الذي يتلبس بالكبر والكبرياء لبس ثوباً ليس له؛ تلبس بما ليس له فيه حق؛ لأن الكبرياء لخالق السموات والأرض، لبديع السموات والأرض، الذي له ملك

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

السموات والأرض، خالق كل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فالكبر والكبرياء حق خالص لله وحده لا شريك له .

وحظ الإنسان من هذا الاسم الكريم، التواضع للكبير، والتكبر على أعداء الله، فمن تواضع لله رفعه، ومن تكبر أذله الله في الدنيا والآخرة .

والله ﷻ هو العزيز الحبار المتكبر؛ ولهذا يوم القيامة يقول: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أين ملوك الأرض .

هو ملك في الدنيا والآخرة؛ لكن في الدنيا الله ملكنا جوارحنا فيوم القيامة يخلص الملك له جل جلاله، فمن استكبر عن عبادة الله لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً كما قال سبحانه عن الكفار: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان/ ٢٣].

فأعمال جميع الكفار مهما كانت نافعة فإن الله لا يقبلها يوم القيامة، إنما يجزى بها من عمل بها في الدنيا صحة في البدن، أو مالا أو أولاداً، أما أعمال جميع الكفار مهما كانت نافعة فإن الله لا يقبلها، لماذا؟ لأنها خالية من التوحيد والإيمان، لا روح فيها ولا إيمان فيها، ولا توحيد فيها، ولم يقصد بها وجه الله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم/ ١٨].

الكافر أضل الناس، المستكبر أضل الناس، المشرك أسفه الناس، وضلال الناس ثلاثة أقسام:

الضلال الكلي هو ضلال الكفار والمشركين .

والضلال الجزئي هو أن أفعل طاعة، وأفعل معصية .

والضلال الدعوي هو أن يقوم المسلم بعبادة ربه بالأوامر الشرعية، ويترك الدعوة إلى

الله، ويكون صالحًا لا مصلحًا، عالمًا لا معلمًا، ذاكراً لا مذكراً : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ  
الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ [البقرة: ٨٥] .  
وقد مدح الله في كتابه الأنبياء فقط، أما نحن فالله مدح النبي ﷺ، ثم ثنى بأتمته فقال:  
﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا  
نُفِرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وقال سبحانه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ  
وَآكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فهذه الأمة الله مدح نبيها، ومدحها هي؛ لأنها قائمة على وظيفة الأنبياء والرسل، وهي  
الدعوة والعبادة؛ فالله ﷻ ذم الأمم السابقة، وكشف لنا عورتها؛ حتى لا تقع فيما  
وقعت فيه، وذكر الله ﷻ أحوال المستكبرين، أحوال أهل الشهوات، وإعراضهم عن  
الأنبياء، وصددهم لدعوة الأنبياء، فالله ﷻ أخذهم أخذ عزيز مقتدر، إما بالإغراق، أو  
الإحراق أو الخسف أو المسخ أو غير ذلك من العقوبات التي خلت بالأمم السابقة :  
﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ  
وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ  
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

لكن عذاب الاستئصال رفع عن هذه الأمة، أما الأمم السابقة فالله ﷻ أنجى نوحًا ﷺ  
ودمر قومه، وحفظ هودًا ﷻ ودمر قومه، وحفظ صالحًا ﷻ ودمر قومه : وحفظ شعيبًا  
ﷻ، وأهلك قومه .

وهذه العقوبات كلها بسبب الكفر والكبر والإعراض والصد عن سبيل الله .  
فالله ﷻ لا يجب المستكبرين جل جلاله؛ والله ﷻ أمرنا بالتواضع، والإحسان، وأن  
نحذر الفخر والعجب والبطر، ونجعل الكبرياء لله ﷻ وحده لا شريك له، ونستسلم  
له: ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ

الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ [لقمان/ ٢٢-٢٤].

الله ﷻ بين أحوال هذه الأمم الظالمة في سورة الأعراف، في سورة الأنبياء، في سورة الشعراء، وفي سورة طه، وفي سورة إبراهيم وغيرها من السور. نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، نكبر الكبير، ونعظم العظيم، ونشكر الكريم، ونوحد الواحد الأحد .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك .

اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الشناء والمجد، لا مانع مما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدم منك الجد. اللهم بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الجبروت والملكوت والكبرياء، يا ذا العزة التي لا ترام، ارحم ضعفنا واجبر كسرنا، واختم بالصالحات أعمالنا، ولا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا يا أرحم الراحمين . سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

### الباب السادس

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٢٦- اسم الله العظيم.

التعبد لله عز وجل باسمه الله العظيم.

٢٧- اسم الله القوي.

التعبد لله عز وجل باسمه القوي.

٢٨- اسم الله المتين.

التعبد لله عز وجل باسمه المتين.

٢٩-٣٠- اسم الله القهار.. القاهر.

التعبد لله عز وجل باسمه القهار.. القاهر.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

العظيم

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله العظيم

الله ﷻ هو العظيم الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا والأفعال العظيمة ، والمثل الأعلى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

والله ﷻ هو العظيم وحده لا شريك له ، العظيم الذي لا أعظم منه ، العظيم الذي خلق كل عظيم كالعرش والكرسي ، والسماوات والأرض : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

هو الرب العظيم الذي خلق الخلائق كلها ، ودبر الأوامر كلها : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

• الله ﷻ هو العظيم وحده لا شريك له ، وإذا تأملنا في هذا الكون وجدنا فيه ثلاثة :

الأول : كامل بذاته وأسمائه وصفاته لا يحتمل النقصان أبداً .

الثاني : ناقص لا يحتمل الكمال أبداً .

الثالث : قابل للكمال والنقص ، قابل للإيمان والكفر ، قابل للطاعة والمعصية .

• أما الكامل الذي لا يحتمل النقصان أبداً فهو الله ﷻ الذي له الكمال المطلق في ذاته ،

وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وملكه ، وسلطانه : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [٢]

[آل عمران / ٢] .

الله عز وجل هو العظيم الذي ليس كمثل أحد في العظمة : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١] .

هو الواحد الأحد الذي لم يكن له كفواً أحد في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله : ﴿قُلْ

هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾ [الإخلاص / ١-٤] .

وأما المخلوقات ، فمن المخلوقات العظيمة التي سخرها الله في الطاعة الملائكة العباد المكرمون، الذين: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم/ ٦). وهم الذين: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠) [الأنبياء/ ١٩- ٢٠].

فهؤلاء أكثر وأعظم المخلوقات التي خلقها الله ﷻ ، والله ﷻ هو العظيم الذي له الكمال المطلق، ويليه من خلقه على قدر خلقه الملائكة الذين سخرهم الله ﷻ لطاقته ، وتنفيذ أوامره في ملكه العظيم جل جلاله، فهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم/ ٦).

• أما الناقص الذي لا يتحمل الكمال فهم الجمادات والنباتات والحيوانات، خلقها الله ﷻ ، لتدل على جلاله وجماله، وخلقها لتدل على عظمته ووحدانيته ، وخلقها لتعبده وتسبحه ، وخلقها تكريماً لعباده : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١١٢) [الأنعام/ ١٠٢].

الجماد شيء، والنبات شيء، وكل ذرة في الكون شيء، وكل شيء يسبح بحمد ربه ؛ فهؤلاء غير محاجين بالشرعية ، لكن الله فطرهم على التوحيد ، والتسبيح ، والخضوع لله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافِتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١) [النور/ ٤١].

• وأما الذي يقبل الأمرين الكمال والنقصان فهو الإنسان، تارة يعلو بإيمانه وتقواه ، وتارة يسفل بكفره وفجوره في أسفل سافلين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٦) [التين/ ٤- ٦].

والناس في الدنيا والآخرة إما خاسر أو رابح : ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (١) ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (٢) ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ (٣) [العصر/ ١- ٣].

• ففي الوجود ثلاثة:

الأول : كامل لا يتحمل النقصان أبداً ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، وهو الله ﷻ : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) [طه/ ٨].

الثاني : ناقص لا يحتمل الكمال أبدًا ، وهم عالم الجهاد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ،  
فالله طبعهم على هذا الخلق ، ليؤدون وظائفهم ، ويسبحون بحمد ربهم ، وهم مظهر  
لجلاله وجماله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ  
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝﴾ [الحج / ١٨] .

الثالث : هو الذي يقبل الأمرين جميعًا ، يقبل النقص ، ويقبل الزيادة ، فبالذكير يترقى  
الإنسان ، ليكون من المسلمين ، ويكون من المؤمنين ، ويكون من الموقنين ، وبترك التذكير  
يكون من المشركين وإلغا سفين ، والمجرمين والظالمين : ﴿ فَذَكَرْ إِن نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۝٩  
سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى ۝١٠ وَيَنْجَبِهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكَبْرَى ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝١٣﴾  
[الأعلى : ٩-١٣] .

فبالجهد على هذا الإنسان تظهر فيه الصفات التي يحبها الله ﷻ كما في الجهد على الحديد ،  
والجهد على التراب ، تخرج منها منافع ومصنوعات لا يعلمها إلا الله ، ولكن بالجهد على  
هذا الإنسان الناقص يتعلم بعد جهل ، ويوحد بعد شرك ، ويتخلق بالأخلاق العالية بعد  
تخلقه بالأخلاق الرديئة ، ويرجع للحق بعد أن كان على الباطل : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ  
يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾  
[آل عمران : ١٠٤] .

فهذا الإنسان خلقه الله وأمرنا أن نجتهد عليه ، فالشمس وظيفتها الإنارة والحرارة ،  
والسحب وظيفتها نقل المياه في العالم ، والأرض وظيفتها الإنبات .  
وهذا الإنسان له وظيفة أن يهتدي ، ويدعو إلى الهدى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ  
سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت : ٦٩] .  
ثم يجتهد على غيره : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو  
الْأَلْبَابِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم / ٥٢] .

• فكمال الإنسان في أمرين :

الأول : كمال القوة العلمية بمعرفة الله بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ودينه وشرعه :  
﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ  
وَمُتَوَلِّكُمْ ۝١٩﴾ [محمد : ١٩] .

الثاني: ظهور القوة العملية وهي التعبد لله بموجب هذه المعرفة : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] .

• فكمال الإنسان مبني على أصلين:

القوة العلمية .. والقوة العملية.

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣] .  
﴿ءَامَنُوا﴾ ، قوة علمية .

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، قوة عملية .

﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، جهد على النفس .

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ، جهد على الغير .

فلإنسان؛ حتى يكون كامل الإيمان كما لان :

كمال لازم له بالاستقامة على أوامر الله : ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾ [هود/ ١١٢] .  
وكمال متعد: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

• وكمال الإنسان بأمرين كذلك:

الأول: جهد على نفسه: وهذا كمال لازم للنفس .

الثاني: كمال متعدي: وهو بالجهد على الغير .

فبالكمال اللازم والمتعدي يحصل كمال الإيمان، وبالقوة العلمية والعملية يحصل كمال الهدى والإيمان : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

ونحن نسعى لأن تكون فينا هذه الصفات:

القوة العلمية والعملية ... والجهد اللازم ، والجهد المتعدي : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] .

وهذا يتطلب النظر في الآيات الكونية والنظر في الآيات القرآنية؛ حتى نعرف الخالق

مَنْ! ، العَظِيمُ مَنْ! الكَبِيرُ مَنْ! ، القَادِرُ مَنْ! القَاهِرُ مَنْ! : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْزِي الْأَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

ثم تأتي في قلوبنا عظمة الله ، وإذا عظمناه عظمننا كتابه ، وامثلنا ، وأطعنا رسوله ، ثم  
لنا ثوابه العظيم في الجنة : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

فالله ﷻ هو الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلاء، الذي خلق  
الخلايق كلها ، ودير الأوامر كلها: ﴿ إِنْ رِبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي  
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ  
مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو العظيم الذي خلق المخلوقات جميعًا ، وهو الذي يديرها جميعًا ، في وقتٍ واحد، فالله  
يخلق مليارات المخلوقات في أقل من ثانية ، منها ما نراه ومنها ما لا نراه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ  
هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٨٦].

فالملك العظيم جل جلاله له ملكٌ عظيم، وله أوامر عظيمة، ومخلوقات عظيمة، وحُكمٌ  
عظيم : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٢٠].

الله ﷻ هو العظيم الذي خلق كل عظيم جل جلاله: ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

هو العظيم الذي خلق ويخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات من عالم الجماد والنبات  
والحيوان وغيرهم .

فكم نبتة الآن نبتت في العالم؟ العظيم أعطها أمره الملكي بالإنبات فظهرت : ﴿ إِنَّمَا  
أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] فَسَبَّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ  
وَلِيَّهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

الله ﷻ هو العظيم في ذاته، العظيم في أسمائه، العظيم في صفاته، العظيم في أفعاله، لا إله  
إلا الله العظيم في ملكه وسلطانه، العظيم في خلقه وأمره، العظيم في دينه وشرعه،  
العظيم في ثوابه وعقابه ، لا إله غيره ، ولا رب سواه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا

تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

هو سبحانه العظيم الذي تفرد بالعظمة والجلال والكبرياء ، وتوحد بالعزة والجبروت والمُلك والملَكوت: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو جل جلاله الملك العظيم الذي يعظمه خلقه ويحبونه ، ويرجونه ويخافونه . هو الرب العظيم الذي يجب أن تكون جميع أنواع العبادة ، له لكمال أسمائه وصفاته ، وعظيم نعمه وإحسانه : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ [الأنعام: ١٠٦].

والقرآن كله تعريف بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعدته ووعيده ، ووجوب عبادته ، وهذا يدلنا على أنه لا يمكن أن يُعبد الله؛ حتى يُعرف بأسمائه وصفاته وأفعاله جل جلاله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِن شَيْءٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس/ ٣].

• وأوامر الله جل جلاله ثلاثة أقسام :

أوامر ملكية .. وأوامر شرعية .. وأوامر جزائية .

هذه أوامر العظيم في ملكه العظيم :

أوامره الملكية: المخلوقات فوجدت، وعلى المتحركات فتحركت وعلى الرياح فهبت ، وعلى السحب فأمرت ، وعلى الشمس فأضاءت ، وعلى الحب فنبت ، وعلى الماء فسال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وأوامره الشرعية: هي الأوامر والنواهي الشرعية التي جاءت في القرآن والسنة ، والموجهة إلى الإنس والجن : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧].

وأوامره الجزائية: هي أوامر الوعد والوعيد، فالله العظيم وعد المؤمنين بالجنة

والرضوان، وتوعد الكفار بالنار وسخط الجبار.

فقال عن وعد المؤمنين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال عن وعيد الكافرين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨].

في كل ثانية أو أقل ينزل من الملك مليارات الأوامر المختلفة على النباتات، والحيوانات، والجمادات، والبحار، والإنس، والجن: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

هو جل جلاله الملك وللملك أوامر، هو العظيم الذي له الملك العظيم، والمُلك الكبير، والمُلك الواسع، والملك الدائم: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

هو الرب العظيم الذي يستحق أن يُعبد، ويستحق أن يُعظم، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والأفعال العظيمة، والمثل الأعلى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

فسبحان الرب العظيم الذي دل عباده عليه بآياته ومخلوقاته: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ مِنَ الْحَرِّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النحل: ٨١].

والله ﷻ هو الرب العظيم الذي له ما في السموات، وما في الأرض، وله مُلك السموات والأرض، الذي بيده الخلق والأمر وحده: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ

رَبِّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [يونس / ٣].

ومن عرف ربه العظيم حقاً ، آمن به حقاً ، وأحبه حقاً ، وعبده حقاً : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس / ٥].

هو العظيم الذي كل أفعاله عظيمة: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢].

هو جل جلاله الوتر ، وكل ما سواه شفع ، هو العظيم الذي لا يحتاج إلى شفع ، وكل مخلوقاته سواه شفع: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات / ٤٩].

هو العظيم الذي خلق كل عظيم في العالم العلوي والعالم السفلي : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد / ٣-٤].

فهذا الاسم العظيم من أسماء الجلال لله ﷻ : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤].

• والقلب لا بد أن يعرف الله ﷻ بأسماء الجلال ، وأسماء الجمال: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨].

نعرف أسماء الجلال: كالعزيز، والقهار، والقوي ، والجبار، والملك؛ حتى نهايه ونخافه ونخشاه.

ونعرف أسماء الجمال: كالكريم، اللطيف، الغفور، الرحيم؛ حتى نحبه.

وإذا خفنا منه ، وأحبيناه ، أطعناه وعبدناه ، ثم سعدنا في الدنيا والآخرة ، ثم نلنا ثوابه العظيم يوم القيامة بموجب هذه المعرفة ، وبموجب هذا العمل : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

وكل القرآن بيان لعظمة الله ، وعظمة أسمائه ، وصفاته ، وعظمة مخلوقاته ، ووجوب

عبادته ، وبيان وعده ووعيده ، ووجوب إتباع رُسله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝١٢﴾ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خَيْفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۝١٣﴾ [الرعد/١٢-١٣].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

هو العظيم الذي له الأسماء الحُسنَى ، وله الصفات العِلا ، وله الأفعال الجميلة ، وله مُلك السموات والأرض ، وله ما في السموات والأرض ، وله خزائن السموات والأرض ، وله غيب السموات والأرض ، المُلك مُلكه ، والخلق خلقه ، والأمر أمره: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٣﴾ [المائدة/ ١٢٠].

فإكمال القوة العلمية المثمرة للقوة الإيمانية ، المثمرة للقوة العملية ، المثمرة لرضوان الله ودخول الجنة لا بد من معرفة الله بأسماء جلاله وجماله ، لا بد أن نتعرف على ربنا ﷻ بأسمائه الحُسنَى ، وصفاته العِلا؛ حتى نعبده بما يليق بجلاله من الحب والتعظيم والذل له: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠١-١٠٢].

هو ﷻ العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه، الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي خلق كل شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۝٦٤﴾ [غافر/ ٦٤].

ثم قال: ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٦٤﴾ [غافر/ ٦٤].  
يعني اعبدوا من هذه صفاته ، وهذه أفعاله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۝٦٥﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

فنحن نعبد ربنا، ملكاً، حياً، قيوماً، قوياً ، سميعاً ، بصيراً ، عليماً خبيراً ، غنياً كريماً ، خالقاً ، رازقاً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨].

والله ﷻ يذكرنا بأسمائه وصفاته وأفعاله في القرآن؛ حتى نتعلق به وحده ، وندعوه وحده ، فهو الرب العظيم، وهو الإله العظيم، الذي يعظمه خلقه ويحبونه ، ويرجونه ويخافونه، الرب الذي يجب أن تكون جميع أنواع العبادة له، لماذا؟ لكمال أسمائه وصفاته ، وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [يونس / ٣].

هو جل جلاله الإله العظيم ، والرب العظيم ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلاء، فلا بد للقلب أن يسمع من اللسان تعظيم الله، فالعين توصل إلى القلب المبصرات التي تدل على عظمة الله وكبريائه ، وعظمة ملكه وسلطانه، والأذن تسمع عن الله ، واللسان يتكلم عن الله ، وكلها تصب في القلب عظمة الله ، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله .

فإذا صبت ذلك في القلب امتلاً إيماناً ، ثم امتلاً نوراً ، ثم انشرح للطاعات ، ثم جاء فيه الخشوع لله ، والتعظيم لله ، والتكبير لله، والحب لله ، والحمد لله ، ثم انطلق ذلك من القلب إلى اللسان ليذكر الله ، ويثني على الله ويحمد الله ، ويسبح الله ، ويكبر الله، ويدعو إلى الله ، ويعلم شرع الله ويقول القول الحسن، وأنطلق عبادة بالجوارح ، وتعبد لله ﷻ بما يليق بجلاله من الصلاة والزكاة ، والصوم والحج ، والأذكار والأدعية وغير ذلك من أنواع العبادات : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [ الأنعام: ١٠٢ ] .

والربوبية والإلهية متلازمتان ، فالإلهية مبنية على الربوبية، فمن لم يعبد الله حقاً فإنما قصر في معرفة الرب حقاً، فإذا اكتملت معرفة العبد لربه بأسمائه وصفاته وأفعاله على قدره جاءت الطاعات العظيمة ، وجاء اليقين الكامل ، وجاء الحب لله ، فعبد المؤمن ربه بكمال الحب ، وكمال التعظيم ، وكمال الذل لله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ [ السجدة: ١٥].

والربوبية موجبة للإلهية ، فالذي خلقني ورباني يجب أن أعبده وحده : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ

رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو سبحانه العلي العظيم ، المستحق لنعوت الجلال والجمال والتعالي، الخالق لكل شيء، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، القاهر لكل شيء، القريب من كل شيء، الحافظ لكل شيء، الذي لا يعجزه شيء ، ولا يفوته شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفنا ذلك عظمناه، لكمال قدرته، وكمال علمه، ووحدناه بذاته وأسمائه وصفاته، وأجبناه وحمدناه لكمال إحسانه وإنعامه ثم عبدناه بموجب هذا العلم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

واسم الله العظيم ورد في القرآن ست مرات منها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].  
وورد في السنة كذلك.

الله عَزَّ وَجَلَّ عظيم الشأن، كبير القدر، واسع الرحمة، واسع العلم، واسع المغفرة، عظيم القدرة، عظيم الذات والأسماء والصفات والأفعال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

• والتعظيم لله عَزَّ وَجَلَّ يكون بأمرين:

الأول: وصف الله عَزَّ وَجَلَّ بصفات الكمال من العلم المحيط، والقدرة النافذة، والرحمة الواسعة، والكبرياء والعظمة، وتنزيهه عن صفات النقص والعيب، وتنزيهه عن الشريك والمثيل، وتنزيهه عن صفات الخلق مهما كانت عالية، فالله ليس كمثله شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو العظيم الذي ليس كمثله شيء في العظمة، هو الكبير الذي ليس كمثله شيء في الكبرياء، هو القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة، هو الرحمن الذي ليس بمثله أحد

في الرحمة، هو الواحد الذي ليس كمثلته أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

هو الإله الذي لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝٢٣﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

فتحدث عن الله ونعظمه بألسنتنا؛ حتى تأتي عظمته في قلوبنا، ونسمع عن عظمة الله بأذاننا، حتى تأتي عظمته في قلوبنا: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

الثاني: تعظيم الله وتكبيره بالقلوب والألسن والجوارح، فإذا وصفناه بهذه الصفات تبينا وتيقنا أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا فتقوى العبادة في قلوبنا وهي تعظيم الله، وتعظيم أوامره.

ومقصود جميع العبادات تعظيم الله وتكبيره؛ وتعظيم أمره، لأننا إذا عرفنا أنه عظيم، وأنه كبير، وأنه هو الرازق الكريم المحسن أحببناه، وعظمناه، ثم عبدناه، وإذا عبدناه نلنا ثوابه ورضاه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٧٣﴾ ﴿٧٣﴾ [التوبة: ٧٢].

هو جل جلاله العظيم المستحق للعبادة والتعظيم وحده لا شريك له: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۝٥﴾ ﴿٥﴾ [البينة: ٥].

هو العظيم قبل أن نعظمه، والكبير قبل أن نكبره، والحميد قبل أن نحمده، وهو الواحد

الأحد قبل أن نشهد له بالوحدانية، وهو الذي سبح بحمده قبل أن يسبحه، وقدس نفسه عن صفات النقص والعيب قبل أن ننزهه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].  
فهو **عَبَّكَ** العظيم الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو المستحق للتعظيم والحب وحده من جميع خلقه ويحصل ذلك للعبد في بذل الجهد في معرفته بأسمائه وصفاته، والنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية.

ويورث هو العلم العظيم محبة الله، وتعظيمه، والذل له والانكسار بين يديه، والخضوع لعظمته وكبريائه، والخوف منه، والخشية له: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ويورث تحريك اللسان بحمده، والثناء عليه، والدعوة إليه، وقيام الجوارح بشكره وعبادته محبةً له، وتعظيمًا وذلاً: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِئٌ بِعَائَةِ آلِ يَثْرَاجَاقٍ وَاقِيمًا يُحَذِّرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ٩].

﴿أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد/ ١٩].  
فالله جل جلاله هو العلي العظيم، هو العلي الكبير، هو العزيز الجبار المتكبر، الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض، العظيم ذو الجلال والإكرام، وذو العزة والجبروت: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

هو العظيم الذي تضاءل عند عظمته جبروت الجبارة، وتضاغرت في جانب جلاله وكبريائه ألوف الملوك القاهرة، وذلت لعزته جميع العبيد في الدنيا والآخرة: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْجُوتُ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران/ ٨٣].

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].  
هو جل جلاله العظيم المالك القادر، القاهر لكل شيء، نواصي العباد بيده، وقلوبهم بيده، فلا يتصرفون ولا يعملون إلا بإذنه ومشيتته، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإرادته: ﴿تَمَّ مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

هو جل جلاله العظيم في وحدانيته، هو الواحد الأحد الذي له الكبرياء والعظمة وحده لا شريك له، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، ومنه الفضل كله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فسبحان الله ما أعظمه، وما أعظم قدرته، وما أعظم كبرياءه. والكبرياء أكبر من العظمة؛ لأن الكبرياء يتضمن العظمة ويزيد عليها، ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الأذان والإقامة والصلاة بقول: الله أكبر، فذلك أكمل من قول: الله أعظم، فالكبرياء رداؤه جل جلاله، والعظمة إزاره، والرداء أعظم من الإزار، وأكبر وأوسع.

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَدَبْتُهُ» أخرجه مسلم (١).

فالله ﷻ له الكبرياء والعظمة، والجلال والجمال، والحمد والشكر: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

والله اسمه العظيم، اشتق منه صفة العظمة وهي من صفات الله الذاتية والفعلية الثابتة في القرآن والسنة، قال الله ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٣].

وقال ﷻ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة: ٥٢].

وفي السنة في الصلاة في الركوع نقول: سبحان ربي العظيم وبحمده، سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة.

وفي السنة دعاء الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» متفقٌ عليه<sup>(١)</sup>.  
 والله ﷻ أمرنا أن نتعرف على أسمائه وصفاته وأفعاله؛ حتى نعرف عظمته وكبريائه،  
 وإنعامه وإحسانه وإذا عرفنا ذلك أطعناه وأحببناه، وحمدناه وعبدناه.

فهو سبحانه العظيم الحليم الذي على عظمته وكبريائه، وجلاله وقوته، غفورٌ حلِيمٌ،  
 رءوفٌ رحيمٌ ودودٌ، وحلمه وعفوه ومغفرته عن قوة وعظمة، ليس عن عجز  
 وحاجة: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فسبحان من عظمته يزينها الحلم والرفق والعفو والرفقة والرحمة.

أما عظماء البشر وملوكهم وطغاتهم فالغالب عندهم ضعف الحلم، وقلة العفو؛ لأنهم  
 يغترون بعظمتهم، فيبطشون بمن خالفهم لضعف الرحمة في قلوبهم، وعظمة الكبر في  
 نفوسهم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يَدَّبُّ  
 أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص/ ٤].

فإذا جاءت العظمة في قلوب البشر، فالغالب أنها تدفعهم إلى التسلط وظلم الخلق كما  
 حصل من فرعون وغيره من الطغاة المتجبرين الظالمين: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا  
 مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

فسبحان الرب العظيم الكبير المجيد، الذي تمجد بالكبرياء والعظمة، الذي له الكبرياء  
 والعظمة، والعزة والجبروت، والمجد والجلال والجمال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ  
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ  
 السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ  
 [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

هو جل جلاله الملك العظيم الذي له صفات الجلال وصفات الجمال.

• ومن صفات جلاله وجماله: الجبار:

فهو جل جلاله العظيم الجبار الذي يجبر قلوب المنكسرين، ويجبر قلوب المظلومين، وهو  
 جبارٌ على الظلمة والطغاة والمفسدين، وهو جبارٌ للمظلومين والمساكين يجبر

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٣٧٣٠).

قلوبهم: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحىٰ / ٦-٨].

فهو ﷻ يجبر قلوب المنكسرين، فمتى ما أظهرنا الذلة والمسكنة للجبار يجبر قلوبنا. فصفة الجبار جل جلاله صفته جلال وجمال، فهو جبارٌ على الأعداء دمر قوم نوح، وقوم هود، وقوم لوط، وقوم فرعون لما كذبوا الرسل.

هو جل جلاله العظيم المجيد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لماذا؟ لأن له الأسماء الحُسنى، والصفات العلاء، الخلق خلقه، والأمر أمره، والمُلك ملكه، والنعم نعمه، وكل شيء له، وكل شيء منه، وكل شيء راجع إليه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله يثمر لتوحيده، والإيمان به، وعبادته، ودخول جنته. فسبحان العظيم المجد في ذاته وأسمائه وصفاته، المجيد في أقواله وأفعاله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَبَعِيدٌ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٢-١٦].

فالله ﷻ هو المجيد لذاته، وأقواله مجيدة، وأفعاله مجيدة، العظيم في مُلكه وسلطانه، له مُلك السموات والأرض، وله عالم الغيب والشهادة، وله مُلك الدنيا والآخرة، هذا ما عرفنا من مُلكه، ولكن الله ﷻ غيب السماوات والأرض: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

هو جل جلاله الملك الحق الذي يستحق أن يُعبد لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، كيف وهو يُعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

كيف وهو يعطي العبد الذي خلقه هو، وأنعم عليه، وحبب إليه الطاعات، وهو عبده، لكنه كريم يعطي كل أحد، ولا تنقص خزائنه: ﴿إِنَّ هَذَا الرَّزْقُ مَالُهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

وكريم يُعطي على قدر شأنه لا على قدر شأن العبد، ولهذا يُعطي العبد المؤمن يوم القيامة مثل هذه الدنيا عشر مرات، وهذا أدنى مسلم في الجنة، فكيف بمن هو أعلى منه!، وكيف بمن جمع بين العبادة والدعوة، والتعليم والإحسان للخلق! وكيف بجنات

الأنبياء!، وكيف بجنات سيد الأنبياء! الذي له مثل جنة كل إنسان دخل في الإسلام بسببه من الإنس والجن إلى يوم القيامة: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ ﴿١١﴾ [الحجر: ٢١].

فالله عظيم، يخلق العظيم، ويُعطي العظيم، ويُعطي الأجر العظيم جل جلاله؛ لأنه يُعطي على قدر عظمته ولكه وقدرته، وعطاؤه بكن فيكون: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

فهذه جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة، فإذا عرفنا العظيم تعلق قلبونا به، وإذا عرفنا الغني سألناه، وإذا عرفنا القادر استعنا به: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُوبَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

والله عظيم هو العظيم في أقواله وأفعاله، هو خلق كل شيء، وقهر كل شيء.

العظيم في ملكه وسلطانه، الكبير الذي هو أكبر من كل شيء، الكبير الذي تكبر عن صفات النقص والعيب، وتكبر عن الشريك والمثيل، والنظير والشبيه، وتكبر عن كل ما سواه؛ لأنه الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

ومن عرف ربه العظيم، آمن بكتابه العظيم، وامتلأ أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُوبَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

ومن آمن بالله العظيم صدق ذلك بجوارحه، وأوجب له هذا الإيمان بربه العظيم حب الله، والخوف منه؛ والرجاء له، وإجلال العبادة له، لأن القصد الإيمان بالله العظيم المقرون بالعمل الصالح، فكفار مكة مؤمنون بأن الله خالق هذا الكون، لكنهم أشركوا مع الله غيره: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [لقمان/ ٢٥].

لهذا لا بد من الإيمان بالعظيم، والإيمان بالله العظيم يكمل بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية؛ حتى يمتلئ القلب إيماناً كما يمتلئ العقل علوماً، وكما تمتلئ

المعدة بأنواع الطيبات فيكون البدن سليماً قوياً على العمل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ ﴿آل عمران: ١٩٠-١٩١﴾.

فمن آمن بالله العظيم، فعلامة إيمانه أن يصدق ذلك بجوارحه، ويثمر له هذا الإيمان بربه العظيم صفات قلبية من الخوف من الله، والحب لله، والعمل المقرون بالخشية فالمنافقون كانوا يعملون، لكن بدون خشية.

فهذا الإيمان بالله العظيم يثمر أعظم أعمال القلب من الخوف من الله، والحب له، والحياء منه، والخضوع له، والذل لعظمته، والخشية له، والاستقامة على دينه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴿المؤمنون: ١-١١﴾.

ويثمر التوكل على الله، ويثمر إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، ويثمر المسارعة إلى طاعته، والبعد عن معصيته، ويثمر الإخلاص في جميع الأعمال له، وتعظيم أمره، وتعظيم كتابه، والانقياد لحكمه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴿الأَنْفَالُ: ٢-٤﴾.

والصحابة رضي الله عنهم لما عرفوا الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله آمنوا به وأحبوه وضحوا بكل شيء من أجل دينه، ضحوا بأوقاتهم، وأموالهم، وأنفسهم، وشهواتهم، وأهلهم، وبلادهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَبْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿٨﴾ ﴿الحشر: ٨﴾.

والأنصار ضحوا بكل ما يجبون لما هو أحب فاستقبلوا المهاجرين بصفة الإكرام وأووهم

ونصروهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

ثم جاء الرضوان على الجميع، هذه الكمالات لها كمال النعيم وكمال الرضا من الله ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ مِنْ الْقَدِّمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

فنحن كيف نسعى لتحقيق هذه المعارف العظيمة، ونضحى بما نحب لما هو أحب إلى الله، ونضحى بالأدنى لما هو أعلى؟ إذا عرفنا العظيم، وعرفنا دينه العظيم، وعرفنا ثوابه العظيم، وجاء اليقين على كل ذلك، الله ﷻ يقبلنا، وكلما تقربنا إليه تقرب إلينا، وكلما ذكرناه ذكرنا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

فقوة التعبد، وعظمة التعبد، نتيجة وثمره معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة عظمة وعده ووعيده: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٦٩].

وأكمل الناس عبادة الله أعلمهم به، وفي مقدمتهم الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]. فسبحان العظيم الذي أفعاله في منتهى الحكمة والرحمة والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥].

فأنا عبدٌ في أرض مولاي يجب علي إذا أطعمني أن أشكر، وإذا ابتلاني أن أصبر، وأترقى إن أطعمني أوثر، وإن ابتلاني أن أشكر؛ لأن البلاء يتطلب الصبر، والصبر أجره بغير حساب: ﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

فهما درجتان، إن أطعمني شكرت، وإن ابتلاني صبرت، هذا عمل عامة الناس، لكن الدرجة التي أعلى منها إن أطعمني آثرت غيري: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

حَصَاةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٩].

وإن ابتلاني فأصبر وأشكر، وأعرف أن هذا الابتلاء يريني ساقه الله إلي لمصلحتي.

• والبلاء إذا أصاب الإنسان فدعا الله فكشفه أثمر له سبع كرامات:

إيمان جديد بربه .. حب جديد لربه .. تعظيم جديد لربه .. وحمد جديد بربه ..

واستغفار جديد .. وعمل جديد .. وتوبة جديدة: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فعطاء الله بالبلاء أعظم من عطائه بالسراء؛ لأن النعمة غالباً تُشغل العبد عن المنعم، أما

البلاء فيوجب للعبد التضلع والانكسار: ﴿ وَأَتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ

وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ [الأنبياء/ ٨٣].

الله ﷻ قال مباشرة: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم

مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٤].

هذه الابتلاءات كلها رحمة من الله، وبسببها ينشأ الإيمان الجديد، والتوبة الجديدة،

والاستغفار الجديد، والعمل الجديد، فالله ﷻ يبتلينا ليرقينا، فما ابتلى إلا ليعافي، وما منع

إلا ليُعطي، وما قبض إلا ليعسط، وهو الحكيم العليم في أفعاله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴿٦﴾ [يوسف: ٦].

ومن عظم الله ﷻ عظم شعائره وحُرماته، فحقق الطاعة الكاملة بامثال أوامر الله من

الصلاة والصيام والزكاة والحج والأذكار والأدعية وسائر الأركان والواجبات والسنن

المستحبة: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ اللَّهَ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ [الحج/ ٣٢].

متى أعظم شعائر الله؟ إذا عرفت من أعبد، إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته، وعرفت

أسماءه العظيمة الجامعة كالحميد، والمجيد، والعظيم، والكبير.

هذه أسماء عظيمة إذا عرفت العظيم عظمت أمره، فمن عظم الله جاء في قلبه عظمة

شعائره وحُرماته، فعظم الله بامثال أوامره: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ

كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فيحقق الطاعة الكاملة؛ لأنه يرى العظيم، ويعبد العظيم كأنه يراه ويعلم أنه قريب، وأنه مجيب، وأنه قادرٌ على كل شيء وأنه يجب أن يقضي حاجتي، فأعبده مستحضراً لعظمته وجلاله وجماله.

أراه ببصيرتي، وأعلم أنه كريم، وأنه قريب، وأنه شهيد، وأنه قادر، وأنه سميع إن تكلمت، بصيراً إن تحركت، عليمٌ بما في قلبي إن سكت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالذي يعرف عظمة الله يعظم شعائره، ويغار على حرماته، فيؤدي الواجبات التي في كل وقت، كالأذكار والأدعية، وما أوجبه الله في كل يوم خمس مرات كالصلوات الخمس، وكذلك في كل أسبوع كالجمعة، وفي كل سنة كصيام رمضان، وفي العمر مرة كالحج، فهذا كله من تعظيم شعائر الله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج / ٣٢].

متى تتقي القلوب ربها؟ متى تتقي اليوم الآخر؟ تتقي ربها إذا عرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله جل جلاله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾ [١٣] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ [١٤] ﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾ [١٥] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾ [١٦] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً﴾ [١٧] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾ [١٨] ﴿[نوح: ١٣-١٨].

وكذلك من عرف العظيم عظم حرماته فاجتنب ما نهى الله عنه، شعائر الله طاعاته التي يُحبها، وحرماته هي ما نهى الله عنه، فإذا عرفت العظيم اجتنبت ما نهى الله عنه وحرمه من الاعتقادات، والأقوال، والأعمال والأخلاق، كالشرك والنفاق، وترك الواجبات، وفعل المحرمات، والزنا والربا، وشرب الخمر، والسرقة، واجتناب الكذب، وشهادة الزور، والغيبة والنميمة وغيرها: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [١٧] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَولوُ الْأَلْبَابِ﴾ [١٨] ﴿[الزمر: ١٧-١٨].

فتعظيم الأمر والنهي ناشئ عن تعظيم الأمر الناهي: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [٩٠] ﴿[الأنبياء: ٩٠].

والمؤمنون أفلحوا لماذا؟، لأنهم بصفة الإيمان أفلحوا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون/ ١-٢].

لماذا خشعوا؟ لأنهم عرفوا العظمة فخشعوا له؛ لأنهم يعرفون أن له الملك والسلطان والعظمة والعزة والجبروت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون/ ١-٣].

هذا اجتناب للمنهيات والمحرمات: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون/ ٤-٧].

هذا من تعظيم الحرمات، المسلم لا يسرق، لا يزني، لا يشرب الخمر، لا يترك الواجبات، لا يقترب المحرمات: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٨-١١].

فلنحرص أن نكون وارثين للخيرات، الوارثون هم الذين يرثون الفردوس بإيمانهم وأعمالهم الصالحة، وأكثر الناس يحرص أن يكون وارث في هذه الدنيا، في هذه الدنيا يرثنا أزواجنا وأولادنا وبناتنا، لكن نحن يوم القيامة ماذا نرث: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

نرث ثمرة عملنا في الدنيا، ثمرة عملنا في الدنيا هو دخول جنة الفردوس، وحصول الرضوان من ربنا ﷻ، فليهنأ كل مسلم عرف ربه بأسمائه وصفاته، وتعبد له بما جاء على لسان رسوله ﷺ، فهذه نعمة عظيمة بل هي جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلُعَاتِ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ هُمُ الْبَشَرِئِ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

فأسعد الناس في الدنيا والآخرة من آمن بالله العظيم، وصدق أخباره، وامثل أوامره، واجتنب نواهيه: ﴿وَمَا ءَأَنكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

فمن عظم الله ﷻ، ولم يعظم أمره ولا نبيه، فما عظم الله بقلبه مرة ولو عظمه بلسانه ألف مرة، إذا كان يستقيم بقلبه وجوارحه في الصلاة، ولكن خارج الصلاة يمشي على هواه، في الصلاة يمشي على الهدى، وخارج الصلاة يمشي على الهوى، هذا الله ﷻ لا يقبل منه؛ لأن المسلم عبد الله داخل الصلاة وخارج الصلاة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

فإذا عظمنا الله ﷻ بقلوبنا عظمنا أمره ونبيه بجوارحنا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فلا بد من معرفة الله؛ حتى نهايه ونخافه، ونحبه ونعبده، فالتقصير في معرفة الله، والتقصير في معرفة الربوبية، يؤدي إلى التقصير في جانب العبودية: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١٩].

اعلموا أن ربكم له الأسماء الحسنی والصفات العلی، والأفعال الكبرى، وأنه عزيز كريم، سميعٌ بصير، وأنه عظيمٌ كبير، وأنه قريبٌ شهيد: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/ ١٣-٢٠].

اعرفوا ربكم لتعظموه، وتكبروه، وتحبوه وتعبده: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هذا النظر والتدبر والتفكر في عظمة الله، وعظمة أسمائه وصفاته وعظمة أفعاله يؤدي

إلى التعبد لله ﷻ بالحب والتعظيم والذل له جل جلاله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

فمن عرف العظيم حقاً كبره حقاً، وحمده حقاً، ووحده حقاً، ومجده حقاً، وعبده حقاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٢].

فنذكر الله العظيم كثيراً؛ لأن الذي يذكر الله لا يعصي الله ﷻ، فكثرة الذكر تزيد الإيمان في القلب، والخوف من الرب، والحب له، وما تكرر تقرر، فنذكر الله بأي صفة؟ بصفة الكبرياء، بصفة العظمة، نذكر الله ﷻ حمداً له، وتوحيداً له، وتكبيراً له، وتنزيهاً له، ونذكر الله ليزكرنا: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

سبحان الله، أحب الكلام إلى الله أربع كما قال النبي ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالله أكبر» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

سبحان الله: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الإله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

والحمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، أنعم علي، وأنعم على غيري، وأعطاني خيراً، ومنع عني شراً، الحمد لله رب العالمين، من هو؟ هو الملك الذي يملك كل شيء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

الرحمان الرحيم أول صفة؛ حتى المسلم يرجو ولا يياس مهما عمل.

إن لم تتحرك نفسي بعبادته، ورؤية نعمه، ورؤية إحسانه ورحمته، تحركت لعبادة الله هيبية له وإجلالاً؛ لأنه: ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٤].

فإذا العبد ذلك قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧).

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ٥ - ٧].

فإنَّ اللهَ عَظِيمٌ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعَظَّمَ فِي جَمِيعِ الْأَوَاقَاتِ، فِي جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ، فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، هُوَ الْعَظِيمُ وَلَهُ وَحْدَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَلَهُ الْمُلْكُ الْمَطْلُوقُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَلَهُ الْغِنَى الْمَطْلُوقُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَلَهُ الْإِحْسَانُ الْمَطْلُوقُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

الملك من البشر قد يملك مملكة، ولكن الله الملك العظيم له مُلك السموات والأرض وله مُلك عالم الغيب والشهادة، وله ملك الدنيا والآخرة، وله مُلك كل ما في الكون، هو الملك الذي ملك المُلك والممالك والماليك وما يملكون، فله المُلك المطلق من كل وجه؛ لأنَّ هُوَ الْعَظِيمُ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وله الغنى المطلق من كل وجه وحده، هو الغني الذي لا تنقص خزائنه مثقال ذرة مع كثرة العطاء: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص / ٥٤].

فالبشر هم الذين ينقص ما معهم إذا اتفقوا، أما الله فلا ينقص ما في خزائنه ﴿إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ﴾

وإليه الإحسان المطلق من كل وجه، خلقنا في أحسن تقويم، وأنعم علينا بنعم لا تُعد ولا تُحصى، داخل أبداننا، وأنعم علينا بالهواء المطلق الذي نتنفس منه، والطعام الذي نأكل منه، والماء الذي نشربه، والأرض التي نمشي عليها، والسكن الذي نسكنه، واللباس الذي نلبسه: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

له الإحسان المطلق من كل وجه، له الإحسان إلينا عند الخلق في بطون الأمهات، وله الإحسان المطلق إلينا في الدنيا، وله الإحسان المطلق يوم القيامة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة / ١٧].

لأنه عظيم، وملكه عظيم، والعظيم لا يعطي إلا العظيم، ولا يفعل إلا العظيم، ولا يأمر

إِلَّا بِالْعَظِيمِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٥-٨].

هو سبحانه العظيم الذي له الشرف والسؤدد، والمجد والكبرياء، العظيم الذي له العزة والغنى، والعلو والقهر، والإحسان والإنعام: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤].

فالعظيم يسبح له ما في السموات وما في الأرض، من بقي؟ بقيت أنا وأنت، تسبح بحمده، ونستغفره: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة/ ٧٤].  
﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣].

تنزه عما لا يليق بجلاله؛ لأن هو العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، هذا إثبات، وهو العظيم الذي تنزه عن صفات النقص والعيب، وتنزع عن الظلم والنوم والسنة، وتنزه عن صفات المخلوقين، وتنزه عن الشريك والمثيل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

هو غني عن الفروع، وغني عن الأصول، وغني عن الصاحبة، وغني عن الشبيه والمثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هذا الإله العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، وتنزه عن صفات النقص والعيب وعن الشبيه، وعن المثل، فهو الذي يستحق أن يُعبد لأنه الحي وكل ما سواه يموت، القيوم القائم على كل نفس، العظيم الذي له العظمة، فأنا أعبد العظيم، ولا أعبد الحقيق، أعبد الكبير ولا أعبد الصغير، أعبد الحي الذي لا يموت ولا أعبد الحي الذي يموت، أعبد السميع البصير الذي يسمع فيجب، البصير الذي يرى حالي، فيسوق إلي رزقي: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هو العظيم الذي يسوق إلى كل مخلوق رزقه في قعر البحر، وفي ظلمة الجحور، وفي جو السماء، وعلى الأرض: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦].

هو الذي خلق الأرزاق، وهو العظيم الذي يوصلها إلى المرزوقين من نبات وحيوان، وإنس وجان، من في البر، ومن في الجو، ومن في البحر، لأنه عظيم، عالم بكل أحد، قادر على كل أحد، رب لكل أحد: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

• والعظيم اسمٌ من أسماء الله الحسنى، ويُطلق على معنيين:

الأول: عظمة الذوات والأجسام المحسوسة، يُقال: هذا جبلٌ عظيم، وهذا بحرٌ عظيم، وهذه السماء العظيمة، إن في السماء خبراً، وإن في الأرض لعبراً، آيات محكمات، ومطر ونبات، ونجوم تزهو وبحار تزخر وليل داج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [٦] وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٦-٨].

هذه المعاني تحرك في القلب الإيمان، وتزيد الإيمان في القلب، فإذا امتلأ القلب بالإيمان انشرح واتسع لجميع الطاعات، واستحى أن يعصي الله ﷻ، في مُلك الله.

فالله كبير لا أكبر منه، وعظيم لا أعظم منه: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٦] وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

الثاني: يُطلق ويُراد به عالي القدر، والمنزلة، والشأن، ومنه عظيم القوم الذي حكمهم فلا يقدرُونَ على مخالفتِهِ، والله جل جلاله عظيمٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [٧٤] [الواقعة: ٧٤].

ومن عظمة الله ﷻ بذاته أنه هو العلي الكبير، والسموات السبع والأراضين السبع في كف الرحمن أصغر من الخردلة: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١٧] [الزمر/ ٦٧].

الكرسي وسع السموات والأرض، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في أرضٍ

فلاة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة/ ٢٥٥).

والعرش العظيم محيطٌ بالكرسي والسماوات والأرض.  
قال النبي ﷺ: «مَا السَّمَاوَاتِ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةِ مَلَقَاةٍ فِي فَلَآةٍ وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَآةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ» أخرجه ابن حبان (١).

فإذا كانت هذه عظمة السماوات والأرض، وعظمة الكرسي والعرش، وهي من مخلوقات الله العظيمة، فكيف بعظمة الله العظيم الذي خلقها: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام: ١٠٢).  
فالسماوات السبع، والأراضين السبع، في كف الرحمن أصغر من الخردلة، الله خلق الأراضين السبع، وأحاطها بالسماوات السبع، وأحاط السماوات بالكرسي، وأحاط الكرسي بالعرش العظيم، ثم هو فوق العرش مستوٍ عليه، لا يحتاج إلى العرش، بل العظيم هو الذي خلق العرش، وهو الذي يمسك العرش، ويمسك السماوات والأرض أن تزولا؛ لأنه العظيم القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

فهذه عظمة مخلوقاته، فكيف بعظمة الخالق الملك القادر: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر: ٢٤).

وهو جل جلاله العظيم في صفاته وأسمائه حسنى، وصفاته عليا، هو العظيم في صفاته فله الأسماء الحسنى، والصفات العلا، هو العظيم في كل شيء، عظيم في قدره وشأنه، عظيم في كبريائه، عظيم في علوه، عظيم في علمه، عظيم في رحمته، عظيم في قدرته، عظيم في حلمه، عظيم في عطائه وإحسانه، عظيم في عقوبته وانتقامه، عظيم في جلاله، عظيم في جماله: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة/ ٩٨).  
﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج/ ٧٤).

(١) صحيح بطرقه/ أخرجه ابن حبان برقم (٣٦٢).

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وهو سبحانه العظيم، وكل آيات القرآن تدل على عظمته وكبريائه، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة آياته ومخلوقاته، وهذا يولد في القلب توحيدة جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو سبحانه العظيم في أفعاله، ومن أفعاله أن جميع المخلوقات هو الذي خلقها: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهو خالق كل شيء، خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، والشمس والقمر، وخلق الليل والنهار، وخلق الحر والبرد، وخلق التراب والماء، وخلق الجبال والبحار، وخلق العيون والأنهار: ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الروم: ١١].

وأفعاله في غاية الحكمة والعدل والرحمة والإحسان، يفعل العظيم ما يشاء، ويحكم ما يريد، يُعز من يشاء، ويُذل من يشاء، ويبسط ويقبض، ويُعطي ويمنع، ويُحيي ويميت؛ لأنه هو العظيم وحده لا شريك له: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٩٦]. هو العظيم الذي يفعل ما يشاء، ولا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١].

هو العظيم وحده لا شريك له، عظيم الرزق، عظيم العطاء، عظيم الأجر، عظيم الثواب: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤].

هو جل جلاله العظيم الغني عن كل ما سواه، بيده ملكوت كل شيء، ولا يحتاج إلى أحد بل يحتاج إليه كل أحد، وهو العظيم جل جلاله الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العظيم الذي لا يعطي إلا العطاء العظيم، لأنه يعطي على قدره شأنه: ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩].

هو العظيم الذي يفرح بتوبة التائبين، واستغفار المستغفرين، ويفرح بتوبة عبده، ويفرح بسؤال العبد العظيم كما قال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ

الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.  
وقال النبي ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»  
أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

هو العظيم في علوه، العلي في عظمته، وله العلو بأنواعه: علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القدر والشأن.

• هو العلي الذي له العلو بأنواعه، وله العظمة بأنواعها:

عظمة الشأن .. عظمة الذات .. عظمة الصفات .. عظمة الخزائن .. وعظمة الملك.

وله الكبرياء بأنواعه، وله الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة / ٧٤].

هو سبحانه العظيم الذي نزه نفسه عن النقائص والعيوب، وعن المثل والكفاء، وعن كل شرٍ وسوء؛ لأنه العظيم الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العلاء، ولهذا قرن الرسول ﷺ بين تسيحه وتعظيمه في قوله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.  
سبحان الله وبحمده: أنزهه عما لا يليق بجلاله، وأحمده على جميع إنعامه، سبحان الله: تنزيهه، وبحمده: إثبات صفة الحمد له جل جلاله، وحمده جل جلاله لما له من الأسماء الحُسنى، والصفات العلاء: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

فالمطلوب أن نسبح العظيم، ونؤمن بالعظيم، ونعبد العظيم جل جلاله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].  
فالله جل جلاله هو العظيم الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العلاء، والأفعال الحميدة، ولهذا لا تتعلق بأحدٍ سواه بل نعبده وحده لا شريك له؛ لأنه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [٤٣] سُبْحَانَ اللَّهِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٤) واللفظ له، والبخاري برقم (٦٤٠٦).

وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾  
[الإسراء: ٤٣ - ٤٤].

هو الغني الذي لا يحتاج لأحد جل جلاله بل كل أحد محتاج إليه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾  
[الأنعام: ١٠١].

هو العظيم الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].  
العظيم لو أدركته الأبصار، لامثلت أمره فوراً، ولم تخالف أمره أبداً، لأنها تراه فتخاف، فيظل أمر التكليف، لكن لا تدركه الأبصار لعظمته وجلاله، ومن رحمته أننا لا نراه، وإنما نراه ببصائرنا فنعبد الله كأننا نراه.

لا تدركه الأبصار، لأنه أعظم من أن يحيط به مخلوق، بل هو المحيط بكل مخلوق، هذه العين الصغيرة لا تحيط بالملك العظيم الكبير جل جلاله: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].  
ثم قال: ﴿فَدَجَاءَكُمْ بِبَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فسبحان العظيم الذي عرفنا بنفسه من خلال آياته ومخلوقاته، حتى نعظمه ونكبره، ونحبه ونعبده وحده، فهو جل جلاله العظيم المحيط بكل محيط، والملك كله بين يدي العظيم أصغر من الخردلة: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].  
هو العظيم، هو العلي الكبير، هو العظيم الذي يمسك الأجرام العظيمة فلا تقع ولا تزول ولا تميد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

هو العظيم الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض بسبب المعاصي، الرحيم بعباده، الغفور لذنوبهم، اللطيف بهم، فلنطلب رحمته، ولنستغفره، ليرفع عنا ما حل بنا من

البلاء: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ، عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُؤُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فما أعظم السموات والأرض وما بينهما، وإذا كان العظيم سبحانه يجعلها بين أصابعه فكم تكون عظمته وجلاله وكبرياؤه.

فسبحان الملك العظيم الذي أحاط بكل شيء علماً، ولا يُحيط به شيء من خلقه، خلق جل جلاله مئة رحمة، وأنزل رحمة واحدة إلى الأرض يتراحم بها الخلق، فكم تكون رحمته يوم القيامة؟! ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٧٤﴾ [الحج: ٧٤].

الله خلق مئة رحمة فأنزل منها واحدة يتراحم بها الخلق، هذه الرحمة يُعيدها الله يوم القيامة لتكون مع التسع والتسعين يرحم بها الخلق: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦].

هو سبحانه العظيم الذي رحمته لجميع الخلق في الدنيا، ورحمته يوم القيامة خاصة بالمؤمنين، أما الكافر فلا حظ له في رحمة الله يوم القيامة، أما المؤمن فالله ﷻ يرحمه رحمة خاصة: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فبرحمة الله يعيش المؤمن والكافر، فالكل يأكل من رزق الله، ويتنفس من هذا الهواء، ويشرب من هذا الماء، ويسكن في هذه الأرض، هذا عطاء الربوبية من الرب، لأنه لا رب غيره، هو الخالق لكل شيء، الذي أكرم عباده بكل شيء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَهْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

فالله يريد من هذا الإنسان أن يكون عظيماً في أقواله، وأفعاله، وأخلاقه، يريد منه أن

(١) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم (٢٧٨٦) واللفظ له، والبخاري برقم (٧٤٥١).

يكون متميزاً عن غيره، باتصاله بالعظيم، وإتباع شرعه العظيم، ليفوز بأجره العظيم:  
 ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ  
 وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ  
 وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ  
 كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

هو سبحانه العظيم الذي خلق بين الخلق عظمة يُعظم بها بعضهم بعضاً.  
 فمن الناس من يُعظم لسلطانه، ومنهم من يُعظم لإيانه، ومنهم من يُعظم لغناه، ومنهم  
 من يُعظم لعلمه، ومنهم من يُعظم لقوته، ومنهم من يُعظم لجاهه، وكل واحد من الخلق  
 إنما يُعظم لمعنى دون معنى، وهذا العطاء الذي أعطاه الله، من جاهٍ أو مالٍ أو علم، إنما  
 هو موهوب من العظيم، والموهوب يوشك أن ينتهي، وأن يسلب: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ  
 أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤].

فالخلق يُعظمون لمعنى دون معنى، أما الله العظيم فهو يُعظم بكل صفة كمال، فإن الله له  
 الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا  
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ  
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ  
 ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ  
 إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو سبحانه العظيم، وكتابه عظيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ [الحجر/ ٨٧].

فمتى نعظم الله!، ومتى نعظم كتابه!، ومتى نعظم أمره!، ومتى نعظم شرعه، ومتى  
 نعظم حرمانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا

كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

هو سبحانه العظيم، الذي خلق كل عظيم، وملك كل عظيم، وأعطى كل عظيم: ﴿فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

هو العظيم، الذي يملك كل عظيم، صاحب الفضل العظيم، العظيم الذي لا يعطي إلا كل عظيم، وعطاؤه عظيم في كميته ونوعيته: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

نعمة واحدة لا نستطيع أن نحصيها، فكيف بالنعمة العظيمة الكثيرة التي لا يمكن عدّها ولا إحصاؤها، عطائه عظيم الكمية، إذا أعطى أعطى عطاء لا فقر بعده، يُعطي لأقل عباده في الجنة مثل هذه الدنيا عشر مرار كما في الصحيحين، فعطاؤه عظيم في كميته يعطي على الحسنه عشر أمثالها، إلى سبعائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلا ما لا حد له: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

وعطاؤه عظيم في كميته، عطائه في الجنة ما كفيته؟ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٧].  
وقال النبي ﷺ: «في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فسبحان العظيم في ملكه، العظيم في قدرته، العظيم في عطائه: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].  
هو العظيم الذي عظم ما شاء من الأماكن، والأزمان، والأشخاص، والأحوال.  
هو العظيم الذي خص ما شاء من البقاع بالعظمة كالمساجد بيوت الله ﷻ، وخص المساجد الثلاثة بمضاعفة الأجور فيها: المسجد الحرام .. والمسجد النبوي .. والمسجد الأقصى.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٢٤).

فلمسجد الحرام هو بيت الله باختيار الله، والمساجد الأخرى بيوت الله باختيار خلق الله، تتوجه كلها إلى بيت الله وفيها التعظيم لله، والتكبير لله، والثناء على الله، والحمد لله، وسؤال الله، وتسييح الله: ﴿ فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ ﴿٣٦﴾ [النور/٣٦].

بماذا؟ بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة: ﴿ فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ، فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحِزَّةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ ﴿٣٧﴾ [النور/٣٦-٣٧].

هو العظيم الذي عظم الأمكنة كالمساجد الثلاثة والمساجد الأخرى بمضاعفة الأجور. وأما في الزمان فهو العظيم الذي عظم ما شاء من الأزمنة فعظم شأن ليلة القدر، وشأن يوم النحر، وعظم الساعة في يوم الجمعة، وعظم الأيام والليالي والشهور كرمضان والأشهر الحرم: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦].

هو جل جلاله العظيم الذي يعظم من الأزمنة ما شاء، عظم الضحى، وعظم الليل، وعظم بعض الليالي، وعظم بعض الأيام، وعظم بعض الساعات، وعظم الليل، وعظم النهار، وعظم الصباح، وعظم الفجر.

وهو سبحانه العظيم الذي له الشرف والمجد، والكبرياء والعظمة، فالعظيم اسمه والتعظيم حال المعظم له، يعظمه عبده حين يشاهد معاني علاه وكبريائه وعظمته، فيوجل قلبه تكبيراً لربه، وتعظيماً له، وهيبة له، ويتعلق به وحده دون سواه: ﴿ ذَلِكَ كُفْرٌ مِنَ اللَّهِ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ﴿١٠﴾ [الشورى/١٠].

من هو؟ ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهَا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١٢﴾ [الشورى: ١١-١٢].

والمقاليد هي المفاتيح، والمفاتيح كلها بيد واحد لا شريك له: ﴿ سُبْحَانَكَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ﴿٤﴾ [الزمر: ٤].

هو العظيم الذي خلق عظام المخلوقات، وصورها كيف شاء، ودبرها بأمره، وأمسكها

بقدرته، وحركها بمشيئته، وحكمها بقهره سبحانه هو الواحد القهار.

هو الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة في الملك والملكوت: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر/ ١٣].

هو الملك العظيم الذي له ملك كل شيء مُلك السموات والأرض، ومُلك الهواء، ومُلك البحار، ومُلك العالم العلوي، والعالم السفلي، ومُلك الدنيا، ومُلك الآخرة: ﴿بَنَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك/ ١].

هو الذي ملك الظرف والمظروف، فالسموات والأرض ظروف فيها مظاريف، هذه المظاريف هي ملكه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

• هذه المظاريف العظيمة التي خلقها الله، وفي تلك الظروف ستة أجناس:

عالم الجهاد.. وعالم النبات.. وعالم الحيوان.. وعالم الإنس.. وعالم الجن.. وعالم الملائكة.

عالم المخاليق كلها للعظيم جل جلاله، لأنه عظيم، وخلقه عظيم، ومُلكه عظيم: ﴿إِن رَّبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

هذا الرب العظيم هو الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة:

خلق العرش العظيم، وخلق الكرسي الكريم، وخلق الشمس والقمر، وخلق السموات السبع، وخلق الأراضين السبع، وما فيهن، وما بينهن، وما عليهن من الملائكة الكرام، والإنس، والجان، والجهاد، والنبات والحيوان: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهو سبحانه العظيم الذي خلق ما في الملك والملكوت من مخلوقات عظيمة لتدل على كمال قدرته وعلمه، وكمال حكمته ورحمته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

خلق العظيم سبحانه جميع هذه الكائنات بقدرته، ودحا الأرض بمشيئته، وأمسك

السماء بقوته، دون علائق من فوقها، ولا دعائم من تحتها، وإنما أمسكها بكمال قوته، وعظيم قدرته جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر/ ٤١].

فهو جل جلاله الخلاق العليم والرب العظيم والإله القدير الذي بيده ملكوت كل شيء، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُوعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].  
والعظيم اسمٌ من أسماء الله ﷻ، والعظمة من صفات الله الذاتية والفعلية.  
فالله ﷻ هو العظيم في ذاته، العظيم في أفعاله.

فالصفة الذاتية: الله هو العظيم وحده في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومملكه، وسلطانه، فلا أعظم منه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وأما الفعلية: فالعظيم سبحانه يعظم الأجور والأرزاق، هو عظيم النعم والعطايا، يعظم النعم والعطايا بإرادته ومشيئته التي هي من صفات أفعاله التي لها سبب معلوم، فمتى حصلت من العبد التقوى، أو صلة الرحم، أو الجهاد، أو الصبر وجد أن ربه عظيم ليس له مثل في العطاء: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ ﴿٥٥﴾ [الطلاق/ ٥].

فمن عرف ربه العظيم وجب عليه أن يعظمه التعظيم كله بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٧٤﴾ [الواقعة: ٧٤].

ويعظم أو امره: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعْرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿٣٢﴾ [الحج/ ٣٢].  
ومن تعظيم الله تسبيحه وتقدسيه، وطاعته واطاعة رسوله، وإتباع شرعه، وتعظيم المسلم ربه العظيم بقلبه ولسانه وجوارحه، وفي جميع أقواله وأعماله، وفي جميع أحواله، في سفره وإقامته، في صلواته وصيامه، في نومه وبقظته، في صحته ومرضه، في أمنه وخوفه، في جميع الأحوال يعظم ربه، ويفزع إلى امتثال أمره؛ لأن حل المشاكل بيده وحده، بيد العظيم الذي بيده كل عظيم: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

فيعظم المسلم ربه العظيم، ويمثل أمره في جميع الأحوال، وفي جميع الأماكن، وفي جميع

الأوقات: ﴿وَأذْكَرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ  
وَكَيْلًا ﴿٩﴾ [المزمل: ٨-٩].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في  
السموات والأرض، هو جل جلاله الملك الحق الذي له ما في السموات وما في  
الأرض.

هو العلي العظيم، الملك العزيز الجبار، الكبير المتكبر، الكامل في الشرف والسؤدد، مع  
سعة الملك، وسعة العلم، المتوحد بالجلال والجمال الذي يستحق التعظيم كله، والتكبير  
كله، والتحميد كله وحده لا شريك له، لماذا؟ لأنه رب السموات والأرض وما فيهن،  
ورب العالمين: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ  
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢].

واعلم أن العظيم جل جلاله أودع ما شاء من مخلوقاته ضروب التغير، ودلائل الحدث،  
وسمات النقص، بما جعل فيها من انقيادها لخالقها، وإذعانها لفاطرها، وخضوعها  
لعظمتها، شاهدة على نفسها أمام ربها بالفقر والعجز والحدوث والضعف: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ  
اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ  
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا  
يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ [الحج/ ١٨].

وهذه المخلوقات العظيمة شاهدة لربها العظيم بالتوحيد والغنى، والأسماء الحسنى،  
والصفات العلاء، والعظمة والكبرياء، وعظمة الملك والملكوت: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ  
لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ  
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ  
مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

فالله ﷻ خلق هذه المخلوقات شاهدة بوحدانيته، ومسبحة بحمده، وخاضعة لأمره،  
ودالة على عظمته، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته.

هذه المخلوقات العظيمة خلقها العظيم جل جلاله؛ لتسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته،

ونحن من هذه المخلوقات، لكن جميع المخلوقات مسخرة إلا الإنس والجن فهم  
 خيرون، إن شاءوا آمنوا، وإن شاءوا كفروا، إن شاءوا أطاعوا إن شاءوا عصوا: ﴿إِنَّ  
 هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
 عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣١﴾  
 [الإنسان: ٢٩-٣١].

والله ﷻ يجب من يأتي إليه اختيارًا وهو قادرٌ ألا يأتي، أعظم ممن يسبح بحمده بالتسخير  
 من ربه ﷻ، فلا خيار لجميع المخلوقات في الانقياد إلى ربها، كلها اختارت أن تكون  
 مسخرة لطاعته جل جلاله؛ أما الإنسان فهو مخير: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾  
 لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
 وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

فهذه المخلوقات العظيمة خلقها الله دالة على كمال قدرته، وتثبيتًا لحكمته، وبيانًا  
 لعظمته، حتى يتجاوز البصر بالبصيرة من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور،  
 ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الإهتمام بالأموال والأشياء إلى الإهتمام بالإيمان والأعمال  
 الصالحة، ومن السنن الكونية إلى القدرة الإلهية: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ  
 شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٤﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ  
 الْخَاسِرُونَ ۝٦٣﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

فهذه المخلوقات العظيمة العظيم جل جلاله وسمها بالنقص، وافتقار بعضها لبعض،  
 من جماد ونبات، وحيوان وإنسان، فأحوج الأسفل منها إلى الأعلى، كما أحوج الأعلى إلى  
 الأسفل، وسخر بعضها لبعض، والروح من أمره يتخللها، وبأمره تجري مصالحها، ثم  
 أفقر الكل إليه، لأنه هو الغني وحده عن سواه: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ  
 لَهٗ قَنَاطُونَ ۝٦٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٧﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

هذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي الدنيا وفي الآخرة، وفي  
 عالم الغيب وفي عالم الشهادة، الكبير والصغير، والعالي والسافل، والناطق والصامت،

والجماد والنبات، والحيوان والإنسان والجن، والملائكة والروح، وجميع المخلوقات قانتة تسبح باسم ربها العظيم، كل يعبد ربه العظيم باسمه ووصفه، منقاداً لأمره، ومسرعاً لإرادته، ومسبحٌ بحمده، وشاهد بتوحيده: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ تَسْبِيحًا وَمِنْهَا لَعْنَةٌ وَسَبْحٌ كَثِيرٌ وَأَلَّا يُعْلَمَ غَيْبُ اللَّهِ فَكُلٌّ مِنْهَا خَالِفَةٌ كَمَا يَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [النور/ ٤١-٤٢].

فسبحان الرب العظيم، الذي أظهر عظمته لعباده في عظمة ملكه، وعظيم قدرته، وعظيم إرادته، وعظيم كلامه، وعظيم علمه، وعظيم سلطانه، وعظيم جبروته، وعظيم خلقه، وكل ذلك موجودٌ من عظمة ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢].

هو سبحانه العظيم الذي خلق كل عظيم، فما أعظم ما ترى من عظمة ربك وسلطانه، وعظيم مخلوقاته! وما أصغره وأقله في جنب ما لم تره ولا تعلمه، فما نعلمه بالنسبة لما لا نعلمه كالذرة بالنسبة إلى الجبل، وكالقطرة بالنسبة إلى البحر: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

فلا إله إلا الله، ما أعظم ملكه، وما أعظم علمه: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه/ ١١٤].

واعلم هداك الله أن الله هو العظيم وحده لا شريك له، العليم الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، العليم الذي يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ورق الأشجار، وعدد قطرات الأمطار، لا نواري منه سماءً سماءً، ولا أرضاً أرضاً، ولا جبل ما في وعره ولا بحر ما في قعره: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الأنبياء/ ٦].

أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ تَسْبِيحًا وَمِنْهَا لَعْنَةٌ وَسَبْحٌ كَثِيرٌ وَأَلَّا يُعْلَمَ غَيْبُ اللَّهِ فَكُلٌّ مِنْهَا خَالِفَةٌ كَمَا يَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [النور/ ٤١-٤٢].

خَلَقَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو جل جلاله العظيم الخالق الذي خلق كل شيء، العظيم الذي بيده كل شيء، العظيم الذي بيده الملك والملكوت، ويده الأجساد والنفوس، العظيم الذي بسط سلطانه على جميع مخلوقاته، وله الكبرياء في السموات والأرض، وله الحمد في السموات والأرض: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو سبحانه العظيم الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، العظيم الذي أمره نافذ في ملكه وملكوته، على جميع مخلوقاته وعبيده، في أي مكان، وفي أي زمان وفي أي حال، هو العظيم الرب وحده لا شريك له القوي الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس/ ٣].

أما سلطان الله ﷻ على الإنسان فكله بيد الله وحده، ظاهره وباطنه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الصفات/ ٩٦].

فسلطانه على الإنسان كله بيد الله وحده، وجميع أجهزة الإنسان وأعضائه بيد الله، وجميع حواسه بيد الله، عقله بيد الله، وقلبه بيد الله، وسمعه وبصره بيد الله، وأعصابه وعروقه بيد الله، وأعضاؤه وجوارحه بيد الله، ومعدته وكبدته بيد الله، وظاهر الإنسان وباطنه كله تحت أطاف الله ورحمته؛ فليطع العبد ربه الذي خلقه وصوره، وأكرمه وأطعمه: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

فسبحان العظيم الذي خلق كل شيء، وتكفل برزقه وحفظه، العظيم الذي تعجز العقول عن إدراك كنه عظمته، وتعجز الأبصار عن رؤيته: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

ولكن الأبصار التي آمنت به وأطاعته، تراه يوم القيامة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فأبصرت الحق، وعملت بالحق، ودعت إلى الحق، وعملت بالحق، فيوم القيامة هذه

العيون التي أبصرت تبصائرهما، ربهما بأسمائه وصفاته وأفعاله يوم القيامة تراه.  
 أما التي انصرفت عنه، وكفرت به، فهي محجوبة عن رؤيته يوم القيامة: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ  
 يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ١٥ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ١٦ ﴿[المطففين/ ١٥-١٦].

فعلينا أن نتعلم ونعرف من أسماء ربنا وصفاته وأفعاله ما يملأ قلوبنا إيماناً وتوحيداً،  
 وتعظيماً وتكبيراً، وحمداً وشكراً، فإذا آمن الإنسان بربه العظيم؛ آمن بكتابه العظيم،  
 وامثل أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم، وانقادت جوارحه لطاعة ربه العظيم: ﴿إِنَّمَا  
 يَخْتَشَى اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الَّذِينَ عَلِمُوا بِأَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ٢٨ ﴿[فاطر/ ٢٨].

فتعلم الإيمان فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وتعلم العلم الإلهي فرض عين، لأنني  
 لا بد أن أعرف من أعبد بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله حتى أحبه وأعبده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ  
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ١٩ ﴿[محمد: ١٩].

وقد ورد اسم الله العظيم في كتاب الله الكريم ست مرات:

في سورة البقرة .. وفي سورة الشورى .. وفي سورة الحاقة مرتين .. وفي سورة الواقعة  
 مرتين.

فلنتعرف على ربنا العظيم، ونعرف من أسمائه وصفاته وأفعاله ما يجعل المسلم يحب ربه،  
 ويعظمه ويكبره، وينقاد لأمره، ويسلم لحكمه، ويعبده وحده لا شريك له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ  
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ  
 وَمَثْوَاكُمْ﴾ ١٩ ﴿[محمد: ١٩].

والله سبحانه هو العظيم الذي خلق كل عظيم، خلق السموات والأرض، وخلق  
 العرش والكرسي، وخلق المخلوقات والعوالم كلها.

والله سبحانه هو العظيم الذي خلق كل عظيم، وهو العظيم الذي هو أعظم من كل

عظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ  
 الْبَصِيرُ﴾ ١١ ﴿[الشورى/ ١١].

وجوده ليس كمثل شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ووجوده، فهو جل جلاله دائم

الوجود، وغيره ليس كذلك، بل يحتاج إلى موجد، والله أوجد كل موجود: ﴿ذَلِكُمْ  
 اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾  
 [الأنعام: ١٠٢].

• فكل ذرة في الكون تحتاج من ربه إلى ثلاثة أمور:

الأول: أمرٌ بالإيجاد.

الثاني: أمرٌ بالبقاء.

الثالث: أمرٌ بالنفع والضرر.

الخلق بيده، والحياة والموت بيده، والنفع والضرر بيده: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ  
 الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤].

فأنا موجود والله موجود، لكن وجودي ليس كوجود الله، أنا موجود وقد كنت  
 عدماً: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ [الإنسان / ١].

فهو جل جلاله دائم الوجود وغيره ليس كذلك، وهو أعظم من كل عظيم في كبريائه،  
 وعظمته، وعلمه، وقدرته، وقهره، وسائر أسائه وصفاته، ليس كمثلته شيء في ذاته  
 وأسائه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ  
 يُؤَلِّدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

هو العظيم الذي لا أعظم منه؛ فالعقول لا تصل إلى كنه صمديته، والأبصار لا تحيط  
 بعظمة ملكه، فكيف تحيط به؟ والبصائر تقف عن إدراك أنوار عزته وجلاله وجماله؛  
 فإليه المنتهى، وكل مخلوق بالنسبة لجلاله وجماله وكماله كالعدم المحض: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ  
 شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى / ١١].

فإنه ﷻ هو الإله العظيم الذي كل ما في الكون من المخلوقات، من العرش والكرسي،  
 واللوح والقلم، والأنوار والظلم، والسموات والأرض، والشمس والقمر، والماء  
 والهواء، والجبال والبحار، وكل ما خلقه الله وما سيخلقه إلى قيام الساعة وأضعاف  
 ذلك، كل ذلك بالنسبة إلى عظمة الله كالذرة بالنسبة إلى العرش العظيم، بل هذه النسبة  
 لا تصح أبداً، لماذا؟ لأن المخلوقات كلها متناهية، والله هو الحي القيوم: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا  
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

والله ﷻ هو الرب العظيم الذي لا بداية له ولا نهاية، ومقدوراته غير متناهية، ولا نسبة للمتناهي إلى غير المتناهي البتة، وكبرياء الله وعظمته لا نهاية لها، وقدرته لا نهاية لها، فلا فرق عند العظيم القادر على كل شيء بين خلق مليار عالم، وبين خلق ذرة أو بقعة أو بعوضة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس / ٨٢].

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿٥٠﴾ [القمر / ٥٠].

فسبحان العظيم الذي يستوي عنده خلق الصغير والكبير، وخلق العرش والذرة، وخلق القليل والكثير: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

فهو العظيم القادر لا فرق عنده بين إزالة العرش العظيم، والكرسي الكريم، والسموات والأرض، وبين إزالة بيت عنكبوت أو بعوضة: ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [لقمان / ٢٨].

وهذا إنذار للبشر، إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، فاتقوا الله، وأطيعوه ولا تعصوه، وأعلموا أنكم ملاقوه: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء / ٧].

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام / ١٦٠].

والله جل جلاله هو العظيم الذي لا أعظم منه، يجب أن نسمع قلوبنا بألستنا عظمته وجلاله، ونعظم الله ونكبر الله في كل وقت؛ حتى يعلم القلب بواسطة اللسان، وبواسطة العين، وبواسطة الأذن أن الله عظيم وحده لا شريك له، وأنه العلي العظيم، وأنه العلي الكبير، وأنه الواحد الأحد، وأنه القوي العزيز، وأنه الغني الكريم، وأنه الرحمن الرحيم فالمقصود من الذكر الكثير لربنا ﷻ أن تأتي عظمة الله في قلوبنا، وإذا جاءت عظمة الله في قلوبنا؛ عظمتنا كتابه، وعظمتنا أمره، وعبدناه بالمحبة والتعظيم والذل له؛ لأننا عرفناه بأسماؤه وصفاته وأفعاله فأمننا به: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَعْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فإنَّ اللهَ ﷻ هو العَظِيمُ الذي لا أعَظَمَ منه، وكل ما سِوَاهُ ضَعِيفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، صَغِيرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، فَفَقِيرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، بَلْ لَا نِسْبَةَ بَيْنَ المَخْلُوقِ وَالمَخْلُوقِ أَبدًا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

لَهُ الأَسْمَاءُ الحَسَنِيَّةُ، وَالصِّفَاتُ العَلَا، وَالأَفْعَالُ الكَبِيرِيَّةُ، وَالمِثْلُ الأَعْلَى: ﴿ذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فَيَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ القَلْبُ هَذَا؛ حَتَّى يَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ، وَيَجِدَ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ، وَيَجِدَ حَقِيقَةَ الإِيْمَانِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

لَا بَدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ مَعْرِفَةِ العَظِيمِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ أَمْرِهِ: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وَالإِنْسَانُ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ ﷻ بِيَدِهِ، يُدْرِكُ بِبَصِيرَتِهِ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ اشْتَرَكَا فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا كَامِلًا فِيهِ، وَالأُخْرَى نَاقِصًا فِيهِ، فَإِذَا وَصَلَ النَاقِصُ إِلَى الكَامِلِ فَنِي النَاقِصِ فِي الكَامِلِ بِالكَلِيَّةِ، فَالْقَطْرَةُ مِنَ المَاءِ إِذَا وَقَعَتْ فِي البَحْرِ فَنِيَّتْ فِيهِ، وَالشَعْلَةُ مِنَ النَارِ إِذَا وُضِعَتْ فِي خَنْدَقِ عَظِيمٍ مِنَ النَارِ فَنِيَّتْ فِيهِ، وَصَوْتُ البَقَّةِ إِذَا حَصَلَ مَعَ صَوْتِ الصَاعِقَةِ فَنِيَّتْ فِيهِ؛ فَذَلِكَ مَنْ كَانَ نَاقِصًا فِي المَلِكِ، إِذَا وَصَلَ إِلَى مَنْ كَانَ كَامِلًا فِي المَلِكِ فَنِي وَصَارَ كَالْعَدَمِ: ﴿مَا قَدَرُوا اللهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].

وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ حَقًّا عَرَفَ رَبَّ حَقًّا، وَآمَنَ بِهِ حَقًّا، وَعَبَدَهُ حَقًّا: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُمِينُ المُهَيِّمُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المَتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المَصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحَسَنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فَيَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ مِنْ عَظَمَةِ رَبِّنَا مَا يَدْعُونَا إِلَى مَحَبَّتِهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَطَاعَتِهِ، فَاللهُ ﷻ هو العَظِيمُ الذي خَلَقَ كُلَّ عَظِيمٍ، العَظِيمُ الذي لَا يَشْبَهُهُ شَيْءٌ، وَكُلَّ مَا سِوَاهُ فَفَقِيرٌ

وضعيفٌ وصغيرٌ أمام ربه العظيم، فهذه مخلوقاته شاهدةٌ بوحدانيتها، ومسبحةٌ بحمده.  
 فسبحان الله العظيم، والحمد لله العلي العظيم، حمدًا لا يعد ولا يحد ولا يرد، حمدًا كثيرًا  
 طيبًا مباركًا فيه، ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما بينهما، لماذا؟ لعظمة ذاته وأسمائه  
 وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة إحسانه وإنعامه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ  
 السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
 الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو سبحانه العظيم الذي يُحمد بكل لسان في العالم العلوي والعالم السفلي، العظيم الذي  
 لا يزيده تعظيم الخلق له عظمة، ولا يزيده تكبيرهم له كبرياء.  
 هو العلي العظيم الذي يحتاجه البشر، وليس بحاجة بشر إن شكر أو كفر، سبحانه هو  
 الغني له ما في السموات وما في الأرض: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ  
 الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

هو العظيم الذي رفع السماء بلا عمد، وفجر الماء من الحجر، وقهر كل أحد، هو الواحد  
 الأحد الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

هو العظيم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه،  
 وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير جل جلاله.

هو جل جلاله العظيم الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في  
 السموات وما في الأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات  
 والأرض: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون/ ٧].  
 وله غيب السموات والأرض: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ  
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

«يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْ سَكُمُ وَجَنَكُمُ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ سَأَلُونِي،  
 فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ

الْبَحْرَ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هذه عظمة خزائنه، فكيف بعظمة ملكه! وكيف بعظمة أسمائه وصفاته! فكيف بعظمة ذاته: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

هو العظيم الذي استوى على العرش العظيم، فكم عظمة ربنا ﷻ! وكم عظمة مخلوقاته! كم عظمة هذه الأرض العظيمة، وما فيها من مليارات المخلوقات! كم عظمة الفضاء الذي بين السماء والأرض! وما فيه من النور والسحب والنجوم وغيرها.

كم عظمة السموات! كم عظمة ما بين السماء الأولى والثانية! كم عظمة ما في هذه السموات من الملائكة! كم عظمة جبريل وميكائيل وإسرافيل! كم عظمة الكرسي العظيم! كم عظمة العرش العظيم! كم عظمة من استوى على العرش! ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

العظيم جل جلاله هو الذي أنزل القرآن العظيم، هو الذي أنزل القرآن الحكيم، هو الذي أنزل القرآن المجيد، هو جل جلاله العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء، العظيم في ذاته فلا أحد أعظم منه، العظيم في أسمائه فله وحده الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والأفعال الحميدة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

هو العظيم في ربوبيته، العظيم في ألوهيته، العظيم في كبريائه، العظيم في قدرته، العظيم في علمه، العظيم في أفعاله، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

هو العظيم جل جلاله، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الحفيظ لكل شيء، المحيط بكل شيء، هو العلي العظيم، الملك كله له، والخلق كله له، والأمر كله بيد الله العظيم وليس لأحد سواه شيء؛ لأن جميع ما سواه لم يكن شيئاً؛ حتى يفعل شيئاً.

ومن أحسن فلنفسه، ومن أساء فإنما يسيء إلى نفسه، ولا يضر الله شيئاً: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [العنكبوت/٦].

ومن أساء فعلى نفسه: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء/١٢٣].

فمن سب الله أو رسوله أو دينه، أو استهزأ بالله أو رسوله أو دينه، أو استكبر عن عبادة ربه، وطاعة رسوله، فإنما يضر نفسه، ولا يضر الله شيئاً، والله غني عن كل ما سواه: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت/٣٨].

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧].

والله محمودٌ قبل أن نحمده، وكبيرٌ قبل أن نكبره، وعظيمٌ قبل أن نعظمه، والله لا يزداد بتعظيمنا عظمة، ولا بتكبيرنا كبرياء، فالله الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه، والله ﷻ مظهرٌ دينه ولو كره الكافرون؛ فمن سب الله أو رسوله أو دينه فإنما يضر نفسه، وما يضر البحر حجر يُلقى فيه، ومن أثار الغبار من الأرض فإنما يثيره على نفسه، ومن أثار الغبار على هذا الدين فإنما يثيره على نفسه؛ لأن الدين يُظهره ويحفظه العظيم جل جلاله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر/٩].

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف/٩].

ومهما أنفق الكفار والملاحدة، وبذلوا جهودهم المختلفة، للصد عن سبيل الله، فلن يستطيعوا منع هداية الله لخلقه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال/٣٦].

فسبحان العظيم الذي لا يقف له شيء: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨].

فإظهار الدين بيد الله، ونحن نقوم بالدعوة، ونقوم بالتعليم، والله مظهرٌ دينه؛ بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٩].

والعظيم سبحانه بصيرٌ بالعباد، فمن آمن به وأطاعه فاز ونجا، ومن كفر به وعصاه

هلك وخسر، والله ﷻ بين لنا في كتابه العظيم أن هذا الإنسان إذا سلك طريق الطاعة نجا وأفلح، وإذا سلك طريق المعصية خسر وهلك، هذه أمور يقررها القرآن العظيم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِمٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء/١٣-١٤].

#### • فالناس في الآخرة اثنان:

فريق في الجنة .. وفريق في السعير: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدِ بِنَفْسٍ قَوْمٌ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤-١٦].

#### • والناس في الدنيا اثنان:

إما مؤمن أو كافر .. أو بار أو فاجر: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن: ٢].

وقد رغب الله في الإيمان والبر، وحذر من الكفر والفسق: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِينَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة: ١٨-٢٠].

والله ﷻ هو الملك الحق البصير بالعباد، الرحيم بهم، الرؤوف بهم، السميع البصير بجميع ما يجري في ملكه وملكوته، فهو لم يغب عن ملكه، بل هو حي قيوم قائم على كل نفس، يسمع كلام الناس، ويرى أفعالهم، ويعلم بما في ضمائرهم، ولا يمكن لهم أن يخرجوا من سلطانه، وكلهم تحت سمعه وبصره جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

وقد أنزل الله الماء من السماء إلى الأرض فأنبتت من كل زوج بهيج، ولكن بعض الأرض امتنعت من الإنبات كالجبال والسهاب، وكذا الوحي نزل على قلوب الناس فمنهم من آمن، ومنهم من كفر: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢-٣].

ماذا فعل الله بقوم نوح؟ ماذا فعل الله بقوم عاد؟ ماذا فعل الله بقوم ثمود؟ ماذا فعل الله بقوم لوط؟ ماذا فعل الله بقوم شعيب؟ ماذا فعل الله بفرعون وقومه؟ ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

قال الله ﷻ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ» أخرجهم مسلم (١).

فالله ﷻ لا يظلم أحداً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، والله لا يرضى بالطغيان والاستكبار، ومن أذن الله له بالطغيان من البشر؛ فإنما يوظف طغيانه لإظهار دينه، وإعزاز أوليائه، ثم يهلك الله ﷻ هذا الطاغية، ويجعله مع الطغاة أثراً بعد عين: ﴿الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ مُنْخَلٍ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكِثَ بِالْخَاطِئَةِ ٩ فَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاخَذَهُمْ آخِذَةً رَأِيَةً ١٠﴾ [الحاقة/ ١-١٠].

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص/ ٤].

فماذا فعل الله به؟ ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

الله ﷻ هو الرب العظيم، الذي لا يخفى عليه شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القادر على كل شيء، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ليس لعظمته بداية ولا نهاية، هو الأول قبل كل شيء، الآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن دون كل شيء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

هو العظيم الذي ليس لعظمته بداية ولا نهاية، وهو الخلاق العليم الذي يخلق في كل

(١) أخرجهم مسلم برقم (٢٦٢٠).

ثانية مليارات المخلوقات، التي لا تعد ولا تحصى، وكل مخلوق سوف يفنى، ولا يبقى إلا الواحد الأحد: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧].

هو جل جلاله العظيم، الحي الذي لا يموت، عظيمٌ في حياته، حيٌّ قيومٌ لا ينام، وكل من سواه من حي فسوف يموت: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

هو الحي بكامل الأسماء والصفات والأفعال، وحياته لم يسبقها عدم، هو الحي الذي خلق الحياة في كل حي، هو الحي الذي عنده خزائن الحياة، هو الحي الذي وهب الحياة لكل حي، وإذا سلبها عاد ميتاً، هو العظيم الذي أعطى الحياة لكل حي، وأذن لكل حي أن يبقى حياً: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ١-٢].

فما أعظم نعم الله على عباده فطعام كل يوم، وحياة كل يوم، وهداية كل يوم، وعبادة كل يوم، هو من فضل الله العظيم على العبد: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَاعٍ سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا نَحْنُ الْغَنِيُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْتَمِسْهُ يُجِبْكُمْ بِهَا وَيُؤْتِ اللَّهُ لِمَشَاءٍ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا نَحْنُ الْغَنِيُّونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

فسبحان العظيم بذاته، العظيم بصفاته، العظيم بأفعاله، العظيم بملكه وسلطانه، العظيم في دينه وشرعه، العظيم في ثوابه وعقابه، إذا أعطى أعطى الجزيل، كم يعطي أدنى مؤمن في الجنة وما فيها دني؟ يعطيه مثل هذه الدنيا عشر مرات؛ لأنه العظيم الذي يعطي على قدر شأنه لا على قدر سؤال العبد، فالعظيم هو الذي يعطي العظيم، أما المخلوق فهو فقير يعطي من عطاء الله، ومهما أعطى فهو قليل منقطع.

فالإنسان إذا أعطاه الله أعطى، وإذا لم يعطه فيكون فقيراً، فغنى الإنسان من عطاء ربه الرحمن جل جلاله، والله عَزَّ وَجَلَّ هو العظيم الغني الذي لا يحتاج إلى شيء، هو الغني الذي لا تنقص خزائنه، وكل ما سواه إذا أعطى نقصت خزائنه، أما الله فلا تنقص خزائنه إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر، وماذا يأخذ المحيط من البحر؟ وهذا للتقريب، والغني الذي تنقص خزائنه ليس بغني، الغني هو الذي لا تنقص خزائنه

أَبَدًا: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨].  
 ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ اَنْتُمْ الْفٰقِرٰٓءُ اِلَى اللّٰهِ وَاللّٰهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر / ١٥].

أما الإنسان فهو في وجوده محتاج إلى الله، هو كان معدومًا فأوجده الله، وحين أوجده ملكه، وبقاؤه وفناؤه بيد الله ﷻ، فالإنسان في وجوده وحياته محتاج إلى كل شيء، محتاج إلى الماء، محتاج إلى الطعام، محتاج إلى الهواء، محتاج إلى اللباس، بل هو محتاج في وجوده إلى الله أن يوجد له: ﴿هَلْ اَتَى عَلَى الْاِنْسٰنِ حِيْنَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ اِنَّا خَلَقْنَا الْاِنْسٰنَ مِن نُّطْفَةٍ اَمْشٰجٍ نَّبْتَلِيْهِ فَجَعَلْنٰهُ سَمِيْعًا بَصِيْرًا ﴿٢﴾ اِنَّا هَدَيْنٰهُ السَّبِيْلَ اِمَّا شٰكِرًا وَاِمَّا كُفُوْرًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان / ١-٣].

هو سبحانه العظيم، ولا بد للقلب أن يعرف العظيم؛ حتى يمثل أمره العظيم، وينال ثوابه العظيم، هو سبحانه العظيم في ملكه، العظيم في علمه، العظيم في قدرته، العظيم في خلقه، العظيم في عطائه، العظيم في ثوابه، العظيم في عقابه، العظيم في قهره، سبحانه الواحد القهار: ﴿فَاعْلَمْ اَنَّهٗ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُوْلَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

الله عظيم قبل أن يعظمه الخلق، وكبير قبل أن يكبره الخلق، وواحد قبل أن يشهد له الخلق بالوحدانية، وحميد قبل أن يحمده الخلق، ورزاق قبل أن يرزق الخلق وخالق قبل أن يخلق الخلق: ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَنۢى يَكُوْنُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُۥ صَحۢبَةً وَّخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿١٠١﴾ ذٰلِكُمْ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَاۤ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاَعۡبُدُوْهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيْلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠١-١٠٢].

فإن عظمت ربك تولاك بالأمن، والطمأنينة، والسكينة، والرزق، والهداية: ﴿الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَلَمْ يَلۡبِسُوْا اِيۡمٰنَهُمۡ بِظُلۡمٍ اُوۡلٰٓئِكَ هُمُ الْاٰمِنُوْنَ وَهُم مُّهۡتَدُوْنَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].  
 وإن عظمت نفسك وكلك إليها، فالمؤمن يعيش في الدنيا مع المنعم، وينسب النعم إليه، والكافر يعيش مع النعمة، وينسب حصولها إلى نفسه، ويكفر بالمنعم الذي أوصلها إليه: ﴿اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ بَدَّلُوْا نِعۡمَتَ اللّٰهِ كُفْرًا وَّاَحۡلَوْا قَوْمَهُمۡ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا وَيَبۡسُكُ الْفَرَارِ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم / ٢٨-٢٩].

وإذا عرف المؤمن ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله، عظمه بقلبه ولسانه وجوارحه،

وعظم كتابه، وعظم رسوله، وعظم دينه، وعظم أوليائه، وعظم شعائره.

ومن عرف العظيم ﷺ، خضع قلبه لربه العظيم، وانقادت جوارحه لربه الكبير، ونطق لسانه بحمده وشكره وتسبيحه وتقديسه، وخشع قلبه لهيبته، ورضي بقسمته، وأطاع ربه العظيم ولم يعصه؛ وصغرت الدنيا في عينه، وانتقلت من قلبه إلى يديه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

• والله ﷻ في القرآن بين أربعة أمور:

الأول: أن القرآن إما خبر، وإما إنشاء، فالخبر خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، أو خبر عن مخلوقاته كخلق السماء والأرض، والجبال والبحار، والإنس والجن، والملائكة، والجنة والنار، أو غير ذلك من المخلوقات: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمْلِكُ الْقُدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

الثاني: إنشاء، وهو إما طلب فعل، أو طلب ترك، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء/٣٦].

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال عز وجل: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴿٢٧٥﴾ ﴾ [البقرة/٢٧٥].

فبعد معرفة الخالق العظيم بأسمائه وصفاته، ومعرفة مخلوقاته العظيمة، الملك العظيم الكريم، بألوهيته أنزل تكليفه الشرعي لنا، وشرفنا به، بأن نعبده وحده، ولا نعبد سواه، فالتكاليف الشرعية من ألوهيته، والنعم المادية من ربوبيته، ومن عطاء ألوهيته هذا الدين العظيم الذي يربط المخلوق بخالقه، ويربط هذا الإنسان بالملائكة، ويربطه بالمؤمنين، ويربطه بالآخرة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

فهذا الدين الحق هو أعظم رباط يربط المؤمنين بعضهم مع بعض، ويربطهم بالناس جميعاً دعوةً وتعليماً، ويربطهم بالجن كذلك، ويربطهم بالملائكة، ويربطهم بالخالق، العظيم فأعظم رابطة تربط الناس هي الدين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

والعظيم جل جلاله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فجمع النبي ﷺ الصحابة على الدين فتحابوا عليه، ولو جمعهم على الدين لتقاتلوا عليها، ولكن العظيم جمعهم على الأمر العظيم فتحابوا عليه؛ فنالوا ثوابه العظيم في الدنيا أمناً وخلافةً، وطمأنينةً وهدايةً، وسعةً في الدنيا، ويوم القيامة يفوزون بجنته، ورضوانه، والقرب منه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فمن عرف ربه العظيم صغرت الدنيا في عينيه؛ لأن الذي خلق الدنيا علق عليها لوحة، عنوانها: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

فالله يزهدها في الدنيا؛ حتى لا تقبل على الدنيا، بل نجتهد لنحصل على العليا، وهي الجنة، فمن عرف العظيم آمن به وأطاعه، وعمر آخرته، وصغرت الدنيا في عينيه، وعصمت الآخرة في قلبه، فإذا أهمه أمر رفع يديه للعظيم وقال: يا عظيم اهدنا، يا عظيم ارزقنا، يا عظيم انصرنا، يا عظيم اشفنا، يا عظيم ارحمنا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فالله عَزَّ وَجَلَّ أعطانا الصلاة للاتصال به، نكبره أولاً ثم نحمده ثانياً "الله أكبر" في التكبيرات، ثم نحمده: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢].

وبعد الرفع من الركوع: "الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً ملء السموات، وملء الأرض"؛ ثم نسأله أعظم سؤال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة/ ٦].

ثم نستغفره من ذنوب القلوب والجوارح فيما بين السجدين: "رب اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني، واجبرني، وعافني، رب اغفر لي، رب اغفر لي"، ثم نقدم التحية له؛ لعظمته، وعظمة أسائه وصفاته، ولعظمة دينه وشرعه؛ ولأنه أكرمنا وأنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى، ومنها هذا الدين العظيم، فنقدم التحية له ونقول: "التحيات لله والصلوات والطيبات"، ثم نسلم ونصلي على الذي كان سبباً في اتصالنا بخالقنا، فلا يدخل أحد الجنة إلا بعد النبي ﷺ، فهو أول من يدخل الجنة.

فهو سبحانه العظيم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؛ فهو عظيم قبل أن تعظمه، وسواءً عظمناه أو لم نعظمه هو عظيم، هو العظيم أبداً، سواءً عظمته أو لم تعظمه، إنما إذا عظمته اتصلت به، وكسبت رضاه، وأطعته، ونلت ثوابه، هو العظيم الذي لا بداية لعظمته ولا نهاية لها: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى/ ٤].

هو العظيم الكبير المحيط بكل محيط، محيط بالكرسي، محيط بالعرش، محيط بالسموات والأرض: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً﴾ [النساء: ١٢٦].

محيط بالبحار، محيط بالجبال، محيط بالعالم العلوي، محيط بالعالم السفلي، محيط باليوم الآخر، هو العظيم الكبير، المحيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط، القادر المحيط بكل قادر، العظيم الذي لا أول له ولا آخر: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد/ ٣].

فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه، وما أظهر وجوده، وما أعظم أفعاله. فالإيمان بأن لهذا الكون العظيم خالقاً ضرورة فطرية: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم/ ١٠].

أما الإيمان بالله العظيم، الإيمان الكسبي الناشئ عن معرفة العظيم، فهذا الإيمان المطلوب الذي يخشع به القلب، وتخضع به الجوارح في الطاعة والعبادة لربها: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

فمعرفة العظيم تولد التعبد الحق، والمسارة إلى الخيرات، والمسابقة إلى الفضائل والحسنات، فمن عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله آمن بالعظيم، وأطاع العظيم، وامتلأ أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوَكُمُ﴾ [محمد/١٩].

فلا إله إلا الله ما أعظمه، وما أعظم ملكه وسلطانه!، وما أعظم دينه وشرعه! وما أعظم ثوابه وعقابه! فلا يليق بالإنسان أن يتصل بالفقير، أن يتصل بالصغير، أن يحرك جوارحه في عمارة الدنيا الفانية، بل يجب عليه أن يتصل بالعظيم؛ ليستفيد من عظمته وكبريائه وإنعامه وإحسانه: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

ومن رأى بقلبه الملك العظيم؛ تلاشت عظمة نفسه؛ فكبر الله، وحمد الله، وأطاع الله، وأحب الله، ومن رأى بقلبه ربه العظيم يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء ويرزق ما يشاء ويقلب الليل والنهار، ويفعل ما يريد، تلاشت عظمة نفسه، وعرف أنه عبد ضعيف فقير عاجز محتاج، وأنه عبد في أرض مولاه، ليس له من الأمر والخلق شيء بل الأمر كله لله: ﴿إِن كَرِهَ اللَّهُ لِيَأْتِيَنَّكَ الرِّسَالُ فَوَيْلٌ لَّكَ مِنَ الْغَايِبِ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فمن عرف ربه العظيم عظم في قلبه، وتلاشت عظمة نفسه، فكبر الله وحده، وحمد الله وحده، وأطاع الله وحده، وأحب الله وحده، وذل له وحده، وخضع له وحده: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وبتعظيم العظيم، وتكبير الكبير، والذل للعزیز، يرفع الله هذا العبد، وكلما ازداد العبد ذلاً وافتقاراً رفع الله قدره وذكره: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرُ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ٦-١١].

لماذا؟، لأنه اتصل بالله العظيم، عرف الله، أطاع الله، فالله نقله من اليتيم فأواه، ومن الضلال فهده، ومن الفقر فأغناه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح/ ١-٤].

فسبحان الله ما أعظم تواضع العارفين لربهم العظيم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

النبي ﷺ لما أخرج من مكة، ثم دخلها عام الفتح، دخلها منصوراً من ربه ﷻ، دخلها متواضعاً مطأطئ الرأس، تكاد عمامته أن تمس عنق راحلته، تواضعاً لربه العظيم؛ لأنه ذكر ربه العظيم، الذي أيدته ونصره وأرسله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الجمعة/ ٢].

والله ﷻ بين أن رسوله بالمؤمنين رءوف رحيم، لكن تيمور لنك الكافر الحاقد لما دخل الشام، أمر أن يُبنى هرم من جماجم الناس، فقتل من المسلمين خمسين ألفاً تقريباً بنى بها برجاً عظيماً؛ لأنه طغى بسلطانه وقوته، فقصمه الله ﷻ.

فمن توكل على العظيم كفاه كل شيء، وأعانه؛ لأنه العظيم وحده، ولا يليق بالعبد أن يعتر بنفسه، ويستكبر عن عبادة ربه، بل يتوكل على العظيم ليكفيه كل شيء ويعينه، ويحفظه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

ومن اعتمد على نفسه أو علمه أو ماله أذله الله من جهة ما اعتمد عليه؛ ومن أثر طاعة الله على معصيته أفلح وربح، ومن أثر معصية الله على طاعته هلك وخسر، فمن ابتغى أمراً بمعصية الله كان أبعد مما رجا، وأقرب مما اتقى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ عَنْكُمْ غَنَمًا فَأَصْحَقْتُمْ﴾

عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٦].

فإن الله ﷻ بيده كل شيء، النصر بيده، النصر ينزل كما ينزل القطر من السماء، النصر لا يكون إلا من ناصر، وإعداد القوة هذه من الأسباب، وأمرنا الله باتخاذ الأسباب، لا استكمال الأسباب، الأسباب نفعلها: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].  
 لكن اعتمادنا على القوي، وأخذنا بالأسباب أمر مطلوب شرعاً، ما نستطيع نأخذ به، لكن نفعلها ولا نعتمد بقلوبنا إلا على الله، ولا نتوكل إلا على العظيم، العظيم في قوته، العظيم في قهره، العظيم في نصره، ينصرنا الله ﷻ بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب.

نصر الله إبراهيم ﷺ بضد الأسباب، أرادوا إهلاكه بالنار وإحراقه، فالله بقدرته أنجاه من النار، وقال للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

إبراهيم ﷺ ضحى بالحياة فوهب الله له الحياة في النار، وضحى بالولد فالله أعطاه أحسن ولد، حفظ له الولد إسماعيل، وأخرج من نسل الولد أفضل ولد، وهو محمد ﷺ، وضحى بالبلد فالله أعطاه أحسن بلد مكة، فبنى البيت العتيق، وطاف بالبيت العتيق، وضحى بأم الولد هاجر فتركها بواد غير ذي زرع فخلد الله ذكرها، وجعل خطوتها بين الصفا والمروة من مناسك الحج والعمرة.

فلا يمكن لأحد أن يطيع الله، ويكون يقينه على الله، إلا ويحييه الله فوراً، كما أجاب إبراهيم فوراً، وكما قضى حاجته فوراً.

وكل من عصى الله فالله يجازيه بمعصيته فوراً: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

ومن أطاع الله، وسأل الله، فالله يعطيه فوراً: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧].  
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَوِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٨٨].

فالفلاح مقرون بالطاعة، والخسران مقرون بالمعصية، فلا فلاح للإنسان ولا سعادة إلا إذا حقق ما أراد الله منه.

• وما أراد الله منه أربعة أمور:

﴿وَالْعَصْرَ ۝١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر / ١-٣].

آمنوا وعملوا الصالحات فيما بيني وبين ربي، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فيما بيني وبين الخلق.

فكل إنسان في خسر إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع، فأسباب النجاة الله ذكرها بقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرَ ۝١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر / ١-٣].

أما أسباب الهلاك فهي في كل ما سوى ذلك: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝١٤﴾ [النساء: ١٤].

ونار جهنم شديدة الحرارة، فيها العذاب الشديد، فيها العذاب الأليم، فيها العذاب العظيم، وفيها العذاب الكبير، فيها العذاب المهين، بل فيها أكثر من ستة عشر نوعاً من أنواع العذاب: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۝١٧٥﴾ [البقرة / ١٧٥].

فكيف بما في داخل النار من السجون المظلمة المحرقة الموحشة: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُورًا وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٣٩﴾ [الأنعام: ٣٩].

فسبحان الله الذي يملك أنواع النعيم العظيم، وأنواع العذاب العظيم.

فما أجهل الإنسان إذا عصى ربه وكفر به!، وما أخسره إذا ضل عن الحق والهدى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ۝١٠٥ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

ولكي نحصل على الهداية لا بد من الجلوس في بيئة الهداية، ولدوام الاستقامة لا بد من لزوم بيئة الهداية، ولا بد أن نقطع عن جو الغفلة، وجو الانحراف: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ

يُحْضُونَ فِيهِ أَيْنَانَا فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يُحْضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُنْسِنَاكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ  
الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨].

بيئة الهداية كلها نور، وبيئة الشهوات كلها ظلمات: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ  
رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا  
نُطِعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

وأفضل أحوال العبد أن يعظم ربه العظيم، ويكبر ربه الكبير، ويتواضع له، ويمثل  
أمره، فهذا هو العظيم عند الله، المقبول عند الله، فكم خامل في الأرض أمام الناس علماً  
كبيراً في السماء: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ﴿٣٢﴾ [النجم: ٣٢].

وليتيقن العبد أن الله عظيم؛ فيجب أن يعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وذلك يثمر له أن  
يعظم كتابه، وأمره، ورسوله، ويعظم شعائره ودينه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبَانَ اللَّهِ فَإِنَّهَا  
مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿٣٢﴾ [الحج: ٣٢].

فالله هو العظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فالله بصيراً بالعباد يسمع ويرى كل شيء، وهو بكل شيء عليم، وبكل شيء بصير،  
سميع لكل شيء، يرى جميع ما في ملكه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ  
الْعَظِيمُ﴾ ﴿٤﴾ [الشورى: ٤].

وليس من سنة الله أن يكون السارق كالمسروق، والظالم كالمظلوم، ولا يكون الكافر  
كالمؤمن، ولا المتقي ربه كالفاجر وعظمة العظيم تأبى التسوية بينهما، فلا بد من حساب  
وثواب وعقاب: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّاتٌ نَعِيمٍ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ  
أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْفِرِينَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿٩٢﴾  
﴿فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿وَنَصَلْبُهُ جَمِيمٍ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ  
الْعَظِيمِ﴾ ﴿٩٦﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٦].

فالله أكبر، كم عظمة نعمة معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله؟! كم عظمة نعمة معرفة  
نعمة دين الله وشرعه، ووعدته ووعيدته؟! أعظم النعم التي نتميز بها عن الحيوانات وعن  
الكفار والمشركين، هو هذا الدين العظيم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ  
وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥].

هذا الدين الحق الذي من الله ﷻ به علينا: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات/ ١٧].

كم عظمة هذه النعمة؟! المؤمن يسعد بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتعبد لله بها، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، أعظم من تلذذه بالطعام والشراب، وأعظم من تلذذ الكفار بالطعام والشراب، وأعظم من تلذذ الحيوان بالطعام والشراب.

نعيم القلب يختلف تمامًا عن نعيم البدن، البدن حامل للمخلوق الذي يسمع ويعقل ويُبصر، البدن سيارة، وفي داخل هذا البدن هذا القلب العظيم الذي يحيا بمعرفة ربه العظيم: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فالله ﷻ خلق هذا الإنسان بيده، وهو يريد له أن يكون أحسن شيء، ويعمل بأحسن شيء؛ لأن الله ﷻ عظيم كريم، يريد من عبده أن يترقى إلى أعلى درجة في الإيثار والتقوى، والأعمال والأخلاق؛ ليكون في أعلى مقام، سقف جنته العرش العظيم.

قال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ يُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

فوالله لا يصل إلى هذا المكان، إلا من عرف العلي الأعلى بأسمائه وصفاته، وعبده بموجب هذه المعرفة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فوالله جل جلاله هو العظيم في ذاته ويجب علينا أن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ حتى تعرف القلوب من تعبد؟ من تكبر؟ من تسأل؟ من تدعو؟. نعرف عظمة ذاته وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله؛ حتى تنقاد القلوب لامتنال أمره، والعمل بشرعه، بالحب والتعظيم والذل له.

هو العظيم في ذاته، العظيم في علوه، وقدره، وشأنه، هو العظيم الذي أثنى على نفسه، وأثنى عليه خلقه، فهو العظيم حقًا، المعظم من خلقه حقًا، العظيم الذي تهابه جميع المخلوقات، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وصفة العظمة لله تبدو فيما خلقه من عظام المخلوقات، كالعرش العظيم، والكرسي الكريم، والسموات والأرض، وما عليهما، وما فيهما، وما بينهما: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى / ٤].

هو العظيم الذي لا نهاية لعظمته وكبريائه، وقدرته وعلمه، وجبروته وقوته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

فالله ﷻ هو العظيم القوي العزيز الجبار، القادر القاهر وحده لا شريك له، العظيم الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلا، العظيم الذي لا يمتنع عليه شيء أبداً، القادر الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، العظيم الذي لا يمكن أن يعصى كرهاً أو يخالف أمره قهراً: ﴿سُبْحٰنَكَ ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

هو العظيم الذي خلق الأجسام العظيمة، وأحاط بالأجرام العظيمة، وخلق الأنوار العظيمة، وحفظ الأشياء العظيمة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

هو العظيم الذي أظهر عظمته في أفعالٍ يُحدثها فتهابه مخلوقاته، كتجليه للجبل فصار دكاً من جلاله، وما شاهده من عظمته: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ بُنْتِ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف / ١٤٣].

لما تجلى الله العظيم للجبل خر الجبل دكاً، فانهد أعلاه على أسفله، فمخلوق عظيم شاهد الخالق العظيم فاندك، فموسى لما رأى الجبل صعق: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ بُنْتِ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف / ١٤٣].

فماذا قال الله ﷻ له: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف / ١٤٤].

وهكذا نحن، نحن أمة مبعوثة كالأنبياء: «إنما بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.  
 ليس في هذه الأمة نبي إلا نبي واحد، وهو محمد ﷺ، وأمته خلفاؤه في أمته، عليهم عبادة  
 لله ﷻ، وعليهم دعوة الناس إلى الله ﷻ، وعليهم تعليم شرع الله ﷻ، وعليهم الإحسان  
 إلى الخلق: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

هذه الصفات العظيمة كالجبال العظيمة؛ فمن جاء بالعظيم، أعطي الثواب العظيم:  
 ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾  
 [فصلت: ٣٣].

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ  
 الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].  
 ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ  
 لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ  
 النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

هذا هو الدين الحق، أقول للناس الدين الحق، وأقول لهم: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا؛  
 حتى يؤمن الناس بربهم، ويطيعونه، ويسبحون بحمده كما تسبح المخلوقات لربها،  
 ويشترك جميع الناس مع كافة المخلوقات في التعظيم والتكبير، والتسبيح والتقديس،  
 لربنا ﷻ: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ  
 تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فكن أنت أول المسبحين: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٩٦﴾ [الواقعة: ٩٦].  
 والشمس والقمر آيتان من آيات الله العظيمة، فإذا تجلى الله لأحدهما خسف خضوعاً  
 لعظمته، ليخافه عباده: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ ﴿٥٩﴾ [الإسراء/ ٥٩].  
 وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَسْجُدَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٢٨).

حَيَاتِهِ، وَلَكِنْ إِذَا تَجَلَّى اللَّهُ لِشَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ خَضَعَ لَهُ» متفق عليه (١).

فسبحان ربنا العظيم الذي تسجد له جميع مخلوقاته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿النحل: ٤٩ - ٥٠﴾.

والحقيقة أن الكلام عن العظيم عظيم، والكلام عن الكبير كبير، والكلام عن الواسع واسع، فما تكفي ساعات محدودة، أو دروس معدودة، للكلام عن العظيم، فإن الله عظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالكلام عن عظمته، وجلاله، وكبريائه شيء عظيم، والأمر أكبر من ذلك فالكلام عن العظيم عظيم لا نهاية له: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ﴿٨﴾ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ ﴿٩﴾ [المزمل: ٨ - ٩].

الله ﷻ هو العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، هو العظيم في خزائنه وملكوته وسلطانه، هو العظيم في أخباره وأحكامه، هو العظيم في وعده ووعدته: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

هو جل جلاله العظيم الذي خلق كل عظيم في العالم العلوي والعالم السفلي؛ من العرش والكرسي، والسموات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والجماد والنبات، والحيوان والإنسان، والجن والملائكة وغيرهم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو جل جلاله العظيم، المالك لكل عظيم، رب العرش العظيم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢٦﴾ [النمل/ ٢٦].

هو العظيم الذي كل شيء خلقه، وكل شيء ملكه، وكل شيء تحت قهره وتدييره: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٨٩﴾ [آل عمران/ ١٨٩].

هو العظيم الواهب لكل عظيم من أنواع الحياة، والهواء، والماء، والطعام، والنور، والصحة في الأبدان، والأمن في الأوطان: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

هو العظيم الواهب للأقوات والأرزاق والأخلاق، هو العظيم الواهب للأسماع والأبصار والعقول، والأموال والأولاد: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠٤٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٩١١).

وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء / ٧٠].  
هو العظيم الذي جعل هذه الأمة خير الأمم؛ لما تقوم به من أعمال الأنبياء من الدعوة  
والعبادة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ  
وَآكَثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

هو العظيم الذي عنده خزائن العظمة، ويده مفاتيح كل شيء: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا  
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر / ٢١].  
هو العظيم الذي لا أعظم منه، الملك الذي كل شيء ملكه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الشورى / ٤].

هو جل جلاله العظيم الذي ثوابه عظيم لمن آمن به، وامثل أمره: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [المائدة / ٩].  
هو العظيم الذي فضله عظيم: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾  
[الجمعة / ٤].

هو العظيم الذي من على خلقه بهذا الدين العظيم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ  
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة / ٣].  
هو العظيم الذي من على هذه الأمة ببعثة الرسول الكريم، الرؤوف الرحيم: ﴿لَقَدْ  
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ  
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

هو العظيم الذي وعده عظيم لمن آمن به وأطاعه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ  
مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة / ٧٢].

ووعيده عظيم لمن كفر به وعصاه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ  
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَعْدُ حَقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة / ٦٨].

هو العظيم الذي وعده عظيم لمن آمن به، وسابق في مرضاته، وسارع إلى كل عمل  
صالح ابتغاء مرضاته؛ من أنواع العبادة، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان  
إلى خلق الله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُهَجِّرِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة/ ١٠٠].

هو العظيم جل جلاله الذي أكرم هذه الأمة بكتابه العظيم، وكتابه المجيد، وكتابه الحكيم، وكتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر/ ٨٧].

﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ ﴿١﴾﴾ [ق/ ١].

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [يس/ ١-٢].

﴿وَإِنَّهُ لَكَنُذُرٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت/ ٤١-٤٢].

الله ﷻ هو العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولا بد لنا من معرفة العظيم؛ وإذا عرفناه عظمنا أمره، وأطعنا أمره، لا بد من معرفة العظيم الذي لا أعظم منه، العظيم الذي لا نهاية لعظمته، فمهما عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو أعظم وأعلى وأكبر: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣].  
﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الشورى/ ٤].

لا بد أن يعرف القلب من هو العظيم؛ لتتحرك الجوارح، ويتحرك اللسان، بأنواع الطاعات القولية والعملية، لا بد أن يمتلئ القلب بمعرفة العظيم الذي ليس لعظمته بداية ولا نهاية، وليس لعظمته أول ولا آخر: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].

هو العظيم الذي لا تهتدي العقول لوصف جلاله وجماله، وعظمته وكبريائه، على ما يليق بجلاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].  
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

## التعبد لله ﷻ باسمه العظيم

إذا عرف المسلم ربه العظيم، فعليه أن يتعبد لله باسمه العظيم: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فكيف نتعبد لله باسمه العظيم؟ فالعبد إذا رأى عظمة ربه وكبرياءه تلاشت عظمة نفسه وتصاغرت أمام ربه، فخشع قلبه لربه العظيم، وتواضع لربه العزيز الكريم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

فبالجلوس في مجالس الإيمان يزداد الإيمان، ويمتلئ القلب بالإيمان والتقوى؛ فيعرف المسلم ربه العظيم، ويعرف ما يجب له، ويؤدي العبادة، ويعلم هذا الدين؛ فالجو الإيماني هو جو الرحمة، وجو الخير، والجو الذي تنبت فيه الأخلاق العالية، والأقوال السديدة، والأعمال الصالحة: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف / ٢٨].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة / ١١٩].

تجلس في مجالس الإيمان بالحب الكامل لله ولرسوله، والحب الكامل لكلام الله وكلام رسوله، وبالتعظيم الكامل لكلام الله وكلام رسوله، وبالافتقار الكامل والاحتياج الشديد لكلام الله وكلام رسوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبٌ ءَانَاءَ أَلْيَلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦﴾﴾ [الزمر: ٩].

• وأعظم العلوم التي نطلبها، ونتقرب إلى الله بها، ونعبد الله بموجبها هي: العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته وووعيدته: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴿١١﴾ ﴿١٩﴾

[محمد: ١٩].

فمعرفة العظيم عظيمة، والكلام عن العظيم عظيم، والكلام عن الكبير كبير، ونحن في هذا الكتاب إنما نتكلم بكلمات يسيرة عن ربنا العظيم؛ لأن الكلام عن العظيم عظيم، لا نهاية له؛ فكما لا نهاية لعظمته، فكذلك لا نهاية للكلام عن حمده وتمجيده، وتعظيمه وتكبيره جل جلاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه: ٨].

ولكننا نقول ونستغفر؛ فربنا عظيم لا يعطي إلا العظيم، ولا يأمر إلا بالعظيم، ولا يعد عباده إلا بالعظيم جل جلاله، فلا بد للقلب أن يعرف هذا العظيم، ومن تواضع للعظيم عظمه ربه في نفوس خلقه، ومن ذل للعزيز أعزه بين خلقه، ورفع ذكره: ﴿الَّذِي شَرَحَ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعَنَا لَكَ دَرَجًا ﴿٤﴾﴾ [الشرح / ١-٤].

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

[المجادلة: ١١].

فأبصر شرح الله صدرك ونور قلبي وقلبك، عظمة ربك، بالنظر في ملكوت السموات والأرض؛ فسترى ربك العظيم الذي لا أعظم منه، وستعرف الكبير من الصغير، وتعلم القوي من الضعيف وتشاهد الملك من العبيد، وترى الغني من الفقير: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ ۗ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ [الأعراف: ١٨٥].

﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠١﴾

[يونس / ١٠١].

لنعرف المخلوق؛ حتى نعرف عظمة الخالق، ونتعرف على الصور؛ لنعرف عظمة المصور، ونتعرف على النعم والأرزاق؛ لنعرف عظمة المنعم، وعظمة الرازق جل جلاله.

ماذا في السموات والأرض؟ هذه السموات العظيمة، وهذا الشمس والقمر، وهذا الفضاء الواسع، وهذه النجوم الزاهرة، وهذه الأرض العظيمة.

وهذه النباتات المختلفة، وهذه الكواكب النيرة، وهذه الجبال الراسيات، وهذه البحار الزاخرات، وهذه الدواب التي تدب على وجه الأرض؛ من حشرات وحيوانات وطيور، وهذه الأسماك التي تملأ البحار: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

من خلق هذه المخلوقات العظيمة؟، من أبدعها؟، من صورها؟، من يدبرها؟: ﴿ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرَوْنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

فانظر إلى عظمة العظيم، وقوة القوي، في الملك والملكوت، لتعظمه وتعبدته: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [٦] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةَ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق/ ٦-٨]. فسبحان من أظهر ذاته وأسماءه وصفاته في أفعاله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

فالمقصود من الأذكار والأدعية والعبادات تعظيم الله، وتوحيد الله، وتكبير الله، ثم التقرب إليه بما شرعه على لسان رسوله ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

وأعظم من عرف ربه العظيم، وأعظم من ذكر ربه العظيم، من افتقر إلى ربه العظيم، وتذلل له، وخشع له، هو سيد الخلق محمد ﷺ، الذي كان أحسن الناس خلقًا وخلقًا؛ ولهذا أعزه الله، وأعلى مقامه، ورفع ذكره حياً وميتاً، وأمرنا بالاعتداء به فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [١١]. [الأحزاب/ ٢١].

واعلم أن كل من كفر بالله، أو أشرك، أو استكبر عن عبادته، أو عصا؛ فهو لم يؤمن بالله العظيم، وإنما معه إيهان الفطرة، ولو آمن بالله العظيم؛ لذلت نفسه لله العظيم، وخشع قلبه لربه العظيم، وانقادت جوارحه لطاعة ربه العظيم: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعَلْمَوَاتِ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر / ٢٨].

فمقصود العلم ليس العمل فقط؛ لأن المنافق يتعلم ويعمل، لكن المقصود الخشية المقرونة بالعمل، أن يخشى الإنسان ربه، المقصود أن يخشى القلب ربه، وأن تخضع الجوارح لربها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون / ١-٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وإذا عرفناه آمنة بكتابه العظيم، وامتلنا أمره العظيم، ولننا ثوابه العظيم، فتوابه للمؤمنين عظيم، ووعدده عظيم، وكذلك عقابه وعذابه عظيم لمن كفر به وعصاه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ - ١٤].

فوعده عظيم، ووعيده عظيم، وهو جل جلاله العظيم بذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

ومن عرف العظيم؛ عظمه وكبره، فمعرفتنا بربنا ﷻ من خلال آياته ومخلوقاته، وآياته الكونية عظيمة مبثوثة في الكون، ومخلوقاته عظيمة مبثوثة في الكون، وآياته الشرعية عظيمة مذكورة في كتابه العظيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧].

ومن مخلوقاته العظيمة من يعظم لنفسه الذات، وشرف الصفات.

من مخلوقات الله ما هو عظيم، عظيم لنفسه ذاته، وشرف صفاته، ومن ذلك:

العرش العظيم، العرش الكريم، العرش المجيد، والكرسي العظيم، ومن الملائكة العظام جبريل، وميكائيل، وإسرافيل: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

فجبريل له ستائة جناح، بطرف جناحه رفع خمس قرى من قرى قوم لوط إلى السماء، ثم

قلبها عليهم، جبريل له ستمائة جناح، لو مد جناحًا واحدًا منها لسد الأفق، وصار النهار ليلاً مظلمًا: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَنِيبَهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

فسبحان العظيم الذي خلقه وأقدره، وكم تكون قوته لو استعمل كل أجنحته؟  
وميكائيل إذا نفخ في الصور نفخة واحدة؛ صعق من في السموات ومن في الأرض، ثم ينفخ نفخة أخرى فيحيا من في السموات ومن في الأرض: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٨-٦٩].

فهذه قوة نفخة هذا الملك إسرافيل، فكيف بقوة أجنحته ورجليه وبدنه؟ فكيف بقوة الذي خلقه جل جلاله؟ فكم عظمة هذا الملك العظيم! وكم عظمة من خلقه جل جلاله! ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦].

فمن مخلوقات الله ﷻ من يعظم لنفسه الذات، وشرف الصفات؛ كالعرش، والكرسي، ومن الملائكة جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومن الناس الأنبياء.

الله ﷻ هو العظيم الذي وهب العظمة لكل عظيم، وعظم من شاء، وحقر من شاء، فمن الناس الله ﷻ عظم الأنبياء والرسل والمؤمنين، وأعظم هؤلاء قدرًا، وشأنًا، وعلمًا، وإيمانًا، وأقوالًا، وأعمالًا، وأخلاقًا، سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ، الذي قال الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم / ٤].

فالله ﷻ جعل الصفات العالية، والأخلاق السامية، منثورة في الأنبياء، ثم جمعها في سيد الأنبياء، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء، فعلينا بالجهد على الناس؛ حتى يُعلموا هذه الصفات، ويتزينون بها، فينفعون أنفسهم، وينفعون غيرهم: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَّكَ اللَّهُ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٨].

ومن عرف الله العظيم تواضع لعظمته، لما يراه من عظمته، وجلاله، وعلمه، وكبريائه، وجبروته.

من عرف الله العظيم تواضع لعظمته، وخضع لعزته، وأحبه، فعظم قدر الله جل جلاله

في نفسه، وعظم هو في عين الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وعلى قدر العلم بالله يكون تعظيمه، وتكون محبته، وتقوى عبادته.

فعظم قدر ربك جل جلاله، وعظم أسماءه وصفاته؛ تعظيماً لشأنه، وجلاله، وكبريائه، وعظم كتبه، وملائكته، ورسله، وعظم رعاك الله أوليائه وحرماته، وعظم مناسكه ومشاعره وشعائره، وكل ما عظمه من الأمكنة، والأزمنة، والأشخاص، والأقوال، والأعمال، والأخلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَلَّا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

واعلم أنه لا كرب إلا بذنب، ولا مصيبة إلا بمعصية الله العظيم: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى/ ٣٠].

ومعصية العظيم عظيمة، فلا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى العظيم الذي عصيت، ومعصية العظيم عظيمة وكبيرة، فمهما صغر الذنب فهو عظيم؛ لأن المعصية للعظيم عظيمة؛ لما فيها من مقابلة العظيم، ورد أمره، وعدم توقيره: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤].

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧].

وجميع الكروب بسبب الذنوب في حق العظيم، جميع المصائب التي تصيب الناس إنما تكون بسبب الذنوب في حق العظيم، ومعصية العظيم.

ومعصية العظيم من الخلق نحذرها، ومعصية العظيم من الخلق يخاف منها الخلق، فتراهم يطيعون الكبير منهم والرئيس والملك والوزير، ولا يعصونه، فكيف بمعصية العظيم الذي لا أعظم منه؟! فمن أصابه كرب؛ فليسارع إلى توحيد الله العظيم الذي عصاه بجهله، وليقل: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
 فلا يزيل الكرب إلا هذا الدعاء، بالاعتراف للعظيم بالتوحيد، والاعتذار للعظيم من ذلك الذنب، قال النبي ﷺ عند الكرب: «اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» أخرجہ النسائي<sup>(٢)</sup>.  
 فيفرع الإنسان إلى التوحيد، ليزول عنه الكرب، والعظيم سبحانه أمرنا أن ندعوه وحده، ووعدنا على الدعاء بالإجابة، ومقصود الدعاء التضرع والانكسار بين يدي الخالق؛ والشكوى إليه وحده، حتى لا نذل أنفسنا لأحدٍ سواه، أما الإجابة فقد قطع الله بها، ووعدنا بالإجابة، والله لا يخلف الميعاد: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر/ ٦٠].  
 ومن رحمة الله بنا أن أذلنا له، ولم يذلنا لغيره، فحاجاتنا عنده؛ لأنه الصمد الذي يُصمد إليه في الحوائج، ويفزع إليه عند الشدائد: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

### • دعاء الله ﷻ ثلاثه أنواع:

الأول: دعاء الشناء، كدعاء الكرب: لا إله إلا الله العظيم كما مر معنا، ودعاء أيوب ﷻ: ﴿أَيُّ مَسْئِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء/ ٨٣].  
 ودعاء يونس ﷻ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧].  
 فاستجبنا له، وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].  
 الثاني: دعاء المسألة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].  
 الثالث: دعاء العبادة كالأدعية والأذكار الوارد في الصلاة وغيرها من العبادات.  
 وكل دعاء من هذه الثلاثة يتضمن البقية.

وجميع أنواع الحمد والثناء، وجميع أنواع التسبيح والتنزيه؛ لا يستحقه إلا الله العظيم؛

(١) متفق عليه، أخرجہ البخاري برقم (٦٣٤٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

(٢) صحيح/ أخرجہ النسائي برقم (١٠٤٠٨).

لأنه عظيم، والمقصود من هذه الأدعية والأذكار والسؤال لربنا ﷻ توحيده، وتعظيمه، وتكبيره.

قال النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فليحمد العبد ربه العظيم على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وسبحان الله العظيم أنزهه عما لا يليق بجلاله من النقص والعيب، والشريك والمثيل، ومشابهة المخلوقين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ۝﴾ [الشورى / ١١].  
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤﴾ [الإخلاص / ١ - ٤].

والمقصود من جميع أنواع العبادات أن يعظم المؤمن العظيم، ويوحد العظيم، ويكبر العظيم، ويحب العظيم، ويعبد العظيم، ويثنى عليه.

مقصودنا من معرفة أسماء الله الحسنى، وصفات الله العلا، أن نعظم العظيم، ونعرف اسمه العظيم، واسمه الكبير، واسمه القوي والجبار، والملك، والعزيز، والقهار، وغيرها من أسماء الجلال، فهذه أسماء تدل على العظمة، وأن نعرفه، وأن نحبه إذا عرفناه بأسمائه الجميلة: كالكريم، والجميل، والغفور، والرحمن، والرحيم، والرزاق، والودود، والحليم، اللطيف وغيرها من أسماء الجمال: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا العَفْوَورُ الرَّحِيمُ ۝ ٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ ۝ ٥٠﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

فالعبادات والأذكار والأدعية وجميع العلوم المقصود منها توحيد الله، وتعظيم الله، وحب الله، وعبادة الله بموجب هذه المعارف، فهذه المعارف تولد الحب الكامل لله، والتعظيم الكامل لله، والذل الكامل لله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ ٣ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ ٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

فنحمد الله ﷻ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والعظمة لله وحده لا شريك له،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٨٢) وأخرجه مسلم برقم (٢٦٩٤).

والكبرياء لله وحده لا شريك له، ولا حظ للعبد في صفة العظمة، ولا حظ له في صفة الكبرياء؛ بل الكبرياء والعظمة لله وحده.

فأنا في الصلاة أعظم العظيم، وأكبر الكبير، وأخضع بقلبي ولساني وجوارحي للعظيم جل جلاله، فأركع للعظيم، وأسجد للعظيم وأقول في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى؛ والصلاة أقوالاً وأفعالاً تخلص الإنسان من شوائب العظمة والكبرياء، وتدفعه للخضوع والطاعة للعظيم الكبير، العلي الأعلى.

ولهذا فرض الله على المؤمنين خمس صلوات في اليوم والليلة؛ رحمة بهم: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة/ ٢٣٨].

وجميع تكاليف الدين شفاء ورحمة، ولهذا أمرنا الله بتعظيم حرمت الله العظيم، فعلاً أو تركاً، أمراً أو نهياً: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج/ ٣٠].

ولا يعظم الحرمات إلا من عرف العظيم، ولا يعظم الحرمات إلا من عرف الوعد بالجنة والرضوان لمن امتثل الأمر، والوعيد بالنار وسخط الرب لمن لم يعظم حرمت الله ﷻ، وهذا التعظيم للشعائر والحرمات ناشئ عن تعظيم العظيم سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج/ ٣٢].

من عظم الشعائر كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والعمرة، وأنواع الطاعات، وبر الوالدين، والإحسان إلى الخلق؛ فهذه ثمرة من ثمار تقوى القلوب: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [الحج/ ٣٢].

فما أعظم الله! وما أعظم أسماؤه وصفاته! وما أعظم ملكه وسلطانه! وما أعظم جلاله وجماله! وما أعظم دينه وشرعه وكتابه! فسبح بحمد ربك العظيم، وسبح باسم ربك العظيم، وسبح باسم ربك الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه، نتعرف على الإله الحق جل جلاله؛ فهو الإله العظيم،

والرب الكبير، الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله ما بين السماوات والأرض وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السماوات والأرض، وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

فالله ﷻ هو العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء، هو العظيم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو العظيم الذي له ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وملك الدنيا والآخرة، وملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وملك جميع العوالم، هذه العوالم العظيمة تدل على العظيم.

وجهاً التعظيم بين الخلق أربع:

فالذي يُحمد ويمجد، ويُعظم ويُشكر من الخلق في الدنيا إنما يُعظم ويمجد لأحد أربعة أمور:

الأول: إما لكون هذا الإنسان كاملاً في ذاته وصفاته، منزهاً عن النقائص والآفات.

الثاني: وإما لكونه محسناً إليك وإلى غيرك.

الثالث: وإما لأنني أرجو وصول إحسان هذا العظيم إلي في المستقبل.

الرابع: وإما لأنني خائف من قهره وسطوته في المستقبل.

فهذه هي الجهات الموجبة للتعظيم بين الخلق، ولا يستحق هذا التعظيم المطلق على وجه

الكمال إلا الله وحده، فالله يقول: إن كنتم تعظمون من له الكمال الذاتي؛ فاحمدوني؛ فإني

رب العالمين، وإله العالمين، إذا كنا نعظم من الناس من هو كامل الذات والصفات،

المنزه عن النقائص والآفات؛ فالله أولى بهذا التعظيم من المخلوق؛ لأنه هو الكامل في

ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، وخزائنه وقدرته، وملكه وسلطانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢]

[الأنعام: ١٠٢].

فإن كنتم ممن يعظمون الكمال الذاتي أيها الخلق؛ فاحمدوني فإني إله العالمين، ورب

العالمين، فقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة / ٢].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر / ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام / ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف / ١].

هو الذي من علينا بالنعم المادية والنعم الروحية: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وإن كنتم ممن يعظمون الإحسان؛ فأنا رب العالمين أربيكم، فكم من صغير كبرته! وكم من فقير أغنيته! وكم من مريض شفيته! وكم من خائف أمنتته! وكم من عسير يسرته! وكم من ضال هديته! وكم من جاهل علمته! فالحمد لله رب العالمين: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣٧] [الجاثية: ٣٦-٣٧].

إذا كنتم تعظمون الإنسان لإحسانه؛ فيجب أن يكون هذا التعظيم بالكامل للذي بيده الفضل والمن والإحسان إلى خلقه؛ هو رب العالمين: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

وإن كنتم ممن يعظمون الناس للطمع في خيرهم في المستقبل؛ فأنا الرحمن الرحيم، في الدنيا والآخرة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] [الفاحة / ٢-٣].

وإن كنتم ممن تعظمون الناس للخوف منهم؛ فأنا أولى بذلك التعظيم، فأنا: ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤] [الفاحة / ٤].

يوم ينتقم الله للمظلوم من الظالم؛ فهو الملك الذي له ملك الدنيا والآخرة، وله ملك السموات والأرض، وله الملك كله، وكل ما سواه ممالك له: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] [الملك: ١].

فالله ﷻ من علينا بأن عرفنا بنفسه، وفطرنا على توحيده، وأمرنا بمعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله.

فهذه المعرفة هي غذاء القلب، وهي جنة النعيم الموضوعة في هذه الدنيا، فجنة الدنيا هي جنة المعرفة بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعيده، من دخل هذه الجنة فلا تراه إلا ذاكراً لربه ﷻ، مسبحاً بحمده، عابداً له، شاكراً له، مستغفراً له، مطيعاً له، داعياً إليه، متخلقاً بأحسن الأخلاق والآداب: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا

ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ  
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ  
لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

وربنا ﷻ عظيم، ولا يليق بالعبد إلا أن يعظم هذا العظيم جل جلاله؛ ليكون عظيمًا بين  
يدي ربه، وبين يدي خلقه، بامثال جميع أوامر ربه، فالاتصال بالعزير عزة، والاتصال  
بالقوي قوة، والاتصال بالعظيم عظمة، فلنقبل على ربنا التعرف عليه بأسمائه وصفاته،  
والتعبد له بذلك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فأعظم العبادات، وأرفعها قدرًا، وأنفعها ثمرة؛ هو الإيمان الذي يحصل بالنظر والتفكر  
في عظمة أسماء الله وصفاته وأفعاله، وفي عظمة ملكوت السموات والأرض، وتدبر  
الآيات الكونية، والآيات القرآنية: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ  
وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس / ١٠١].

فننظر بالبصر للمخلوقات، وننظر بأبصارنا لكتاب ربنا، وننظر ببصائرنا لعظمة ربنا،  
فهو العظيم الذي لا أعظم منه، الخالق الذي خلق كل شيء، القادر الذي قدر على كل  
شيء، المحيط بكل شيء، العليم بكل شيء، الرزاق الذي رزق كل أحد، المالك الذي كل  
شيء ملكه، المحسن الذي كل شيء من فضله: ﴿وَمَا يَكُم مِّن تَعَمَّةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا  
مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

فلا بد من التعرف على العظيم في الدنيا؛ فمن عرف العظيم وآمن به في الدنيا؛ رآه يوم  
القيامة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣].

فالوجه والأبصار التي رأت ربه في الدنيا، وعملت بشره؛ تراه يوم القيامة عيانًا، كما  
قال النبي ﷺ: «إِنكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

والله ﷻ أمرنا بأن ننظر في ملكوت السموات والأرض، لتتجاوز المخلوقات إلى الخالق،  
والصور إلى المصور، والماليك إلى الملك، وتتجاوز الدنيا إلى الآخرة، وتتجاوز محبوبات  
النفس إلى محبوبات الرب، وتتجاوز حب الشهوات البهيمية إلى حب الأوامر الملكية،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٥٤) وأخرجه مسلم برقم (٦٣٣).

والعمل بها، وتقديمها على محبوبات النفس: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

فالأصل هو عبادة الله، وقضاء الوقت كله لله ﷻ طاعةً وتعبداً ودعوة وتعليةً: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ومن الظلم التصرف في مُلك الغير بغير إذنه، أو وضع الشيء في غير موضعه، فالتوحيد حق الله، ولا يجوز صرف العبادة لغيره: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

وأظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنجس النجاسات، إدخال الشرك على التوحيد؛ فالشرك أنجس النجاسات، فإن الشرك وضع للشيء في غير موضعه، بأن يعبد الإنسان مع الله غيره، أو يكفر بالله العظيم.

العبادة حق لله الواحد الأحد، فمن صرفها لغيره؛ من هوى، أو من إنسان، أو حيوان، أو جماد، أو شمس، أو قمر؛ فقد أشرك بالله الشرك الأكبر، ووقع في الظلم الأعظم: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

ومن الظلم التصرف في ملك الغير بغير إذنه؛ فالإنسان والحيوان وكل ما في الكون مُلك لله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

فهذا الإنسان ملك لله، لا يجوز له أن يمشي على هواه، بل يمشي على هدى ربه؛ غير مسموح له ثانية واحدة يمشي على الهوى، الذي يمشي على الهوى هو الحيوان؛ ولهذا الحيوان ينام متى شاء، ويقوم متى شاء، ويأكل ما شاء، ويشرب ما شاء، ويسير حيث

شاء؛ أما الإنسان فهو عبد لربه، كرمه بإنزال الكتب عليه، وإرسال الرسل إليه، ومنحه السمع والبصر والعقل، ليعبد ربه وحده لا شريك له: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل / ٧٨].

فالإنسان منهى أن يسير على هواه؛ مأمور أن يستقيم على هدى ربه: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام / ١٦١].  
 ما هي دائرة عمل المسلم في هذه الدنيا؟ ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النحل / ١٦٢-١٦٣].

هذه وظيفة المؤمن والمؤمنة في الدنيا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة / ٧١].

ما هو جزاؤهم إذا قاموا بتلك الوظيفة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فالمؤمن في هذه الدنيا لا يجوز له أن يمشي على هواه، بل هو عبد لله وسيعود إلى الله، ولكنه في هذه الدنيا الله عَزَّوَجَلَّ أعطاه هذا الدين ليتزود لآخرته، والله لا يستغني بعبادة الناس شيئاً، ولا يزداد كبرياء بتكبير الناس له، ولا يزداد عظمة بتعظيم الناس له، ولكن: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء / ٧].

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت / ٦].  
 لأن الله كبير قبل أن تكبره، وعظيم قبل أن نعظمه، وحميد قبل أن نحمده، وشاهد لنفسه بالوحدانية قبل أن نوحده، ومسبح بحمده بأن يخلق المسبحين له.

سبح نفسه قبل أن نسبحه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَاهُ لِنُفْسِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء / ١].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات / ١٨٠].  
 وجميع مخلوقاته تسبحه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤].

فسبح أنت، سبح اسم ربك الأعلى، وسبح باسم ربك العظيم: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة / ٧٤].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر / ٣].

نزه ربك عما لا يليق بجلاله، ونزّهه عن النقائص والعيوب، وعن المثل والشبيه، وعن مشابهة الخلق، فتعظيم الله ﷻ بإثبات أسماء الله الحسنى، ونفي عنه ما لا يليق بجلاله من النقص والعيوب والمثل والشبيه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فالله ﷻ هو العظيم، وأمرنا أن نعرفه بأسمائه وصفاته فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة / ٩٨].

فأنا في طريقة حياتي لا أسير على شهواتي كالحيوان، ولا أسير على حسب هواي كالكافر، بل أسير على وفق أمر ربي؛ إيماناً، وامتثالاً للأوامر، واجتناباً للنواهي، أسير على ما أمرني الله ﷻ به، فأقتدي بالنبي ﷺ، وأتعبد لله باسمه العظيم بأن أكون عظيماً؛ عظيماً في نيتي، عظيماً في أقوالي، عظيماً في أخلاقي، عظيماً في أعمالي، عظيماً في عبادتي، عظيماً في انفاقي: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [١١] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١١ - ١٢].

فالله عظيم، أراد مني أن أتعبد الله بهذا الاسم العظيم، فأكون عظيماً في نيتي، والنية يجب أن تكون واسعة، والأجر على قدر سعة النية، يكون في قلبي نية هداية البشرية، بل هداية الإنس والجن، يكون في قلبي حب لله ﷻ وتوحيده، وأن يحبه الناس، ويعبدوه، ويوحدوه.

قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

تكون نيتي عالمية للإنس والجن، نيتي لهداية نفسي، وهداية العالمين، ونيتي تدور في ثمان دوائر كنية النبي ﷺ: نيته في أعماله إصلاح نفسه، وإصلاح أهله، وإصلاح عشيرته، وإصلاح قومه، وإصلاح أهل بلده، وإصلاح أم القرى وما حولها، وإصلاح الناس،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) واللفظ له، ومسلم برقم (١٩٠٧).

وهداية العالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء / ١٠٧].

وأكون عظيمًا في أقوالي: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة / ٨٣]، وأمر بالمعروف، وأنبى عن المنكر: ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وأذكر الله كثيرًا: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب / ٤١].

وأدعو إلى الله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وأعلم شرع الله: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَكَ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِنْدَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران / ٧٩].

وأكون محسنًا إلى الناس، أصل من قطعني، وأعفو عن من ظلمني، وأعطي من حرمني، وأحسن إلى من أساء إلي: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف / ١٩٩].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] وَلَا سَتَوَى الْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ أَدْفَعُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

[فصلت: ٣٣-٣٥]

وأكون عظيمًا في أفعالي، جميع الأفعال أقوم بها على السنة خالصة لوجه الله ﷻ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وأجزم وأعتقد وأتيقن أن الله يراني إن تحركت، أو قمت، أو ركعت، أو سجدت، وأن الله يسمعني إن تكلمت، وأن الله عليمٌ بما في قلبي إن سكت وأضمرت، وأن الله ﷻ أرحم بي من نفسي، وأنه قادر على قضاء حاجتي؛ وأنه يجب أن يقضي حاجتي: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

في جميع الأمور، في جميع الأفعال، تكون حياتي مطابقةً لحياة النبي ﷺ؛ نيةً، وأقوالاً،

وأعمالاً، وأخلاقاً: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأكون الأول في أحسن الصفات والأعمال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فالمؤمن يتزين بهذه الزينات العظيمة: زينة القلب التوحيد، والإيمان، والتقوى، والصدق، والصبر، وزينة الجوارح بالأعمال الصالحة الموافقة لسنة النبي ﷺ، هذه الزينة أجمل من زينة الأرض، الله جعل ما على الأرض زينة لها؛ ليست لنا، وجعل الدين زينة لنا: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ ﴿٧﴾ [الحجرات: ٧].

وزينة الدين لا تكمل إلا بالقيام بما قام به النبي ﷺ؛ عبادة، ودعوة، وتعليماً، وإحساناً إلى الخلق، فالدين عظيم، والدين جميل، والدين هو جنة المعرفة، وأعظم ما في جنة المعرفة معرفة الله جل جلاله بأسمائه وصفاته، فإذا صح النظر من العبد أصاب القصد، إذا كان البصر سليماً؛ رأيت الجبل، ورأيت البحر، ورأيت الكعبة، إذا صح النظر أصاب القصد؛ فأدرك القلب عظمة الرب العزيز الجبار، وعظمة نعمه وإحسانه، ورؤية مخلوقاته العجيبة، وآياته العظيمة، وكلماته الحكيمة: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَعَاءً شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٧﴾﴾ [النبا: ٦-١٧].

إن القلب والعقل يعقل أن لهذا الخلق خالق، ولهذا الصور مصور، ولهذا الأرزاق رازق، ولهذا الكون مُكوّن: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٣﴾ [الطلاق: ١٣].

وإذا عرفتم ذلك؛ أحببتم الله وعظمتموه، وإذا أحببتموه وعظمتموه؛ تقرّبتم إليه بما يحبه

ويرضاه، بإتباع رسوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴿٦١﴾ [الأحزاب: ٢١].

وليس عند العبد في هذه الدنيا عمل إلا امتثال أوامر الله فعلاً أو تركاً، ليس عند العبد بالامتثال أوامر سيده، لا يجوز له أن يشتغل عند غير سيده؛ فنحن عبيده، وفي ملكه؛ خلق لنا الأرض، ووضع عليها المائدة، ووضع فيها اللباس، وسخر لنا كل شيء؛ فعلينا أن نشتغل بما يحبه ويرضاه لا ما تحبه أنفسنا وتهواه، ونأخذ من الدنيا بقدر الحاجة، ونعطي للدين بقدر الطاقة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

الجنة تحتاج إلى مجاهدة وإلى عمل، ألا من مُشَمَّر إلى الجنة؟ كلنا نجاهد؛ حتى نتحصل على المال الذي نشترى به الأشياء الفانية، فكيف بالجنة الباقية التي عرضها السموات والأرض؟! تحتاج إلى مجاهدة، تحتاج إلى أن ندخل مع الأبواب التي دخل منها النبي ﷺ وأصحابه.

باب العبادة: ﴿يَأْتِيهَا الزَّمْلُ﴾ ١ ﴿فَرَأَيْتَ لَإِقْلِيلًا﴾ ٢ [المزمل/ ١-٢].

وباب الدعوة: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾ ١ ﴿فَرَأَيْتَ دَارَ قَائِدٍ﴾ ٢ ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِيرٍ﴾ ٣ ﴿وَيَا بَاكَ فَطَهِّرْ﴾ ٤ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ٥ ﴿وَلَا تَمَنَّئَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾ ٦ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ ٧ [المدثر: ١-٧].

وباب التعلم والتعليم: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِيَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتَّابَ وَبِيَمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ﴾ ٧١ [آل عمران/ ٧٩].

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

وباب الإحسان إلى الخلق: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٣ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٣٤ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فالدين هدى وبيان، وشفاء ورحمة، ورضوان وجنات لكن باستكمال العمل في هذه الأبواب: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٧ [الحشر: ٧].

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

ومن جاء بالدين الكامل؛ نال الثواب الكامل، وله من ربه الرضوان الكامل، فالحمد لله أن من علينا بهذا الدين العظيم، ومن علينا بالنعم التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].  
 فالله ﷻ هو الكريم العليم الذي يسر لنا سبل معرفته، وفتح لنا أبواب رضاه وحسن عبادته.

فسبحان الله! ما أعظم شأنه!، وما أعظم قدرته! جعل قلب الإنسان وبصره يتسع لمعرفة جملة المخلوقات العلوية والسفلية، فكم نعرف من الخلائق التي لا يحصيها إلا هو جل جلاله من عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الملائكة، وغيرها من المخلوقات: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

الله يدلنا على معرفته، ويأمرنا بمعرفته، ويبين لنا ما هي صفاته، وما هي أفعاله؛ حتى نهابه ونخافه، ونحبه ونرجوه، ونسأله وندعوه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو العظيم الذي له الخلق كله، في العالم العلوي والعالم السفلي، في الدنيا والآخرة، وله الأمر كله؛ الأوامر الملكية الكونية، الأوامر الملكية الشرعية، الأوامر الملكية الجزائية بالوعد والوعيد، وله الحكم كله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف: ٦٧].

فالله ﷻ له الخلق كله، وله الملك كله، وله الحمد كله، وله الأمر كله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فالله ﷻ عظيم، وأظهر من عظمة قدرته أن جعل قلب الإنسان وبصر الإنسان الصغير يتسع لمعرفة جملة المخلوقات العلوية والسفلية، ويتسع لمعرفة الخالق الذي لا يحيط به أحد، وهو المحيط بكل أحد، وهذا من أخص الشواهد على عظيم قدرة الله، وعظيم كرمه، وعظيم إحسانه، حيث هيأ لعباده سبل معرفته، ويسر لهم طرق الوصول إليه؛

ليروا عظمة ربهم في خلق العالم العلوي والعالم السفلي، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الصغير والكبير، وخلق الذرة والجبل، وخلق القطرة والبحر: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

إذا عرفتم أنه لله؛ فلماذا تخرجون عن أمر الله؟ فأنتم لا تستطيعون أن تخرجوا عن قدرته في خلقكم وفي أرزاقكم، ولا تستغنون عنه؛ فلماذا تقبلون قوته؟ وترفضون أمره؟: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تُنْقِبُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧].

ما دام عرفتم أنه العظيم الذي خلق السموات، ورب السموات، ورب العرش العظيم، الذي يربي جميع مخلوقاته؛ أفلا تتقونه؟ فتمثلون أو امره، وتجتنبون نواهيته؟. ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَيُمِيتُهُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون / ٨٨-٨٩].

من بيده تغيير الليل بالنهار؟ وتغيير الحر بالبرد؟ وتغيير الأمن بالخوف؟ وتغيير العزة بالدلة؟ وتغيير الفقر بالغنى، من بيده الحياة والموت، والتدبير والتصريف، والخلق والأمر: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَنبَنَّهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُدَّ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٨٩-٩٢].

هو العظيم جل جلاله الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه؛ فلنتوجه إليه في جميع أمورنا؛ لأنه القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الذي عنده خزائن كل شيء. وإذا عرف العبد ربه العظيم؛ عظم قدر ربه عنده؛ فعظمه، وكبره، وأحبه، وحمده، وسبحه، ووحده، وآمن به، وآمن بكتبه ورسله، وعمل بشرعه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة / ٩٥-٩٦].

الله ﷻ هو الكبير المتعال، الكبير قبل أن تكبره، العظيم قبل أن نعظمه، الحميد قبل أن نحمده، الواحد قبل أن نوحده، لا يزداد بتكبيرنا كبرياء، ولا بتعظيمنا عظمة؛ لأنه

كامل الذات والأسماء والصفات: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

هو الغني عن كل ما سواه، لا ينفعه إيمان المؤمنين به، ولا يضره كفر الكافرين به: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨].

وإنما نفع الإيمان والطاعات يعود على المؤمنين، وضرر الكفر والمعاصي يعود على الكافرين: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء / ٧].

ومن عمل عملاً صالحاً أو سيئاً؛ قطف ثمرته، أو نال عقوبته: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل / ١٩].

فالحمد لله أن من علينا بهذا الدين العظيم، وأعطانا أعظم وأفضل وظيفة، وهي الدعوة إلى الله ﷻ وتعليم شرعه، فلنجتهد في جميع الأعمال والأوامر التي أمرنا الله ﷻ بها: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

فاجتهد أيها المسلم والمسلمة لتكون صالحاً ومصلحاً، وعالماً ومعلماً، وذاكراً ومذكراً؛ تفوز بأعلى الدرجات عند ربك الكريم: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [٧٥] ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [٧٦] [طه: ٧٥-٧٦].

واجتهد على نفسك بكمال الإيمان والتقوى، واجتهد على غيرك بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله؛ فهذه أوامر ربك العظيم، اعمل بذلك يهدك الهادي إلى سبل رضاه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت / ٦٩].

والله ﷻ عظيم ولا نهاية لعظمته، وما عرفنا من عظمته إلا بمقدار الذرة من الجبل، أو القطرة من البحر؛ فالله لا نهاية لعظمته، ولا أول ولا آخر لعظمته، وكل ما سواه عبده، خاضع لعزته، ومسبح بحمده: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [٤٣] ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

فعظم ربك العظيم أبداً، سبحانه بكرةً وأصيلاً، واذكره ذكراً كثيراً؛ فهو أهل أن يُحمد، وأهل أن يُعظم، وأهل أن يُكبر؛ فعظم ربك العظيم جل جلاله، عظم قدره، وعظم أسماؤه وصفاته، وعظم أمره، وعظم إطلاعه عليك؛ فإنه ينظر إليك أبداً؛ حتى كأنه ما خلق أحداً سواك، فاحذر غضبه وسخطه، وأرضه، ولا تسخطه بقول أو فعل؛ فإن أخذه أليم شديد، وعذابه شديد، وعذابه أليم، وعذابه مهين، وعذابه كبير: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَكَتَبُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمُرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦-١٤].

بالمُرصاد لكل ظالم وطاغية، والطاغية والظالم الكبير ينتقم الله به من الطغاة والظلمة الصغار، ثم ينتقم منه، كما حصل من فرعون مع بني إسرائيل، وكما يحصل الآن في كل مكان، وفي كل زمان، فسبحان العظيم القادر على كل قادر، القاهر لكل قاهر، القاصم لكل ظالم: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

وإذا عرفت ربك العظيم فعظمه، وعظم ملائكته، وعظم كتبه بإتباعها، وعظم رسله، وعظم دينه، وعظم مناسكه، وعظم شعائره، وعظم حدوده، وعظم حرماته؛ تكن من المتقين الفائزين: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعْبًا اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج / ٣٢].

وهذا التعظيم كله يأتي في القلب متى؟ إذا عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته، وأفعاله وإحسانه، فعلى العبد تحصيل ذلك وطلبه، وطريق ذلك أن يُكثر من حضور مجالس الإيمان والذكر التي تنزل فيها السكينة والرحمة على القلوب؛ فيزيد الإيمان، ويزيد تعظيم الله ومحبته، ثم تزيد الطاعات، ثم تتنوع الطاعات، ثم يأتي رضا الله، ثم يسعد هذا الإنسان في الدنيا، ثم يسعد عند موته، ثم يسعد في قبره، ثم يبلغ كمال السعادة في جنة عرضها السموات والأرض، ثم يحصل له الرضوان والفوز بالنعيم الأبدي: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح / ٤].

وإذا زاد الإيمان بالله العظيم؛ جاء الإيمان بكتابه العظيم، وزاد العمل بدينه العظيم، وزاد

حب الله العظيم، ورسوله الكريم، ثم اطمأنت القلوب بذكر الله العظيم، فلم تلتفت لأحدٍ سواه؛ تعبداً، وتعليماً، ودعوةً، وذكرًا، وتسيحًا، وتمجيدًا وتقديسًا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (٢٩) ﴿[الرعد: ٢٨-٢٩].

لأنه هو الوكيل الذي تكفل بكل شيء، وعنده خزائن كل شيء، وهو الكريم الذي يعطي العطاء، ويفرح بالعطاء، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة.

وإذا اطمأنت القلوب بالله العظيم؛ عملت بشره الحكيم، ونالت ثوابه العظيم في الدنيا والآخرة: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣٠) ﴿[الفجر / ٢٧-٣٠].

فأيها المؤمن، وأيتها المؤمنة الزم باب العبودية لربك العظيم، والزم الوفاق والسكينة والحياء بين يديه، واضرع إليه بخضوع وخشوع، وسله أن يرحمك ويعافيك، ويعصمك مما يكرهه، ويُبعدك عنه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧٩) ﴿[الإسراء / ٧٨-٧٩].

وهذه الصلاة هي معراج المؤمن، فيها تكبير الله، وفيها حمد الله، وفيها سؤال الله ﷻ، وفيها استغفار الله ﷻ، وفيها تقديم التحية له، والثناء عليه، والصلاة والسلام على من كان سببًا في معرفة هذا الدين الحق وهو محمد ﷺ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد: ﴿وَاقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١١٤) ﴿[هود: ١١٤].

وانكسر بين يدي ربك العظيم، واسجد بين يديه متصاغراً لعظمته، متذللًا معتذرًا، مستغفرًا؛ عساه أن ينظر لضعفك، ويرحم فافتك، ويجبر كسرتك، ويغفر ذنبك، ويصلح جميع أمورك، ويهديك لما يرضيه ويرضيك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ (٦٦) ﴿وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٦٧) ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (٦٨) ﴿[النساء / ٦٦-٦٨].

فلا قيمة للعبد إلا بطاعة الله ورسوله! ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّيِّبِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ  
 الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء / ٦٩-٧٠].

فمن لزم الجو الإيماني في هذه الدنيا؛ ملاً الله قلبه إيماناً، وشغل أوقاته بذكره، واستعمل  
 جوارحه في عبادته.

• والجو الإيماني نستفيد منه خمس كرامات:

الأولى: نتعلم الدين.

الثانية: نعمل بالدين.

الثالثة: نثبت على الدين.

الرابعة: نترقى في الدين.

الخامسة: ندعو إلى الدين.

المجالس الإيمانية مجالس الصدق والمحبة والتقوى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
 وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة / ١١٩].

المجلس الإيماني يصلك بالله، ويقطعك عن مجالس أعداء الله، فالزمه: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ  
 الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ  
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا يُطِغْ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾  
 [الكهف / ٢٨].

هذه الكرامات الخمس من ربنا ﷻ في الدنيا، لها مقابلها كرامات يوم القيامة.

فالله ﷻ يكرم من قام بهذه الأعمال العظيمة بثمان كرامات يوم القيامة:

الأولى: الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
 فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

الثانية: دخول الجنة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ  
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج: ١٤].

الثالثة: الخلود في الجنة: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ  
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾

[النساء: ١٢٢].

الرابعة: رضوان الرب: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

الخامسة: رؤية الرب جل جلاله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

السادسة: سماع كلام الرب: ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨].

السابعة: القرب من الرب جل جلاله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

الثامنة: النجاة من النار: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

واعلم أيها المؤمن أن المخلوقات كلها، والعبادات كلها، والأوامر كلها؛ سرها وروحها تعظيم الرب الملك العزيز الجبار بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبادته بموجب أسمائه وصفاته، وتوحيده بأسمائه وصفاته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَلْعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وهذا العلم يورث التعظيم والطاعة والمحبة لله ﷻ، وبالطاعة والتعظيم والمحبة يكون كمال التعبد لله ﷻ، وبالتعبد يأتي الثواب العظيم والأجر العظيم من ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨].

فاعرف ربك العظيم بأسمائه وصفاته، والزم طاعته، واحذر معصيته، وأحل ما أحل الله، واجتنب ما حرم الله؛ تفوز برضاه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه؛ أن العظيم جل جلاله شرع لك آدابًا تتأدب بها عند مناجاته، فأمرك بالوضوء للصلاة، والغسل من الجنابة؛ إجلالاً لمناجاته والوقوف بين

يديه، وإجلالاً لكلامه وكتابه أن تتلوه على غير طهارة: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ [المائدة / ٦].

فأمر ربك العظيم عليك أن تطهر ظاهره بالماء، وتطهر باطنك بالتوبة النصوح والتوحيد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٣٣﴾﴾ [البقرة / ٢٢٢].

• فلا بد من نظافة الأبدان؛ فالأبدان يصيبها الوسخ والقذر من جهتين:

الأولى: الغبار من الخارج.

الثانية: العرق من الداخل.

فالأغسال المتكررة تذهب هذه الأوساخ المتكررة من الداخل والخارج.

• وكذلك القلوب، تأتي إليها الذنوب من جهتين:

الأولى: ذنوب داخلية قلبية: كالحسد، والنفاق، والكبر، والرياء، والشرك، وغيره من الصفات السيئة.

الثانية: ذنوب من الخارج؛ بأن ترى العيون ما حرم الله، وتسمع الأذن ما حرم الله، ويتكلم اللسان بما حرم الله، وشهوات تشغل عن ذكر الله.

فلطهارة الأبدان لا بد من الأغسال المتكررة، ولطهارة القلوب لا بد من التوبة المتكررة: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور / ٣١].

والله ﷻ يحب التوابين، ويفرح بتوبتهم.

ولا تقف أيها المؤمن بين يدي العظيم وأنت مشغول بسواه؛ بل تجرد لعبادته وحده، واعلم أنه يراك، وعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإن يراك، وفرغ قلبك لذكره، واقطع العلائق عما سواه، وأقبل عليه، ولا تلتفت إلى الشواغل التي تلهيك عنه: ﴿وَتَوَكَّلْ

عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٣٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٣٨﴾ وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء / ٢١٧-٢٢٠].

وراقب أيها المؤمن رحمني الله وإياك من يسمعك ويراك.

راقب ربك العظيم في السر والعلانية، واشتغل بما يحبه ويرضاه قبل أن تلقاه.

واعلم أن نظر الرقيب العظيم سبحانه إليك سابقٌ إلى نظرك للمحرمات، بل سابق إلى همك بالطاعة أو المعصية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

واحرص أن يكون عملك كله خالصاً لوجه ربك العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى، ولما يستحقه من عبادة وتعظيم لذاته، وجلاله وجماله، فهو أهل أن يُعبد، وأهل أن يُكبر، وأهل أن يعظم، لا لثواب ترجوه، ولا لعقاب تتقيه فقط، فتكون حينئذ كالمطوع بعبادتك، وكالأجير يعمل لياخذ أجرته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك/ ١٢].

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ١١٠].

واعلم أن العظيم يُكرم من أطاعه بالجنة، ويُذل من عصاه بالنار، فربك كريم، وخزائن كل شيء بيده، وهو المستحق للعبادة لذاته وكماله وجلاله، وثوابه من جميل إحسانه، وهذه درجة الأنبياء والصادقين والصدّيقين: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة/ ٥].

ولهذه الدرجة العالية انتهت عبادة العابدين: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم/ ٤٢].

﴿فَقَرُّوا إِلَىٰ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

ولما لم يكن لكل المؤمنين تناول هذه الدرجة العالية؛ فصلها لهم على درجات؛ رافةً ورحمةً بهم، فعبد قوم ربهم العظيم؛ لأجل مخافته؛ لأنهم عرفوا أنه عظيم قوي قادر قاهر؛ وأنه بيده كل شيء؛ ولأنه مالك النار، ومالك الجنة، ومالك الدنيا، ومالك الآخرة.

وعبده آخرون؛ لأجل رجائه؛ لأنهم عرفوا أنه رب رءوف رحيم: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر/ ٥٣].

وعبده آخرون؛ لأجل جلاله؛ لأنه الملك الحق العزيز الجبار الموصوف بالعزة والجبروت  
والملكوت والكبرياء والعظمة.

وعبده آخرون؛ لأجل جماله وإحسانه، فهو الكريم الغفور اللطيف الرحمن الرحيم  
الودود.

وعبده آخرون لذاته؛ لأنه الرب العظيم، والإله الحق، الذي يستحق من خلقه جميع  
أنواع العبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وجلاله وجماله،  
ولعظيم نعمه وإحسانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ  
الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ  
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ  
الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾  
[الحشر: ٢٢-٢٤].

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ  
﴿١٠٤﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾  
[الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فنحن نطمع في رضوان ربنا، ونطمع أن نفوز بالجنة، وننجو من النار، ولكن التعبد  
الكامل أن نعبد الله؛ لأنه الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له؛ لأنه رب العالمين؛  
ولأنه الرحمن الرحيم؛ ولأنه مالك يوم الدين.

وأكمل هؤلاء من عبد ربه بجميع هذه العبوديات التي تملأ القلب نورًا وسرورًا، وكل  
من هؤلاء يذوق من طعم الإيمان وحلاوة العبادة مذاقًا لا تحسن أن تتوهمه، فكيف لك  
أن تصفه؟.

فسل ربك العظيم أن يذيقك حلاوته، ويوصلك إلى حقيقته؛ فإن للإيمان اسمًا، ولفظًا،  
وصورةً، وطعمًا، وحلاوةً، وحقيقة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ  
وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ  
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ  
كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وجلّت قلوبهم خوفاً، وخشيةً، وحبًّا، وتعظيمًا، وإجلالًا لله ﷻ.  
الله أعطاهم العلم فهم يعلمون، وأعطاهم المال فهم ينفقون، وأعطاهم الأخلاق فهم  
يحملون على الناس:

فقابل الله أعمالهم العظيمة بكرامات ودرجات عظيمة: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ  
دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٤].

وإياك أيها المسلم أن تعظم نفسك أو تجلها، أو تطلب لها ذلك عند الله وعند الناس؛  
فأنت العبد الفقير للملك الغني.

• أنت العبد المطبوع على أربع صفات:

ضعيف .. فقير .. عاجز .. محتاج.

ضعيف أسأل القوي، فقير أسأل الغني، عاجز أسأل القادر، محتاج أسأل من يملك  
الحوائح جل جلاله، فلا تطلب العلو بقولك، وفعلك، وهيتك، فتسقط من عين الله؛  
لأن الكبرياء له: ﴿فَلِلَّهِ الْمَعْدَرُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الْكَبِيرُ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الحاثية / ٣٦-٣٧].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ ﴿١٨﴾  
[لقمان / ١٨].

والمتكبر كالذي فوق الجبل؛ فالذي فوق الجبل يرى الناس صغارًا، وهم يرونه صغيرًا،  
الله ﷻ الكبرياء له، والعظمة له؛ فلا تنازعه في واحدٍ منهما؛ فيعذبك بسبب ذلك.  
من عرف ربه العظيم كبره وأحبه وآمن به، وتواضع لعظمته، وتصاغر لكبريائه.

فاستغفر لذنبك من الجهل بالله، وبدينه وشرعه، استغفر لذنبك من قلة العمل، استغفر  
لذنبك من عدم حسن العمل، استغفر لذنبك من تأخير العمل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩].

ومن تعظيمه جل جلاله أن يطاع فلا يعصى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا  
سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا  
عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وَيُذَكِّرُ فَلَا يُنْسِي: ﴿بَيَّأَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذَكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٢].

ومن نسي الله؛ نسيه الله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة / ٦٧].

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر / ١٩].

ومن تعظيم الله أن يُشكر فلا يُكفر: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٧] ﴿إبراهيم / ٧﴾.

ومن تعظيم الله ﷻ أن يحب ويحمد ويكبر ويوحد فإن جحدتم حقه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء / ١١١].

تكبير الله من أعظم العبادات، فالتكبير الوارد في السنة أكثر من ستمائة وخمسة وثلاثين مرة، يقولها المسلم في الأذان، والإقامة، والصلاة، والأذكار بعد الصلاة، وأذكار النوم، وغيرها من الأذكار.

فتكبير الله وتعظيمه أمرٌ مطلوبٌ شرعاً؛ بل هو التوحيد حقاً.

ومن تعظيم الله ﷻ تعظيم ما عظمه العظيم؛ من الأماكن، والأزمان، والأقوال، والأعمال، والأخلاق، والأشخاص: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ اللَّهَ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج / ٣٢].

فالأماكن: كبيتة العتيق، وسائر مساجد المسلمين.

والأزمان: كأوقات الصلوات الخمس، ويوم الجمعة، وليلة القدر، ويوم عرفة، وشهر رمضان.

والأقوال: كالأذكار، والأدعية وقراءة القرآن، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والوعظ والنصح.

والأفعال: كأنواع العبادات من وضوء، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج وغيرها.

والأخلاق بالتخلق بالأخلاق العالية، والبعد عن الأخلاق السيئة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِ وَالْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

• وأصول الأخلاق أربع:

الأولى: أن تصل من قطعك.

الثانية: أن تعطي من حرمك.

الثالثة: أن تعفو عن من ظلمك.

الرابعة: أن تحسن إلى من أساء إليك: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

ومن تعظيم الله تعظيم شعائره، وتعظيم حرمانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ  
لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج / ٣٠].

فسبحان الرب العظيم الذي كتابه أعظم الكتب: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ  
الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر / ٨٧].

وكلامه أعظم الكلام: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ  
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

هو العظيم الذي لا تعد كلماته، ولا تنفذ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ  
يَمْدُهُ، مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان / ٢٧].

ودينه أحسن الأديان: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾  
[النساء: ١٢٥].

ودينه أكمل الأديان: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ  
الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فسبحان العظيم القادر على كل شيء من صغير وكبير! القوي الذي لا يُعجزه شيء في  
الأرض ولا في السماء، الذي خلق جبل كخلق ذرة، وخلق مجرة كخلق ذرة، وخلق بحر  
كخلق قطرة: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾  
[لقمان / ٢٨].

هذا الكون العظيم بما فيه من المخلوقات العظيمة خلقه الله ﷻ بحرفين من كلامه، فظهر  
بارزا من العدم: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فسبحن الذي

بِيَدِهِ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس / ٨٢-٨٣].

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

فسبحان العظيم القادر على كل شيء من المخلوقات، الذي له الخلق والأمر، وبيده الملك والملكوت، وله العزة والجبروت: ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ أَمْلُكٌ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١].

وإذا علمت أيها المؤمن أن الله هو العظيم وحده لا شريك له؛ فاعبده وحده لا شريك له، وعظم كتابه، واتبع رسوله، ودينه، وأمره، وعظم شعائره؛ لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

وكن خليفة الله في أرضه، تعبد الله، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، تفلح وتنجو: ﴿ وَلَيُنصَرِفَنَّ اللَّهُ مَنْ بِنَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج / ٤٠-٤١].

وادع إلى ربك العظيم، وانشر سنن رسوله الكريم، ولتكن حياتك في مرضاة ربك، عبادة ودعوة؛ لعلك ترضى، وتكون عظيمًا في عين ربك، عظيمًا بين الناس؛ ويعظم الله في نفسك، ويعظم ربك في قلوب الناس إذا عظمتهم بينهم، وكبرته بينهم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت / ٣٣].

فإن الله يريد منك أن تكون عظيمًا في نيتك وفي أقوالك، في أعمالك، وفي جميع أمورك. كن عظيمًا في إيمانك، واجتهد لتقوية إيمانك، ورفقه بما تستطيع من النظر في الآيات الكونية والآيات القرآنية؛ لترقى من الإيحاء الموجود بالإيحاء المفقود، فتصل للإيحاء المطلوب: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ءَ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦].

• فالإيمان ثلاثة أقسام:

الأول: إيمان مطلوب.

الثاني: وإيمان موجود.

الثالث: وإيمان مفقود.

فالإيمان الموجود: هو الموجود في حياتي، لا بد أن أرقيه؛ حتى أشارك في الأعمال الاجتماعية، والأعمال الانفرادية، ويكون لي نصيب من الدعوة، ومن العبادة، ومن التعليم، ومن الإحسان إلى الخلق.

فكن عظيمًا في إيمانك، عظيمًا في أقوالك، نحفظ هذا اللسان بالذكر والتسبيح والتحميد، بالدعوة إلى الله، بتعليم شرع الله، بالقول السديد، بالأمر بالمعروف، بالنهي عن المنكر، بالنصيحة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

وسارع إلى ما يحبه ربك العظيم، وقدم محبوبات الرب على محبوبات النفس، وانتقل من الحب السافل إلى الحب الأعلى.

أحب ربك العلي الأعلى، وأحب أوامره، وأحب ملائكته، وأحب أنبياءه ورسوله، وأحب المؤمنين، وسارع إلى ما يحبه ربك العظيم، واجتنب ما يكرهه من اللغو والفواحش من الأقوال والأعمال والأخلاق؛ تنال ثوابه العظيم: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء / ١١٤].

فالحمد لله لربنا العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء، والذي جعلنا مؤمنين، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران / ١٤٧].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران / ٨].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات / ١٨٠-١٨١].

لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب  
السموات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، سبحان ذي  
الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة.

اللهم يا عظيم الأسماء والصفات، يا رفيع الدرجات، يا عالم الخفيات، يا مالك الأرض  
والسموات، يا عظيم الإحسان، يا غافر الذنب، يا قابل التوب، يا واسع الرحمة، لا إله  
إلا أنت، نسألك الفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا واسع المغفرة، يا سريع الرضا، يا  
عظيم الصفح، اعفُ عنا، واغفر لنا، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

القوي

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله القوي جل جلاله.

الله ﷻ هو الملك الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السموات والأرض.

الله جل جلاله هو الرب العظيم القوي القادر القاهر، الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك / ١].

• إن معرفة أسماء الله وصفاته أصل التوحيد، ولُب الإيمان؛ فإن الفقه قسمان: الأول: فقه القلوب.

الثاني: فقه الجوارح.

وفقه القلوب: هو علم التوحيد والإيمان، واليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتُونَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وفقه الجوارح: هو العلم بالأعمال المتعلقة بالجوارح من الذكر والدعاء، والصلاة والصوم، والزكاة وغيرها من الأعمال التي تقوم بها الجوارح، ويقوم بها اللسان.

والفقه في الدين يشمل هذا وهذا كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الذِّكْرِ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [٤]﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه (١).

فالفقه في الدين أعلاه وأعظمه هو معرفة الرب جل جلاله، فمعرفة الحقيقة غير معرفة الشريعة، معرفة الحق، والتعبد بالحق، هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله جل جلاله، وعبادته بموجب ذلك فأسماء الله ﷻ لا بد من معرفتها حتى نتعبد لله ﷻ بها، ولتسهيل

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).

معرفتها، لا بد من معرفة أقسامها، والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

• وأسماء الله جل جلاله من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته؛ مثل: الله، الإله، الحي، القيوم، الواحد، الأحد، الحق، الأول، الآخر، وغير ذلك من الأسماء التي تدل على وحدانية الله ﷻ، لا بد للإنسان أن يعرف أنه يعبد إلهاً واحداً، ويطيع واحداً، وهو عبداً لواحد.

الثاني: الأسماء الدالة على الملك والقدرة والقوة؛ مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القوي، القادر، وأمثالها من الأسماء.

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد.

مثل: الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، حتى إذا عرفت أن ربي هو الخالق، وهو البارئ، وهو الوهاب، وأعبده وحده، لا ألّفت إلى غيره.

الرابع: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة؛ مثل: السميع، البصير، العليم، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وأمثالها من الأسماء التي تدل على كمال علم الله وكمال إحاطته بكل مخلوق.

الخامس: الأسماء الدالة على العفو، والرحمة، والمغفرة؛ ومن ذلك: الرب، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الحليم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، النصير، القريب، المجيب، العفو، الغفور، وغير ذلك من الأسماء المشابهة لذلك.

السادس: الأسماء الدالة على الهداية والبيان؛ مثل: الهادي، المبين، الوكيل، الكفيل، وأمثالها من الأسماء التي تدل على الهداية.

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلاء، ولا بد للعبد أن يفقه هذه الأسماء، ويتعرف على ربه ﷻ، ليعبده بموجب هذه المعرفة. فالله ﷻ هو القوي، ولا شك أن الكلام عن العظيم لا بد أن يكون عظيماً، والكلام عن الكبير لا بد أن يكون كبيراً، والكلام عن القوي لا بد أن يكون قوياً، فربنا ﷻ هو القوي وحده لا شريك له، وكل ما سواه من مخلوقاته ضعيف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

هو القوي الذي يملك خزائن القوة، هو القوي الذي لا أقوى منه جل جلاله، هو القوي العزيز الغالب لجميع من سواه، هو القوي وحده لا شريك له، وكل ما سواه من مخلوقاته ضعيف.

هو سبحانه القوي الذي يملك القوة كلها، القوي الذي خلق القوة في كل قوي، قوة الشمس، قوة القمر، قوة السموات، قوة الأرض، قوة العرش، قوة الكرسي، قوة الجبال، قوة الرياح.

هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة/ ١٦٥].

هو القوي في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله جل جلاله.

هو سبحانه القوي الذي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، الكامل القدرة فلا يُعجزه شيء، التام القوة فلا يستولي عليه العجز أبدًا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [٣٨] [ق/ ٣٨].

هو سبحانه القوي لذاته، والقوة صفة ذاتية له لا تنفك عنه أبدًا كالحياة والسمع والبصر، لا تنفك عنه أبدًا، هو قويٌّ أبدًا، قادرٌ أبدًا، عليمٌ أبدًا.

هو القوي العزيز الخلاق، الذي خلق العرش والكرسي، هو قوي بذاته، وقوي بصفاته، وقوي بأفعاله، له قوة الذات، فلا أقوى منه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود/ ٦٦].

هو القوي، وكل ما سواه ضعيف، فهو القوي في خلقه، والخلق فعل من أفعاله. هو القوي العزيز الخلاق الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الملائكة العظام، وخلق الجبال الراسيات، وخلق البحار الزاخرات، وخلق النجوم الزاهرات، وخلق الحيوان والنبات، وخلق الإنس والجان: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٣] [لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [٦٣] [الزمر/ ٦٢-٦٣].

هو القوي وحده لا شريك له؛ لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، الذي لكمال ذاته وأسمائه وصفاته يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود/ ١٠٧].

هو قوي عزيز، يُعز من يشاء، ويُذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويُضل من يشاء، ويحيي من يشاء، ويميت من يشاء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْحَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ٢٦].

• ما هي أفعال القوي جل جلاله؟.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران / ٢٧].

فسبحان القوي القادر القاهر الخلاق العليم، الذي خلق أعظم المخلوقات وهو العرش، واستوى عليه برحمته، وخلق الكرسي، وخلق السماء، وخلق الملائكة، وخلق النجوم، وخلق الشمس والقمر، وخلق العالم العلوي بكل من فيه، وخلق العالم السفلي، الأرض، والجماد، والنبات، والحيوان؛ وغير ذلك. وهو القوي في خلقه؛ خلق أعظم شيء وهو العرش، وخلق أصغر شيء وهي الذرة، وخلق بينهما مخلوقات لا يحصيها إلا هو.

فكم في الكون من الذرات؟ كم من الكون من الهباءات؟

القوي جل جلاله خلق أعظم شيء، وأكبر شيء، وأصغر شيء، من العرش حتى أصغر المخلوقات، من صغار المخلوقات؛ كالذرة، والبعوضة، والنملة، وغيرها من صغار المخلوقات، وهذه البعوضة الصغيرة التي نراها من أصغر المخلوقات، وأضعف المخلوقات، القوي خلقها ﷻ، وجعل فيها من القوة ما يليق بعملها.

فهذه البعوضة هي مُليكة لا جيش لها سواها، تحقرها عين من تراها، ولكن هذه المخلوقة الضعيفة هذه المخلوقة لها مائة عين، وثلاثة قلوب، وست سكاكين، وثمانية وأربعون سنًا، وعندها قوة الشم، فهي تشم الدم الصالح لتتغذى به من مسافة بعيدة.

فسبحان الخالق الذي خلق فأبدع، وصور فأحسن: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

والله ﷻ خلق بقوته العرش العظيم، وأمسكه بقدرته، وخلق السموات والأرض، وأمسكها بقدرته؛ لأنه قوي لا يُعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء.

وهو سبحانه القوي القادر على كل شيء، القوي الذي يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويُمسك الأجسام العظيمة، والذرات الخفية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر / ٤١].

فهو جل جلاله الملك الحق، القوي العزيز، وحده لا شريك له.

وقد ورد اسم الله القوي في القرآن تسع مرات، ومقرّونًا باسمه العزيز سبع مرات، لا بد لنا من أن نعرف المعبود قبل العبادة، ونعرف الأمر قبل أن نمثّل أمره، ونعرف الحاكم قبل معرفة أحكامه، فلا بد أن أعرف أن ربي ملك، حق، عظيم، كبير، قوي، رحمن، رحيم، غني؛ حتى أتعبد له بموجب هذه الأسماء؛ لأنني خلقت ضعيفًا وعاجزًا وفقيرًا ومحتاجًا، فأنا محتاج إلى القوي أستفيد من قوته، هو الذي أعطاني قوة البصر، وقوة السمع، وقوة البدن: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

فالله ﷻ هو القوي، ذو القوة والقدرة، وضد القوة الضعف والوهن والعجز.

والله وحده هو القوي القادر على كل شيء، الذي لا يُعجزه شيء، مهما كبر أو صغر، أو خف أو ثقل، أو ظهر أو بطن هو جل جلاله القوي الذي لا يخفى عليه شيء، ولا يُعجزه شيء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس / ٦١].

هو جل جلاله قوي، لا يُعجزه شيء في ملكه وملكوته، وملكه عظيم، له ملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وله ملك السموات والأرض، وله ملك الدنيا، وملك الآخرة، فهو جل جلاله ملك عظيم، وملكه عظيم.

والملك له صفات، ومن صفات الملك العظيمة أنه قوي، وأنه قادر، وأنه كريم، وأنه رحمن، وأنه لطيف، وأنه سميع، وأنه بصير.

فهذا الملك ملكه جل جلاله، ونحن من ممالكه؛ فكل يوم نتعلم من صفات ربنا جل جلاله نزداد إيمانًا به، ونزداد تعبدًا له، ونزداد تعظيمًا له، ونزداد حبًا له جل جلاله، فهو

جل جلاله الملك الحق الذي بيده الملك والملكوت: ﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ ﴿الملك: ١﴾.

هو سبحانه القوي الذي يفعل ما يريد، هو القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء في حال من الأحوال، القوي الذي لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿هود/ ٦٦﴾.

والقوة صفة يقابلها الضعف، والقدرة صفة يقابلها العجز، والقوة أخص من القدرة، فكل قوي قادر، وليس كل قادر قوياً؛ لأن الإنسان قد يقدر على حمل شيء ثقيل، لكن مع تعب ومشقة، فهذا الإنسان يقال له: قادر، لكنه ليس بقوي.

والله ﷻ كامل الأسماء والصفات، كامل القدرة والقوة، فلا يعجزه شيء، كامل القوة فلا يغلبه أحد، ولا يعجزه أمر أرادته: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿ق: ٣٨﴾.

السموات سبع، والأراضين سبع، وسمك كل سماء خمسمائة عام، وبين كل سماء والأرض، خمسمائة عام من الفضاء؛ فخلق الفضاء يحتاج إلى قوة وإلى قدرة، وخلق الأجسام العظيمة؛ كالشمس والقمر، والسموات والأرض، والعرش والكرسي؛ يحتاج ذلك إلى ملك قوي قادر، قاهر يقهر الأشياء على ما يريد: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿الأنعام: ١٠٢﴾.

فأنا من فضل الله عليّ أي تعرفت على الملك الحق، القوي القادر، فالذي أعبد كامل الذات والأسماء والصفات: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ ﴿طه: ٨﴾.

فهو سبحانه القوي الذي إذا أراد شيئاً كان فوراً بشكله وحجمه، فكل شيء في الكون خاضع لعظمته، ومستجيب لمشيئته، ومسرّع إلى إرادته، وهو في خزائن غيبه موجود: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿فَسَبَّحَنَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿يس/ ٨٢-٨٣﴾.

هو قوي قادر يأتي بالليل بعد النهار، بالحياة بعد الموت، بالأمن بعد الخوف، بالعافية بعد المرض، هو جل جلاله إذا أراد شيئاً كان فوراً، فجميع المخلوقات خاضعة لعظمته، ومستجيبة لمشيئته جل جلاله، شاهدة بوحدانيته.

والله قويٌّ متين، عظمة قوته تدل على كمال قدرته، وهو المتين، شديد القوة، فالله من حيث أنه تام القدرة قوي، ومن حيث أنه شديد القوة متين: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات / ٥٨].

والقوي اسم الله جل جلاله، والقوة صفة ذاتية من صفات الرب، ذاتية لا تنفك عن ربنا، فربنا قوي، ولا تنفك عنه القوة أبداً.

والقوة صفة فعلية له، فإنه يقوي من شاء من عباده، هو القوي الذي وهب القوة لكل قوي فصار قوياً، ولو رفع عنه صفة القوة لعاد ضعيفاً فسبحان القوي الذي يملك القوة كلها: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة / ١٦٥].

هو الرحمن هذا اسمه، صفته الرحمة، هو الكبير هذا اسمه، يكبر المخلوقات، هذه صفة فعله جل جلاله، هو القوي هذا اسمه، فعله أنه خلق القوة في كل قوي، وهب القوة لكل قوي، قوة الإنارة في الشمس التي خلقها الله ﷻ فهي تصب من نوره جل جلاله، هو الذي صب فيها النور، فأضاءت ونورت، فهذا نور مخلوق من مخلوقاته العظيمة، فكيف بنوره العظيم جل جلاله؟! ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور / ٣٥].

فسبحان النور الذي خلق كل نور في السماء والأرض.  
قال ﷻ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فمن رأى بقلبه ربه في الدنيا، رآه يوم القيامة بعينه: ﴿وَجُوهٌ نَّاصِرَةٌ﴾ [٢٢] إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [القيامة / ٢٢ - ٢٣].

فمن رآه بقلبه؛ آمن به وأحبه وامثل أمره، هذا جدير يوم القيامة أن يرى الله ﷻ بعينه.

- فسبحان الله العظيم! هو الخلاق العليم الذي خلق الإنسان، وخلق فيه ثلاث أواني:  
الأولى: آنية المعلومات وهي العقل.  
الثانية: آنية الطعام وهي المعدة.  
الثالثة: وآنية الإيمانيات وهي القلب.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

فآية العقل نشترك فيها مع الكفار، وآية الطعام نشترك فيها مع البهائم، وآية الإيمانيات نشترك فيها مع الملائكة: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٧٨] ﴿النحل: ٧٨﴾. وهذا القرآن أنزل على القلوب: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [١٩٥] ﴿الشعراء/ ١٩٣-١٩٥﴾.

• هذه القلوب غذاؤها بالإيمان، ويتم ذلك بسبعة أمور:

معرفة الله .. ومعرفة أسمائه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعدته .. ووعيده ..  
 فيا عبد القوي إذا كنت في معية القوي فأنت قوي، وإذا كنت في معية الكبير فأنت كبير،  
 وإذا كنت في معية العزيز فأنت عزيز: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [١٩] ﴿محمد: ١٩﴾.  
 وقد ورد في القرآن اسم الله القوي مقترناً بالعزيز سبع مرات، وقد ورد معظم هذا الاقتران في القتال بين المؤمنين والكفار، وفي الصراع بين الحق والباطل، إشارة إلى أن القوي العزيز مع أنبيائه ورسله وأوليائه في كل حال، خاصة حين يشتد الكرب، ويعظم الخوف، فينصرهم القوي على أعدائهم؛ لأنه القوي الذي لا يُغلب، القوي الذي يظهر قوته في إهلاك أعدائه وأعداء دينه وأعداء أنبيائه، ويُظهر عزته في إعزاز دينه، وإنجاء رسله وأوليائه: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ [٢٥] ﴿الأحزاب/ ٢٥﴾.

فهو جل جلاله قويٌّ عزيز بيده الرياح، وبيده المياه، وبيده النجوم، وبيده الشمس والقمر، وكل ما في الكون جنوده، هو القوي جل جلاله في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وملكه، وسلطانه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [٤٤] ﴿فاطر: ٤٤﴾.

ماذا ينظروا؟ ينظروا في الملك والملكوت، ينظروا عظمة خلق الله القوي القادر على كل شيء، خلق السماء، وخلق الأرض، وخلق الجبال، وخلق البحار والأنهار، وخلق الحيوانات، والنباتات، وخلق عالم الجهاد، وخلق المعادن، وينظروا ماذا فعل الله

بالظالمين: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [١٠٢] [هود: ١٠٢].

فسبحانه له قوة الذات، فلا أحد أقوى منه، وله قوة الصفات؛ قوي في سمعه، قوي في بصره، قوي في علمه، قوي في عطائه، وله قوة الأفعال؛ يخلق الأجسام العظيمة، ويحرك الأجسام الثقيلة، وملاً كونه بآياته ومخلوقاته التي تشهد بكمال قدرته وقوته وعلمه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢] [الطلاق / ١٢].

فهذه المعارف العظيمة لا بد للعبد أن يتعرف عليها؛ حتى يعرف من يعبد؟ ولمن يتقرب؟ فلا إله إلا الله، ما أعظمه! وما أكبره جل جلاله! وما أعظم خلقه! وما أشد قوته! فسبحان القوي القادر على نصر من جاهد في سبيله، القوي العزيز القادر على كل شيء، العزيز في ملكه وسلطانه، الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [١١] [المجادلة / ٢١].

هو سبحانه الملك القوي في ذاته، القوي في أفعاله، القوي في بطشه، القوي في بسطه، القوي في منعه: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٧٤] [الحج / ٧٤].

ومن عرف ربه بالقوة والعزة؛ خافه وهابه، وأحبه وعظمه، وابتعد عما يُغضبه، وسارع إلى طاعته، واشتغل بما يرضيه، مهما تعدد البلاء، ومهما تقلبت الأحوال بين السراء والضراء؛ فهو يحب ربه ويعبده ويتقرب إليه في كل وقت وأن؛ لأنه عرفه بأسائه الحسنى وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] ﴿نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧] [السجدة / ١٥-١٧].

فمن عرف ربه؛ أحبه، وعظمه، وذل له، واستأنس به، واستوحش من غيره، ومن عرف ربه بالقوة والعزة والرحمة؛ توكل عليه وحده، وفوض أموره إليه؛ لأنه القوي الذي لا أقوى منه؛ فلا يلتفت إلى أحدٍ سواه؛ القوي القادر الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فلا رازق إلا هو سبحانه، ولا رزق إلا منه سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [١٩] [الشورى / ١٩].

هو أولاً: خلق الأرزاق كلها.

وثانياً: أوصل هذه الأرزاق بقوته إلى كل مخلوق في السموات والأرض، وفي الفضاء، والبر والبحر، وفي الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

ورزقه المادي عطاء ربوبيته، أما عطاء ألوهيته فهو فضله جل جلاله على خلقه، فكما من على الخلق بعطاء ربوبيته؛ من على الخلق بعطاء ألوهيته، وهو هذا الدين الذي يصل المخلوق بخالقه، ومن خالقه؟ خالقه الذي خلقه، والذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلاء، خالقه ملك عظيم، خالق كل شيء، وبيده كل شيء، القادر على كل أحد، المحيط بكل أحد، الذي لا يُعجزه شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والناس يعجبون بالكبير، وبالعظيم، وبالجميل، وبالعالم، وبالكامل، فلا أعظم منه جل جلاله، ولا أكبر منه، ولا أجمل منه، ولا أقوى منه، ولا أعلم منه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه: ٨].

فأنا أتصل بالقوي لأستفيد من قوته، واتصل بالكريم لأستفيد من كرمه، وأتصل بالشافي لأستفيد من شفائه، وأتصل بالغني لأستفيد من رزقه جل جلاله. فالله ﷻ لطيف بعباده، لا إله إلا هو؛ يرزق من يشاء وهو القوي العزيز: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ [الشورى: ١٩]. فلا ناصر إلا هو، ولا نصر إلا منه أبداً: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٦].

النصر ينزل من الناصر، والرزق ينزل من الرزاق، فكل شيء عنده جل وعلا، فالنصر من الناصر وحده، ونصرة الناصر خاصة بمن آمن به، ونصر دينه، ونصر دينه أن أو من به جل جلاله، وأعمل بشرعه، وأدعو إلى دينه: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ﴾ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

فهم يقومون بالأعمال الانفرادية، ويقومون بالأعمال الاجتماعية، إقامة الصلاة عمل انفرادي، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، عمل اجتماعي.

ومن عرف القوي العزيز الجبار، تواضع لعزته، وخضع لكبريائه، وذل لجلال هيئته وقوته، وذل إذا ذكر ربه، يوجل قلبه من ذكر ربه؛ لأنه يعرف أن الرب الذي يعبد، والذي يقف بين يديه، والذي يناديه جل جلاله؛ ربّ خبير عظيم، غنيّ كريم، قوي قادر قاهر: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال / ٢].

هذه أمور ثلاثة تتعلق بالقلب؛ فيتبعها عمل البدن: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ٢ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ٤ [الأنفال / ٣-٤].

ولهذا لا بد للعبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله؛ في ملكه وسلطانه، وفي خلقه وأمره، وفي دينه وشرعه، وفي عطائه ومنعه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد / ١٩].

ثم استغفر من قلة المعرفة ونقص العمل، وقلة الحياء، وتكرار المعاصي: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ ١١ [محمد: ١٩].

واستغفر للمؤمنين الذين قصرُوا معك، قصرُوا في معرفة الإله، وقصرُوا في العمل بموجب هذه المعرفة، فأعمالهم ناقصة لا تليق بجلال الله، ولكن الله كريم يُعطي الأجر العظيم على العمل القليل، وإذا علم العبد أسماء ربه وصفاته؛ جاء في قلبه عظمة الله، وكبرياء الله، والخوف من الله، وحب الله، وطاعة الله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ١٣ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ١٤ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ١٥ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ١٦ ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ١٧ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ ١٨ [نوح: ١٣-١٨].

وإذا علمت أن ربك القوي العزيز يراك إن تحركت، ويسمعك إن تكلمت، ويعلم بما في قلبك إن سكت، وأن كل نعمة في الكون منه، فبادر إلى طاعته، وحسن عبادته، وابتعد عن إيذاء الخلق والاعتداء عليهم وظلمهم؛ فإن الله قوي قادر على الانتقام لهم منك: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ٦ ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ ٧ ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ ٨ ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ ٩ ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ١٠ ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ ١١ ﴿فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ ١٢ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ١٣ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ ١٤ [الفجر / ٦-١٤].

بالمِرْصَادِ لكل ظالمٍ وطاغٍ ومستكبرٍ وياغٍ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ ١٤ [الفجر / ١٤].

وابتعد عن العُجب والغرور والكبر؛ فالله أعطاك القوة والعافية والنعم، لتطيعه بما أنعم عليك من هذه النعم التي لا تُعد ولا تحصى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

فألزم باب العبودية لربك القوي العزيز، وإياك والعجب والكبر: ﴿يَبْنِي أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءًا بِالمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ المُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِن عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [١٧] وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان / ١٧-١٨].

فهو سبحانه القوي الذي لا يقف لقوته أحد، واللسان يقول للقلب: الله قوي قبل أن يخلقنا، وقوي قبل أن نتكلم ونعرف القوي، فالله لا يزداد بكلامنا قوة، ولكن بكلامنا عن الله قلوبنا تمتلئ بعظمته وكبريائه وبمعرفة قوته وقدرته قلوبنا تهابه وتخافه، وبمعرفة نعمه قلوبنا تحبه وتشكره لكمال إحسانه وإنعامه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

فهو سبحانه القوي الذي لا يقف لقوته أحد، وكما أن تعبد البدن بالركوع والسجود، وتعبد اللسان بالذكر؛ كذلك تعبد هذا القلب أن يعرف القوي، ويعرف العزيز، ويعرف الملك، ويعرف الحق، ويعرف السميع؛ حتى لا يتكلم إلا بما يجب الله ﷻ، ويسكت عما حرم الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وهذه المعارف هي جنة المعرفة، التي من رزقه الله إياها؛ دخل جنة الآخرة يوم القيامة، ولا خير في الدنيا ولا نعيم في الدنيا إلا هذه الجنة؛ فإن من لم يدخلها فقد حُرِمَ، وعاش عيشة البهائم والمفالس، والضالين الذين هم وقود جهنم يوم القيامة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجِنَّ وَالإِنسِ لَهُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُم ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

هو سبحانه القوي الرحيم الذي أرسل الرسل، كم رسول أرسل؟ كم نبي أرسل؟ الله ﷻ بعث من الأنبياء مائة وأربعة وعشرين ألف نبي، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وأنزل الكتب، كم كتاب أنزل؟! ودعا الناس إلى عبادته وحده لا شريك له: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللهُ

وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عقبة  
المكذبين ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

فهو ﷺ القوي الذي له الملك العظيم، وله أوامر في ملكه العظيم، هذه الأوامر الملكية الشرعية أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ودعا الناس إلى عبادته رحمة بهم؛ حتى لا يستدلوا إلى غيره، ولا يسألوا فقيراً مثلهم، فمن آمن به وأطاعه؛ نصره وأعزه.

ومن كفر به وبرسله ودينه، واغتر بقوته، وشدته، وعلمه، وكثرته من الأمم؛ أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر؛ قوم نوح اغتروا بالكثرة، وقوم عاد اغتروا بالقوة، وقوم صالح اغتروا بالصناعة، وسبأ اغتروا بالزراعة، وقوم شعيب اغتروا بالتجارة فأخذهم القوي العزيز القهار أخذ عزيز مقتدر: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فالله ﷻ أهلك الذين لم يستجيبوا للرسل، من رحمته أرسل لهم الرسل، وأعطاهم الأسماع والعقول والأبصار؛ حتى يفهموا ما جاء عن الله ﷻ، وإلا تكفيهم الفطرة: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

فالله ﷻ فطرهم على التوحيد، ولكن من رحمته أرسل الرسل وأنزل الكتب، فمن أطاعه؛ نصره وأعزه في الدنيا، وأدخله الجنة يوم القيامة، ومن عصاه؛ الله ﷻ يعاقبه بعقوبات، فإن لم يستجب لربه فتح عليه من الدنيا فإن لم يشكر نزلت به عقوبة الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤].

• فالأمور أربعة:

أولاً: الله يهدي الإنسان بالهدى البياني: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ الله الصَّمدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].  
﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس / ١٠١].

ثانياً: الإنسان إذا لم يستجب للهدى البياني، وعصى الله بنعمه؛ الله ﷻ يعاقبه حتى يرجع

إليه، فيصيبه بمصيبة رده إلى ربه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى / ٣٠].

فالتواب مقرون بالطاعة، والعقاب مقرون بالمعصية:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بِبَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف / ٩٦].

ثالثاً: فإن لم يعودوا إلى ربهم؛ فتح الله عليهم الدنيا، فشغلتهم الدنيا عن الآخرة وعن ربهم ﷻ؛ حتى يقيم الله عليهم الحجة بالهدى البياني ثم بالتأديب الرباني، ثم بالعتاء الاستدراجي.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

رابعاً: القصم الإلهي، بعد الهدى البياني، وبعد التأديب الرباني، وبعد العتاء الاستدراجي، كل هذا إذا لم ينفع معهم؛ يأتي بعد ذلك الانتقام الإلهي؛ لأن الله خلق الكون ولا يصلح هذا الكون إلا بالدين، فمن ظلم وتعدى حدود الله ﷻ يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر؛ لأنه القوي القادر القاهر لعباده، الذي يفعل ما يشاء، يُكرم من أطاعه، ويؤذل من عصاه؛ فلم يبق بعد هذه الأمور الثلاثة إلا القصم الإلهي.

ماذا فعل الله بقوم نوح؟ ماذا فعل الله بقوم عاد؟ ماذا فعل الله بقوم صالح؟ ماذا فعل الله بقوم لوط؟ وبفرعون وقومه؟ حين أصروا على كفرهم: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

من هؤلاء الأمم المكذبة، والذين كان يقينهم من أفسد اليقين، يقينهم على المخلوق، وماذا بيد المخلوق؟ المخلوق مفعول، لا يمكن أن يكون خالقاً، الخالق واحد، وكل ما سواه مخلوق مفعول، والمفعول لا يفعل، الفاعل هو الذي يفعل ما يشاء، ويحكم بما يريد، والمخلوقات كلها من فعله، أوجدهم بصفة الخلق: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

فالله قوي، وعنده خزائن القوة: ﴿وكَذَٰلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ

أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴿هود: ١٠٢﴾.

فلا تصلح الحياة إلا بالحق والعدل، لا تصلح بالظلم والفساد، والله لا يرضى للعباد إلا بالحق، فمن قبل الحق نصره القوي، ومن رد الحق قصمه القوي: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿غافر: ٥١-٥٢﴾.

فالقوي ليس بغافل، والسميع ليس بغافل، والبصير ليس بغافل، والكريم ليس بغافل: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ ﴿الأنعام: ١٣٢﴾.

فلأعمال بأيدينا، والعطاء من ربنا، والعقاب منه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ﴿الأعراف: ٩٦﴾.

إن أحسنا أحسن الله إلينا، وإن أسأنا فعلی أنفسنا.

هو سبحانه القوي النافذ أمره في ملكه وملكوته، في أي وقت شاء، في أي مكان شاء، بأي حجم شاء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ ﴿يس: ٨٢﴾.

هو القوي الذي يقول للشيء: كن فيكون؛ لأنه كامل القوة، وكامل القدرة، وكامل الغنى، لا يحتاج إلى شيء، بل كل شيء محتاج إليه؛ فمن أعظم النعم أن تعرف أن لك رباً قوياً، وأن تتوكل عليه، وتفوض أمورك إليه، ولا تلتفت لأحد سواه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ ﴿غافر: ٦٥﴾.

هو القوي القادر على كل شيء، الصغير والكبير، والكثير والقليل، على حد سواء، خلق الذرة كخلق الجبل، خلق القطرة كخلق البحر، خلق الذرة كخلق العرش، وخلق السموات والأرض: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ ﴿لقمان/ ٢٨﴾.

إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، فأياها العبد أسمعته ما يجب، واجعله يراك في أعمالك داعياً إلى الله معلماً للشرع الله، محسناً إلى خلق الله، عابداً لله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ ءَإِنَّا إِلَيْل سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ ﴿الزمر/ ٩﴾.

أولوا الألباب الذين لهم لب؛ عرفوا الخالق وما يجب له، وامتلوا أمره حباً وتعظيماً وتذلاً، هؤلاء الذين من الله عليهم؛ فأعطاهم قوة البصر وقوة البصيرة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

هؤلاء خيار الناس نحن نسعى لتكون في الصف الأول، في المقام الأول، في جميع أعمال الدين الانفرادية والاجتماعية، والمحرك لذلك هو معرفة الرب العظيم ذو الجلال والإكرام، معرفة الرب الذي نحن في ضيافته، في بطن الأم، وفي بطن الدنيا، وفي بطن القبر، وفي دار القرار إما في الجنة أو النار، فلا بد أن نعرفه حتى نتقرب إليه بما يحبه ويرضاه، لكن تحول القرآن عند كثير من الناس إلى أمانى، وقراطيس، من دون فهم وعمل: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨].

• لكن المؤمن حقاً هو الذي يتعبد لله بقراءة القرآن بثلاثة مقاصد:

فالقرآن متعبد بتلاوته، ومتعبد بتدبره، ومتعبد بالعمل به، فنتلو القرآن تلاوة بدون فقه؛ هذا لا ينفع الإنسان، لكن الله من فضله علينا أن من علينا وجعل على القراءة على الحرف الواحد حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لكن هذا لا يكفي.

فالله ﷻ جعل القرآن للتدبر: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد/ ٢٤].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء/ ٨٢].

• وبتدبر القرآن نعرف أنه ينقسم إلى قسمين: خبر.. وإنشاء.

• والخبر قسمان:

الأول: خبر عن الخالق بأسمائه وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: خبر عن المخلوق كالعرش والكرسي، والسماوات والأرض، والملائكة، والإنس

والجن، والجماد والنبات، والحيوان وسائر المخلوقات: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وإن معرفة الخالق، ومعرفة المخلوق، تولد التعظيم للخالق وتكبير الخالق، وتولد التذلل لهذا الخالق العظيم، وحسن التبعده له، والخشوع والخضوع له والحب له. والإنشاء: هو طلب الفعل، أو طلب الترك؛ وهي أحكام الشرعية من الأوامر والنواهي: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة / ٤٣]؛ طلب فعل.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ طلب فعل.

﴿وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء / ٣٦]؛ طلب ترك.

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة / ٢٧٥] وهكذا في سائر الأحكام.

هكذا نفهم القرآن، ونفقه القرآن، ونعمل بالقرآن، فلا قيمة للإنسان إلا إذا امتلأ قلبه بالإيمان، وتزينت جوارحه بالأعمال، لا قيمة للعبة التي يوضع فيها اللبن العصير أو الماء، إلا إذا كانت مملوءة بذلك، وإذا فرغت من ذلك تلقى في المزابل، كذلك الإنسان لا قيمة له إلا بالإيمان، الإنسان إناء للأعمال، هذه الدنيا جسد كبير، خلقه القوي الجبار جل جلاله، وبآيات ومخلوقاته ملاً هذا الكون العظيم.

فالدنيا جسد كبير، وهذا الجسد الكبير روحه الدين، إذا لم يكن في الدنيا دين؛ فالله يُنهي الأرض، يُنهي هذا الكون، حين لا يقال في الأرض: الله الله؛ الله ينهي هذا الكون؛ لأنه لا قيمة له بدون الدين، لكن الله جعل هذه الدنيا مكاناً للعمل، ومكاناً للنظر والتدبر، والمقصد الآخرة، فالدنيا زينة، والآخرة مقصد، كما أن الأشجار، والأوراق والأزهار زينة، والمقصود الثمرة.

فالدنيا جسد كبير، روحها الدين، وروح الدين هو الدعوة، وإذا قامت الدعوة؛ جاء الدين، وكبر الدين، واتسع الدين، وروح الدعوة التضحية، وروح التضحية البذل والترك، أبذل المحبوب مما أملك لما هو أحب، وأترك الأدنى لما هو أعلى، وأقدم محبوبات الرب على محبوبات النفس.

والترك: أترك كل شيء من أجل الله، أترك ما أحب لما يجب هو، فالأنصار بذلوا أموالهم لإخوانهم، والمهاجرون تركوا، المهاجرون تركوا الديار وضحوا بالأوقات، والأموال، والأنفس، والشهوات، والأهل، ضحوا بكل شيء، فالله يريد منا هذا وهذا، حتى نجد

طعم الإيمان، وندخل جنة المعرفة، ونتلذذ بأعظم نعمة في هذا الكون وهي نعمة الدين، فلا يمكن أن يتلذذ الإنسان بهذه النعمة إلا بالجهد والتضحية: فالمهاجرون تركوا، والأنصار بذلوا، فوعدهم الله جميعاً بالرضوان والجنة: ﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

هذا النور الذي نراه في الكهرباء نتيجة محركات قوية، ويقف عليها رجال حتى تُخرج هذا النور؛ فهذا الدين العظيم طعمه، وحلاوته، وحقيقته بالتضحية، أن أضحي وأذبح كل شيء من أجل الدين، وبهذه التضحية، وذبح الشهوات، يتحصل الإنسان على الهداية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فإذا عرفت ربي القوي بأسائه وصفاته وأفعاله؛ ضحيت بكل شيء من أجله، فلا أنس بالخالق أعظم من الأنس بالمخلوق، المخلوق أستأنس به مؤقتاً مسموعاً ومرئياً، ومأكولاً ومشروباً، كغيري من الحيوانات والكفار، أما الأنس بالخالق فهو بمعرفته، ومعرفة أسائه وصفاته، ودوام ذكره وشكره: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [٤٢] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

فهذه المعارف هي جنة المعرفة، الموصلة إلى جنة الآخرة، فالمحروم من حُرم هذه الجنة، ولا قيمة للدنيا بغير هذه المعرفة، وهذه الدار تنزود فيها للآخرة بالإيمان والأعمال والأخلاق، حتى نكون يوم القيامة: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ [القمر/ ٥٥].

والله جل جلاله بين لنا أنه هو القوي؛ حتى نستعين به، ونتوكل عليه، بين لنا أنه القوي القادر على إهلاك من أراد إهلاكه من الكفار والطغاة؛ فلا يستطيع أحد مدافعته جل جلاله، فهو العزيز الغالب الذي لا يفتقر إلى نصره أحد من خلقه، العزيز القادر على إعزاز من أراد إعزازه من أنبيائه وأوليائه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة/ ٢١].

هو سبحانه القوي العزيز الذي يرزق من يشاء، كما شاء، على سبيل السعة، أو الضيق، أو التوسط، لا مانع يمنعه من فعل ما يشاء؛ لأنه القوي، الذي لا يضيق عطاؤه عن

أحد، لأن عطاءه كلام: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس: ٨٢ - ٨٣].  
وعطاؤه لا ينقص مما في خزائنه مثقال ذرة أبداً: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (٥٤) [ص/ ٥٤].

هو العزيز فلا يقدر أحد أن يمنعه عن شيء: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩) [الشورى/ ١٩].

تذكر أصناف الأرزاق المختلفة، وتذكر أصناف المرزوقين، وتذكر أوقات الرزق المتكررة، ولا يتسع المجال لذكر هذه الأرزاق، وذكر المرزوقين، وذكر تكرار هذه الأرزاق على مدى الدهور والأزمان، فالله ﷻ غني يعطي هذا العطاء من رزقه، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة، لو نقص مثقال ذرة ما استحق أن يُعبد؛ لأن كل من تنقص خزائنه فقير، محتاج أن يسأل حتى تزيد خزائنه، لكن الله غني ولا تنقص خزائنه أبداً، رزقه لا ينقص أبداً مهما أعطى من خلقه.

هو سبحانه القوي القادر على نصر من آمن به وعظمه وأطاعه، القادر على إهلاك وتدمير من لم يؤمن به، ولم يعظمه حق تعظيمه، قوي عزيز لا ينتفع بتعظيم من عظمه، ولا بتحميد من حمده، ولا بتكبير من كبره؛ لأنه كبير قبل أن تكبره، وعظيم قبل أن نعظمه، ومحمود قبل أن نحمده، وقوي قبل أن نعرف قوته، وناصر قبل أن ينصرنا، هو القوي العزيز الذي لا ينتفع بتعظيم من عظمه، ولا يتضرر بكفر من كفره: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٧٤) [الحج/ ٧٤].

الله ﷻ هو سبحانه القوي العزيز، الفعال لما يريد: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ (١٣) ﴿هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (١٤) ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (١٥) ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (١٦) [البروج: ١٣ - ١٦].

وهو سبحانه مع أنه فعال لما يريد، فهو لا يريد إلا ما تقضيه حكمته، ورحمته، وإحسانه؛ لأن جميع أفعاله مقرونة بحكمته وعدله وإحسانه ورحمته.

• والله ﷻ موصوف ومحمود من جهتين:

الأولى: من جهة كمال قدرته، ونفوذ إرادته.

الثانية: من جهة كمال حكمته، فهو الحكيم في كل ما يصدر عنه من قولٍ أو فعل: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦) [هود/ ٥٦].

ومن جلال القوي جل جلاله أنه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

فالله ﷻ له صفات الجلال، وصفات الجمال:

صفات الجلال: التي تدل على عظمته، وكبريائه، وجبروته، وقوته، وقدرته، وقهره.

وصفات الجمال: التي تدل على عظمة نعمه، ورزقه، وكرمه، ولطفه، وإحسانه، ورحمته بعباده.

فمن جلال القوي جل جلاله أنه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وإمساك السموات والأرض أن تزولا، وإمساك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١].

ومن جلاله خلق العرش العظيم، وحمل العرش العظيم، والاستواء على هذا العرش العظيم استواءً يليق بجلاله بصفة الرحمة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥].

فالله ﷻ ينادينا ويقول: ربكم الرحمن، مهما أسرف الإنسان في المعاصي والذنوب، فليتب إلى الله؛ لأنه الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

فهو على عرشه جل جلاله مستو عليه، وينزل إكرامًا لعباده كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر، ويقول: «هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فمن جلاله: خلقه لهذا العرش العظيم، ومن جلاله: خلق حملة العرش العظيم، فالنبي ﷺ أخبر عن أحد حملة العرش، أن ما بين شحمة أذنه إلى منكبه مسيرة سبعمائة عام، فكم تكون المسافة بين رأسه وقدميه؟ هذا واحد من حملة العرش، فكم عظمة العرش؟! وكم عظمة وقوة من فوق العرش جل جلاله؟! ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

ليس له شبيه ولا مثيل، تنزه عن صفات النقص والعيب، والمثيل والشبيه، وعن مشابهة

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

المخلوقين مهما اتصفوا بالصفات؛ لأن صفاتهم موهوبة كخلقهم، كانوا معدومين فأوجدهم الله، وهو الذي أعطاهم الصفات: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٦٦] [الصفات / ٩٦].  
ومن جلاله: نصر أوليائه المؤمنين، وإهلاك الظالمين، وانتقامه من المجرمين: ﴿كَذَّابٌ  
ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ  
الْعِقَابِ﴾ [٥٢] [الأنفال / ٥٢].

البحار بيده، والنيران بيده، والجبال بيده، والسماء بيده، والأرض بيده، بيده ملكوت كل  
شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ  
مَا يُرِيدُ﴾ [١٤] [الحج: ١٤].

يُنْجِي بِأَسْبَابِ الْهَلَاكِ كَمَا أَنْجَى إِبْرَاهِيمَ مِنَ النَّارِ، وَيُهْلِكُ بِأَسْبَابِ النِّجَاةِ كَمَا أَهْلَكَ  
فِرْعَوْنَ مَعَ مَلِكِهِ، وَيُعْزِزُ بِأَسْبَابِ الذَّلَّةِ كَمَا أَعَزَّ أَنْبِيَاءَهُ وَرَسَلَهُ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُمْ مِنْ  
أَسْبَابِ الدُّنْيَا شَيْءٌ، وَيُذِلُّ بِأَسْبَابِ الْعِزَّةِ كَمَا أَذَلَّ فِرْعَوْنَ مَعَ مَلِكِهِ، وَأَذَلَّ قَارُونَ وَخَسَفَ  
بِهِ مَعَ مَالِهِ، وَيُرِي أَوْلِيَاءَهُ فِي قُصُورِ أَعْدَائِهِ كَمَا رَبَّى مُوسَى فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ  
هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [٦٦] [هود: ٦٦].

فسبحان القوي العزيز الذي يفعل ما يريد؛ لأنه قوي لا يُعجزه شيء، ولا يمتنع عليه  
شيء.

هذا الرب هو الذي يستحق أن يُعبد لذاته وكمال أسماؤه وصفاته.

فمن أعظم النعم أن من الله علينا بمعرفته، وحبب إلينا عبادته؛ حتى نسعد في الدنيا بهذه  
الجنة، ونسعد بها في القبر، حيث يكون روضة من رياض الجنة، ونسعد بها في يوم  
القيامة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ  
إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] [الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] [٣]  
أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [٤]

[الأنفال: ٢ - ٤].

## التعبد لله ﷻ باسمه القوي

إذا علمنا أن الله ﷻ له الأسماء الحسنی، وله الصفات العلاء، وله الأفعال الكبرى وأن القوة جميعاً له؛ فيجب علينا أن نتعزز بقوة العزيز الجبار، في الصدع بالحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، ولا نخاف في الله لومة لائم.

وعلى قدر قوة العبد في طاعة الله؛ امتثالاً للأوامر، واجتناباً للنواهي، وعلى قدر قوة عبادته ودعوته إلى الله تكون محبة الله له أكثر.

قال النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ» أخرجه مسلم (١).

فالتعبد لله ﷻ بموجب هذه المعرفة يجعل العبد قوياً في أقواله، وفي أعماله، وفي أخلاقه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤]، هؤلاء لمعرفةهم بالرب القوي القادر الناصر جاهدوا في سبيل الله متوكلين على الله وحده، فنصرهم الله: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

فإذا عرفت القوي فلا تلتفت للضعيف، وإذا عرفت الغني فلا تقف بباب الفقير، وإذا عرفت الكبير فلا تقف بباب الصغير، فالأمر كله بيد الملك العلي الأعلى الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلاء، والأفعال الحميدة: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءٰخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠ - ٥١].

وحظ المؤمن من هذا الاسم العظيم، اسم القوي جل جلاله أن يأخذ هذا الدين بقوة، فيسارع إلى كل عمل صالح، مستعيناً بربه القوي: ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: ١٧١].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

وَأَنْ يَتَّقِيَ الْعَبْدُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِالْإِكْتِثَارِ مِنْ قَوْلٍ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهَا كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وأعظم ما يتقوى به العبد المؤمن معرفة القوي، والإيمان به، ودوام ذكره، وكثرة تكبيره، وحمده واستغفاره، ثم القيام بالعمل، والصبر وحسن الخلق. قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّهَا الشَّدِيدُ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>.

فهو جل جلاله القوي الذي عنده خزائن القوة، الواهب لكل قوة، القوي الذي خلق القوة في كل قوي من الجبال، والبحار، والأنهار، والرياح وجميع المخلوقات. فهو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، ولو رفعها عنه لعاد ضعيفاً، فقوته سبحانه ذاتية مطلقة، لا بداية لها ولا نهاية، وقوة المخلوق موهوبة من الخالق؛ فلها بداية ونهاية، وقوة وضعف: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

هو سبحانه القوي الذي له معاني القوة كلها، هو القوي الذي له أنواع القوة كلها، له قوة الذات، فهو القوي، له القوة المطلقة التي لا يباثلها قوة، فليس فوق قوته قوة، ودون قوته كل قوة، فالله ﷻ ليس فوق قوته قوة، هو الواحد القهار الذي قهر الخلائق بقوته وبملكه وبعظمته، ودون قوته كل قوة، وكل قوة في الكون من آثار قوته: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾ [الإخلاص / ١ - ٤].

هو القوي الذي ليس كمثله أحد في القوة، هو السميع الذي ليس كمثله أحد في السمع، وهو جل جلاله القوي التام القوة؛ فلا يرد قضاءه راد، ولا يمنعه مانع، ولا يغلبه غالب؛ سبحانه هو الواحد القهار: ﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١١٤).

هو القوي دائم القوة، فلا يعتري قوته نقص ولا عيب ولا تعب أبداً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿٣٨﴾ [ق / ٣٨].

هو القوي القادر على إتمام ما يريد كيف يريد، وهو القوي المتين في عطائه ورزقه، ولطفه ورحمته، إذا أعطى أعطى حيث لا فقر، وإذا رزق رزق، وإذا لطف لطف، وإذا رحم رحم حيث لا شقاء؛ لأنه هو الرحمن الرحيم، ورحمته وسعت كل شيء، ورزقه وسع جميع مخلوقاته، وعطاؤه عم جميع ملكه؛ فهو القوي الذي خلق الأرزاق كلها، وأوصلها إلى كل مخلوق بقدرته وقوته: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ [الشورى / ١٩].

الحوت وزنه مائة وخمسين طناً، وجبته اليومية أربعة أطنان من السمك، هذا حوت واحد، كم من حوت ملاً الله به البحر؟! كم سمكة في البحر؟! كم حشرة؟! كم ذرة في الكون؟! كم حيوان؟! كم طير؟! مخلوقات عظيمة؛ الله خلقها، وخلق أرزاقها، وساق أرزاقها بقدرته وقوته: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ [الشورى / ١٩].

فسبحان من خلق الأرزاق، وأوصلها إلى كل مخلوق: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ [هود: ٦].

وهو جل جلاله القوي المتين في بطشه إذا بطش: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْكِبْرِيَاءَ إِنْآ مُنْقَمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [الدخان / ١٦].

هو القوي الذي إذا أخذ الظالم أوجعه ودمره: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ أَنْ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [هود: ١٠٢].

الله ﷻ هو الملك الحق، الذي بيده ملكوت كل شيء، له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض.

هو القوي، الذي كل قوة في السموات والأرض، وكل قوة في الجبال والبحار، وكل قوة في الكواكب والرياح، وكل قوة في الملائكة والروح، وكل قوة في الإنس والجن، والحيوان والنبات، والجماد؛ خلقها القوي العزيز، وأودعها في هذه المخلوقات: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ﴿٢١﴾ [الحجر / ٢١].

وجميع قوة هذه المخلوقات العظيمة لا تساوي ذرة بالنسبة لقوة الله ﷻ، بل قوة جميع تلك المخلوقات لو اجتمعت لواحد منهم، ثم كان جميعهم على قوة ذلك الواحد؛ فإن قوة أولئك كلهم لا تساوي شيئاً بالنسبة لقوة الملك القوي العزيز الجبار الذي لا بداية ولا نهاية لقوته وعظمته وعزته، بل شأن الله أعظم وأجل وأكبر: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج / ٧٤].

فسبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلاء، وله القوة والعزة، وله الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية / ٣٧-٣٦].

فالله ﷻ هو القوي الذي لا أقوى منه، هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي من المخلوقات، هو القوي الذي عنده خزائن القوة كلها؛ فلا إله غيره، ولا رب سواه، ولننظر إلى عظمة القوي في مخلوقاته العظيمة، عظمة القوي في خلق أكبر المخلوقات. وفي خلق أصغر المخلوقات، فأعظم المخلوقات هو العرش العظيم، الذي استوى عليه الرحمن، وأصغر المخلوقات هو الهباءات الطائرة في الفضاء، ولا يخلق هذا العظيم في خلقه، وهذا العظيم في صغره، وهذا العظيم في عدده؛ إلا قوياً قادراً ملكٌ غنيٌّ قاهر: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

الله ﷻ خلق أعظم المخلوقات، وأكبرها، وأوسعها، وأعظمها، وأنورها، وأعلاها؛ وهو العرش العظيم، فهذه السموات والأرض من مخلوقات الله العظيمة، الله ﷻ خلق سبع أراضين، وأحاط كل أرض بالأخرى، ثم أحاط هذه الأراضين جميعاً بهذا الفضاء العظيم، ثم أحاط هذا الفضاء وهذه الأراضين بالسماء الأولى، ثم أحاط السماء الأولى بالثانية، وهكذا إلى الثالثة، والرابعة، الخامسة، السادسة، السابعة، ثم أحاط كرسيه بالسموات والأرض ومن فيها، ثم أحاط عرشه العظيم بجميع المخلوقات.

فالكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والسموات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، فهذا العرش العظيم لا يخلق إلا ملك قادراً قوياً

قاهرٌ غنيٌّ جبار، هذا العرش العظيم هو أكمل المخلوقات وأعظمها وأوسعها وأنورها، والله ﷻ خلق هذا المخلوق الكامل، فوصفه بأنه عظيم، وأنه كريم، وأنه مجيد، واستوى عليه برحمته جل جلاله، فهذه عظمة القوي في خلق أعظم المخلوقات: ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

فإنه ﷻ قوي خالق كل شيء من هذه المخلوقات العظيمة، هذا أعظم المخلوقات، فكيف بعظمة الخالق جل جلاله الذي استوى عليه، كم تكون عظمتة؟!

وخلق الله ﷻ أصغر المخلوقات، وهو هذه الهباءات الطائرة، هذا الهباء الذي نراه إذا كنا في غرفة مظلمة، ودخل نور الشمس إلى هذه الغرفة المظلمة فنرى هذا الخط من النور مملوء بالهباءات، وكل هباءة من هذه الهباءات الطائرة لا يحركها إلا الله، والله ﷻ جعلها مظهرًا لقدرته، مظهرًا للجلال، ومظهرًا للجمال، فالله أظهر جلاله وجماله في خلق العظيم، وفي خلق الصغير: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٨٦].

هذه المخلوقات التي نراها؛ هذه الهباءات الطائرة في الفضاء لا يحصيها ولا يحيط بها إلا الله ﷻ، فلو افترضنا نحن الآن في هذه الغرفة أو في هذه الصالة كم الهباءات الموجودة، في هذه الغرفة أو في هذه الصالة؟ وكم الهباءات الموجودة في هذه الدار التي نحن فيها، وفي هذا السكن الذي نحن فيه، وكم الهباءات التي خلقها الله ﷻ في هذه المدينة؟.

وكم عدد الهباءات الموجودة في قارة آسيا مثلاً؟ وكم الهباءات الموجودة في القارات كلها؟ القارات الخمس هذه القارات العظيمة كم فيها من الهباءات؟ وكم عدد الهباءات الموجودة في الفضاء الموجود بين السماء والأرض؟ وكم الهباءات الموجودة في العالم العلوي: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

هذه الهباءات وغيرها من المخلوقات كلها شاهدة بواحدانية الله ﷻ، ومسبحةٌ بحمده، وخاضعةٌ لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته: ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فالقوي جل جلاله هو العظيم الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة التي لا يعلمها، ولا

يُحِيطُ بِهَا، وَلَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ ﷻ، هُوَ الْقَوِيُّ جَل جلاله الذي خلق هذه المخلوقات العجيبة، فلا بد للقلب أن يعرف من هو القوي القادر على كل شيء، القوي الذي بيده ملكوت كل شيء، القوي الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣].

لا بد للقلب أن يعرف هذه المسائل العظيمة؛ ليعرف أن الله ﷻ قوي قادر قاهر، محيط بكل شيء، فالله ﷻ هو القوي، وكل قوة في العالم العلوي والعالم السفلي من قوته جل جلاله.

والله ﷻ خلق المخلوقات، وهو الذي خلق فيها القوة، خلق في الإنسان قوة السمع والبصر والكلام، والمخلوقات التي خلقها الله ﷻ في العالم العلوي والسفلي كلها من جنود الله يستعملها فيما شاء بنصرة أوليائه، وإقامة دينه، وتدمير أعدائه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيْرًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾ [الفتح: ٧].

#### ● فأشد جنود الله عشرة:

أولاً: الجبال، هذه الجبال العظيمة التي خلقها القوي، ولا يخلق هذه الجبال العظيمة إلا قوي وغني وقادر وقاهر وعليم، خلقها وأودع فيها المنافع، وأودع فيها المعادن، وتصمد للرياح العاصفة.

ثانياً: الحديد، هذه الجبال خلق الله ما هو أقوى منها، وهو الحديد، فالحديد يكسرها، فهو أقوى.

ثالثاً: النار، فالحديد تذيبه النار فهي أقوى منه.

رابعاً: الماء، فالنار يطفئها الماء فهو أقوى منها.

خامساً: السحاب، والسحاب يحمل الماء فهو أقوى.

سادساً: الرياح، والرياح تصرف السحاب حيث شاء الله فهي أقوى منه.

سابعاً: والإنسان يقف للرياح، ويركبها حاجته فهو أقوى.

ثامناً: والنوم يغلب الإنسان، فهو أقوى منه.

تاسعاً: والهـم يطرد النوم فهو أقوى، فالمهموم لا ينام أبداً.

عاشراً: قلب المؤمن، فالهموم هذه التي تصيب الإنسان، لا يحول هذا الهم إلى أمن إلا الإيمان بالله ﷻ.

فسبحان القوي القاهر لكل قوي، الذي يملك خزائن القوة كلها، وله الخلق والأمر كله.

مر إبراهيم بن أدهم برجل مهموم، فقال له: أيجري في هذا الكون شيء لا يريد الله؟ فقال: لا؛ قال له: أينقص من رزقك شيء قدره الله؟ فقال: لا، قال: أينقص من أجلك شيء كتبه الله؟ فقال: لا؛ فقال له: فعلام الهم إذا؟ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة/ ٥١].

فتوكل على القوي وحده، ولا نتوكل على ما أعطانا الله ﷻ من القدرات، والأموال، والقوة، بل نتوكل على الله، نفعل الأسباب بجوارحنا امتثالاً، ونتوكل على الله ﷻ بقلوبنا اعتماداً.

فالله ﷻ عرفنا بأنه القوي، حتى نتعلق بالقوي، ولا نلتفت للضعيف، فالله ﷻ خلق الإنسان، وأعطاه أنواع القوة من فضله، فأعطاه قوة العلم، وقوة البدن، وقوة الفكر.

فالإنسان مجموعة طاقات، مجموعة طاقات هذه الطاقات الموجودة في الإنسان، الله ﷻ أراد من العبد أن يستعملها في طاعة الله ﷻ، والدعوة إليه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

فالله ﷻ هو الكريم، وهو العظيم، وهو القادر، وهو القوي، عرفنا بهذه الأسماء من أجل أن لا نلتفت إلى غيره بل نتوكل عليه وحده لا شريك له: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣].

ومن عرف القوي، واتصل بالقوي فهو آمن، آمن من كل قوي، آمن من كل قوي في السموات والأرض، الذي في قلبه لا إله إلا الله لو كادته السموات والأرض وما فيهن ما فعلت به شيئاً؛ لأنه في حماية الرب الحفيظ جل جلاله، القوي القادر القاهر لكل

قاهر سبحانه هو الواحد القهار جل جلاله: ﴿سُبْحٰنَهُ ۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٓحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾ [الزمر: ٤].

والله ﷻ قد فطر الإنسان على حب المحسن، وعلى حب القوي، وعلى تعظيم القوي، وعلى التعلق بالقوي، وعلى الاعتماد على القوي، فإذا ضل الإنسان عن معرفة القوي الحق؛ لجأ إلى ما يتوهم أنه قوي وهو ضعيف، كأى مخلوق من المخلوقات.

ومن هنا جاء الشرك والتعلق بالضعيف من دون الله القوي العزيز: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنَكِبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنَكِبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [العنكبوت: ٤١-٤٢].

فإن الله ﷻ بين أنه القوي، وأن القوة له جميعاً، حتى لا يتعلق العبد بما سواه، ومن كان في معية القوي فهو قوي، فالله ﷻ هو القوي الذي له القوة التامة، والقدرة التامة، هو القوي المتين، شديد القوة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

هو القوي الذي لا حد لقوته، ولا بداية ولا نهاية لقوته، القوي الذي تتصاغر كل قوة أمام قوته، ويتضاءل كل عظيم عند ذكر عظيمته: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ [نوح: ١٣-٢٠].

هو سبحانه القوي الذي خلق القوة في كل قوي، فكل قوة في العالم من آثار قوته من العرش العظيم، إلى أصغر ذرة في ملكه العظيم.

هو القوي الذي بيده الملك والملكوت والمالِك، وهو على كل شيء قدير، قويٌّ قادرٌ أظهر قدرته في جميع مخلوقاته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ ۗ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١﴾ [فاطر: ٤١].

حليم يمسك السماء أن تقع على العصاة وعلى المجرمين، وعلى من يعصي الله بنعم الله، ويسكن في أرض الله، ويبارزه بالمعاصي، حليم يمنعها أن تسقط عليه، وغفورٌ فتح لنا أبواب التوبة، وبين لنا أنه الغفور، وبين ذلك ورغبنا فيه، بقوله: ﴿قُلْ يٰٓعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ

أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر / ٥٣].

فاستغفروه يغفر لكم ذنوبكم الظاهرة والباطنة، والكبيرة والصغيرة.

فسبحان القوي القاهر الذي بيده الملك والتدبير والتصريف، ما أعظم شأنه! وما أعز سلطانه! وما أجزل عطاءه! له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله العالم العلوي، وله العالم السفلي، وله الدنيا بكمالها، والآخرة بكمالها ودوامها: ﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدُهُ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۗ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ۗ فَآرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ آتِجِ الْبَصَرَ كَرِّيحٍ يَنفُلِبْ إِلَىٰكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا ۗ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك / ١-٤].

وكلما خلق الله خلقاً، وكلما أعطى عطاءً، زاد ملكه؛ لأنه بخلق الأشياء، بخلق الأرزاق، بخلق النعم، يزيد من مخلوقاته مخليق، هؤلاء المخاليق هم عبيده، هؤلاء العبيد يسبحون بحمده؛ لأنهم شيء من الأشياء المخلوقة: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

فكلما زاد خلقه، زاد تسيبحة وحمده جل جلاله، أما المخلوق فكلما أعطى نقص ما ملك، أما الخالق فكلما أعطى زاد ملكه، زاد ملكه من عالم الجماد، وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الملائكة، وعالم الإنس فكلما خلق زاد ملكه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

فالله غني قوي، لا يحتاج إلى مواد حينما يريد أن يخلق شيئاً: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس / ٨٢].

بيده كل شيء، لا يعجزه شيء: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس / ٨٣].

كل شيء بيده، الرياح بيده، والمياه بيده، والجبال بيده، والسماء بيده، والعرش بيده، والكرسي بيده؛ وجميع المخلوقات بيده، جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي

بيده جل جلاله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾  
[هو: ٥٦].

والله ﷻ أظهر أسماءه وصفاته في أفعاله، والله ﷻ بين أسماءه وصفاته في القرآن وهو ما نحن بصدد شرحه والله الحمد، أن من علينا بالكلام عنه؛ فالكلام عن العظيم عظيم، والكلام عن الكبير كبير، والكلام عن العظيم لا يُمل لأنه مدحٌ وثناءٌ، وتمجيدٌ وتحميدٌ، للرب العظيم جل جلاله، ومن جاء بالعمل العظيم، نال يوم القيامة الثواب العظيم من ربه العظيم جل جلاله: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٩﴾  
[آل عمران: ١٧٩].

فالله من علينا أن عرفنا بأسمائه وصفاته في كتابه، ثم بين أسماءه وصفاته في كونه المنظور، فالله أودع الأسماء والصفات في كونه المنظور، فأنا إذا رأيت السماء علمت أن لها خالقاً، وأن هذا الخالق قوي يُمسكها، وأنه قادر خلقها بهذا الحجم العظيم، سمك كل سماء خمسمائة عام، وأعلم أنه عليم بأن وضعها بهذا الشكل الجميل، وأنه جميل زينها بهذه النجوم، وجعلها جميلة، وأنه عزيز لا تغلب، بل هو الغالب لكل غالب: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

• وكل ما أرى في هذا الكون من مخلوقاته العظيمة، ومخلوقاته الصغيرة، فأنا أخرج من ذلك بأمرين:

الأول: أعرف جلال الله في خلق الكبير، وخلق الصغير.

الثاني: أعرف جماله في خلق الحسن والجميل من مخلوقاته.

فالله خلق كل شيء، ولما خلق كل شيء أحسن خلقه؛ لأنه قوي لا يمتنع عليه شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٢٢﴾  
[الزمر: ٦٢].

وجميع الأقوياء في العالم العلوي والعالم السفلي بيده، جميع الأقوياء، جبريل له ستمائة

جناح، بطرف جناحه رفع خمس قرى من قرى قوم لوط ثم قلبها عليهم، وأتبعها بحجارة من سجيل.

جبريل أحد أجنحته لو مدها سد الأفق، فصار الكون ظلامًا، له ستمائة جناح، لو استعمل كامل الجناح ماذا يفعل في الكون؟ لو استعمل ستمائة جناح من يقف له.

كم قوة هذا الملك العظيم، هذه قوة طرف جناحه، فكيف بقوة أجنحته! وكيف بقوة بدنه بالكامل! وكيف قوة القوي الذي خلق فيه هذه القوة! ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج: ٧٤].

وأحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى منكبه مسيرة سبعمائة عام، هذا أحد حملة العرش العظيم، كم قوة هذا الملك؟ وكم عظمة حجم هذا الملك! كم عظمة هذا الملك!

الذي ما بين شحمة أذنه إلى منكبه مسيرة سبعمائة عام، نحن ما بين الأذن إلى المنكب أربع أصابع أو خمس أصابع، فكم تكون المسافة بين رأسه وقدميه؟ وكم عظمة الخالق

الذي خلقه؟ وكم عظمة العرش الذي يحمله؟ وكم عظمة من استوى على هذا العرش العظيم؟ هذا هو القوي الذي نعبده لذاته وجلاله وجماله: ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

لكن من كرمه ورحمة بنا وترغيبًا لنا، بين لنا أنه يعطينا على العمل الصالح الجنة، ويعاقبنا إذا أسأنا السيئة بمثلها، لكن الله عَزَّ وَجَلَّ أهل أن يُعبد، وأهل أن يكبر، وأن يعظم؛ لأنه

القوي وحده، القادر وحده، الغني وحده، الجميل وحده، الملك وحده لا شريك له، العفو وحده، هو ذو الفضل العظيم الذي كل نعمة منه، فهو أهل أن يُعبد ويُحمد

ويُشكر ويُحب ويُطاع: ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

استضافنا في بطن الأم تسعة أشهر، واستضافنا في بطن الدنيا تسعين أو ثمانين أو مئة سنة، ويستضيفنا في الجنة، إما في قصر من قصور الجنة، وإلا في سجن من سجون

جهنم، فمن آمن به فله القصور الملكية، ومن عصى فله السجون الجهنمية، نسأل الله السلامة، ونسأله من فضله المزيد: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ ﴿محمد: ١٢﴾

فإنه ﷻ قوي، ويجب على الإنسان أن يعرف من القوي حتى لا يتعلق بالضعيف، ولا يلتفت إلى الضعيف، ولا يستعين بالضعيف، ولا يسأل الضعيف: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فإنه ﷻ أظهر أسماءه وصفاته في أفعاله، أفعاله كم من المخلوقات التي يخلقها الله ﷻ؟ مليارات المخلوقات يخلقها الله في كل ثانية، في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وفي البر وفي البحر من الجمادات والنباتات والحيوانات، كم من المخلوقات في هذا الفضاء؟ وكلها تشير إليه، تشهد بوحدانيته، وعظمة ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥-٧].

الله ﷻ ملك قوي، وإذا عرفنا قوته؛ فيجب أن نهابه، وأن نخافه، وأن نتعلق به، ولا نلتفت لأحدٍ سواه؛ لأنه هو مالك القوة، ومالك كل شيء في هذا الكون، فكل شيء بيده، فأحياناً الرياح بأمر الله تدمر كل شيء، وأحياناً النار تُحرق كل شيء، وأحياناً المياه تدمر كل شيء، فسبحان من قهر هذه القوى، وسخرها للإنسان، ليستفيد منها: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

لو أشعل الله الهواء الذي ملأ به هذا الفضاء العظيم ناراً فمن ذا يُطفئها؟ الله ﷻ عظيم وقوي ملأ هذا الفضاء العظيم بهذا النور العظيم، وملأ هذا الفضاء العظيم بمخلوقات لا يعلمها ولا يحصيها إلا هو من الهباءات والذرات، والمجرات والمخلوقات وغيرها، وملأ هذا الكون بنعمه؛ فلنملأه بحمده وتسيحه وتقديسه وذكره: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

فرحمته وسعت كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، وورزقه بلغ كل شيء؛ لأنه قوي قادر لا

يمنتع عليه شيء: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿٦٦﴾ [هود/ ٦٦].

هذا هو القوي الذي يجب أن أتعرّف عليه، وأن أتصل به، وأن أطيعه، وأن أعبدّه، فالعبادة هي طاعة المعبود فيما أمر به؛ مع كمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣]. وطاعتنا له لا تزيد في عظّمته وكبريائه وملكته شيئاً؛ إنّما نحن الذين نستفيد: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء/ ٧].

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦﴾ [العنكبوت/ ٦].

لكن من كمال رحمته بخلقه؛ أن احتفى بهذا المخلوق وأكرم هذا الإنسان، فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وجعله خليفة في الأرض، وأنزل عليه هذا الدين بواسطة الأنبياء والرسل، ليسعد في دنياه وفي أخراه؛ ففي الدنيا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

ويوم القيامة يكرم الله المؤمن بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ من رؤية ربنا ﷻ، ومن سماع كلامه، والقرب منه، ودخول الجنة، والخلود فيها، والتنعم بألوان النعيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤].

فله الحمد وله الشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، حمداً يليق بجلال، ويكافئ مزيده.

فالله ﷻ بيده جميع المخلوقات، وهو القوي القهار الذي قهرها، قهر الماء وقهر الرياح، وقهر السحب، وقهر النجوم، وقهر كل مخلوق من مخلوقاته.

فسبحان من قهر هذه المخلوقات العظيمة، وسخرها للإنسان، ليستفيد منها، وإذا شاء الله أطلق قدرتها فدمرت هذه القوى كل شيء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١].

ولا ريب أن من عرف ربه القوي المتين، العزيز الكريم؛ تعلق به وحده، وكبره وحده، وعبده وحده، وقطع الرجاء من غيره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

هذه القلوب لا تسعد إلا بمعرفة الله، لا تسعد إلا بتمجيد الله، وتحميد الله، وتكبير الله، وتعظيم الله، والتعلق بالله، والوقوف بين يديه في الصلاة مكبراً معظماً حامداً له مستغفراً له، سائلاً إياه، طالباً منه الهداية، مقدماً التحية له، أسعد الخلق من فُتح له هذا الباب، فاتصل بالكبير، وانقطع عن الصغير، وتعلق بالقوي، ولم يلتفت إلى الضعيف، واتصل بالغني ولم يقف بباب الفقير؛ فهو مع ربه مكبراً له، حامداً له، معظماً له، مستغفراً له: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

فهذه من أعظم النعم أن يحب الله ﷻ إلينا هذا الدين، ويسهل علينا معرفته من خلال النظر في كتابه، ومن خلال النظر في ملكه وملكوته هذه أعظم جنة، ومن دخل جنة المعرفة أدخله الله جنة الآخرة: ﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦].  
فإننا من علينا بهذا العلم العظيم، وهو معرفته جل جلاله: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٨].

فهذا العلم من أوجب الواجبات أن أعرف ربي بأسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يأتي النقص في النواحي العملية، إلا بالنقص في المعارف العلمية، وأعلى النواحي العلمية هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعدته ووعيده، أن يعرف القلب سبعة أمور؛ فيأتي فيه تعظيم الله وحب الله؛ فيقف بين يديه في أي أمرٍ أمر به من أنواع العبادات خاشعاً له، معظماً له، محباً له، متذلاً بين يديه؛ بسبب هذه المعارف الإلهية العظيمة.

#### • وهذه المعارف السبعة:

أن أعرف الله .. وأسماءه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعدته .. ووعيده.  
ولهذا الأنبياء والرسل هم أعظم الناس علماً، وهم أعرف الناس بالله؛ فهم أعظمهم عبادة وهم أحسنهم أقوالاً، وأجملهم أفعالاً، وأحسنهم أخلاقاً، فهم بين يدي الخالق

عباداً وبين يدي خلقه إما دعاة وإما معلمين وإما محسنين، ولا فلاح لنا إلا بأن نسير خلف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فمن سار وراء الأنبياء؛ وصل إلى ربه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومن سار وراء الدنيا وشهواتها، ووراء المخلوق أيًا كان عظيمًا، أو كبيرًا، أو غنياً، فقد خسر دنياه وأخراه، ومن يكن الغراب له دليلاً يمر به على جيف الكلاب. فمن سار وراء الحكام تعلق بالحكم، ومن سار وراء الأغنياء تعلق بالمال، ومن سار وراء الأنبياء تعلق بالله.

• فالحمد لله أن أجلسنا على مثل هذه الموائد الإيمانية، التي نستفيد منها خمس كرامات من ربنا:

نتعلم الدين .. ونعمل بالدين .. ونثبت على الدين .. ونترقى في الدين .. وننشر الدين. لأنني إذا عرفت العظيم وعرفت القوي؛ فلا بد أن أتحدث به أمام الناس: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى / ١١].

أحدث بالكلام عن ربي، وعن دينه، وعن شرعه، وعن أسائه، وعن صفاته؛ فنحن إذا أعجبنا بشيء تحدثنا به بمجالسنا، فلا أعظم من الله ولا أقوى من الله ولا أكبر من الله، ولهذا الله ﷻ الوقت له والمكان له، هذا الوقت يجب أن نملاؤه بحمده وتمجيده والثناء عليه، فكما ملاً الله الكون بنعمه ورحمته؛ يجب أن نملاؤه بحمده وتسيبحه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٢].

وإذا ذكرتموه عظمتوه وكبرتموه فلن تعصوه؛ بل تطيعوه، وإذا ذكرتم نعمه على خلقه أحببتموه، وإذا عظمتوه، وكبرتموه، وأحبيتموه، أطعتموه، وهذه هي العبادة أن نطيع الله في كل وقت، ليست العبادة أن أصلي وأصوم وأزكي فقط، هذه شعائر دينية، تولد الطاقة الإيمانية للعمل في بقية الأوقات، لكن العبادة هي طاعة العبد لعباده فيما أمر به أمراً ونهياً؛ فأمثل أوامر الله ﷻ في جميع الأحوال، في جميع الأوقات، في جميع الأماكن.

الوقت لله، والمكان له، والعبد له، وليس للعبد أن يشتغل بغير أوامر الملك الذي هو سيده وربّه، الذي خلقه، ورزقه، وهداه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهٗ، وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وهذا العبد سيكون ملكاً بالقرب من ربه يوم القيامة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

لماذا؟ لأنه ملك جوارحه وشهواته في الدنيا وسخرها في طاعة الله، ومنعها من معصية الله، هذا هو الملك حقاً، هذا الملك يكون يوم القيامة في ملك عظيم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثَابُ سُدُسٍ خِضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ٢٠ - ٢٢].

بجوار ملك عظيم ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٥].

فكم تكون عظمة ملك هذا المؤمن؟ الذي له مثل هذه الدنيا عشر مرات، هذه الدنيا سبع أراضين وسبع سموات بجبالها وبحارها وذهبها وفضتها وجميع ما فيها، إذا جمعت بعضها مع بعض لهذا الإنسان مثلها عشر مرات، سبحان الله! كم يُعطي المؤمن من العمر، وكم يُعطي من النعيم، وكم يُعطي من اللذات وكم يُعطي من الأُنس بقرب مولاه، وسماع كلامه؟! كم نحن في السجن الآن؟ فاللدينا سجن المؤمن وجنة الكافر.

سترى غداً ربك العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله، سترى ربك القوي القادر على كل شيء، سترى الكريم، سترى الرازق الذي تنعمت برزقه ستصل إليه يوم القيامة وتأكل من رزقه، وتنعم برويته جل جلاله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

وسترى الأنبياء والرسل الذين اقتديت بهم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠].

والله أمرنا أن نتعرف على الأنبياء لنقتدي بهم: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [مريم/ ٤١].

﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ﴿٥٤﴾﴾ [مريم/ ٥٤].

﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [مريم/ ٥١].

اذكر حياتهم، طريقة عملهم، أخلاقهم، عباداتهم، حتى تقتدي بهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ

اللَّهُ فَيَهْدِيهِمْ أَقْتَدَهُ ﴿[الأنعام / ٩٠].

فقدوتي الأنبياء والرسل: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

الذين يدلون المخلوق على الخالق، الذين يعرفون الخلق بالخالق، ويبينون لهم الطريق الموصل إليه وهو الدين، ويبينون لهم ما لهم بعد القدوم عليه من الثواب والعقاب، من الجنة لمن أطاعه، والنار لمن عصاه.

فهذه المعارف العظيمة تثمر علماً عظيماً، وتورث عملاً عظيماً، وتثمر ثواباً عظيماً من الرب العظيم، فلنكن من هؤلاء، ونتعلق بالقوي، ونتعبد له بأسمائه وصفاته جل جلاله.

فالله ﷻ هو خالق كل شيء، وليس للعبد في هذه الحياة إلا أن يعظم هذا العظيم جل جلاله، ويكبر الكبير، ويشكر المنعم.

والعبد إذا افتقر إلى الله القوي الغني؛ قواه وأغناه من فضله العظيم؛ فإذا قال: يا رب أنا ضعيف فقوني، أنا فقير فأغنني قواه الله ﷻ وأغناه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].

ليس المقصود من الدعاء الإجابة فقط؛ بل المقصود من الدعاء إظهار العجز والافتقار إلى من يملك خزائن كل شيء، إظهار الافتقار للرب الكبير، العظيم، القوي، القادر، أن يظهر لربنا الافتقار، نظهر له الخضوع والذلة، ونطلب حاجاتنا منه، فالله ﷻ غني وخزائنه لا تنقص أبداً: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنِّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْخَيْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبُحْرُ» أخرجهم مسلم<sup>(١)</sup>.

وهذا للتقريب، وإلا الله ﷻ لا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة، لو نقص لكان مثل المخلوق، والمخلوق كلما أعطى نقص ملكه، لكن الله لا بداية ولا نهاية لعظمته وورقه

(١) أخرجهم مسلم برقم (٢٥٧٧).

وخلقه وقدرته وقوته، فقوته لا بداية لها ولا نهاية، وخزائنه لا بداية لها ولا نهاية: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [ص / ٥٤].

وكلما زاد عطاؤه زاد ملكه؛ ووجد مسبح بحمده، فله من عظمته أنه يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات، لتسبح بحمده، ولتشهد بوحدانيته، وتشير إلى كمال جلاله وجماله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٣-٤٤].

فأعظم اللذات، وأعظم الأنس، هو معرفة الخالق بأسائه وصفاته، لا الأكل والشرب والتلذذ بذلك، ولا التعرف على المخلوق، إنما معرفة الله هي التي تثمر عبادة الله، وحب الله، وتعظيم الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

وكلما افتقرت إلى الله في حاجاتك أعطاك الله القوي الغني من خزائنه؛ فقل: يا رب أنا جاهل فعلمي؛ يعلمك الله، وقل: يا رب لست حكيمًا فألهمني الحكمة، يُلهمك الله ﷻ الحكمة، وقل: يا رب أنا ضال فأهديني، يهديك الله عز وجل، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فالله ﷻ أمر بالسؤال، ووعد بالإجابة، فمقصود السؤال إظهار الافتقار لله، وعدم الالتفات إلى غيره، متى ما التفت العبد إلى غيره؛ لم ينظر الله إليه؛ لأنه يقول جل جلاله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

والله ﷻ كلما افتقرت إليه في حاجاتك؛ أعطاك الله القوي الغني من خزائنه ما يُسعدك في دنياك وأخراك، فتوجه أيها العبد الضعيف الفقير العاجز المحتاج إلى ربك القوي الغني، وافتقر إليه، واستعن به، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لا يحول الأحوال من حال إلى حال إلا هو، لا يبدل الخوف بالأمن إلا هو، ولا يبدل الأمن بالخوف إلا هو، ولا يبدل العزة بالذلة إلا هو، ولا يبدل العافية بالمرض إلا هو، ولا يبدل المرض بالعافية إلا هو وحده لا شريك له، هو الشافي وحده لا شريك له، فهو

الذي بيده الأحوال، وهو الذي خلق المخلوقات، وهو الذي خلق الأحوال التي في المخلوقات، وهو الذي يزيد الأحوال، وهو الذي ينقص الأحوال، وهو الذي يرفع الأحوال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

خلق الله الإنسان، وبيده تديره، إن شاء جعله فرحًا أو مسرورًا، إن شاء جعله آمنًا أو خائفًا، إن شاء جعله حيًّا أو ميتًا.

هو الذي خلق المخلوقات، وخلق أحوال المخلوقات، وهو الذي يزيد الأحوال، يزيد الأمن وهو الذي ينقصه فيأتي بالخوف، وهو الذي يرفع الأمن فيأتي بالخوف العظيم، وهو الذي يأتي بالعافية، وهو الذي يزيدها، هو الذي ينقصها، هو الذي يرفعها، بيده ملكوت كل شيء، لا بد للقلب أن يعرف هذا كله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وهذه فائدة التعلم، ليست الفائدة أن نسمع بأذاننا، ثم نرفع ما سمعناه في أوراق الإجابة، ونجعل الحياة خالية من هذا التعبد، وهذه المعرفة، بل نحن نتعلم الدين، لنعمل بالدين، ونعلم الدين، ونتخلق بالأخلاق التي يحبها الله ﷻ.

فلنتوجه إلى الرب القوي، ولنفتقر إليه، ونستعين به، فلا حول ولا قوة إلا به: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥] أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧] [الفاتحة / ٢-٧].

وكل طاعة لله تُكسب العبد قوة، وطمأنينة وتوفيقًا، وفلاحًا وفرحًا وسرورًا، هكذا الإنسان يرى نفسه بعد الصلاة عنده قوة؛ لأنه اتصل بالقوي، وعنده طمأنينة، وعنده انشراح، وعنده فرح وسرور؛ لأنه أطاع القوي المستحق للطاعة، الذي يملك كل شيء: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد / ٢٨].

وكل معصية لله تسبب ضعف الإنسان، واضطرابه، وشقائه، وخسارته، ووحشته، هذه المعاصي تسبب هذه الأمور العظيمة من الضيق والنكد والتعب والشقاء: ﴿قَالَ أَهْطَا

مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

فلا إله إلا الله، كم عظمة ربنا العظيم! وكم عظمة أسماؤه وصفاته! فمن أراد القوة والنصر والفلاح فليطع الله ورسوله، ويتوكل على الله القوي الذي بيده كل شيء: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك/ ١].

القوي سبحانه بيده كل شيء جل جلاله، فالعبد يزداد مع كل طاعة نعمةً وثواباً، ويزداد مع كل معصية عقوبةً وهماً وعذاباً: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٢٣﴾ [النساء/ ١٢٣].

فكل مصيبة إنما تأتي بعد المعصية، المصائب دائماً تعقب المعاصي: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٣٠﴾ [الشورى/ ٣٠].

فكل مصيبة نراها إنما تأتي بعد المعصية، فإذا أصبت أيها العبد بمصيبة فاتهم نفسك، واستغفر من ذنبك، وتب إلى ربك، الذي يسمعك إن تكلمت، ويراك إن فعلت، ويعلم بما في قلبك إن أضمرت، فهذه المصائب هي إنذارات من ربك الرحيم العزيز الكريم، هذه المصائب إنذارات من ربك لك رحمةً بك؛ لتعود إليه، ومن لم تحدث له المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر، وأكبر مصيبة ألا تتعظ بالمصيبة والبلاء: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ [المؤمنون/ ٧٦].

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأنعام/ ٤٣].

فهذه المصائب إنما تأتي بعد المعاصي إنذارات للإنسان؛ حتى يعود الإنسان إلى ربه، ويدعو ربه، ليرفعها جل جلاله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ [الأعراف/ ٩٦].

• وإذا جاءت المصيبة على العبد، أكرمه الله ﷻ بعد هذه المصيبة بسبع كرامات:

لأنها تحدث له توبة جديدة، وإيمان جديد .. وعمل جديد .. وحب جديد للرب ..

وشكر جديد للرب.. وتعظيم جديد للرب.. وطاعات جديدة: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

فكم من الطاعات، وكم من الإيمان الذي زاد في قلب المسلم، بعد ما عصى الله، ثم تاب، والله ﷻ أكرمه بهذه الكرامات: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

واعلم أن ربك عزيز كريم، إن رآك في طاعة أحبك، وأمدك بالأمن والهداية والطمأنينة، وأمدك بالقوة على الطاعات، والقوة التي تزجرك عن المعاصي، وأمدك بالهيبة. فللمؤمن هيبة:

قال النبي ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

وأمدك بالحفظ والنصر؛ فالتوحيد هو سبب قوة المؤمن، والشرك والمعاصي سبب ضعف الإنسان، ومن كان معه القوي فهو قوي، ومن كان معه الضعيف فهو ضعيف: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل / ١٩].

معك القوي يقويك، ومعك الكريم يعطيك، ومعك الحفيظ يحفظك، ومعك الرزاق يُنعم عليك، ومعك الوهاب يهبك كل ما يُسعدك في دنياك وأخرارك، معك من له الأسماء الحسنى، والصفات العلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل / ١٢٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [البقرة / ١٥٣].

فالله مع المؤمنين؛ والله مع المحسنين؛ فالله ﷻ معهم بأسمائه وصفاته، ونصره وعونه وتوفيقه.

والإنسان ضعيف، لم يكن شيئاً حتى يفعل شيئاً، لم يكن شيئاً حتى يقدر على أي شيء، فضلاً عن كل شيء؛ فهو محتاج أبداً إلى الاستعانة بربه القوي في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، كما حكى الله عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم / ٣٥].

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٥).

فلولا هداية الله ما اهتدينا، ولولا توفيقه ما أطعناه، ولولا رحمته ما أحببنا دينه، ولا عملنا بطاعته: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال يوسف فيما حكى الله عنه: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف / ٣٣].

وحكى الله عن نوح ﷺ أنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

فالضعيف ليس بيده شيء، ولكنه يملك الدعاء لمن بيده خزائن كل شيء: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر / ٦٠].

فأعظم شيء، وأفضل شيء، وأحسن شيء، هو التبعث لله، والأنس به، والسماع عن أسماؤه وصفاته وأفعاله، فهذا الكلام يملأ القلب إيماناً وتوحيداً، وتعظيماً وحباً، لربنا العظيم جل جلاله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٤٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [٤٣] [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

فيجب علينا أن نستفيد من خزائن القوي، بأن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فهي كنز من كنوز الجنة، وأن نُكثر من الاستغفار؛ لنزداد خيراً وقوة كما قال هود ﷺ لقومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود / ٥٢].

فسبحان القوي كامل القوة، المتين شديد القوة: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [٥٨] [الذاريات / ٥٨].

هو سبحانه القوي الذي خلق المخلوقات كلها، القوي الذي يرزق المخلوقات كلها، القوي الذي خلق البحار كلها، القوي الذي يحيي ويميت ما لا يعلمه إلا هو من النبات

والحيوان والإنسان: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨].

فهو جل جلاله القوي الذي له مقاليد السموات والأرض، وله الخلق والأمر كله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

والعبد إذا عرف ربه القوي تعلق به، وتوكل عليه، ولجأ إليه؛ لأن الله هو الملك الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، ويده ملكوت كل شيء، قادر على كل شيء، محيط بكل شيء، كما قال هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

ومن عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلاء؛ تعلق به ولم يلتفت إلى أحدٍ سواه، هو القوي الذي بيده ملكوت السموات والأرض؛ فتوكل عليه وحده، ولا تخف أحداً سواه؛ فالخلق خلقه، والملك ملكه، والأمر أمره، فلا تخاف إلا هو، ولا تتوكل إلا عليه، ولا تعبد إلا إياه: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْحَرَتِ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

من هو رب العالمين؟ ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فليس للأبصار أن تراه في هذه الدنيا، ولا يجوز أن تراه في هذه الدنيا؛ لأنه هو المحيط بكل محيط، ولا يحيط به أحد، ولا يجوز أن تراه؛ لأنه لو رآته لما عصته؛ لأنها إذا رآته عرفت عظمته وجلاله وكبريائه، فتهابه وتخافه؛ فيبطل التكليف، ويبطل الأمر والنهي، فمن رحمة الله أننا لا نراه، فهذه العيون التي تعبدت له وبكت من خشيته، وهذه البصائر، وهذه القلوب التي آمنت به، فخشعت له، وبكت وخرت ساجدة له يوم القيامة حيث لا تكليف تراه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فهو سبحانه هو القوي وحده، وكل ما سواه ضعيف مقهور لقوة القوي سبحانه: ﴿فَأَمَّا

عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ [فصلت: ١٥].

فالقوة كلها بيد القوي سبحانه، والعزة بيد العزيز، والهداية بيد الهادي، والأمن بيد المؤمن، ولا يؤمن الناس إلا المؤمن الذي يملك الأمن: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي من آثار أسماء الله الحسنى، وجميع الأحكام من آثار أسماء الله الحسنى، جميع الأحوال التي يتقلب بها الخلق، وتجري في الكون، من آثار أسماء الله الحسنى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

ومن أصابته محنة أو بلية أو مكروه أو أذى؛ فليفرغ إلى ربه القوي، فنعم المولى، ونعم النصير: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنَّا بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩١﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩].

فسبحان الله ما أعظم قدره، وما أعظم قدرته، وما أعظم قوته: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

هو القوي الذي له القوة المطلقة، قوته لا بداية لها ولا نهاية، كل قوة في العالم من آثار قوته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿٦٦﴾ [هود/ ٦٦].

هو الله القوي في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملكه وسلطانه: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٧٤﴾ [الحج/ ٧٤].

هو القوي القاهر لكل قوي: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ [الأنعام/ ١٨]. هو القوي الذي لا أقوى منه، المالك لكل قوي، المهيم على كل قوي، المحيط بكل قوي: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ

الْمَتَكِبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

هو القوي الذي يملك خزائن القوة، وأنواع القوة، ويهب منها من يشاء بأي قدر شاء: ﴿وَلَا يَمُنُّ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿٢١﴾ [الحجر / ٢١]. هو القوي الذي أعطى القوة لكل قوي من المخلوقات من العرش العظيم، إلى السموات والأرضين، وما فيهن، وما بينهن، وما عليهن، من الكائنات من العرش العظيم، إلى أصغر ذرة في ملكه العظيم: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك / ١].

هو القوي في علمه، الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٥٩﴾ [الأنعام / ٥٩]. هو العالم بكل شيء ظاهراً وباطن: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦﴾ [الذِّئْبِ أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ [السجدة / ٦-٧].

فقوة الله لا حد لها، وهي غير متناهية، فهي مطلقة دائمة، أما قوة المخلوقات فهي محدودة موهوبة ناقصة، ولما كانت قوة الله غير متناهية وعزته غير متناهية، كانت قوة أعدائه متناهية، وذلتهم غير متناهية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذْلَانِ﴾ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ [المجادلة / ٢٠-٢١].

فإن قوة الله غير متناهية، أما قوة المخلوق فهي متناهية، وكلما تناهت زادت الذلة؛ فسبحان القوي العزيز الذي أظهر قدرته في خلق المخلوقات العظيمة، في خلق المخلوقات الكبيرة، في خلق المخلوقات الصغيرة، من العرش، والكرسي، والسموات والأرض، والجبال، والبحار وغيرها: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [غافر / ٥٧].

وأظهر قدرته في خلق المخلوقات الصغيرة كالذرات التي هي أجزاء الأجسام، والهباءات التي تملأ الفضاء العظيم، وخلق الجميع من الكبير والصغير إظهاراً لقدرته،

وبياناً لعظمته، وجعلها مظهرًا لجلاله وجماله، والجميع في ملكه العظيم يُسبح بحمد ربه العظيم، ويشهد بوحدانيته ويخضع لأوامره: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٣﴾  
 تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ  
 اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٣ - ٤٤].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ ﴿٩٩﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩].

﴿سَبِّحْ اَسْمَ رَبِّكَ الْاَعْلٰى﴾ ﴿١﴾ [الأعلى / ١].

﴿فَسَبِّحْ بِاَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيْمِ﴾ ﴿٧٤﴾ [الواقعة / ٧٤].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ اِنَّهٗ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٣﴾ [النصر / ٣].

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المتين

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المتين

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) . [طه/ ٨] .

وأسماء الله ﷻ أسماء جلال ، وأسماء جمال ، والله ﷻ من أسمائه الحسنى المتين .  
فالله سبحانه هو القوي المتين ، القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، الغني المتين الذي عنده خزائن كل شيء ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، الذي لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جند أو مدد ، ولا إلى معين أو عضد ، ولا إلى جامع أو شاهد : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يس: ٨٢] .

وهو سبحانه القوي المتين الذي يمد المخلوقات بالقوت والقوة ، ويسوق إليها أرزاقها في كل مكان ، وفي كل زمان ، ويعينها على مصالحها: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٥٨) [الذاريات/ ٥٨] .

فخلق الأرزاق يدل على عظمة الله ، وسوقها إلى أماكنها وإلى من يحتاجها في البر والجو والبحر يدل على كمال قدرته وقوته جل جلاله .

فسبحان القوي المتين الذي خلقنا ، وأعطانا المتانة في أجسامنا؛ لنصبر بها على الطاعات والمصائب ، وأعطانا متانة في قلوبنا؛ لنقوى بها على طاعته وعبادته ، وأعطانا مدداً من قوته نهزم بها النفس والشيطان والكفار: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ بَدِيلًا﴾ (٢٨) **﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾** (٢٩) [الإنسان/ ٢٨ - ٢٩] .

فالله ﷻ هو القوي المتين ، الذي له ملك كل شيء ، ولا يقف لقوته شيء ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) **﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾** (٢) [الفرقان/ ١ - ٢] .

هو المتين الذي يتصرف في ملكوت السموات والأرض ، وفي عالم الغيب والشهادة كيف شاء، هو القوي المتين الذي يتصرف في الملك والملكوت، وفي الظواهر والبواطن، القوي المتين الذي نفذت مشيئته في جميع البريات، وما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

ولابد للإنسان أن يتعرف على ربه؛ حتى تأتي عظمة الله في قلب هذا العبد، فإذا امتلأ القلب بالإيمان تحركت الجوارح بالطاعات، فمعرفة الله من أوجب الواجبات؛ ﴿ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩] .

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هي غذاء القلوب؛ فهذه القلوب لها غذاء؛ حتى تُقبِل على الخير، وتتفر من الشر، وتعمل الطاعات، وتجتنب المعاصي، وتفعل ما يحب الله ويرضيه، وتجتنب ما يكرهه الله ويسخطه، لابد لهذه القلوب من الإيمان الذي يحملها على طاعة الله، ويبعدها عن معصية الله، لابد لها من الإيمان الذي به تقوى على الأعمال، وتحسن الأعمال، وتؤدي الأعمال، بكمال الحب لله، وكمال التعظيم له، وكمال الذل له : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

ولهذا من أوجب الواجبات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، أن نعرف المعبود من هو؟ وما هي أسماؤه؟ وما هي صفاته؟ لأننا محتاجون إليه .

فلا بد أن نعرف القوي حتى نفرع إليه في كل حال، ونعرف القادر حتى نستعين به على الأعمال، ونعرف الغني حتى نسأله ، ولا نقف بباب الفقير، ونعرف الكبير حتى نحتمي به ؛ فالله ﷻ هو الكبير وحده، وكل ما سواه من المخلوقات صغير، ونعرف الملك حتى نعبده : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣] .

وليس في مكة قبل الهجرة إلا الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وبيان فضل مكارم الأخلاق

وأحوال اليوم الآخر، كان النبي ﷺ يعلم الصحابة الإيمان والتوحيد؛ فيعرفهم بالله وأسمائه وصفاته، وماذا يريد الله ﷻ من خلقه، وماذا سيعطيهم يوم القيامة .

• ولذلك كانت حلقة التعليم في دار الأرقم في مكة تشتمل على ثلاث مسائل:  
الأولى: التعريف بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعدته.

الثانية: معرفة أحوال الرسل، وماذا جرى عليهم مع أممهم، وكيف أن الله ﷻ نصر أوليائه ودمر أعداءه كقوم نوح، وهود، وقوم صالح، وقوم ثمود، وقوم لوط، وقوم شعيب، وقوم فرعون، الله ﷻ أرسل إليهم الرسل، ودعاهم إلى الله، فلما لم يستجيبوا أنجى الله المؤمنين، وأهلك الكافرين: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦] .

ولهذا جاءت سورة إبراهيم، سورة يونس، سورة هود، هذه السورة التي تُعرِّف بالله، وتكشف لنا أحوال الأنبياء والرسل الذين قاموا بالدعوة إلى الله .

الثالثة: التعريف باليوم الآخر، وماذا للناس بعد القدوم على الله ، من التكريم بالجنة لمن أطاعه، ومن العذاب والإهانة في النار لمن عصاه .

هذا العلم الذي كان في دار الأرقم، فلما قوي الإيمان نزلت أول فريضة؛ فريضة الصلاة، ليس في مكة فريضة بعد الإيمان بالله ﷻ إلا فريضة الدعوة إلى الله، وكيف ندعو إلى الله، وكيف نتعرف على أحوال الرسل في الدعوة إلى الله .

ثم جاءت أول فريضة بعد ذلك قبل الهجرة بسنة؛ فريضة الصلاة، ونزلت أحكامها وما يقال فيها بعد ذلك في المدينة، ثم جاءت فريضة الزكاة، والصوم، والحج، وغير ذلك، واكتمل الحج في السنة التاسعة من الهجرة .

ثم حج النبي ﷺ في السنة العاشرة ، ثم توفي في المدينة بعدها حين أكمل الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

فهذه المعارف لا بد منها للعبد، والذي لا يعرف ذلك جاهل سفيه؛ لأنه سوف يعصي الله؛ لأنه لم يعرف قدر الله، ولم يبال بمعصية الله، ولم يعرف قدر الثواب الذي أضع، ولم يعرف قدر الآخرة الآجلة التي فيها الثواب والعقاب الدائم ، ولم يعرف هذه الدنيا

الزائلة التي يسكن فيها مدة قليلة : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْفَرَ لِدُنْيَاكَ  
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

فلا بد للعبد أن يتعرف على معبوده بأسمائه وصفاته؛ حتى يعبده، وحتى يستعين به، ولا يلتفت لأحد سواه .

فلا بد أن أعرف الخالق من هو؟ من هو القوي المتين؟ من هو الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض، وله جميع الخلائق في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

هو الملك العظيم جل جلاله ، هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذا ملكه، وإذا عرف العبد ذلك لم يلتفت لأحد سواه، وأقبل على طاعته، وابتعد عن معصيته : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

هو سبحانه القوي المتين الذي لا بداية لقوته ولا نهاية، عظيم القوة، عظيم القدرة؛ فلا تنقص قوته، ولا تضعف قدرته؛ لأنه المتين شديد القوة، الذي لا تنقطع قوته أبداً، ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه لغوب؛ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق/٣٨] .

ومن عرف القوي المتين عظمه وكبره، وحمده وشكره، وأقبل على طاعته، وابتعد عن معصيته، وسأله وحده، ولم يلتفت لأحد سواه؛ لأنه عرف ربه بأسمائه وصفاته فاتقاه، وخشيه، وأحبه، وعظمه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

ومقصود العلم ليس العمل فقط؛ فإن المنافقين يعملون ، بل العمل المقرون بالخشية، خشية الله أن أعرف الرب العظيم، الكبير المتين ، الغني القوي، القادر القاهر، الذي عنده خزائن كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، فأتوجه إليه ، أطيعه ولا أعصيه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر/ ٩].

ومن عرف القوي المتين اتقاه، وخشيه، وخاف منه، وابتعد عما يغضبه، وسارع إلى ما يرضيه، مهما اشتد البلاء، ومهما تعدد الابتلاء، ومهما تقلبت الأحوال بين السراء والضراء؛ لأنه عرف ربه، فهو يعبده لذاته وجلاله وجماله، ويسرع إلى مرضاته؛ لأنه عرفه بأسمائه وصفاته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْحَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَعِبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

والمؤمن قوي في إيمانه وأعماله، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير؛ فالمؤمن قوي في إيمانه وأعماله؛ لأنه اتصل بربه القوي فاستفاد منه القوة، اتصل بربه المؤمن فاستفاد منه الأمن، فأصبح آمنًا على نفسه، اتصل بربه العزيز فاستفاد منه العزة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

فالله ﷻ هو القوي المتين الذي قوى عبده على كل ما ينفعه .

والمؤمن متين في إيمانه وأعماله؛ لأنه اتصل بربه المتين، وسأله من فضله، فجعله متينًا في إيمانه، فلا شك عنده أبدًا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ [الحجرات/ ١٥].

وأصبح متينًا في أعماله؛ يؤديها لربه باليقين المتين، والتعظيم الكامل، والحب الكامل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال/ ٢ - ٤].

والمؤمن عزيز؛ لأنه اتصل بالعزيز، فصار عزيزًا بالانتساب إلى ربه العزيز: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [المنافقون/ ٨].

والله ﷻ هو القوي المتين في قوته وقدرته، المتين في قهره وجبروته، المتين في كرمه ولطفه، إذا أكرم أكرم، وإذا لطف لطف، وإذا قهر قهر .

هو وحده المتين في حكمه، المتين في حلمه، المتين في رحمته، المتين في عفوه، إذا عفا عفا؛

حتى لا يبقى ذنب، وإذا غفر غفر؛ حتى لا تبقى معصية، هو المتين في إحسانه ومغفرته وفي جميع صفاته: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٨].

فهو سبحانه القوي المتين الذي بلغ نهاية الكمال في ذاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، وملكه وسلطانه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

هو سبحانه المتين الذي كيده وبطشه بأعدائه متين، لا يمكن لأحد رده أو صده أو الانفلات منه: ﴿فَدْرَبِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ وَأُمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ [القلم: ٤٤-٤٥].

والله ﷻ لا يوصف بالكائد؛ إنما هذا من باب المقابلة؛ لأن هناك من يكيد بشر، كمن يكيد لغيره لينهب ما في يده، وقد يكيد مشاكلة وما إلى ذلك، فالله ﷻ كاد لأوليائه كاده: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَهَلْ الْكٰفِرِينَ أَهْمَلَهُمْ رُؤُودًا ﴿١٧﴾ [الطارق: ١٥-١٧].

واعلم أن الله متين، ودينه متين؛ فكن متيناً في التوحيد والإيمان واليقين، متيناً في التمسك بحبل الله المتين، كن متيناً في العلم بـ (لا إله إلا الله)، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته؛ حتى تخرج من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، ومن عالم الغيب إلى عالم الغيب: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ﴿٤٢﴾ [النجم: ٤٢].

بقوة الإيمان، وقوة اليقين، يخرج الإنسان من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فينظر بماذا أمر؟ وعن ماذا نهى؟ ويتعرف على أسمائه وصفاته؛ فيستأنس به، ويستوحش من غيره؛ فلا تراه إلا ذاكراً شاكراً، حامداً عابداً، داعياً معلماً، محسناً مسبحاً بحمد ربه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وإذا امتلأ قلبه بالإيمان، وصار متيناً في الإيمان واليقين، صار الغيب عنده شهادة، فأصبح في درجة عالية من درجات الدين، وهي درجة الإحسان.

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، أن تعبد الله كأنك تراه، إن تكلمت سمعك، وإن تحركت أبصرك، وأن أضمرت فهو عليم بها في قلبك، فأنت بين

يديه، بل جميع المخلوقات، بل جميع الذرات في العالم العلوي والعالم السفلي، في الظلمات والنور، كلها الله ﷻ ينظر إليها جميعاً، ويسمعها جميعاً، ويدبرها جميعاً: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] [الملك / ١].

هو جل جلاله له الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ وإذا عرف القلب ذلك تجاوز المخلوق إلى الخالق، وطلب رضاه، وسارع في طاعته، وسابق إلى كل خير، وتخلق بالأخلاق العالية، وعمل الأعمال الصالحة، وقال الأقوال الحسنة، وصار قلبه مملوءاً بحب الله، وحب رسله وكتبه وملائكته، وحب أوليائه .

فالله متين ، ودينه متين، فكن متيناً في التوحيد والإيمان واليقين، متيناً في التمسك بحبل الله المتين : ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [٢٢] [لقمان / ٢٢].

فكن متيناً بالتمسك بحبل الله المتين، وخذ أوامر الله بقوة، افعل الأوامر، واجتنب النواهي، وجاهد في الله حق جهاده : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

اعمل الأعمال الانفرادية بينك وبين ربك بالتسبيح، والذكر، وتلاوة القرآن، وفعل النوافل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [٤٢] هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا [٤٣] [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

واعمل الأعمال الاجتماعية بينك وبين الخلق، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله ، والنصيحة للمسلمين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٧١] [التوبة / ٧١].

وكن متيناً في حسن الخلق مع ربك القوي المتين الذي خلقك فسواك فعدلك، الذي أسكنك في أرضه، وأطعمك من رزقه، وكساك من فضله، ومنَّ عليك بإنزال هذا الكتاب العظيم، وبعثه هذا الرسول الكريم، وهداك لهذا الدين القويم؛ فكن متيناً في

حسن الخلق مع ربك القوي المتين الذي كل نعمة منه ومن فضله، اعبده، وتوكل عليه، واستعن به، واخشع له، واخضع بجوارحك له: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [١١٢] ﴿[هود: ١٢٣] .

وكن كذلك قوياً متيناً في أخلاقك مع الناس أجمعين: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١١٣] ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١١٤] ﴿[آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

وخالق الناس بخلق حسن .

قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.

كيف تكون متيناً تؤدي هذه الأعمال بقوة؟ وتؤديها بالحب والتعظيم لربك العظيم؟ بالعلم الإلهي، والعلم الإلهي هو أعظم شيء، وأول شيء، وأكبر شيء؛ لأنه يقودك إلى كل ما يحبه الله ويرضاه .

هذا العلم الإلهي يصلك بالله، ويصلك بما يجب الله، ويصلك بما تحب غداً أن تلقاه من رضوان الله، ومن النعيم المقيم في جنة عرضها السموات والأرض: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [١١٩] ﴿[محمد: ١٩] .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٧٢] ﴿[التوبة: ٧٢] .

وبهذا العلم تكون متيناً في أقوالك، متيناً في أعمالك، متيناً في أخلاقك .

فهذا الدين عظيم، وحمله يحتاج إلى إناء متين، هذا الإناء هو هذا الإنسان الذي تخلق بالأخلاق العالية، وجعله وسيلة لحب الله ورسوله ودينه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٤] ﴿[القلم/ ٤] .

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧).

والأخلاق التي يحبها الله ، والتي اشترى أهلها هي: ﴿التَّيْبُونَ الْعِيدُونَ  
الْحَمِيدُونَ السَّخِيحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

وقد وعد الله أهل الصفات بالمغفرة والأجور العظيمة فقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ  
وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ  
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِينَ  
وَالصَّامَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا  
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فإن الله ﷻ يريد أن نحمل هذا الدين بالأخلاق العالية، ونترك كل شيء من أجله، ونتنازل  
عن كل شيء من أجله، ونبذل كل محبوب من أجله، فالمؤمن من أجل أن ينتشر الدين،  
من أجل أن يُعبد الله؛ يصل من قطعه، ويعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويحسن إلى  
من أساء إليه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ  
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ [٣٤] وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ  
عَظِيمٍ [٣٥] وَإِنَّمَا يَنزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٣٦]

[فصلت: ٣٣-٣٦].

فلا بد أن نتخلق بالأخلاق العالية ، بالصفات التي دعانا الله للإلتصاف بها بقوله :  
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

أولاً نحصيها، ثم نحفظها، ثم نتخلق بها، ثم ندعو الله ﷻ بها، ثم نجمل الناس بها،  
فاللباس الحسي الذي يستر العورات نشترك فيه نحن والكفار، لكن لباس التقوى إيمان  
بالقلب، وتوكل على الرب، وحب للرب، وعمل بالجوارح، هذا لباس التقوى .  
فمن لبس لباس التقوى في الدنيا ألبسه الله يوم القيامة لباس الحرير والحلي يوم القيامة :  
﴿يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ

آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٣٦﴾ [الأعراف: ٢٦] .

هذا الدين عظيم، هذا الدين متين فيه أخبار عظيمة ، وأحكام عادلة ، وأخلاق حسنة : ﴿أَيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٣] .

والله ﷻ هو القوي المتين، الذي كل متانة في الخلق من فضله وجوده جل جلاله؛ فهو الذي قَوَّانا على الطاعات، وهو الذي قَوَّانا على اجتناب المعاصي، وهو الذي قَوَّانا على الإيِّمان، وهو الذي قَوَّانا على طلب العلم : ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَالِيهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣] .

فالله ﷻ منه كل فضل وكل خير، وكل شر وكل سوء من الإنسان؛ ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء: ٧٩] . هو سبحانه المتين الواسع في علمه ، وقوته ، وقدرته ، وغناه، وكرمه وحلمه ، ومغفرته . هو المتين الواسع في ملكه ، كل هذا الملك العظيم الذي نراه له، السموات والأرض له، وما فيهن له، عالم الغيب له، عالم الشهادة له، عالم الدنيا له، عالم الآخرة له، كل شيء له : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠] .

هو المتين الواسع في علمه ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِّقَاقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

هو يعلم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون : ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: ٦-٧] . هو الواسع في رحمته : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧] .

هو جل جلاله واسع في علمه، واسع في رحمته، واسع في قدرته : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢] .

هو الواسع في مغفرته لذنوب عباده : ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ

مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾

[النجم: ٣٢].

فهو القادر على كل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، الغني الذي كل شيء له: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].  
هو سبحانه القوي المتين الذي كل شيء في ملكه في قبضته لا يغيب عنه، ولا يفلت منه، ولا يمتنع عليه؛ ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

فسبحان ربنا المتين الذي دينه متين، وكيده متين، وتدييره حكيم، وعطاؤه جميل، وفضله كبير: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَا سَأَلْتُمُوهَا قَالُوا لَسُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل/ ٥٣].  
فكيد الله ﷻ تديير حكيم لمصلحة خلقه، وسمي هذا التدبير كيداً من باب المشاكلة والمقابلة: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق/ ١٥-١٦].

والله ﷻ هو القوي المتين، قوي في قدرته، متين في قوته، فلا أقوى منه، بل هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، وعنده خزائن القوة، ويده القوة جميعاً، لو رفعها عن السماء لوقعت، ولو رفعها عن الأرض لزالَت .  
ولو رفعها عن الإنسان لهلك، وهكذا .

هو القوي المتين الذي خلق القوة، ومنَّ بها على خلقه، وعنده خزائن القوة، فهو القوي في قدرته ، متين في قوته فلا أقوى منه، يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه :  
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

هو القوي المتين الذي لا أقوى منه، وضع اسمه على السماء فاستقلت، ووضعه على الأرض فاستقرت، ووضعه على الجبال فرسَّت، ووضعه على المياه فسالت، ووضعه على الأشجار فأثمرت ، ووضعه على الصخور فقسَّت، ووضعه على الأذن فسمعت، ووضعه على اللسان فتكلم: ﴿ذٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الله ﷻ قوي متين، وبقوته خلق العالم العلوي والعالم السفلي، والعالم العلوي عالم عظيم، فيه الملائكة العظام، فيه جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل، وفوقه حملة العرش الذي

الواحد منهم ما بين شحمة أذنه إلى منكبه مسيرة سبعمائة عام، وجبريل له ستمائة جناح، لو مد منها واحداً لأظلم الأفق، وبطرف جناحه، رفع خمس قرى من قرى قوم لوط، ثم قلبها عليهم، فكم عدد الملائكة في السموات والأرض؟ وكم السموات السبع مملوءة بالملائكة؟ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم، أو راعٍ، أو ساجد لله ﷻ: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) [الأنبياء: ١٩-٢٠].

والملائكة عباد مكرمون: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) [التحريم: ٦]. فكلامهم نور، وتسيبهم نور، وأعمالهم كلها نور، فالعالم العلوي كله نوراني، مملوء بالملائكة المخلوقين من نور، وبما فيه من نور العرش، ونور الكرسي، ونور السموات والله النور فوق عرشه.

قال ﷻ عن ربه: «نور، أنى أراه؟ حجابهُ التُّور، لو كشفها لأحرقتُ سبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» أخرجه مسلم (١).

فسبحان من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، المتين الذي خلق جميع العوالم بقدرته؛ لأنه القوي المتين، القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء، القوي المتين الذي خلق كل قوي ومتين من الجبال الراسيات، والبحار الواسعات، والجمادات، والنباتات، والحيوانات: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (٨٨) [النمل: ٨٨]. هو القوي المتين الذي خلق كل شيء في العالم العلوي والسفلي: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرِيَّ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) [الزمر/ ٦٢-٦٦].

فإذا عرفنا القوي استعنا به، وإذا عرفنا الكبير لم نقف بباب الصغير، وإذا عرفنا الكريم سأله، وإذا عرفنا المتين علمنا أن خزائنه لا تنقص، وأن قوته لا يقف لها أحد: ﴿فَاعْلَمْ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ  
وَمُتَوَكِّفِكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فمن عرف الله بأسماء جلاله عَظَّمَهُ، ومن عرف الله بأسماء جماله أَحَبَّهُ، ومن عظمه  
وأحبه أطاعه فيما أمر به: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ  
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فلا بد للسان أن يذكر ربه كثيراً، ويشني عليه ويمجده؛ حتى يمتلئ القلب بالإيمان، فإذا  
جاء الإيمان جاءت الطاعات، وقلَّت المعاصي، وكل نقص في الطاعة، أو زيادة في  
المعصية سببه نقص في العلم بالله وأسمائه وصفاته، وكل زيادة في الطاعات، ونقص في  
المعاصي سببه زيادة العلم بالله وأسمائه وصفاته: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ  
لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَكِّفِكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

### • والعلم ثلاثة أقسام:

علم بالله .. وعلم بأوامر الله .. وعلم بأيام الله.

فالعلم بالله: هو العلم بالله، وأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعدته ووعدته.

فعلينا أن نتعرف على هذا العلم؛ حتى يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى  
اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

ثم علمٌ بأيام الله: فننظر في حياة الأنبياء السابقين، بماذا أمرُوا وعن ماذا نهبوا؟ كيف كان  
مآلهم؟ وكيف كان مآل أعدائهم؟ كيف الله ﷻ نصرهم؟ وكيف خذل أعداءهم؟ :  
﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ  
وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ [هود: ١٢٠].

ثم ننتقل إلى العلم بأوامر الله: ماذا يريد الله؟ ماذا يجب الله؟ ماذا يسخط الله؟ بماذا أمر  
الله؟ عمَّ نهى الله؟ : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧].

فهذه العلوم تملأ القلب إيماناً بالرب جل جلاله، فتعلم هذا العلم كله، وتأخذ من  
عشرة دروس تسعة في التوحيد والإيمان، وواحداً في معرفة الأحكام، ومعرفة سيرة  
الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في العمل بهذا الدين، والدعوة إليه.

فالله سبحانه دعانا إلى معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٨].

والله يمجده نفسه، ويحمد نفسه، ويبين أنه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فعظموه وتوجهوا إليه، واعبدوه وأطيعوه، ولا تلتفتوا لأحد سواه، فكل مخلوق مفعول، كان معدوماً فأوجده الله، ولما أوجده ملكه، وبقاؤه وفناؤه بيد الله ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان الله! ما أحلى الكلام عن الرب العظيم، والكلام عن الرب العظيم يجب أن يكون عظيماً، والكلام عن الكبير لا بد أن يكون كبيراً، فنحن نكبره ونمجده، ونحمده، ونشكره ونتوب إليه ونستغفره؛ لأننا ما قدرناه حق قدره؛ لقللة معرفتنا به: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٧٤].

الله سبحانه هو القوي المتين الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، وله جنود السموات والأرض من الملائكة والأرواح، والجن والإنس، والحيوان والنبات والجماد، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا العليم الخبير: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

في كل ثانية مليارات المخلوقات توجد بأمر الله، وفي كل ثانية مليارات المخلوقات تموت بأمر الله .

الله قوي متين، قهر المعدوم فأوجده، وقهر الموجود فأعدمه؛ لأنه هو الذي يحيي ويميت، وهو الباقي وحده، وكل ما سواه فانٍ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

فسبحان الرب العظيم، الملك الحق، العلي الحميد، القوي المتين، الذي كل شيء ملكه، وكل شيء في قبضته، وكل شيء خاضع لعظمته ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

كل شيء ملكه من السموات، والأرض، والجبال، والبحار، والأنهار، والملائكة،

والإنس، والجن، والأرواح، والحيوان والنبات، والجهاد، وغير ذلك من المخلوقات التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا هو: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

والعبد إذا عرف ذلك عن ربه ﷻ اطمأن قلبه، وتوجه إلى ربه، ولم يلتفت لأحد سواه، لا بد للسان أن يتكلم عن القوي المتين، ويخاطب القلب بذلك، ويقول له: الله ﷻ هو القوي المتين، فنحن نتكلم بذلك؛ لنسمع الله ﷻ؛ لأن الله يحب من يمدحه ويشني عليه، ويمجده، ونسمع الملائكة الذين طعمهم التسبيح والتحميد والتهليل، ونسمع أنفسنا، ونسمع المؤمنين، ونسمع المخلوقات، فاللسان يذكر القلب بربه، ويتكلم عن ربه فيقول: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فالله محيط بكل محيط، السموات السبع محيطة بالأرضين السبع، والكرسي محيط بالسموات والأرضين، والعرش محيط بالكل، والله فوق العرش محيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَنبَأَهُمُ بِالْحَيَاةِ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [فصلت: ٥٤].

هو المتين بذاته، والمتين بسمعه، وسمعه محيط بكل شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

يسمع جميع الأصوات، على اختلاف اللغات، في كل مكان، وفي كل زمان؛ فهذا حامد، وهذا سائل، وهذا مستغفر، فيقضي الحاجات جميعاً، ويسمعهم جميعاً، ويجب دعاءهم جميعاً؛ لأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وليس كمثل شيء: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

هو القوي المتين في سمعه جل جلاله، سمعه محيط بجميع المخلوقات، بكل شيء

متحرك أو ساكن، ناطق أو صامت، وبصره محيط بكل شيء في ملكه، ورحمته وسعت كل شيء، فحيثما سرت وجدت رحمته، وحيثما كان خلقه كانت رحمته، وحيثما كانت رحمته كان علمه: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

هو المتين الذي رزقه وصل إلى كل حي، ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، في العالم العلوي، وفي الفضاء، وفي العالم السفلي، وفي الصحاري، وفي البر والجو والبحر: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود/٦].

وإيصال الأرزاق إلى هذه الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي يحتاج إلى قوة، وإلى علم، وإلى حكمة، وإلى رحمة، وإلى عناية، والله عَزَّ وَجَلَّ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، خلق الأرزاق كلها، وأوصلها بقوته إلى جميع خلقه، وعلمه محيط بكل شيء فلا ينسى أحداً، وقوته وقدرته أحاطت بكل شيء، فلا يعجزه شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ لماذا؟ ﴿لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/١٢].

هو المتين الذين يعمل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/١١].

يعز بأسباب الذلة، ويذل بأسباب العزة، وينجي بأسباب الهلاك، كما أنجى إبراهيم عليه السلام من النار، ويهلك بأسباب النجاة، كما أهلك فرعون مع ملكه، ويربي أوليائه في قصور أعدائه كما ربي موسى عليه السلام في قصر فرعون، ويهلك بأسباب النجاة كما أهلك قارون مع ماله، وخسف به وبداره الأرض، فهو فعال لما يريد، فعال لما يشاء، ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته وأفعاله، هو الواحد الأحد رب كل كل أحد، وإله كل أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ۝٣ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص/١-٤].

هو جل جلاله القوي المتين الذي إذا رحم رحم، حيث لا شقاء ولا عذاب، وهو القوي المتين الذي إذا بطش بطش، حيث لا حياة ولا نجاة: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ

الرَّحِيمِ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

فهو القوي المتين الذي إذا رحم رحم حيث لا شقاء ولا عذاب: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

هو المتين الذي بيده مفاتيح كل شيء: ﴿مَا يَفْتِجُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

هو القوي المتين الذي لا أقوى منه، هو القوي المتين الذي إذا بطش بطش، حيث لا حياة ولا نجاة؛ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود/ ١٠٢].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ طَعُونًا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فِيهَا الْفَسَادُ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبَاصِرٍ ذِي الْبَصَرِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر/ ٦-١٤].

بالمرصاد لكل من عصاه، وخالف أمره، وأذى أوليائه، في كل زمان ومكان.

ماذا فعل القوي المتين بالأمم التي عصته، وكذبت رسله، وكفرت به؟ ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

ماذا فعل القوي المتين بأصحاب الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١-٥].

هو سبحانه القوي المتين، الذي إذا خلق شيئاً أتقنه وأحكمه وأحسنه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِنَسْلُكُومَنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/ ١٣-٢٠].

فهو جل جلاله إذا خلق شيئاً أحكمه وأتقن صنعته: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/ ٨٨].

وخلقه متين لا تفاوت فيه : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ۝٢ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾ [الملك: ٢-٤] .

﴿ سَبِّحْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ [الأعلى / ١-٣] .  
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ [التين / ٤] .

هو القوي المتين الذي خلقنا ، وأحسن صورنا ، وأحسن صور جميع المخلوقات ، وليس في فعله قبيح ، إنما هو نهاية الحسن : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦ ﴾ [السجدة: ٦-٧] .  
﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾ [السجدة: ٦-٧] .  
فالله هو جل جلاله هو المحسن الذي خلق كل شيء حسن ، وأحسن كل شيء خلقه :  
﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤ ﴾ [المؤمنون / ١٤] .

هو القوي المتين الذي كل شيء في خزائنه ، وكل شيء إنما يوهب من خزائنه : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝١١ ﴾ [الحجر: ٢١] .  
هو سبحانه القوي المتين الملك الحق الذي يملك كل شيء ، والملك كله بيده .

عالم الغيب والشهادة بيده ، السموات والأرض بيده ، وما فيهن وما عليهن من الملائكة ، والإنس ، والجن ، والجماد ، والنبات ، والحيوان بيده وحده لا شريك له ؛ ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠ ﴾ [المائدة / ١٢٠] .

هو القوي المتين الذي له الملك كله ، وله الحمد كله ، ومنه الفضل كله ، وإليه يرجع الأمر كله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٦ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

هو جل جلاله الخلاق العليم ، خالق كل شيء ، يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات التي تسبح بحمده ، وتشهد بوحدانيته ، وتخضع لأمره فيزيد ملكه خلائق ، ويزيد في ملكه من يكبره ويسبحه ، ويقدسه وينزهه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨٦ ﴾ [الحجر / ٨٦] .

هو القوي المتين الذي كلما خلق زاد ملكه ، وكبر ملكه ، فكل ما يخلق من المخلوقات تسبح بحمده ، فيزداد الثناء عليه ، والشكر له ، والتقديس له ؛ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن

فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ ﴿١٨﴾ [الحج / ١٨].

فهو جل جلاله يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات؛ لأن خزائنه مملأى بكل شيء، وقدرته لا يقف لها شيء: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرِ ۙ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَنَجْدَةٌ كَلِمَةٌ بِالْبَصْرِ ۙ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

فيخلق المتين هذه المخلوقات العظيمة إظهاراً لقدرته، وعظمته وجلاله، وإظهار لعلمه الواسع، وقدرته الشاملة، في ملكه العظيم؛ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِلْعَالَمِينَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۙ ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢].

هو القوي المتين الذي يهب ويعطي ويرزق في أقل من ثانية مليارات الخلائق من العطايا والهبات والأرزاق والنعم لمن شاء من خلقه، ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة؛ لأنه القوي المتين الغني الكريم، الذي لا تنقص خزائنه أبداً مهما أنفق؛ لأن غناه مطلق لا حد له، والمحدود إذا أخذ من المحدود نقص، أما أرزاق الله فليس لها حد ولا بداية ولا نهاية، علمه ليس له بداية ولا نهاية، رزقه ليس له بداية ولا نهاية؛ ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ۙ ﴿٥٤﴾﴾ [ص / ٥٤].

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۙ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۙ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فالله ﷻ هو الحي القيوم المتين، الذي كل شيء خلقه، وكل شيء ملكه، وكل نعمة من إحسانه، وكل عقوبة من عدله، وكل عطاء من خزائنه، وكل خير منه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۙ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ۙ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم / ٣٤].

وإذا نقصت خزائن الله مثقال ذرة لكان فقيراً إلى ما نقص، والله منزه عن ذلك: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۙ ﴿٦٨﴾﴾ [يونس: ٦٨].

فالله ﷻ هو الغني الكريم الذي لا تنقص خزائنه، وعنده وبيده خزائن كل شيء، فما

يجري في هذا الكون كله من فضله وجوده، وقد من على عباده بالهداية بعد الضلالة، وبالنعمة المادية من الطعام والشراب والهواء والماء، وبنعمة الدين، فمنه كل خير وكل نعمة، والله ذو الفضل العظيم: ﴿ وَمَا يَكُومَنَّ نِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وأعظم الظلم هو الشرك، الظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، أو التصرف في ملك الغير بغير إذنه، فأعظم الظلم وأقبح القبيح الشرك بالله الذي يخلق ويرزق، الواحد الأحد، الصمد، الذي لا إله غيره، ولا رب سواه.

ولهذا فهذا الذنب لا يغفره الله لمن مات عليه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦] .

فإنه فطر الناس على التوحيد، ولكن جاءت الشياطين فاجتالتهم عن دينهم؛ فكل أحد ضال إلا من هداه الله تعالى، فالهداية من الهادي، والزرق من الرزاق، والعلم من العليم، والحكمة من الحكيم، والكرم من الكريم، فكل شيء منه فليطلبه منه: «يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

ولهذا نقول في كل صلاة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ② الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ③ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦ ﴾ [الفاتحة: ٢-٧] ..

فأعظم شيء نسأله الهداية ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ⑦ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] .

الذين عرفوا الحق وعملوا به: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾، الذين عرفوا الحق وتركوه، وفي مقدمتهم اليهود: ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦ ﴾ الذين ضلوا عن الحق، فعبدوا الله بجهل، وهم النصراني ومن ضل مثلهم.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

ومن رحمة الله أن جعلنا ضعفاء فقراء إليه؛ حتى نتوجه إليه، ولا نلتفت لأحد سواه، ولم يجعلنا أغنياء وأقوياء وأشداء؛ حتى لا نستغني عنه، بل نقف بابه، إن مرضنا سألناه الشفاء، وإن عجزنا سألناه القوة والقدرة، وإن ضعفنا سألناه القوة، وإن خفنا سألناه الأمن، «يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.  
والكسوة كسوتان:

كسوة القلوب .. وكسوة الأبدان.

فكسوة القلوب هي التقوى، وكسوة الأبدان ما من الله علينا به من اللباس في الصيف والشتاء؛ ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تِكُمْ وَرِدِشًا وَلِبَاسُ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٦].

ولا ينزع هذا اللباس من الإنسان إلا الشيطان؛ لأنه يريد عارياً أمام ربه: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْنَنَكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا إِنَّهُ يَرْدَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوَنَّهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٧].

ثم ينادي ربنا عباده: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» أخرجه مسلم<sup>(٣)</sup>.

لأن العبودية باسمه الغفار، باسمه الغفور، باسمه الرحيم؛ لا تتم إلا بأن يتلى هذا الإنسان بالشهوات، فيقع في المعصية، فيتوب إلى الله، فيكون بعد توبته أعظم مما كان قبل توبته، ولهذا الله ﷻ يحب التوابين، ولا توبة إلا من ذنب، والله ﷻ: ﴿يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

ثم ينادي بقوله : « يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي » أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ليس بأيديكم شيء، بل كل مخلوق في هذا الكون كان معدوماً فأوجده الله: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾ [الإنسان / ١].

ولما كان الإنسان شيئاً مذكوراً، وأعطاه الله ﷻ من النعم، وَمَنْ عَلَيْهِ بِالْهُدَايَةِ، وَالْعَقْلِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصْرِ؛ هل يليق به أن يعصي ربه، ويطيع عدوه؟ ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ [الانفطار: ٦-٨].

فالله ﷻ هو القوي القادر القاهر، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو الغني عن كل أحد، والذي لا يحتاج إلى أحد، والذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝٢٦ ﴾ [لقمان: ٢٦].

فالله سبحانه لا يزيد مجداً بتمجيدنا إياه، ولا يزيد كبرياء بتكبيرنا له، إنما نحن نسمع قلوبنا أن الله كبير، وأن الله قوي، وأن الله رحمن رحيم؛ حتى نتوجه إليه، ونحبه، ونعظمه ونطيعه، ليكرمنا الله ﷻ بالأمن والهداية والخلافة في هذه الدنيا، والجنة يوم القيامة: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ۝٨٢ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال ﷻ في الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا » أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

فالله كبير قبل أن نكبره، ومحمود قبل أن نحمده، وشهد لنفسه بالوحدانية قبل أن نشهد

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

له: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

وسبح نفسه قبل أن نسبحه: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات/ ١٨٠].

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

وكل مخلوقاته تسبحه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وأنت أيها الإنسان يجب عليك أن تسبح باسم ربك الأعلى: ﴿ سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى/ ١].

﴿ فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة/ ٧٤].

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر/ ٣].

سبحه عن المثل والشبيه، وعن صفات النقص والعيب، وأن يباثله أحد من مخلوقاته مهما كان قويًا، ومهما كان عالمًا؛ ليس كمثلته شيء في ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى/ ١١].

ثم ينادي الرب عباده: « يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » أخرجهم مسلم<sup>(١)</sup>.

فالغني هو الذي لا تنقص خزائنه أبدًا؛ ولهذا فأغنى الأغنياء يسمى فقيرًا؛ لأنه فقير إلى الله في حياته، فقير إلى الله في طعامه وشرابه، فقير إلى الله ﷻ في نفسه؟ فقير إلى الهواء، فقير إلى العافية، فقير إلى ربه في كل شيء: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر/ ١٥].

ثم ينادي عباده: « يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ

(١) أخرجهم مسلم برقم (٢٥٧٧).

وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ  
الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وهذا للتقريب؛ لأن الله لا تنقص خزائنه: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].  
«يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ» أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>.

لا تنقصها نفقة أبداً، لا تنقص خزائنه أبداً، ومع كثرة إنفاقه لا تنقص خزائنه أبداً: «يَا  
عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(٣)</sup>.

فليحمد العبد ربه أن خلقه وهدهاه، وَمَنْ عَلَيْهِ بِالْدِينِ، وحببه إليه، وزين الإيثار في قلبه،  
وضاعف له الأجر، واستضافه في بطن الأم، واستضافه في بطن الدنيا، واستضافه في  
القبر، ثم يستضيفه في جنة عرضها السموات والأرض إن كان مؤمناً: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ  
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ  
فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤١١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

## التعبد لله ﷻ باسمه المتين

الله ﷻ هو القوي المتين الذي بيده ملكوت كل شيء، وإذا عرفنا أنه القوي المتين، فكيف نتعبد لله ﷻ باسمه المتين؟ فالتعبد لله باسمه المتين هو ثمرة معرفة الله أسمائه الحسنی، وصفاته العلی: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وحظ العبد من هذا الاسم العظيم أن يكون متيناً في علمه، ويقينه، وإيمانه، وتوحيده، وأقواله، وأعماله، وأخلاقه، فعليك يا عبد المتين أن تقوم بأفضل الأقوال، وأحسن الأعمال، وتتجمل بأحسن الأخلاق؛ لتنال بذلك الأمن والعزة في الدنيا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وتنال الجنة والرضوان في الآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٧-٨].

فحظ العبد من معرفة اسم الله المتين أن يتعرف على الله بأسمائه وصفاته؛ ليمتلئ قلبه بالإيمان بالله، وتعظيمه، ووجهه.

ومن امتلأ قلبه بالإيمان بالله لم ينطق لسانه إلا بذكره وحمده وشكره، ولم تتحرك جوارحه إلا بطاعته: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [٤]. [الأنفال/ ٢-٤].

فإذا عرفنا اسم الله المتين فعلينا أن نعبد الله بموجب هذا الاسم، فنحمده ونشكره، ونكبره ونعظمه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]. هو القوي المتين الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وكل مخلوق خاضع لأمره، مصرف في طاعته، شاهد بتوحيده، مسبح بحمده: ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ لَهْ مِنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتُ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَسَبِّحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [النور/ ٤١].

هو القوي المتين، ما شاء من الخلق والأمر كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً؛ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) [يس / ٨٢ - ٨٣].

الله ﷻ بيده الملك والملكوت، فجميع الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي كلها شاهدة بوحدانيته، ودالة على جلاله وجماله، ومسبحة بحمده: ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤٤) [الإسراء / ٤٤].

فهذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي دالة على عظمته وجلاله وجماله، العرش والكرسي، والسموات والأرض، والجنة والنار، وجميع المخلوقات، والعوالم، والأوامر، والآجال، والأرزاق، والمقادير، والتصريف، والتدبير، وغير ذلك مما خطه القلم مما لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة، كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، وكل ذلك بيد القوي المتين وحده لا شريك له؛ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثْرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (١٣) [يس / ١٢].

وذلك كله دليل قاطع وبرهان ساطع، على عظمة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى من جهة، ومنقسم على سبيل الترغيب والترهيب من جهة أخرى.

إذا رأيت هذه المخلوقات وعظمتها وجلالها وكبرها؛ أثمر ذلك الرهبة في القلب لخالقها، فتخشع له، وتخضع له، وتمتثل أمره، وما تراه من الجمال والأرزاق، وهذه الأنوار، وهذه السحب، وهذه النباتات، وهذه الأرزاق والنعم أثمر ذلك الرغبة في قلب المسلم فيقبل على طاعة الله ومحبة الله ﷻ.

#### • فهذه المخلوقات التي خلقها الله تنقسم إلى قسمين:

قسم يثمر الترغيب في حب الله وطاعته، وقسم يثمر الترهب من الكفر والمعاصي. هي دالة على جمال الله من جهة، وعلى عظمته وجلاله من جهة أخرى، منقسمة إلى سبيل الترغيب في طاعته والترهب من معصيته من جهة أخرى، فإذا رأيت النار جاءت في قلبي الهيبة والخوف منها؛ فأخاف من خالقها أعظم من خوفها، فإله ﷻ جعلها وسيلة للتذكير بالنار الكبرى يوم القيامة: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (٧١) ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أُمَّرًا

نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمْتَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ [الواقعة: ٧١-٧٣].

فمن عرفها وعرف خالقها؛ علم أن معصيته عظيمة؛ فأقبل على طاعته، وابتعد عن معصيته: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء/ ١٤].

إذا كان الله يعلم ما في السماء وما في الأرض؛ فيجب علي أن أتيقن أنه يعلم أقوالي وأعمالي، يعلم ما أسمع، ما أبصره، ما أتحرك به، ما أفعله، يعلم ما أفكر به: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك: ١٣-١٤].

وهذه المعارف الإلهية تورث العبد توحيد الرب، وتجديد التوحيد له، فلا يخاف أحداً إلا الله، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه وحده، ولا يلتفت إلى غيره: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر/ ١١-١٣].

واعلم أن الله وإن كان سبحانه قد خوّف من النار، ورغب في الجنة، وحذر من الشرور، ورغب في الخير، رحمةً بك، وتسهيلاً لوصولك إليه؛ فإن المقصود الأعظم من ذلك كله، والمقصود من الخلق والأمر كله، هو معرفة الله جل جلاله، وتوحيده بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبادته وطاعته، وفعل ما يحبه ويرضاه، مما شرعه في كتابه، وأرسل به رسوله محمداً ﷺ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

اعبده بالحب الكامل، والتعظيم الكامل، والذل له؛ فأنت عبده، وأنت تسكن في ملكه، وتأكل من رزقه، وما عليك إلا أن تطيعه، بل يجب عليك أن تطيعه، لأنه هو ربك، وهو الذي خلقك ورزقك وهداك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

فأعظم ما يشغل الخلق هو حفاظة حياتهم، وحفاظة حياتهم بالأكل والشرب، والهواء والنور، وهذه كلها نعم من الله ﷻ، فالله ﷻ خلق الإنس والجن ليعبدوه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات/ ٥٦].

أي: ليوحدوني ويعبدوني وحدي، نطيع الله ﷻ وحده لا شريك له، والله لا يريد من العباد شيئاً؛ لأنه هو الرزاق الذي خلق الأرزاق، وأوصلها إلى كل مرزوق؛ لأنه القوي المتين: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فلا تشتغلوا بتحصيل الأرزاق عن عبادة الله؛ فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ولكن المطلوب هو الأعمال التي تقرب إلى الله، وطلب الأرزاق مربوط بالأحكام؛ فمن طلب الرزق ممتثلاً أمر ربه؛ فهو في عبادة ربه ﷻ: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٩) فَإِذَا فُضِّتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

فالله ﷻ تكفل بالأرزاق؛ لأنه وكيل على هذا الإنسان في حياته، وبقائه، ورزقه من طعام وشراب، وغير ذلك مما يحتاجه: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦) [هود: ٦].  
وعليه أن يعمل لنفسه لا لربه، لأن الله غني عن العالمين: ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) [العنكبوت: ٦].

فيعبد الله ﷻ لذاته وجلاله وجماله؛ لأنه هو الذي يستحق أن يعبد، ويكبر، وأن يعظم. ثم عند القوي المتين الكريم ثواب لمن أطاعه بالجنة، وعقاب لمن عصاه بالنار، لكن الأصل هو عبادة الله وحده لذاته وجلاله وجماله؛ لأنه لا يستحق ذلك إلا هو، لا يستحق ذلك إلا من له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والمثل الأعلى، والأفعال الحميدة: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّرَابِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

فالثواب لأهل التوحيد والطاعات، والعقاب لأهل الشرك والمعاصي: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ

لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ [السجدة/ ١٨ - ٢٠].

واعلم يا عبد المتين أن الله وحده هو القوي المتين، وأنت عبد القوي، وعبد المتين، وعبد الرحيم، وعبد العزيز، وعبد الرحمن، وعبد الكريم، فليكن لك من معاني هذه الأسماء العظيمة الكريمة حظ تعبد ربك بمقتضاها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فاذكر الرزاق واطلب منه الرزق، فقل: يا رزاق ارزقني، يا عليم علمني، ويا شافي اشفني، ويا تواب تب علي، ففتني على ربك وتساله .

وتخلق بأسمائه وصفاته ، كن كريماً بأقوالك وأعمالك وأخلاقك، كن متيناً في أقوالك وأعمالك وأخلاقك، واعلم أن المؤمن عزيز، لا يذل نفسه إلا لربه، أما أمام الناس فنظهر العزة والرحمة، والغنى والشجاعة، إظهاراً لعزة الدين، ورحمةً للناس أجمعين: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

فقوة الأعمال نتيجة لقوة الإيمان، فلا بد من الجهد أولاً على تحصيل الإيمان، ثم الجهد على العمل بموجب هذه المعرفة، والتخلق بالأخلاق بموجب تلك المعرفة .

وإذا ضعف إيمان العبد بربه، ونقص توحيده؛ تذلل للناس، وعلق آماله بهم، وتمسكن أمامهم، فسقط من أعينهم، فأذلوله وازدروه؛ لأنه سقط من عين الله قبل أن يسقط من عيونهم: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠ - ٥١].

فجرد رحمة الله نفسك لتوحيده وطاعته وعبادته وحده لا شريك له؛ لأنه وحده الملك، وأنت العبد، وهو الخالق وأنت المخلوق، وهو الغني وأنت الفقير، وهو الرزاق الذي أنت تأكل من رزقه، وتسكن في أرضه، وهو وحده المستحق للعبادة دون سواه، فأطعه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

فهذه المعارف الإلهية العظيمة تسكب الإيمان في القلب، وتملؤه توحيداً وإيماناً ويقيناً،

وَحَبًّا وَتَعْظِيمًا لِرَبِّنَا الْعَظِيمِ جَل جلاله؛ ولهذا اللهُ ﷻ أمر المؤمنين أن يجددوا إيمانهم في كل لحظة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٣٦﴾ [النساء/ ١٣٦].

ومن امتلاء قلبه بالإيمان؛ لم ينطق لسانه إلا بذكر الله وشكره وتكبيره، ولم تتحرك جوارحه إلا بطاعته وعبادته أقوالاً وأعمالاً وأخلاقاً .

فشجرة هذه المعارف العظيمة التوحيد والإيمان الذي هو مقصود الله ﷻ من خلقه :  
﴿فَقَامُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

• والإيمان الكامل له ستة أركان :

أن تؤمن بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسوله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره .

• وإيمان الناس على ثلاث درجات :

إيمان موجود .. وإيمان مطلوب .. وإيمان مفقود .

فلا بد من الجهد بالنظر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية؛ حتى نترقى من الإيمان الموجود إلى الإيمان المفقود، ثم نترقى بهذه المعارف إلى الإيمان المطلوب .

فالإيمان المطلوب هو الذي تحصل معه النصر: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الروم/ ٤٧].

وتحصل به العزة : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ [المنافقون: ٨] .

• فالإيمان ثلاثة أقسام:

إيمان موجود؛ وهذا الإيمان الموجود يجعل الإنسان حسن العلاقة بربه، يذكره ويشكره، ويطيعه ، لكن لا يزره عن معصية الله ﷻ .

فلا بد من الجهد عليه؛ حتى نرقى، بالإيمان المفقود لنضمه إلى الإيمان الموجود؛ ليرتقى إلى الإيمان المطلوب، الذي يحبه الله ﷻ، ولهذا سمانا الله بالمسلمين، وسمانا بالمؤمنين :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوْبِكُمْ ﴾ [١٤]

[الحجرات: ١٤].

وأمرنا سبحانه بتقوية الإيـان وزيادته فقال: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمِنُوا ءَأَمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُوْلِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيْدًا ﴾ [١٣٦] ﴿ [النساء: ١٣٦].

والله ﷻ من حبه لعبده أنه يريد له كمال الإيـان والتقوى، والسعادة في الدنيا، والفوز بالجنة والرضوان ورؤيته يوم القيامة، فإذا عصاه أدبه وأنذره بمصيبة؛ لأنه يحبه ويغار عليه، وإذا تعلق العبد بغير ربه شدد عليه؛ ليعود إلى ربه: ﴿ وَلَنْبَلُوْكُمْ شَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّٰدِقِينَ ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿ [١٥٦] أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ [١٥٧] ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فلنرجع إليه بالإيـان والتقوى، نرجع إليه بالأقوال الحسنة، والأعمال الحسنة، والأخلاق العالية: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيْمِ الْعَلِيْمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [١٣٤] ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فمن حب الله لعبده أنه يريد له؛ ولهذا الله أتم عليه النعم، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، وحبب إليه الإيـان، وأعانه عليه، وقبله منه، فالله يريد من هذا العبد أن يكون له، والشيطان يريد أن يكون له: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَأَمِنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّوْرِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الظُّلُمٰتُ يُخْرِجُوْنَهُم مِّنَ النُّوْرِ إِلَى الظُّلُمٰتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ ﴾ [٢٥٧] ﴿ [البقرة: ٢٥٧].

فالله يريد هذا العبد له، فيغار عليه من المعاصي، وإذا تعلق بغيره فيشدد عليه الأمور، ويأتي عليه بالابتلاءات؛ ليعود إليه: ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [٦١] ﴿ [غافر: ٦١].

فالله ﷻ كريم ورحمن رحيم، يغار عليك إذا تعلق بغيره، فيلهم هذا الغير أن يسيء

إليك لتكرهه ، وتعود إلى ربك سبحانه؛ ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج/ ٦٥].

ومن عرف ربه لم يعبد إلا إياه، ولم يتوكل على أحد سواه؛ لأنه الملك القوي المتين، الذي بيده الملك والملكوت، وبيده عالم الغيب والشهادة، فتوكل عليه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن/ ١٣].

والله هو القوي المتين، إذا وهبك القوة فاستعملها في طاعته، ونفع عباده، وجهاد أعدائه، واقربها بالرحمة مع أوليائه: ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِّنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

واقرن القوة بالشدة على أعداء الله ورسوله والمؤمنين: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣].

والله ﷻ قوي متين، أعطى عباده ما شاء من أنواع القوة البدنية، القوة الروحية، والقوة الفكرية، والقوة العقلية، والقوة الكسبية، والقوة المالية، قوة الجاه والرئاسة، فيجب على العبد أن يشكر هذه النعم من ربه المتين، ويستعمل ما آتاه الله من قوة في طاعة الله، ونفع خلقه، كما فعل النبي ﷺ وأصحابه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال ﷻ: ﴿ كُونُوا رَبَّيِّنَ مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِنْدَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فمن أراد أن يكون قويا متينا فليعتصم بالحق، وليقبل بالحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، وليجاهد في سبيل الله، ونشر دينه: ﴿ وَمَنْ يَعْنِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران/ ١٠١].

هو سبحانه القوي المتين في بطشه وانتقامه، فلا يقف لقوته أحد من خلقه، فتوكل عليه؛ فإنه قوي متين شديد العقاب: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [٢] ﴿ وَبِرزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

فهذه من ثمرات هذا الاسم العظيم، إذا عرفنا أن ربنا قوي متين، تعبدنا الله بخشيته، والخوف منه، والخشوع له، والخضوع له، وعبادته، وكثرة حمده وتمجيده، والثناء عليه. لأنه قوي متين آمن به وبملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، ونعمل بالأعمال الانفرادية، والأعمال الاجتماعية، ونجاهد في الله حق جهاده؛ لأننا ورثة النبي ﷺ في أمته إلى يوم القيامة: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

فلنكن أقوياء في جميع أعمالنا، ونؤدِّي هذه الأعمال بقوة، وننشر هذا الخير الذي أعطانا الله ﷻ في العالم، فكما أمر الله الشمس بالإنارة في العالم كله، فنحن كذلك علينا نشر الهداية في العالم كله؛ فربنا حق، وديننا متين، فعلينا أن ننشر هذه الأوامر في العالم؛ ليتزين العالم كله بهذه الأوامر الملكية من ربنا ﷻ: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذُكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨]. اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشهاتة الأعداء. ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصفات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

القهار.. القاهر

# موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

## اسم الله القهار.. القاهر

الله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، وقد أمرنا بتعلم أسماءه، وصفاته وأفعاله؛ لنصل بذلك إلى حبه، وتكبيره، وتعظيمه، وتوحيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

والله ﷻ أظهر أسماءه وصفاته في كونه العظيم، وفي كتابه الكريم.

الله ﷻ أظهر أسماءه وصفاته في كونه العظيم المنظور، وفي كتابه الكريم، وأثنى على نفسه بهذه الأسماء؛ لهذا لا بد من معرفة المعبود قبل العبادة، ومعرفة الأمر قبل معرفة أمره؛ ومعرفة الحكيم قبل معرفة أحكامه حتى يتم التعبد له بأسمائه وصفاته، وفهم معانيها، وحفظها، وإحصاؤها، والتعبد لله بموجبها: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

فهذا القلب أحوج ما يكون إلى معرفة ربه الذي خلقه، ومعرفة الهادي الذي هداه، ومعرفة الذي خلق السموات والأرض، ومعرفة من له ملك السموات والأرض، ومعرفة الملك الحق المبين، الذي أنا أسكن في ملكه، وأكل من رزقه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأسماء الله الحسنى هي أسماء جلال، وأسماء جمال، ولا بد لنا لتسهيل معرفة الأسماء الحسنى أن نعرف معانيها، ثم نتعبد لله ﷻ بها.

• فأسماء الله ﷻ من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:

الأول: الأسماء الحسنى الدالة على ذات الله ووحدانيته.

مثل: الله، الإله، الواحد الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، وأمثالها من الأسماء الحسنى.

فهذه الأسماء تدل على أن الله واحد لا شريك له في ملكه، وخلقه، وأمره، وشرعه جل جلاله؛ فهو الواحد الأحد الذي بيده أمر كل أحد، ولا يحيط به أحد، وهو القادر على كل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، فلا بد أن أعرف الواحد الأحد؛ حتى لا ألتفت إلى أحد سواه: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

هذا القسم الأول، وهو يملأ القلب توحيداً وتعظيماً وإجلالاً للرب الواحد الأحد، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى. الثاني: الأسماء الدالة على الملك، والقدرة، والقوة، والقهر.

مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر، القوي، المقدم والمؤخر وأمثالها: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحٰنَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

فهذه الأسماء تدل على أن الله ﷻ ملك له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

هذا القلب يجب أن يعرف أن الله ﷻ جبار قهر كل قاهر، قوي عزيز في ملكه، مهيمن على كل ما سواه، قاهر لما سواه، هو القاهر لكل قاهر، وكل ما سواه مقهور: ﴿هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

فهذه الأسماء تملأ القلب إيماناً وتوحيداً، وإجلالاً وهيبةً، لربنا ﷻ؛ حتى نذوق طعم الإيمان، ثم نذوق حلاوة الإيمان، ثم نصل إلى حقيقة الإيمان؛ فالإيمان الحقيقي يثمر العمل الحقيقي، الذي يثمر الثواب الحقيقي أمن وهداية في الدنيا، وخلافة في الأرض، وجنة عرضها السموات والأرض، ورضوان الرب ﷻ يوم القيامة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجٰتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق، والإيجاد، والإمداد.

لا بد للإنسان أن يعرف أن ربه الخالق، الباري، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، وأمثالها من الأسماء التي تدل على أن الله ﷻ ملك غني، يخلق ما يشاء، ويصور ما يشاء، ويرزق من يشاء، ويهب من يشاء: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

الرابع: الأسماء الدالة على العلم، والإحاطة، والحفظ والرقابة.

فلا بد أن أعلم أن ربي سميع بصير، عليم خبير، رقيب شهيد، حفيظ محيط؛ وأمثالها، فهذه الأسماء: السميع، البصير، العليم، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وأمثالها؛ معرفة هذه الأسماء تجعل التبعيد لله ﷻ كأن العبد يشاهد ربه، ويراه ربه.

فالله سميع لي إن تكلمت، بصير بي إن تحركت، عليم بما في قلبي إن أسررت، خبير بما في ضميري إن سكت، رقيب علي على حركاتي وسكناتي، شهيد على قلبي وعلى جوارحي، حفيظ لي من كل عدو، محيط بأقوالي وأعمالي وأخلاقي.

فالقلب إذا عرف هذه الأمور؛ ازداد حباً لله، وتعظيماً له، وهيبته له، وإجلالاً له، وخوفاً منه، وحياء منه: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ [الملك: ١٣ - ١٤].

الخامس: الأسماء الدالة على الرفق، والرحمة، والمغفرة، والعفو، والقرب.

مثل: الرحمن، الرحيم، الرب، الرؤوف، الحلیم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، النصير، القريب، المجيب، العفو، الغفور، والتواب، وأمثالها: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ اللَّهُ وَحْدَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٣٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

فهذه الأسماء التي تدل على الرفق والرحمة والمغفرة تجذب العبد إلى الانكسار بين يدي ربه وإلى رجاء رحمته وعفوه ومغفرته: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ بِالنَّكَاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهو الحلیم على من عصاه، يمهله حتى يتوب، وهو الحميد المحمود في العالم العلوي والعالم السفلي بكثرة إنعامه، وهو الشكور الذي يشكر العبد، ويشكر عمله، ويعطيه على الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، وأضعاف كثيرة، وهو الودود الذي يعطي عباده ويتودد إلى عباده بالنعم؛ ليجبوه، فيطيعوه، فيسعدوا في الدنيا والآخرة، وهو الولي الذي يتولاهم، والنصير الذي ينصرهم: ﴿نَحْنُ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

السادس: الأسماء الدالة على الهداية والبيان.

مثل: الهادي؛ فلا هداية إلا من الهادي، ولا رزق إلا من الرازق، ولا بيان إلا من المبين، فالهداية بيد الهادي، ونحن نبين الهدى، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٦﴾ [النور: ٤٦].  
هو الوكيل على هداية الخلق، الوكيل على أرزاقهم، الوكيل على حفظهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٢﴾ [هود: ١٢].

فحمد الله ﷻ أن صار هو الوكيل علينا، والوكيل لنا، والهادي لنا، وهو المبين لنا، فهو الهادي، وهو المبين، الذي ظهر لخلقه حتى كان أبين من كل بين، وهو المبين الذي أظهر الحق من الباطل، وأظهر الخير من الشر، وأظهر الأخلاق العالية من الأخلاق السافلة. وهو الوكيل الذي يتوكل عليه خلقه، فيجب أن نعتمد على الوكيل في جميع حوائجنا. وهو الكفيل بأرزاقنا، وبكل ما نحتاج إليه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن: ١٣].

فهذه الأسماء الحسنى يجب علينا أن نفهمها بهذه الصورة، بهذه الأقسام الستة، حتى يسهل علينا التبعث لله ﷻ بها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وأسماء الله الحسنى كلها أسماء جلال، وأسماء الجمال، والقلب يحتاج إلى معرفة أسماء الجلال وأسماء الجمال.

فأسماء الجلال تولد الهيبة من الله، والخوف منه، والخشية له، والكبر له، وأسماء الجمال تثمر الحب له، والتضرع إليه، والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه؛ لعظيم نعمه، وإحسانه وأفضاله.

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، ومن أسمائه الحسنى: القاهر والقهار، وهي من أسماء الجلال، فهو القاهر فوق عباده، العالي فوق مخلوقاته، القاهر القوي الغالب لكل ما سواه، القاهر لكل قاهر: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٦٥﴾ [ص: ٦٥].

وهو سبحانه الواحد القهار الذي قهر جميع الكائنات، وذلت لقهرة وسلطانه وحكمه جميع المخلوقات، فكل مخلوق في العالم العلوي والعالم السفلي مقهور مزمووم بزمام

الملك، الواحد القهار، خارج عن مراده إلى مراد الخالق له، القاهر له جل جلاله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾ [هود: ٥٦].

قهر العالم العلوي والعالم السفلي على ما أراد، قهر السموات والأرض أن تزولا، وقهر السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وقهر الجهاد بأنواعه على ما أراد، وقهر النبات بأنواعه على ما أراد، شكلاً، وحجماً، ولوناً، وقدرة، وقهر الحيوان بأنواعه على ما أراد، وقهر الكواكب والنجوم على ما أراد وقهر الليل بالنهار، وقهر النهار بالليل، وقهر الشمس والقمر: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٥﴾ [الزمر/ ٤-٥].

هو سبحانه القهار الذي قهر هذا التراب فجعل منه إنساناً يفكر ويعقل، ويسمع ويبصر، ويطيع ويعصي، ويضحك ويبكي، ويتحرك ويسكن، ويتكلم ويسكت، ويأكل ويشرب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّظْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٦].

فلا إله إلا الله مع أعظمه! وما أعظم خلقه؛ خلق هذا الإنسان من تراب، فصار كما نرى وكما نعيش، هو القهار الذي لا يقهر، القهار القاهر لكل ما سواه.

هو القهار الذي جعل المعدوم موجوداً؛ فجميع هذه المخلوقات كانت معدومة؛ فأوجدها الله، هو بديع السموات والأرض، هو القهار الذي جعل المعدوم موجوداً، وجعل الموجود باقياً، وجعل الحي ميتاً، وجعل الميت حياً: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٦﴾ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

فسبحانه لا إله غيره ولا رب سواه، كم من الأرزاق التي خلقها، والنعمة التي أوجدها، وكم قوته وقدرته في إيصال هذه الأرزاق إلى المرزوقين في العالم العلوي وفي العالم السفلي

في البر وفي البحر: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

هو الواحد القهار الذي خلق جميع المخلوقات، وقهرها على ما أراد، وقهر بعضها ببعض، وقهر الرياح بالجبال التي تصدها، وقهر الجبال بالحديد الذي يكسرها، وقهر الحديد بالنار التي تذيبه، وقهر النار بالماء الذي يطفئها، وقهر الماء بالهواء الذي يصرفه، وقهر الهواء بأقطار السماء والأرض التي تحيط به، ثم قهر الكل لأنه وحده هو القاهر لكل قاهر. ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

هو وحده القاهر العلي فوق مخلوقاته: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

الله ﷻ هو القاهر وحده لا شريك له، وقد ورد هذا الاسم في القرآن مرتين في سورة الأنعام في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

أما اسم القهار فقد ورد في القرآن ست مرات، اقترن في جميعها باسم الواحد كما قال سبحانه: ﴿قُلْ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

هو سبحانه القاهر القهار الذي قهر خلقه، بسلطانه وقدرته على ما أراد، القاهر الغالب لما سواه، القادر القاهر الذي يمنع غيره عن بلوغ مراده: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

فهو سبحانه القهار شديد القهر، قوي القهر، عظيم القهر، الذي قهر كل شيء على ما أراد، وقهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر كل شيء على ما أراد جل جلاله شكلاً ولوناً، وقوة وضعفاً، وحركة وسكوناً، ومنفعة ومضرة.

خلق السماء وقهرها على هذا الحجم، وهذا اللون، وقهر النجوم، وقهر الشمس والقمر، على الثبات والسير والإنارة هو الله الواحد القهار، قهر كل شيء على ما أراد، وقهر الجبابرة والطغاة بأنواع العقوبات: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ﴾ [الفيل: ٢] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣] ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥].

هو القهار الذي قهر الخلق كلهم بالموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فلا إله إلا الله: ﴿سُبْحَانَكَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر / ٤].

هو سبحانه القهار الذي لا يستطيع أحد رد تدبيره، ولا الخروج عن تقديره، القاهر الذي لا يُقهر، القاهر الذي له علو القهر فوق جميع عبادته، الذي كل شيء تحت قهره وسلطانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر / ٢٣].

هو سبحانه القهار الغالب لكل ما سواه، له علو القهر باعتبار الكثرة، وباعتبار نوع المقهور، فجميع المخلوقات مقهورة بأمر القاهر الواحد الأحد جل جلاله.

فهو القهار لجميع الطغاة والظلمة مهما كثروا، القهار لكل قوي، مهما بلغت قوته وعظمت، كثير القهر للظلمة والطغاة على مر العصور: ﴿وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

فسبحان من لا يقف لقوته وقهره أحد: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَلَئِكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص / ٥٨].

هو سبحانه القاهر لكل طاغ ومجرم مهما كانت قوته، ومهما كثر عدده، ومهما كثر ماله، كما قال الله ﷻ عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص / ٧٨].

فسبحان العزيز الجبار العظيم بقوة الاقتدار، القهار الغالب لمن ناؤه بمعصيته إياه، فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿يَصْحَبِي السَّجْنُ عَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف / ٣٩].

فحظ العبد من هذا الاسم أن يخاف من ربه، فيقدم على طاعته، ويجتنب معصيته وأن يحبه؛ لأنه هو الذي ساق إليه النعم، وهو الذي هداه إلى الصراط مستقيم، وأن يتعلق به وحده دون سواه؛ لأنه القوي القاهر، وما سواه ضعيف عاجز، وأن يتوكل عليه وحده

مع تمام الثقة في كفايته وعونه؛ لأنه وحده الملك المتفرد بالخلق والأمر، وتصريف أمور الخلق: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن / ١٣].

فمن عرف الواحد القهار حقاً تواضع له بقبول حكمه، وما أنزله من الحق: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [٦٣] قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ [٦٤] وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [٦٥] بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ [٦٦] [الزمر / ٦٢-٦٦].

ومن عرف ربه القاهر، ذل له، وانكسر بين يديه، وتواضع للخلق، ولم يتكبر عليهم، فمعرفة بالقاهر أن يعرف أن فوقه رب قوي قاهر، فيتواضع له ويتواضع لخلقه.

لهذا لا بد من العلم بالله وأسمائه وصفاته؛ حتى يأتي الخضوع والخشوع لله، والحب له، والانكسار بين يديه: ﴿فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [١١] [محمد / ١٩].

ومن عرف القاهر القهار سبحانه؛ استعان به، وامتلأ أمره، وأعد القوة التي يستطيع لقتال أعداء الله ورسوله ودينه وأوليائه، وتوكل على القاهر وحده الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن / ١٣].

وأنت أيها المسلم حظك من هذا الاسم العظيم، أن تقهر نفسك، وتحملها على طاعة الله، والبعد عن معصية الله؛ وأن تقهر عدوك؛ بلزوم طاعة القاهر لكل قاهر: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [١٧] فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ [١٨] وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [١٩] [الحجر / ٩٧-٩٩].

فتوكل على الله، وتتيه، وتمثل أمره، فبيده مقاليد الأمور: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [٢] وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا [٣] [الطلاق / ٢-٣].

وجاهد نفسك بالعمل فيما يرضي مولاك، تفوز بالهداية إلى سبل رضاه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٦٩] [العنكبوت / ٦٩].

فهذه النفس تريد تكميل محبوباتها من الشهوات، والله ﷻ يريد تكميل محبوباته من الأوامر الشرعية امتثالاً للأوامر، واجتناباً للنواهي؛ فلا بد من مجاهدة النفس، وبذل

الجهد، حتى تأتي العبودية الواسعة، وتأتي الأقوال الحسنة، وتأتي الأعمال الصالحة، وتأتي الأخلاق العالية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت / ٦٩].

وتوكل في جميع أمورك على ربك الواحد القهار، الأعلى على كل الخلائق بعلو الذات، وعلو السلطان، وعلو القهر، وعلو القدر، وعلو الشأن: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام / ١٨].

فمن عرف القادر لم يلتفت إلى العاجز، ومن عرف القوي لم يستعن بالضعيف، ومن عرف القهار احتذى بحماه، ومن عرف الغني لم يقف بباب الفقير، ومن عرف الكبير لم يبالي بالصغير: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۗ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

وحظ العبد من هذا الاسم العظيم، أن يخاف من ربه القهار، وأن يحبه، لأنه هو الذي يقهر عنه كل ما يؤذيه وما يضره؛ هو القاهر لأعدائه، ومن يريد الإيقاع به: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُلْقِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

فسبحان من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وله الحمد أن عرفنا بأسمائه وصفاته، وأعطانا العقول والأسماع والأبصار؛ لتعرف على ربنا من خلال النظر في الملك والملكوت؛ حتى يأتي التعظيم له، والحب له، والتقدير له ويأتي التعبد له بالمحبة والتعظيم والذل: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس / ١٠١].

فسبحان القاهر الذي قهر جميع خلقه بقدرته وسلطانه فعنت له الوجوه جميعاً، وخضعت له الرقاب جميعاً، ودانت له الخلائق جميعاً: ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٤].

هو القهار الذي قهر جميع الخلائق على ما أراد بقوة قهره في الدنيا من جماد، ونبات، وحيوان، وإنس، وجان، وملائكة، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۗ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود / ٥٦].

فستغفر الله من جهلنا بربنا وأسمائه وصفاته، ومن جهلنا بدينه وشرعه، ومن جهلنا بوعدته ووعدته، ومن تقصيرنا في عبادته، وتسيحه وتقديسه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

فهو القاهر لجميع مخلوقاته، قهرهم جميعاً على ما أراد بقوة قهره في الدنيا، وقهرهم  
بالبعث، والحشر، والنشر؛ والحساب ليحكم بينهم بالعدل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ  
عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

ولكل مقهور موعد مع القهار: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ  
الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ  
قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ  
الْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨-٥١].

فسبحان من قهر جميع خلقه بالموت، وقهر الجبابرة بعز سلطانه: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى  
اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر/ ١٦].

هو سبحانه الواحد القهار فلا شريك له، ولا مثل له، ولا معين له، لكمال ذاته وأسمائه  
وصفاته، فاعبده وحده لا شريك له، ولا تلتفت لما سواه، فكل ما سواه مربوب مقهور،  
فلا تتعلق إلا بربك الواحد القهار، امثل أوامره، واجتنب نواهيه، واستغفره من ذنبك،  
واحده على نعمته، ولا تتعلق بأحد سواه: ﴿أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّٰهُ الْوَاحِدُ  
الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف/ ٣٩].

فمن أقر لربه بأنه الواحد القهار وحده لا شريك له، أفردته بالعبادة وحده لا شريك له،  
والعبادة هي طاعة المعبود فيما أمر، ليست العبادة فقط الصلاة والصيام والزكاة والحج  
والأذكار، وتلاوة القرآن؛ بل هي طاعة المعبود فيما أمر، امثالاً واجتناباً، امثال أحكامه  
الشرعية، أمراً ونهياً، فعل الأوامر، واجتناب النواهي، فالله لا يأمر إلا بكل خير، ولا  
ينهى إلا عن كل شر، فالأوامر أغذية، واجتناب النواهي حماية وأدوية: ﴿وَمَا آتَاكُمُ  
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

فمن أقر لربه بأنه الواحد القهار وحده لا شريك له، لم يلتفت لأحد سواه، وأفرد ربه  
بالعبادة وحده لا شريك له: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ  
الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ  
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٣].

وإذا عرفت هذا فلا بد أن يتأثر قلبك، وإذا تأثر القلب؛ استنار بنور الإيمان، وانشرح الصدر لجميع الطاعات، وأنواع العبادات؛ فأقبل على ربه متعبداً خاشعاً بين يدي ربه الواحد القهار؛ بالمحبة والتعظيم والذل له جل جلاله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ۖ ءَإِنَاءَ إِلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر: ٩].

ربنا حي قيوم، قوي قادر، قاهر قهار، ملك، عظيم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يسمع من يتكلم، ويرى من يتحرك، ويعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا يعذب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

إذا عرف القلب ذلك؛ أحب الله وكبره وأطاعه، فتحررت الجوارح بأنواع العبودية، وتحرك اللسان بالذكر والاستغفار، والتحميد والتمجيد لله ﷻ، وتحرك اللسان بالتعريف بالخالق، ودعوة الناس إليه وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ [الأحزاب / ٧٠].

ما هو القول السديد؟ ما هو أعلاه؟ ما هو أعظمه؟ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [فصلت / ٣٣].

هذا أعظم قول يقوله الإنسان، أن أعرف الخلق بالخالق، وأقرب الخلق إلى الخالق، وأعرفهم بأسمائه وصفاته، وعظمة ملكه وسلطانه؛ ليكبروه ويعظموه ويخافوه، وأعرفهم بنعمه وإحسانه، ليحبوه وإذا عظموه وأحبوه أطاعوه وإذا أطاعوه فقد وعدهم على هذه الطاعة بقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب / ٧١].

فلا يليق بالعاقل أن يسوي بين المخلوق المقهور، وبين الله الواحد القهار، ولا يسوي بين التراب وما على التراب، وبين رب الأرباب: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٢﴾ [الأعراف: ١٩٠-١٩٢].

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۗ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام / ١٨].

وقهر القهار جل جلاله مقرون بالحكمة التي تتضمن فعل الصواب في الأفعال والأحكام، وفعل الأحسن والأصلح لعباده، وقهره سبحانه مقرون بالخبرة التي تتضمن العلم المطلق ببواطن الأمور: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

فالقاهر لا يتسلط عليهم، ولا يظلمهم؛ بل يرحمهم، ويكرمهم، ويسوق إليهم ما يصلحهم، ويدفع عنهم ما يضرهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وحتى نشني على ربنا، ونمجده، ونكبره، ونعظمه، ونحبه، ونحمده، ونطيعه، لا بد أن نعرف هذه الأسماء الحسنی، وهذه الصفات العلی، التي تجعل العبد يقف بين يدي ربه معظمًا له، مكبرًا له، حامدًا له، مستغفرًا إياه، متوكلاً عليه.

وإذا علم العبد أن قهر القهار مقرون بالحكمة والخبرة والرحمة سكنت نفسه لما قدره ربه من محبوب ومكروه، وانشرح قلبه للتسليم لأمر ربه الحكيم، الذي لا يضع الشيء إلا في موضعه المناسب: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الذین ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مآبٍ] [الرعد / ٢٨-٢٩].

وهو سبحانه الواحد القهار لما سواه؛ فلا يخرج شيء عن تديره، هو القاهر الذي قهر الماء على السيولة، وقهر الحجارة على الصلابة، وقهر السماء بهذا الحجم واللون، وقهر الأرض بهذا الشكل، وقهر الرياح بقوته وقدرته، وكل شيء خاضع لأمره في ملكه وملكوته، ومسرع إلى إرادته في حياته وموته وفي حركته وسكونه، وفي نفعه وضره: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۚ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر / ٦٧].

غذاء الأبدان بالطعام والشراب، وغذاء العقول بالعلم، وغذاء القلوب بالإيمان، بالتعرف على الله، والتعرف على أسمائه وصفاته وأفعاله في ملكه وملكوته، والتعرف على خزائنه، والتعرف على سلطانه العظيم، والتعرف على شرعه الحكيم، والتعرف على وعده ووعيده.

بهذا يتغذى القلب ويطمئن، فلا يطيع إلا واحداً ولا يعبد إلا واحداً، سبحانه هو الله

الواحد القهار: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

سبحانه تنزيهاً له عما لا يليق بجلاله من صفات النقص والعيب، ومن صفات المخلوق، ومن أن يكون له مثل من مخلوقاته؛ فهو منزّه عن صفات النقص والعيب، وعن المثل والشبيه والمثل، وعن صفات المخلوق مهما عظمت: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى / ١١].

هو الواحد الأحد الذي ليس كمثل أحد، ولم يكن له كفواً أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٠﴾﴾ [المائدة / ١٢٠].

فنحن في هذه الدنيا من الله علينا بالهداية، وأدخلنا جنة المعرفة، لندخل يوم القيامة جنة الآخرة، وجنة المعرفة هي: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد / ١٩].  
جنة المعرفة: هي العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعيدته؛ ومعرفة أحكامه الشرعية، معرفة سلطانه العظيم جل جلاله؛ وعبادة الله بموجب هذه المعرفة.

هذه جنة المعرفة، وهذا هو العلم العالي، وما سوى ذلك كله من العلم السافل.

#### • فالعلم علمان:

علم عال .. و علم سافل.

١- العلم العالي هو الذي جاء به الأنبياء، وهو معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ما للناس بعد القدوم عليه من الوعد بالجنة والوعيد بالنار.

٢- علم سافل، العلوم السافلة ألوان مختلفة، وهي كل ما سوى العلم الإلهي، لأنها علوم أدني، لأنها تربط المخلوق بالمخلوق فقط، أما العلم الإلهي فهو يربط المخلوق بالخالق.  
هو جل جلاله القاهر وحده لا شريك له، وكل ما سواه مقهور مربوب له، وكل ما سوى الله ﷻ مربوب.

## • ففي الكون اثنان:

رب ومربوب .. ملك وعبيد .. قاهر ومقهور، خالق ومخلوق.

فكل ما سوى الله له ضد ومشارك، والله هو الواحد القهار، خلق الرياح وسلط بعضها على بعض، ريح الشمال، وريح الجنوب، والصبا، والدبور، هذه الرياح سلط بعضها على بعض، وخلق المياه وسلط بعضها على بعض، وخلق الحيوانات وسلط بعضها على بعض، فالقوي يقهر الضعيف، والكبير يقهر الصغير.

وخلق الحجارة وسلط عليها الحديد الذي يكسرها، وخلق الحديد وسلط عليه النار التي تذيبه، وخلق النار وسلط عليها الماء الذي يطفئها، وخلق آدم وذريته وسلط عليهم إبليس وذريته، امتحاناً وابتلاءً لهم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وخلق إبليس وذريته وسلط عليهم الملائكة الذين يشردونهم كل مشرد، وخلق سبحانه الحر والبرد، والصيف والشتاء، والليل والنهار، وسلط كلاً منهما على الآخر؛ يذهبه ويقهره، فهو القاهر لكل قاهر في العالم العلوي والعالم السفلي، فالله قاهر وما سواه مقهور، سبحانه هو الله الواحد القهار: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

وإذا عرف المسلم ربه القاهر القهار؛ أورثه ذلك الذل له، والخضوع لأمره، والإكبار له وحده لا شريك له، وأورثه العزة والقوة على الكفار والمشركين باللسان والسنان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج / ٣٨]. وقال النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» أخرجهم مسلم (١).

فمن اتصل بالعزيز فهو عزيز، ومن اتصل بالكبير فهو كبير، ومن اتصل بالغني فهو غني، وإذا عرفت القاهر فلا تقهر شيئاً ولا ضعيفاً ولا يتيماً، وتذكر أن القاهر فوق كل قاهر، فلا تقهر اليتيم: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ [الضحى / ٩]. ولا تقهر السائل: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى / ١٠].

(١) أخرجهم مسلم برقم (١٥٦).

بل كن شفيقاً رحيماً بخلق الله، يرحمك الله ﷻ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران / ١٥٩].

واعلم أيها العبد أن جميع المضار قليلها وكثيرها لا يندفع منها شيء إلا بأمر الله القوي القاهر، وجميع المنافع والخيرات لا يحصل قليلها وكثيرها إلا بأمر الله وحده.

وإذا كانت هذه عظمته وقدرته فتجب عبادته، لجلاله وجماله وإحسانه: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ [الأنعام / ١٧].

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ [الأنعام / ١٨].

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ ﴿١٦﴾ [غافر / ٦٢].

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

• صفات الكمال محصورة في أمرين:

كمال القدرة .. وكمال العلم.

ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢].

وإذا عرفتم ذلك؛ عظمتهم الله، لكمال قدرته، وكمال علمه، وأحبيتموه، لأن ربكم له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فاعبدوه وأطيعوه.

فصفات الكمال مجموعة في أمرين: القدرة والعلم.

فقله جل جلاله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ﴾ [الأنعام / ١٨].

إشارة إلى كمال القدرة، فهو القاهر جل جلاله فوق عباده بذاته، وعلو شأنه.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ [الأنعام / ١٨].

إشارة إلى كمال العلم؛ فلا يضع الشيء إلا في موضعه، فهو موصوف بكمال القدرة والعلم جل جلاله، فلا موصوف بكمال القدرة والعلم إلا الله الواحد القهار؛ فتجب عبادته

وطاعته وحده لا شريك له؛ لأن كل ما سواه محدث ناقص مربوب، ليس بيده شيء، ولم

يكن شيئاً حتى يفعل شيئاً، فكل ما سوى الله مخلوق مربوب مملوك لله الواحد

القهار: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ [يوسف / ٣٩].

والرب قد يكون الهوى، وقد يكون الشهوة، وقد يكون الصنم من حجر، من جماد أو نبات أو شمس أو قمر أو غيرها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت / ٣٧].

وإذا عرف ذلك؛ توجه إلى القوي، وإلى الملك، وإلى العظيم، وإلى الكريم؛ لأن طبيعة النفوس تحب الأقوياء، وتحب الأغنياء، وتحب أهل الجمال، فالله هو الجميل، والله هو القوي، والله هو الكريم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣]. [يونس: ٣].

والله سبحانه هو الواحد القهار؛ فكل ما في ملكه خاضع له، من العرش العظيم إلى أدنى ذرة، من المجرة إلى الذرة، ومن الثرى إلى الثريا، وجميع العوالم ما نعلمه وما لا نعلمه، في العالم العلوي والعالم السفلي، خاضع لأمره، مستجيب لمشيئته، مسرع إلى إرادته؛ لأنه هو القاهر لكل قاهر، وهو الخالق، وهو القاهر فوق كل قاهر: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام / ١٨].

فسبحان الواحد القهار: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران / ٨٣].

وقهره سبحانه لمخلوقاته ليس قهر ظلم وجور؛ بل قهر حكمة وخبرة ورحمة وإحسان: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر / ٢٢].

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة / ١٤٣].

هو القهار الذي قهر جميع مخلوقاته على عبادته، فهي تسبح بحمده في العالم العلوي، والعالم السفلي، هي مسخرة لطاعته، تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته، وتخضع لأمره: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [٤٣] ﴿سُبْحٰنَ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٣ - ٤٤].

فسبحان الواحد القهار الذي تسجد له جميع مخلوقاته، لكمال عظمته وقوته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ

وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُنِ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج / ١٨].

وخلق الله من مخلوقاته ما خيره أن يفعل ما يريد، أو ما يريد ربه، خير هذا الخلق من الإنس والجن، أن يفعل ما يريد هو أو ما يريد ربه؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

جميع المخلوقات مسخرة، جاءت إلى ربها مسخرة لطاعته، اختارت أن تكون مسخرة، تسبح بحمده، وتؤدي الوظيفة، التي أمرت بها، فالشمس تسبح بحمد ربها، وهي تقوم على الوظيفة من الإنارة والحرارة وهي خاضعة لربها ﷻ، فهي محبوبة لنا؛ لأنها مطيعة لربها، مسبحة بحمده، تخرج منها المنافع لغيرها، ونحب السحب لأنها تنزل منها المياه.

وكذلك الأرض تسبح بحمد ربها، ويصب عليها الماء فتنبت من كل زوج بهيج؛ فهي تسبح بحمد ربها، وتخضع لأمره؛ سواءً بذر البذرة مؤمنٌ أو كافر، وكل من تخرج منه المنافع لغيره محبوب؛ لأنه تخرج منه المنافع، فنحن نحب الأنبياء والرسل؛ لأنهم تخرج منهم المنافع، ونكره الشياطين، لأنهم تخرج منهم المضار والشرور.

فالله ﷻ خلق من مخلوقاته ما خيره أن يفعل ما يريد هو، أو ما يريد ربه، وهو الجن والإنس.

فالذي يأتي بالطاعة يأخذ أجرها، والذي يأتي بالمعصية يأخذ عقوبتها، والله ﷻ لا يتعزز بقوة القوي، ولا يستغني بطاعة المطيع، ولا يتضرر بمعصية العاصي؛ فالله غني حميد.

فالله ﷻ بين الحق، وأعطى الأسماع والعقول والأبصار، وبعد ذلك قال: ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَن شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [الإنسان / ٢٩].

فالله ﷻ هو الواحد القهار: ﴿ فَلَهُ ۥ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج / ٣٤].

نسلم قلوبنا وجوارحنا لربنا، نسلم القلب لله، ونسلم الجوارح لله؛ ليسلمنا يوم القيامة جنة عرضها السموات والأرض، ونكون بالقرب منه: ﴿ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة / ١١٢].

وهو سبحانه الواحد الأحد، القاهر القهار، الملك الحق، الذي أسلم له جميع من في ملكه وملكوته، أسلم له أطاعه، وخضع لأمره: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّٰهِ يَبْغُونَ وَلَهُ ۥ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران / ٨٣].

أسلم له خلقاً، وتديراً، وحياءً، وموتاً، وإذعاناً، وقهراً.

فنحن خاضعون لأمره جل جلاله، إيجاباً وشكلاً ولوناً وحجماً، فالرزق منه جل جلاله، والحياء منه، فيده خلقنا، وحياتنا، وأرزاقنا، وبقاؤنا وفناؤنا، لأنه هو الواحد القهار الذي يفعل ما يشاء، ولا يمتنع عليه شيء في ملكه، فله جل جلاله أسماء الجلال، وأسماء الجمال، واسم القهار من أسماء الجلال، ومعرفة القهار تورث الخشية لله، والهيبة منه، والحياء منه، والتعظيم له، وكمال الطاعة له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فتتعرف على ربنا، وتتعرف على أسمائه وصفاته؛ لتأتي الخشية في قلوبنا، وتنقاد جوارحنا لعبادته، وتنطق ألسنتنا بذكره؛ فالعلم قبل العمل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وهذا يدلنا على أن ثمرة العلم ليس العمل فقط إنما الخشية، فالعمل غير المقرون بالخشية لا قيمة له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].  
المنافقون يعملون، بل يصلون ست صلوات، الصلوات الخمس مع صلاة الوتر؛ ولكن لا قيمة لأعمالهم؛ لأنها غير مقرونة بالخشية، غير مقرونة بالإيمان: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون/ ١-٢].

فلا إله إلا الله، ما أعظم غذاء القلوب، وما أعظم تمجيد ربنا ﷻ، وذكر أسمائه، وصفاته، وأفعاله فالقلب إذا عرف ذلك؛ توجه إلى ربه مستغفراً له، حامداً له، مكبراً له، معظماً له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ مَوْتَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والله ﷻ هو القهار الذي أسكن الروح الطيبة في الجسم الكثيف، القاهر الذي قهر جميع الأحياء بالموت: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة/ ٨].

هو القهار الذي أذل الجبارة والأكاسرة بالخوف، والرعب، والأمراض، والمصائب، والتدمير: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْفِ الْأُمعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد/ ٣١].

هو القهار الذي يدمر من أصر على كفره، وأفسد في أرضه، ولكن بعد إنذاره.  
 كم دمر الله من الأقوام التي كذبت الرسل، وكفرت بالله ﷻ، من قوم نوح، وقوم عاد،  
 وقوم صالح، وقوم لوط، وفرعون وقومه، وغير ذلك من الأمم التي كذبت الرسل  
 وأصرت على الكفر: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ  
 شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

هذا فعل الواحد القهار؛ إذا أطيع أكرم، وإذا عصي انتقم، يمهل ولكنه لا يهمل: ﴿فَكُلًّا  
 أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ  
 يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت / ٤٠].

الله ﷻ هو القهار، الذي قهر جميع الأحياء بالموت، ثم قهرهم مرة أخرى بالبعث بعد  
 الموت، والحساب والثواب والعقاب: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [٣٠] ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ  
 رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر / ٣١].

فسبحان من قهر خلقه بالرجوع بعد الموت إليه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [٢٥] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا  
 حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

هو سبحانه القاهر القهار، الذي قهر العقول عن الوصول إلى كنه ذاته؛ وقهر الأبصار أن  
 تدركه، وقهر النفوس أن تحيط بكمال ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وحقائق  
 مخلوقاته: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
 وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣].  
 [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

والتوحيد والقهر متلازمان، وهما واجبان لله وحده لا شريك له؛ فالواحد لا يكون إلا  
 قهاراً، والقهار لا يكون إلا واحداً: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر / ٤].  
 والله ﷻ خلق فوق كل مخلوق مخلوقاً آخر، أعلى منه، يقهره ويتحكم به حتى ينتهي القهر  
 الكامل لله الواحد القهار القاهر لكل قاهر: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ  
 الْقَهَّارُ﴾ [الزمر / ٤].

فالذي قهر جميع المخلوقات على ما أراد هو الله الواحد القهار، قهر جميع الثمار على شكل  
 معين، بحجم معين، بطعم معين، قهر السماء، قهر الأرض، قهر الجبال، قهر البحار أن

تفيض على الأرض، فالذي يقهر جميع المخلوقات على ما أراد هو الله الواحد القهار لا شريك له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، كما كان قاهراً وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص / ٦٥-٦٦].

فإذا عرفتم ذلك فاعبدوه، وأطيعوه؛ لأن هو الرب الواحد القهار: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٦].

واعلم وفقك الله لحسن معرفته أن كل فعل من الأفعال إنما يكون عن قدرة، وكل قدرة إنما تكون عن قوة، وكل قوة إنما تكون عن قهر، وبقدر قوة القهر تكون سرعة استجابة وطاعة المقهور له: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج / ١٨].

هو سبحانه الواحد القهار، القادر على كل شيء، ينجي بأسباب الهلاك، كما أنجى إبراهيم عليه السلام من النار، ويهلك بأسباب النجاة، كما أهلك فرعون مع ملكه، وقارون مع ماله، ويعز بأسباب الذلة، ويذل بأسباب العزة، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لماذا؟ لأنه هو الله الواحد القهار الذي لا يعجزه شيء، ولكن قهره عن حكمة ورحمة وإحسان، لا عن ظلم وجور: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء / ٤٠].

والله وحده هو القوي القادر، القاهر القهار، ذو الملكوت والجبروت، وذو العلو والعظمة، وذو العزة والكبرياء، الذي قهر جميع المخلوقات، وقهر كل شيء في ملكه العظيم، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا إله غيره: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

الله وحده هو القهار الذي قهر كل من في الكون بأسائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

وإذا عرفتم ذلك فكبروه، وعظموه، واعبدوه، وأطيعوا رسله، تناولوا ثوابه، لأنه هو الرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم / ٢٧].

فسبحانه ما أعظم ملكه، وما أعظم سلطانه، وما أعظم خلقه.

وسبحان القاهر الذي جميع ما في العالم العلوي والعالم السفلي تحت قهره، والكل عبيده والكل يسبح بحمده، والكل يشهد بتوحيده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء / ٤٤].

ومقصودنا من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ هو معرفة الحق جل جلاله، ومعرفة الخير الذي نزل من عنده، للعمل به، ونشره في العالم: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وإذا عرف الناس بسلعمهم، ومصنوعاتهم؛ فعلينا أن نعرف بربنا في المشارق والمغرب، وفي كل بقعة في الأرض، وفي كل زمان، وفي كل مكان: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قل لكل الناس: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾ [الإخلاص / ١-٤].

هو سبحانه الملك الحق القاهر لكل قاهر، القاصم لكل جبار، الذي بيده مقاليد الأمور، وتدبير الأنفس والدهور: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود / ٥٦].

هو جل جلاله الملك الواحد القهار، الذي قهر جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي على ما أراد، القهار الذي خضعت لعظمته الرقاب، وذلت لعزته الجبابرة، وقهر بقوته كل مخلوق، وعنت له الوجوه، وأذعنت جميع الخلائق لعظمة جلاله، وعز كبريائه، وخضعت لقهره وحكمه وسلطانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ ۝ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل / ٤٩-٥٠].

[النحل / ٤٩-٥٠].

فسبحان الإله الحق القاهر لكل ما سواه، وكل ما سواه عبد مخلوق مملوك له، مقهور

بحكمه وإرادته: ﴿وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَأَمَلَيْكَهُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد / ١٣].

هو الله الواحد القهار الذي له الملك كله، وله الدين كله، ومنه الإحسان كله، وبيده الخير كله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ الْإِنْسَانَ إِلَّا نُفُوسًا مُرْسَلًا وَمَنْ يَعْصِ أَمْرًا مِنْ أَمْرِي فَلَا تَبْدُلُ بِهِ أُمَّتِي وَلَا يَجِدُ أَهْلًا يُحِبُّ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُفُّ عَنْكُمْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل / ٥١-٥٣].

هو القهار الذي قهر بقوته كل ما سواه على ما أراد، في أي وقت شاء جل جلاله. خلق المخلوقات، وقدر الآجال، وقسم الأرزاق، وقدر الأحجام، والأشكال، والألوان، وقدر الأوقات والأنفاس، وقدر الأقوال والأعمال، وقدر الزمان، وقدر المكان، وقدر الثواب، وقدر العقاب، وقدر كل شيء: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر / ٤٩-٥٣].

فسبحان من قهر الليل بالنهار، وقهر النهار بالليل، وقهر الأعلى بالأعلى، وقهر الأسفل بالأعلى، وقهر المرض بالعافية، وقهر الصحة بالمرض، وقهر الحر بالبرد، وقهر البرد بالحر، وقهر الحي بالموت، وقهر أعداءه بأوليائه، وقهر كل مخلوق عن إرادته، إلى إتمام مراده هو جل جلاله؛ لأنه هو الواحد القهار: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام / ١٧-١٨].

ولا إله إلا الله، الواحد القهار القاهر فوق عباده، الذي قهر جميع من في ملكه وملكوته، الظاهر والباطن، والشاهد والغائب، والكبير والصغير، والأول، والآخر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر / ٢٣].

وسبحان الواحد القهار الذي جميع مخلوقاته مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره، وشاهدة بوحدانيته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمُ الْغُودُ وَالْأَصَالُ﴾ [الرعد: ١٥].

وسبحان القاهر، الذي قهر نفوس أوليائه، وحبسها على طاعته، القهار الذي قهر أوليائه

بجلاله، وقهرهم بجماله وإحسانه؛ فعظموه وكبروه وعبدوه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر / ١٧-١٨].

هو سبحانه الملك القادر القاهر، الذي يرفع كل مؤمن، ويعززه ويكرمه، ويخفض كل جبار، ويهينه ويضعه: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة / ٦-١١].

هو العليم بمن يستحق الرفع فيرفعه، العليم بمن يستحق الخفض فيخفضه، يرفع المؤمن بطاعة الله، ويخفض الكافر بمعصية الله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة / ١١].

هو القاهر الذي يخفض بالإذلال والصغار كل من تعاضم، وتكبر، وطغى وتجبر، وشمخ بأنفه واستكبر: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام / ١٨].

فسبحان القادر القاهر الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، يرفع من أطاعه، وخفض من عصاه، ورفع أهل الحق، وخفض أهل الباطل: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران / ١٠٦-١٠٧].

هو جل جلاله القاهر الذي أذل من عصاه، القهار الذي يخفض الكفار بالصغار، ويخفض أعداءه بالإبعاد والهم والغم، ويخفض الطغاة بالسقوط، ويخفض كل خارج عن شريعته مهما كان غنياً بالمال أو عزيزاً بين الرجال: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد / ٣١].

هو القوي القادر القاهر، الذي رفع السماء بلا عمد، ورفع الغمام فوق الهواء، ورفع الطيور في الفضاء، ورفع الجبال فوق الأرض، ورفع مقام أوليائه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِن غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

والله ﷻ يريد من عباده أن يعرفوه أولاً، ثم يعرفوا أمره ثانياً؛ ثم يعملوا بموجب ذلك ثالثاً: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد / ١٩].

فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعدته ووعدته، هذا هو الفقه الأكبر، وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فلا بد أن أعرف من أعبد، وأعرف أسماءه، وأعرف صفاته؛ حتى أعبد به بما يليق بجلاله، وأسأله حاجاتي؛ لأنه هو مالك الحاجات، وهو قاضي الحاجات جميعاً: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والله ﷻ هو الملك الحق، وأسماءه كلها حسنى، وهي بالغة في الحسن والجمال كماله ومنتهاه، فلا أحسن من أسمائه وصفاته بوجه من الوجوه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

فأسماء الله ﷻ أحسن الأسماء، وصفاته أحسن الصفات، وأقواله أحسن الأقوال، وأفعاله أحسن الأفعال، ومخلوقاته أحسن المخلوقات، وأحكامه أحسن الأحكام، وشرائعه أحسن الشرائع، وكتبه أحسن الكتب، ورسله أحسن الرسل، وأوامره أحسن الأوامر، وثوابه أحسن الثواب: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وأسماء الله ﷻ كلها حسنى؛ لأنها تدل على صفات الكمال والجلال والجمال لله ﷻ؛ فهي أسماء مدح وحمد وثناء، وأسماء تمجيد وتعظيم، وتكبير وإجلال، وأسماء رحمة ولطف وإحسان: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء / ١١٠].

والله جل جلاله لجلاله وجماله، وعظمته وكبريائه، وإحسانه وإنعامه لا يسمى إلا بأحسن الأسماء، ولا يوصف إلا بأحسن الصفات، ولا يحمد إلا بأحسن المحامد، ولا يعبد إلا بأحسن العبادات التي شرعها على لسان رسوله ﷺ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣١٢) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).

وأسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على صفة ذاتية للرب جل جلاله، وهي الصفات الذاتية الدالة على وحدانية الله، والصفة الذاتية هي كل صفة لا تنفك عن الذات، ولا تعلق لها بالمشيئة، فهي ذاتية لله ﷻ لا تنفك عنه أبداً.

ومن هذه الأسماء: الواحد، الأحد، القهار، الحي القيوم، السميع البصير، العليم الخبير، القوي العزيز، العلي الكبير وغيرها من الأسماء الحسنى، هذه أسماء ذاتية لا تنفك عن الرب أبداً: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

الثاني: الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب جل جلاله، والصفة الفعلية هي كل صفة تتعلق بالمشيئة والإرادة، إن شاء الله فعلها، إن أراد فعلها، وإن لم يشأ لم يفعلها.

ومن هذه الأسماء: الخالق، والرزاق، والتواب، والعفو، والغفور، والرحيم، فالخالق يخلق إذا شاء، ويكرم إذا شاء، ويرزق من يشاء، ويتوب على من يشاء، ويرحم من يشاء، ويغفر لمن يشاء: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفتح / ١٤].

الثالث: الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب عما لا يليق بجلاله وعظمته وكبريائه.

ومن هذه الأسماء: القدوس، السلام، السبوح، وأمثالها.

فهذه الأسماء أسماء تنزيه وتقديس للرب جل جلاله عما لا يليق بجلاله من صفات النقص والعيب، وعن صفات المثل والشريك، وعن صفات المخلوقين، فهو سبحانه السلام من كل نقص وعيب وآفة، القدوس المنزه عن جميع النقائص والعيوب، المنزه عن كل ما ينافي صفات كماله وجلاله وجماله، المنزه عن الضد والند والكفؤ والمثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

الرابع: الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة للرب جل جلاله.

ومن هذه الأسماء: العظيم، الحميد، المجيد، الملك، الصمد، وأمثالها.

فالعظيم من له كمال العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه.

والحميد يدل على كثرة الحامدين له، وكثرة حمده، وكثرة النعم التي يحمد عليها. والمجيد يدل على عظمة صفاته، وكثرتها، وسعتها، وعلى عظمة ملكه وسلطانه، وتفرد به بالجلال والجمال والملك وهكذا: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى، وله الأفعال الحميدة، وهذا القلب لا بد أن يعرف هذه الأسماء، ويفهم معانيها، كي يعبد الله ﷻ بمقتضاها، ويتزين بها، فهذه أسماء حسنى، وصفات علا، والله يريد من عباده أن يتصفوا بهذه الصفات، فهو مؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وتواب يحب التوابين: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالله ﷻ هو الواحد القهار، خلق جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي. ومن هذه المخلوقات ما هو مسخر ولا خيار له، وهم عالم الجهاد، والنبات، والحيوان، والملائكة، هؤلاء مسخرون اختاروا أن يكونوا مسخرين، يسبحون بحمد ربهم، ويشهدون بوحدانيته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ [٤٩] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩ - ٥٠].

ومن مخلوقاته ما هو مختار يفعل ما يشاء، وهم الثقلان: الإنس، والجن، هؤلاء اختاروا أن يكونوا مخيرين، يطيعون أو يعصون، يؤمنون أو يكفرون، وهؤلاء الذين أرسل الله إليهم رسله بالحق من عنده، وسوف يحاسبون على اختيارهم: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَرِّوْنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَزَّيْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [١٣٠]. [الأنعام: ١٣٠].

فمن اختار الحق، وأمن بالله، وعمل بشرعه؛ دخل الجنة، ومن اختار الباطل، وعمل به؛ دخل النار: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٣٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨ - ٣٩].  
والله جل جلاله سخر جميع ما في الكون للإنسان، جعله خاضعاً لهذا الإنسان: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان / ٢٠].

وإذا تأملنا في الكون وجدنا فيه الجهاد، والنبات، والحيوان، والإنس، والجن، والملائكة. فالجهاد الذي هو هذا التراب وهذا الماء، وكل ما سوى الحيوان والإنسان والملائكة والجن فهم من عالم الجهاد، فالجهاد مخلوق عظيم، وهو أوسع دائرة تسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته، فهو أوسع دائرة تسبح الله، فكل ذرة في الكون تسبح بحمد ربها الواحد القهار جل جلاله، ولهذا من أسرار تقبيل الحجر الأسود أنه نائب عن عالم الجهاد، فنحن نقبله؛ لأننا نحب كل من يعبد الله، كل من يشهد بوحدانية الله، كل من يسبح بحمد الله ﷻ، وهو يشهد لمن قبله بالتوحيد.

فالجهاد بأنواعه المختلفة في العالم العلوي والعالم السفلي، هذا الجهاد، وهذا العالم الكبير مقهور وخاضع وخادم لمن فوقه من النبات والحيوان والإنسان، فمثلاً عالم الجهاد الذي هو هذا التراب الذي نسير عليه خاضع وخادم لمن فوقه من النبات والحيوان والإنسان، فهو في خدمتها، لا يمتنع على مسلم ولا على كافر، مطيع للنبات، مطيع للحيوان، مطيع للإنسان.

والنبات خاضع وخادم لمن فوقه من الحيوان والإنسان، فالنبات يأكل منه الإنسان، ويأكل منه الحيوان، فهو خاضع وخادم لمن فوقه وأعلى منه درجة وهم عالم الأحياء من الحيوان والإنسان، والحيوان أمم وقبائل مختلفة لا يحصيها إلا الله ﷻ.

والخلائق كلها شاهدة بوحدانية الله، ودالة على جلاله وجماله، ومسبحة بحمده، وخاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

ثم فوق النبات الحيوان خاضع وخادم لما فوقه، وهو الإنسان، مسلماً أو كافراً، فكل مخلوق من هذه المخلوقات يخضع ويطيع من هو أعلى منه، وكذلك الإنسان يجب أن يخضع لربه، الله أخضع له عالم الجهاد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وهو لمن يخضع؟. هذا الإنسان يجب أن يخضع لربه، الذي خلقه، وصوره، ورزقه، وهده، واجتباها،

وكرمه، واصطفاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ  
﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ  
رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

وإذا كان خلق اليد والرجل والسمع والبصر وكل عضو في الإنسان له حكمة؛ فكذلك  
خلق كامل البدن له حكمة وغاية، وهي عبادة الله ﷻ بالخضوع له، وامتنال أوامره  
واجتناب نواهيه، والإنسان إما أن يكون عابداً لله أو عابداً لعبد الله: ﴿أَرَأَيْتُمْ  
مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩].

وعبادة الواحد الأحد تغنيك عن عبادة كل أحد: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ  
﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ  
الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

## التعبد لله عز وجل باسمه القهار.. القاهر

الله ﷻ هو القاهر فوق عباده، وهو القاهر لكل قاهر، وهو القاهر وحده لا شريك له، وهو القاهر لكل ما سواه في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

هو سبحانه القاهر القهار الذي لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء. هو القهار الذي يؤلف بين المتنافرات، ويخرج منها ضدها، فالماء مثلاً مركب من هيدروجين مادة شديدة الاشتعال، ومركب من أكسجين وهي مادة تساعد على الاشتعال، ثم يخرج الله من هذين العنصرين ضدهما وهو الماء، ويجعله الله سبباً للحياة، بينما النار سبب للإهلاك: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

ثم الواحد القهار يقهر الماء، ويعيده إلى ما تركب منه، عند قيام الساعة، كما قال سبحانه: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور/ ٦]. يشتعل ناراً؛ لأنه مركب من نار، من هيدروجين وأكسجين.

وهو سبحانه القاهر القهار الذي أخرج من الماء وما تولد منه، وما تولد فيه، ناراً تشتعل، هو الذي أخرج من الماء وما تولد منه من الأشجار ناراً تشتعل بالنار: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس/ ٨٠].

فسبحان من يقهر الأجسام على ما أراد حجماً ولوناً، وحركةً وسكوناً، جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي مقهورة على حجم معين، ولون معين، وحركة معينة، وعمل معين.

هو القهار الذي قهر خواص الأشياء من الحرارة والبرودة، واللين والشدة، والرطوبة واليبوسة.

هو القهار الذي قهر الماء؛ فجعله سائلاً، وقهر الحجارة فجعلها قاسية، وقهر السماء فاستقلت، وقهر الأرض فاستقرت، وقهر الجبال فرست، وقهر اللسان فتكلم، وقهر الأذن فسمعت، هو الواحد القهار، الذي يخلق الشيء ويخلق الأثر فيه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ

مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ ﴿٣١﴾ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢].

فالله خلق العين، وخلق فيها الأثر وهو النور، وخلق الأذن، وخلق فيها الأثر وهو السمع، وخلق اللسان، وخلق فيه الأثر وهو الكلام، فهو خالق الشيء، وخالق أثره؛ ليؤدي وظيفته على الوجه الذي أَرَادَهُ اللهُ ﷻ منه، فأطاعت جميع المخلوقات ربها جل جلاله، وسجدت لعظمته، وأذعنت لكبريائه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ [الحج: ١٨].

ولهذا جميع المخلوقات المسخرة بأمر الله ﷻ كلها محبوبة؛ لأنها أطاعت الله ﷻ، ولهذا كل من أطاع الله تحبه الفطرة، يحبه المؤمن، تحبه الملائكة، يحبه الله ﷻ، فالمؤمن يحب الملائكة؛ لأنهم يطيعون الله، يحب الرسل، يحب الشمس؛ لأنها تعطي الإنارة، يحب السحب لأنها تنزل المياه، يحب الأرض؛ لأنها تنبت من كل زوج بهيج، فكل مخلوق يسبح بحمد ربه، وتخرج منه المنافع لغيره محبوب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿١٦﴾ [مريم: ٩٦].

والله ﷻ هو الواحد القهار، وكل قهره جميل في جميع مخلوقاته، كل قهر رب العالمين جميل في جميع مخلوقاته؛ فالله خلق الشمس وقهرها على هذا الشكل، وخلق السماء وقهرها على هذا الشكل، وخلق النباتات بأزهارها وثمارها وقهرها على هذه الأشكال المختلفة: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [الأعام: ٩٩].

فما أعظم قدرة القهار التي أظهرها في مخلوقاته: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤﴾ [الرعد: ٤].

فقهر الله ﷻ جميل، ولهذا هو من صفات الجلال من جهة، ومن صفات الجمال من جهة أخرى: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

فكل قهر القهار جميل في جميع مخلوقاته، هو الذي قهر الأسنان أن تزيد، ولو تركها لارتفعت أمتاراً، هو الذي قهر الأشجار إلى هذا العلو، ولو تركها لاستمرت، هو الذي قهر السمع، ولو تركه لأصبح الإنسان يسمع هضم المعدة في بطنه، هو الذي قهر البصر، ولو تركه لرأى الماء الذي هو مركب من حيوانات تتحرك فيه فلم يشربه.

هو القهار الذي قهر الأيدي والأرجل والأصابع على هذا الطول، ولو تركها لطالت، واتعبت صاحبها: ﴿قُلِ اللهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

فالله ﷻ من صفات جماله أنه هو الواحد القهار، وقهره جميل في جميع مخلوقاته؛ فقهره لجميع مخلوقاته العظيمة والكبيرة والصغيرة يولد الخشوع والتعظيم لله، ليس قهراً عن انتقام ولا ظلم: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

وهو القهار الذي قهر بقوته الطغاة والجبابرة، ورد كيدهم في نحورهم.

هو القهار القادر على كل شيء، الذي له الأسماء الحسنی والصفات العلی: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظُنُّهُمْ مُثْقَالاً ذَرَّةً وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٠].

يعطي على العمل القليل الأجر الكبير، ومن عرف القهار الجبار بكت عينه من خشية الله، لما يعرفه من عظمته وكبريائه، وحلمه ولطفه، ورأفته ورحمته بالناس.

من عرف القهار الذي قهر الجبال أن تتحرك، وقهر الماء أن يفيض على الناس، وقهر السماء أن تقع على الأرض، وقهر الأرض أن تميد، وقهر النجوم أن تسقط على الأرض، من عرف القهار الجبار بكت عينه من خشية الله؛ لما يراه من عظمته وجلاله وقوته، ولما يراه من رحمته ولطفه: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

فسبحان ذي الملك والملكوت، وذي العزة والجبروت، كيف يعصى؟! وكم حلمه على من عصاه؟! وكم عطاؤه لمن عصاه؟! لأنه قوي قادر قاهر وكذا هو رحيم حلیم، وأنزل هذا الدين، وجعل أجلاً مسمى، ينتهي فيه الخلق إلى دار الحساب، ودار الجزاء، ويحكم الله ﷻ فيه، وهو أحكم الحاكمين: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فنحن ذرة في مخلوقاته، لنا أوامر كما للشمس أوامر، وللنجوم أوامر وللأرض أوامر،

فكذلك نحن لنا أوامر شرعية من ربنا، نتقرب بها إلى الله، ونكسب بها الأجور، وننال بها المنزلة عند ربنا ﷻ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

فهذه المعاني إذا عرفها العبد، نشط في طاعة الله، وخشع قلبه لربه، وخضعت جوارحه بين يديه، فأدى العبادة بالتعظيم لربه، والحب له، والذل له، ووقف بين يديه مكبراً له، حامداً له، مستغفراً من ذنبه، قانتاً في عبادته: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ۝٩﴾ [الزمر/ ٩].

فالله ﷻ خلق الجن والإنس لعبادته، ولا عبادة إلا بعلم، علم إلهي نتعرف فيه على ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو العلم الأول، ثم علم بأوامره، علم بالأوامر وعلم بالنواهي؛ حتى نتقرب إليه بما يحب، ونجتنب ما يبغض، وعلم بوعدته ووعيدته؛ حتى نعرف ما لنا على الإيثار والطاعات، وبماذا يعاقبنا الله ﷻ به، إذا جاء فينا الكفر والمعاصي.

ولهذا لا بد من العلم، فالعلم يرفع الإنسان: ﴿يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العلمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾ [المجادلة/ ١١].

العلم يميز الإنسان عن غيره، العلم الإلهي يثمر التعلق بالله، والأنس به، والوحشة من غيره، بالعلم الإلهي أقف بين يدي ربي مكبراً له، مستغفراً من ذنوبي، حامداً له، داعياً إلى دينه، معلماً لشرعه، محسناً إلى خلقه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

فمن عرف القهار الجبار بكت عينه من خشية الله، وخشع قلبه من جلاله وعظمته، وأثمرت هذه المعرفة التوبة من جميع المعاصي والذنوب: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَبَكُمْ ۝١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وقال النبي ﷺ: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أخرجه الترمذي (١).

فالعين تبكي من خشية الله، ومن عظمتها، ومما تراه من حلمه ولطفه بعباده، ومما تراه من قوته وعظمتها وعظمة مخلوقاته.

فسبحان الواحد القهار الذي قهر عباده جميعاً بالموت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن/ ٢٦ - ٢٧].

والله خلق الموت؛ ليتبين الحي الذي لا يموت من الحي الذي يموت، فالله هو الحي الذي لا يموت، هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم؛ وكل ما سواه من مخلوقاته يموت ويفنى، ثم يعيده الله مرة ثانية: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧].

فهذا الغذاء غذاء القلوب، غذاء معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، هذا هو أحسن غذاء، وأفضل غذاء، ولا للقلوب إلا هذا الغذاء الإلهي الذي من الله ﷻ به علينا، لتمتلئ قلوبنا بالإيمان، ثم تنطق ألسنتنا بذكره وحمده، ثم تتحرك جوارحنا بطاعته وعبادته، ولهذا الله ﷻ أمرنا بذكره كثيراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١ - ٤٢].

وإذا ذكرتموه بجلاله وجماله ازددتم إيماناً، وازددتم طاعة، واجتنبتم معصيته، وهذا مقصود الله ﷻ من خلقه، أن يعظم، وأن يكبر، وأن يوحد، وإن يعبد وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١ - ١٢].

فننوي هداية البشرية؛ ليكونوا مسلمين، وإذا نوينا هذه النية الكبيرة؛ الله ﷻ يعطينا على قدر النية، ولكن نستمر، بالدعوة إلى الله، فالداعي كالشمس؛ يمشي في العالم، ويحمل النور للبشرية، فالله ﷻ خلقنا ورزقنا وهدانا واشترانا، ثم استعملنا في طاعته فيما يعود علينا بالنفع، في خاصة أنفسنا بالعبادة، وبدعوة غيرنا، هذا باب آخر للتزود، من الخير،

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٦٣٩).

بدعوة غيرنا، وبتعليم غيرنا، وبالإحسان إلى غيرنا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فأهل الكفر والجهل والفقر، هؤلاء محل دعوتنا، لو لم يوجد كافر ما استطعنا أن نقوم بالدعوة، لو لم يوجد جاهل ما استطعنا أن نعلم الناس، لو لم يوجد فقير ما استطعنا أن نتصدق. فالله ﷻ من علينا وجعلنا خير أمة في الدعوة في العبادة، في التعليم، في الأقوال الحسنة، في الأعمال الصالحة، في الأخلاق العالية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

هذه النعمة التي تركها أهل الكتاب شرفنا الله بها، فنحن خير أمة.

الله ﷻ من علينا بهذا الدين، أن نعرف ربنا بأسمائه وصفاته، ونعرف الناس به، نعرفهم بكبريائه، بعظمته؛ ليعظموه ويكبروه جل جلاله، ونعرفهم بنعمه وإحسانه، ليجبوه، ويشكروه وإذا أحبوه، أطاعوه وعبدوه وتقربوا إليه، وإذا عبده أكرمهم في الدنيا بالخلافة والأمن والهداية، وأكرمهم يوم القيامة بجنة عرضها السموات والأرض، وبرضوان رب العالمين: ﴿كُونُوا رَبَّيُنَا بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

هذه الخلائق إذا ماتت تبعث مرة أخرى، فإذا لم يبق أحد من الخلق إلا مات قال القاهر سبحانه للخلائق بعد البعث: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؛ فلا يجب أحد، فيقول سبحانه ويجب نفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارِ﴾ [غافر/ ١٦].

فيا أيها المسلم ويا أيها المسلمة ويا من عرفت ربك القهار، ألم يأن لك أن تحشاه، وتقلع عن معصيته، وتجتهد في طاعته؟ أما أن لك أن تستغفره، وتتوب إليه من معاصيك الظاهرة والباطنة؟ أما أن لك أن تكف عن قهر غيرك؟ وقهر الضعيف واليتيم؟

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسْقُوتُ﴾ [الحديد/ ١٦].

فاقهر نفسك عما يغضب ربك، واقهر شيطانك فلا تطعه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر/ ٦].

والتعبد لله ﷻ باسمه القهار أن تقهر نفسك عن الظلم، وتقهر شهواتك، فلا ترتكب ما حرم الله، وتقهر شيطانك وعدوك في قلبك وبدنك ومالك، وتقهر جوارحك عن تجاوز حدود الله سمعاً وبصراً وأكلاً وشراباً: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧ - ١٨].

فهذه المعرفة بأسماء الله بأسماء، الجلال والجمال تزيد الإيمان، وتثمر اليقين، وتولد حسن التعبد، وحسن القول، وحسن العمل، وحسن الأخلاق، هذه المعرفة هي التي تثمر هذه الثمرات، كالأرض التي تستقبل الماء فتنبت من كل زوج بهيج، كذلك هذه القلوب تستقبل الوحي، تستقبل العلم عن الله ﷻ، فتثمر الإيمان والتقوى والتوكل، وحب الله، وتعظيم الله، وتكبير الله، ثم يأتي عمل الجوارح؛ فينقاد البدن كله لله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

والله ﷻ هو القوي القاهر لكل من أراد محاربة دينه وأوليائه: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۗ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

هو جل جلاله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، القاهر القهار القوي الجبار، له علو القهر مقترناً بعلو الشأن والفوقية، وكمال الرحمة والإحسان؛ فهو ملك قادر قوي قاهر، لكن قوته وقهره مقترنة برحمته وإحسانه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦ - ٣٧].

من يمنع الجبار أن يفعل ما يريد؟ من يمنعه أن يهلك الناس جميعاً؟ لكن حلمه وحكمته ورحمته سبقت غضبه، كم معصية في الأرض؟ كم يعصى الله في العالم؟ كم الخلائق التي تسكن في أرضه، وتأكل من رزقه، وتتعمق بنعمته وتعصيه في ملكه بنعمه؟ ولكنه رؤوف رحيم يمهلهم؛ لعلهم يتوبون: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ

لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأنعام / ٤٣].

وعادة الإنسان أنه يجب القوي، لكن إذا كان هذا القوي ظالماً فلا يحبه، فإن كان قوياً قاهراً ذا أخلاق حسنة؛ أحببناه، هو قوي وقادر، ولكنه يحسن إلى الناس، فهذا محبوب من الخلق، لماذا؟ لأنه جمع بين الجلال وهو القوة، والجمال وهو الإحسان.

فالله ﷻ وله المثل الأعلى قوي قاهر، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فتهابه النفوس لعظمته وجلاله، وعزته وقهره، وتجبه لجمال صفاته؛ ولهذا لا بد أن نعرف صفات الجلال، وصفات الجمال؛ حتى نخاف الله ﷻ ونحب الله ﷻ: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة / ٩٨].

فإذا عرفنا صفات جلاله؛ هبناه، وخفناه، وإذا عرفنا صفات جماله؛ أقبلنا عليه، وأطعناه، وأحببناه.

ومن نظر في أحوال العالم، وتأمل سير الأمم السابقة؛ علم أن في الأرض أقوياء وأنبياء، فالأنبياء ملكوا القلوب، والأقوياء ملكوا الرقاب.

والأنبياء أعطوا وأكرموا، والأقوياء أخذوا وأهانوا، والأنبياء عاشوا للناس، والأقوياء استعبدوا الناس، والأنبياء يمدحون في غيبتهم، والأقوياء يلعنون بسبب ظلمهم:

﴿أَفَمِنْ أَتْبَعِ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [١١٢] هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾ [آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣].

فإرسال الرسل من صفات جماله وإحسانه إلى خلقه، وبطشه بالطغاة والمجرمين من صفات جلاله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف / ١٦٧].

هو سريع العقاب لمن طغى وتجبر، كما فعل بالأمم السابقة، عاد أشد أمم الأرض، ماذا فعل الله ﷻ بعاد؟ فعاد أشد أمم الأرض؛ تفوقت عسكرياً: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء / ١٣٠].

وتفوقت عمرانياً: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء / ١٢٨].

وتفوقت علمياً: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت / ٣٨].

وتفوقت صناعياً: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء / ١٢٩].

فماذا فعل بهم الواحد القهار لما كفروا وكذبوا رسوله هوذا واستكبروا في الأرض؟

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيَقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْأَخِرَةِ أُخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

[أفصلت: ١٥-١٦].

وماذا فعل القهار سبحانه بكل طاغ ومستكبر؟

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ [الفجر / ٦-١٣].

والله ﷻ هو القهار الذي يأخذ من طغى وتجبر جل جلاله: ﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمِينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكِثُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَصَوَّأَ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ ﴾

[الحاقة: ١-١٠].

فلأنبياء يدعون إلى الإيمان والخير والصلاح؛ لأن هذا سبيل السعادة وحده في الدنيا والآخرة: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَّالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة / ٢].

والطغاة والجبابرة يدعون إلى الفساد بأنواعه، وإلى أنواع الإباحية، لماذا يدعون إلى هذه الأمور؟ لأن الفساد بطبيعته يضعف الناس عن أخذ حقوقهم؛ لأنهم راعون لشهواتهم؛ فلا يمكنهم مقاومة عدوهم وقد ركعوا لشهواتهم، وإذا جاء الفساد؛ جاء العقاب: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [الفجر / ١٠-١٣].

بقوته وقدرته وقهره يفعل بأعدائه هكذا، ولا يعجزه شيء: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس / ٨٢].

الله جل جلاله هو القاهر فوق عباده، وهو القاهر لجميع مخلوقاته، فما شاء كان، وما لم

يشأ لا يكون أبداً، إذا أراد موت أحد مات مهما توفرت له أسباب الحياة: ﴿أَيَنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ﴾ [النساء / ٧٨].

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ يُمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون / ١١].

فراق ربنا، ونعلم أنه شهيد علينا، وأنه يسمع ما نقول، وأنه يقضي لنا بكل خير، وأنه يمهلنا جل جلاله حتى نتوب إليه، ولا نقول على الله إلا الحق، ولا نستغني بقوتنا؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله، والأرض لله، والحكم لله؛ فيجب علينا أن نسير في الأرض، وأن نعبد الله في الأرض، ونقيم أمر الله في كل مكان في الأرض.

والأرض مظهر لقهره لجميع مخلوقاته في العالم السفلي، والسماء مظهر لقهره لجميع مخلوقاته في العالم العلوي: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

من الذي يسير هذه الشمس الملتهبة؟ هذه النار المتوهجة، من الذي خلقها؟ ومن الذي يملؤها بهذا النور، وبهذه الحرارة؟ هو الواحد القهار: ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر / ٤].

فنتحیی من ربنا، ونعلم أنه يسمعنا ويرانا، ونذكر نعمه علينا، أعطانا السمع والبصر والعقل، وأمدنا بالنعم وأنزل علينا الكتب، وحبب إلينا الطاعات، وأعاننا عليها، وقبلها منا، وأعطانا على العمل القليل الأجر الكثير، وأعطانا على الحياة القليلة حياةً أبدية في جنة عرضها السموات والأرض: ﴿وَمَا يَكُم مِّن تَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

فجميع الخلائق بيده، يحيي من يشاء، ويميت من يشاء، فالله ﷻ جعل آجالاً محددة وأرزاقاً مقسومة، لجميع مخلوقاته، أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة؛ من الأقوال، والأعمال، والحركات، والصفات، والأرزاق، والعقوبات، وغير ذلك.

فالله ﷻ سمیع بصیر، يرى كل ذرة في ملكه، يرى حجمها ولونها وحركتها، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فإذا أمهل القادر القوي القهار ظالماً من الناس، وأذن له أن يظلم؛ فإنما ينتقم به من ظالم دونه، ويربّي به من عصاه من عباده، يرفع به درجاتهم، ويكفر به سيئاتهم، ثم ينتقم منه، فالله يمهل الظالم، وينتقم بالظالم، ثم ينتقم

منه، فهو لاء الجبارة والطغاة في الماضي والحاضر؛ الله ﷻ يمهلهم ولا يمهلهم، وينتقم بهم، فإنما هم عصي بيد الله، ينتقم بهم، ثم ينتقم منهم، كما انتقم من بني اسرائيل لما تركوا الدين، فسلط عليهم فرعون، ثم انتقم فرعون وجنوده: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

ثم أخذ الله فرعون وجنوده أخذ عزيز مقتدر: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥].

فكل مصيبة تقع سبقتها معصية من البشر: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى / ٣٠].

فالمصائب من النعم الباطنة التي يرد الله بها عباده إليه إذا عرضوا عنه: ﴿ قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَالْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١].

فسبحان الواحد القهار الذي يربي عباده بالسراء والضراء، ليردهم إليه مؤمنين أتقياء: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالنَّسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فهذه المصائب تسبقها معاصي، فلا بد بعد كل معصية من توبة نصوح إلى ربنا ﷻ؛ لأن الله رؤوف بالعباد؛ إذا خرج الناس عن الصراط المستقيم؛ أرسل إليهم عقوبة ومصيبة تردُّهم إليه؛ فلا يجدون حلها عند المخلوقات، فيتوجهون إلى خالق السماء الذي خلقها، فهو الذي خلق النعم والمصائب، وهو وحده الذي يزيدها أو ينقصها أو يرفعها: ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فالمرض يأتي بأمر الله، ويزيد بأمر الله، وينقص بأمر الله، ويرتفع بأمر الله، ولا دخل لأحد في ذلك، لا الطب، ولا الدواء، ولا غيره، ولكننا في دار الأسباب، نفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [٢] ويرزقه من حيث لا

يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ [الطلاق: ٢-٣].

فنأكل الطعام، ونشرب الماء، ونتداوى؛ لأننا في دار الأسباب، وأمرنا بفعل الأسباب، ومن أمرنا بفعل الأسباب هو الله ﷻ، ولكن على طريقة رسوله ﷺ، فلرفع البلاء دواء، هذا الدواء جاء في سنة النبي ﷺ: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧].

فنحن نفعل هذه الأمور تعبدًا لله، وطاعةً له، وإلا الله ﷻ هو الواحد الأحد الذي لا يشاركه أحد في الخلق والأمر والملك، هو الشافي وحده لا شريك له، هو الغني وحده لا شريك له، أحيانًا يعطي بالأسباب، وأحيانًا يعطي بضد الأسباب، وأحيانًا يعطي بدون الأسباب، يعطي بدون الأسباب، لأنه قادر على كل شيء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨٢].

ويعطي بدون الأسباب، كما رزق مريم طعامًا بلا شجر، وابناً بلا ذكر.

ويعطي بضد الأسباب، كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ﷺ.

هو فعال لما يريد، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، ونحن لنا الشرف أن نكون من عبيده ومماليكه؛ لأنه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، المستحق للعبادة وحده لا شريك له: ﴿فَقَرِّءُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

أهذا خير، أم عبادة صنم من شجر، أو حجر، أو إنسان، أو مال أو غيرها؟ إن لم تعبد إلهًا واحدًا؛ فسيجرك الشيطان لتعبد ألف معبود من الهوى، والشهوات، والحجارة، والأصنام، وغيرها مما هو منتشر وموجود في العالم؛ هذه المخلوقات التي خلقها الله كيف يعبدها الإنسان؟! ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ ﴿١١١﴾ [الأعراف: ١٩١].

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

الحمد لله رب العالمين أن من علينا بجنة المعرفة، ويسر لنا مثل هذه المجالس؛ فهذا فضل

منه على المتكلم والسامع، أن نعرف العظيم؛ لنعظمه، ونعظم أوامره، ونتمثل أوامره؛ ثم ننال ثوابه العظيم جل جلاله.

هو سبحانه يريد منا أن نتعرف عليه، فيقول: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ويقول جل جلاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤].

وإذا عرفتم ذلك عظمتومه، وأحببتموه، ثم عبدتموه وأطعتموه، ثم نلتم رضاه في الدنيا والآخرة؛ فلکم السعادة في الدنيا والأمن والخلافة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام / ٨٢].

ولكم الجنة في الآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف / ١٠٧-١٠٨].

فلا إله إلا الله، كم عظمة أسائه وصفاته! هو سبحانه القاهر لما سواه؛ كل ما سواه مقهور، هو القاهر لجميع من في ملكه؛ من الملائكة، والجن، والإنس، والحيوانات، والنباتات، والجادات، والسموات، والأرض، والعرش، والكرسي: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

هم جميعاً في ملكه وملكوته، مقهورون بأمره، وهو الله الواحد القهار: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر / ٦٧].

كم عظمة ملكه! كم عظمة ملكه في العالم العلوي، والعالم السفلي؟ وكم عظمة ملكه

وكرمه يوم القيامة؟ إذا كان يتكرم على كل مؤمن جاء بمثقال ذرة من إيمان مثل هذه الدنيا عشر مرات، يعطي أدنى مسلم في الجنة وما فيهم دنيء، كم عظمة ملكه؟ وكم عظمة قدرته؟ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس / ٨٢].

فسبحان الله ما أعظم خلقه وملكه، هو الذي خلق السموات والأرض، هو الذي خلق ما بين السموات والأرض، هو الذي له ملك السموات والأرض، هو الذي له ما في السموات والأرض، هو الذي له خزائن السموات والأرض، هو الذي له غيب السموات والأرض، هو الذي له جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض.

وأنا عبد من عبيده، ومملوك من مملكه، أكرمني بهذه الأوامر الشرعية؛ لأتقرب إليه، فأكون في الدنيا خليفة في أعلى مقام، وأكون في الآخرة جليسه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

والسكن في ملك عند الملك: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان / ٢٠].  
 كم عظمة هذا الملك! وكم عظمة النعم التي يعيش فيها هذا الإنسان في هذا الملك العظيم! فنحن محبوسون عن هذا، ولكننا في دار العمل، وأعلى العمل هو الدعوة إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت / ٣٣].

أفضل الأعمال الدعوة أم الأعمال؟ فيجب علينا أن نكون في الصف الأول، هو جل جلاله الأول الذي يريدني أن أكون الأول في العبادة، في الدعوة، في التعليم، في الأقوال الحسنة، في الأعمال الصالحة، في الأخلاق العالية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن عرف القهار بأسماؤه وصفاته وأفعاله؛ قهره جماله، وقهره جلاله، وقهرته قوته وعزته، وقهره كرمه ولطفه، وقهرته رحمته، وقهره علمه، فالله يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، فخشع لربه الواحد القهار بقلبه، وخضع له بجوارحه؛ لأنه عرف عظمة أسماؤه وصفاته، وقهرته أفعاله الجميلة، وأفعاله الكبيرة؛ فعرف أن ربه هو ذو الجلال

والإكرام، له صفات الجلال والجمال والكمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) [طه: ٨].

ومن عرف الله حقاً عبده حقاً: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٢٨) [فاطر: ٢٨].

• وقهر الله لعباده نوعان:

قهر أداء.. وقهر منع.

فقهر المنع كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١) [فاطر: ٤١].

هو يمسكها أن تزول، هذا قهر منع، يمنعها أن تزول: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج/ ٦٥].

من الذي قهرها؟ هو الله ﷻ، من الذي منعها؟ هو الله ﷻ، هو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، وهو الذي يمسك الطير الصافات في جو السماء: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَبَقِيضٌ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (١٩) [الملك: ١٩].

فالله القهار قاهر لكل شيء على ما يريد منه، فلا يتعداه، ولا يتأخر عنه.

هو قاهر لكل شيء لما يريده منه، قهر الأرض على الإنبات؛ لأنه يريد منها أن تنبت، وقهر الشمس على الإنارة، وقهر الإنسان على هذا الحجم واللون، فهو قهار لكل شيء على ما يريد منه، فلا يتعداه، ولا يتأخر عنه: ﴿وَأَيُّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخْنَا مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) [يس/ ٣٧-٤٠].

هم يسبحون إظهاراً لقدرة الله وعظمته، وهم يسبحون .. بل كل ذرة في هذه المخلوقات العظيمة تسبح بحمد ربها: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤٣) سُبْحٰنَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) [الإسراء: ٤٣-٤٤].

أما قهر الأداء؛ فالله ﷻ أمد كل مخلوق بطاقة، إذا منعها عنه هلك؛ لأنه القاهر الذي

وهب القوة لكل مخلوق، ودبره بأمره القهري: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ  
الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

فالله ﷻ يعطي القوة لمن يشاء من خلقه كالجبال والرياح والحديد وغيرها، فقهره يسري  
في جميع مخلوقاته؛ لتؤدي وظيفتها في الكون: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
وَكَيْلٌ﴾ [٦٢] له، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فالله ﷻ هو القاهر لجميع المخلوقات شكلاً ولوناً وحجماً وأداءً؛ فكل ما في الكون مسير؛  
إلا الإنس والجن فهم مخيرون في العمل، إن شاءوا آمنوا، وإن شاءوا كفروا، وما سواهم  
مسير مسخر بأمر ربه القهري؛ ليؤدي وظيفته، كما قال سبحانه: ﴿الْمُرْتَاتِ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ،  
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ  
مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ﴾ [الحج/ ١٨].

فجاء التقسيم بالنسبة للناس: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج/ ١٨]؛  
لأنهم مخيرون؛ إن شاءوا آمنوا، وإن شاءوا كفروا: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ  
شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وكل ما وقع في الكون من مكروه ومحجوب متعلق بإرادة الله ومشيئته، فكل شيء أرادته  
الله وقع، وكل شيء وقع أرادته الله وسمح به، وكل ما أرادته الله من محجوب أو مكروه فهو  
مقرون بحكمة الله المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق، فالله ﷻ لا يفعل إلا  
ما فيه خير لعباده: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ  
تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].  
والله سبحانه وتعالى من فضله علينا أن دعانا لمعرفةه بأسمائه وصفاته، وإذا عرفناه  
أحببناه، وكبرناه، وعبدناه، فهذه المعرفة لا بد أن يعقبه التعبد لله ﷻ بموجب هذه  
المعرفة.

فإذا عرفت ربك الواحد القهار جل جلاله، وعرفت عظمة سلطانه، وعظمة قهره،  
وقوة جبروته، وعلمت عظمة غناه، وحسن إكرامه، وسعة رحمته، فماذا يجب عليك؟  
يجب عليك طاعته، وعبادته وحده، ودوام ذكره وشكره، والذل له، وطلب مرضاته،

وابتغاء محابه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا﴾ [النساء/ ١٢٥].

وإذا علمت أن ربك جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ عظمته، وأحبيته، وأقبلت على طاعته، فاحرص على ما ينفعك من الطاعات، وإياك والتسوية! فإنه حجر الشيطان الذي يقتل به الإنسان: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [١١١] يَعْذُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء/ ١١٩-١٢١].

واعلم أن الله ﷻ رحيم بعباده؛ لم يكلفهم إلا وسعهم، وما هو دون طاقتهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].  
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق/ ٧].

وإذا أردت أيها المسلم العزة والقوة فاستعمل قوتك في طاعة الله وفيما يحبه ويرضاه، وتبرأ من الحول والقوة إلى مالكها، واطلب منه المعونة في كل عمل، واسأله الهداية إلى الحق، وفوض أمورك إليه قائلاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

• وكن في كل عمل لربك على ثلاثة عقود:

اعلم أن الله ﷻ يسمعك إن تكلمت، ويراك إن تحركت، ويعلم بما في قلبك إن أضمرت، وأنه يجب أن يقضي حاجتك، وأنه قادر على قضاء حاجتك.  
إذا أردت أن تعمل أي عمل من دعوة، أو من عبادة، أو من دعاء، أو من غيرها، فكن في كل عمل لربك على ثلاثة عقود:

الأول: العزم والجزم عند إرادة تنفيذ المأمور به، وأنه سبيل السعادة والفلاح فقط متبركاً باسم ربك جل جلاله قائلاً: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [العمران/ ١٥٩].

الثاني: طلب المعونة والتوفيق من ربك القوي عند النهوض للعمل، قائلاً بقلبك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥].

﴿إِيَّاكَ﴾ توحيد: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توكل؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله، لا تحول من حال إلى حال إلا بالله ﷻ.

لا يحول الإنسان من حال الأمن إلى حال الخوف، من حال المرض إلى حال العافية، من حال الضعف إلى حال القوة، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا قوة إلا من القوي، ولا رزق إلا من الرازق، ولا علم إلا من العليم، ولا أمن إلا من المؤمن.

فطلب المعونة والتوفيق من الله عند النهوض للعمل قائلاً بقلبك بعد الشاء على ربك العظيم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة / ٥].

الثالث: التبرؤ من الحول والقوة، وترك الدعاوى والدعوى، وأنت تستطيع أن تعمله بنفسك.

لا نقول كما قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص / ٧٨].

ولا نعتد بقوتنا، ولا نقول كما قالت عاد: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

فكل خير ونعمة من الله ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل / ٥٣].

فتبرأ من الحول والقوة، وترك الدعوى، ونسب الفضل كله للرب القوي الغني المالك لجميع مخلوقاته، ونقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ [الفاتحة: ٢-٦].

الفضل منه أن خلقتني، وأطعمني، وهداني؛ فله الحمد جل جلاله؛ لأنه الرحمن الرحيم، الذي رحمته وسعت كل شيء، والمالك ليوم الدين حيث لا ملك لأحد: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿١٦﴾ [الفرقان: ٢٦].

وإذا أنعم الله عليك بالعلم والحكمة، والقوة والقدرة، والجاه والمال؛ فاستعمل كل ذلك في طاعته، وعبادته، والدعوة إليه: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١١١] قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ [الأنعام / ١٦١-١٦٣].

فنستعمل هذه القدرات والطاقات التي أكرمنا الله بها في طاعته وعبادته والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٧٧] [الحج / ٧٧].

وإياك أن تعصي الله بنعمه، أو تذلل غيرك بها وهبه الله لك من نعمه، وفضله، وقوته، فقد كنت قبل ضالاً بلا هدى، وجاهلاً بلا علم، وفقيراً بلا مال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۗ﴾ (٨) ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۙ﴾ (٩) ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۙ﴾ (١٠) ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۗ﴾ (الضحى/ ٦- ١١).

حدث بنعم الله المادية، بنعم الله الروحية، اذكر الله ﷻ في المجالس، ادع إلى الله ﷻ كما كان النبي ﷺ يغشى الناس في مجالسهم وأسواقهم يدعو إلى ربه، ويقرأ عليهم القرآن، وجاهد نفسك على القيام بعبادة الله، والدعوة إليه، والإحسان إلى خلقه.

واقهر نفسك عن الانهك في الشهوات، واقهر عدوك من شياطين الإنس والجن بلزوم ذكر الله وعبادته، ومدافعة الشيطان والاستعاذة بالله من شره: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۗ﴾ (٣٣) ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۗ﴾ (٣٤) ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۗ﴾ (٣٥) ﴿وَإِن يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۗ﴾ (فصلت/ ٣٣- ٣٦).

واعلم أن حظ المؤمن من هذا الاسم الكريم أن يقهر نفسه عن الشهوات المحرمة، ويقهر هواه عن كل ما يضره، ويقهر لسانه عن الغيبة والنميمة، والقيل والقال، والسخرية بالناس ويقهر نفسه عن أكل الحرام، ويقهر جوارحه عن كل ما يغضب الله من المعاصي، والكبائر، والآثام وسوء الظن: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ۗ﴾ (١١) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ۗ﴾ (الحجرات/ ١١- ١٢).

فاستقم رحمك الله كما أمرك الله؛ يرفعك الله، ولا تفعل شيئاً تستحي منه، ولا شيئاً تضطر أن تعتذر منه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۗ﴾ (٧٤) ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ

مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ [طه / ٧٤-٧٦].

وتواضع لربك العظيم القادر القهار، يرفع الله ﷻ مقامك في الدنيا والآخرة: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ [المجادلة / ١١].  
وما تواضع أحد لله إلا رفعه، رفعه في أقواله، وفي أعماله، وفي أخلاقه وفي درجته.

واعلم أنك بكل طاعة لله ﷻ تعز وتعلو، وبكل معصية تذل وتسفل: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ  
صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾  
[الشرح: ١-٤].

ولكل مؤمن نصيب من هذه الرفعة التي خص بها الله نبيه ﷺ بقدر إيمانه وإخلاصه  
وطاعته، واعلم أن الله إذا أحب عبداً أحبه أهل السماء، وأودع في قلوب أهل الأرض  
محبه، ورفع ذكره في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ  
لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿٩٦﴾ [مريم / ٩٦].

فما من أحد من المؤمنين يطيع الله كما أراد، ويخلص له كما يجب، إلا رفع ذكره وأعزه بين  
خلقه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ [المنافقون / ٨].

ومن رفعه الله فيجب عليه أن يشكر ربه على هذه الرفعة، ويستعملها في طاعته بعبادة  
الحق، والإحسان إلى الخلق: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ  
دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٦٥﴾ [الأنعام / ١٦٥].

فإذا عرفنا اسم الرب جل جلاله، وعرفنا أسماء جلاله وجماله وعرفنا أنه الواحد القهار،  
فلنقهر أنفسنا وشهواتنا وجوارحنا إذا تعارضت مع ما يحبه الله، ومع منهج الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ  
طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ  
عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

هذا الإنسان خلقه الله ﷻ، وهدهد واشتراه؛ فلا يحل له أن يصرف ثانياً واحدة على  
الهوى؛ بل يجب أن يسير على الهدى، فإن سار على الهوى، فليستغفر الله، وليتب إلى ربه؛

فإنه هو الغفار جل جلاله: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لِي بِالْهَدَىٰ ۖ وَأَنَا لَكَ لَلَّذِي خَفِيَ﴾ [الأنعام: ٧١].

فالواجب أن أسير على الهدى لا على الهوى، وأقدم الوحي على العقل، وأقدم محبوبات ربي على شهوات نفسي، وأقدم الآخرة على الدنيا، وأقدم الإيثار والأعمال والأخلاق العالية على الأعمال والتقاليد البشرية.

اقهر أيها المسلم ما تراه مصلحة لك إذا كان يضر غيرك، أو لا يرضي ريك، واقهر طموحك إذا كان يؤدي إلى معصية الله أو ظلم الناس: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [١١٣] وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ [هود/ ١١٢-١١٣].

الله جل جلاله هو الواحد القهار الذي خلق السموات السبع، وخلق الأرضين السبع، وقهر الكل على ما أراد، خلق السماء ورفعها فلا تسقط على الأرض إلا بإذنه، كم هذه العظمة! هذه السموات العظيمة نرفع أبصارنا إلى السماء وننظر: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٠١] [يونس/ ١٠١]. خلق السماء آية، ورفعها آية، وإمسакها آية، وإنارتها آية، فانظر إلى الرب الذي خلق السماء ورفعها فلا تسقط على الأرض إلا بإذنه.

وإذا عرفت أنه هو الواحد القهار، فأطعه وكبره، وامثل أمره؛ فجميع مخلوقاته الكبير والصغير والعالي والسافل مقهورة مدعنة لعز جلاله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [٥٦] [هود/ ٥٦].

هو القهار الذي خلق الأرض والسماء وأمسكها أن تزولا وأمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وخلق الأرض وثبتها وأرساها بالجبال، فلا تهتز ولا تميد إلا بإذنه. هو القهار الذي خلق الجبال وقهرها بالحديد، وما من مخلوق إلا وهو مقهور للواحد القهار.

فسبحان من قهر خلقه بكمال قوته، وقهر الأصحاء بالمرض، وقهر الأحياء بالموت، وقهر الظلام بالنور، وقهر الليل بالنهار: ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

واعلم أيها الإنسان أنك إما أن تكون فقيراً لواحد، أو تكون فقيراً لكل واحد «تَعَسَّ عَبْدُ الدَّيْنَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الحَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الحَمِيلَةِ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ» أخرجه البخاري (١).

فافتقر إلى الله، يغنيك بفضلها عما سواه: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر / ١٥].

وقال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» أخرجه أحمد والنسائي (٢).

فلا إله إلا الله، كم عظمة أسمائه الحسنی! واسم الله القهار صفة مدح لله ﷻ؛ لأنه يتضمن جميع صفات الجلال والجمال: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

والقاهر اسم فاعل، فهو القاهر لجميع المخلوقات كلها، القاهر فوق جميع خلقه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام / ١٨]. هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، الخبير بما يصلح أحوال خلقه، وما يصلح به ملكه.

هو سبحانه القهار الذي يقهر كل ظالم وطاغ ومستكبر، مهما طغى وتجبر، ومهما اجتمع الطغاة؛ فلا قاهر لهم إلا قاهر واحد، سبحانه هو الله الواحد القهار: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٦).

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه النسائي برقم (٤٢٥) وهذا لفظه.

فالله الواحد القهار حي قيوم، سميع بصير، يرى ويعلم، فإن لم يهلك الظالمين الطغاة؛ سَيُفْتَنَ الناس إذا أطاعوهم، فلا بد للملك الحق من إهلاكهم، لئلا يفسد الخلق، ويمهل جل جلاله الظالم، لكن لا يتركه.

ففرعون قال الله عنه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص / ٤].

وافترى على الله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات / ٢٤].

وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴿٣٨﴾﴾ [القصص / ٣٨].

فلا بد من عقابه وإهلاكه؛ لفساده وإفساده، وكفره وطغيانه: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٥].

ففرعون جريمته اجتماعية؛ لأنه ادعى الألوهية، والربوبية، فكانت العقوبة عليه، وعلى من اتبعه، بأمر واحد في بحر واحد، في وقت واحد، وقف موسى وقومه، بأمر واحد، ضرب موسى البحر فانفتح، فدخل موسى وقومه، ثم تبعهم بعد ذلك فرعون وقومه، فأنجى الله هؤلاء، وأغرق أولئك.

فالله ﷻ هو الواحد القهار الذي خضعت له جميع المخلوقات، واستجابت لمشيئته، وهي مطيعة له فوراً.

فالله أخرج هؤلاء، لإظهار قدرته في نصر أوليائه، وإهلاك أعدائه: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْأَجْمَعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: ٦١-٦٨].

فقال الله لموسى ﷺ اضرب بعصاك البحر؛ فلما ضربه انفتح اثني عشر طريقاً يبساً، فدخلوا، دخل موسى وقومه، فلما استكملوا خارجين، ودخل فرعون وقومه واستكملوا داخلين؛ أطبق الله البحر، فموسى لما خرج أراد أن يضرب البحر بالعصا، ولكن الله ﷻ قال له: ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الدخان / ٢٤].

فالعصا ليس بيدها شيء، والبحر ليس بيده شيء، الأمر كله لله، فأنت لا تضرب البحر إلا إذا أمرت، فلما ضربه بعد أمر الله له انفتح الطريق، وإلا الله قادر أن يفتح البحر بدون ضرب العصا، فبحر واحد، وبأمر واحد، وفي وقت واحد، أنجى الله موسى وقومه، وأهلك فرعون وقومه، هذه لا إله إلا الله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣].

ثم لما خرج موسى وقومه، أنجاهم الله من عدوهم، الواحد القهار، الذي يقهر الحجارة على ما يريد، ويقهر المياه على ما يريد، ويقهر المخلوقات على ما يريد، استسقى موسى لقومه، حيث هلكوا من العطش في صحراء سيناء، فطلب السقيا من ربه: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

في هذا الحجر خمس معجزات، أنه إذا ضرب بالعصا انفتح، وأنه يخرج منه الماء، والماء أنواع مختلفة لكل سبط من السبط الاثني عشر نوع من الماء لا يشربه غيرهم، ولا يمكن لهم شربه، وله رائحة معينة، وأن هذا الماء ينقل إذا انتهوا من شرب الماء.

• في ضرب البحر بالعصا، وضرب الحجر بالعصا، آيتان عظيمتان:  
الأولى: اضرب البحر بالعصا يخرج حجراً.

والثانية: اضرب الحجر بالعصا يخرج بحراً، انفجر منه اثنتا عشرة عينا؛ وهذا الحجر ينقل معهم حيثما عطشوا ويضرب ثم تنفتح منه هذه العيون؛ فخرج الماء من الحجر، هذه آية، وكمية الماء آية، ورائحة الماء آية، وأنه يخرج وقت الحاجة، وينقل عند الاستغناء عنه، هذه آيات الله ﷻ، أراد أن يظهرها لنا حتى نتيقن عليه، وعلى أسمائه، وصفاته، وأفعاله: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك / ١].

فالله ﷻ له وحده القهر الكلي العام.

واسم الله القهار له معنيان:

أحدها: القهر العام لجميع المخلوقات، قهرها إيجاباً، ونوعاً، وحجماً، ولوناً، وبقاءً وحياءً وموتاً، ونفعاً وضرراً

الثاني: القهر الخاص فالله يمدح نفسه بأنه الواحد القهار، الغالب لمن كفر به وطغى وتجبر، مهما كانت قوته، ومهما كثر عدده؛ كما أهلك قوم نوح بالماء، وقوم عاد بالريح، وقوم لوط بالحجارة، وقوم شعيب بالنار التي أحرقتهم، وهكذا؛ فهذا قهر خاص.

وقهره العام متعلق بجميع مخلوقاته؛ لأنهم ممالئكة يخلقهم على ما يشاء، ويصورهم على ما يشاء، ويقهرهم لوناً وحجماً وكبراً وصغراً على ما يريد: ﴿سُبْحٰنَهُ ۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

والله سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده بقوته وكمال قهره، فهو القهار الذي قهر العدم بالإيجاد والتكوين، وقهر الموجود بالعدم والإفناء، فهو الذي ينقل ما شاء من العدم إلى الوجود، ومن الوجود إلى العدم، ومن الحياة إلى الموت، ومن الموت إلى الحياة: ﴿سُبْحٰنَهُ ۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

وهو سبحانه القهار الذي قهر كل مخلوق بضده، فقهر النور بالظلام، وقهر الظلام بالنور، وقهر الليل بالنهار، وقهر النهار بالليل، وقهر الضعيف بالقوي، وقهر العاجز بالقادر، وقهر الأسفل بالأعلى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَلَكَ ٱلْمَلَائِكَةِ تَوَكَّلْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ وَتَنَزَّعُ ٱلْمَلَائِكَةُ مَعَنَ تَشَآءٍ ۖ وَتُعْزِزُ مَن تَشَآءُ ۖ وَتُذَلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۗ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۗ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].

وحصول القهر من بعض المخلوقات ضد بعض يدل على أن لها رباً مدبراً قادراً قاهراً، ويدل كذلك على عجزها ونقصها، وحاجتها إلى قوي قاهر يهبها القوة والقهر: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الرعد/ ١٦].

هو سبحانه القاهر الذي ألف بين الجسد والروح مع ما بينهما من المنفرة والتضاد؛ فالجسد كثيف، لحم وعظم، فالجسد كثيف ظلماًني سفلي مخلوق من الأرض.

أما الروح فهي لطيفة نورانية علوية؛ لأنها من أمر الله، ثم إن الله سُبْحَانَكَ القاهر جمع بينهما على سبيل القهر والقدرة، وجعل كل واحد منهما مستكملاً بصاحبه، منتفعاً بالآخر، فلا بقاء لأحدهما بدون الآخر.

فإذا مات الإنسان خرجت الروح، والروح لا تسكن إلا في بدن.

ومجموع الإنسان هو الروح والبدن، فما دام الجسد موجوداً بلا روح، فلا يتحرك لشهوة، فإذا نُفِخَت الروح في الجسد؛ تحركت الشهوة، فطلَبَ الطعام والشراب وغير ذلك من الحاجات.

فلا غنى لا بقاء لأحدهما بدون الآخر، فالروح تصون البدن عن العفونة، ما دامت الروح في البدن يصبح حياً فلا يتعفن، فإذا خرجت تعفن الجسد.

والبدن آلة الروح، وسيارة الروح، هو آلة الروح في تحصيل السعادات الدنيوية والأخروية من الصلاة، والذكر، والدعاء، والدعوة، والجهاد في سبيل الله وغيرها من الحاجات: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

فسبحان الواحد القهار، القاهر فوق عباده، القاهر لجميع مخلوقاته، فكل مخلوقاته عاليها وسافلها، وكبيرها وصغيرها، مقهورة بقهر الواحد القهار، خاضعة لأمره، مستجيبة لمشيئته، مسرعة إلى إرادته، مسبحة بحمده، شاهدة بوحدانيته: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء / ٤٤].

هو سبحانه الواحد القهار الذي قهر عنك الهم والغم، وقهر عنك الأعداء والأشرار: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج / ٣٨]. ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح / ٢٤].

فلا إله إلا الله الملك الحق المبين، وسبحان الله عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، هو الله الواحد القهار، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة / ١٢٩].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة / ٢٨٦].

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك. اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأكرمنا ولا تهننا.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ.

اللهم لك الحمد أنت الواحد القهار، ولك الحمد أنت العزيز الجبار، ولك الحمد أنت الغني الحميد، ولك الحمد أنت الحليم الكريم، لا إله إلا أنت، ولا رب سواك.

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك يا قوي يا عزيز.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

[الصافات / ١٨٠-١٨٢].

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

### الباب السابع

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٣١- اسم الله العليم.

التعبد لله عز وجل باسمه الله العليم.

٣٢- اسم الله القدوس.

التعبد لله عز وجل باسمه القدوس.

٣٣- اسم الله السلام.

التعبد لله عز وجل باسمه السلام.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

العليم

## موسوعة أسماء الله الحسنی فی ضوء القرآن والسنة

### اسم الله العليم

الله جل جلاله، هو الملك الحق، الفعال لما يشاء، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی والأفعال الحميدة والمثل الأعلى فی السموات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

وله جل جلاله ملك السموات والأرض، وله ما فی السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

هو عالم الغيب والشهادة، هو العليم بكل شيء، كم ورقة تسقط؟ كم خلق الله من ورقة؟ مختلفة الشكل واللون والطول والعرض؟ من خلق هذه الأوراق؟ وقدر حجمها؟ وأبقاها؟ هو الله جل جلاله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [التوبة: ١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

كل شيء مكتوب، كتبه العليم الذي يعلم بما كان، وما يكون، وما سيكون جل جلاله؛ لأنه هو العليم الخبير: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبُ﴾ [التوبة: ٧٨].

هو وحده العليم الذي أراد منا أن نتعلم ونعرف أسماءه وصفاته، ونعلم أنه العليم وحده، الذي له العلم المطلق، علم العالم العلوي، والعالم السفلي، علم الدنيا، وعلم الآخرة، علم الظاهر، وعلم الباطن.

هو وحده العليم الذي يعلم مثاقيل الجبال، كم جبل في الدنيا؟ وكم فيها من الذرات؟ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

هو العليم الخبير الذي يعلم مثاقيل الجبال، ويعلم مكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، ويعلم عدد ذرات الرمال، ويعلم عدد ورق الأشجار، ويعلم عدد الحبوب والثمار، وما أظلم عليه الليل من المخلوقات، وما أشرق عليه النهار من المخلوقات، ويعلم جميع ما

في السموات وما في الأرض: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر / ٢٢].

لا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، هو العليم بكل شيء في السموات والأرض: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج / ٧٠].

وهو سبحانه العليم الذي يعلم كل شيء علماً مطلقاً شاملاً محيطاً كاملاً، يعلم الظاهر والباطن، ويعلم السر وأخفى، ويعلم الغيب والشهادة، ويعلم كل متحرك وساكن، ويعلم كل ناطق وصامت، ويعلم كل رطب ويابس، ويعلم ما كان وما يكون وما سيكون: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الذرى أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنس من طين] [السجدة / ٦-٧].

وإذا عرفت أنه عالم الغيب والشهادة؛ فاعلم أنك مكشوف أمامه، وأنه يراك؛ فلا تفعل إلا ما يحبه، واحذر أن تفعل ما يسخطه، بصره محيط بكل شيء، وسمعه محيط بكل شيء، وعلمه محيط بكل شيء.

فسبحان العليم بكل شيء، العالم بكل خلق وأمر، علام الغيوب الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

يعلم عدد أهل السماء والأرض جميعاً، السموات ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم أو راعع أو ساجد لله ﷻ، والأرض كم فيها من المخلوقات! ومنهم البشر، ومنهم عالم النبات، وعالم الجماد، وعالم الحيوان، وعالم الجن، وعالم الملائكة، يعلم عدد أهل السماء والأرض، ويعلم عدد الذرات والمجرات، ويعلم عدد الجن.

فسبحانه ما أوسع علمه ورحمته! ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر / ٧].

هو العليم الذي يعلم عدد الجن والإنس، ويعلم عدد الطير والحيوان، ويعلم عدد ذرات التراب، ويعلم عدد الأقوال الحسنة والسيئة، وعدد الأفعال الحسنة والسيئة، وكل سيأتي بقوله وعمله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَانًا لِئُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره] [الزلزلة / ٦-٨].

هو العليم الذي يعلم عدد الأنفاس والآثار، كل يوم يتنفس الإنسان أكثر من أربعة وعشرين ألف نفس، هذا النفس يحتاج إلى حمد؛ لأنه من فضل الله على الإنسان، فلا بد أن يشكره على النعمة، ويستغفره من الذنب: ﴿ وَمَا يَكُومَنَّ نِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُرَا إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

هو الذي يعلم عدد الأنفاس والآثار، كم خطوة خطاها الطير والحيوان والإنسان، ويعلم عدد الأحياء والأموات، يموت من البشر أكثر من نصف مليون إنسان يومياً ويولد مثلهم، كم يموت من الحيوان؟ كم يموت من النبات؟ كم يموت من الطير؟ لا يعلم ذلك إلا الله؛ فسبحان من وسع علمه هذه المخلوقات جميعاً: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٨٦].

وجميعها أمام الله ﷻ كمخلوق واحد، العالم العلوي، والعالم السفلي، أمام الله ﷻ كمخلوق واحد، فهو العليم بكل شيء، الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً: ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [سورة النمل: ٩١] سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَيْلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ﴾ [الرعد/ ٩-١٠].

هو سبحانه العليم الذي يعلم عدد المؤمنين، ويعلم عدد الكافرين، ويعلم من يطيعه، ويعلم من يعصيه، ويعلم المؤمن من المنافق، ويعلم البر من الفاجر، ويعلم الصادق من الكاذب: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

وهو سبحانه العليم الخبير الذي يعلم المفسد من المصلح، ولو كان في صورة مصلح، ويعلم من يستحق الهداية فيهديه، ويعلم من يستحق الضلالة فيضله، ويعلم من يستحق الإكرام فيكرمه، ويعلم من يستحق الإهانة فيهيئه، ويعلم أهل الحق من أهل الباطل، ويعلم أهل الجنة من أهل النار: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة/ ٧].

فسبحان الملك الحق الذي له مع الخلق العظيم، والأمر النافذ، والقهر العام؛ له العلم المطلق الشامل المحيط بكل شيء: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد/ ٤].

يا حسرة على العباد! إن أنفُسهم تقف عريانة أمام بارئها الذي يعلم سرها وجهرها،

وظاهرها وباطنها، ويعلم ما بين يديها وما خلفها، ويعلم أقوالها وأفعالها، ويعلم فجورها وتقواها: ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب / ٥٤].

فسبحان الله وبحمده على عظمته وجلاله وكبريائه، وسعة علمه ورحمته ومغفرته، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، ما أعظم ملكه! وما أوسع علمه! وما أوسع رحمته! وما أوسع مغفرته! ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر / ٧]. هذا دعاء الملائكة.

فحيثما كان خلقه كان علمه، وحيثما كان خلقه كانت رحمته، وحيثما كان خلقه كانت مغفرته، وحيثما كان خلقه كان ملكه؛ فهو الواسع العليم جل جلاله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢]. فجنس المعرفة هي العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فوا أسفاه على الجهل بالله وأسمائه وصفاته، والجهل بدينه وشرعه، والجهل بأنبيائه ورسله، والجهل بثوابه وعقابه! ﴿يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس / ٣٠].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: ١٠٧].

يا حسرة على جهل العباد بربهم، وجهلهم بأسمائه وصفاته، وجهلهم بأوامره: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُنتُمْ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يس: ٣١-٣٢].

قوم نوح، قوم هود، قوم صالح قوم لوط، أقوام مضت: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُنتُمْ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يس / ٣١-٣٢]. محضرون للحساب والجزاء: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية / ٢٥-٢٦].

﴿وَأَيُّهُمْ لَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن تَحْتِهَا أَنْهَارٌ وَغَجْرًا فِيهَا مِن الْعَيْوُنِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ

أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ [يس / ٣٣-٣٥].

هذا كله ضرب للأمثال، الله أنزل الماء من السماء على الأرض، فأنتبت من كل زوج بهيج، كذلك أنزل الوحي على القلوب؛ فأنتبت: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ فَرُوجَهُمْ وَالْحَاظِقَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأنتبت: ﴿التَّابُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّخِيحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأُمُورَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [التوبة / ١١٢].

فهذا الوحي ينبت هذه الصفات التي يحبها الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأَنْفَالُ / ٢-٤].

هذه الشمس تحتاج إلى قوي وإلى عليم يجعل لها مسارًا معينًا، وحرارة معينة، وإنارة معينة: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس / ٣٨-٤٠].

فالعلم والقدرة والحكمة هذه متلازمة، فالله ﷻ لا يضع الشيء إلا في موضعه، وهو قادر على فعل ما يشاء، وهو عليم بكل شيء.

متى تؤوب هذه الأنفس الشاردة إلى ربها؟ ومتى تفر إليه؟ ومتى تستحي منه؟ ومتى توقره وتعظمه؟ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ [نوح / ١٣-٢٠].

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١].

لأن النظر والتدبر يثمر الإيثار، النظر يعرف به الإنسان أن لهذا الخلق خالقاً، ولهذا الصور مصوراً، ولهذا النعم منعماً: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [٦] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْتُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق / ٦-٨].

فإذا عرفت الخالق أنه خلق هذه المخلوقات العظيمة، وأحكمها صنْعاً، وأمسكها بقدرته جل جلاله؛ فاعلم أنك من عبده جعلك خليفه في الأرض، وأمرك بأوامر، هذه الأوامر هي دينه، الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، ليسعدك به في الدنيا والآخرة: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١٥٣] ﴿ الأنعام: ١٥٣.﴾

فما بال هذا الإنسان لجهله يكفر بربه، ويعصي من خلقه، وتثقل عليه الطاعة، وتخف عليه المعصية، ويستحي من الخلق، ولا يستحي من الرب الذي يسمعه ويراه ويبصره؟ ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [١٤] ﴿ العلق: ١٤.﴾

واعلم أن الله وحده لا شريك له هو عالم الغيب والشهادة، والغيب كل ما غاب عن الحواس، فكل ما غاب عن علم الإنسان أو بصره أو سمعه فهو غيب عنا، فإذا وصلناه صار شهادة: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] ﴿ الحشر: ٢٢.﴾

### • والغيب أنواع:

الأول: نوع من الغيب استأثر الله بعلمه؛ كعلم الساعة، وأجل الإنسان، وعلم الروح وغير ذلك، فهذا لا يعلمه إلا الله وحده.

الثاني: نوعٌ أطلع الله عليه بعض أنبيائه؛ كأشراط الساعة، وأحوال اليوم الآخر التي بينها النبي ﷺ في السنة.

### • وهذا الغيب الذي أظهره الله لنبيه ﷺ ثلاثة أنواع:

أحدها: غيب الماضي؛ كأحوال الأمم السابقة التي قصها الله علينا في سورة الأعراف، وفي سورة الأنبياء، وفي سورة هود، ويونس، والشعراء، وغيرها.

الثاني: غيب الحاضر؛ مما أخبر به ووقع في زمن النبي ﷺ من النصر على الأعداء والخلافة في الأرض، وغير ذلك من الأمور التي أخبر بها.

الثالث: غيب المستقبل؛ كأحوال اليوم الآخر، وما سيقع قبله من الأمور، هذه الغيوب كلها الله ﷻ بينها للرسول ﷺ فأخبر بها.

قال الله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٦٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٦٨﴾﴾ [الجن: ٢٦-٢٨].

واعلم أنه كلما ارتقى الإنسان بفكره خاف بعقله، وكلما هبط إلى مستوى البهائم خاف بعينه، فيخاف من الأسد، ويخاف من الثعبان، ويخاف من العقرب أكثر مما يخاف من الله، إذا ارتقى الإنسان بفكره، وتأمل في ملكوت السموات والأرض، في عالم الغيب، وعالم الشهادة، في العالم المنظور، خاف بعقله وعلم أن الذي خلق السموات والأرض ملك عظيم قادر قاهر قوي، فيخاف بعقله، وكلما هبط إلى مستوى البهائم خاف بعينه، فيخاف من المخلوق ولا يخاف من الخالق: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تُتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

من نظر بفكره، وارتقى بفكره، خاف بعقله، وخاف ربه، وكلما هبط إلى مستوى البهائم خاف بعينه، فلا تجده يخاف إلا من النار، وإلا من الأسد، وإلا من الثعبان، وإلا من العقرب، وإلا من السم؛ وهذا خوف طبيعي، لكن المطلوب الخوف من الله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

وإذا عرفت صفات الجلال لله، وعرفت أن هو الملك القادر، القاهر، القوي، العزيز ذو العزة، والجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة؛ هذه ثمر الخوف من الله، وإذا جاء الخوف خاف الإنسان ربه، فامتثل أوامره؛ رغبة في طاعته، واجتنب نواهيه؛ هرباً من ناره وجحيمه: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة: ٩٨].

• واعلم أن الناس صنفان لا ثالث لهما:

فمنهم من يعبد عالم الغيب والشهادة وحده لا شريك له، فهذا الصنف لا خوف عليه؛ لأن الله يسوقه إلى ما ينفعه مما يجله، ويدفع عنه ما يضره مما يجله.

ومنهم من يعبد هواه، ومن عبد هواه اقترن به الشيطان: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء / ٣٨].

وتحلى عنه الرحمن: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

وإذا نسيتك الله فكيف تكون حالك؟ إذا نسيتك في الدنيا كم تفسد وتفسد؟ وإذا نسيتك في الآخرة، فكيف تكون حالك؟ ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء / ٧٢].

فإذا فكر هذا الإنسان الذي يمشي على هواه في أمر من الأمور؛ جعل الله تدميره في تدبيره، كما فعل الله بفرعون حين جمع السحرة لرد رسالة موسى، وكما فعل الله به حين تبع موسى وقومه فأغرقه الله وجنوده في البحر؛ فهو جمع السحرة ليعلو، فسقط من أعين الناس، وجمع جنده ليستأصل موسى ومن معه فآله أغرقه: ﴿فَلَمَّا أَسْفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

فآله عليم بخلقهم، عليم بمن يطيعه، ومن يعصيه، فلا نجعل القلوب محل نظر الله محلاً للصفات السيئة، محلاً للحسد والرياء والنفاق والكبر، ولا نجعل ألسنتنا محلاً للغيبة والنميمة، ولا نجعل جوارحنا تركض وراء الشهوات، لأن الله تعالى يسمع ويرى، وعلیم بالأقوال والأفعال والأعمال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فسبحان العليم الحكيم الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [السجدة / ٦].

وقد ورد اسم الله العليم في القرآن مائة واثنين وخمسين مرة منها قوله سبحانه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة / ١٣٧].

ومنها: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحریم / ٣].  
وأما اسم الله العالم فقد ورد في القرآن خمس عشرة مرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَكُنَّا

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ [الأنبياء / ٨١].

وأضيف في عشر منها إلى الغيب والشهادة كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ [السجدة / ٦].

وأما اسم الله العلام فقد ورد أربع مرات مضافاً إلى الغيوب: ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة / ١٠٩].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة / ٧٨].

وكذا اسم الأعلم: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام / ١٢٤].

﴿وَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت / ١٠].

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

هو سبحانه العليم العالم بكل شيء، ولكمال علمه يعلم ديب الخواطر في القلوب، حيث لا يطلع عليها الملك، يعلم ما يدب في القلوب من الخواطر حيث لا يطلع عليها الملك، ويعلم ما سيكون منها، حيث لا يطلع عليها القلب، العليم بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، العليم بالممكنات والمستحيلات، العليم بما في النور والظلام، العليم بالماضي والحاضر والمستقبل، العليم بعالم الغيب والشهادة، العليم بالعالم العلوي، والعالم السفلي، العليم الذي لا يخفى عليه شيء أبداً: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة / ٧].

هو سبحانه العالم بما كان كله، العليم بما سيكون كله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان / ٣٤].

هو سبحانه العليم الخبير، العليم وحده بظواهر الأشياء؛ العليم وحده ببواطن الأشياء: ﴿يَتْلُوهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات / ١٣].

والعلم والحكمة متضمنان لجميع صفات الكمال؛ فعلم الله يتضمن الحياة ولوازمها، فالله ﷻ هو الحي، وحياته متضمنة لجميع صفات الكمال، من السمع والبصر والقوة والقدرة والجلال والجمال والعظمة والكبرياء: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ

مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فإن علمه متضمن لحياته، ولوازم كمالها من القوة، والقدرة، والسمع، والبصر، والغنى والحكمة، والحكمة تتضمن كمال الإرادة، الحكمة هي التدبير، الحكمة تتضمن كمال الإرادة، والعدل، والرحمة، والإحسان، ووضع الأشياء في مواضعها على أحسن الوجوه: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه كميةً ونوعيةً ومكاناً وزماناً، فالحكمة وضع الشيء في موضعه على أحسن الوجوه: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف / ١٠٠].

والإنسان قد يحكم عن جهل فيخطئ، ويعفو عن عجز، لكن الله سبحانه عليم حكيم، يحكم على من عصاه مع كمال علمه جل جلاله، ويحلم على من عصاه مع كمال علمه، ويعفو عنه مع كمال قدرته عليه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب / ٥١].

فاقرن علمه بحلمه؛ لأن رحمته سبقت غضبه، فحلمه وسع جميع مخلوقاته، ولولا حلمه ما عشنا، إذا كثرت المعاصي فاللائق بنا أن تزيد الحرارة، أو يكون الماء غوراً، أو الله ﷻ يصيبنا بعذاب عام، لكنه حلیم، جعل أجلاً مسمى، فإذا بلغت هذه الخلائق وأجل المسمى أقام الله ﷻ الساعة؛ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

فإن الله ﷻ محيط بجميع مخلوقاته خلقاً، ورعايةً، وعنايةً وحفظاً.

• الله ﷻ محيط بجميع مخلوقاته من أربعة أوجه:

- ١- الخلق، فهو الذي خلقها وحده.
- ٢- الرعاية، فهو الذي يرعاها، ولولا رعايته لها لفنيت وذهبت.
- ٣- العناية، يحتفي الله بها، يسوق إليها الخير، ويبعد عنها كل شر.
- ٤- الحفظ، فهو الحفيظ الذي حفظ جميع مخلوقاته، حفظنا من الأمراض، ومن السباع، ومن كل شيء يؤدي، وحفظ كل شيء في ملكه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ وَكَيْلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

فإن الله ﷻ أظهر كمال قدرته وأظهر كمال علمه؛ حتى نعرف أنه كامل العلم، وكامل  
القدرة، فنؤمن به ونحبه ونخافه ونعبده بما شرع: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ  
مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢].

خلقه وأمره مفتوح أبد الآباد، يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء، ويأمر بما يشاء، لا راد  
لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٠٧﴾ [هود/ ١٠٧].

وعلم الله ﷻ صفة ذاتية له، لا ينفك عنه أبداً، فهو العليم أبداً، وعلمه سبحانه لا بداية  
له ولا نهاية، ولا أول له ولا آخر، لكن علم المخلوق له أول وآخر، وله بداية ونهاية،  
وعلمه سبحانه غير مسبوق بجهل، ولا ملحق بنسيان: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا  
يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي  
ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

أما علم الخلق فهو موهوب من الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ﴿١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

هو سبحانه العزيز العليم الذي خلق كل شيء، وخضع له كل شيء في العالم العلوي،  
وفي العالم السفلي، هو العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿قُلْ  
أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩﴾  
وَجَعَلَ فِيهَا  
رُوسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ﴾ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ  
وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا نِيطَاعِينَ﴾ ﴿١١﴾ فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي  
يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ  
الْعَلِيمِ﴾ ﴿١٢﴾ [فصلت / ٩ - ١٢].

هو القوي القادر العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء في  
الأرض ولا في السماء؛ هذا هو الذي يستحق العبادة، وعبادة واحد تغنيك عن عبادة  
ألف واحد: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ  
كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ولكن سوء الظن بالله، وسوء الجهل، يؤدي بالإنسان إلى أن يتخذ إلهًا في السفر، وإلهًا في الحضر، وإلهًا للمال، وإلهًا يدفع الأمراض: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا هُوَ إِنَّما هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ ﴿٥١﴾ وَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الْدِّينُ وَاصِبًا أَغْيَرَ اللَّهُ نَفْسُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النحل: ٥١-٥٢].

والله عزيز عليم حكيم، إنما يكون فعله وتدبيره عن علم وحكمة ورحمة وإحسان، أما عزة المخلوق فغالبًا يصحبها الهوى والظلم والجهل: ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام/ ٩٦].

وقال سبحانه عن عزة المخلوق: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ [ص: ٢]. هو سبحانه العزيز العليم وحده لا شريك له، والعزة لله مقرونة بالعلم في حقه سبحانه، لأن العزة بدون علم جهل وسفه، والعلم بدون عزة ضعف وعجز، والله سبحانه هو العزيز العليم، العزيز الذي لا يُغلب، العليم الذي لا يخفى عليه شيء، العليم الذي يضع الشيء في موضعه، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر/ ١].

هو سبحانه العليم الحليم، فهو الحليم بمن عصاه؛ يمهله ولا يهمله، وحلمه عن علم، فهو الحليم مع كمال علمه، العفو مع كمال قدرته: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ [السجدة/ ٦].

عزيز لا يغلبه غالب، رحيم ورؤوف بالعباد: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالتَّكْوِينِ لَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

وعلم الرب جل جلاله موجب للخوف منه، وحلمه موجب للاستحياء منه؛ فأنا أسكن في أرضه، وآكل من رزقه، وأعصيه بنعمه، وأترك طاعته؛ فيجب على الإنسان أن يستحيي من ربه الذي يسكن في أرضه، ويأكل من رزقه، فعليه أن يستعمل بدنه في طاعته، ولسانه في ذكره وشكره وتسيبته وتحميده: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

إنه عليم حلیم، لو أبدى ما في القلوب وأظهره للناس؛ ما جلس أحد بجانب أحد: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وهو سبحانه السميع العليم، السميع لكل صوت، العليم بكل فعل، الخبير بكل سر، ولما كان الشيطان يرانا ولا نراه، وهو يكيد لنا في كل وقت؛ ناسب أن نستعيد بالله السميع لكل صوت، العليم بكل خفي، من ذلك الشيطان: ﴿وَمَا يَزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت/ ٣٦]. السميع لأقوالك، العليم بأفعالك، ظاهرها وباطنها.

والله سبحانه واسع عليم، واسع الفضل، والعلم، والرحمة، والمغفرة، كما ورد في القرآن. فبذاته أحاط بكل شيء: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء/ ١٢٦]. وبعلمه أحاط بكل شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]. وحيثما وجه المصلي وجهه فثم وجه الله: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة/ ١١٥].

هو سبحانه الملك الحق، الملك كله بيده، والخلق كلهم عبيده، والفضل والنعم كلها منه، هو واسع الفضل والعطاء، العليم بمن يستحق فضله الديني، ومن يستحق فضله الدنيوي ممن لا يستحقه، فلا يبذل فضله إلا لمن يستحق، ولا يعطي منه إلا على قدر المصلحة، لعلمه بما ينفع العبد أو يضره: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران/ ٧٣].

ولهذا الحسد من أعظم الذنوب؛ لأن بعض الناس يحسد بعضاً على ما أعطاهم الله من نعمه، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وحيث يعطي فضله، والله واسع، واسع العطاء، وواسع الفضل.

هو سبحانه العليم الحكيم؛ فكل خلقه وأمره وشرعه صادر عن علمه وحكمته وقدرته ورحمته، فليس الأمر لعباً، وليس الأمر عبثاً: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون/ ١١٥].

فكل خلقه سبحانه، وكل أمره وشرعه، صادر عن علمه وحكمته وقدرته ورحمته؛ فهو العليم بمن يستحق، وبقدر ما يستحق، الحكيم في وضع الحق في أهله كما وكيفاً.

فالله عليم، لا يفعل ولا يأمر إلا بما يكون بالغ الحسن، مصلحاً للدين والدنيا، وهو الحكيم الذي يتقن ما يصنع: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

أتقن خلق السماء، وخلق الأرض، وخلق الإنسان: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو البصير بأحوال خلقه؛ فجميع من في العالم العلوي والعالم السفلي من الذرات والأجسام والمخلوقات كلها كمخلوق واحد أمام بصره سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والكون كله مبصر ومبصر، وغيب وشهادة: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحاقة: ٣٨-٣٩].

فالله هو البصير، والمبصرات هي مخلوقاته، والله بصير بأحوال خلقه، عليم بما يصلحهم فمن علم منه خيراً رقاها في درج الإيمان والعلم والعمل والأخلاق، ومن علم منه شراً؛ نكس مبدأه ومعاده: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

هو سبحانه الشاكر العليم، فهو الشاكر لكل من أطاعه بأنواع الطاعات التي يتقرب بها إلى ربه، يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة: ﴿إِنَّمَا يُؤْتِي الضَّالِّينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ويعطي فوق ذلك: ﴿وَإِذَا لَا تَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٦٧].

هذا أجر خاص من لدنه بلا عمل، ويعطي، لأنه كريم، هو لا يبخس الناس شيئاً، ويعطي على الحسنة عشر أمثالها، لكن عنده عطاء خاص من لدنه بدون عمل أحد؛ لأنه ذو الفضل العظيم، وفضله وما أعطاه لأهل السموات والأرض، وما أعطاه في الجنة لأهل النعيم، لا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة؛ لأن الغني هو الذي لا تنقص خزائنه أبداً: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

ويد الله ملأى سحاء الليل والنهار، لا تفيضها نفقة.

إنما الفقير المخلوق الذي يملك المليارات إذا أنفق درهماً واحداً لا يستحق أن يسمى غنياً؛ لأن الغني هو الذي لا تنقص خزائنه أبداً مع كثرة الإنفاق: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٦﴾ [لقمان: ٢٦].

هو العظيم الذي لا يعطي إلا العظيم؛ يعطي على قدر شأنه لا على قدر عمل العبد، إذا أعطى أعطى، وإذا منع منع، لكن العطاء أحب إليه من المنع، ولا يمنع إلا الحكمة، ولا يعطي إلا الحكمة: ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ [الإسراء: ٣٠].

فهو سبحانه الشاكر العليم، الشاكر لكل من أطاعه بأنواع الطاعات التي يتقرب بها إليه، العليم بما في القلوب من الإخلاص أو عدمه؛ فيجازي كل أحد بحسب نيته وعمله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٨﴾ [البقرة: ١٥٨].  
 ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَعْضَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ومن جلال علم الله سبحانه أنه كتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾ [النبا: ٢٩].

﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمَجٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٤٩ - ٥٠].  
 وقال النبي ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

• واسم الله العليم يدل على صفات الله الثبوتية بنوعيتها:  
 صفات الذات.. وصفات الأفعال.

فالله عليم موصوف بالعلم الذي لا ينفك عن ذاته أبداً، وهو العليم الذي يُعلم أنبياءه وخلقه ما شاء، يعلمهم لأنه العليم، وعنده خزائن العلم، ويعلم من علمه ما شاء من خلقه، عنده علم الدنيا، وعلم الآخرة، عنده علم كل شيء: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَكُونَ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

وهو العليم الذي يعلم أنبياءه وخلقه متى شاء، بأي قدر شاء، لمن شاء من خلقه، وهذا التعليم من الله يتعلق بمشيئته وإرادته، كما قال سبحانه مثنياً وممتناً على الرسول ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٣].

وقال العليم سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ① ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ② ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ③ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ④ [الرحمن/ ١-٤].

هو العليم الذي علم القرآن، والقرآن من كلامه، علمه للرسول ﷺ، والنبى ﷺ علم القرآن لهذه الأمة، ونحن نتعلم ونعلم القرآن. قال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>. فأول صفة يتميز بها الإنسان بعد خلقه هي علم البيان.

• والبيان يكون بثلاثة أشياء:

الأول: البيان النطقي: باللسان: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ① ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ② ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ③ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ④ [الإخلاص/ ١-٤].  
الثاني: البيان الرسمي: بالكتابة، يكتب الإنسان ما يريده بيده.

الثالث: البيان الإشاري: أشير إلى السماء، أشير إلى كذا، أشير كذا، أشير بأصبعي أو يدي أو رأسي.

والعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله من أجل مقامات العبودية؛ لأنه يورث التعظيم لله، والخوف منه، والحب له، والحمد له، والتوكل عليه، وحسن عبادته: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِزَّ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَلَكُمْ﴾ ① [محمد/ ١٩].

وعلم العبد بربه وأسمائه وصفاته وأفعاله يدعو إلى حسن عبادته وحده لا شريك له، وهذا هو مقصود الرب من خلقه وأمره، فأنا محتاج إلى عبادة الله؛ لأنه القوي وأنا الضعيف، وأنا الجاهل وهو العالم، وهو الغني وأنا الفقير، وهو الكبير وأنا الصغير، استضافني في بطن الأم، واستضافني في بطن الدنيا، وسوف يستضيفني في بطن القبر،

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

وفي بطن الجنة أو النار، الجنة إن أطعته، والنار إن عصيته: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

فالله بيده مقاليد الأمور جل جلاله، فأنا محتاج إليه، وأحمده على أن علمني ما أعبد به من أسائه الحسنی، وصفاته العلی، ومن أوامره الشرعية، فمقصود الرب من خلقه أن يعبدوه بموجب تلك المعارف العظيمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢]. [الطلاق: ١٢].

فتطيعوه وتحبوه وتعظموه؛ لأنكم عرفتم أن الله على كل شيء قدير، وعادة النفوس تتعلق بالكبير والعظيم والقادر وصاحب الكمال والجلال والجمال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وعلم الله كامل لم يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان، أما الناس فعلم الإنسان يسبقه جهل، كل يوم يزداد علم الإنسان من أنواع العلوم، كلما تعلم الإنسان علماً ترقى، فعلم الإنسان يسبقه جهل، علم الصناعة، التجارة، الزراعة، علمي بالأحكام الشرعية علم يسبقه جهل، فإذا جاء العلم طرد الجهل، وإذا علم الإنسان فإنه ينسى بعض ما علم، لكن الله علمه لا أول له ولا آخر، ولا ينسى منه شيئاً: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه/ ٥٢].

وعلم الله واسع يشمل أربعة أمور:

علم كل ما كان في الماضي .. وعلم كل ما سيكون في المستقبل .. وعلم كل ما يكون في الحاضر الآن .. وعلم كل ما لم يكن لو كان كيف يكون.

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه/ ٩٨].

ومن أعظم أسماء الله الحسنی المؤثرة في حياة الإنسان وإيمانه وعمله اسم الله العليم والقدير: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢]. [الطلاق: ١٢].

فمن عرف سعة علم الله وعظمة قدرته؛ أقبل على طاعته وعبادته، وخشع قلبه لربه،

ونطق لسانه بذكره وحمده، وخشعت جوارحه لربه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر / ٢٨].

وعلم الله ذاتي لا ينفك عنه، أما علم البشر فهو موهوب من الله ومكتسب، كل يطلب من العلم ما شاء، علم الطيران، علم الصناعة، علم أنواع المصنوعات كلها مكتسبة مما هو موجود، فعلم البشر لاحق للوجود، وهو كسبي، أما علم الله فهو سابق للوجود، فهو الذي خلق كل شيء بعلمه، وهو الذي علمك من علمه ما شاء: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل / ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

فالرزق من الرزاق، والعلم من العليم، والشفاء من الشافي، والرحمة من الرحمن، واللفظ من اللطيف، وهكذا كل شيء يعود إلى الله، وكل شيء يخرج من خزائن الله، وكل نعمة موهوبة من الله ﷻ: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وأسماء الله وصفاته توقيفية؛ فلا يسمى الله ولا يوصف إلا بما ورد في القرآن والسنة من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فالله عليم كما هو مذكور في القرآن: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور / ٣٥].

والفرق بين علم الله وعلم البشر أن علم الله بالأشياء سابق على الأشياء، وعلم البشر مستفاد من الأشياء، فأنا أعرف صناعة الكمبيوتر أو صناعة الثلاجات أو السيارات من شيء موجود، ومن عالم سبقني، واكتشف ذلك، علم البشر مستفاد من الأشياء، أما علم الله فغير مستفاد من الأشياء، بل هو سابق على الأشياء، والأشياء مستفادة من علم الله. وعلم الله ذاتي لا ينفك عنه، وعلم المخلوق موهوب ومكتسب، وعلم الله مطلق غير محدود، وعلم الإنسان مقيد محدود، فهذا علمه في الصناعة، وهذا في الفلك، وهذا في الذرة، وهذا في علم النبات، وهذا في الصناعة، وهكذا العلوم تختلف.

والعلوم أنواع، وأشرف العلوم: العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، وووعده، وووعيدته، ودينه وشرعه؛ لأن العلم يكون شريفًا بحسب المعلوم به وهو الله

﴿عَلَّمَ﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فشرف العلم دائماً بشرف العلوم؛ فالعلم بالله وأسمائه وصفاته ليس كعلم النبات أو علم الجلود أو غيرها.

وقد ورد اسم الله العليم مفرداً في قوله ﴿عَلَّمَ﴾: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٥﴾ [النور: ٣٥].

وورد مقترناً بغيره من الأسماء، وهي: السميع، العزيز، الحكيم، الحليم، الخلاق، القدير، الفتاح، الخبير، الشاكر، الواسع: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ [آل عمران: ٧٣].

فالله واسع صفة كمال، وعليم صفة كمال، والسميع مع العليم كمال فوق ذلك، وهذا الاقتران يكون كمالاً فوق ذلك.

فالله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، إن تكلمت بأي كلام، في أي وقت، وفي أي مكان؛ فهو سميع، فلا تتكلم إلا بما يحبه الله ويرضاه، وإن تحركت فهو بصير، فلا تتحرك إلا بطاعة، وإن أضمرت فهو خبير عليم بكل سر، وإن فعلت شيئاً فهو جل جلاله عليم به قبل أن تعمله.

والله إن فعل هو فهو حكيم، إن فعل من العطاء والمنع، والإحياء والإماتة، والذلة والعزلة؛ إن فعل فهو حكيم.

وإن ضاقت عليك الأمور فهو فتاح؛ فاسأل الفتاح العليم الذي بيده مقاليد الأمور.

وإن أحسنت فهو شكور، فالله ﴿عَلَّمَ﴾ شكور، إن أتيت بحسنة أعطاك عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

والله شكور كريم، فما من مسلم يتقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه، ويخطب وده، ويتقرب إلى ربه بصلاة، أو صيام، أو صدقة، أو تعليم جاهل، أو إعانة محتاج، أو إكرام ضيف، ونحو ذلك من القربات التي أكرمه العليم الخبير بها؛ إلا أكرمه الله مقابل ذلك بكرامة أعظم منها غير الكرامات يوم القيامة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [يونس: ٢٦].

كل من فعل طاعة أكرمه الله بأكثر من ثلاثين كرامة في الدنيا، وبأكثر من ثلاثين كرامة

في الآخرة، وكل ذلك موجود في القرآن، فما من طاعة إلا وتعقبها كرامة، وما من معصية إلا وتعقبها مصيبة في النفس أو المال، وكل ذلك في القرآن، لو اتسع الوقت لشرح ذلك لبيّنناه، ولكن حسبنا أنكم من أهل القرآن وتقرؤون القرآن؛ فلنقرأ القرآن بالتدبر والتفكير ونية العمل والتعليم له في كل مكان: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

فما من عبد جاء بطاعة إلا والله ﷻ شكور كريم يكرمه بكرامة، إما تيسير أمور، أو تأييده، أو توفيقه، أو نصره، أو يشرح صدره، أو سرور يحصل له، أو أمن، فسبحان الكريم الذي يعطي على كل طاعة أكثر من ثلاثين كرامة في الدنيا، وأكثر من ثلاثين كرامة في الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [النحل / ٩٧].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجٰتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وأعظم كرامة يكرم الله بها المؤمن كرامة العلم، فإذا علمك ربك من أنت، ومن ربك، وما هي أسماؤه وصفاته، وعلمك ما يجب، وعلمك ما يكره، وعلمك دينه وشرعه، وعلمك سر وجودك، وماذا يريد الله منك، وماذا تريد منه، وماذا سيعطيك إن أطعته، وعلمك حقيقة الدنيا؛ فقد خصك بأعظم الكرامات: ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١١﴾ [الحديد / ٢١].

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ﴿١١٣﴾ [النساء / ١١٣].

﴿إِنِ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [يونس: ٦٠].  
هو سبحانه العزيز العليم الحكيم، أعطى الملك لمن يجب ومن لا يجب، أعطى الملك لفرعون، وهو لا يجب له حكمة، وأعطى الملك لمن يجب له وهو سليمان ﷺ، وأعطى المال لمن لا يجب له وهو قارون، وأعطى المال لمن يجب له كعثمان وعبد الرحمن بن عوف: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ﴿٢٠﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَاللَّآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ ﴿١١﴾ [الإسراء: ٢٠-٢١].

فسبحان العليم الذي يعطي ويمنع بعلمه وحكمته: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [١١] ﴿ [الحجر / ٢١].

فهذا الرب العظيم الذي إذا ذكرناه لا بد أن يوجل القلب، وتدمع العين، وتخضع الجوارح ركوعًا وسجودًا، وتسييحًا وتحميدًا، وتكبيرًا وتعظيمًا لربنا جل جلاله: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [١٦] ﴿ [الحديد: ١٦ - ١٧].

أما الأنبياء والرسل فقد أعطاهم الله شيئًا واحدًا حصراً عليهم وعلى أتباعهم، هذا الشيء هو العلم والحكمة: ﴿ قُلْ إِنْ أَلْفُ نَفْسٍ ضَلَّ سَبِيلُهَا فَالْفُجُورُ أَكْبَرُ مِنْهَا وَإِنْ أَلْفٌ سَلَّتْ سَبِيلَ اللَّهِ فَالْإِسْلَامُ أَكْبَرُ مِنْهَا ﴾ [آل عمران: ٧٣].

وقال عن يوسف ﷺ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٢٢] ﴿ [يوسف / ٢٢].

الله أكبر! ما أعظم نعمة العلم التي يعطيها العليم! والله يجب من عباده أن يكونوا علماء حتى يعبدوا ربهم على بصيره: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [٢٨] ﴿ [فاطر: ٢٨].

ومن رحمة الله أن بعث رسوله محمداً ﷺ إلى أمة تعيش في ظلمات الجاهلية، حيث كان فيهم:

الشرك بدل التوحيد.. والجهل بدل العلم.. والفرقة بدل الاجتماع.. والظلم والطغيان بدل العدل والإحسان.

فاجتهد عليهم النبي ﷺ؛ حتى جاءت فيهم أربع صفات، مقابلة لصفات الجاهلية

• فجاء عندهم بعد الإسلام:

التوحيد بدل الشرك.

والعلم بدل الجهل.

والعدل والإحسان بدل الظلم والطغيان.

والاجتماع بدل الفرقة: ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴾

ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فما أعظم منة الله على هذه الأمة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وبذلك تحول شر القرون إلى خير القرون، وتحولت شر أمة إلى خير أمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

فله الحمد والشكر على بعثه سيد الرسل إلى خير الأمم: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [الصف / ٩].

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة / ٢].

فنحن خير أمة الله ﷺ اختار لنا أحسن الكتب، وأفضل الرسل، وأحسن الشرائع، وأحسن الأخلاق ودعانا إليها، والله يريد أن تتحول حياة الأمة من الجاهلية إلى البيت الإيماني، إلى القبيلة الكبرى، قبيلة المسلمين، قبيلة المؤمنين، لا عصبية، ولا جاهلية، ولا حمية جاهلية، ولا حكم جاهلية.

• ففي الجاهلية ذم الله ﷻ أربع صفات هي أصول الجاهلية:

١- حكم الجاهلية: ﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

٢- تبرج الجاهلية: ﴿وَلَا تَبَرَّجْ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب / ٣٣].

٣- ظن الجاهلية: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران / ١٥٤].

٤- حمية الجاهلية: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفتح: ٢٦].

حمية التعصب لشيخ أو قبيلة أو بلد أو قوم، فلا تعصب إلا للدين، كيف نعمل به؟ وكيف نوصله إلى البشرية؟ كيف يعبد أهل الصين ربهم؟ وكيف يعبد أهل أمريكا

رهبهم؟ وكيف يعبد أهل أوروبا رهبهم؟ كيف ندخل إلى قلوبهم لا إله إلا الله؟ وكيف نزين جوارحهم بأعمال رسول الله؟ وكيف نحسن أبدانهم بأخلاق رسول الله ﷺ؟ هذا هو عمل المسلم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فلتعلم الصناعة لا بد من بيئة الصناعة، ولتعلم الإيمان لا بد من بيئة الإيمان.

• فأنا في الجو الإيماني أستفيد خمسة أمور:

أتعلم الدين .. وأعمل بالدين .. وأثبت على الدين .. وأترقى في الدين .. وأنشر الدين.

خمس كرامات لمن جلس مجالس الموائد الإيمانية التي نتعلم فيها الدين، ونعرف ربنا بأسمائه وصفاته، ونعرف دينه وشرعه، وكيف نتقرب إليه، ونتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر، ونتعاون على البر والتقوى، ولا نتعاون على الإثم والعدوان: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

فمجالس الدنيا كلها غالباً لغو؛ إلا مثل هذه المجالس التي يمجدها فيها الله، ويحمد ويثنى عليه، ويعلم دينه وشرعه، وما سوى ذلك فكله لغو.

ولكن اللغو من طبيعة البشر، ولكن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان / ٧٢]. يمر به المؤمن مرور الكرام، ولا يجرح مشاعر أحد.

هو سبحانه العزيز العليم الحكيم، أعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولكنه ما أعطى الدين وما أعطى العلم، وما أعطى الحكمة إلا لمن يحب جل جلاله، قال سبحانه عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَانَيْتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص / ١٤].

وقال الله لمحمد ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء / ١١٣].

فانظر يا أخي المسلم ماذا أعطاك الله من أنواع الكرامات؟ نصيبك من العطاء هل هو من نوع نصيب الأغنياء، أم من نصيب الأقوياء؟ أم من نصيب الأنبياء؟

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩) ﴿كَلَّا نُنزِّلُ حَبًّٰٓةً مِنْ سَمَوَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٠) ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١) ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (٢٢) ﴿[الإسراء / ١٨-٢٢].

وإذا تيقنت أن علم الله محيط بظاهرك وباطنك، وقدرته محيطة بك؛ فاستقم على أوامره: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢) ﴿[هود: ١١٢].

استقم كما أمرت، لا كما اشتهيت، واخرج من الهوى إلى الهدى، وقدم الوحي على العقل، وقدم الآخرة على الدنيا، وقدم المحبوب الأعلى على المحبوب الأدنى، المحبوب الأدنى هو شهوات النفس، والمحبوب الأعلى هو محبوبات الرب: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْمِدُ الْمُسْتَفْرِّقُونَ﴾ (١٣) ﴿يُبْنُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَ يُدْعَىٰ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١٣) ﴿[القيامة: ١٢-١٣].

وأكمل محبوبات الرب في الدنيا؛ يكمل محبوباتك في الآخرة ويرضى عنك: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٢) ﴿[التوبة: ٧٢].

وإذا علمت أن الله غني كريم؛ أحببته، وأطعته، وأحسنت إلى خلقه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنَ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) ﴿[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فبمعرفة العليم والقدير تستقيم، وبمعرفة العليم والشكور تحسن إلى الخلق، وتحب ربك؛ لأنه هو الذي يعطيك، وهو الذي ينعم عليك في بطن الأم، وفي بطن الدنيا، ويوم القيامة يكرمك بجنة عرضها السموات والأرض، فإذا استقمت وأحسنت؛ حققت مراد الله منك، وهذا ثوابك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١) ﴿نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (٣٢) ﴿[فصلت / ٣٠-٣٢].

ثم جاء بعدها مباشرة أن أفضل شيء بعد الإيثار: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ

وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [فصلت / ٣٣].

فالداعي إلى الله يذهب إلى مريح، فيزداد ملاحه، كما نذهب لمثل هذه الدروس، أو نذهب للمسجد أو نذهب للعمرة، أو نذهب لصلة الرحم؛ الداعي لمريح، يذهب إلى مريح، فيزداد ملاحه.

ويذهب إلى قبيح فينشر الملاحه، يدعو كافرًا للإسلام، فيدخل في الدين، ويكون سببًا لدخول مريح جديد في الدين؛ فالدعوة إلى الله، وعبادة الله، أحسن الأقوال والأعمال.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ في العلم، في الدعوة، في العبادة، في الأخلاق في كل شيء، عملكم: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران / ١١٠].

وأخر الإيذان؛ لأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله محركات للإيذان في القلب: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت / ٦٩].

وأمة محمد ﷺ كلها مخاطبة بالدعوة إلى الله، فالدعوة فرض عين على كل مسلم ومسلمة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف / ١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. فلا يحق لأحد أن يصرف ثانية واحدة على هواه، أو يترك عبادة ربه، أو تعليم شرعه، أو الدعوة إلى دينه، أو الإحسان إلى خلقه؛ لأنه الله ﷻ قد هداه واشتراه، والله لا يشتري إلا السلع الغالية، يشتري المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةِ﴾ [التوبة / ١١١].

وصفات من اشتراهم الله: ﴿التَّيِّبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

فكل الوقت لله، وكل العمل له، وكل شيء له جل جلاله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١١١] قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

وَمَمَّا قَبْلَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾  
[الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

وإذا عرفت أن الله الأول فكن الأول في العبادة، في الدعوة، في التعليم، في الأخلاق الحسنة، في الأقوال الطيبة، في الأعمال الصالحة: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

فالله ﷻ يريد مني أن أتصف بالصفات التي يحبها؛ فالله عفو يحب العافين عن الناس، وهو ﷻ تواب يحب التوابين، ومحسن يحب المحسنين، مؤمن يحب المؤمنين، يحب المتقين، يحب الصابرين على العبادة، على الدعوة، وهكذا في كل عمل، فماذا أعطينا؟ هل أعطينا من نصيب الأغنياء؟ أم من نصيب الأقوياء؟ أم من نصيب الأنبياء؟ ننظر أنفسنا:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾  
[الحشر: ١٨-١٩].

والكون كله أثر من آثار اسم الله العليم جل جلاله، وأثر من آثار أسماء الله الحسنى؛ لأنك إذا تدبرت في الكون علمت أن خالق هذا الكون عليم، وأنه قادر يفعل ما يشاء من خلق السماء والأرض، والجبال والبحار، وأنه عزيز لا يُغلب، يفعل ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء، وأنه غني؛ لأن عنده خزائن هذه الأشياء، وأنه حكيم يضع الشيء في موضعه، فهذا الكون كله مظهر لعلم الله وقدرته، وأسمائه وصفاته: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيٰتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٰ أَنفُسِكُمْ ۗ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَآءِ رِزْقِكُمْ وَمَا تُوْعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

فالرزق في السماء، وقسمته في الأرض؛ على أهل الأرض، لو كان في الأرض لتقاتل الناس عليه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰتٍ لِّتَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

ولا يقضى أمر في الأرض حتى يقضى في السماء، فالله ﷻ عليم بملكه، يدبر وفق حكمته ورحمته، وإحسانه إلى خلقه.

فسبحان العليم بكل شيء، العليم الذي عنده مفاتيح الغيب: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام / ٥٩].

وبين الرسول ﷺ أن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان / ٣٤].

فالله وحده هو عالم الغيب والشهادة، وكل ما سواه لا يعلم إلا ما أعلمه الله.

ومن عرف النقص في المخلوق؛ أوصله ذلك إلى معرفة الكمال في الخالق، فإبراهيم خليل الله ونبى الله ﷻ جاءت الملائكة، فقدم لهم الطعام؛ لأنه لم يعرف أنهم ملائكة؛ فإبراهيم ﷻ لا يعلم إلا ما علمه الله ﷻ، يظن أنهم رجال، ولكن الله ﷻ يعلم، ولهذا جاء بالطعام، وقربه إليهم يحسبهم رجالاً من البشر.

قال ﷻ: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [٢٤] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ [٢٥] فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ [٢٦] فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ [٢٧] فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ [٢٨] [الذاريات / ٢٤-٢٨].

وسليمان نبى ملك سخر الله له الريح: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ﴾ [٣١] [ص / ٣٦]. ومع ذلك خفي عليه مملكة بأكملها، حتى أخبره الهدهد: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [٢٠] لِأَعَدَّيْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحُنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ [٢١] فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يُقِينٍ [٢٢] إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ [٢٣] وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ [٢٤].

ثم قال: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٠-٢٥].

وقد من الله علينا فوصلنا إلى تلك الديار ورأينا مملكة سبأ، ورأينا مكان العرش، والأعمدة موجودة، ولكن العرش قد أخذ ونُقل إلى الشام كما هو معلوم، ورأينا معبد

الشمس معبد كبير، فيه تقريباً ثلاثمائة وستون مخرجاً للشمس على عدد أيام السنة، ورأينا التماثيل، وكلها قد طمرتها الرمال، وأخذهم الله ﷻ بكفرهم أخذ عزيز مقتدر: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ. بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْرَىٰ إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

وسيد الخلق محمد ﷺ معه وحوله المنافقون، ومع ذلك لم يعلمهم: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

فالخلق كلهم مهما كانوا لا يعلمون شيئاً ولو كانوا أنبياء إلا ما علمهم الله العليم بكل شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه / ٩٨].

ولهذا ما أمر النبي ﷺ بطلب الزيادة من شيء إلا من العلم: ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ. وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

وهذه العلوم التي عند الخلائق كلها، كلها قليل بالنسبة لعلم الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

علم الملائكة وعلم الأنبياء، وعلم الإنس، والجن، وعلم جميع المخلوقات؛ لا يساوي ذرة من العلم الإلهي، والعلم الإلهي لما جاء في مكة ابتلع العلم الإنساني الذي عند فارس والروم، فخضعت فارس والروم الذين عندهم علم الدنيا، إلى العلم الإلهي الذي نزل في مكة، فاللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه / ١١٤].

واعلم أيها المسلم أن كل ما هو واقع أو مشاهد فهو من عالم الشهادة، وكل ما غاب أو لم يقع فهو من عالم الغيب، والله وحده هو عالم الغيب والشهادة، هو العليم بكل شيء، العليم بالعالم العلوي والسفلي، العليم بالظاهر والباطن، العليم بالنيات والأفكار، العليم بالأقوال والأفعال، العليم بالأرقام والحروف، العليم بما جرى ويجري وما لم يجر في كل زمان ومكان: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ

الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن كل ما خلق الله من العوالم، خلقه الله ليدل به على كمال عظمة أسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ ليوحده العباد بها، ويعبدوه بمقتضاها: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢].

والمطلوب من الخلق ليسعدوا في الدنيا والآخرة؛ العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بما يحبه ويرضاه، والعلم بما يجب له، وما يختص به، وما يليق به، وعبادته بما شرع وحده لا شريك له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩].

واعلم أن جميع المخلوقات تشهد لخالقها بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وتشهد له بالوحدانية، وتشهد له بكمال الحياة، والعلم، والقدرة، والعظمة، والكبرياء، والرحمة.

فهو سبحانه الحي القيوم العليم الذي يطلب العباد منه العلم، العليم بكل ذرة في ملكه العظيم، وفي ملكه الكبير: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦١﴾ [يونس: ٦١].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، ومن أسمائه الحسنى الدالة على إحاطته وعلمه بكل شيء اسم الله العليم، فالله ﷻ هو العليم الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ لأن علمه محيط بكل شيء: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومن عرف ربه جل جلاله باسمه العليم خافه وأجله، وأحسن الأدب معه، وأكثر من ذكره وحمده والثناء عليه، إن أعطاه ربه شكره، وإن أذنب استغفره، وإن ابتلاه صبر على بلائه، وأن أمره أطاعه، وإن نهاه انزجر عن معصيته: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ

رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلَنْتَءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر / ٩].

والله ﷻ هو عالم الغيب والشهادة، والغيب ما غاب عن الإنسان، والشهادة ما يراه الإنسان ويعلمه الإنسان من هذه الأشياء المادية، والغيب المطلق كله لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ [النمل / ٦٥].

فهو سبحانه العليم الذي أحاط علمه بكل ذرة في ملكه العظيم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ [المجادلة / ٧].

بكل شيء عليم، عليم بكل ذرة في العالم العلوي، والعالم السفلي، في كل زمان ومكان، في الليل والنهار، هو بكل شيء عليم: ﴿قُلْ إِنْ تَخْفَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ [آل عمران: ٢٩].

فالله ﷻ عليم، ومن علم أن الله يراه ويسمعه فإنه لا يعصيه. قال النبي ﷺ: ﴿لَا يَزِينِي الزَّانِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ متفق عليه<sup>(١)</sup>. واعلم أن الله عليم بكل شيء، وقد كتب كل شيء، وشاء كل شيء، وخلق كل شيء، فهذه أربعة أمور.

الله ﷻ عليم بكل شيء، قد كتب كل شيء، وشاء كل شيء، وخلق كل شيء: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ [الحج / ٧٠].

وهو سبحانه لا يجري في ملكه إلا ما يريد وما يشاء: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير / ٢٩].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٥٧٨)، ومسلم برقم (٥٧)، واللفظ له.

وكل موجود في الكون فالله ﷻ هو خالقه: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر / ٦٢].

• فمراتب القدر هذه الأمور الأربعة:

الأولى: أن الله ﷻ علم مقادير الخلائق قبل أن يخلقها، وأخفاها في علمه عن الخلائق أجمعين، فلم يطلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأً، ولكن على العباد أن يفعلوا الأسباب التي أمرهم الله بها من فعل أوامره، واجتناب نواهيه، فكل ميسر لما خلق له. فالله ﷻ قد علم أهل الجنة من أهل النار، ومن يطيعه ومن يعصيه، ومن يؤمن به ومن يكفر به، لكن علينا فعل الأسباب؛ لأننا مأمورون بالأوامر الشرعية من ربنا، ومنهيون عما يضرنا في الدنيا والآخرة.

الثانية: أن الله ﷻ كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس / ١٢].

فالله ﷻ كتب مقادير الخلائق كلها جل جلاله، وكل شيء أحصاه كتابة؛ فالله ﷻ لما علم مقادير الخلائق بأحجامها، وألوانها، وأنواعها، وأماكنها، وأزمنتها، هو علم ما سيخلق جل جلاله، وأخفاه في علمه جل جلاله، من المخلوقات، ومن حركات هذه المخلوقات وأعمال هذه المخلوقات، ثم الله ﷻ كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، والمخلوقات في اللوح المحفوظ كلمات، ثم يظهرها الله مخلوقات حسب مشيئته وإرادته في كل زمان ومكان: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

الثالثة: مشيئة الله في خلق الأشياء التي قدرها وكتبها، فلا يقع في ملكه ما لا يريد، فطاعة الطائع بمشيئته وإرادته، ومعصية العاصي بمشيئته وإرادته؛ لأن هذا الملك ملكه، ولا يتصرف في ملكه إلا هو جل جلاله، لكن من آمن وأطاع دخل الجنة، ومن عصا وكفر بالله ﷻ شقي في الدنيا ودخل النار يوم القيامة: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧].

الرابعة: خلق الله للأشياء، وإظهارها بعد تقديرها، وكتابتها، وإرادة خلقها، فالله ﷻ علم مقادير الخلائق، وكتبها في اللوح المحفوظ، وشاء وقوعها فوجدت. فالرابعة خلق الله ﷻ لهذه الأشياء، وأظهرها بعد تقديرها، وكتابتها، وإرادة خلقها،

أظهرها الله ﷻ من غيبه إلى أن تظهر مخلوقات، وأعمال صالحة أو غير صالحة: ﴿ذَلِكُمْ  
 اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾  
 [الأنعام: ١٠٢].

فالإنسان إذا أصابته مصيبة؛ فإنما وقعت هذه المصيبة بسبب معصيته، عقوبة له، أو  
 تكفيراً لذنوبه، أو رفعةً في درجاته: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ  
 وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى / ٣٠].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ  
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد / ٢٢].

كل شيء مكتوب، كل شيء قد كتبه الله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ  
 وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢-٥٣].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾  
 [التغابن: ١١].

فاعلم أن كل ما يجري في هذا الكون بإذنه وأمره جل جلاله؛ فليسلم العبد الذي عرف  
 ذلك لله في كل ما قدره وقضاه، وليصبر على البلاء؛ فإن العليم الحكيم أرحم به من  
 نفسه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ  
 الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ  
 مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، ولا بد أن نتعرف على أسمائه ﷻ؛ حتى نعبده بمقتضاها.  
 فإذا علمنا أنه سميع لا نتكلم إلا بما يحبه ويرضاه، من الأذكار والأدعية، والدعوة  
 والدعاء، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وإذا علمنا أن الله بصير لم نفعل شيئاً يسخطه، بل نرى الله ﷻ من أنفسنا خيراً في وقت  
 العبادة، في وقت الصلاة، في وقت الصيام، في وقت الزكاة، في وقت الحج، في أي أمر  
 من الأمور.

وإذا علمنا أن الله عليم يعلم بما في الصدور جل جلاله، لم نضمّر في قلوبنا إلا خيراً:  
 ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ  
 الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣-١٤].

وأسماء الله ﷻ كلها حسنى، منها ما هو مطلق كالسميع، والعليم، والبصير وأمثالها، هذه أسماء مطلقة يسمى الله بها.

ومنها ما هو مقيد ومضاف، كالعالم، والعلام، والأعلم، فهذه أسماء لله ﷻ، لكنها مقيدة كعالم الغيب والشهادة؛ نطقه على الله، نسمي الله ﷻ به في هذا القيد: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وفي الآية الأخرى: ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ (٧٨) [التوبة / ٧٨].

وفي الآية الأخرى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام / ١٢٤].

فيسمى الله ﷻ به بهذا القيد؛ لأن حسن هذه الأسماء بما قيدها الله به؛ فنسمي الله بها مقيدة وندعوه بها، فما أطلقه الله نطقه؛ كالسميع والبصير والرزاق، وما قيده نقيده؛ كخير الفاتحين، خير الرازقين مثلاً، علام الغيوب وهكذا كما ورد في الكتاب والسنة.

والله ﷻ عليم قدير، وعلیم حكيم، الله ﷻ قرن العليم بالقدير، وقرن العليم بالحكيم، فقدرته جل جلاله باهرة، وحكمته بالغة، فلا يضع الشيء إلا في موضعه، ولا يخلق الشيء إلا لحكمة؛ فإذا اقترن العليم بالقدير أو الخالق؛ فهذا في علم التقدير، وشاهد الله بالربوبية، وإظهار ما جرت به المقادير: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / ٢٩].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٤٤) [فاطر / ٤٤].

هذا في الخلق، ما كان الله ﷻ ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض؛ إنه كان عليماً محيطاً بكل شيء، قادراً على كل شيء.

وإذا اقترن العليم بالحكيم؛ فهذا علم الإحاطة، والتدبير، والحساب، والتشريع، فهذا توحيد العبادة، فالله ﷻ يقول عن الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٢) [البقرة / ٣٢].

وقال في الفرائض: ﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١١) [النساء / ١١].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣٠) [الإنسان / ٣٠].

وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٤) [الزخرف / ٨٤].

فَقَرَنَ الْعَلِيمَ بِالْحَكِيمِ؛ لَأَنَّ هَذَا فِيهِ أَمْرُ الْإِحَاطَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّشْرِيعِ، أَمَا فِي الْقُدْرَةِ فَيَقْرَنُ الْعَلِيمَ بِالتَّقْدِيرِ كَمَا مَرَّ مَعْنَا، فَإِذَا اقْتَرَنَ اسْمُ الْعَلِيمِ بِالْحَكِيمِ، أَوْ الْخَبِيرِ، أَوْ الشُّكُورِ؛ فَإِنَّمَا هُوَ لِبَيَانِ حِكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي عِبُودِيَّتِهِ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات / ١٣].

فقرن العليم بالخبير؛ لأنه هو الذي يعلم ما في القلوب.

والعليم اسم ذاتي لله لا ينفك عنه أبداً، والعلم صفة ذاتية لله ﷻ لا تنفك عنه أبداً، والتعليم صفة فعلية لله ﷻ؛ لأن العليم هو الذي يعلم خلقه: ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق / ٣-٥].

فلا علم إلا من عليم، ولا زرق إلا من رزاق، ولا أمن إلا من مؤمن، وهكذا في سائر الأسماء والصفات، والتعليم يتعلق بمشيئة الله ﷻ، فالله يعلم من شاء من خلقه ما شاء من العلوم؛ لأن العلم خزائنه عند الله ﷻ؛ فندعو الله ﷻ باسمه العليم دعاء حمد وثناء، ودعاء طلب ومسألة، كما قال الله ﷻ عن إبراهيم: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة / ١٢٧].

أنت السميع لأقوالنا، العليم بما في قلوبنا، العليم بالظواهر والبواطن.

وقال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران / ٣٥].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٠٠﴾﴾ [الأعراف / ٢٠٠].

فهذا كله دعاء مسألة يتضمن دعاء الثناء والحمد لربنا ﷻ.

ومن دعاء العبادة باسم العليم: أن يخضع العبد لربه؛ لأنه يعلم أنه يراه، ويعلم بسرّه وعلانيته، أن يخضع العبد لربه، ويحكم بشرعه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عَلَمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه / ١١٠].

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة / ٢٨٢].

فالله ﷻ هو العليم بكل شيء، البصير بكل شيء، السميع لكل شيء، الذي لا يشغله علم عن علم، ولا قريب عن بعيد، ولا كبير عن صغير، ولا ظاهر عن باطن: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي آيَاتِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام / ١٣].

هو السميع للأقوال، العليم بما في القلوب والسرائر، علم كل أحد من خلقه في جميع أحواله، وعلم من شاء من خلقه ما شاء من العلوم، وأقدرهم على ما شاء من العلم والعمل، فهم في العلم، والإيمان، والعمل، درجات: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

وقال سبحانه: ﴿ تَرَفُّعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف / ٧٦].  
 فالله ﷻ عليم بما في القلوب، وهو سبحانه العليم الذي لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عن علمه قاصية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] [آل عمران / ٥-٦].

وإذا عرف العبد أن ربه العليم عليم بحاله؛ شكره على عطيته، وصبر على بليته، واستغفره من خطيئته: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩].

واسم العليم من أسماء الله الحسنى التي يجب علينا أن نتعرف على معانيها، فتتعرف على هذا الاسم العظيم وعلى معانيه العظيمة؛ ليدخل في حياتنا، ونرى أثره في حياتنا؛ حتى نتعبد الله ﷻ به على بصيرة، فالله ﷻ هو عالم الغيب والشهادة، الله ﷻ خلق عالم الشهادة؛ ليدل به على عالم الغيب، فلنحضر الآن بقلوبنا ونتوجه إلى الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا جل جلاله، فالأعمال كلها ثمرة العلم، وأعظم العلم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، فلتتعرف على المعبود، وتأخذ صفة من صفاته وهي صفة العلم، لتتعرف على هذه الصفة العظيمة وعلى هذا الاسم العظيم.

● فالله ﷻ هو الذي:

خلق عالم الشهادة؛ ليدل به على عالم الغيب.

خلق الدنيا؛ ليدل بها على الآخرة.

وخلق المخلوقات؛ لتدل على خالقها سبحانه.

وخلق الصور؛ لتدل على المصور الذي يصور كيف يشاء.

خلق الأرزاق؛ لتدل على الرزاق سبحانه.

ذلكم الله ربكم الذي من عليكم بعباء الربوبية خلقاً وتدبيراً وإنعاماً؛ ومن عليكم بعباء الألوهية؛ فجعلكم أهلاً للعبودية، واختاركم من بين بني آدم لتكونوا عباده:

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَوَّلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾  
[الزمر: ١٧ - ١٨].

﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

ما دام هو خالق كل شيء فيجب أن نعبد، لو علمنا غيره يخلق شيئاً؛ لعبدناه، لكن الخالق هو الله وحده لا شريك له، الخالق الذي يخلق من عدم هو الله ﷻ.

أما الذي يخلق أو يصنع هذه المصنوعات فإنما يصنعها أو يخلقها من المادة التي خلقها الله، بالفكر الذي خلقه الله، بالعقل الذي خلقه الله ﷻ، بالقدرة التي أعطاها الله، بالعلم الذي وهبه الله له، فالله خالق كل شيء: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل / ١٧].

﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢].

خلق المخلوقات وهو وكيل عليها، وكيل على الشمس بالإنارة، وكيل على الأرض بالإنبات، لا يمتنع عليه شيء.

فسبحان الخلاق العليم الذي يخلق ما يشاء ويختار، لا إله غيره، ولا رب سواه جل جلاله؛ خلق الخلق كلهم كيف شاء، ومما شاء، ومتى شاء، على أي وجه شاء، وأبقى ما شاء، وأفنى ما شاء، من كبير وصغير، وطويل وقصير، وحيوان وإنسان، ومؤمن وكافر: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص / ٦٨].

هو سبحانه العليم القدير الفعال لما يشاء، وكل فعال سواه فيأذنه وعلمه، وكل فعال سواه محتاج إلى معونته ومشيئته، وكل فعال سواه في قبضته، الكبير والصغير، والقليل والكثير، والقوي والضعيف، والغني والفقير ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فسبحان الرب الحكيم العليم الذي خلق المخلوقات العظيمة، والمخلوقات الكبيرة، والمخلوقات الصغيرة، والمخلوقات العلوية، والمخلوقات السفلية!.

هو الخلاق العليم الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الملائكة والروح، وخلق الجن والإنس، وخلق الأقوال والأفعال، وخلق المحبوب والمكروه، وخلق الماء والنار، وخلق الجبال والبحار: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس / ٣].

وهذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي من الذرة إلى العرش، صغيرها وكبيرها؛ هذه المخلوقات الكل يوحد ربه، والكل يسبح بحمده، والكل خاضع لحالقه، والكل شاهد بعظمته ووحدانيته، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته، لا إله إلا هو، بيده الملك وهو على كل شيء قدير: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عَلَوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٣-٤٤].

فهو سبحانه العليم الخبير الذي خلقهم وعلمهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور / ٤١]. سبحانه الله وبحمده! ما أوسع علمه! وما أوسع رحمته!، وما أعظم إحاطته.

والعقل لا يبصر إلا بنور الوحي؛ لأن العقل لا يجبرنا بالآخرة، ولا يجبرنا بالغيب، العقل لا يبصر ولا يدرك الأشياء على حقيقتها إلا بنور الوحي والنبوة، فإذا اجتمع هذا وهذا أشرق القلب بنور التوحيد والإيمان، ثم جاءت أعمال التوحيد سهلة ميسرة محبوبة في القلب، سهلة على الجوارح: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد / ٢٨].

إطمأنت إليه، لأنني أعلم أنه هو القوي، وأنه الرزاق، وأنه الغني، وأنه العليم، وأنه السميع، وأنه البصير؛ فأطمئن إليه، لأنه ربي، وهو الذي يتولاني: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد / ٢٨]. طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَثَابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد / ٢٨-٢٩].

فله الحمد والشكر الذي أكرم عباده بالسمع والبصر والعقل، ثم أكرمهم بعلم الوحي والنبوة، بالنور المبين والمعتمضم المنيع: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام / ١٥٣].

والواجب على الإنسان أن يتعلم هذه العلوم العالية، علوم النبيين، ودعوة المرسلين، ومعارف الصديقين، وآيات الموقنين، ومشاهدات المتقين، فإذا الإنسان تعلم هذه الأمور؛ وعمل بموجبها، أبصر بجميع حواسه الصراط المستقيم، وسعد بنور العلم والإيمان واليقين: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وتفكر وتدبر أيها المسلم واقراً باسم ربك العليم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، فأقرأ مستعنياً باسم الله: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ١ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٢ ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ٣ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ٤ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ ٥ [العلق / ١-٥].

وأعظم مفاتيح العلم الإلهي هي القراءة، والقراءة المطلوبة ثلاثة أنواع:  
الأولى: قراءة البحث والإيمان: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ٦ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٧ ﴿بَصِيرَةً وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ٨ [ق: ٦-٨].

الثانية: قراءة الشكر والعرفان: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

الثالثة: قراءة التسليم والاذعان: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ومن قرأ القرآن بتلك الصفات آمن بالله، وكبره وعظمه، وأحبه وأطاعه، وحمده وشكره، وامثل أوامره، واجتنب نواهيه: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ١ [إبراهيم: ١].

ومن أصغى بقلبه لعلم الوحي، وأقبل بوجهه على ربه، وأنصت بسمعه لكلامه؛ أقبل الله عليه، وشرح صدره، وأنار قلبه بنور العلم والإيمان، ومكاشفات اليقين، وفتوحات الإلهام من رب العالمين، وفجر له ينابيع الحكمة من أنهار المعرفة؛ فعبد الله كأنه

يراه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِذِ الْمُنَىٰ وَوَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر / ٩].

فافتح رحمك الله أبواب السمع والبصر والعقل لنور الوحي؛ يضيء قلبك بنور التوحيد والتقوى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق / ٣٧].

ونعلم أن الله ﷻ يرانا، ويسمع كلامنا، ويصير حركاتنا، ويعلم بما في قلوبنا؛ فلنجلس في هذه المجالس العظيمة بالتعظيم الكامل لله ﷻ، والتعظيم والحب لكلامه وكلام رسوله ﷺ، والتواضع لله ﷻ، والافتداء برسوله ﷺ، ونجلس مجلس جاهل لا يعرف شيئاً، وفقير ليس عنده شيء، وضعيف لا يقدر على شيء إلا بعونه ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

والفقه في أسماء الله وصفاته وأفعاله هو رأس كل علم، وإمام كل هدى، وجامع كل خير، ومفتاح كل معرفة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد / ١٩].

وإذا أردت أيها المسلم معرفة الفقه الجامع اليقين المتين؛ فاعلم أن الله الحكيم سبحانه خلق المخلوقات كلها بقدرته جل جلاله، ولها حكمة، فلنقبل الآن بوجوهنا وقلوبنا؛ لنصغي إلى هذه الحكمة العظيمة التي بينها الله ﷻ في كتابه، وإذا عرفناها حقاً عبدنا الله حقاً: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

• فلنتدبر وننظر أن الله ﷻ خلق عوالم العظيمة:

عالم الجهاد .. وعالم النبات .. وعالم الحيوان .. وعالم الإنسان .. وعالم الملائكة .. وعالم الجن.

هذه العوالم الكبرى الستة خلقها الله، وكل له وظيفة، والكل سامع مطيع لمن خلقه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرَمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُفَعِّلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

١- فالله ﷻ خلق عالم الجهاد بأنواعه من هذه الأرض الواسعة، وهذه الجبال الشاهقة، وهذه البحار العظيمة والسماوات وغيرها من عالم الجهاد، وهذه هي أكبر المخلوقات

وأوسعها.

وهذا العالم من العالم بمنزلة العَظْم من الإنسان؛ هذه المخلوقات العظيمة تشبه الإنسان، فالإنسان له أساس يبنى عليه، أساس الإنسان هو هذه العظام، هذا الهيكل العظمي، هذه المخلوقات التي هي عالم الجهاد، هذا العالم الكبير، هو من العالم بمنزلة العظام من الإنسان: ﴿ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

وبث سبحانه في عالم الجهاد أكثر الصفات التي خلقها في الإنسان؛ فخلق من الجهاد الكريم والليثيم، والشريف والوضيع، والعالي والسافل، والطيب والخبيث، والحلو والمر، والحسن والقبيح، والسهل والحزن، وهكذا، وجعل له منافع ومضار، وليناً وقسوة، وحباً وبغضاً: ﴿ وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۗ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة/ ٧٤].

وعن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ لما بدا له أحد: «هَذَا جَبَلٌ يُحِينُنَا وَنُجِبُهُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وهذا جهاد، لكن فيه صفات، فهو حي يحب ويغض، ويسبح ويسجد: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور: ٤١].

وكل ذرة من الجهاد في العالم العلوي والعالم السفلي تسبح بحمد ربها، وتشهد بتوحيده، وتخضع لعظمته، وتسرع إلى إرادته، وتخضع لأمره: ﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [٤٣] تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

٢- وخلق الله سبحانه فوق هذا العالم الكبير عالماً آخر، هو عالم النبات وهو أقل من عالم الجهاد، ونسبة عالم النبات إلى عالم الجهاد كالذرة إلى الجبل؛ فلا إله إلا الله! ما أعظم ملكه! وما أكبر العوالم التي في ملكه! وما أكثر الخلائق التي تسبح بحمده! فكلما خلق مخلوقاً

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٣٣)، ومسلم برقم (١٣٦٥)، واللفظ له.

زاد ملكه، وزاد من يسبحه، فالله ﷻ خلاق يخلق في أقل من ثانية مليارات المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو من النباتات والحيوانات وغيرها من المخلوقات: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

وميز الله سبحانه عالم النبات عن عالم الجهاد بالنمو والتكاثر، فعالم الجهاد له صفة الوجود واللون والحجم، لكن النبات يزيد عليه بأنه ينمو ويتكاثر، فالشجرة تنمو وتتكاثر.

وفي كليهما في عالم الجهاد والنبات طيب وخبث، وحلو ومر، وطويل وقصير، ولين وقاسي، وبارد وبارد، وصغير وكبير، ومحمود ومذموم، ونافع وضار: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

والنبات من العالم بمنزلة اللحم من جسم الإنسان؛ فالنبات يشبه اللحم الذي كسا الله به عظم الإنسان؛ فالنبات على الجهاد كاللحم على جسد الإنسان؛ فلا بد للنبات أن ينبت على شيء، كذلك اللحم ينبت على عظم الإنسان.

فمنزلة عالم النبات من عالم الجهاد بمنزلة اللحم من جسم الإنسان. وما في الجهاد من العطيات، والهبات، والأخلاق، والأنفس، والأرواح هي في النبات أبسط وأشرح وأظهر وأبين من الجهاد: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

لا بد أن نعلم هذه الأمور، لا بد أن نعلم أننا لسنا وحدنا في عبادة الله، بل كل المخلوقات تعبد الله بعلم وفقه، وتسبح بحمد ربها، وهي أمم وقبائل، ولها صفات، ولكنها تظهر تدريجيًا في عالم الجهاد، ثم تزيد في عالم النبات.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرَجَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحُنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ،

وَطَعْمَهَا مُرًّا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وكل ذرة، وكل شجرة، وكل ورقة، وكل ثمرة في عالم النبات تسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيتها وعظمة أسماؤه وصفاته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدَعِلِمَ صَلَاتُهُ، وَسَبِّحُهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور/ ٤١].

فكل شيء في الكون يسبح بحمد ربه، لأن التسبيح فرع للحي الذي يسمع ويبصر.

٣- ثم انشرت هذه الصفات واتسعت أكثر في عالم الحيوان، فالله ﷻ خلق بعد عالم النبات عالم الحيوان، ونسبة عالم الحيوان إلى عالم النبات كالذرة بالنسبة للجبل؛ فعالم النبات أكثر من أربعين مليون صنف، منها ما نعلمه، ومنها ما لا نعلمه: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

وعالم الحيوان يقال في الأرض، أكثر من مليون مخلوق من الحيوانات في البر، وأكثر من مليون حيوان في البحر، فنسبة عالم الحيوان إلى عالم النبات كالذرة بالنسبة للجبل، وكالقطرة بالنسبة للبحر، وكلها تسبح بحمد ربها، وكلها تشهد بجلاله وجماله، جلاله في خلق الكبير، وخلق الصغير، وجماله بأن الله ﷻ سخر لنا التراب لنمشي عليه، وسخر لنا النبات لتأكل منه، وسخر لنا الحيوان كذلك نركبه، ونأكل من لحمه، ونشرب من لبنه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَيَبَاطِنُهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

فعالم الحيوان، فوق عالم النبات، وعالم النبات فوق عالم الجهاد، فهذه الصفات التي في الإنسان؛ انشرت أكثر في عالم الحيوان الذي يتميز عن النبات بالحركة والحواس، وبث فيه العليم الخبير مكارم الأخلاق وسيئها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمِمَّا أُنزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

ويصعد الحيوان في التفاضل إلى أدنى النوع الإنساني، بعض الحيوان نافع، وبعضه ضار،

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٤٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٩٧).

بعضه لئيم، وبعضه كريم، يقال: أكرم من ديك، وأروغ من ثعلب، وأجمع من ذرة، وأحقد من جمل، فهذه الحيوانات لها صفات حسنة وسيئة كالإنسان.

والحيوان من العالم بمنزلة الأعضاء من جسم الإنسان، مكانة الحيوان من العالم بمنزلة أعضاء الإنسان من جسم الإنسان، الأعضاء الموجودة فيه الداخلية والخارجية كالقلب والمعدة واليدين والرجلين والسمع والبصر.

ثم انشرت هذه الصفات في الحيوان، واتسعت أكثر من الجهاد والنبات، فظهرت في الحيوان أفعاله وحركاته من العداوة والبغضاء، والخديعة والمكر، والحب والبغض، والرحمة والقسوة، والحرص والطمع، والحركة والسكون، ففي الحيوانات المسالم والمفترس، والكريم واللئيم، والنافع والضار، والشديد والرحيم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ [النور / ٤٥].

وكل حيوان، وكل جماد، وكل نبات، وكل طائر وكل حشرة، وكل ذرة من هذه المخلوقات تشهد لبارئها بالتوحيد وتسبح بحمده: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْهُ أَنتَ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ، مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج / ١٨].

وهذه الصفات تترقى من عالم الجهاد، إلى عالم النبات، إلى عالم الحيوان.

٤- ثم خلق الله ﷻ العليم الخبير آدم ﷺ بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وفضله على كثير من خلقه، وكرمه وجعله خليفة في الأرض، وميزه عن الحيوان بالعقل، ثم جعل نسله وذريته من ماء مهين: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء / ٧٠].

ثم العالم الإنساني أوسع وأشرح وأكثر صفات من الجهاد، والنبات، والحيوان، هذا الإنسان خلق وله مصرفان: مصرف للإيمان، ومصرف للكفر، مصرف للطاعة، ومصرف للمعصية، مصرف للعفو، ومصرف للانتقام، الله جعله قابلاً لهذا وهذا: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا

شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٢﴾ [الإنسان: ٢-٣].

جمع الله في هذا الإنسان ما في العوالم قبله، وهي عالم الجهاد، والنبات، والحيوان. فالإنسان له حجم وطول وعرض ولون، والإنسان من هذه الناحية يشبه الجهاد، والإنسان ينمو ويكبر ويتكاثر بالتناسل، فهو من هذه الناحية يشبه النبات. والإنسان كذلك يمشي ويقف، ويحس ويتحرك، فهو من هذه الناحية يشبه الحيوان، ولكن يتميز عن هذه المخلوقات كلها بالعقل.

والإنسان من العالم بمنزلة القلب من الجسد، عالم الجهاد بمنزلة العظم من الإنسان، والنبات بمنزلة اللحم الذي يكسو العظم، والحيوان بمنزلة الأعضاء، والإنسان منزلته من العالم بمنزلة القلب من الجسد، فجسد لا قلب فيه لا يسمى إنساناً؛ يسمى جثة، فالإنسان من العالم بمنزلة القلب من الجسد؛ فالأعلى ينزل إليه، ويعطف عليه، كالملائكة والمطر إلى جانب الوحي، والأسفل من المخلوقات مسخر له، وخادم له، هذا الإنسان ما فوقه ينزل عليه ويعطف عليه، كالملائكة الذين ينزلون عليه بالرحمة، والغيث الذي ينزل عليه بالماء، إلى جانب الوحي الذي ينزل من ربنا ﷻ، والأسفل من المخلوقات مسخر له وخادم له: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

عالم الجهاد، عالم النبات، عالم الحيوان؛ كله في خدمة الإنسان، الملائكة يدعون له ويستغفرون له، والمطر ينزل عليه، والوحي ينزل عليه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ [الجاثية: ١٣].

هذا الإنسان إناء قابل للهداية، وقابل للضلالة، قابل للإيمان، وقابل للكفر، فإن جاءه مذكر؛ آمن واستقام إن أراد الله له الهداية، وإن لم يرد له الهداية؛ يظل على ظلمته، ويطلع الله على قلبه؛ لأنه يعلم أنه لا يصلح للجنة، وليس أهلاً لهذه النعمة، فيطلع على قلبه، لا الكفر يخرج، ولا الإيمان يدخل، وذلك بعد إقامة الحججة عليه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ [غافر/ ٣٥].

فمن هذا النوع الإنساني من جمد على موضع اللب من صفة العقل، فقط يعقل الأمور العقلية، يعقل الدنيا وما فيها، ويزينها ويزخرفها، ويعمى عن موضع نور الإيمان من

العلم الإلهي الذي مكانه القلب، فهذا الإنسان جهل نفسه، ولم يعقل قدر منزلته؛ فكفر بربه، وكابر بنفسه، وجحد فطرته، واتبع هواه؛ فخان أمانته، ونقض عهده، وبطر نعمة ربه، واستكبر عن عبادة فاطره: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فهذا الإنسان لم تنفعه صفاته، وأربى بجهله على جهل البهائم، هذا الإنسان الذي جمد على موضع اللب من صفة العقل، واستعجل الدنيا، واستمتع بها وعمرها؛ أعرض عن الإيمان بربه الذي خلقه: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنسَانُ مَا عَرَكَ رِيَكِ الْكَرِيمِ﴾ [٦] الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ [٧] فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [٨] [الانفطار: ٦-٨].

ومنهم من تجاوز بعقله الخلق إلى الخالق، والصور إلى المصور، وتجاوز الدنيا إلى الآخرة، وقدم ما يجب الرب على ما تحب النفس، فأمن بربه وأحبه وعبده وحده، فهذا أعقل الناس: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [٤] [الأنفال: ٢-٤].

## • والعلم علمان:

علم عالي .. وعلم سافل .

العلم العالي: هو الذي يعرفك بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته ووعيده، ويعرفك بشره ودينه، ويملك على عبادة الله وحده: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [٩] [الزمر: ٩].

والعلم السافل: هو كل ما سوى ذلك ومنه ما هو محمود ومذموم.

فالعلم علم أعلى، وعلم أدنى، والعلم الأدنى جزء من العلم الأعلى، فالعلم الإلهي الذي نزل في مكة ابتلع جميع العلوم؛ علم فارس، وعلم الروم، وأخضعها للعلم الإلهي، والعلم الإنساني كله ذرة بالنسبة للعلم الإلهي: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ [الروم: ٦-٧].

استعملوا عقولهم في عمارة الدنيا، واستعجال الشهوات، وتزوين المطعومات، والمشروبات، والمركوبات، والمنكوحات، والملبوسات وغيرها؛ فهذا الصنف الضال من البشر مأواه جهنم؛ بسبب خبثه، وفساده، وضلاله، وكفره واتباع هواه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧-٨].

لكن الله لا يعذب أحداً حتى يرسل إليه رسولا: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥].

فهذا النوع وإن اخترع الطائرات، والسيارات، والقطارات، وصنع القنابل الذرية، وعلم كل شيء؛ فهو عرف كل شيء، ولكن لم يعرف ربه الذي خلق كل شيء، الذي له ملك كل شيء، رب كل شيء، إله كل شيء، فهذا في غاية الجهل، لأن العلم الإنساني كله يربط المخلوق بالمخلوق، والعلم الإلهي يربط المخلوق بخالقه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتُونَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فلا قيمة للعلم الإنساني بالنسبة للعلم الإلهي، ونسبته إليه كالذرة بالنسبة للجبل، لماذا؟ لأن العلم الإلهي يربط المخلوق بخالقه؛ فيكبره ويوحده ويعبده ويطيعه، فالله عَزَّوَجَلَّ يثيب على ذلك الأمن والسعادة في الدنيا، والجنة والرضوان يوم القيامة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

• أما العلم الإنساني فهو يربط المخلوق بالمخلوق، وهو على قسمين:  
محمود .. مذموم.

المحمود كالصناعات المختلفة التي نفعت البشرية، لكن هذه لا تنفع إذا هت الإنسان عن العلم الإلهي: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

والعلم المذموم في صناعة الخمر والمخدرات والسحر، وتعليم الشرك، وصناعة القنابل لقتل الأبرياء، واستعبادهم، وأخذ أموالهم، وإفساد حياتهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا

﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴿١٠٦﴾ ﴿الكهف: ١٠٣-١٠٦﴾.

١- ودرجة الإنسان في الدنيا والآخرة بحسب إيمانه أو كفره، فإما أن يصعد به الإيمان إلى ما علاه خلقاً ورتبة وهم الملائكة، الذين مزاجهم سمعنا وأطعنا: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وإما أن يسفل به الكفر إلى ما تحته من الحيوان فما دونه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].  
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان / ٤٤].

لأن الأنعام تأكل وتشرب، وتعطي الحليب والسمن، أما الكافر فيأكل ويشرب، ويكفر بنعم الله ﷻ، فالكافر ممسوخ الباطن إلى ما قارب طبعه من البهائم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد / ١٢].

ومن كان من هؤلاء الكفار بعض أفعاله حسنة، وأخلاقه كريمة، وسجاياه محمودة؛ فهو مثل الشجر الذي فيه شوك وهو مر، أطلع زهراً، وأثمر ثمراً ينتفع به غيره، ولا ينتفع به هو، وفي هؤلاء يقول الحكيم العليم: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان / ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩].

فهؤلاء عملهم باطل، لأنه لم يقم على التوحيد؛ فليس له أساس، فهم عملوه للدنيا؛ فالله أعطاهم في الدنيا نعيماً، وتمتعوا بهذا النعيم، لكن يوم القيامة ليس لهم من خلاق: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَحُهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

ويوم القيامة يندم كل واحد منهم على كفره واتباع هواه، ولكن لا ينفع الندم: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ (٣٦) وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿يَنوَيْلُنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ (٣٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا ﴿٣٩﴾ [الفرقان / ٢٦-٢٩].  
وهؤلاء أكثر الناس في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) [يوسف: ١٠٣].

٢- أما الصنف الثاني من النوع الإنساني فهم القليل: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٣) [سبأ: ١٣].

والصنف الثاني من النوع الإنساني هو المسلم الذي قبل الهدى، والذي أبصر الطريق بالعقل والوحي، وحققت له كلمة السعادة، وارتفع إلى عالم أرفع من عالمه، فزكى باطنه بالإيمان، وحسن ظاهره بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠].

فهذا هو السعيد الذي أسلم لله وجهه، واستن بما جاء به نبيه ﷺ واقتدى به في نيته وتوحيده وإيمانه وأقواله وأعماله وأخلاقه، هذا هو السعيد الذي أسلم لله وجهه: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢) [لقمان: ٢٢].

فهذا قد أحسن عمله، واستن بما جاء به النبي ﷺ حتى ورد عليه حوضه فأسقاها منه، وشفع له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾، على هذا القول: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

الله أكبر! ما أعظم هذه النزل لهذا الإنسان الكريم الذي عرف ربه وجاهد في الله حق جهاده، واجتهد في حياته بعبادة ربه، ودعوة خلقه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه، فهذا له نزل عظيم يوم القيامة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ

رَبِّهِمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧].

ويختلف النعيم بحسب تنوع الأعمال وإخلاصها، يتنوع النعيم للمؤمن في الجنة بحسب تنوع الأعمال القلبية، والأعمال البدنية، وهؤلاء هم الصفوة المختارة، هم عباد الله الموحدون المهتدون: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ سَمِعُوا الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر / ١٧ - ١٨].

وهؤلاء المسلمون درجات في الفهم والهمم، والعلم والعمل، وحسن السيرة والسريرة، لا بد أن نعرف أن المسلمين على درجات في الفهم، وحسب الفهم يكون العمل، يكون الحب لله، والتعظيم لله، والتعبد لله بأنواع العبادات فرضها ونفلها، وسرها وجهرها. نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم في الصف الأول من هؤلاء؛ حتى نعبد الله كأننا نراه: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ [الحديد: ٢١].

ومن هؤلاء من جمع إلى إسلامه حسن المعرفة بمن أسلم وجهه إليه، فعرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وحسن الاقتداء بمن أرسله الله إليه، وهو محمد ﷺ؛ فأضاء قلبه بنور الإيثار، وقام على ظاهره وباطنه شاهداً بالحق وللحق: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَهْلًا لِّأُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾ [الرعد / ١٩].

فهذا عرف ربه فأحبه، وعظمه، وعبده، فهذا مع التدبر والتفكير في كل يوم صار يقينه صافياً قوياً، وتعلق قلبه بربه وحده، وذاق طعم الإيثار وحلاوته، وعبد ربه كأنه يراه، فوعدت منه العبادات صافية من الكدر، حلوة الطعم، فارتفع ذكره، وعُرف في السماء اسمه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ [الأحقاف / ١٦].

أما الصنف الثاني: وهو أعلى من هؤلاء، هؤلاء هم من ساء بهيمته صعوداً إلى المعالي، ليصل إلى الحياة العظمى، والمقام الأكرم، فقطع العلائق القاطعة له عن بغيته، وصعد على المعارج الموصلة إلى ربه، فعرف ربه بأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعدته ووعدته، وعرف دينه وشرعه، واستقام على ذلك حتى لقي ربه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا

يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فهذا تعبد لربه على مقتضى الأسماء الحسنى، غير مفارق للاقتداء بالمصطفى، ولا متبع سبل الهوى، له في كل بلد دار، وفي كل واد منار، مُؤدِّ لكل فريضة، سابق إلى كل فضيلة: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ وَأُولَئِكَ الْمَقْرُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْلِيَانِ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-١٤].

فنكون مع السابقين؛ لأن الله أخبرنا أنه الأول، فيجب علينا أن نكون نحن الأوائل، في العبادة، في الدعوة، في التعليم، في الاستقامة، في الذكر، في الدعاء، في الأخلاق، في التوحيد، في اليقين، وهذا كله يأتي بالمجاهدة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦٦].

فالله يريد مني أن أكون الأول إخلاصاً وأعمالاً وأخلاقاً: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [النمل: ٩١].  
فهذا الصنف من الناس، وهم السابقون المقربون من ورثة الأنبياء والرسل، تراه مع الركع السجود عابداً، ومع الذاكرين ذاكرًا، ومع الدعاة داعيًا، ومع العلماء معلمًا، ومع المجاهدين مجاهدًا، ومع المحسنين محسنًا، ومع الصابرين صابراً، ومع القانتين قانتًا؛ فأحبه ربه، واجتبه، وتولاه، وأغناه، وأكرم مثواه، وذكره في نفسه، وأثنى عليه في الملاء الأعلى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واجعلنا للمتقين إمامًا، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك من جهلي بأسمائك وصفاتك، ودينك وشرعك، وخطئي في معصيتي بعد معرفتي، وظلمي في تأخير العمل ونقص العمل، يا غفور يا رحيم: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ

مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴿الأعراف: ٢٣﴾.

واعلم أخي المسلم وأختي المسلمة أن العزيز العليم جل جلاله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأفقره إليه في جميع أحواله، ليقف بباب الغني وحده، ولا يذل نفسه لغير ربه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر / ١٥].

فسبحان الخلاق العليم القادر على كل شيء! يخلق بيده إذا شاء، ويخلق بكلماته إذا شاء، ويخلق بإرادته إذا شاء: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فسبحن الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴿٨٣﴾ [يس / ٨١-٨٣].

هو العلي العظيم الذي يعلم كل شيء، والأحكام والأقدار واقعة منه على خلقه في كل حين، والحجب والأستار تحجبه عن خلقه، وهو لا يحجبه شيء، ولا يعجزه شيء: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج / ٧٠].

هو العليم الخبير السميع البصير بكل شيء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١]. وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يُخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

والله هو العليم بكل شيء، وحده لا شريك له، خلق الإنسان وعلمه أشياء، وحجب عنه أشياء؛ ليعرف ربه بكمال العلم والقدرة والغنى، وليعرف نفسه بالجهل والضعف والنقص والفقر: ﴿وَسَأَلُونكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء / ٨٥].

فأذن الخلاق العليم للإنسان بشيء من العلم كشفه له، وزوى عنه أبواباً من العلم لا حاجة له بها في خلافة الأرض؛ فزوى عنه علم سر الحياة، وسر الموت، وسر العقل،

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

وسر الروح، وسر الخلق، وسر الساعة، والزمن المستقبل، وكل ذلك غيب لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان / ٣٤].

وكل ما يعلمه الخلق من العلوم هبة من العليم القدير، ونسبة ما يعلمونه إلى ما يعلمونه كالذرة بالنسبة للجبل، وكالقطرة بالنسبة للبحر، ونسبة ما يعلمونه وما لا يعلمونه إلى علم الله أقل من الذرة بالنسبة للجبل، بل لا نسبة بينهما البتة: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام / ٥٩].

فسبحان الخلاق العليم، العالم بالكون كله، الناظر إلى ما علمه كله، لا حجاب بينه وبين معلومه: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه / ٩٨].

ثم أظهر سبحانه الخلق كله بحكمته عالماً بعد عالم، وقتاً بعد وقت، فجاء الخلق كلهم على بصره وسمعه وعلمه وكلامه كما كانوا أولاً، وكما كانوا أولاً في علمه وقدرته ومشيئته، بلا زيادة ذرة، ولا نقصان خردلة، لأنه العليم القادر على كل شيء: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران / ٥٣].

اللهم ربنا ارزقنا شهادة الموقنين، وإيمان المقربين، وعمل المتقين، يا عزيز يا عليم يا كريم.

## التعبد لله عز وجل باسمه العليم

الله ﷻ هو العليم بالماضي والحاضر والمستقبل، وما كان وما يكون وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿رَبِّنَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر / ٧].

هو سبحانه العليم الذي يملك خزائن العلوم كلها: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِإِذْنِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١].

هو سبحانه العليم الذي وهب كل مخلوق من علمه: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [٣] الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ [٥] [العلق / ٣-٥].

هو سبحانه العليم الذي بيده مفاتيح العلوم والغيوب كلها: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٥٩] [الأنعام: ٥٩].

فإذا عرفنا الله ﷻ باسمه العليم، والأعلم، والعلام، والعالم، إذا عرفناه بهذا الاسم العظيم؛ فكيف نعبده بموجب هذا الاسم العظيم؟ فالله عليم يريد منا أن نكون علماء في الدين، معلمين للدين: ﴿كُونُوا رَبَّنِيذِينَ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [٧٦] [آل عمران / ٧٩].

ومن علم أن الله عليم بكل شيء، أحاط علمه بكل ظاهر وباطن؛ أفاده ذلك أموراً عظيمة، من الخوف من الله، وخشيته، وتعظيمه، وإجلاله، ومراقبته في السر والعلن، ودفعه ذلك إلى الاستقامة على أوامر الله ﷻ، فزكت أعمال قلبه وجوارحه، ووصل إلى مرتبة الإحسان، فعبده كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه سبحانه يراه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [٧] فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [٨] قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [٩] وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [١٠] [الشمس: ٧-١٠].

وقام بين يدي ربه خائفاً منه، راجياً له: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [٩] [الزمر / ٩].

وأفاده كذلك التسليم لأحكام الله القدرية والشرعية، فيطمئن قلبه، ويسكن بما قضاه الله وقدره من المصائب والمكروهات، ويعلم أنها لم تقع إلا بعلم الله الحكيم الخبير بما

يصلح عباده، وأنها ليست تشفياً ولا عبثاً وإنما هي مصلحة ورحمة وتربية: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد / ٢٢-٢٣].

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

ويسلم قلبه كذلك لأحكام الله الشرعية، ويرضى ويفرح بها؛ لأنها من عليم حكيم، يعلم ما يصلح عباده، ويسعدهم في الدنيا والآخرة، فيأمرهم به، ويعلم ما يجلب لهم الشر والشقاء فينهاهم عنه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦١﴾﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء / ٦٩-٧٠].

وأفاده كذلك الثبات في ميادين الخوف وقاتل الأعداء؛ لأنه يعلم أن ربه عليم بحاله، يسمع ويرى كيد الأعداء، وأنه محيط بالكافرين: ﴿فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس / ٧٦].

﴿فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٦-٧٩].

وإذا كنت تعلم ذلك فلا تخاف؛ لأن ربك هو الوكيل عليك، وهو الذي بيده ناصية كل مخلوق: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود / ٥٦].

وأفاده العلم بأن الله بكل شيء عليم، الأنس بربه، والتقرب إليه بما يجبه ويرضاه، وسؤاله حاجته؛ لأنه عليم بجميع أحوال خلقه؛ فيتضرع إليه، وينكسر بين يديه، ويوجه شكواه إليه، ويلقي بحاجته عند بابه، فإذا وافق هذا التضرع حسن ظن بالله، وقوة اضطراب، وصدق توجهه إلى ربه؛ لم تتخلف إجابة الكريم العليم الرحيم له: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة / ١٨٦].

والعبد المسلم إذا عرف أن ربه هو العليم بكل شيء، العليم الذي عنده خزائن العلوم؛

أفاده ذلك الحرص على طلب العلم الشرعي، وسؤال ربه الزيادة منه، والعمل به، وتعليمه للخلق، والتواضع لله الذي علمه، وعدم التكبر والفخر به على الخلق ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يمجد ربه باسمه العليم، ويدعوه به، ويتوسل إليه به في جميع حاجاته، في طلب العلم، فيقول: ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة/ ٣٢].

ويتوسل إليه به في طلب قبول العمل: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة/ ١٢٧].

وقوله سبحانه عن دعاء يعقوب عليه السلام: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف/ ٨٣].

وقوله سبحانه عن استجابته لدعاء يوسف عليه السلام: ﴿ فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف/ ٣٤].

ويتأكد الدعاء والثناء على الله ﷻ بهذا الاسم عند سؤال الله العلم والفهم والحكمة؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمنى النبي ﷺ إلى صدره وقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا الْحِكْمَةَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

وكذلك يتأكد عند الاستخارة.

قال النبي ﷺ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَخِيرُكَ بِقُدْرَتِكَ؛ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>.

هو سبحانه العزيز العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وإذا عرف العبد ذلك توجه إلى ربه، وعمل بصدق وإخلاص، وعدم الالتفات إلى ما سوى ربه ﷻ: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣].

والعليم جل جلاله يجب أسماؤه وصفاته، ويجب من عباده أن يتصفوا بها، ويعبدوه

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٥٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٢).

بموجبها.

فاعرفوها، وأحصوها، واعلموا معانيها، وتعبدوا لله بها، فالله مؤمن يحب المؤمنين، والله محسن يحب المحسنين: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

وإذا عرفت ذلك؛ فاعلم أن أول الواجبات عليك طلب العلم من العليم سبحانه؛ لأنه لا يمكن عبادة الله ﷻ بما شرعه إلا بعد معرفته، ومعرفة دينه، ومعرفة ما يحبه ويرضاه، ومعرفة ما يكرهه ويسخطه: ﴿كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران / ٧٩].

فاطلب العلم من العليم، واستكثر منه، تتقي الله وتحشاه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

فإذا كنت عالماً؛ أعمل بعلمي، وأعلم غيري، فأنا لا أستطيع أن أعبد الله حتى أعرف الله بأسمائه وصفاته، ولا أستطيع أن أعبده بما يحبه ويرضاه حتى أتعرف على شرعه ودينه، وذلك لا يتم إلا بالعلم، ولا أعرف الحلال من الحرام إلا بالعلم، ولا أعرف الطيب من الخبيث إلا بالعلم، ولا أعرف قيمة الدنيا ولا قيمة الآخرة إلا بالعلم، ولا أعرف عدوي الوحيد إلا بالعلم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتِ أِنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

فالعلم الإلهي هو أساس كل شيء: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَكُمْ﴾ [محمد / ١٩].

وطلب العلم من أعظم العبادات، وكلما زاد علم المسلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ودينه وشرعه؛ زاد نور الإيمان في القلب، وخلص التوحيد مما يكدر صفاءه، فتلذذت النفوس بالعبادة، وانقادت الجوارح للطاعة، ولهجت الألسن بالذكر والتسبيح، والتكبير والتحميد، وارتفعت درجة العبد عند ربه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة / ١١].

فكن عالماً، ومعلماً، ومتعلماً، وعابداً، وداعياً، ومحسناً، هذه دائرة العلم، درجة عالية في الدين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [١٢] وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا

بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك: ١٢-١٤].

هذا العمل جسد، وروحه الإخلاص، والإخلاص أن يكون صافياً مما يكدره من شوائب الرياء، أو الكبر، أو النفاق: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

فسل ربك العليم بكل شيء أن يعلمك ما ينفعك، وأن ينفعك بما علمك، وأن يرزقك من فضله وعلمه ما يقربك إليه: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤].

وسل ربك العليم الخبير كل خير، وتعوذ بالله من كل شر، قائلاً ما قاله رسوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَحْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وعليك بالتفرغ لطلب العلم؛ لتسير إلى ربك بنور ودليل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وإذا عرفت فالزم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

وعليك بصدق الإخلاص، ودوام النظر في آيات الله الكونية التي تملأ القلب إيماناً وتوحيداً وتمجيذاً للرب ﷻ، وحمداً له، وحسن التدبر والتفكير في آيات الله الشرعية، فذلك طريق الوصول إلى علم اليقين، وتوحيد رب العالمين: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

ماذا في السموات والأرض من العوالم المختلفة؟  
ما هي عظمة السموات والأرض؟ وماذا في السموات والأرض؟ وكم سعة السموات

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٦).

والأرض؟ وما فيها من المخلوقات المختلفة من الملائكة والجن، والإنس، والحيوانات، والنباتات، والجمادات، والذرات، والكبير، والصغير، والنور والظلام، والجبال والبحار، والشمس والقمر والنجوم: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

والقرآن مفتاح العلم كله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فِإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية: ٦].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

الحمد لله؛ الذي فطرنا على التوحيد والإيمان، وأعطانا الأسماع والأبصار والعقول التي نعقل بها، فبرى المخلوقات وتجاوزها إلى الخالق، ونرى الصور وتجاوزها إلى المصور، ونرى الدنيا وتجاوزها إلى الآخرة، ومنَّ علينا بإرسال الرسول الذي بين لنا ما يجب الله، وما يسخط الله، وما أمر الله به، ما نهى الله عنه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر / ٧].

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

فله الحمد والشكر أن خلقنا، ورزقنا، وهدانا، ومنَّ علينا بأن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

فلا سعادة ولا فوز ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان والعمل الصالح، ولا إيمان إلا بعلم بالله ودينه.

فمن أراد النجاة والفوز والفلاح فعليه بالتفرغ لطلب العلم؛ ليسير إلى ربه بنور ودليل، ويعبد ربه بما عرفه من أسمائه وصفاته، ودينه وشرعه، فعلم أسماء الله الحسنی وصفاته العلی، جماع علوم الدين، ومفتاح أبواب التوحيد والإيمان: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

حتى تعبد الله كأنك تراه اعلم أنه ليس في الكون إلا إله واحد: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدًا لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٣﴾ ﴿البقرة: ١٦٣﴾.

فمن عرف أن له ربًا كريمًا يكرم المطيعين له، وأن طاعتهم له تكون بعد توفيق الله على قدر معرفتهم به؛ فجدير بهذا العبد ألا يزهد في القرب من ربه الكريم؛ حتى يصل إلى حقيقة التوكل عليه، وصدق التوجه إليه، ودوام الانقطاع إليه، ولزوم طاعته، والاستغناء به عن سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى / ١٠].

فأنا بين يديه عابداً، وأنا لا أقدر على العبادة إلا بقدرته وإعانة منه، ولا أستطيع أن آتي بالعبادة التي يحبها الله إلا بعون منه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

فمن علم ذلك فليحمد الله، ويشمر لطاعة مولاه، بامثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذَنُوا تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر / ٣].

وإذا لم يكن فيه خالق إلا الله؛ فهو المستحق للعبادة، وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والعبادة نفعها عائد علينا، والله ﷻ لا ينتفع بها، بل هو الغني عن كل ما سواه، وغني عن كل ما في الكون، وإن كان لا يعرف ربه فبكاؤه على نفسه أكد الأشياء عليه، فليبادر هذا العبد إلى التوبة، وسلوك الصراط المستقيم، والتوابع الرحيم ﷻ يقول له: ﴿وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه / ٨٢].

ويقول له: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

واعلم وفقك الله لمعرفة، وحسن عبادته، أن فضائل النفوس إنما تزكو وتعلو بالعلم والإيمان بالله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس / ٧-١٠].

فلا بد للإنسان من المجاهدة، فإنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، فلا بد للإنسان من بذل الجهد، حتى يتعلم؛ لأننا في دار الأسباب، فلا بد من فعل الأسباب، فالدنيا لها

أسباب، والآخرة لها الأسباب، أسباب الآخرة أن تأتي بالأسباب من الإيمان والأعمال الصالحة، وأسباب الدنيا أن تبذل الجهد في طلب المعاش، فلا يقعد الإنسان، بل لا بد أن يعمل الإنسان، لكن يعمل بسنة، ويأكل بسنة، ويمشي بسنة، وينظر بسنة، ويسمع بسنة، ويلبس بسنة، ويركب بسنة، فسنن الدين قد ملأت حياة الإنسان من مولده إلى وفاته:

﴿ صَبَغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

فالعلم درجة عالية ترفع الإنسان من المقام الأدنى إلى المقام الأعلى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

وبقدر تفرغ طالب العلم للنظر والتفكير والتدبر في آيات الله ومخلوقاته، يصغي إليه قلبه بسمعه، ويبصره بسبل هدايته، فتتفجر ينابيع الحكمة والعلم والعمل من قلبه ولسانه وجوارحه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأَنْفَال: ٢-٤].

إذا المسلم تفرغ للنظر والتدبر والتفكير في آيات الله ﷻ؛ امتلأ قلبه بالإيمان، ثم تطلع إلى العمل، فأصبح يذكر الله ويخشاه، ويفتقر إليه، وينكسر بين يديه، وصارت الجوارح تعمل بطاعته، واللسان ينطق بذكره، وشكره، وحمده، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. ومن عرف الله حقاً سارع إلى طاعته في كل أمر: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

إذا امتلأ القلب بنور الإيمان؛ أبصر الإنسان الطريق إلى الله، وتفجرت ينابيع الحكمة والعلم من قلبه ولسانه وجوارحه، كالماء النازل على الأرض من السماء، إذا نزل أنبتت الأرض من كل زوج بهيج؛ فهذا الوحي إذا نزل على القلوب أنبت: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وَأَنْبَت: ﴿التَّيْبُوتُ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّيِّحُونَ الرَّكْعُونَ  
السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ  
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

ينبت الأخلاق العالية، وينبت الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، كالماء النازل من  
السماء على الأرض اليابسة المغبرة: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ  
وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج/ ٥].

أنبتت من كل زوج بهيج يسر الناظرين، نباتات مزهرة، ونباتات مثمرة، ونباتات  
مورقة، ثم رتب على ذلك خمسة أمور، ليس القصد النبات فقط، إنما القصد أن يتذكر  
الإنسان، ويأخذ عبرة من الماء النازل على الأرض، فتأتي هذه النباتات الطيبة.

وبالمقابل ينبت نباتات أخرى سامة، كما أنه ليس كل الناس يقبل هدي القرآن، منهم من  
يؤمن، ومنهم من لا يؤمن، فرتب الله ﷻ على نزول الماء من السماء على الأرض ونباتها  
هذه النباتات التي تسر الناظرين خمسة أمور، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى  
وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٦] وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾  
[الحج/ ٦-٧].

فبقدر سعة معرفة العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة أقداره العظيمة، وأوامره  
النافذة، وأحكامه العادلة، ونعمه السابغة؛ يستبين للعاقل عظمة الخطر، وجلال  
الخطب، ومقدار الجهل، وحجم التقصير، ونقض العهد، وإضاعة الأمانة؛ فالله لعن بني  
إسرائيل لما أضاعوا الأمانة: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ  
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة/ ٧٨].

فمن أدى الأمانة أفلح، ومن خانها خسر: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [٧٢] لِعَذَابِ اللَّهِ  
الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٧٣] [الأحزاب/ ٢-٧٣].

فلا بد من التذكير بالعهد الأول، ولأمانة العظمى التي هي الدين، ولا بد من نقل  
الناس بالعلم الصحيح وبالإيمان من الجاهلية إلى العلم الشرعي، من العلم بالإله،  
والعلم بأوامره، والعلم بوعده ووعيده: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ

أُظْلِمَتْ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ [إبراهيم: ١].

حكم الجاهلية، وظن الجاهلية، وحمية الجاهلية، وتبرج الجاهلية، زالت هذه الأمور بالعلم الإلهي: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢].

ونقض العهد، وعدم الوفاء به، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من نشر التوحيد والإيمان والأعمال الصالحة؛ من أعظم الذنوب الموجبة للعنة الله وعقابه: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ [الرعد: ٢٥].

فنستمر على الوفاء بعهد الله، ونعبد هذا الرب العظيم الذي ربانا بنعمه المادية والروحية، نقوم بوظيفة الأنبياء والرسول، فكما الله ﷻ أمر الرسول ﷺ بالدعوة بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

كذلك أمرنا بالدعوة بقوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وكما أمر الله رسوله ﷺ بتعليم الأمة بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢].

فكذلك أمر أمته بقوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وهذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، تعبد الله، وتدعو إليه في الدنيا، وترافق الأنبياء في الجنة في الآخرة، لأنها تقوم بجهد الأنبياء في الدنيا، وهو الدعوة إلى الله، وعبادة الله وتعليم شرع الله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

وكلما زاد العلم بالله وأسمائه وصفاته زاد نور الإيمان في القلب، وزاد الانتفاع به، وزاد القلب رقةً وخضوعاً لربه العظيم، وزاد هيبةً وخوفاً وإشفاقاً، وكان الخشوع بقدر

الخوف، وكان النشاط بقدر الرغبة، وكان الحياء بقدر المعرفة، وكان الحذر بقدر الهيبة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَهُمْ لَهَا سَافِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَبْقَىٰ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَالِمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون / ٥٧-٦٢].

فكل شيء مكتوب أقوالاً وأعمالاً وأخلاقاً، وكل عمل مسجل، وكل سوف يرى ويسمع ما عمله واحدة بواحدة، تأتي لقطة الإنسان وهو يعمل العمل الصالح أو العمل السيئ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

ولا سعادة للإنسان إلا أن يسير على هدي النبي ﷺ الذي حياته أجمل حياة، وأخلاقه أجمل أخلاق، وأعماله أزكى الأعمال، وأقواله أحسن الأقوال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب / ٢١].

وإياك وطلب الأمور بغير أسبابها، فمن ابتغها في غير سبلها فقد ضل سعيه، وأخطأ بغيته، وفاته ما يطلبه، واستوجب عقوبته.

فالإنسان إذا عرف الله آمن به وعبده وحده فليسأل الله ﷻ أن يعلمه الحق وأن يزرقه اتباعه، وأن يعرف الباطل، ويرزقه اجتنابه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء / ١١٥].

فلا إكراه في الدين: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإنسان / ٢٩].  
وليس للخير والسعادة إلا باب واحد؛ باب فتحه الله ﷻ لعباده بهذا الدين الحق، الذي فيه سعادة العبد في الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر / ٧-٨].  
والله أعطى الأسماع والعقول والأبصار، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأقام الحجة: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس / ١٠٨].

فالله ﷻ جعل للإنسان الاختيار، والله ﷻ رؤوف بالعباد؛ فطر جميع المخلوقات على

معرفة ربها وفاطرها، فهي قانتة لعظمته، عابدة له، خاشعة لجلاله، خاضعة لكبريائه، شاهدة بتوحيده، مسبحة بحمده، منقادة لطاعته؛ لأن الله ﷻ ألزمها من معرفته ما لا تستطيع إنكاره ولا جحده: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد/ ١٥].

هم عرفوا الله ﷻ حق المعرفة، وفطرهم الله على ذلك، فجميع المخلوقات قانتة لربها، سامعة مطيعة، لكن الإنسان له اختيار، فمن رحمة الله أن منعه من رؤية ربه في الدنيا، لو رأينا الله عياناً، لبطل التكليف، وبطلت الشريعة؛ لأننا إذا رأينا؛ رأينا ملكاً قادراً قاهرًا قويًا عزيزًا جبارًا عظيمًا كريماً، فلا بد أن نعبد ونطيعه؛ لأن النفوس تحب العظيم، وتحب الكريم، فلا بد أن نعبد ونطيعه ولا نعصيه، لأنه لا أعظم منه، ولا أكرم منه.

#### • والناس فطرة يتعلقون باثنين:

إما عظيم .. وإما كريم .. فالعظيم يحتمون به، والكريم يستفيدون منه. فنحن والله المثل الأعلى لو أن الله ﷻ ظهر لنا عياناً لبطل التكليف، وبطل الأمر والنهي، وبطل الوعد والوعيد، وانتفت العبادة؛ لأننا سوف نطيعه تماماً، لكن الله جعلنا أمة مختارة، جعل من خلقه من يأتي إليه اختياراً لا إجباراً، والله يحب أكثر من يأتي إليه اختياراً، وهو قادر ألا يأتي إليه.

فسبحان الرب العظيم الحكيم العليم الذي عرّف خلقه بنفسه، وعرّفهم بأنفسهم، وألهمهم معرفة ربوبيته، وسخرهم لعبوديته، حين ابتداء خلقهم، وخص آدم ﷺ وذريته بمزيد من المعرفة والإكرام: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُمَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢-١٧٣].

فلا بد للإنسان أن يعرف أنه قد حضر هذا العهد، وأقر لربه بالتوحيد: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الله ﷻ أخرج من صلب آدم ذريته، ثم أشهدهم على أنفسهم، وأقروا له بالربوبية، ثم ردهم إلى صلب أبيهم آدم ﷻ.

فنحن قد حضرنا هذا اللقاء، فلما أقررنا له بالربوبية؛ ردنا الله في صلب آدم، ثم أخرجنا جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، فالله قادر أن يجمع البشرية كلها في صلب آدم وقد فعل، ثم يخرجها أجيالاً وأممًا، ثم يعيدها إلى الأرض، ثم يعيدها ويحييها مرة أخرى للحساب والجزاء: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

نحن قد حضرنا هذا المشهد، وأقررنا لله ﷻ بالربوبية، أقررنا أنه هو ربنا، هو الذي خلقنا، وهو الذي يربينا بنعمه المادية، فنحن نسكن في ملكه، ونأكل من رزقه، ونعيش بنعمه، والله ﷻ كل نعمة منه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل / ٥٣]. فكلُّ حضر هذا العهد، وكلُّ أجاز وأقر بأن الله ﷻ ربه، وهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فعرف الخالق العليم خلقه يومئذٍ بأنه هو ربهم، فخلق حينذاك جميعاً ونحن منهم عرفنا يومئذٍ ربنا معرفة لا ينبغي لنا بعدها أن ننكرها أبداً، وذل الخلق له يومئذٍ ذلاً لا ينبغي لهم أن يعتزوا بعده بغيره أبداً، وخافه الخلق يومئذٍ خوفاً لا يمكن أن يخرجوا منه أبداً، خافوا من ربهم، وأقر الخلق له بالملك إقراراً لا يجوز أن يستنكفوا بعده عن عبادته أبداً.

ولهذا الله ﷻ يقول للنبي ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية / ٢١]. فذكر بماذا؟ فذكر بالعهد الأول: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف / ١٧٢]. واعلم أن نفيس العلم لا ينال بالأمانى وراحة الجسم، فشمّر رحمك الله في طلبه، واعلم أن العلم أبوابه كثيرة، وأوسع أبوابه وأنفعها باب الإيمان والتقوى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة / ٢٨٢]. وكل علم لا يورث التقوى والخشية لا خير فيه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر / ٢٨].

وكل علم لا يورث التقوى والخشية لا خير فيه؛ لأنه يوئد الكبر، والعجب بالنفس، ويورث الجدل، ويشغل المخلوق عن خالقه، ويرغبه في الدنيا، ويزهده في الآخرة: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [يونس / ٦]. يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [يونس / ٧]. أَوْلَمْ يَنْفَكِرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

يَنْهَمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾  
[الروم / ٦-٨].

يا حسرة على العباد، لقد أطاع أكثرهم الشيطان، وعصوا الرحمن: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠-٦٢].  
واعلم أن العلم بحر لا ساحل له، وعزيز لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وهو مع الإيمان أعلى درجات الفضائل، فاطلبه واعمل بموجبه، وزين به روحك وقلبك ولسانك وجوارحك: ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة / ٤].

وأعظم العبوديات لله هو العلم الإلهي، لأنه أصل كل عمل، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بطلب الزيادة منه بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

فتعلم العلم، واعمل لله بموجبه، وانشره بين الناس في كل مكان، وكن كالشمس في الإنارة، وكالسحب في نزول الغيث، كالأرض في الإنبات، يحبك الله، ويحبك أهل السماء والأرض، ويزيد أجرك، وترتفع درجاتك: ﴿هٰذَا بَلٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوٓا۟ بِهِۦٓ وَيَلْعَلُوٓا۟ اٰتَمَّآ هُوَ اِلٰهٌُ وَّحِدٌ ۚ وَلِيَذَّكَّرَٓ اُولُوۡا۟ الْاَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وإذا علمك العزيز العليم ما لم تكن تعلم؛ فتواضع للذي علمك، وعلم المسلمين ما ينفعهم في دينهم ودنياهم؛ يرضى عنك ربك، ويحمد فعلك: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّيٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران / ٧٩].

واعلم أن العليم جل جلاله عنده خزائن العلم، وأنزل منها لعباده من العلوم ما يسعدهم في دينهم ودنياهم، وورغبهم فيما يقربهم إليه منه؛ فاختر النفس على ما دونه، وتعلم واعمل وعلم تغنم وتوثر: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

فما أعظم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه وشرعه! وما أقبح الجهل بالله ودينه والاستكبار والعناد والظلم والفساد! ﴿أَفَمِنَ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ

وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾ ﴿آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣﴾.

فاعرف رحمك الله ربك، واعرف دار السرور، ودار الغرور: ﴿اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعبٌ وهو وزينةٌ وتفاحر بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فثره مصفراً ثم يكون حطماً وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضونٌ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ ﴿الحديد/ ٢٠﴾.

والناس في معرفة ربهم متفاوتون في العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلى حسب كمال معرفتهم بربهم يكون كمال إيمانهم، وكمال عبادتهم، وكمال خشيتهم لربهم. ومثلهم في درجات العلم كمثل إنسان عرف النطفة، ولم يعرف العلقة، وآخر عرف النطفة والعلقة ولم يعرف المضغة، وآخر عرف الثلاث ولم يعرف الروح والجسد، وآخر عرف ذلك ولم يعرف بقية العوالم، عالم السموات، وعالم الأرض، وعالم الملائكة، عالم الجن؛ فهؤلاء متفاوتون في العلم، وكل يتكلم ويعمل حسب معرفته، ومن ذاق عرف، ومن عرف عرف: ﴿سابقوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿الحديد/ ٢١﴾.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٠ - ١٤].

فهؤلاء ما سبقوا إلا لأنهم علموا وعملوا، فلما عرفوا الله ﷻ بأسمائه وصفاته؛ سابقوا في مرضاته للفوز برضوانه وجنته: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠ - ٦١].

وأول ما يجب على العبد معرفته من العلم معرفة الرب ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأنني عبده، وأسكن في ملكه، وأكل من رزقه، فعلي أن أمتثل أمره، واجتنب نهي، لأنني عبده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿محمد/ ١٩﴾.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢]. فتعلم العلم الإلهي، فالعلم بحر لا ساحل له، ثم اصعد في درجات العلم والمعرفة؛

لتزداد إيماناً و يقيناً، وعلماً و عملاً، و دعاءً و ذكراً، و خوفاً و طمعاً و حباً و ذلاً: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة / ٩٨].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

فاعرف ربك الرحمن الرحيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ والأفعال الكبرى لتكبره و تحبه و تحمده: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ٥ لله، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ٦ وَإِنْ نَجْهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ٧ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه / ٥-٨].

اعرف ربك العليم؛ لتعبد له جل جلاله بأسمائه وصفاته، اعرف ربك العليم العلي العظيم؛ لتعظمه و تمجده: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

اعرف ربك الرزاق الذي ملأ الكون بنعمه؛ لشكره و تحمده و تستغفره: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِمٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤].

اعرف ربك الخلاق العليم الذي بيده الخلق والأمر؛ لتطيعه و تعبده، و تعرف عظمة ملكه و سلطانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

وإذا عرفت ذلك آمنت به، وأحبيته، و عبدته و حده، و نلت ثوابه.

اعرف ربك الكبير؛ لتعرف أن كل ما سواه صغير: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر / ٦٧].

اعرف ربك الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء في ملكه؛ لتشكره، وتطيع أمره، وترحم خلقه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر / ٢٢].

اعرف ربك الحق؛ لتعرف أن كل ما سواه باطل: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج / ٦٢].

اعرف ربك الملك الحق الإله الحق؛ لتعلم أن كل ما سواه عبد: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر / ٢٣-٢٤].

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فِإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجنات / ٦]. وإياك رحمك الله والإلحاد في أسماء ربك وصفاته بالتشبيه أو التعطيل، فربنا عظيم له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

هو السميع الذي ليس كمثلته شيء في السمع؛ هو العليم الذي ليس كمثلته شيء في البصر، وهكذا في بقية الأسماء.

فصف ربك بما يليق به، ونزهه عما لا يليق به، ولا تلحد في أسمائه وصفاته، ووحده، وتقرّب إليه بدعائه بها، وعبادته بموجبها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

فإذا لم يعرف قلبك هذه المعارف الإلهية العظيمة، ولم يرق لنفسك هذا الحديث؛ فاعلم أنك مصاب أو مجروح أو مطرود أو ميت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد / ١٦].

فلا تياس، اجلس على موائد الإيمان، على موائد العلم، فتتعلم وتفيق وتصحوا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد / ١٧].

فبادر إلى سلوك الصراط المستقيم؛ لتصل إلى ربك العظيم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴿[الأنعام: ١٥٣].

وأكثر من ذكر الله ليحيا قلبك: ﴿وَأذْكَرَ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ ﴿٢٠٥﴾ ﴿[الأعراف: ٢٠٥].

لا تكن من الغافلين فتساق إلى جهنم مع الكافرين.

فاعرف ربك العظيم، واعبده حتى يأتيك اليقين: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿[الأنفال: ٦١].

ولا تكن من الغافلين فتساق إلى نار الجحيم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿[الأعراف / ١٧٩].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿[الأعراف / ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ ﴿[آل عمران / ٨].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَى بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿وَأَجْعَلْنِي مِن رَّزِيئَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿[الشعراء / ٨٣-٨٥].

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا، إنك أنت السميع العليم.

اللهم أنت العليم بسرنا فأصلحها، وأنت العليم بحوائجنا فاقضها، وأنت العليم بذنوبنا فاغفرها، وأنت العليم بعيوبنا فاسترها.

اللهم املاً قلوبنا بالإيمان واليقين، والعلم والهدى، يا رب العالمين: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٨٢﴾ ﴿[الصافات / ١٨٠-١٨١].

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّاتِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

القدوس

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله القدوس

أول علم يجب على العبد أن يتعلمه هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ مَثُوبَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

والعلم بلا إله إلا الله هو أن أعرف الله، وأسماءه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعيده، وأعرف أحكامه القدريّة، وأعرف أحكامه الشرعية، وبهذا يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان، فيشرح الصدر للتعبد للرب ﷻ؛ حباً له، وتعظيماً له، وذكلاً له جل جلاله، وبهذا نجد طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، وحقيقة الإيمان.

والناس في هذا وهذا وهذا درجات، بحسب العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بأحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [٤]﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى؛ فلا بد للقلب أن يعرف هذا عن ربه ﷻ؛ فمعرفة المعبود قبل معرفة أوامره. فالله ﷻ هو الملك القدوس المنزه عن كل ما ينافي كماله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو سبحانه المقدس عن كل عيب، السالم من كل نقص.

وهو سبحانه القدوس الطيب الذي له كل قدس وطهارة وتعظيم.

القدوس الموصوف بأكمل الصفات، الممدوح بأحسن المحامد والفضائل: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة/ ١].

وهو سبحانه الملك القدوس الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق بجلاله من صفات النقص والعيب، الذي لا يماثله أحدٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو الموصوف بصفات الكمال، المنزه عن صفات النقص، والعيب، ومماثلة الخلق: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

﴿١﴾ اللَّهُ الضَّكَمُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وهو سبحانه القدوس الذي تباركت أسماؤه، الذي كثرت وعمت خيراته في السموات والأرض في كل حين، فما ترى من نعمة إلا وهي منه، وكل ذرة في الكون من نعمه ومن فضله العظيم: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل/ ٥٣].

وجميع النعم الظاهرة والباطنة منه وحده لا شريك له: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان/ ٢٠].

فظهور الحق سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم من نور الشمس، بل أضعافاً مضاعفة، فالحق من قوة ظهوره لا يرى من قوة ظهوره، كما أن الإنسان الذي في عينيه مرض لا يبصر في نور الشمس الأشياء إلا بشدة، لكن ظهور الحق؛ أبين من كل بين، وبين للناس نفسه، المبين الذي بيّن الدين، ووضح الأحكام، وبين كل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

فهو سبحانه الملك القدوس الذي كثرت وعمت خيراته في السموات والأرض، في كل حين، فتباركت ذاته؛ هو الذي يرحم، هو الذي يغفر، هو الذي يعفو، هو الذي يرزق، هو الذي يعطي العافية، هو الذي يدافع عن الذين آمنوا، هو الذي يسقينا، هو الذي يُطعمنا؛ فتباركت ذاته، وتباركت أسماؤه وصفاته.

فهو الرزاق ولا رازق مثله، الرحمن ولا راحم مثله، الشكور ولا شاكر مثله، تباركت ذاته، وتباركت أسماؤه وصفاته: ﴿بُذْرِكَ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن/ ٧٨].  
والقدوس المبارك، ومنه الأرض المقدسة؛ أي: المباركة، كما قال سبحانه: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة/ ٢١].

وهو سبحانه الملك القدوس العظيم الذي لكالمه تنزه عن أن يماثله أحد من خلقه، أو يكون له ندُّ أو مثيلٌ أو شبيهٌ أو كفوًا أو سمي بوجه من الوجوه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

فهو الواحد الأحد، وليس كمثلُه أحد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

هو القوي الذي ليس كمثلُه شيء في القوة، لا السماء، والأرض، ولا الجبال، ولا الشمس، ولا البحار، ولا الرياح، هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، هو القوي الذي عنده خزائن القوة، هو القوي وحده، وكل ما سواه من خلقه فهو لا يحمل من القوة ما تحمله ذرة أو هباء طائفة؛ لأنه القوي الذي وهب القوة لكل قوي فصار قوياً: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

وهو سبحانه الملك الذي له الملك والعزة والجبروت، والأمر والنهي، القدوس الطاهر في ذاته وأسمائه وصفاته، المنزه عن صفات النقص، الطاهر في نفسه، المطهر لغيره، الذي يُطهر من شاء من خلقه من الشرك والرجس، ويحليهم بما يرضيه من الإيثار والتقوى وحسن العبادة، من الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين، والمسلمين والمؤمنين: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب / ٣٣].

وهو سبحانه القدوس المنزه أن يكون له شريك في ألوهيته، أو ظهيرٌ أو معينٌ في ربوبيته، ليس له شريك يستحق العبادة معه، وليس له شريك أو ظهير أو معين أو ولي من الذل في ربوبيته: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء / ١١١].

والله جل جلاله هو القدوس المستحق للتقديس، والتنزيه، والإجلال.

القدوس في خلقه، وفعله، وأحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، والجزائية؛ لاشتمالها على كل خير، ونزاهتها عما ينافي الحكمة، والهدى، والإحسان، والعدل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

فهو سبحانه القدوس الطاهر الذي كل بركة منه، وكل خير منه، وكل نعمة منه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك / ١].

والله سبحانه هو القدوس السبوح، ومعناه: تباعد الله وتنزيهه عن السوء والنقص والعيب على وجه التعظيم له جل جلاله، فالتسبيح تنزيه للرب عما لا يليق بجلاله،

متضمن للتعظيم، تنزيه الله عن النقص والعيب، وتنزيه الله عن الشبيه والمثيل، وتنزيه الله عن صفات الكمال في البشر، وذلك متضمن للتعظيم لله جل جلاله: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

فالله قوته ذاتيه، مطلقة تامة، وأنا وكل مخلوق قوتي محدودة، وقوتي مخلوقة وقوتي موهوبة.

● فالله منزه عن ثلاثة أشياء:

أولاً: عن صفات النقص والعيب.

ثانياً: منزه عن الشبيه والمثيل.

ثالثاً: منزه عن صفات الكمال في البشر.

يقال: فلان عالم أو علامة، والله عليم وعلام، لكن ليس علمي كعلم الله؛ لأن علم الله مطلق، وعلمي محدود، علم الله ذاتي وعلمي مكتسب.

فهو ﷻ سبحانه قدوس، فالسبوح تصريح بالتنزيه لله عما لا يليق بجلاله: ﴿سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُوْنَ﴾ [الصافات / ١٨٠].

والقدوس تصريح بالعظمة، والقدوس هو الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا؛ فالقدوس تصريح بالعظمة، متضمن للتنزيه؛ فقولنا: هو كذا ظاهره التقديس، وقولنا: ليس بكذا ظاهره التسبيح، وقد جمع الله بينهما في سورة الإخلاص، فقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص / ١-٢]؛ هذا تقديس وتعظيم للرب ﷻ بإثبات صفات الكمال له.

وقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٢ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١-٤]؛ هذا تسبيح وتنزيه لله عما لا يليق بجلاله.

فالتسبيح تنزيه لله ﷻ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق به، وفي نفس الوقت إثبات للمحاسن والمحامد والصفات الكاملة لله ﷻ: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾ [الإسراء / ٤٣].

فالتقديس، إثبات صفات الكمال لله ﷻ، كقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

هذا تقديس، إثبات صفة الحياة والقيومية، والتنزيه: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

ودائماً في القرآن يرد هذا وهذا، فالتسبيح: تنزيه الله ﷻ في ذاته وأسمائه وصفاته عن كل ما لا يليق به، وفي نفس الوقت إثبات المحاسن والمحامد والصفات الكاملة له، والتقدیس: إثبات الصفات الكاملة لله ﷻ، مع تنزيهه عما لا يليق بجلاله: ﴿سُبْحَانَهُ وَنَعْلَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤٣) ﴿سُبْحَانَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤٤) [الإسراء / ٤٣-٤٤].

وهو سبحانه الملك القدوس السلام؛ فهو القدوس المتصف بصفات الكمال، المنزه عن كل عيب ونقص، السلام الذي سلم من كل آفة وعيب ونقص، المنزه عن الظلم والجهل والجور، الذي أفعاله سالمة ومنزهة عن الشر فالخير كله بيديه، والشر كله ليس إليه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٨) ﴿طه / ٨﴾.

فصفاته ﷻ كاملة مقدسة عن النقص والعيب، وأفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها أصلاً، جميع أفعال ربنا ﷻ من المحبوب والمكروه، كل أفضيته خيرات محضة لا شر فيها أصلاً: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦٦) ﴿آل عمران / ٢٦﴾.

فكل ما يقضيه الله ﷻ فهو خير، عذابه وانتقامه، وشدة بطشه، وسرعة عقابه، سلام من أن يكون ظملاً أو تشفياً أو غلظة أو قسوة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) [الحشر / ٢٢-٢٣].

• والله ﷻ ذكر اسمه القدوس في سورتين من كتابه:

الأولى: في سورة الجمعة في قوله سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) [الجمعة / ١].

الثانية: في سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) [الحشر / ٢٣].

فإذا قرأنا: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) [الجمعة: ١].

فننظر للسماوات والأرض، كم عظمة السماوات والأرض؟ وماذا في السماوات

والأرض من الخزائن؟ وماذا فيها من الجنود، وماذا فيها من المخلوقات؟ فكل ذرة في السموات والأرض تسبح بحمد ربها؛ إجلالاً له، وتمجيذاً له، وحباً له، وتعظيماً له: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

فإن هؤلاء الخلق العظيم في السموات والأرض يسبحون الله ﷻ، وينزهونه عما لا يليق بجلاله، ويصفونه بصفات الكمال.

وقد اقترن اسم الله القدوس مع أسماء الله الآتية: الملك، العزيز، السلام، السبوح. فالله ﷻ قرن اسمه القدوس مع اسمه الملك مرتين كما مر معنا، والملك هو الحاكم بأمره ونهيه، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، والملك اسم من أسماء الجلال، فالملك من صفاته أنه يحكم بما يريد، ويحكم بأمره ونهيه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

فإنه ذكر أنه الملك، فناسب ذكر القدوس بعد اسم الملك؛ لطمأنة الخلق بعناية ربهم بهم، وهدايتهم لما فيه صلاحهم، ونزاهة قدرته وحكمه عن الظلم والجور، فقرن اسم القدوس باسم الملك؛ لأن الملك قد يوهم أنه بقدرته ومملكه يتسلط على الناس، كما هي حال أغلب حكام البشر.

لكن الله ﷻ أخبر أنه هو الملك، والملك يأمر وينهى، والملك له الكبرياء، وله العزة والجبروت، وهو القاهر القادر القوي العزيز، هذه هي صفات الملك، لكن قرن باسمه الملك اسمه القدوس؛ ليطمئن الخلق على أن هذا الملك العظيم مع قدرته وعظمة ملكه، وأنه لا يمتنع عليه شيء؛ إلا أنه حلیم لطيف يعتني بعباده، ويهديهم إلى ما فيه صلاحهم، وينزه قدرته وحكمه عن الظلم والجور: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

لا تخافه فهو ملك قدوس، مالك للكون كله، وكل ما سواه مملوك، هو القدوس المنزه عن النقائص والعيوب، الموصوف بصفات الجلال والجمال، فهو قدوس رحيم لطيف عفو كريم: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [٥٠] [الحجر: ٤٩-٥٠].

واقترن اسمه القدوس مع اسمه السلام مرة واحدة؛ للدلالة على نزاهة ذاته وصفاته عن الجور والظلم، وأنها قائمة على العدل والإحسان، ونزاهة أحكامه عن الجور

والظلم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ  
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر / ٢٣].

واقترن اسم القدوس كذلك مع اسمه السبوح مرة واحدة في قوله ﷺ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ  
رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فهو سبوح منزه عن جميع صفات النقص والعيب ومشابهة الخلق، وقدوس طيب ظاهر  
منزه عن العيوب، له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ  
الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

فالتقديس إثبات لصفات الكمال لله، والتسبيح تنزيه عن صفات النقص، وكل واحد  
من التسبيح والتقديس متضمن للآخر؛ فالله قدوس موصوفٌ بصفات الكمال، منزه عن  
صفات النقص والعيب، وهو سبوح منزه عن صفات النقص والعيب، موصوف  
بصفات الكمال.

فأسماء الله ﷻ كلها حسنى لا عيب فيها، وصفاته كلها عليا لا نقص فيها، وأفعاله كلها  
حكمة ورحمة لا خلل فيها ولا شر.

فهو سبحانه السبوح القدوس السلام المؤمن المهيمن المتكبر، المنزه عن كل النقائص  
والعيوب، المبرأ عن كل الآفات، المتكبر عن كل شر، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته  
وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

هو الحي القيوم الذي يسمع لجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، ويُبصر  
جميع مخلوقاته بل كل ذرة من مخلوقاته، في النور أو في الظلمات، في العالم العلوي والعالم  
السفلي؛ فهو يراها جميعاً بحجمها ولونها في مكانها، في كل وقت.

هو السميع ليس كمثلته شيء في السمع، وهو البصير الذي ليس كمثلته شيء في البصر،  
يسمع كل شيء، ويبصر كل شيء؛ سواء كان الإنسان في طاعة أو في معصية، في سر أو  
علانية، في نور أو ظلام: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ  
مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣ - ١٤].

كانت إحدى النساء تطوف بالكعبة، وهي تطوف كانت لابسة لثياب تكشف بعض  
بدنها، وثياب ليست محتشمة، فأحد الإخوة في الحرم من رجال الهيئة، قال لها: يا أمة الله،

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧).

استري نفسك؛ فإنك تطوفين بيت ربك، وهذا المكان له وقاره، أما تخافين من الله أن يراك؟ أما تخافين من ملك الموت؟ فقالت: إليك عني! قال لها: أما تخافين من ملك الموت؟ قالت: قل له ينتظرنى عند البوابة تسعة من أبواب الحرم، فلما فرغت من الطواف خرجت.

يقول الرجل: فذهبت إلى عملي، ولما أردت أن أخرج خرجت مع الباب التاسع، فإذا الناس مجتمعون، وينظر وإذا هم مجتمعون على امرأة عند البوابة تسعة، قبل أن تخرج وقف لها ملك الموت، وقف لها هناك، وإذا هي قد سقطت على البلاط، وينظر وإذا هذه المرأة وهذا ثوبها الذي رآه عليها في المطاف، فقبضها ملك الموت، وانتظرها عند البوابة تسعة، فالله ﷻ سميعٌ بصير، عليمٌ بما في الصدور، هو الذي يقرب الليل والنهار، ويقرب القلوب: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

امرأة كافرة كانت في إحدى البلاد تتجول على دراجة نارية، فرآها بعض الإخوة، وأشفق عليها ورحمها، وقال: هي صحيح متكشفة، لكن لا بد من رحمة هذه المرأة، بنت متكشفة كاشفة لوجهها وشعرها وبدنها، وتقضي حوائجها على هذه الدراجة، فتكلم معها باللغة الإنجليزية، فدعاها إلى منزله، وأخبرها أن الأخوات مجتمعات في البيت للذكر، والله ﷻ يسمع ويرى لما في قلبه وقلبه.

فإن علم منها الصلاحية، وعلم من هذا الإنسان أنه أهل لرحمة الله ﷻ، فساق هذا لهذا ليتم أمره، هذه جاءت من الغرب، وهذا جاء من الشرق، وهي على دين وهو على دين، فأدخلها الله في البيت، وأوقفت الدراجة عند الباب، ودخلت على النساء، وإذا هم مجتمعون على القهوة والشاي والحلويات والفواكه، ويتكلمون عن ربنا ﷻ وعن اللجنة وعن النار في مجلس إيماني.

فسبحان الله، الله ﷻ قذف في قلبها الهداية، فبكت، ثم بكت، ثم بكت، ثم قالت: هل لي حق أن أكون مثلكم؟ قالوا: نعم، قالت: ماذا أفعل؟ قالوا: قولي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأنطقوها الشهادة، ثم اغتسلت ولبست اللباس، ثم علموها الوضوء الصلاة، فصلت ركعتين، وسجدت وظلت ساجدة تبكي، فانشرحت، وقضت اليوم مع هؤلاء النسوة الذين اجتمعوا في بيت من بيوت إحداهن، يتذكرون فيما بينهم، هذه الحلقات التعليم تنزل فيها هدايات ونحن لا نعلم؛ لأننا أغلقناها على أنفسنا.

وقال النبي ﷺ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» أخرجه مسلم (١).

فبقيت في هذا البيت ثلاثة أيام، وغيرت ملابسها، ولبست كالنساء واحتجبت، ولكنها بقيت مقطوعة عن أهلها، جاءت مع صديق لها، فتركتها، فما شاء الله الإخوة أشفقوا عليها، وذكروا لها الكعبة بيت الله الحرام، فرغبت أن تذهب إلى هناك، فإله ﷻ يسر لها وتزوجها أحد الإخوة، ثم جاء بها إلى مكة، وفي مكة لما جاءت، وطافت بالبيت، ثم صلت ركعتي الطواف، وأثناء سجودها قبض الله روحها وهي ساجدة أمام البيت، وخلف مقام إبراهيم.

كان عمرها كله عمر حيواني، وعمر إبليسي، كله في المعاصي والشهوات، فهي جاءت مع صديق لها للسياحة، فإله ﷻ سمع بصير، يرى من في ملكه، ويغار على خلقه أن يأخذهم الشيطان، وأن يغيرهم بالمعاصي.

والله فعال لما يشاء، هو الهادي يهدي من يشاء، وهو العليم الذي يعلم من يشاء، وهو الرزاق الذي يرزق من يشاء حسب علمه وحكمته جل جلاله: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

فأساء الله ﷻ كلها حسنى لا عيب فيها، وصفاته كلها عليا لا نقص فيها، فلا إله إلا الله! كم عظمة أسائه وصفاته وأفعاله!

الله ﷻ يحب من عباده أن يعرفوه بأسمائه وصفاته؛ فإذا عرفوه توجهوا إليه وعبدوه، إذا عرفوا أنه لا إله إلا هو، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء؛ عبده ولم يلتفتوا لأحد سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

فإذا عرفوا أن جميع هذه المخلوقات هو الذي خلقها، وهو الذي يصرفها ويدبرها، هو الذي يدبر الشمس والقمر، والليل والنهار؛ عبدوا ربهم يقيناً بقلوبهم وجوارحهم وألسنتهم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

خلق الشمس وهو وكيل عليها، وجعل لها مشارق ومغارب: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل/ ٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

هذه الشمس تحتاج إلى أوامر، لها مشرق في الصيف ومشرق في الشتاء، ومغرب في الصيف، ومغرب في الشتاء، ورب المشرقين: مشرق الصيف ومشرق الشتاء، ورب المغربين: مغرب الصيف، ومغرب الشتاء، ورب المشارق، ورب المغرب.

فالمشارك ثلاثمائة وستون يوماً، السنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم له مشرق، وله مغرب، عدد الأيام ثلاثمائة وستون؛ فهو رب المشارق والمغرب: ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ تُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ [المعارج: ٤٠ - ٤١].

هذه حركة هذا المخلوق الواحد الذي هو الشمس، كم من مليارات المخلوقات التي يدبرها الله؟ كم من نبتة تحتاج إلى أوامر ملكية بأن ينزل أسفلها ليكون من العروق، وأن يظهر أعلاها فوق الأرض ليكون الأغصان والأوراق والأزهار والثمار؟ كم مخلوق من الحيوانات؟ كم من حشرة؟ كم من طيور الفضاء؟ كم أسماك البحار؟ كل هذه الله خلقها، وهو الذي يدبر أمرها: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤].

وهذا من معاني القدوس أنه المبارك، فالله سبحانه هو الملك القدوس المنزه عن جميع النقائص والعيوب والآفات، البريء من كل عيب ونقص، القريب من كل خير، البعيد من كل شر، هو القدوس الموصوف بصفات الكمال، الممدوح بالفضائل والمحاسن، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨].

وهو سبحانه الملك العلي العظيم القدوس، المنزه عن النقائص في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، المنزه عن جميع الآفات والعيوب، المنزه عن السنة والنوم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

المنزه عن الخطأ والنسيان: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿٦٤﴾ [مريم / ٦٤].  
المنزه عن الظلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ [يونس / ٤٤].

هو المنزه عن جميع الصفات المذمومة، الممدوح بصفات الكمال والجلال والجمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا

بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

علمه مطلق، يعلم ما كان وما يكون ما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

فسبحان ربنا الملك القدوس الذي كل شيء ملكه، وجميع الخلق عبيده.

هو سبحانه الملك القدوس الممدوح بالفضائل والمحاسن، المنزه عن العيوب والنقائص،

هذا يجب أن أفتح معه علاقة، وهذه العلاقة هي العبادة، والعبادة هي الطاعة، فالعبادة

طاعة العابد لمعبوده فيما أمر به، أو نهى عنه: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا

تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

هو القدوس المنزه عن العيوب والنقائص، الذي لجلاله وجماله وكماله تسبح بحمده

جميع مخلوقاته في السماء والأرض: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١].

فاحمد مولاك على كمال أسمائه وصفاته، وكبره تكبيراً: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ

يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١].

هو سبحانه الملك القدوس المنزه عن كل صفة من صفات الكمال البشري؛ لأن الله ليس

كمثله شيء، ومن باب أولى منزه عن جميع العيوب والنقائص والآفات البشرية: ﴿اللَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو القدوس المنزه عن جميع صفات الخلق كلهم، الكامل منهم والناقص: ﴿فَاطِرُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

والله ﷻ خص صفة السمع والبصر في هذه الآية، لأن السمع والبصر مشترك بين

الإنسان وبين الحيوان، بل بين المسلمين والكافرين والحيوانات: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى/ ١٢].

وبحسب علمه يعطي من شاء، ويمنع من شاء، وفعله مقرون بعلمه، وهو أحكم

الحاكمين، وحكمه مقرون بالخير المطلق، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله

الحمد، وهو على كل شيء قدير: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ

دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

علم الملك القدوس ليس كعلم الخلق؛ بل علم جميع الخلق من علمه، وقدرته جل جلاله ليست كقدرة الخلق؛ بل قدرة جميع الخلق من قدرته؛ فالله هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المنزه عن كل عيب ونقص، وهو القدوس المنزه عن كل وصف يدركه الحس، وعن كل تصور يتصوره العقل، أو يسبق إليه الوهم، أو يختلج في الذهن، أو يفضي إليه التفكير: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧].  
الله وعد المتقين بالجنة التي يقول الله عنها: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/ ١٧].

فإذا كنا لا نعلم الآن عن الجنة وما فيها من النعيم، ولا يمكن أن يتخيله متخيل، أو يعقله عاقل بعقله، لو جمعنا جميع خطباء العالم، وقلنا: تكلموا عن صفات الجنة ما قدروا، لو أتينا بجميع العالم، وقلنا: اسمعوا لأفضل خطيب عن صفة الجنة؛ ما سمعوا عن عظمة الجنة كما يجب.

لو جئنا بجميع العالم وقلنا: تخيلوا نعيم الجنة؛ لكان كل تخيلهم لا يساوي ذرة بالنسبة لنعيم الجنة، فهذا بالنسبة للمخلوق وهي الجنة، فكيف بالله ﷻ الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الكبرى، الذي تنزه عن كل وصف يدركه الحس، وعن كل تصور يتصوره العقل، أو يسبق إليه الوهم أو التخيل، أو يختلج في الذهن: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فالله أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأكبر مما عرفنا، وأكبر مما لم نعرف. هو الملك القدوس الذي تعالى عن صفات الخلق كلهم، ولولا أن الله أذن للمسلم أن يصفه بصفات كمالات البشر؛ لكان وصفه بذلك ذنباً من الذنوب؛ لأن الله ليس كمثله شيء، ولا يُحصى أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لِيَكُودًا ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص/ ١].  
هو أحد في القوة، في العلم، في القدرة، في الحلم، في الرحمة، في اللطف، في العفو، في كل

شيء، هو الملك القدوس الذي تقدست عن الحاجات ذاته، تقدست وتنزهت وتطهرت عن الحاجات ذاته، الله لا يحتاج إلى شيء: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

والله ﷻ واحدٌ أحدٌ تقدست عن الحاجات ذاته، هو القدوس الذي تنزهت عن النقص والآفات صفاته، هو القدوس الذي تقدس عن كل مكان يُحيط به، وتقدس عن كل زمان يبلية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد/ ٣]. هو القدوس الذي قدس نفوس الأبرار عن المعاصي، وطهر قلوب أوليائه عن كل ما سواه.

فسبحان الملك القدوس الذي قدس نفوس أوليائه عن السكون إلى المألوفات والشهوات، واصطفاه واختارها لتسبحه وتحمده، وتكبره وتمجده، وطهر نفوس العابدين عن حب الدنيا، وطهر قلوب العارفين عن كل ما سواه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة/ ٢].

فسبحانه هو الملك القدوس الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة.

هو سبحانه الملك القدوس، والقدس هو الطهر، ومنه قيل للجنة: حظيرة القدس؛ لأنها مقدسة ومطهرة؛ فهي طاهرة طيبة في كل شيء.

وروح القدس هو جبريل ﷻ؛ لأنه مقدس في ذاته، أمينٌ على الوحي، ومقدسٌ لمن اتصل به بما يفيد من الوحي والطهارة، فجبريل يسمى روح القدس؛ لأنه مقدس في ذاته؛ فهو طاهر أمين على الوحي، ومقدس؛ لمن اتصل به كالنبي ﷺ بما يفيد إليه من الوحي، يقده بالوحي والطهارة من الشرك.

والتقديس هو التطهير، وتقدس أي تطهر، والأرض المقدسة كما مر معنا هي الأرض المباركة، كما قال ﷻ: ﴿أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة/ ٢١].

والجبال العظيمة تقدس ربا، وتنزهه عما لا يليق بجلاله من اتخاذ الله للولد كما يزعم المشركون، كما قال سبحانه: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم/ ٩٠].

فهي تقدس ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله لماذا؟ ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (١١) وَمَا يَنْبَغِي  
لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿١٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ  
أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ [مريم / ٩١-٩٤].

فالله سبحانه هو العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فعلينا أن نمدحه ونقدسه،  
ونعظمه ونكبره.

ومن تقديس النبي ﷺ لربه أخبر ﷺ أنه لا يبلغ حمد الله ﷻ أحدٌ مهما مدحه؛ فهو أعظم  
من ذلك، كما قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ،  
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» أخرجه مسلم (١).

والله سبحانه هو القدوس المحمود بصفات الكمال، المقدس عن صفات النقص،  
والقرآن تارةً يستفتح السور بحمد الله بالثناء عليه وتمجيده؛ كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) [الفاتحة / ٢].

وقد افتتح الله خمس سور من سور القرآن بالحمد لله، إشارة إلى حمده على ذاته وأسمائه  
وصفاته، ونعمه المادية والمعنوية؛ فقال الله ﷻ في مجموع النعم المادية والروحية:  
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) [الفاتحة: ٢].

لماذا؟ لأنه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)؛ الذي يرببهم، خلقهم، وخلق أرزاقهم، وأمدهم  
بالنعم المادية التي لا تعد ولا تحصى.

وكذلك أنعم عليهم بنعمة الهداية فالحمد لله رب العالمين؛ شكرًا لله وحمدًا له على نعمة  
العطاء المادي ونعمة العطاء الإلهي: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ  
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) [الأنعام / ١].

هذا حمد لله على عظمة خلقه للماديات: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) [الأنعام / ١].

يعني يجعلون له شريكًا مثله، إما في الخلق والإيجاد، وإما في العبادة.

وقال ﷻ في حمده على نعمه الروحية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا  
﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ  
أَجْرًا حَسَنًا﴾ (٢) [الكهف / ١-٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

فتارةً الله ﷻ يستفتح السور بالحمد لله؛ إشارة إلى كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، فلنحمده على ذلك.

والحمد من أعظم العبادات، وتارةً يستفتح الله ﷻ السور بتنزيهه الله وتقديسه عن صفات النقص والعيب، كما قال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء / ١].

فالله سبحانه قبل أن نسبحه، وقبل أن يخلقنا، وقبل أن يسبحه أحد: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات / ١٨٠].

وتسبيح الخلق لا يزيد في ملكه شيئاً، إنما تسبيح الخلق؛ حتى يعرفوا من يعبدون؛ وأنه منزه عن صفات النقص والعيب، موصوف بصفات الكمال والجلال والجمال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١].

وقال ﷻ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة / ١].  
 فإذا بقي؟ بقي أنا وأنت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة / ٥٢].  
 ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].  
 ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى / ١].

نزاهه عما لا يليق بجلاله من صفات النقص والعيب، ومماثلة المخلوق، وصفه بصفات الجمال والجلال والكمال، فالتسبيح تنزيه، والتقديس وصف له بصفات الكمال متضمنٌ للتنزيه، وهذا المدح والتنزيه كله تقديس، وصف الله بصفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص، كله تقديس لله بإثبات صفات الكمال، ونفي صفات النقص.

وأعظم ما ينزه الله عنه اتخاذ صاحبة والولد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [٢] ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [٢] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [٤] [الإخلاص / ١-٤].

هذه السورة فيها إثبات صفات الكمال لله ﷻ، ونفي صفات النقص.

وكان النبي ﷺ إذا فرغ من وتره وسلم قال: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ» أخرجه أبو داود (١).

يرفع بها صوته، إشارةً إلى عظمة ربه، وأن العباد مهما عبده فلن يؤدوا حق الله تعظيماً، وحمداً، وتقديساً، بل هم في فلك التقصير باقون، ولا يُحصى أحدُ الثناء على الله إلا الله

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٤٣٠).

وحده لا شريك له، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

فسبحان الملك القدوس الطاهر من العيوب والنقص، المنزه عن الشبيه والمثيل والند: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى / ١١].

هو الملك القدوس الطاهر من كل عيب؛ المنزه عما لا يليق بجلاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

وقالت الملائكة: ﴿وَمَنْ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة / ٣٠]؛ أي: ننزهك ونبرئك مما وصفك به أهل الشرك.

﴿وَتَقَدَّسَ لَكَ﴾ [البقرة / ٣٠]؛ أي: ننسب لك كل صفات الكمال، وننفي عنك كل صفات النقص.

وهو سبحانه القدوس المنزه عن كل وصف يدركه الحس، أو يتصوره الخيال: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾ [الزمر: ٤].

فسبحان الملك القدوس الذي تقدس وتنزه عن العيب والنقص والشريك والمثيل، والزوجة والولد، وعن كل ما سواه: ﴿هُوَ الْعَلِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ مِّهْدَآءً أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ [يونس / ٦٨].  
هو سبحانه الذي تقدس عن السنة والنوم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

وتقدس عن الموت: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ وَكَفَىٰ بِهِ بُدُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ [الفرقان: ٥٨].

وتقدس سبحانه عن الظلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء / ٤٠].

وتقدس وتنزه عن النسيان: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿٦٤﴾ [مريم / ٦٤].

وتقدس سبحانه عن الكذب: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿١٢٢﴾ [النساء / ١٢٢].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿٨٧﴾ [النساء / ٨٧].

وتقدس سبحانه عن الفقر والبخل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعْنُوا إِمَّا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة / ٦٤].

وقال ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر / ١٥].  
 ويقول النبي ﷺ: ﴿يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا  
 أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ﴾ أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.  
 وتقدس سبحانه عن الفناء؛ فكل ما سواه فانٍ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [قصص / ٨٨].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [٢٦] وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [٢٧] [الرحمن / ٢٦-٢٧].  
 وتقدس سبحانه عن الشبيه والمثيل، فليس كمثله شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ  
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].  
 وتقدس سبحانه عن العجز: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفٌ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ  
 كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر / ٤٤].  
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [٣٨]

وتقدس سبحانه عن الجهل: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي  
 كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج / ٧٠].  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات / ١٨].  
 هو القدوس الذي ليس كمثله شيء في قدسيته، وطهارته، وجلاله، وجماله وأسائه  
 وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].  
 هو القدوس في وجوده، فهو الأول قبل كل شيء، الآخر بعد كل شيء، الظاهر فوق كل  
 شيء، الباطن دون كل شيء، هو الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده  
 شيء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد / ٣].  
 هو سبحانه القدوس الحي الباقي، الأول قبل كل شيء، وكل ما سواه سبقه عدم،  
 ويلحقه الموت والفناء، فلكل مخلوق بداية ونهاية، والله قدوس لا بداية له ولا  
 نهاية: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ﴾ [غافر / ٦٥].

هو الحي بجميع صفات الكمال من القوة والقدرة والرحمة والغنى والल्प والكرم

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤).

والعزة؛ هو الحي بجميع صفات الكمال والجلال والجمال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥].

فسبحان القدوس الي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، وكل نعمة منه، وكل فضل منه.

أما المخلوق فهو ناقص، كان معدوماً فأوجده الله، ولما أوجده ملكه، وحياته وبقاؤه بأمر ربه، فهو ضيف؛ والضيف يوشك أن يرتحل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان: ١-٣].

هو الذي يرجع إليه الخلق، وهو الذي يرجع إليه الخلق: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ [البقرة / ٢٨].  
هو سبحانه الملك: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الحشر / ٢٣].

## التعبد لله ﷻ باسمه القدوس

كيف نعبد الله باسمه القدوس جل جلاله؟

الله ﷻ هو الملك القدوس الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا جل جلاله.

فإذا عرفنا الله ﷻ بأسمائه وصفاته، فكيف نقدر أنفسنا، ونقدس ربنا ﷻ؟

الله ﷻ هو الملك، القدوس، السلام، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿طه: ٨﴾.

فإذا عرفنا ذلك فماذا علينا أن نفعل؟ من كان هذا وصفه؛ فإن النفوس مجبولة على حبه وتعظيمه وإجلاله وعبادته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿الأنعام/ ١٠٢﴾.

فمن عرف ربه العظيم جل جلاله كبره وأحبه ونزهه في أسمائه وصفاته، وفي أقواله وأفعاله، عن كل نقص وعيب، ونزهه عن الشريك والمثيل، وعن الصاحبة

والولد: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مُنْقَلَبَاتِكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ ﴿محمد/ ١٩﴾.

فتنتيجة المعرفة بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا تأتي قوة التعبد لله بموجب هذه الصفات، ومقصود الله من خلقه أن يتصفوا بهذه الصفات، وبهذه الأسماء، لكن على شاكلة العبودية.

فمن عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا؛ عظمه وكبره وأحبه، ونزهه في أسمائه وصفاته، وفي أقواله وأفعاله، عن كل نقص وعيب، وعن الشريك والمثيل، وعن

الصاحبة والولد، ونزهه كذلك في حكمه وشرعه عن النقص والعيب، والجور والظلم، واتصف بصفات التي يجبها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿الأعراف: ١٨٠﴾.

ومن عرف ربه بالعظمة والإحسان سبحه مع المسبحين، وحمده مع الحامدين، أثناء الليل والنهار: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿الإسراء/ ٤٣-٤٤﴾.

ومن عرف ربه بصفات الجمال والجلال والكمال؛ أحسن الظن به، فأعظم العبادة أن

تُحَسِّنُ الظنَّ بِرَبِّكَ، وَتُثِقُّ بِوَعْدِهِ، وَتُقْبَلُ عَلَى طَاعَتِهِ، فَأَقْبَلْ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاكَ، وَابْتَعِدْ عَنِ ظَنِّ السُّوءِ بِاللَّهِ ﷻ، فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ ﷻ بِمَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، أَوْ ظَنَّ بِهِ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ؛ فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ الْمُرْدِّ لِلْهَلَاكِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَعَظَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ﴾ [الفتح / ٦].

وَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ بِصِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ؛ تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِهِ، وَخَضَعَ لِكِبْرِيَاءِهِ، وَانْقَادَ لِلْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ، وَتَوَاضَعَ لِعِبَادَتِهِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ وَفَعَلَهُ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [٣] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [٤] [الأَنْفَال: ٢ - ٤].

وَحِظُّ الْعَبْدِ مِنْ هَذَا الْأَسْمِ الْكَرِيمِ أَنْ يَطْهَرَ نَفْسَهُ مِنْ أَدْرَانِ الشَّرْكِ وَالرِّيَاءِ وَالْآثَامِ، وَأَنْ يَلْزِمَ الطَّهَارَةَ الْحَسِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، فَيَقْدَسُ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ، يَرْفَعُ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ، يَأْخُذُ مِنْهَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَيَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَيَقْدَسُ نَفْسَهُ، وَيَطْهَرُهَا عَنِ الْغُرُقِ فِي الشَّهَوَاتِ، وَيَطْهَرُ مَالَهُ مِنَ الشَّبَهَاتِ، وَيَقْدَسُ قَلْبَهُ عَنِ الْغَفَلَاتِ، وَيَطْهَرُ جَوَارِحَهُ عَنِ الْمَخَالَفَاتِ، وَذَلِكَ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِ اللَّهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَلِزُومِ تَقْوَاهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة / ٢٢٢].

ثُمَّ عَلَى قَدْرِ طَهَارَتِهِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَسْتَنِيرُ قَلْبَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِيْمَانِ، وَيُنْشِرُ صَدْرَهُ لِطَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَعَلَى قَدْرِ طَهَارَتِهِ يَطْهَرُ غَيْرُهُ مِمَّا لَا يَنْبَغِي؛ فَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَيَعْلَمُ شَرَعَ اللَّهِ، وَيُحْسِنُ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ.

يَدْعُو إِلَى اللَّهِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت / ٣٣].

لِيَكُونَ سَبَبًا فِي خُرُوجِ النَّاسِ مِنَ الشَّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَمِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

ويعلم شرع الله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧١) [آل عمران/ ٧٩].

اتصفوا بصفات الرب؛ فالرب يربي الخلق بنعمه المادية والروحية، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، والله أمرنا أن نتصف بتلك الصفات.

فنستقيم على أوامر الله، ونقيم الناس عليها: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) [التوبة/ ٧١].

المؤمنون والمؤمنات هذا عملهم إلى قيام الساعة، الله حدده بهذه الأمور الخمسة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) [التوبة/ ٧١].

ثم ذكر وعده لأولئك ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٢) [التوبة: ٧٢].

فهذا هو تقديس الإنسان لربه ﷻ باسمه القدوس، وهذا هو تقديس الرب لأوليائه. والله ﷻ بين أنه هو الملك القدوس، ودعانا إلى تقديسه، وأعظم ما يقدر به العباد ربه هو التوحيد، أعظم شيء أن نطهر البشرية من كل سوء، ونطهر قلوبها من الشرك، وألستها من الكذب، وجوارحها من الأعمال والأخلاق السيئة، أعظم ما يقدر به العباد ربه هو التوحيد، وأعظم ما يقدر به الناس بعضهم بعضاً هو الإحسان:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء/ ٣٦].

• فالدين ركنان:

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]. ، هذه عبادة الحق.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء/ ٣٦]، هذا الإحسان إلى الخلق.

فأعظم ما يقدر به العباد ربه هو التوحيد، علينا مسؤولية العالم، العالم الآن سبعة آلاف مليون، منهم مليون ونصف تقريباً مسلمون، والبقية كلهم كفار، لا بد أن نطهر

قلوبهم من الكفر والشرك والظلم، ونزيتها بالتوحيد والإيمان، ونخلصها من التعلق بغير الله، ونحمل أجسادهم بما يحبه الله ورسوله: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

مرة من المرات في إحدى الرحلات كنت في اليابان، ودخلت شارعاً أنا وبعض الإخوة، هذا الشارع طوله عشرون كيلو متراً داخل مدينة طوكيو، وعرضه ما يقارب مائة متر، وللناس يوم في الأسبوع يأتون إلى هذا الشارع، ولا تكون فيه السيارات، هذا تُعرض فيه جميع الأعمال، من عبادات، من أخلاق، من صناعات، من كل شيء، كل ينشر سلعته ويعرضها في هذا السوق، ويسوقها بين الناس، منهم من يسوق السحر، وعبادة الأصنام، ومنهم من يسوق سلعته من صناعة وابتكار وأفلام، وأنواع العري والفساد كل شيء موجود في هذا الشارع، لكن الدعوة إلى الله غير موجودة، فكيف نقدر قلوب هذه البشرية، ونظهرها من هذه الأدناس، ونجملها بالإيمان والتقوى.

كيف نجتهد على هذه الأمة التي اجتهدت على المخلوق، وصنعت جميع الصناعات المتقنة؟ إلا أنها سقطت في الأخلاق هي وغيرها، كيف تدخل "لا إله إلا الله" في قلوبهم، لتقول ألسنتهم الأقوال الحسنة، وتتحرك جوارحهم بالأعمال الصالحة، وتلبس أبدانهم الأخلاق التي يجبها الله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة/ ١٣٨].

فمن دعا غير الله، أو طاف بضريح، أو أشرك مع الله غيره؛ فما قدس الله. وأعظم الذنوب أن تجعل لله نداً وهو خالقك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا﴾ [النساء/ ١١٦].

من يشرك بالله في الخلق، أو في العبادة، أو في الأسماء والصفات؛ هذا ضللاً بعيداً؛ لأنه قرن المخلوق بالخالق، قرن الفقير بالغني، وسوى العاجز بالقادر: ﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [١١١] وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿[١١٢]﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٢].

وأعظم الأعمال عند الله هي الإيمان بالله؛ فقد سئل الرسول ﷺ عن أفضل الأعمال، فقال: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» أخرجه البخاري (١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦).



اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، يارب العالمين.

والله ﷻ ملك ومُملِك، ومقدّس، ومقدّس، ومقدّس.

والمسلم يجب أن يتعلم العلم الإلهي أولاً، يتعلم العلم المناسب، في الوقت المناسب، وأعظم ما يجب أن يعرفه العبد هو معرفة الله ﷻ، معرفة من خلقه، ورزقه، وهداه، واصطفاه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد/ ١٩].

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٨].

وإذا علمنا ذلك؛ آمنّا به، وإذا آمنّا به؛ تعرفنا على ماذا يجب؟ وماذا يكره؟ وماذا يبغض؟ وماذا يُرضيه؟ وماذا يُسخطه؟ والمعرفة بالله لا بد أن تنعكس انضباطاً في السلوك، وخشوعاً للرب في القلب، وخضوعاً له بالجوارح، وتكبيراً وتحميداً له باللسان: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِاتِ الْبَيْتِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ٩].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجَدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] ﴿وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٤٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [٤٣]. [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

الله سبحانه هو الملك القدوس المنزه عن صفات الكمال والنقص في البشر والمنزه عن صفات العيب والنقص والشر على الإطلاق.

والله ﷻ لا يقبل أحداً إلا إذا كان طاهراً من الذنوب والعيوب، طاهراً من الشرك بالتوحيد: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة/ ٢٧].

طاهراً من الشرك، طاهراً من البدعة: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ١١٠].

والتقديس هو التوحيد، بأن توحد الله بأسمائه وصفاته، وتوحده بالعبادة، والتقديس نفي وإثبات، بأن ننفي عن الله صفات العيب والنقص، ونثبت له صفات الكمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]؛ إثبات صفات الكمال.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، نفي صفات النقص.

فإذا أثبتنا له صفات الكمال، ونفيًا عنه صفات النقص، فهذا هو الكمال.

والقدوس من أسماء الذات لله ﷻ، ومن الصفات، ومن أسماء الأفعال، فالله ﷻ مقدس في ذاته، منزه ومقدس عن كل نقص وعيب، ومقدس في ذاته، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

فالله مقدس في ذاته، معظم في ذاته، في جلاله وجماله، ومقدس عن كل نقص وعيب.

وهو جل جلاله القدوس الذي يقدر ويظهر من شاء من خلقه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء/ ٤٩].

فسبحان الملك القدوس الذي تقدست عن الحاجات ذاته، وتزهت عن الآفات صفاته، القدوس الذي تقدس عن مكان يجويه، وعن زمان يبليه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد/ ٣].

هو الواحد القهار الذي لا يقع في ملكه إلا ما يريد، وإرادة الله ﷻ في خلق كل شيء، وتدير كل شيء، مقرونة بالحكمة؛ لأنه هو الحكيم الذي يضع الشيء في وقته المناسب، بالقدر المناسب؛ فلا يقع في ملكه العظيم إلا ما يريد، وإرادة الله ومشيئته مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة/ ١].

هو القدوس الذي قدس نفوس أوليائه عن المعاصي، وقدس قلوبهم بالإيمان والتقوى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِعْصِيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [فضلاً من الله ونعمة والله عليه حكيم] [الحجرات/ ٧-٨].

فطهر نفسك أيها المسلم من كل دنس، وطهر شرك عما سوى الله، وطهر وقتك عن الغفلات، وطهر جوارحك عن معصية الله، وزكها بالطاعات: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْا وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ الْعَاقِبُونَ﴾ [الحشر/ ٧].

وطهر لسانك عن اللغو، والرفث، والفسوق، وشهادة الزور: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء/ ٣٦].

وطهر حياتك عن كل شيء يلهيك عن الله ﷻ: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ لِكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [٥٠].

تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

ومن عرف ربه القدوس تعلق قلبه به، ولم يلتفت إلى أحد سواه، واستأنس به، واستوحش من غيره؛ فظل بين يديه عابداً: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُرْسَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ [المزمل / ١-٢].

وصار بين يدي خلقه داعياً: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدْرُ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَتَبَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ [المدثر: ١-٤].

فهو بين يدي ربه يناجيه، ولا يلتفت لأحد سواه؛ ليس عنده عمل إلا امتثال أوامر ربه: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام / ٧٩].

فالمؤمن إذا عرف هذه المعاني قدس نفسه بالإيمان والتوحيد والأعمال الصالحة، فيجب على كل عبد أن يقدر ربه، فيصفه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ مما لا يليق بجلاله على حد قوله جل جلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى / ١١].

فقدس عبادتك لله أيها الحبيب من كل دنس، وطهر قلبك من النجاسات من الشرك، يُنْقِصُهَا، وطهرها أيها الحبيب من كل دنس، وطهر قلبك من النجاسات من الشرك، والنفاق، والرياء، وطهر لسانك من الكذب، وقول السوء، وطهر بصرك من الخيانة، وطهر أعمالك مما يُفْسِدُهَا من البدع والرياء: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف / ١١٠].

وقدس نفسك بالتوحيد والإيمان واليقين والإحسان، وطيبها بالذكر والحمد والشكر لربك العظيم، وزكّها بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة؛ تكن كالملائكة بالتسبيح والتقدیس: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة / ٣٠].

وتعبد لربك بصفة الطهارة علماً وعملاً؛ فتطهر من المعاصي باجتنابها؛ فهو أطهر لك عند الله، وأيسر مؤنة من ظهور التوبة، لا تفعل المعصية، ثم تتوب، بل اجتنبها مطلقاً: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

مُعْرَضُونَ ﴿٣﴾ [المؤمنون/ ١-٣].

وطهر نفسك من الذنوب والعيوب ومتابعة الشهوات؛ فأنت قدوة للبشرية، فلا بد أن تتخلق بأخلاق القرآن، وتتأدب بآدابه؛ لأن الناس ينظرون إلى كلامك إن تكلمت، وإلى أعمالك إن عملت، وإلى أخلاقك إن تخلقت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وطهر لسانك عن الغيبة والنميمة، وفاحش القول، وما لا يعينك، فمن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وطهر قلبك من الرياء والالتفات لما سواه، فكل أحد دونه لا تتعلق به: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم/ ٤٢].

وطهر جوارحك عن المعاصي؛ فالمعاصي من النجاسات، فالثياب إذا أصابتها النجاسة تُغسل بالماء والصابون، كذلك القلوب إذا أصابتها الأمراض، والآفات تزول بالتوبة والإستغفار: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

• فالأوساخ تأتي إلى البدن من جهتين:

الأولى: من جهة الغبار الخارجي.

الثانية: من جهة العرق الداخلي.

فهذا يكون طهارته بالماء والصابون، كذلك الذنوب تأتي إلى الإنسان من الجوارح الخارجية؛ العين ترى ما حرم الله، والأذن تسمع ما حرم الله، واللسان يتكلم بما حرم الله، هذه ذنوب خارجية، وهناك ذنوب داخلية من النفاق والرياء والكبر والعُجب والحقد والحسد وهكذا؛ فطهارة الذنوب الخارجية والداخلية بالتوبة: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور/ ٣١].

وطهر أوقاتك عن المخالفات، الوقت من ليل أو نهار خزانة من خزائن الله؛ فطهر هذه الأوقات، لا تملأها بالمعاصي، بل أملأها بالطاعات؛ وكل عملك سيعرض عليك: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [١٣] أقرأ

﴿كَتَبْنَاكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

تجد فيه أقوالاً حسنة، وأعمالاً صالحة، وأخلاقاً عالية.

وطهر مالك عن الحرام والشبهات: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر / ١٨].

الله أراد منا أن نزكي أنفسنا بالإيمان، والتوحيد، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، ومن قدس نفسه بمعرفة الله؛ لم يُذل نفسه لغير الله.

فطهر نفسك من كل ما يسخط ربك عليك، وزكّها بكل ما يرضيه عنك؛ يأذن لك أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [٦٩] ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء / ٦٩-٧٠].

ولكن إذا ابتليت بمواقعة شيء من المعاصي فبادر إلى التوبة منها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة / ٢٢٢].

ومتى عملت عملاً صالحاً فأخلصه الله، وطهره من الشوائب؛ لتستوجب موعوده، وتفوز بقبوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٩٧] [النحل / ٩٧].

وطهر رحمك الله قلبك من كل ما يدينسه بالتوبة النصوح، وطهر جسدك من الدرن والوسخ وما يُستقذر، وطهر ثيابك من الرجس والقذر، وطيب بدنك بالطيب والمسك، وطهره بالوضوء والغسل: ﴿يٰٓأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيٰٓأَيُّهَا فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ١-٥].

إن فائدة التكبير عائدة على المسلم، فكلما كبرت الله ﷻك عظم في قلبك، وعظم في نفوس من حولك، وتعظم أنت في عين الله: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٢﴾ وَيٰٓأَيُّهَا فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر / ٣-٧].

اصبر على جميع هذه الأعمال، هذه أعمال عظيمة؛ أن تقوم بالدعوة، وأن تداوم على ذكر ربك، وأن تجتهد على طهارة بدنك، وطهارة قلوب البشرية من الأصنام والرجز وغيرها: ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾﴾ [المدثر / ٦].

لا تحبس مالك تستكثر منه، بل أنفقه تجده أمامك؛ وما أنفقت من خير فالله ﷻك يعلمه ويرده عليك أضعافاً مضاعفة.

وطهر لسانك عن الآثام، وطهر قلبك عن الأصنام: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

وطهر بطنك من الحرام: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٧٢﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وطهر لسانك عن الآثام؛ فاللسان خلق لحكمة، حكمته أن يذكر الله ذكراً كثيراً، ويكبر الله، ويمجد الله، ويمجد الله، ويقوم بالدعوة إلى الله ويعلم شرع الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت/ ٣٣].

ويقول القول السديد: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الأحزاب/ ٧٠].  
ويجتنب الغيبة والنميمة وشهادة الزور، وغيرها من مساوئ الأخلاق: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].  
فطهر بطنك من الحرام، فالمال الحرام يطمس عين القلب: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٤﴾ [المطففين/ ١٤].

فبسبب أكل الحرام لا يستجاب الدعاء، وطهر لسانك عن الآثام بترك الكلام عن المعاصي وعن التوسع في أمور الدنيا، وغير ذلك من الأعمال التي لا يحل للعبد أن يستعمل اللسان في الكلام عليها.

وعبودية اللسان في أمرين، أن تتكلم مع الله بالذكر والدعاء، وتتكلم عنه بين الناس بالدعوة إليه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وطهر قلبك عن الأصنام؛ فالطواف حول القبور ممنوع، وكذلك الطواف حول القصور ممنوع، الطواف حول القبور على الأموات، والأموات ليس بأيديهم شيء، كذلك الطواف على الدنيا ممنوع، الطواف على القبور، والطواف على القصور، سواءً بسواء، فمن عبد الدنيا، أو عبد القبور، أو عبد الهوى؛ فهذه كلها عبادات لا تجوز، ويحرم على الإنسان أن يشتغل بذلك: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

الله وضع على الدنيا علامة، هذه اللوحة مكتوب عليها: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ

وَلَعَبٌّ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤].

حتى نتبعد عن الدنيا، ونقدس أنفسنا عن التعلق بالفانية، ونزكيها بالتعلق  
بالباقية: ﴿وَلِلآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَىٰ ﴿٥﴾﴾  
[الضحى / ٥-٤].

الله أكبر! كم عظمة الله! وكم عظمة نعمه! وكم سعة علمه وفضله! والمستفيد من ذلك  
كله هو الإنسان الذي يريد الله أن يكون في الدنيا خليفه، وفي الآخرة جليسه.  
والله خلق الدنيا لنا، وخلقنا له من أجل أن نقوم بعبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا  
لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات / ٥٦].

والطهارة تنقسم إلى ما انقسم إليه المتطهر منه وهو الرجس.

### • والرجس ضربان:

الأول: رجس باطن في القلب: كالشرك، والنفاق، والرياء، والشح، والبخل، والعجب،  
والكبر، والحسد، والجبن، والكذب، والظلم، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق  
والذنوب الخفية، فهذه لا بد من تطهير القلب منها: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ  
يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ  
الْكَفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ فضلاً من الله ونعمة والله عليه  
حكيم ﴿٨﴾﴾ [الحجرات / ٧-٨].

فهذه جاهد نفسك على التخلص منها، واضرع إلى ربك ليخلصك منها، وبادر إلى  
التطهر منها بالتوبة النصوح، والله يتوب عليك: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ  
لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾  
[الزمر: ٥٣].

ما في قلب الإنسان من الشرك الأكبر والأصغر يعرض للإنسان أحياناً ويزينه الشيطان  
له فتختلط المعصية بالطاعة، من الشرك، والنفاق، والشح، والبخل، والحسد، وغيرها:  
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

فهذا له غسل وله تطهر، فمطلوب أن تطهر نفسك وتقدها بالتوبة إلى الله من هذه  
الذنوب التي هي الرجس: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ  
مِن قَرِيبٍ فَأُوذِيكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء / ١٧].

الثاني: رجس ظاهر: وهو ضربان، فالمعاصي عمل ظاهر يصدر من الجوارح بعلم القلب، وإرادة الإنسان باختياره، كالمعاصي، والمحرمات القاصرة والمتعدية، القولية والفعلية، هذا الرجس لا بد من تقديس النفس وتطهيرها وتنزيهاها منه؛ حتى لا يكون الإنسان نجساً قذراً، بل يتطهر ويتزكى بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۙ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۗ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

### • فالرجس الظاهر ينقسم إلى قسمين:

الأول: عمل ظاهر يصدر من الجوارح بعلم القلب وإرادة الإنسان، كالمعاصي والمحرمات القاصرة والمتعدية، القولية والفعلية، من أكل الربا، والزنا، وشرب الخمر، وقول الفحش، وشهادة الزور، والغيبة، والنميمة، والسرقعة، والغصب، وغير ذلك من الأعمال المحرمة: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ۗ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فهذا طهوره من جهة القلب بالتوبة منه، والعزم على تركه، وإتباع السيئة بالحسنة التي تمحوها، وإشغال الجوارح بالطاعات بدل المعاصي، فذلك أبلغ في الطهارة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْأَثَارِ وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ۗ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۗ﴾ [هود/ ١١٤-١١٥].

الثاني: ما يفعله العبد مكرهاً من المعاصي التي تتعلق به وحده، ولا تتعدى إلى غيره. كمن أكره على الكفر بالسجود لغير الله، أو سب الله ورسوله ونحو ذلك.

فهذا طهوره لزوم كراهته في القلب، والتخلص منه متى زال الإكراه، مع الاستغفار، كما قال سبحانه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۗ﴾ [النحل/ ١٠٦].

فإذا أكره المسلم على أن يقول كلمة الكفر؛ فيقولها بلسانه وهو غير مطمئن لذلك بقلبه، مع الاستغفار، وإن كان ليس بذنبه، لأنه مُغْلَقٌ ومكره، ولا تكليف على مكره، لكن يحسن منه الاستغفار؛ لأن الإنسان مقصر في الاعتقادات، وفي الأقوال، والأعمال، والأخلاق، فالاستغفار غسيل للذنوب والمعاصي؛ حتى يلقي المسلم ربه نقياً من

الذنوب، مطيبًا بالطيب، فالطيب: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وجميع الطاعات.

والتنظيف بالاستغفار والتوبة إلى الله ﷻ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

واعلم أن كل طاعة لله ورسوله طهرة وزكاة، وبركة، يُحس المؤمن بطعمها وحلاوتها في الدنيا والآخرة، وكل معصية لله ورسوله نجاسة وخسارة وحسرة، يُحس الإنسان بمرارتها في الدنيا والآخرة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [٧] ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [٨] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [٩] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [١٠] [الشمس / ٧-١٠].

﴿قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [١٣٣] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [١٣٤] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [١٣٥] ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَا فَتَبْنَاكَ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ [١٣٦] [طه: ١٢٣-١٢٦].

واعلم أن الماء طاهرٌ في نفسه، مطهر لغيره من الأحداث والأنجاس، والماء في إزالة النجاسة كالنور في إزالة الظلام، وكالحق في إزالة الباطل، وكالتوبة في إزالة درن الذنب، هذا ظهور التوبة، وهذا ظهور الماء، والله يحب أهل هذا وهذا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة / ٢٢٢].

فاحمد الله أيها المسلم والمسلمة على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، واحمد الله أن جعلك من المؤمنين، واسأله أن يطهر قلبك وبدنك من كل دنس، ويزكك بالإيمان والتقوى، وصل وسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة / ٢].

فلا بد لكل إنسان من التخلية ثم التزكية، فالتخلية تأتي بعد التزكية؛ بعد التطهير، بعد أن تطهر نفسك من الأنجاس والشرك والنفاق، والصفات المذمومة، تزكيتها بالإيمان والتوحيد والتقوى، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤] ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى / ١٤-١٥].

﴿رَبَّنَا عَلَّمَكْ تَوْكَلَنَا وَإِلَيْكَ آتَيْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [المتحنة / ٤].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) [آل عمران: ٨].  
 اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا  
 كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد.  
 اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وطهر أعمالنا من الرياء، وطهر ألسنتنا من الكذب، وطهر  
 جوارحنا من الفواحش والآثام، وطهر أعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما  
 تخفي الصدور.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك: ﴿ سُبْحَانَ  
 رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١٨٠) ﴿ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٨١) ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ ﴾ (١٨٢) [الصفات / ١٨٠-١٨١].

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

السلام

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله السلام

الله ﷻ هو الملك القدوس السلام، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، هو الملك القدوس السلام الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل نقص، الذي له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

وهو سبحانه السلام بكل اعتبار، فهو سلام في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله من جميع العيوب والنقائص والآفات: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٢٤] [الحشر/ ٢٣-٢٤].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، وهو الملك الذي له أوامر كونية على جميع مخلوقاته، وله أوامر شرعية على العقلاء من خلقه من الجن والإنس والملائكة. فالله ﷻ أنزل علينا الدين الحق، وأمرنا أن نعمل بهذا الدين؛ لنسعد في الدنيا والآخرة، وأمرنا بذكره كثيرا، لئلا نغفل عنه، فنقع في معصيته، ونطبع عدوه وهو الشيطان: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بِيكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] [الأنعام: ١٥٣].

وبسبب الغفلة، والتمتع والانهك في الشهوات، وحب الدنيا، واتباع الهوى توالى علينا المصائب والكوارث، وهذه سنة الله في كل زمان ومكان: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [١١٢] [النحل/ ١١٢-١١٣].

هذه سنة الله جارية، من آمن فله الأمن والهدى، ومن كفر بالله ﷻ وعصاه فله الشقاء والتعب: ﴿فَمَنْ أَتَّبِعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [١١٣] [طه/ ١٢٣-١٢٤].

فالحقيقة أن الشيطان احتل قلوبنا؛ فجاء الكفار فاحتلوا ديارنا، ثم أفسدوا ما بقي من ديننا، وتحكموا في أنفسنا وأموالنا وديارنا؛ بسبب إعراضنا عن دين الله، واتباع الهوى، والشيطان، وحب الدنيا، ولن تزال البلاد محتلة ما دامت القلوب محتلة، ولن يخرج العدو الخارجي من ديارنا وهم الكفار واليهود والنصارى؛ حتى يخرج العدو الداخلي من قلوبنا، وهو الشيطان، وستبقى الأمور محتلة، والبلاد محتلة، ما دامت القلوب معتلة بالإعراض عن الدين، والإقبال على الدنيا وشهواتها: ﴿فَأَمَّا يَا تَيْتَكُمْ مَنِّي هُدَىٰ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة / ٣٨-٣٩].

فالإسلام كله والأمن كله في الإسلام وحده: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام / ٨٢].  
 ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران / ٨٥].

فالحمد لله رب العالمين، لربنا الملك الحق الذي من علينا بنعمة الإسلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [المائدة / ٣].  
 والحمد لله كثيرًا الذي أخرجنا من ظلمات الجهل والجاهلية، ظلمات الجاهلية الكبرى، أخرجنا من ظلمات الجاهلية الأربع إلى نور الإسلام، والإيمان، والإحسان واليقين: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

والجاهليات الأربع التي كانت موجودة في الجاهلية، وكلها ضد الإسلام هي: ما ذكره الله في القرآن من حكم الجاهلية، وظن الجاهلية، وحمية الجاهلية، وتبرج الجاهلية: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران / ١٦٤].

والله ﷻ خلق الكون وما فيه، وأصلحه، وسخره للإنسان؛ تذكيرًا له بعظمة من يعبد، وكرم من خلقه؛ وليكون عونًا له على طاعة ربه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنُهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان / ٢٠].

وخلق الله ﷻ جميع المخلوقات على التمام والكمال والحسن، وسخرها للإنسان الذي اصطفاه واختاره ليقوم بعبادة ربه، وأعطاه الخيار؛ إن شاء آمن، وإن شاء كفر، إن شاء أطاع، وإن شاء عصى، فلهذا الاختيار الله ﷻ سخر له ما في السموات وما في الأرض، وأوجد هذه المخلوقات على التمام والكمال والحسن، وسخرها للإنسان، وما يحصل في الكون من الفساد فهو بسبب الإنسان الذي فسد وأفسد: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٤١﴾ [الروم / ٤١].  
فالله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، دعانا للتخلق بهذه الأسماء، وعبادة الله ﷻ بهذه الأسماء، ليكون الإنسان أعلى المخلوقات؛ فإن الله ﷻ جعل المخلوقات درجات.

فأصح المخلوقات مزاجاً هم بنو آدم، وأصح بني آدم مزاجاً هم المؤمنون، وأصح المؤمنين مزاجاً هم الأنبياء والرسل، وأصح الأنبياء والرسل مزاجاً وأفضلهم أولو العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.  
وأصح أولي العزم مزاجاً هما الخليلان: إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وأصحهما مزاجاً هو محمد ﷺ الذي هو سيد الأنبياء والرسل، وسيد الأولين والآخرين، والذي جمع الله فيه جميع أخلاق وصفات الأنبياء من قبله، كما قال الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم / ٤].

وكان خلقه القرآن، فالتعرف على الله بأسمائه وصفاته ينقل الإنسان من درجة إلى درجة فوقها، بأن يتخلق بأخلاق الملائكة، أخلاق الأنبياء، يتخلق ويتصف بصفات الله ﷻ، ولكن على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

واسم الله السلام اسم عظيم من أسماء الله الحسنى؛ فالله ﷻ هو الملك القدوس السلام: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الحشر: ٢٣].

• واسم الله السلام له ثلاث معاني:

الأول: بمعنى السلام: والبراءة من كل عيب ونقص، وأن الله ﷻ هو السلام الذي سلم وبرئ من كل نقص وعيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

الثاني: أن الله جل جلاله هو السلام المسلم لعباده؛ لأن السلام والأمن بيده، كما أن الرزق بيده، فكذلك الأمن بيده، والسلام بيده، فكل سلامة في الكون صادرة منه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام / ٨٢].

لهم الأمن من المؤمن، ولهم الرزق من الرازق، ولهم العلم من العليم، ولهم السلامة والسلام.

الثالث: أن السلام معناه الذي يسلم على أنبيائه وأوليائه في الدنيا والآخرة.

كما قال سبحانه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ ﴿٥٩﴾ [النمل / ٥٩].

وقوله ﷻ يوم القيامة عن أهل الجنة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الأحزاب / ٤٤].

فالله سبحانه هو السلام المنزه عن صفات النقص والعيب، وعن الشبيه والمثيل، المتصف بصفات الكمال والجلال والجمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨].

فكل صفات ربنا ﷻ حسنى، وكلها سلام مما يضاهاها، فحياته جل جلاله سلام من الموت والفناء، والسنة والنوم، وقوته وقدرته سلام من الضعف والعجز، وعلمه سلام من النسيان وعزوب شيء عنه، وغناه سلام من الحاجة إلى غيره، وكلماته سلام من الكذب والظلم، وعذابه وانتقامه سلام من أن يكون ظلماً أو جوراً، ومملكه سلام من الشريك والمثيل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فسبحان ربنا السلام السالم من النقائص والعيوب، المنزه عن الشريك والند والمثيل،

الموصوف بصفات الكمال، السلام الذي يسلم على عباده في الدنيا والآخرة، ويسلم من شاء، ويعاقب من شاء، على مقتضى حكمته، وحكمته مقرونة بالخير المطلق: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ٢٦].

فالشر ليس إليه، إنما بيده وحده الخير كله، ومنه الفضل كله.

وهو سبحانه الملك القدوس السلام، المنزه عن كل عيب ونقص، الذي تنزه عن الظلم والجور، الملك الذي بيده الخلق والأمر، وإليه يرجع الأمر كله، الذي تنزهت ذاته عما لا يليق بجلاله، وتنزهت أفعاله عن الظلم والتشفي من خلقه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر / ٢٣].

وقد ورد اسم السلام في القرآن مرة واحدة في سورة الحشر كما قال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر / ٢٣].

وفي السنة ورد في مواطن منها: الدعاء بعد السلام، من صلاة الفريضة: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وعطاؤه جل جلاله سلام من المعاوضة، ما يعطي ليعطي، ولا يرزق ليرزق، عطائه جل جلاله سلام من المعاوضة، أو الحاجة إلى المعطي، ومنعه سلام من البخل والشح والحرص، وإنما عطائه إحسان محض، ومنعه حكمة وعدل محض: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٦] وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ / ٣٦-٣٧].

الله أكبر! كم أنواع عطائه! كم عطاء الله لخلقه من هذه الشمس، وهذا الهواء، وهذه الأرزاق المتنوعة المختلفة في الجو وفي البر وفي البحر؟ كم من الأرزاق تساق إلى هذه الأسماك في البحار؟ ولهذه الطيور والحشرات التي تسبح في الجو؟ ولهذه الدواب التي تدب على وجه الأرض من سائر الحيوانات؟ كل يوم له رزقه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٩١).

إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ [هود: ٦].  
 وكل الأرزاق قسمها الله بقدر: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي  
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ  
 خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

• والله ﷻ فرغ إلى كل إنسان من خمسة أشياء:

من رزقه .. وأجله .. وعمله .. وشقي .. أو سعيد.

وكل مخلوق قد قدر الله له رزقه مكانًا وزمانًا، وكميةً ونوعيةً، كل مخلوق من أصغر  
 مخلوق إلى أكبر مخلوق، من عالم الحيوان، أو من عالم الطير، ومن الجن، والملائكة، أو  
 الإنس، جميع المخلوقات الله ﷻ قدر أرزاقها المادية والمعنوية: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ  
 الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

فالله ﷻ فرغ إلى جميع هذه المخلوقات من جميع أرزاقها، وقسمها على وفق الحكمة  
 والعلم بأحوال عبادته، فجميع أرزاق الخلق، بل كل مخلوق، بل كل ذرة تدب على وجه  
 الأرض؛ فرغ الله من رزقها، وقدره في مكانها؛ في مكان كذا، في الزمان؛ بعد العصر أو  
 الصباح، كمية؛ مائة كيلو مثلاً، ونوعية؛ من القمح، أو من التمر، أو من غيرها.  
 خلق الأرزاق يحتاج إلى قوة، وإلى غنى، وإلى قدرة تخلق هذه الأرزاق المختلفة، وتحتاج  
 إلى قوة لنقلها إلى هذه المخلوقات في البحار، وفي الجو، وفي البر.

فالذي خلق الأرزاق، والذي أوصل الأرزاق، هو الله، الذي يسوق الأرزاق إلى كافة  
 المخلوقات: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي  
 كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ [هود / ٦].

وهو سبحانه السلام الذي سلم الخلق من ظلمه؛ فلا يظلم ربك أحدًا؛ فالله ﷻ نزه  
 نفسه عن الظلم، وليس بحاجة للظلم؛ لأنه هو الغني عن كل ما سواه، والظلم من  
 صفات النقص: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ [يونس / ٤٤].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا  
 عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ [فصلت: ٤٦].

فسبحان الملك القدوس السلام، الذي من محبته للسلام سمي من أطاعه واتبع هداه بالمسلمين: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج / ٧٨].

والإسلام دين الله، ودين ملائكته، ودين أهل السماء والأرض، ومن دخل فيه سلم من العذاب، وفاز بالنعيم: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران / ١٩].  
﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب / ٧١].

واسم السلام من أعظم أسماء الله الحسنى؛ فهو السلام وحده لا شريك له، وكل ما سواه مستسلم له، خاضع لجبروته، منقاد لأمره، شاهد بوحدانيته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج / ١٨].

وفعله مقرون بالحكمة المطلقة، والحكمة وضع الشيء في موضعه، فالله يفعل ما يشاء، ولكن فعله مقرون بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق؛ لأنه جل جلاله بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

فالله ﷻ هو الملك القدوس السلام الذي فطر جميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، على الإسلام والاستسلام لربها السلام؛ فكل مخلوق، وكل جهاد، وكل نبات، وكل حيوان، وكل إنسان، وكل ملك، وكل جان، وكل كبير، وكل صغير، وكل ساكن، وكل متحرك؛ الكل صغير أمام ربه الكبير، ضعيف أمام ربه القوي، عاجز أمام ربه القادر، الكل فقير إلى ربه الغني، الكل ذليل أمام ربه العزيز، والكل مستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

الكل عبيد لله، والكل يسبح بحمد ربه، والكل يشهد بتوحيده، والكل مطيع لربه، والكل ينفق ويعطي مما آتاه الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة / ١٦٤].

وجميع هذه المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، وما بين السماء والأرض، الكل ينفق بوسعه بإذن ربه، لا يمنع ماعونه أبداً، فالشمس مخلوقة تعطي النور بإذن ربه، والسحب تعطي المياه، والماء يعطي الحياة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء / ٣٠].

والأرض تعطي النبات: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج / ٥].

والأشجار تعطي الثمار، وعالم النبات أكثر من أربعين مليون نوع، ولكل نوع ثمرات، فهذه الثمار مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والأحجام، الله هو الذي خلقها؛ فهي تعطي هذه المنافع، الأشجار تعطي الثمار.

والحيوان مسخر للإنسان، يعطيه الحليب والسمن والصوف وغيرها، واللسان يعطي الكلام، والعين تعطي الرؤية، والأذن تعطي السمع، والكل يعطي من ماعونه كل حين، فهذا الماعون تصب منه المنافع، والكل يعطي من ماعونه، ويشهد بتوحيد ربه، ويسبح بحمد ربه القدوس السلام: ﴿سُبْحٰنَ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٤].

فسبحان ربنا الملك القدوس السلام الذي سلمت ذاته من كل عيب، وسلمت صفاته من كل نقص، وسلمت أفعاله من كل شر: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨].

هو السلام ومنه السلام، تنزه أن يوقع الشر لذاته؛ وإنما يوقعه لمصلحة العبد، يطهره به، أو يطهره منه، أو يرده إلى ربه من مرض أو مصيبة أو خسارة؛ يوقعه بعبده إذا انحرف عنه، وشرده منه، لماذا؟ ليتوب إليه؛ لأن الله خلقه ليسعده، ولن يسعد إلا باتباع شرعه جل جلاله، والصبر على ما قدره الله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٦].

فإذا وجدت المصيبة؛ فعلاجها بهذا القول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ أَوْلَيْتِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْتِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة / ١٥٦-١٥٧].

فالله ﷻ هو وحده السلام الذي يسلم عباده مما يضرهم؛ فليس في الوجود سلامة إلا منه وحده لا شريك له، هو السلام الذي خلق جميع وسائل السلامة في جسم الإنسان؛ جعل الدماغ في الجمجمة، وجعل القلب في الصدر، وجعل العين في المحجر، وجعل الرحم في الحوض، وجعل الشرايين داخل جسم الإنسان، وجعل معامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴿١٥﴾ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٤].

البشر إذا أرادوا أن يصنعوا سيارة أو طائرة؛ أو أبرة، لا بد أن يصنعوها في وسط النور، لكن هذا الإنسان الله يخلقه في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.

فسبحان الملك الحق الذي ظهرت بدائع صنعه في عالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فهو سبحانه الملك الحق الذي سمي نفسه السلام، وسمى عباده بالمسلمين، هو السلام الذي إذا ذكرته شعرت بالسلام والأمن والطمأنينة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

وذكر الله والاتصال به يطهر النفوس من العيوب، ومساوئ الأخلاق من الكذب والكفر، ومن النفاق والرياء، ومن الكبر والعجب، ومن الحقد والحسد، ومن الحرص والطمع: ﴿أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٥].

فسبحان العزيز الكريم الملك القدوس السلام الذي إذا اتصلت به أعطاك ما ينفعك، ورفع عنك ما يضرك، وطهرك من العيوب والآثام: ﴿وَرَكْرَكِيًّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا

إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ،  
وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء / ٨٩-٨٨].

هو جل جلاله السلام الهادي الذي في حياتك يهديك سبل السلام، في أقوالك وأعمالك يهديك سبل السلام، فلا تقول إلا الحق، ولا تعمل إلا بالحق، في عباداتك ومعاملاتك يهديك سبل السلام، في سفرك وإقامتك يهديك سبل السلام، في أخلاقك يهديك سبل السلام، في تجارتك يهديك سبل السلام، فمن أراد السلامة في الدنيا والآخرة فليطع ربه السلام.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة / ٢٠٨].

ومن طبق شرع ربه السلام هداه سبل السلام في جميع أموره: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة / ١٥-١٦].

واعلم أن السلامة كلها في الدنيا والآخرة أن تؤمن بالله، أن تعبد الله، أن تطيع الله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران / ٨٥].

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام: ١٢٧].

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. الله ﷻ هو الملك الحق جل جلاله، فلا بد للعبد أن يتعرف على ربه، ويعلم أنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

والله ﷻ فطر العباد على معرفته، وعلى التوجه إليه، ومن خالف فطرته؛ فليس في سلام، بل في شقاء، كل من خالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ فسيعيش في شقاء لا في سلام: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

فالمسلم في سلام مع ربه، و سلام مع نفسه، و سلام مع من حوله.

فهو في سلام مع ربه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ نحن أولياؤكم في الحياة

الَّذِينَ فِي الْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

وهو في سلام مع نفسه: ﴿ وَفَقِيسَ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وهو في سلام مع من حوله، المؤمن في سلام مع ربه بأن حمل نفسه على طاعة الله؛ فله في الدنيا الأمن والهداية، وله في يوم القيامة الرضوان والجنة: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وهو في سلام مع نفسه؛ بحيث أنه انقاد لأمر ربه، وأخضع جوارحه لطاعة ربه؛ فسلم من العقوبات، وسلم من الخسران، ويوم القيامة الله ﷻ يدخله ربه دار السلام: ﴿ هَلْ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

وكذلك المسلم في سلام مع من حوله من المخلوقات، خاصة مع إخوانه المؤمنين: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١].

والله ﷻ هو السلام الذي خلق السلام في جميع المخلوقات، فكل سلامة في الكون فمن سلامه جل جلاله، والسلامة لمن اتبع منهج الله، فمن اتبع منهج الله ﷻ؛ فهو في سلام مع نفسه، وسلام مع ربه، وسلام مع الناس.

والسلامة هي الأمن والطمأنينة، ولا يحصل السلام إلا لمن اتبع شرع الله، أما من خالف منهج الله في عباداته ومعاملاته وأخلاقه؛ فسيعيش في شقاء، فمن بنى غناه على إفقار الناس، وبنى مجده على رقاب الناس، وبنى عزه على إذلال الناس، وبنى حياته على موت الناس، وبنى أمنه على تخويف الناس؛ فهذا الإنسان يتعذب عذاباً شديداً في نفسه، ويشقى في حياته: ﴿ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٤].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٣-١٤].

الأبرار في نعيم في الدنيا، وفي القبر، وفي الجنة، والفجار في جحيم في الدنيا، وفي القبر وفي عذاب جهنم.

والله سبحانه يدعو إلى سبل السلام، ويدعو إلى دار السلام «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا حَظَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ» متفق عليه<sup>(١)</sup>. ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٧]. فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلم عباده من المؤذيات والمكروهات، وسلم دينه من الشبهات والبدع.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>. فالله ﷻ هو السلام الذي يسلم عباده من المكروهات في دينهم ودنياهم. والسلامة في الدين تكون في ثلاثة مقامات:

في مقام الشريعة .. ومقام الطريقة .. ومقام الحقيقة.

ففي مقام الشريعة: يسلم الله عقل المسلم من البدع والشبهات، ويسلم قلبه وأعماله من الهوى والشبهات.

وفي مقام الطريقة يقدم العقل على الهوى؛ فعقله أمير على شهواته، وليس أسيرًا لها، ينقاد هواه لعقله، ولا ينقاد عقله لهواه؛ بل هو مسلم مستسلم لربه السلام، يقدم الوحي على العقل في جميع أحواله، ويقدم الآخرة على الدنيا، ويقدم محبوبات الرب على محبوبات النفس.

وفي مقام الحقيقة فسلامة المسلم ألا يلتفت إلا إلى الله، ويفر إلى الله، ويعبد الله كأنه يراه، ولا يلتفت لأحد سواه، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ فالسلام أين؟ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم / ٤٢].

والسلامة أين؟ ﴿فَقَرُّوا إِلَىٰ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

والخسارة أين؟ ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء / ٢٢].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

والعذاب أين؟ ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلم من كل آفة وعيب ونقص؛ وسلم عباده من كل شر، وسلم على رسله وأوليائه في الدنيا والآخرة: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ [النمل/ ٥٩].

هو سبحانه السلام الذي سلم علمه من الجهل، فلا يخفى عليه شيء، أحاط بكل شيء علمًا، وسلم غناه من الفقر؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ غني لا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة، مع أنه ينفق في كل ثانية مليارات الأرزاق على خلقه، ويده ملأى، سحاء الليل والنهار، لا تغيضها نفقة، ولا ينقص من ملكه مثقال ذرة: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ تَفَادٍ﴾ [ص/ ٥٤].

والغني هو الذي لا تنقص خزائنه، ومن نقصت خزائنه هللة واحدة فهو فقير، أما الله عَزَّ وَجَلَّ فهو الغني الذي أعطى الغني ما يعتنى به، ولو سلب عنه الغنى لعاد فقيرًا.

﴿يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ﴾ أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

والمحدود إذا أخذ من المحدود نقص، من المائة ريال أنفقت عشرة تنقص، هذا شأن المخلوق؛ أما الخالق فغناه مطلق لا أول له ولا آخر، غناه لازم لذاته جل جلاله، والمحدود إذا أخذ من المحدود نقص، والمحدود إذا أخذ من غير المحدود فإنه لا ينقص أبدًا؛ لأن خزائنه كلام: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ تَفَادٍ﴾ [ص/ ٥٤].

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

هو الله الملك القدوس السلام الذي سلم علمه من الجهل، وسلم غناه من الفقر، وسلم حكمه من العبث، فهو يضع الشيء في موضعه، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وحيث يجعل هدايته في خلقه، هو أعلم بمن يصلح للجنة فيهديه، ومن لا يصلح للجنة فيضله، ولكنه لا يضل إلا من ضل، لا يزيغ إلا من زاغ، فمن أقبل على الله هداه، ومن أعرض عنه نسيه وتركه وما يختار: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلَهُ ۗ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).



كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ [إبراهيم/ ٢٤-٢٥].

ومانع الماعون من البشر ملعون، الشمس ماعون للإنارة، وهي مستجيبة لله ﷻ لا تعصيه أبداً، تخرج النور إلى أن ينهي الله ﷻ هذا الكون، والسحب ماعون مستجيبة لأمر الله تنزل المطر على الخلق، والأرض مستجيبة لأمر الله، فالأرض ماعون للنباتات، فتعطي هذه النباتات والمواليد الكثيرة المختلفة، لكن مانع الماعون من البشر ملعون، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة/ ١٥٩].

مانع الماعون، ماعون الدعوة، ماعون التعليم، ماعون الأخلاق العالية، هذه مانع الماعون ملعون: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾؛ وإذا لعن الله؛ لعن الكون جميعه هذا المخلوق؛ لأن الله لعنه: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾؛ حتى ذرات جسم الإنسان تلعنه، ثيابه تلعنه، وكل ذرة في الكون تلعنه؛ لأنه عصي الله ﷻ، وكفر بالله ﷻ.

والعذاب ليس على البدن، البدن موصل للألم، والألم يذهب إلى الروح، فتعذب هذه الروح، فمانع الماعون من البشر ملعون، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة/ ١٥٩] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠].

هذا اللسان ماعون للكلام، يجب أن يكون كلامي بالحمد والذكر والتسبيح ودعاء ربي ﷻ، والدعوة إلى دينه، وتعليم شرعه، والقول الحسن، هذا اللسان ماعون لهذه الأشياء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة/ ١٥٩] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴿١٦٠﴾ من بعد ما ظلموا ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا ﴿وَبَيَّنُّوا﴾ ما كنتموا ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠].

واعلم أن مانع الماعون ملعون؛ فاسق بلسان الشرع ومعهود العقل؛ لتركه الفعل المكلف به، وخروجه عن العمل المرضي إلى العمل المسخوط لربه السلام: ﴿فَوَيْلٌ

لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ  
الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ [الماعون / ٤-٧].

ومانع الماعون من البشر خارج عن طاعة ربه إلى طاعة إبليس الذي لعنه الله وطرده لما فسق عن أمر ربه: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر / ٣٤-٣٥].

واعلم أيها المسلم أن إسلام ما دون المؤمن كون وفطرة، فجميع المخلوقات أسلمت لربها، وخضعت لمشيئته؛ لأنها عرفت ربها ﷻ؛ ولذلك تسبح بحمده: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

• فإسلام المؤمن يحصل له من ثلاث أبواب:  
باب الكون.. وباب الفطرة.. وباب الشريعة.

فأنا مستسلم لله، لما أنزله من آياته الكونية، الدالة على وحدانيته، وكمال قدرته.

ومستسلم لربي فطرة، إذا مس الإنسان الألم؛ توجه إلى جميع الجهات لم يجد شيئاً، فيرفع بصره إلى السماء، لأنه مفطور على معرفة ربه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

هذه الفطرة توجه العبد إلى ربه، وهو مستسلم لربه عن طريق شرعه، وكتابه الذي بين فيه أسماء وصفاته.

• فالمؤمن هداه الله من ثلاثة أبواب:

من جهة الكون.. ومن جهة الفطرة.. ومن جهة الشريعة.

وكل منهما إسلام لربنا السلام جل جلاله؛ فالمؤمن إسلامه كون وفطرة وشرعة، فهو مسلم، ومستسلم لربه ﷻ، فله الحمد والمنة على كثرة وسائل الهداية.

فسبحان الملك القدوس السلام الذي شهدت له جميع مخلوقاته بالملك، والعزة، والجبروت، والكبرياء، وشهدت بوحدانيته، وسبحت بحمده في كل وقت، كيف يعبد الناس غيره؟ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران / ٨٣].

وسبحان الرب السلام الذي سلم على أنبيائه ورسله فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾  
[الصفات / ١٨٠-١٨١].

ويسلم على عباده المؤمنين به في الدنيا: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ [النمل / ٥٩].

ويسلم على عباده المؤمنين في الجنة يوم يلقونه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۗ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الأحزاب / ٤٤].

سلام مقرون بالرحمة: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ ﴿٥٨﴾ [يس / ٥٨].

ولحبة السلام جل جلاله للسلام جعل السلام شعار ختم الصلاة، وأمر المصلي بذكر السلام، وإفشاء السلام بعد السلام لحاجة العبد إلى السلام، فنقول بعد السلام من الفريضة: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» (١).

وهو سبحانه السلام الذي يدعو إلى دار السلام: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾ [يونس / ٢٥].

ووعده عباده المؤمنين بدخول دار السلام؛ فقال عنهم: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾ [الأنعام / ١٣٧].

وهو سبحانه السلام الذي جعل اسمه إشارةً يبشر بها المسلمون بعضهم بعضاً بالسلامة والرحمة والبركة منه؛ لدخولهم في الإسلام، وإيمانهم برهبهم السلام.

ولهذا أمرنا السلام بإفشاء السلام بيننا، وجعل السلام سبباً للمحبة والإيمان، ودخول دار السلام: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبِخِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ ﴿٨٦﴾ [النساء / ٨٦].

ويقول النبي ﷺ مرغباً في السلام: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، وَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابْتُمْ؟»، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» أخرجه مسلم (٢).

فأعظم المسلمين أجراً، وأحسنهم بشراً، أكثرهم تحيةً بالسلام، وأكملهم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وفي هذا ثلاثون حسنة.

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٩١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلم من جميع الآفات والنقائص والعيوب، الذي أمنه عباده أن يظلمهم، والذي أصلح خلقه بما فطرهم عليه من التوحيد، وبما شرع لهم من الدين الحنيف، وسلم عباده المؤمنين من الشرور: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران / ١٦٤].

والله ﷻ هو السلام الذي يريد أن يسلم خلقه من الشرور في الدنيا والآخرة، ولهذا دعا جميع خلقه إلى الدخول في الإسلام، ودخول دار السلام: ﴿فَاقْمْ وَّجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن مَّا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم / ٣٠].

هو السلام الذي يدعوا إلى دار السلام: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

ولهذا فطر الله خلقه على التوحيد، ويسر للناس معرفته بأسمائه وصفاته، فنقل المؤمن من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وأنار له بإيانه موضع الغفلة منه، وكشف له بالعلم ما غطت عليه الشهادة، وبصره بالآيات الكونية، والآيات القرآنية؛ فأحبه وآمن به وأطاعه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس / ١٠١].

وبصر الإنسان بأصله، ليعرف من خلقه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [٥] ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [٧] ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [٨] [الطارق / ٥-٨].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ [٢٤] ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [٢٥] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ [٢٦] ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ [٢٧] ﴿وَعَبَابًا وَقُضْبًا﴾ [٢٨] ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [٢٩] ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ [٣٠] [عبس / ٢٤-٣٠].

فالنظر والتفكير من أعظم أبواب زيادة الإيمان، التفكير في الآيات الكونية، والتفكير في الآيات القرآنية، فهذا المؤمن الذي تفكر رأى فعل الله وتديره في ملكه ومخلوقاته، ووجد ما سواه من العوالم العلوية والسفلية عبيداً له، تكبر ربه وتعظمه، وتسبح بحمده، وتطيع أمره، وتشهد بوحدانيته جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج/ ١٨].

واعلم رحمك الله بأن العلم بالله عليه مدار الإيمان؛ فاعلم أنه لا إله إلا الله، هذا العلم عليه مدار الإيمان الذي في القلب، والإسلام الذي في الجوارح؛ حتى تستسلم لربها، ومن سلم قلبه وجوارحه لربه؛ أسعده في الدنيا، وسلمه يوم القيامة القصور الملكية: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ [البقرة/ ١١٢].

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله زاد إيمانه، وحسن إسلامه، وكمل توحيدته؛ وقويت عبادته، أفمن يعلم كمن لا يعلم؟ أفلا تذكرون! ﴿أَمْ نَ هُوَ فَتَنَتْ أُنَاءَ النَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١﴾ [الزمر/ ٩].

وإذا قر العلم بالله في القلب تنور بالإيمان، ثم توجه إلى ربه بالعمل الصالح، فالذي قر منه في قلبه هو الإيمان، والخارج من الجوارح هو الإسلام، وهذه أول مراتب العلم وأعلىها وأشرفها؛ لأن ثمرته التوحيد والإيمان؛ ولهذا أمر الله بها، وأكد عليها في كتابه فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

### • والعلم ثلاث درجات:

علم بالله.. وعلم بأوامر الله.. وعلم بأيام الله ﷻ.

هذا العلم الإلهي، علم بالله، وعلم بأوامر الله، وعلم بوعد الله ﷻ، وما يجريه من أقداره من نصر أوليائه ورسله، وخذلان أعدائه المشركين به: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

فأول ثمرات هذا العلم الإيمان بالله، وخشيته، وتقواه.

فالعلم الإلهي ثمرته الإيمان بالله، وإذا استقر في القلب؛ امتلأ القلب بنور الإيمان، فانشرح الصدر للطاعات، فأقبل المسلم على طاعة ربه بالحب والتعظيم والذل له؛ ثم

نوع الطاعات، واجباتها ومستحباتها، الصلاة فرض ونفل، والصوم فرض ونفل، والزكاة فرض ونفل، والحج فرض ونفل، وهكذا في سائر الطاعات: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأَنْفَال: ٢-٤].

إذا امتلأ القلب بالإيمان اشتاق لطاعة الرحمن؛ فتتحرك القلب بالإيمان، والقلب يحرك الجوارح للأعمال، يحرك اللسان لذكر الله وحمده، والدعوة إليه، والتعليم شرعه، ويحرك الجوارح للصلاة والصوم، والزكاة والحج، والجهاد، والدعوة، والتعليم وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وأبواب الخير: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١].

فأعظم روافد هذا العلم الذي هو العلم بلا إله إلا الله. وأقوى روافده أركان الإسلام الخمسة، فالشهادتان شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، إعلان للتوحيد، وإظهار للطاعة لله ولرسوله، والصلاة صلة بين العبد وربّه.

#### • فيقف العبد في الصلاة بين يدي ربه بستة أمور:

الأول: يكبر ربه، كما نقول: الله أكبر في الأذان، والإقامة، وكذلك في الصلاة، وفي ركعات الصلاة، يكبر ربه.

الثاني: ثم يحمّد ربه فيقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة/٢]. ثم نقول بعد الرفع من الركوع: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ملء السماء وملء الأرض. إلى آخره.

الثالث: ثم يسأل ربه الهداية: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة/٦].

الرابع: ثم الاستغفار بين السجدين: اللهم اغفر لي، اللهم اغفر لي.

الخامس: ثم تقديم التحية لله في النهاية: التحيات لله، والصلوات والطيبات.

السادس: ثم الصلاة والسلام على من كان سببًا في وصول هذا الخير إلينا، وتسهيل هذا العلم لنا؛ وهو محمد ﷺ، نصلي ونسلم عليه كما نصلي ونسلم على إبراهيم الذي هو أبو البشرية الثالث، فنقول في آخر الصلاة: «اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد كما

صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». فالصلاة صلة بين العبد وربّه، يكبره، ويحمده، ويسأله، ويستغفره، ويقدم التحية له، ثم يصلي ويسلم على من كان سبباً في وصول هذا الخير إليه.

والصلاة أصل الخشوع لله، وهي إعلام بترتيب الذكر والفكر، والتوجه والطاعة، وكيفية الوقوف بين يدي الجبار بأحسن مراتب الخضوع: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْتَغَاءَ الصَّالَةِ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وثمرّة الصلاة الانقياد لأوامر الله داخل الصلاة وخارجها، مع المحبة والتعظيم لله ﷻ؛ فالعبد لا يكون عبداً حتى يكون عبداً لله داخل الصلاة وخارج الصلاة، مطيعاً لربه في الصلاة بقيامه، وركوعه، وسجوده، وأقواله، وأفعاله، في داخل الصلاة، فهو عبد يطبق أكثر من مائتي سنة عن النبي ﷺ داخل الصلاة.

فكذلك لا يكون العبد عبداً حقيقة حتى يكون داخل الصلاة عبداً لله، وخارج الصلاة عبداً لله ﷻ، مزاجه سمعنا وأطعنا في داخل الصلاة وفي خارج الصلاة، هذا هو العبد الذي سلم قلبه وجوارحه لله ﷻ، ويوم القيامة هذا الإنسان يستلم القصور الملكية، ويدخل جنة عرضها السموات والأرض، وله في الآخرة مثل هذه الدنيا عشر مرات. فهذه الصلاة هي الركن الأول بعد الشهادتين.

#### • أما الركن الثاني فهي الزكاة.

وهي من ثمرات العلم الإلهي، فهي تدريب على إنفاق المال في وجوهه المشروعة من زكاة، وصدقة، وهدية؛ هرباً من تبعات المال وعبادته، وتقرباً إلى الله بإنفاق المحبوب الأدني؛ لنيل ما هو أحب، فالزكاة تخرج الإنسان من الشح والبخل، وتنفع الفقير، وفيها قربة إلى الله ﷻ بإنفاق المحبوب، لنيل ما هو أحب، وهو رضوان الله والجنة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٣٢] [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

#### • والصوم أصل في الإمساك كله:

بالكف عن المحبوب من أجل ما هو أحب، وهو الله، والزهد في المباح، وتضييق مجاري

الشیطان فی الدم، والتدرب علی الكف عن كل ما حرم الله ﷻ.

فالصوم الأصغر هو الصوم الذي نحن نصومه، أما الصوم الأكبر فهو الصوم عن كل ما یسخط الله ﷻ من جمیع المحرمات والمكروهات، یصوم هذا اللسان عن الغيبة والنميمة، والقيل والقال، وتصوم الجوارح عن المعاصي، وعن الذنوب، وعن كل قبیح. هذا الصوم الأصغر وسیلة إلى الصوم الأكبر، فالصوم الأصغر وقته محدود من الفجر حتى أذان المغرب، وبعد ذلك نأكل ما أحببنا من الطعام والشراب، لكن الصوم الأكبر یبدأ من إسلام الإنسان وإیمانه بربه ﷻ حتى یموت، والفطر یوم القیامة علی نهر الكوثر، وزیادة كبد الحوت یوم القیامة، فمن صام عن شهواته استعد لامثال أوامر ربه.

ثم الحج الذي هو من ثمرات العلم الإلهي الذي یستقر فی القلب، ویورث الإیمان والتقوی لله ﷻ، الحج فی الأصل هو القصد، فالحج أصل فی القصد إلى الله، وإعلان الطاعة له فی بیته ومشاعره بین خلقه، والسعی إلیه بالنفس والمال، ولزوم المسكنة والبذاعة فی هیئة أمام الملك الجبار ذلاً له.

وإذا أعلنت الجوارح هذه الأعمال بعد إقرار القلوب بالتوحید والإیمان؛ اتفق ظاهر الإنسان وباطنه علی سلوك السبیل الموصل إلى ربه، ففاز وسلم من العذاب: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

والسلام سبحانه یجب أن یسلم عباده من الشرور، والعذاب، والآلام؛ ولهذا أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ رحمةً بعباده، وحمايةً لهم مما یضرهم؛ لیعیشوا فی أمن وسلام فی الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

هذا فی الدنيا، ویوم القیامة: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا یَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

ولو ترك الله الناس بلا رسل، ولا كتب، ولا دین؛ لعاشوا كالبهائم، بل أضل من البهائم، وعاشوا علی الهوی لا علی الهدی؛ فهلكوا وفسدت أمورهم، وضلوا وأضلوا: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَا رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة/ ٢].

فالحمد لله على نعمة الإسلام، وأول كلمة تكلم بها آدم ﷺ هي السلام، حين أمره ربه أن يسلم على الملائكة لما أتم خلقه؛ لأن الله ﷻ أمره بقوله: «اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ، النَّارِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحْيُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحْيِيكَ وَتَحْيِي ذُرِّيَّتَكَ»، متفق عليه<sup>(١)</sup>. فأول كلمة تكلم بها آدم ﷺ هي السلام، حين أمره ربه أن يسلم على الملائكة؛ لأن السلام أمان الله لعباده، ولمحبته لاسمه السلام سمي دينه الإسلام، وسمى أهله بالمسلمين، وأمر بإفشاء السلام، وهو الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران/ ١٩].

وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٢]. وأمرنا الله ﷻ إذا دخلنا البيوت أن نسلم على أهلها؛ لإشعارهم بالأمن والسلام: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور/ ٢٧].

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور/ ٦١]. ومن حق المسلم على المسلم أن يرد السلام، كما قال النبي ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ - وفي رواية - سِتٌّ وذكر منها: رَدُّ السَّلَامِ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

وإفشاء السلام من أعظم شعائر الإسلام والمسلمين، مع تطبيق أركانه وأحكامه. سئل النبي ﷺ: «أي الإسلام خير؟ فقال: أَنْ تُلْقِيَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

واسم السلام يجعل المسلم في سلام مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره، واعلم أن كل شر إنما يأتي من سوء الاختيار؛ فالعاصي استعمل هواه في تحريك جوارحه؛ فوقع في الشر، لكن الله وظف هذا الشر النسبي للخير المطلق: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن/ ١١].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٤١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٢٤٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٦٢).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٢٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٣٩).

تُجِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

• فالله ﷻ يهدي خلقه من أربعة أبواب:

الأول: الهدى البياني، بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بالقول الحسن، بالدرس، بالموعظة، بالمحاضرة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

الثاني: التأديب التربوي، فإذا لم يستجب العبد للهدى، فالله يرد هذا الإنسان إليه بأمر آخر، هذا الأمر هو أن يصيبه بمصيبة؛ إنذارًا له، حتى تذكره ربه فيتوب إلى الله، فالأمراض والمصائب إنذارات من الله بأن هذا الإنسان خرج عن الصراط المستقيم؛ فلا بد أن يعود إلى ربه؛ فهذه المصائب والآلام منذرات ومذكرات بالله ﷻ؛ فيتوجه الإنسان إلى ربه، إن لم يفد به القول الحسن؛ انتفع بهذا الإنذار من ربه ﷻ.

الثالث: الإكرام الاستدراجي، فإن لم يفده القول الحسن، ولا الإنذار بالمصيبة، فالله ﷻ عنده باب ثالث، وهو الإكرام الاستدراجي: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [التوبة: ٥٥].  
﴿فَلَمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام / ٤٤].

الرابع: القصم الرباني، فإذا لم يستجيبوا وقد جاءهم الهدى، ولم يتوبوا بعد البلاء، ولم يشكروا بعد النعماء، فلم يبق إلا القصم الرباني بالإهلاك والتدمير، وبحسب الذنب تكون قوة العقوبة: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف / ٥٥].  
﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فالله حكيم في أقداره؛ في المحبوب والمكروه، في المنع والعطاء، فهو منع إلا ليعطي، وما ابتلى إلا ليعافي، وما أمرض إلا ليشفي جل جلاله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة: ٥١].

فالمصيبة إنذار من الرب، ترد العبد العاصي إلى مولاه، ولكننا لضعفنا إذا أصبنا فورًا نذهب إلى الأسباب ونتعالج، ولا نعلم ما سبب وقوع هذه المصيبة، ومن الذي أنزلها،

الذي أنزلها وجاء بها هو الله ﷻ؛ عقوبةً وإنذارًا لهذا العبد حتى يعود إلى ربه، ليس إيلام العبد أمر مقصود، فالإيلام ليعود إلى ربه.

فالمصائب إنذارات من الرب ترد العبد العاصي إلى مولاه؛ فيتوب إليه، ويسلم من عقوبة ذنبه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) [التوبة/ ٥١].

وقال النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>. والمسلم إذا آذى مسلمًا من إخوانه؛ قال هذا الذي أؤذي: فلان قد آذاني، وإذا آذى غير مسلم؛ قال: المسلمون فعلوا معي كذا، فينسب التهمة للإسلام لا للمسلم.

لكن المسلم الحقيقي من سلم المسلمون من لسانه ويده، وسلمت سمعة الإسلام من لسانه ويده، وكان قدوةً حسنةً لغيره؛ فهو سفير الإسلام بين الخلق في أقواله وأعماله وأخلاقه؛ فلا ينسب للإسلام أي أمر مشين: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فالمسلم حقق حسن الخلق مع الخالق والمخلوق، وأصول الأخلاق مع الخلق أربعة: أن تعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وتصل من قطعك؛ فهذا سفير الإسلام بين الخلق في أقواله وأعماله وأخلاقه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فمن أساء بسوء في تصرفاته فقد أساء للإسلام، والمسلمين، والكفار، لأنه شوه صورة الإسلام، وأساء للمسلمين لأنه فعل هذا الفعل لأنه مسلم، وأساء للكفار؛ لأنه منعهم من الإسلام بسبب سوء تصرفاته، والإسلام اليوم محجوب عن الكفار، لماذا الإسلام اليوم محجوب عن الكفار؟.

المسلمون الآن أكثر من مليار ونصف، من بين أكثر من سبعة مليارات وبقية السبعة مليارات كلهم كفار، الإسلام محجوب عن هؤلاء؛ بسبب سوء أخلاق بعض المسلمين

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٠)، ومسلم برقم (٤٠).

مع الكفار، بالكذب، والفساد، والخيانة، والظلم وغيرها.

الإسلام محبوب عن الناس؛ لأن الإسلام هو الأخلاق قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية: «صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» أخرجه أحمد والبيهقي (١).

• والأخلاق تنقسم إلى قسمين:

حسن الخلق مع الخالق.. وحسن الخلق مع المخلوق.

الأول: حسن الخلق مع الخالق: أن أعرف الكبير فأكبره، والعظيم فأعظمه، وأعرف الكريم فأشكره، وأعبده بما جاء به رسوله ﷺ، والنفع عائد إليّ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الثاني: حسن الخلق مع المخلوق: أن أصل من قطعني، وأعفو عن ظلمي، وأعطي من حرمني، وأحسن إلى من أساء إلي، وأخالق الناس بخلق حسن: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» أخرجه أحمد وأبو داود (٢).

فالدين كله هو الخلق، لأن هذا الدين عظيم لا بد له من إناء، وهذا الإناء هو إناء الأخلاق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم/ ٤].

ولهذا الخلق ليس له حد، وليس له وقت، يتخلق به الإنسان، ويلبس هذا اللباس، يلبس لباس التقوى إلى أن يلقي ربه، والتقوى هي التي تحجزك عن معاصي الله ﷻ، التقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجذك حيث نهاك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

فالإسلام محبوب عن الكفار بسبب سوء تصرفات المسلمين مع الكفار بالكذب والفساد والخيانة، وهذا شيء مشاهد، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده؛ من باب أولى لن يسلم الكفار من لسانه ويده؛ فيؤذي المسلمين، وينفر الكافرين عن الدخول في الإسلام، والواجب أن يتصف بصفات النبي ﷺ، الذي كان أحسن الناس خلقاً وخلقاً.

• وحتى يحصل الأثر والتأثير لا بد أن يقتدي المسلم بالنبي ﷺ في خمسة أمور:

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩)، وأخرجه البيهقي برقم (٢٠٧٨٢)، وهذا لفظه.

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٠١٣) وأخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨) وهذا لفظه.

في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه.. وفي أقواله الحسنة.. وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه العظيمة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب / ٢١].

فالمؤمن حقاً من سلمت سمعة الإسلام والمسلمين من لسانه ويده.  
قال النبي ﷺ: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

وبوائقه شروره وغوائله، فإذا آمنت بالله السلام؛ فكن مصدر سلام لمن حولك، وإذا وصل الإنسان إلى مرتبة يؤذي فيها غيره؛ فهذه قطعة من نار أقطعه إياها إبليس، وشر الناس من اتقاه الناس مخافة شره، والمسلم مصدر السلام والأمن؛ يجب أن يبت في العالم الأمن والسلام والطمأنينة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٠٨﴾ [البقرة / ٢٠٨].  
﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

لهذا يجب على المسلم أن يُحس من حوله بالطمأنينة، وأنه لن يناله منه أذى.

ومن آمن بالله السلام فعليه أن يتخلق بهذا الاسم العظيم؛ فيسلك في حياته اليومية سبل السلام بأقواله، وأعماله، وأخلاقه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ليسلم في نفسه، ويسلم من شره غيره، وينتفع بخيره غيره: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر / ١٧-١٨].

فاصدق أيها المسلم في أقوالك، وأخلص في أعمالك، وتجمل بأخلاقك؛ تكن في سلام مع ربك، ومع نفسك، ومع غيرك من الأهل، والأولاد، والجيران، وسائر الخلق.

وأحب شيء إلى الله هو السلام، والإسلام، وسلامة الخلق في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠١٦).

والناس يحبون السلام؛ لما فيه من الطمأنينة، وسورة الفتح نزلت بعد صلح الحديبية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح / ١-٢].

لا لأنك حاربت؛ بل لأنك وقعت اتفاقية سلام مع كفار قريش؛ لعلهم يهتدون، وكان هذا الفتح أن دخل الناس في دين الله أفواجًا، من قريش وغيرهم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر / ١-٢].

فالفتح فتح القلوب؛ ليدخل الإيمان، إذا قامت الدعوة فتحت أبواب المداخل؛ فدخل الناس في دين الله أفواجًا، وإذا تركت الدعوة؛ فتحت أبواب المخارج، فخرج الناس منه أفواجًا، كما دخلوا فيه أفواجًا.

• وأسماء الله ﷻ الحسنى أنواع:

أسماء ذات.. وأسماء صفات.. وأسماء أفعال.

فذات الله سلام، ومن صفات الله أنه السلام، ويهب لعباده السلام.

فكل سلام في الدنيا والآخرة فهو من ربنا السلام، هو الذي سلم عباده بصفاته الفعلية.

فسبحان من يقلب الليل والنهار والأحوال؛ لنفع العباد وسلامتهم مما يضرهم: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝٤٤﴾ [النور / ٤٤].

الله ﷻ هو الملك القدوس السلام الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض.

والله ﷻ أمرنا بتعلم لا إله إلا الله فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد / ١٩].

وعلم أسماء الله الحسنى هي مفتاح هذا الباب، وأصل هذا الباب بأن نعرف الملك، العظيم، القوي، القادر، القاهر، الرزاق، العليم، القدوس، السلام، نعرفه حتى نتوجه إليه؛ فإذا عرفنا الغني توجهنا إليه، وإذا عرفنا القوي استعنا به، وإذا عرفنا الرزاق سألناه الرزق: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف / ١٨٠].

فهذا الكون العظيم بما فيه من العرش والكرسي، والسموات والأرض، وما فيهن، وما عليهن، وما بينهن، من هذه العوالم العظيمة، عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الإنس،

وعالم الحيوان، وعالم النبات، وعالم الجهاد، هذه العوالم الكبرى كلها دالة على وحدانية الله، وعلى عظمته وكبريائه، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى: ﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

وهذا الكون العظيم بما فيه من جميع المخلوقات كله مطيع لربه، وكل ذرة في هذا الكون العظيم تسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته، وتخضع لأمره، وتستجيب لمشيئته، وتسرع إلى إرادته، وتسربطاعته، وتلعن من عصى الله وأعرض عنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [١١١] خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة / ١٦١-١٦٢].

فهذه المخلوقات العظيمة كلها تسبح بحمد ربها، وهي مفطورة على ذلك، والإنسان خلقه الله ﷻ مخيراً، وجوارح الإنسان خاضعة لإرادة الإنسان، تفعل ما يريد هذا الإنسان؛ فإن أطاع الله بهذه الجوارح أطاعته جوارحه وحمدته، وإن عصى الله بها أطاعته ولعنته، فإذا كان يوم القيامة شهدت هذه الجوارح عند الملك الحق بما أمرها الإنسان أن تعمل به من خير أو شر: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس / ٦٥].

والله ﷻ أمرنا أن ندخل جميعاً في الإسلام، ونبتعد عما سواه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

فالسلم والإسلام والسلام كلها أسماء للإسلام، الله ﷻ أمرنا أن ندخل جميعاً في الإسلام، وأن نأخذ بجميع أحكام الإسلام: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة / ٢٠٨].

وإذا فعلنا ذلك صلحت أحوالنا جميعاً؛ وإذا دخل بعضنا دون بعض في الإسلام شقي الذي دخل بالذي لم يدخل في الإسلام؛ لأن نفع المسلم يكون لنفسه ولغيره.

فالمسلم لا يظلم، ولا يسرق، ولا يؤذي أحداً، فالذي دخل في الإسلام نفعه يكون لنفسه وغيره، ويشقى هذا المسلم بمن لم يُسلم؛ لأنه يكيد له، ويحسده، ويعانده، ويحاربه ومن أخذ جميع أحكام الإسلام؛ صلحت أحواله، ومن أخذ البعض وترك البعض؛ فإنه سيتعب ويتألم ويشقى؛ لأنه لفق حياته من حق وباطل، ومن هوى وهدى، ومن فعل

ذلك فلن يفلح في الدنيا ولا في الآخرة: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة / ٨٥].

فالله ﷻ أمرنا أن ندخل جميعاً في الإسلام؛ حتى نكون أسرة واحدة مستسلمين لربنا ﷻ، مسلمين لإخواننا من بني آدم، فالله ﷻ أمرنا جميعاً أن ندخل في السلم جميعاً حتى لا تصطدم حياة بعضنا ببعض، وحتى تكون صبغتنا: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة / ١٣٨].

فنسلم جميعنا لربنا ﷻ ونسلم قلوبنا وجوارحنا لربنا ﷻ؛ حتى الله ﷻ يسلمنا يوم القيامة: ﴿جَنَّتْ وَنَهَرَ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر / ٥٤-٥٥]. فالله ﷻ أمرنا أن ندخل في السلم كافة جميعاً؛ الأبيض والأسود، الرجال والنساء، العرب والعجم، الله أمرنا جميعاً أن ندخل في هذا الإسلام الذي كله سلم وسلام. سلم مع النفس، وسلم مع الرب، وسلم مع الخلق.

وأمرنا كذلك جميعاً أن نأخذ بجميع أحكام الإسلام، في جميع الأحوال، فالمسلم مستسلم لربه بقلبه وجوارحه، يعمل بجميع أنواع الطاعات، فرضها ونفلها، ولا يعمل بشيء ويترك شيئاً؛ بل هو مسابق ومسارع إلى جميع أنواع الطاعات: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة / ٢٠٨].

والذي لا يدخل في الإسلام، ولا يدخل في السلام؛ لا شك أنه سيتبع خطوات الشيطان الذي يزين للإنسان المعاصي، فيدخله في المباحات، ثم ينقله إلى الصغائر، ثم ينقله إلى المحرمات، ثم ينقله إلى الكبائر، ثم إلى الردة، هذا فكر الشيطان؛ يريد أن يجر الناس جميعاً إلى جهنم، فكيف الإنسان يسلم من شره؟ ولن يسلم من شره إلا فقط بشيء واحد: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران / ١٩].

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان / ٢٢].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم / ٣٠].

فلا نجاة ولا سلامة من النار والشقاء والشيطان إلا بالإسلام، أما من اقترن بالشيطان فسيكون جندياً من جنود الشيطان: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء / ٣٨].

فمن لم يعبد الرحمن، فسيجره الشيطان إلى عبادته: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [٦٠] ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [٦١] ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [٦٢] [يس: ٦٠-٦٢].

فالله ﷻ من أجل سلامة الإنسان في الدنيا والآخرة خلقه وساق قوته وأوصله إليه، وهداه إليه، وأكرمه بالنعمة من السمع والبصر والعقل؛ ليعمل بطاعة الله، ويدخل في الإسلام، ويعرف فضل الله عليه ﷻ في دخوله في هذا الدين: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات / ١٧].

ومن دخل في الإسلام في الدنيا دخل دار السلام في الآخرة: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام / ١٢٧].

فعلى الإنسان أن يسلم قلبه، وجوارحه، ووقته، وماله، لربه ﷻ؛ حتى يستعمل هذه الأمور في طاعة مولاه، ويفوز برضاه: ﴿فَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَجِدْ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [٣٤] ﴿الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [٣٥] [الحج: ٣٤-٣٥].

## التعبد لله عز وجل باسمه السلام

الله ﷻ أمرنا بالتعرف عليه، والتعرف على أسمائه وصفاته، والتعرف على دينه وشرعه، والتعرف على وعده ووعيده؛ لتعبد الله على بصيرة، ونسارع إلى الطاعات ونجتنب المعاصي، ونسابق في الخيرات؛ استجابةً لأمر الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فكيف نتعبد لله ﷻ باسم الله السلام؟ إذا عرفنا أن ربنا هو السلام في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو السلام الذي يسلم على عباده، وهو السلام الذي كل سلامة في الكون منه جل جلاله؛ إذا عرفنا ذلك فعلياً أن نتعبد بهذا الاسم العظيم؛ فتكون حياة المسلم كلها سلاماً من اللغو، والعبث، والغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والآثام.

كيف نتعبد لله ﷻ بهذا الاسم العظيم؟ فالله ﷻ منّ علينا بأنواع السلامة في الدنيا والآخرة، فالله ﷻ يقلب الليل والنهار والأحوال لماذا؟ لنفع العباد وتذكيرهم بربهم وسلامتهم مما يضرهم: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور/ ٤٤].

فالإنسان إذا نام يتقلب مراراً لماذا؟ ليسلم؛ لأن الله يقلبه، لئلا يقف الدم في العروق بالنوم على جهة واحدة؛ فمن أجل سلامة هذا الإنسان يقلبه ربه في فراشه مرات كثيرة لسلامته: ﴿وَنُقَلِّبُهم ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف/ ١٨].  
ولولا تقلبيه؛ لتفطر لحمه ووقف شريان دمه.

ومن أجل سلامتك يا عبد السلام تولى الله عنك إدارة أجهزة جسمك: من القلب، والرئتين، والكبد، والمعدة، والمرارة وغيرها من الأجهزة، وأنت مستيقظ أو نائم، فالله ﷻ يكلؤك ويرعاك؛ اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِالْأَيْلٍ وَيَعْلَمُ مَا جَرَّحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام/ ٦٠].

﴿قُلْ مَنْ يَكْلؤُكُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء/ ٤٢].

ومن أجل سلامتك وضع جل جلاله دماغك في صندوق عظمي قوي يحميك به من الصدمات.

### • هذا الدماغ أقسام كثيرة منها:

قسم للتفكر والتدبر.. وقسم للاستذكار.. وقسم للحفاظ.

فالخ يحفظ جميع المعلومات، ويضعها في ملفات، ويخرجها حسب المناسبات، وحسب طلب الإنسان؛ فالله ﷻ من أجل سلامة الإنسان تولى إدارة أجهزته؛ فوضع هذا الدماغ في صندوق عظمي قوي، ليحمي به الإنسان من الصدمات؛ ووضع سبحانه نخاعك الشوكي في العمود الفقري؛ في أسفل الظهر، وضعه في العمود الفقري حمايةً لهذا الإنسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالتَّكْوِينِ لَهِدٌ وَهُوَ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن أجل سلامة الإنسان وضع قلبه في القفص الصدري، فالقلب يدق بمعدل اثنين وسبعين مرة في الدقيقة، وفي الساعة أربعة آلاف مرة.

فهذه الدقات لسقي البدن بالدم وهذا الدم يضخ من القلب لمسافة مائتين وثمانين كيلو متر طولي، تسقي هذا البدن شعراً وعظماً ولحمًا وعصبًا، تسقي مساحة هذا الإنسان. والإنسان لو فرد لكان مائتي متر مربع، تسقيه هذه الدماء التي يضخها القلب.

فإن جعل الدماغ في صندوق عظمي، وجعل هذا القلب في وسط الإنسان؛ في القفص الصدري، ووضع أمامه مروحتين هما الرئتان تهفان وتبردان هذا القلب الذي يضخ هذه الدماء التي يستقبلها من الكبد، ويدفعها إلى أجزاء البدن: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فمن أجل سلامتك وضع قلبك في القفص الصدري، ومن أجل سلامتك أيها الإنسان وضع معمل كريات الدم الحمراء في نقي العظام، كريات الدم الحمراء التي يحتاجها الإنسان، وتصنع بالملايين في كل يوم، وضعها الله ﷻ في نقي العظام، داخل العظام، في مخ العظام، وهو أكبر معمل في جسم الإنسان يخرج هذه الكريات التي تعمل في الجسم: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

ومن أجل سلامة الإنسان وضع العين في محجر من العظام، هذه العين التي نرى بها يوميًا أكثر من نصف مليون صورة ملونة ويحفظها المخ، المخ يحفظ المسموعات

والمرئيات والمعقولات، فالإنسان يستطيع أن يرى كل يوم نصف مليون صورة ملونة بالعين، ثم هذه العين توصلها إلى الدماغ، والدماغ يحفظها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

ومن أجل سلامة المرأة وضع الرحم في الحوض حمايةً للجنين؛ فلا إله إلا الله الملك القدوس السلام الذي كل سلامة منه، وكل وسائل السلامة بيده؛ فوضع الإنسان على أصول السلامة، ومنَّ عليه بالدين الذي هو الإسلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فسبحان من جعل هذه الأعضاء الهامة في بيوت محصنة، وأماكن آمنة! ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر / ٢٣].

ومن أجل سلامتك سخر لك ما في السموات وما في الأرض، كلها في خدمتك، عالم الجماد، عالم النبات، عالم الحيوان، عالم الجن، عالم الملائكة؛ كلهم في خدمتك، الشمس في خدمتك، والهواء في خدمتك، والتراب في خدمتك، وكل هذه المخلوقات الله سخرها لك، لتتفرغ لعبادة ربك: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان / ٢٠].

وهذا التسخير له وجهان، تسخير تعريف لتعرف، وتسخير تكريم لتشكر من سخرها لك.

ومن أجل سلامتك أيها الإنسان؛ خلق الله جهاز التوازن في الأذن، ولولا وجود هذا الجهاز؛ لما استطاع الإنسان أن يقف على قدميه، أو يمشي معتدلاً، جهاز التوازن موضوع في الأذن، لو اختل؛ لسقط الإنسان.

فسبحان ربنا الملك القدوس السلام الذي سلّم خلقه من الشرور، وحفظهم من الآفات، فليتنق العبد ربه، ليسلم من العقوبة، فما من مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب الخروج عن منهج الله ﷻ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى / ٣٠].

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء / ١٢٣].

وما من خروج عن منهج الله ، إلا بسبب الكبر أو الجهل؛ ولهذا يجب أن نتعلم ونعرف ربنا ﷻ بالكبرياء والعظمة؛ لتواضع له: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

ويجب أن نتعلم؛ حتى نخرج من الجهل إلى العلم: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد/ ١٩].

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب/ ٧٢].

فلا بد للعبد أن يتعلم؛ ليعرف الله بذاته وأسمائه وصفاته، ويعرف دينه، ويعبد من يستحق العبادة، ويشكر من يستحق الشكر: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أُنَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

وهو ظلوم؛ لأنه يريد أن يأخذ كل شيء له؛ فيظلم نفسه بالإعراض عن دين الله، ويسيء إلى غيره بالسرقه أو القتل، ويشرك بربه ﷻ، والشرك بالله ظلم في حق الربوبية: ﴿ الشِّرْكَ لَظْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان/ ١٣].

ولا يُخرج الإنسان من هذا الشرك إلى التوحيد، ومن هذا الجهل إلى العلم؛ إلا إيمان العبد بربه، وما من عطاء وإكرام إلهي أعظم من العلم، أعظم كرامة يعطيها الله ﷻ عبده هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].

### • والعلم الإلهي على ثلاثة أقسام:

علم بالله.. وعلم بأوامر الله.. وعلم بخلق الله.

فالعلم بخلق الله أن تتعرف على هذه المخلوقات: الشمس، والقمر، والجبال، والنباتات، والحيوانات هذا علم بخلق الله يوصلك إلى الله، إذا عرفت المخلوقات؛ تجاوزتها إلى الخالق، وإذا عرفت الصور تجاوزتها إلى المصور، وإذا رأيت النعم والأرزاق تجاوزتها إلى المنعم؛ فتتأمل ماذا يريد، وماذا يجب، فتفعله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا

وَقُوعِدًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا  
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ ﴿آل عمران: ١٩٠-١٩١﴾.

والعلم بأوامر الله هي العلم بأوامر الشريعة، العلم بأوامر الحلال والحرام والأمر والنهي الشرعي: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

والعلم بالله هو أساس هذه العلوم، والعلم بالله هو أصل أركان الإيمان كلها.

• وأركان العلم بالله تقوم على سبعة أصول:

العلم بالله.. والعلم بأسمائه، والعلم بصفاته.. وأفعاله.. وخزائنه.. وووعده.. وووعيده.  
فأعظم شيء، وأعظم عطاء إلهي للعبد هو العلم بالله: ﴿أَفَنُوعِلْمُ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾﴾ [الرعد / ١٩].  
﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِدَاتِ الْبَيْتِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر / ٩].  
﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء / ١١٣].

ولهذا العلم لا حد له: ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].  
وحظ الخلق منه قليل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

فأعظم شيء نسأله ربنا ﷻ العلم الذي يعرفنا بالخالق والمخلوق.

يعرفنا بالخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، وماذا يجب، وماذا يكره، يعرفنا بدين الإسلام وأوامره ونواهيه، حلاله وحرامه، يعرفنا بهذا الكون من خلقه؟ ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

يعرفنا بالإنسان من خلقه وصوره، وما هي وظيفته، وماذا يريد الله منه، وما سبل سعادته وشقاوته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

فالله ﷻ هو السلام الذي كل سلامة في الكون منشؤها منه، وتماها عليه، ونسبتها إليه، يهدي عباده سبل السلام، ويوصلهم برحمته إلى جنته دار السلام: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٧) ﴿[الأنعام / ١٢٧].

وأوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد الإنسان فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه من بطن الأم دار السلام والأمن؛ لأن فيها الطعام والشراب والهواء مهياً له. ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم من قبل، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم. ومن آمن بالسلام سلّمه من شر هذه المواطن؛ ولهذا أكرم الله عيسى ويحيى عليهما السلام، وخصهما بالسلامة، كما قال عيسى ﷺ:

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٣٣) ﴿[مريم / ٣٣].

وقال عن يحيى ﷺ: ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (١٥) ﴿[مريم / ١٥].

والصواب من القول يسمى سلاماً؛ لسلامته من الخطأ والعيب والإثم والأذى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) ﴿[الفرقان / ٦٣].

قالوا: كلاماً جميلاً لطيفاً يجر هذا الجاهل إلى السكوت والرضا: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) ﴿[الفرقان / ٦٣].

قالوا: كلاماً جميلاً سليماً من السب والشتم والسخرية.

فسبحان ربنا الملك القدوس السلام الذي برئ من جميع العيوب، المنزه عن صفات النقص، وعن أفعال النقص، الذي أعطى السلامة للخلق: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ (٣) ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٤) ﴿[الملك / ٣-٤].

هو سبحانه الملك القدوس السلام: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٥٠) ﴿[طه / ٥٠].

هو سبحانه الملك القدوس السلام الذي أكرم خلقه بالعدل والإحسان والرحمة، وسلم الخلق من ظلمه، الذي حرم الظلم على نفسه، وعلى خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠) ﴿[النساء / ٤٠].

وقال النبي ﷺ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ

بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَطَالُمُوا» أخرجه مسلم (١).

فإنه جل جلاله بين لنا أسماءه الحسنی، لنعبد الله ﷻ بموجب هذه الأسماء العظيمة لربنا ﷻ، وهي أسماء جلال، وأسماء جمال، والمسلم لا بد أن يجمع بين صفات الجلال وصفات الجمال، من الناس من تظهر فيه صفات القوة، والشدة، والقدرة، هذا فيه صفات جلال، ومن الناس من تظهر فيه صفات الرحمة، واللفظ، والإكرام، والطمأنينة، هذا تظهر فيه صفات جمال.

والمسلم يجمع بين هذا وهذا، كما أن لربنا صفات الجلال الدالة على عظمته وكبريائه وجلاله، وله صفات الجمال الدالة على إكرامه وإحسانه؛ مثل: الكريم، الرزاق، اللطيف، العفو، والحليم، الرحمن، فذلك الإنسان يكون له حظ من هذه الأسماء. فالمسلم إذا عرف ربه بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الجميلة؛ فهذه المعرفة تثمر له ثمرات، فيكبر الله ﷻ، ويعظمه، ويحبه، ويمجده، ويطيعه، ويعبده؛ متى؟.

إذا عرف ربه بالعظمة والكبرياء؛ عرف نفسه بالضعف والفقر والعجز والاحتياج، فيتوجه إلى ربه، فمن عرف ربه باسمه السلام؛ تواضع له، وتضرع إليه، وسأله السلامة من كل شر في الدنيا والآخرة. ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فاسأل أيها المسلم ربك السلامة، أن يسلم يقينك من الشرك والشبه والهوى والبدع، ويسلم جوارحك من الشرور والمعاصي، ويسلم قلبك من الصفات المذمومة؛ حتى تلقى الله بقلب سليم، وقول سليم، وعمل سليم، وخلق سليم: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿إِلَّا مَن أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ﴿٨٩﴾.

وأحسن الدعاء ما جمع بين الثناء والطلب كما دعا إبراهيم ﷺ، وهذا دعاء عظيم فيه الثناء على ربنا ﷻ، ثم سؤال ما نحتاجه، سؤال الملك الغني القدوس السلام، أولاً أتنى على ربه، ثم سأله ربه: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ﴾

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ  
الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿﴾

ثم وصفه بصفات الكمال فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء/ ٦٩-٨٢].

فلما أثنى هذا الثناء، ومجد هذا التمجيد، وأثنى على ربه بهذه الصفات؛ جاءت الأسئلة فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾؛ هذا السؤال الأول، والثاني: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾؛ وكان له ذلك: ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٩].

هذا دعاء إبراهيم ﷺ، أثنى على ربه بأسمائه وصفاته أولاً، ثم سأله ثانياً، ستة من أنواع الثناء، وستة من أنواع السؤال.

فعلى المسلم إذا عرف ربه السلام أن يكون سلاماً، وأن يكون سليماً حافظاً للسانه وجوارحه من معصية الله، فيكف لسانه وجوارحه عن أذية المؤمنين والمؤمنات: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَوْا أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَلْمُزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

وقال النبي ﷺ: «المُسلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
فعليك أيها المسلم بإفشاء السلام، وإلقائه على من عرفت ومن لم تعرف؛ لأن السلام سبب للسلم والأمان والطمأنينة والخير والبركة، فإذا رأيت إنساناً فسلم عليه، سلم على من عرفت، وعلى من لم تعرف؛ ليعلم أنك لست عدوًّا؛ فالسلام كله خير، وكله بركة، قال النبي ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذَلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابِبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.  
فما أعظم بركات السلام على المسلم والمسلم عليه.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٠)، ومسلم برقم (٤٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

والسلام كما له أن تقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ذكر لي أحد الإخوة أنه كان في الحرم؛ فسلم على أحد الأفارقة، فلما سلم عليه دعاه لطعام الإفطار في الحرم في رمضان، ثم أفطر معه وجرى بينهما الحديث، وكان يظن أنه رجل بسيط من عموم الناس، فلما فرغ من الحديث معه، وأراد أن ينصرف إلى بيته ودَّعه، ثم هذا الإفريقي أعطاه بطاقة فيه اسمه، وقال: إذا جئت إلى بلادنا هذا عنواني، وأنا أدعوك كما أكرمتني أن تزورني في بلادي لأقوم برد الجميل.

فقدر الله ﷻ، فذهب هذا الرجل مع مجموعة من الإخوة إلى بلد هذا الرجل في إفريقيا الوسطى، وهناك جزيرة فيها أكثر من مائة ألف من الأقرام، هؤلاء كلهم وثنيون لا يعرفون الله أبداً، ولا يعبدون الله ﷻ، هؤلاء يعيشون في الغابات، يأكلون من النباتات، ويأكلون من لحوم الحيوانات والطيور، ولا يعرفون اللباس، أقرام رجال ونساء عراة. فلما ذهب إلى تلك البلاد، وجد الرجل ليس في البلد، فسأل عنه فقالوا: هو في أمريكا، ذهب ليعقد صفقة تجارية في تجارة الألماس مع إحدى الشركات الكبرى، اتصلوا عليه، واتصل عليهم، وقال: أنتم تسكنون في قصري، قالوا: ما جئنا لهذا، إنما جئنا للسلام عليك، وما دمت لست موجوداً فنحن سوف نتجول على الناس، ونتعرف على البلاد، فجاءوا إلى هذه الغابة.

وهؤلاء كانوا أربعة، فذهبوا إلى هذه الغابة ووصلوا إليها في قصة طويلة، المهم أهل الغابة لهم سوق يجتمعون فيه يبيعون اللحوم، والفواكه الطبيعية، والأوروبيون يأتون إلى هذا المكان، ويأخذون الدماء الصافية النقية من أجسام هؤلاء وينقلونها إلى مستشفياتهم في العالم مقابل دولارات بسيطة، فهم يأخذون دماءهم وما دعوهم وما هدوهم إلى ربهم ﷻ.

لكن الله ﷻ بسبب هذا السلام الذي ألقاه على هذا المسلم في بلد الله الحرام، وفي بيت الله ﷻ الحرام، ننظر كيف جاءت النتيجة، فذهبوا إلى ذلك المكان ورأوا الناس، ولكن ماذا يرون؟ رجال ونساء عراة يبيعون ويشترون مقايضات، لا يعرفون النقود إلا شيئاً يسيراً، فدعوهم إلى الإسلام، وتكلموا معهم حتى وصلت إلى قلوبهم لا إله إلا الله؛ بواسطة أربع لغات: اللغة العربية، ثم اللغة الفرنسية، ثم لغة البلد، ثم لغة هذه القبيلة. فاجتمعوا تحت شجرة، ثم تكلم أحد الإخوة عن الله ﷻ، وعن عظمته، وعن نعمه

وإحسانه، وأن هذا المُلْك مُلكه وأننا نحن عبيده، وهو مالك هذا الكون، وهو الذي يدبر الكون، وأنه خلقنا في بطن الأم، ثم أنزلنا إلى بطن الدنيا، ثم نموت، ثم ندخل القبر، ومن القبر نساق إلى دار القرار في الجنة أو النار.

فأسلم في تلك الجلسة خمسة وأربعون من الرجال والنساء، فأخذ هؤلاء الإخوة الدعاة بعض ألبستهم وسترها للنساء وسترها للرجال، فعلموهم الوضوء والصلاة، ثم بعد ثلاثة أيام زاد العدد إلى مائتين وخمسين من الرجال والنساء.

وفي ذلك الوقت جاء رئيس القبيلة، وقال: ما هذا؟ وما هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء يدعوننا إلى الله، ويخبروننا أن لنا رباً، وأنه أرسل إلينا رسولاً، وأن فيه بيت يُعبد الله ﷻ فيه في مكة، وأنه بعد الموت فيه بعث وجزاء، ثم دخول الجنة أو النار.

فقال: أنا عندي عملية داخل الغابة، وإذا عدت سوف أسلم، قالوا: لا؛ قد لا ترجع، فانطق الشهادة فنطق الشهادة، وأسلم مجموعة من الناس، حتى بلغ العدد عدداً كبيراً يفوق الخمسمائة من هؤلاء.

وبعد أسبوع أو عشرة أيام عاد هؤلاء إلى المملكة، ثم في أيام الحج رأى هذا الذي قام بدعوتهم إلى الله ﷻ؛ رأى منهم مجموعة في منى يمشون، فقال: لعلِّي أسلم عليهم، فسلم عليهم، قال: من أنتم؟ قالوا: نحن من إفريقيا الوسطى، جاءنا مجموعة من الإخوان ودعونا إلى الله، ونحن جئنا سبعون رجلاً للحج، ودخل الإسلام في الغابة التي نحن فيها أكثر من مائة ألف، وتطل هذه الغابة الكبيرة على خمس دول، قالوا: فبنيت المساجد هناك، وقامت حلق التعليم، وانتشرت حلق القرآن الكريم، وبدأ الصيام، والصلاة، والأذكار، والأدعية، وبدأ الإسلام يدخل في الناس، ونحن سبعون رجلاً جئنا هذه السنة للحج، قال: أين أنتم؟ قالوا: في المكان الفلاني.

فذهب إليهم، وعرفوا بعد ذلك أنه هو، فأخذهم إلى بيت الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وكذلك زار بهم أئمة الحرم، وأكرموهم واحتفوا بهم.

فهذه البركة، وهذا الخير العظيم الذي حصل بسبب السلام، وبإفشاء السلام. إفشاء السلام فيه بركات عظيمة، وفيه أمن وطمأنينة، فنفسى ذلك، وتعبد باسم الله السلام، وننوي هذه النيات الكبيرة؛ لعل الله ﷻ يرزقنا كما رزق هؤلاء، الآن غابة فيها أكثر من مائة ألف كلها تؤذن، وتصوم، وتصلي، وتزكي، وتقرأ القرآن، كلها بصحيفة

هذا الرجل الذي ألقى السلام على من لم يعرف في بيت الله الحرام: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].  
 فهذا الدين كله سلام، وكله أمن، وكله خير؛ فهذه الكرامات، وهذه النعم، وهذه الخصال الحميد كلها من فضل الله، ومن وفقه الله ﷻ لهذه الخصال الحميدة من الدعوة، والعبادة، وحسن الخلق، وإكرام الناس؛ عاش في الدنيا في سلام، ونال السلامة المؤبدة في دار السلام: ﴿هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

ففي الدنيا ثبات الأحوال محال، هنا في الدنيا أمن وخوف، ومرض وعافية، في الدنيا ثبات الأحوال محال؛ لأن الله ﷻ يتبعنا في حال السراء والضراء، في حال الأمن وفي حال الخوف، في حال الإقامة وفي حال السفر، في حال الغنى وحال الفقر.  
 أما في الآخرة ثبات الأحوال قائم هناك، في الآخرة ثبات الأحوال، وفي الدنيا تغير الأحوال، في الآخرة: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، في الآخرة يقال لأهل الجنة: أما أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا؟ وتنعموا فلا تبأسوا أبدًا؟ وتخلدوا فلا تموتوا أبدًا؟ وتشبوا فلا تهرموا أبدًا؟ .  
 هناك دار القرار، ودار السلام، ودار الأمن والطمأنينة، فمن دخل السلام والإسلام وعبد ربه السلام؛ أدخله جنة دار السلام.

فأسلم وجهك، ولسانك، وقلبك، وجوارحك لربك السلام؛ تسعد في دنياك وأخرتك، وتسلم من العذاب في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [٢٢] ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُوهٗٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [٢٣] ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [القمان/ ٢٢-٢٤].

هو سبحانه الملك القدوس السلام المؤمن الذي إذا اتصلت به طهرت من العيوب والنقائص والآثام، وجملك بالمحاسن والمحامد وأدخلك الجنة دار السلام: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [٥٠] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [٥١].  
 [الذاريات: ٥٠-٥١].

هو السلام الذي في جميع أعمالك، في عبادتك، في تجارتك، في حركتك، يهديك إذا آمنت

به سبل السلام: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

هو السلام جل جلاله الذي يدعو إلى دار السلام من الموت، والمرض، والحسد، والجوع، والخوف: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس/ ٢٥].

فإنه ﷺ يدعو إلى دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فمن أقبل على الله، وعلم أنه صالح لسكنى الجنة ودار كرامته، هداه إلى دار السلام، ومن أعرض عن الله ﷺ أعرض عنه، ومن زاغ بقلبه فالله ﷺ يزيغ قلبه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥].

فذكر الله ﷺ بأسمائه وصفاته يثمر الحب لله، والتعظيم له، والتضرع والانكسار بين يديه.

هو سبحانه السلام الذي من أجل سلامتك وحياتك خلق الماء، وجعل منه كل شيء حي: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

آية وعبرة بل آيات وعبر في هذا الماء، وذكر الله يورث القلب الطمأنينة، والسكينة، والسلامة، والأمن، فإذا ذكرته زال عنك الخوف وزالت عنك الوحشة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

ولهذا أمرنا الله ﷺ بكثرة ذكره؛ لأنك إذا ذكرت ربك وهبك السلام، إذا ذكرته سلمك من معصيته وعقابه، إذا ذكرت ربك سلمت من معصيته وعقابه، وسلمك من الآفات، إذا ذكرته أطعته ولم تعصه؛ لأنك تعرف أنه ملك عظيم قوي ملك قادر قاهر، ولهذا أمر الله ﷺ بكثرة ذكره ومن ذكره أطاعه ولم يعصه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

إذا ذكرت ربك السلام؛ شعرت أيها المسلم أنك في سلام، وأن ربك السلام يدافع عنك، وأنه يحفظك مما يضرك، وأنه يرعاك ويكلؤك بالليل والنهار، والمؤمن حقاً من سلم من المخالفات الظاهرة والباطنة، وسلم منه الناس، فلا يؤذي أحداً.

فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وإذا جهل عليه أحد؛ رد عليه ردًا سليمًا جميلًا، لا سب فيه ولا لعن ولا استهزاء، ولا قسوة ولا جهل ولا كذب.  
ومن صفات أولياء الله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) [الفرقان/ ٦٣].

وحظ العبد من اسمه السلام جل جلاله أن يسلم نفسه لربه؛ فيعبده ويطيعه، ويقتدي برسوله ﷺ: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٢) [البقرة/ ١١٢].

ومن آمن بربه السلام؛ سلمه في الدنيا من المؤذيات، وأسعده بالطاعات، وسلمه في الآخرة من النار والعذاب الأليم، وسلمه في دينه من البدع والمعاصي والعقوبات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴿٣١﴾ نزلًا من عفورٍ رحيم ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

خديجة رضي الله عنها هي أول من آمن بالرسول ﷺ، وأول أزواج النبي ﷺ، وأول من طمأن الرسول ﷺ بأن ما جاء به حق، حيث قالت للنبي ﷺ حين قال لها: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» متفق عليه (١).

فالله ﷻ بسبب وقوف هذه المرأة مع رسوله الداعي إلى الله بشرها بالجنة، وهذه زوجة الداعي، دائمًا توأسيه وتسليه، وتفتح له الأبواب، وتعينه على عمله، فالله ﷻ أرسل جبريل بالسلام لخديجة أم المؤمنين، وبشرها بالجنة، فأخبرها به النبي ﷺ، فقال لخديجة: «يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لَا أَرَى تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أخرجه البخاري (٢).

فمن اتبع منهج الله؛ فهو في سلام، في سلام مع نفسه، و سلام مع ربه، و سلام مع

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٤٩٥٣)، ومسلم برقم (١٦٠)، وهذا لفظه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧٦٨).

الناس: فهو في سلام مع نفسه: يكون آمناً مطمئناً، يفعل الطاعات، ويجتنب المعاصي، ويستغفر من الذنوب، ويصبر على البلاء، ويحمد ربه على النعم.

وهو في سلام مع ربه: لأنه يطيعه ولا يعصيه؛ فينال رضا ربه في الدنيا والآخرة، ويفوز بجنته: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وهو في سلام مع الناس: لأن المؤمن لا يأخذ ما ليس له، ولا يؤذي أحداً، فالمسلم يصل من قطعه، ويعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويحسن إلى من أساء إليه.

والسلامة هي الأمن والطمأنينة، ولا يحصل السلام ولا الأمن لمن خالف منهج الله في عبادته، ومعاملته وأخلاقه: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [١٢٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَا فَتَبَايَعْنَا بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كُنَّا نَعْمَلُ [١٢٦] [طه / ١٢٣-١٢٦].

فمن بنى غناه على إفقار الناس، أو بنى مجده على رقاب الناس، أو بنى عزه على إذلال الناس، أو بنى حياته على موت الناس، أو بنى أمنه على تخويف الناس؛ فهذا الإنسان يتعذب عذاباً شديداً في نفسه، ويشقى في حياته: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

ومن استحباب لفطرته فهو في سلام، ومن خالف فطرته فليس في سلام؛ بل في شقاء: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِمَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ أَلَدِينِ الْقِيَمِ وَلَكِبِ أَكْثَرُ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

والشر النسبي موظف للخير المطلق، فالله بيده الخير، ليس بيده الشر، الشر ليس إليه، الشر النسبي موظف للخير المطلق، والخير المطلق مقرون بالحكمة المطلقة، والحكمة أن يوضع الشيء في موضعه، وأن يحاسب المسيء ويكرم المحسن، والشر المطلق لا وجود له في الكون: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدَأُ بِرَبِّكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ٢٦].

فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلم عباده من المؤذيات، وسلم دينه من الشبهات والبدع.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي» أخرجه مسلم (١).

فالسَّلام خزائنه عند ربنا ﷻ، فكل سلامة في الدنيا والآخرة فمن خزائنه جل جلاله. والله ﷻ هو الملك القدوس السَّلام، ومن أراد الله والدار الآخرة فليسلم قلبه وجوارحه لمولاه جل جلاله، فمن أراد السَّعادة حقًّا، والفوز حقًّا؛ فليسلم قلبه وجوارحه إلى ربه السَّلام جل جلاله، وأن يشغلها بما يحبه الله ورسوله من الأقوال، والأعمال، والعبادات الظاهرة والخفية، وبذلك تحصل له السَّلامة والسَّعادة في الدنيا والآخرة: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١) ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ (١٦٣) ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٦٤) [الأَنْعَام / ١٦١-١٦٣].

والصحابا رضي الله عنهم لما سلموا قلوبهم وجوارحهم لربهم ﷻ؛ سلم الله لهم العالم؛ فأخضعوا للإسلام دولة الفرس، ودولة الروم، وأنحاء كثيرة من الأرض؛ لأنهم سلموا نفوسهم لربهم، فسلم الله لهم البلاد والعباد، ويوم القيامة يفوزون برضوانه والجنة دار السَّلام.

قال النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» متفق عليه (١).

• وهذا القرن هو خير القرون، لأن فيه أربع صفات:

الأولى: فيه العبادة: فكل الصحابة عابدون لله وحده، مطيعون لله ورسوله في كل أمر.

الثانية: فيه الدعوة إلى الله، فكل الصحابة قاموا بالدعوة إلى الله.

الثالثة: فيه تعليم شرع الله، فكل الصحابة علموا ما علموا من الدين كل بحسبه.

الرابعة: فيه حسن الخلق والإكرام للناس، فكل الصحابة بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وأكرموا الناس من أجل الله.

فهذا القرن الذي بعث فيه النبي ﷺ كان في أسفل الدرجات، وأخطر الجاهليات، فالله ﷻ بسبب دعوة الرسول ﷺ نقلهم من الشرك والخوف والظلم إلى الإسلام، ونقلهم من شر القرون إلى خير القرون، ومن شر أمة إلى خير أمة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٤٢٩)، ومسلم برقم (٢٥٣٣)، وهذا لفظه.

مَنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢].

• نفتدي بالنبي ﷺ في خمسة أمور:

في نيته وفكره.. وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الحسنة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾ [الأحزاب: ٢١].

ليُرى الإسلام من خلال أقوالنا، وأعمالنا، وأخلاقنا، ومعاملاتنا مع الناس.

هو السلام الذي أرسل رسوله بالإسلام الذي من لم يقبله فهو آخر الناس: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

طريق واحد، وهو الإسلام لربنا السلام؛ لنفوز بالجنة في دار السلام، ونعيش في الدنيا في سلام؛ بأن ندخل في السلم كافة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [الروم: ٣٠].

• والبر أبوابه كثيرة:

وأعظم أبواب البر تقوى الله ﷻ، فادخل منه، واهجر ما سواه؛ تسلم وتغنم، وتؤجر وتسعد: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ﴿٣١﴾ [الطلاق: ٢-٣].

والواجب على العبد عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، فيقوم المسلم بعبادة ربه، وامثال أوامره، والإحسان إلى خلقه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

فاحرص أيها المسلم الذي اجتباك ربك من بين خلقه؛ فجعلك من قبيلة المسلمين، من قبيلة المؤمنين؛ فاشكر هذه النعمة، وأفسح السلام في كل زمان ومكان وحال؛ لتنال

بركته، وتغنم أجره: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

وتحبب إلى ربك بحب عباده المؤمنين، وسلامة الصدر لهم، والنصيحة لهم، والتعاون معهم على البر والتقوى، والدعاء لهم، والإحسان إليهم بالقول والفعل؛ لتفوز برحمة الله الواسعة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١].

فالله ﷻ خلق الإنسان، ثم دعاه للإيمان، وإذا اختار الإيثار؛ فقد حدد الله ﷻ وظيفته، ما هي وظيفة الرجل والمرأة؟ هي هذه الأمور الحسنة.

ومفتاح ذلك هو معرفة ربنا ﷻ، ومعرفة أوامره، ومعرفة وعده ووعيده، فالمسلم ليتخلق بهذا الاسم يتعرف على ربه؛ ليسلم من الجهل، ويرغب إلى الله؛ ليفتح عليه منه ما يحبه ويرضاه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وِمَثُونَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

واعلم بأن العمر قصير، والعلم بحر لا ساحل له، فاطلب منه ما يسعدك في دنياك وأخراك، وهو العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والعلم بآياته وأحكامه، والعلم بوعده ووعيده، وحلاله وحرامه، وثوابه وعقابه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

والعلم بالله هو أعظم العلوم على الإطلاق، وهو العلم الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وخلق الخلق من أجله، وأهل هذا العلم هم ورثة الأنبياء: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَئِ الَّذِينَ يُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ؛ من التوحيد والإيمان والأعمال الصالحة، والأقوال الحسنة: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ لأنهم عرفوا عظمتهم وجلاله، وعرفوا تقصيرهم في عبادته، سواء كان حمداً وشكراً، أو استغفاراً وتوبة: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢١﴾ [الرعد: ٢١].

فكل شيء مكتوب: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وكل عمل له جزاء: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا آدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة: ٦-١١].

فالعلم صفة عظيمة؛ بالعلم نعرف من نعبد، بالعلم نعرف كيف نتعبد، بالعلم نعرف الحلال من الحرام، بالعلم نعرف ربنا الرحمن الرحيم، بالعلم نعرف عدونا وهو الشيطان الرجيم، وبهذا العلم يسلم العبد من الجهل، ويسلم من الشك، ويسلم من النار. وبهذا العلم يكون الإنسان من العلماء الربانيين، فليشمر العبد لذلك العلم وتحصيله؛ ليكون معلماً عاملاً بعلمه، معلماً لغيره: ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

وفي العمل بالعلم يأتي الفرقان والمعرفة: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة / ٢٨٢].

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩].

تفرقون بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين النافع والضار، فليتزكَّ العبد بمعرفة الله ﷻ، ومعرفة أسماؤه وصفاته، ووعده ووعيده ودينه وشرعه، ويطهر نفسه من الجهل والأنجاس ومساوئ الأخلاق، ويزكَّها بالفضائل والمحاسن والاستقامة كما أمره الله؛ ليسلم من عذاب الله، ويفوز برضوانه.

فإن لم تستقم على هذا فسوف تركزن إلى اليهود أو النصارى أو الكفار: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٣﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود / ١١٢-١١٣].

وتجنب الغضب، واترك الحسد، واصفح عن المسيء، وأعرض عن الجاهل، وارحم المسكين، وأقم الصلاة، واستر العورة، وابدل النصيحة، وتجنب القطيعة: ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص / ٧٧].

ولا تبغ على أحد، ولا تسخر من أحد، ولا تؤذ أحداً، ولا تغتب أحداً، وليكن حظ المؤمن منك إن لم تمدحه ألا تمدحه: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِمَّا

يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف / ٢٠٠].  
سميعٌ لأقوالك، عليمٌ بأحوالك.

واعلم رحمك الله أن المؤمن حقاً من سلم من المخالفات الشرعية سرّاً وعلناً، سلم من المخالفات الشرعية في قلبه وجوارحه، وبرئ من العيوب ظاهراً وباطناً، هذا المؤمن حقاً، ومن كان سليماً من الذنوب، بريئاً من العيوب؛ فقد بلغ غاية السلامة والسلام، وفاز بدار السلام.

فجاهد نفسك لتكون ذلك، جاهد نفسك، واجتهد على نفسك، واجتهد على غيرك بكل ما يحبه الله ويرضاه.

#### • اجتهد على نفسك بخمسة أمور:

طاعات تؤديها .. معاصي تجنبها .. نعم تشكر الله عليها .. ذنوب تستغفر الله منها ..  
ابتلاءات تصبر عليها: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

#### • واجتهد على غيرك بثلاثة أمور:

الأول: اجتهد على الكافر؛ لعله يهتدي بسببك: ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [السجدة: ٣].

الثاني: واجتهد على الفاسد ليكون صالحاً، واجتهد على الغافل ليكون ذاكراً، واجتهد على الجاهل ليكون عالماً، واجتهد على المسيء ليكون محسناً: ﴿ وَتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الثالث: اجتهد على الصالح ليكون مصلحاً، وعلى الذاكر ليكون مذكراً، وعلى العالم ليكون معلماً: ﴿ كُونُوا رَبَّيُنَّ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦٩].  
هذه المجاهدة خمس على النفس، وثلاث على الغير كما مر معنا، ومن تدبرها وتأملها؛ وجد الدين كله فيها: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

واعلم أيها العبد أن السليم حقاً من سلم قلبه من الشك والشرك، وسلم عقله من الشبهات، وسلمت نفسه من الشهوات والإسراف، وسلم هواه من اتباع غير شرع الله، وسلم فكره من كل ما يُشغِل عن الله: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَهُوَ الْهَدَىٰ وَأَمْرًا لِنَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام / ٧١].

فالإنسان إما أن يسلم قلبه وجوارحه لربه ومولاه الذي خلقه وهداه، أو يسلم ذلك لهواه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

فكل إنسان مفطور على الافتقار لغيره فالإنسان إما أن يكون عابداً لله، أو عابداً لعبد الله من شمس أو قمر أو حجر أو شجر أو غيرها، وعبادتك لله تغنيك عن كل معبود سواه؛ لأن الله بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء؛ هو الواحد الأحد الذي يغنيك عن كل أحد، والذي بيده أمر كل أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

فإذا عرفت السلام؛ فليسلم الناس من شرِّك، ومن السوء الذي يصدر منك. وكن سليماً بريئاً من العيوب والنقائص والآثام في أقوالك وأعمالك وأخلاقك، وتملاً المكان والزمان تسييحاً، وحمداً، وشكراً، ودعوةً، وتعليماً، وإحساناً إلى الخلق؛ فالمكان ظرف الأشياء، والزمان ظرف الأعمال، والإنسان يعمل في ظرف الزمان من ليل ونهار، والمكان الذي يسير فيه في هذه الأرض، هذان ظرفان عظيمان للإنسان، والله خلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض ينفذ أوامر من استخلفه.

والإنسان خلق ليعمل، والعمل الصالح يوصله إلى الجنة، والعمل السيئ يوصله إلى النار، فلنكن صالحين مصلحين، عالمين معلمين، مسلمين مسالمين، ندعو إلى دار السلام، وندعو إلى ربنا السلام، وندعو إلى دين الله السلام: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فلنسلم القلب والجوارح لربنا السلام، ولندعُ إلى ربنا السلام؛ حتى الله ﷻ يوم القيامة يدخلنا دار السلام، وينجيننا من دار العذاب والعقاب: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨ - ٣٩].

فالمسلم حقاً من سلّم قلبه من الشك والشرك، وامتلاً قلبه بالإيمان، وسلّم عقله من الشبهات، ويحصل له ذلك بجلوسه في الجو الإيماني والبيئة العلمية التي تزيل الشك، وتورث اليقين: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿١١١﴾ [التوبة/ ١١٩].

نكون في الجو الإيماني حتى نستفيد من إيماناً وعلماً وأخلاقاً وأعمالاً، ونتقرب إلى ربنا؛ ولا نخرج من هذا الجو الإيماني كالسّمك إذا خرج من البحر مات، كذلك الإنسان إذا خرج من الجو الإيماني إلى الجو الغافل صار من الغافلين: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿٢٨﴾ [الكهف/ ٢٨].

فهذا العبد السليم الذي سلّم قلبه من الشك والشبه، وسلّم جوارحه لربه، وأطاع الله ﷻ؛ له حق على الله أن يسلمه في الدنيا من المؤذيات، وأن يهبه مما فيها من الخيرات؛ فيرزقه الاستقامة على الدين، ويجعله محمود السيرة، محبوباً بين الناس، ويسلم الناس من لسانه ويده، ويسلم الإسلام كذلك من لسانه ويده، ويرزقه ما لا حلالاً: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ وَلٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ [الأعراف/ ٩٦].

فهذا الذي سلّم قلبه لربه ﷻ؛ يرزقه الله ﷻ من الخير ما يعينه على طاعته، ويرزقه ما لا حلالاً، ويهبه زوجةً سالحة، وأولاداً أبراراً، وعيشةً راضيةً، فهذه سلامة الدنيا. أما سلامة الدين: فيسلم الله عقله من البدع والشبهات، ويسلم قلبه من الهوى، والشهوات، ويسلمه من كل ما سواه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٢٥﴾ [النساء/ ١٢٥]. هذه سلامة الدنيا.

### • أما سلامة الدين فتكون في ثلاثة مقامات:

في مقام الشريعة.. وفي مقام الطريقة.. وفي مقام الحقيقة.

الأول: في مقام الشريعة: يُسلم الله عقل هذا المسلم من البدع والشبهات؛ لأن الله هو السلام الذي يسلم من كل آفة، يسلم عقل هذا الذي أناب إلى ربه؛ يسلم عقله من البدع والشبهات، ويسلم قلبه من الشرك، وأعماله من الهوى والشهوات، فشهوته في طاعة ربه، وقلبه معلق بربه، يكبره، ويمجده، ويمجده، ويشكره، ويدعوه، ويدل الناس عليه.

فهو يستأنس به، ويستوحش من غيره، هو بين يدي ربه ذاكراً، حامداً، مستغفراً، سائلاً، خاشعاً، وبين يدي خلقه داعياً، ومعلماً، ومحسناً: ﴿فَالذِّكْرُ إِلَهُ وَجِدْ فَهُوَ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

الثاني: في مقام الطريقة: يعني طريقة حياته، فعقله أمير على شهواته وأعماله، وليس أسيراً لها، فينقاد هو اه لعقله، ولا ينقاد عقله لهواه، ويقدم الوحي على العقل في جميع أحواله، ويقدم محبوبات الرب على محبوبات النفس، ويقدم الآخرة على الدنيا، فعقله ذلك على ربه فقاده إلى جميع الطاعات، فهو اه مأسور بعقله، ولسانه مشغول بذكر الله، وجوارحه تعمل في مرضاة الله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

الثالث: وفي مقام الحقيقة: فسلامة هذا العبد أن يتوجه إلى الله وحده، ويعبد الله ﷻ كأنه يراه في مقام المشاهدة، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فالذي يعبد الله كأنه يراه لا يعصيه أبداً، ويعكف على طاعته، ويشغل لسانه بذكره وحمده واستغفاره وتمجيده، ويشغل جوارحه بطاعته، هذا مقام المشاهدة؛ أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم يكن هذا؛ فاعبد الله ﷻ كأنه يراك، فتخافه وتخشاه، فللعبد بين يدي ربه مقامان:

الأول: مقام المشاهدة؛ أن تشاهد ربك السلام، أن تشاهد ربك الرزاق، أن تشاهد ربك ذي العزة والجبروت والكبرياء والعظمة، تعبد الله كأنك تراه، فتطيعه ولا تعصيه، وتحمده وتشكره، وهذا أعلى المقامات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الثاني: مقام المراقبة، فإن لم تعبد الله كأنك تراه؛ فاعلم أنه يراك، وأنه يراقبك جل جلاله، فلتخافه وتخشاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢]. فالأول مقام رغبة وأنس؛ لأنك تعبد الله وتراه، ترى فيه صفات الجلال، وترى فيه صفات الجمال، ترى القوي، القادر، القاهر، الملك، العزيز، الجبار، وترى الملك،

الرحمن، الرحيم، اللطيف، الكريم، فتعبد الله كأنك تراه، ولهذا لا بد من التوجه قبل الصلاة، بأن يستحضر المسلم ربه، ويستحضر نعمه، ويستحضر أسماؤه وصفاته، فيوجه قلبه إلى ربه قبل أن يوجه بدنه إلى بيته؛ فيجتمع اتجاه البدن إلى الكعبة، واتجاه القلب إلى الرب؛ فهنا تصلح الصلاة، وتكون الصلاة قائمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون / ١-٢].

خاشعون لماذا؟ لأنهم يرون الله ﷻ، يرونه غفوراً يغفر لهم إن استغفروا، وكريماً يعطيهم إن سألوه، وقادراً يستعينون به فيما يحتاجون إليه.

فمقام المراقبة يثمر خوف العبد من ربه، ومقام المشاهدة يثمر الأنس والحب للرب، فإن لم تكن في مقام المشاهدة، فكن في مقام المراقبة.

ومقام الحقيقة: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

فتوجه إلى ربك السلام بقلبك وبدنك، وابعده بمقتضى ذلك.

واعلم أنه هو السلام السالم من كل آفة وعب، المسلم غيره من الشرور والآفات، هو السلام الذي كل سلام في العالم فمنه، هو السلام الذي دينه كله سلام، وهو جل جلاله يدعو إلى دار السلام، ووعد عباده بدار السلام: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام / ١٢٧].

والله ﷻ هو الملك القدوس السلام، هذه سلامة الدنيا، وهذه سلامة الدين.

أما سلامة الآخرة فالسلام جل جلاله يسلم عبده الذي أسلم له في الدنيا، يسلمه من عذاب النار، ويدخله الجنة دار السلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِن عَفْوٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

ولا شك أن خير الناس أنفعهم للناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فكن كذلك أيها المسلم؛ تكن عبداً ربانياً تظهر فيك صفات ربك السلام، ولكن على شاكلة العبودية، فالله عليم يعلم الخلق، والله رحمن يرحم الخلق، والله رزاق هو الذي

رزق الخلق: ﴿ مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

فتارة تعلم الكتاب، وتارة تتعلم الكتاب، تارة تتعلم، وتارة تدرس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وسلم الإسلام من لسانه ويده، فالمسلم لا يقول الأقوال السيئة، ولا يقول القول الفاحش، ولا يكذب، ولا يظلم، ولا يفجر، ولا يزي، ولا يشرب الخمر، ولا يسيء للخلق، حتى يتعبد لله بترك ذلك، وحتى لا يقال: الإسلام هكذا، هذه صفات الإسلام ظهرت في فلان من الناس، وهو من المسلمين، فيكون سبباً لتغيير الناس من الإسلام.

فالله ﷻ أمرنا بمعرفة لا إله إلا الله؛ وركن هذه المعرفة هو معرفة الله بأسائه وصفاته وأفعاله: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة / ٩٨].  
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢].

وإذا عرفتم ذلك؛ عرفتم العظيم، وعرفتم الكريم، عرفتم العظيم فعظمتوه، وعرفتم الكبير فكبرتموه، وعرفتم الكريم؛ فأحبتتموه، لإكرامه وإحسانه، ثم تقربتم إليه بما جاء به رسوله ﷺ، ثم دعوتهم إلى ذلك: ﴿ وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفْرٌ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١-٣].  
وهذه الأمة لقيامها بالدعوة متوجة بأربعة تيجان:

تاج ﴿ هُوَ أَحَبُّكُمْ ﴾ [الحج / ٧٨].

وتاج ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران / ١١٠].

وتاج ﴿ لِنُكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة / ١٤٣].

وتاج ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة / ١٤٣].

لماذا؟ لأنها خير أمة أخرجت للناس؛ في العلم، في الدعوة، في العبادة، في الأخلاق.

فالبشرية كلها مسؤولة هذه الأمة، تدعوهم إلى الله، وتأمروهم بالمعروف، وتنهائم عن المنكر، وتعلمهم شرع الله ﷻ؛ لأنها مبعوثة الأنبياء.

قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ» أخرجه البخاري (١).

فهذه الأمة مبعوثة تخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، كما هو عمل نبيهم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف / ١٠٨].

فلنفرح أننا من المسلمين، وأننا نعبد ربنا السلام الذي كل سلامة في العالم منه، والذي هو السلام البريء من الآفات والنقائص والعيوب، البريء عن المثل، المنزه عن الشبيه والمثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].  
فهو الأسماء الحسنی، وله الصفات العلی، ومن حبه لاسمه السلام سمانا بالمسلمين، وسمى دينه بالإسلام، وسمى جنته دار السلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ١٧-١٨].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت؛ فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت؛ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت.

اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، وعظم لي نورًا.

رضينا بالله ربًا وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا وَسَّكَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٨١] ﴿وَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٨٢]. [الصافات / ١٨٠-١٨١].

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٢٨).

# فهرس الموضوعات

## الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة
الباب الرابع: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: .....	٧
١٥ - اسم الله الحق .....	٨
التعبد لله عز وجل باسمه الحق .....	٩٣
١٦ - اسم الله المبين .....	١٠٥
التعبد لله عز وجل باسمه المبين .....	١٣٢
١٧ - اسم الله الحي .....	١٣٧
التعبد لله عز وجل باسمه الحي .....	١٨٥
١٨ - اسم الله القيوم .....	٢٢٧
التعبد لله عز وجل باسمه القيوم .....	٢٧٨
الباب الخامس: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: .....	٣٢٧
١٩ - اسم الله السميع .....	٣٢٨
التعبد لله عز وجل باسمه السميع .....	٣٧١
٢٠ - اسم الله البصير .....	٤٠٩
التعبد لله عز وجل باسمه البصير .....	٤٥٦
٢١-٢٢-٢٣ - اسم الله العلي .. الأعلى .. المتعال .....	٤٩٥
التعبد لله عز وجل باسمه العلي .. الأعلى .. المتعال .....	٥٠٦

- ٥٤١ ..... ٢٤-٢٥- اسم الله الكبير.. المتكبر
- ٥٨٦ ..... التعبد لله عز وجل باسمه الكبير.. المتكبر
- ٦٠٥ ..... الباب السادس: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية
- ٦٠٦ ..... ٢٦- اسم الله العظيم
- ٦٧١ ..... التعبد لله عز وجل باسمه العظيم
- ٧٠٧ ..... ٢٧- اسم الله القوي
- ٧٢٩ ..... التعبد لله عز وجل باسمه القوي
- ٧٥٥ ..... ٢٨- اسم الله المتين
- ٧٨٠ ..... التعبد لله عز وجل باسمه المتين
- ٧٨٩ ..... ٢٩-٣٠- اسم الله القهار.. القاهر
- ٨١٨ ..... التعبد لله عز وجل باسمه القهار.. القاهر
- ٨٤٥ ..... الباب السابع: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية
- ٨٤٦ ..... ٣١- اسم الله العليم
- ٨٩٩ ..... التعبد لله عز وجل باسمه العليم
- ٩١٧ ..... ٣٢- اسم الله القدوس
- ٩٣٦ ..... التعبد لله عز وجل باسمه القدوس
- ٩٥١ ..... ٣٣- اسم الله السلام
- ٩٨٣ ..... التعبد لله عز وجل باسمه السلام
- ١٠٠٩ ..... الفهرس